مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م
تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٤ م
المحرم وصفر سنة ١٣٦٣ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٣ هـ ١٩٤٤ م

١	السيد محمد كردعلي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	السيد اديب التقي	〃
٣	الدكتور أسعد الحكيم	〃
٤	الأمير جعفر الحسني	〃
٥	الدكتور جميل الخاني	〃
٦	〃 جميل صليبا	〃
٧	السيد خليل مردم بك (أمين السر العام)	〃
٨	〃 سليم الجندي	〃
٩	〃 شفيق جبري	〃
١٠	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١١	〃 عبدالقادر المغربي (نائب الرئيس)	〃
١٢	السيد عزالدين التنوخي	〃
١٣	〃 فارس الخوري	〃
١٤	〃 محسن الأمين	〃
١٥	〃 محمد البزم	〃
١٦	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٧	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٨	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٩	السيد معروف الأرناؤط	〃
٢٠	〃 هنري لاوست	〃
٢١	الشيخ راغب الطباخ	حلب
٢٢	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٤	الشيخ محمد زين العابدين	حلب
٢٥	اليسد سويريوس افرام	حمص
٢٦	الشيخ سعيد العرفي	ديرالزور
٢٧	〃 ابراهيم منذر	بيروت
٢٨	السيد بشارة الخوري	〃
٢٩	〃 بولس الخولي	〃
٣٠	〃 عمر الفاخوري	〃
٣١	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٢	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٣	الشيخ مصطفى الغلاييني	〃
٣٤	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٥	السيد عارف النكدي	عبية (لبنان)
٣٦	〃 عيسى اسكندر المعلوف	(زحلة لبنان)
٣٧	الشيخ أحمد رضا	جبل عاملة
٣٨	〃 سليمان ظاهر	〃 〃
٩٣	السيد ادوار مرقص	اللاذقية
٤٠	السيد محمد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤١	〃 عبد الله مخلص	〃
٤٢	الأب انستاس ماري الكرملي	بغداد
٤٣	الشيخ رضا الشبيبي	〃
٤٤	السيد طه الراوي	〃
٤٥	طه باشا الهاشمي	〃

٤٦	السيد عباس العزاوي	بغداد	٧٢	〃 مارسيه	تونس
٤٧	〃 كاظم الدجيلي	〃	٧٣	〃 ماسه	الجزائر
٤٨	الشيخ محمد بهجة الأثري	〃	٧٤	السيد محمد الحجوي	رباط (مراكش)
٤٩	〃 معروف الرصافي	〃	٧٥	〃 گي	بوليفيا
٥٠	الدكتور داود الجلبي	الموصل	٧٦	〃 بوفا	باريز
٥١	احمد أمين بك	مصر	٧٧	〃 دوسو	〃
٥٢	السيد احمد حسن الزيات	〃	٧٨	〃 كولان	〃
٥٣	الدكتور أحمد عيسى بك	〃	٧٩	〃 ماسينيون	〃
٥٤	أحمد لطفي السيد باشا	〃	٨٠	〃 آسين بلاسيوس	مجريط (اسبانيا)
٥٥	السيد خليل ثابت	〃	٨١	〃 لوبس	لشبونة (البرتقال)
٥٦	〃 خليل مطران	〃	٨٢	〃 هيس	سويسرا
٥٧	〃 خير الدين الزركلي	〃	٨٣	〃 أراندونك	هولاندة
٥٨	الدكتور طه حسين بك	〃	٨٤	〃 هوتسما	〃
٥٩	السيد عباس محمود العقاد	〃	٨٥	〃 كرينكو	انكلترا
٦٠	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃	٨٦	〃 بروكلمن	المانية
٦١	الأمير عمر طوسون	〃	٨٧	〃 هارتمان (ريشار)	〃
٦٢	الشيخ محمد الخضر حسين	〃	٨٨	〃 سترستين	السويد
٦٣	السيد محمد لطفي جمعة	〃	٨٩	〃 استروب	الدانيمارك
٦٤	الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا	〃	٩٠	〃 موجيك	فينا
٦٥	الدكتور منصور فهمي	〃	٩١	〃 ماهلر	بودابست
٦٦	الأمير يوسف كمال	〃	٩٢	〃 كوفالسكي	بولونية
٦٧	السيد حسن حسني عبد الوهاب	تونس	٩٣	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد
٦٨	الشيخ عبد الحي الكتاني	فاس	٩٤	〃 كرسيكو	فنلاندة
٦٩	الأمير شكيب أرسلان	لوزان	٩٥	〃 فيليب حتي	أميركا
٧٠	السيد عبد العزيز الميمني الراجكوتي	الهند	٩٦	〃 هرزفلد	〃
٧١	〃 عباس إقبال	طهران	٩٧	〃 سعيد أبو جمرة	البرازيل

اعضاء المجمع العلمي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق	
٢	الشيخ مسعود الكواكبي	〃	
٣	السيد مالنجو	〃	
٤	الشيخ سليم البخاري	〃	
٥	السيد الياس قدسي	〃	
٦	〃 أنيس سلوم	〃	
٧	〃 جميل العظم	〃	
٨	〃 سليم عنحوري	〃	
٩	〃 عبد الله رعد	〃	
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃	
١١	〃 حسن بيهم	بيروت	
١٢	الأب لويس شيخو	〃	
١٣	الشيخ عبد الله البستاني	〃	
١٤	السيد جبر ضومط	〃	
١٥	〃 عبد الباسط فتح الله	〃	
١٦	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃	
١٧	السيد أمين الريحاني	〃	
١٨	〃 جرجي يني	طرابلس الشام	
١٩	الشيخ سليمان أحمد	اللاذقية	
٢٠	الدكتور صالح قنباز	حماة	
٢١	الأب جرجس شلحت	حلب	
٢٢	〃 جرجس منش	〃	
٢٣	السيد قسطاكي الحمصي	حلب	
٢٤	الشيخ كامل الغزي	〃	
٢٥	السيد ميخائيل الصقال	〃	
٢٦	الشيخ بدر الدين النعساني	〃	
٢٧	السيد نخلة زريق	القدس	
٢٨	الشيخ خليل الخالدي	〃	
٢٩	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم	
٣٠	〃 محمود شكري الآلوسي	بغداد	
٣١	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃	
٣٢	〃 أحمد الاسكندري	مصر	
٣٣	أحمد زكي باشا	〃	
٣٤	أحمد شوقي بك	〃	
٣٥	السيد أسعد خليل داغر	〃	
٣٦	حافظ ابراهيم بك	〃	
٣٧	الشيخ محمد رشيد رضا	〃	
٣٨	السيد مصطفى صادق الرافعي	〃	
٣٩	أحمد كمال باشا	〃	
٤٠	أحمد تيمور باشا	〃	
٤١	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	〃	
٤٢	الدكتور يعقوب صروف	〃	
٤٣	السيد اوجينيو غريفيني	〃	
٤٤	〃 رفيق العظم	〃	

٤٥	〃 داود بركات	مصر
٤٦	الدكتور أمين المعلوف	〃
٤٧	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٤٨	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٤٩	السيد رينه باسه	〃
٥٠	السيد ميشو بللير	طنجة
٥١	〃 زكي مغامز	الاستانة
٥٢	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٥٣	السيد فران	باريز
٥٤	〃 كليمان هوار	〃
٥٥	〃 جويدي	إيطاليا
٥٦	〃 الينو	〃
٥٧	〃 هومل	المانيا
٥٨	〃 ساخاو	〃
٥٩	〃 هوروفيتز	المانيا
٦٠	السيد مارتين هارتمان	〃
٦١	〃 ميتفوخ	〃
٦٢	〃 مونته	سويسرا
٦٣	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٦٤	〃 مرجليوث	انكلترا
٦٥	〃 بفن	〃
٦٦	〃 براون	〃
٦٧	〃 بوهل	الدانيمارك
٦٨	〃 بدرسن	〃
٦٩	〃 أغناطيوس غولدصيهر	بودابست
٧٠	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٧١	السيد ماكدولاند	أميركا

الفصيح والمولد [1]

في كلام أهل الغوطة

- ٤ -

(٩) الزروع والأشجار والثمار

غلّ فلان غلة طيبة . الغلة الدخل من فائدة الأرض . وأغلت الضيعة أعطت الغلة والرجل وجدته غالاً ، والغـلة عندهم الحبوب . أقبل الزرع جاد وهذا زرع اقبال . يقولون هذه السنة سنة محال (بتسكين الميم) أي محل وجدب من محل البلد وأمحل ومن أمثالهم « ان أقبلت آذار روّاها وان أمحلت كان آذار وراها » . وهذا خصب وهذا جَدْب . هرّ الشوك يبس وتنفش . زرعٌ عفير وهو ما زرع من الحبوب في أرض حرثت وزرعت قبل أن تسقيها السماء والأنهار وفي اللسان : العفر اول سقية سقيها الزرع وعفر الزرع ان يسقي سقية ينبت عنه ثم يترك أياماً لا يسقى فيها حتى يعطش ثم يسقى فيصلح على ذلك . يقولون زرعنا كباساً أي زرعاً بالسقيا وكبس البئر والنهر طمها بالتراب . شتل الغراس ومنها المشتلة اي المغرسة والشتلة آرامية عربيتها غرسة . دلل الغراس غرسها بعيداً بعضها عن بعض والدآيل ما كان بعضه بعيداً عن بعض من الزرع (سريانية) وضده العبّ وهو سرياني أيضاً . نقول هذا زمان الغراس كما يقال زمان الحصاد . باكورة الفاكهة أول ما يدرك منها . بلغت الثمار أدركت ونضجت . شرشت الشجرة ضربت عروقها في الارض ومنه الشرش للجذر ويقولون شرّش أزال شروشها (سريانية) . قلم الشجرة وقلّمها بالتشديد قطعها وشذاها قطع أغصانها الزائدة (سريانية) . طعم الشجرة أدخل عليها قطعة من شجرة أخرى وفي القاموس أطعم الغصن وصل به غصناً من غير شجرة كطعمه . واشتقوا منه المطعم لمن يعمل ذلك والطعام للشجرة التي سبق لها

(١) تابع لما ورد في الأجزاء الثلاثة الأخيرة من المجلد الثامن عشر من هذه المجلة

ان طعمت بجنس آخر من الاشجار المثمرة ولا سيما المشمش والكمثرى والتفاح . أطعمت الشجرة أدركت ثمرها يعني أخذت طعماً وطابت وأطعمت أدركت . لبن كل شجرة ماؤها . أصمغت الشجرة صار لها صمغ يقولون صمّغت . نطف الحور طلع من مكان آخر وفي التاج المناطف المطالع ونطف لي كذا أي طلع عليّ . النصبة ما ينصب في الحقل من الغراس هذه بفتح النون وبضمها السارية أي العمود وهو قريب . السطم بفتح السين وإسكان الطاء ما يغرس من عيدان الحور والصفصاف والخلاف وفي كتب اللغة السطم بضم السين والطاء الأصول وهو وجيه . المَرْوشة ويجمعونها على مراريش بفتح الميم وتشديد الطاء وضمها قطعة من شجر الزيتون ولعلها من الامتراش وهو الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى انتزاعاً.

التدريكة فرع من الدالية يربى تربية خاصة حتى يتكون له جذع ثم ينزع ويغرس وفي المعجمات الدريكة كسفينة الطريدة والطريد العرجون ومعنى العرجون العذق غصن له شعب والتدريكة في العريشة او الدالية كالمروشة في الزيتونة . رقد الشجر (بفتح الراء وتشديد القاف) وقف عن النمو لاهتراء جذوعه بالماء فان كان أصلها بالقاف رقد فمعناها نامت عن النمو وان كانت بالكاف فمعناها وقفت ويصح كلاهما هنا . الخلفة نبت ينبت بعد النبات الذي يتهشم واخلف الشجر اذا اخرج ورقاً بعد ورق قد تناثر . زعزع الشجرة حركها لينزعها . الهز والهزهزة تحريك الشجرة ليسقط ثمرها . الجميم نبت يطول حتى يصير مثل جمة الشعر وجنم الكرم قطع بعض أغصانه (قيل سريانية) . شورّ ركم التراب حول الشجرة (سريانية) وعرّم التراب كوّمه وكدسه وهي سريانية أيضاً . فرط الشجرة نزع منها ثمرها . قصف الغصن قطعه . شار الزيتون والمشمش جمعه ولعلها أتت من شار العسل استخرجه من النقرة التي يجتمع فيها كأشاره واشتاره واستشاره . أورقت الشجرة ظهر ورقها . أثمر الشجر اطلع ثمره فهو مثمر ومن هنا قيل لما لا نفع له ليس له ثمرة . يقولون هذا زرع بكير (جمع بكائر وهم يشددون الكاف) وهذا زرع لَقّيس والبكير صحيح اي المبكر أما اللقيس فلم أستطع رده الى أصل عربي . وقال

بعضهم انه سرياني • التفّ النبات بعضه ببعض اختلط ونشب • الطَّربون رأس الغصن او القضيب المورق (سريانية) • الطري الغض • الجُمّار ما بقي من جذوع الزيتون والتين والنخل • القرمية عقدة أصل البرَة من أنف الناقة وهي عندهم قطع الجذع المطمور في الأَرض والجمع قرامى • الجذرج الجذور الأُصول • الدندانة تربية ثمر الجوز والمشمش وغيرهما سنتين او ثلاثاً ثم غرس ما طلع من فسائلها ولم أجد لها أصلاً • يبس جفّ بعد رطوبته • اليبيس من النبات ما يبس • البرعوم كمّ ثمر الشجرة والنَّوْر او زهرة الشجرة وتبرعمت خرجت براعمها • تفرعت الأغصان كثرت • الحمل ثمر الشجرة (بفتح ويكسر) وكلاهما مستعمل • حش وهش بمعنى وهو ان يضرب أغصان الشجرة حتى ينتثر ورقها • حش الحشيش واحتشه •

الزريعة ما زرعته والزُّرعة البذر يقولون هذا قمح زرعة اي يصلح للبذر • حصد الزرع آن أن يحصد كاستحصد والزرع المحصود كالحصيد والحصيدة • هاف الزرع ذبل وذوى وهاف ورق الشجر سقط وهاف عندهم طال والهيف شدة العطش وريح تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه • أسبل الزرع خرجت سبولته وخرّش خرج أول ظرفه من السنبل • أفرك الحب حان له ان يفرك وفرك السنبل دلكه • ابزر النبات وبزّر اذا أدرك بزره • أقمح السنبل جرى فيه الدقيق واقتمح البرُّ صار قمحاً نضيجاً • رجد نقل السبل الى البيدر وصانعه الرجاد والراجود • لقط السبل أخذه من الأرض وكسحاب السنبل الذي تخطئه المناجل وبالكسر اسم ذلك الفعل • واللقط ما يلتقط من السنابل ومنه اللقاطة التي تلقط من الأرض بعد ان تحصد • الشمالة كل قبضة من الزرع يقبض عليها الحاصد • شكارة قمح اي مقدار ما يزرع في قطعة أرض (سريانية) كوّش الزرع اوالحنطة جمعها (سريانية) شبشول الذرة(سريانية)

الكشمش بالكسر عنب صغار لا عجم له (القاموس) يطلقون عليه اسم الاشلميش • يقولون فلان يخرب عليّ أرضي اي يعتدي عليها ويرعى زرعها وفي اللسان خرب فلان بابل فلان يخرب بها خرباً وخروباً وخِرابة وخُرابة اي سرقها • عسقل البقل والثمر فسد ولم أجد لهما أصلاً • يقولون أخذت له من هذه الفاكهة النخبة

(بالضم وكهمزة) المختار وانتخبه اختاره ومنه المختار وهو شيخ القرية الذي يختاره أهلها من بينهم • درس الحنطة درساً ودراساً داسها والدَّرس والدَّراس والداروس لمن يدوس الحنطة على البيدر • غلظ خلاف دقَّ واستغلظ الزرع اشتد واستغلظت الشيء رأيته غليظاً • قشرت العود أزلت قشره ومنه قشر البطيخ (بتشديد الشين عندهم) • قضبت العود كسرته والقضيب الغصن المقطوع • قطعت الثمرة جذذتها وهذا زمان القطاف والقطاف اسم زمان القطف • ماش كرمه طلب باقي قطوفه • لوَّحت الشمس الثمار غيرتها فقرب نضجها • يقولون ثمرة بغوة للثمرة قبل نضاجها والفج بالكسر النيُّ من الفواكه يلفظونه بالفتح • بذر البذر زرعه • والبزر بالزاي بزر البقل • تدلى من الشجرة اي تدال يقولون تنددل • دوَّد وقع فيه الدود • سوَّس وقع فيه السوس • عرَّش الكرم بالعروش عمل له عريشاً والعريش خيمة من خشب تتخذ للدوالي ج عرائش • المسطح ما يجفف فيه العنب (فارسي) القطاني العدس والحمص واللوبياء وفي الغوطة يطلقونه على الجلبان (الجلبانة) او الكرسنة والفول أيضاً • القمح والقمحة • الحبة • البرُّ • الطحين • لفحت النار بحرها وكذا السَّموم احرقت ويقولون هذا شجر ملفوح اي أحرقه الصقيع • التبن ومنه تبن والتبان موضعه وراكمه وبائعه • كربل الحنطة مثل غربلها • القصالة (بضم القاف) ما يعزل من البر اذا نقي ثم يداس ثانية يقولون له القصلية • القصيل من قصله قطعه ينطقون بها بالألف الأصيل وهو الحشيش المقطوع • خوخ مفلق ومشمش مفلق اذا تفلق عن نواه وتجفف •

المرج أرض ذات كلاء (حشيش) ترعى فيها الدواب ويقولون مرَّجت الأرض اصبحت كالمرج بكثرة حشائشها • الغار • السرو • الصفصاف • الحور • المابس • الازدخت (الزنزلخت) • الدردار • الغيلان او أم غيلان من شجرة السمُر • الكينا (الاوكاليبتس) الدُّلب • الفريك كأمير ما يفرك من الحب ويطلقون الفريك أيضاً على ما يجففونه من المشمش تجفيفاً خفيفاً وعلى نوع من حبّ الزيتون • اللوز • الجوز • الفستق • البندق • التفاح • الاجاص (يقولون له النجاص وهو الكمثرى) والدُّراق

(الدراقن عندهم) الجانيرك (يقال ان أصله جان اريك اي ملذ الروح ومفرحها من التركية) . العقابية ثمر اللوز قبل تمام نضجه . التوت . القجاجق (جاءت من قزلجق التركية ومعناها الأحيمر بالتصغير) . الصبار (الصبارة) . الزعرور الزعبوب) (غير معروفة الأصل) .

عدوة الزراع في الغوطة الزوّان والشوفان والرّزين والكشوث والحالوش والهالوك والجعفيل والخلد . فالزؤان أو الزُّوان الشيلم ، والشوفان نبت يطول كسنبلة القمح او الشعير يطاولها فيقتلها . والرّزين عرق أخضر قاس يتخلل الأرض فيفسد زرعها وشجرها ويلحق ضرره في الأكثر بالمزروعات الصيفية كما يضر الشوفان بالمزروعات الشتوية ، والكشوث يحرفونها فيقولون الشخوت وهو عرق أحمر معرش يعلق بالأغصان وما كان له ساق من النبات كالقنب والخيار فيمرضه ويحول دون نموه . والحالوش (وأخطأ بعض اللغويين المعاصرين فسماه المالوش بالميم) دويبة ذات مخلب حاد تقرض بها أصول بعض المزروعات الصيفية فتذبل وتيبس حالاً ، والهالوك نوع من الطراثيث والطراثيث هو النبات الذي يسمى لحية التيس[1] والجعفيل كالهالوك ويلفظونه بالراء الجعفير هو الذي يسمى حشيشة الأسد خانق العدس والكرسنة لأنه اذا نبت بين العدس والكرسنة خنقها[2] والخلد كالجرذ خُلق بلا عينين بل بفم وأنف فقط وهو يقرض المزروعات الصيفية وقد يحمل منها الى أماكن بعيدة يدخرها كما تدخر النملة الحب . ومن مؤذيات الزروع المُدّيد ، العليق . الشوك . العوسج . يقولون ارض مُدغلة اي فيها دَغل اي نبات غريب والدغل في المراجع اللغوية اشتباك النبات وكثرته . ومن أعداء الزراعة أيضاً ما يخرج في مجرى الأنهار من القز وهو الطحلب اي الخضرة التي تعلو الماء المزمن أو البطيء الجريان والقزُّ في الأصل الحرير . ومنها السيكران والقرّة والنعنع والجريج والبوط . كل أولئك يعوق المياه عن سرعة جريانها .

(١) شرح أسماء العقار لأبي عمران موسى بن عبيدالله الاسرائيلي (المجلد الحادي والأربعون من نشرة المجمع العلمي الفرنسي المصري) . (٢) منتخب جامع المفردات للغافقي (منشورات الجامعة المصرية)

(١٠) القلع والقطع والنشر وما شاكل ذلك

المنشار ما ينشر به ، النشار ، النشر ، المنشر محل النشر (نشر الأخشاب ونشر القنب بعد إخراجه من المنقع) . خرز الخف وغيره فهو خراز والمخرز ما يخرز به والخرز في الجلد كالخياطة في الثياب . القدوم آلة للنجر مؤنثة وهم يشددون الدال والتشديد لغة كما قال الزمخشري . الفارة المسحج المنجج . قلمته قطعته ومنه قلم الظفر وقلم الشجرة . نجر ، النجارة ، النجار . نخر العظم بلي وتفتت . قوّر الشيء تقويراً قطع منه وسطه خرماً مستديراً كما يقور البطيخ . تفلقت البطيخة . قشر الخيارة . انفلق ضد انفتح . قصصته قطعته قصصت الظفر والشعر . الحتّ الحك بطرف حجر . حككت الشيء حكاً قشرته . نقرت الخشبة حفرتها ، ومنه نقر حجر الطحين . المِقطع اسم آلة القطع . حنوت وحنيت العود ثنيته ومنها الحنية للعودة التي تستعمل في سكة الحرث . بعج البطن . فلق الفستقة . فلق الشيء شقه فِلقة وتفليقاً وفلقه فانفلق وتفلق الفِلقة بالكسر ومنه فلقة الثوب . هذا خشب سبْط (بسكون الباء وكسرها) الممتد الذي ليس فيه عقد ولا نتوّ . الخُرم بالضم موضع الثقب (خرم الابرة) الخرق الثقب في الحائط . الساطور لما يقطع به . المثقب آلة الثقب يقولون المدأب والثقب الخرق النافذ . قلعته من موضعه قلعاً نزعته فانقلع . حززت الخشبة قرضتها والحذة بالذال والزاي على ما في القاموس القطعة من اللحم تقطع . ومنه حزّ البطيخ وهي ما يقطع منه طولاً ، والحزّازة آلة لنشر الجذع العظيم . البراية ما يسقط من العود عند البري . الخُراطة ما يسقط منه عند الخرط . النشارة ما يسقط من الخشب عند النشر . النحاتة ما يسقط من الحجر عند النحت . والنجارة ما انتحت عند النجر . ودُقاق العيدان كسارها يستعملونه لما يتناثر من القنب عند دق قشره . القطع القطّ . الجذ . القطم . فسخت العود أزلته عن موضعه بيدك ويقال لما يفسخ الفسخة . قرّط الكرّاث تقريطاً قطعه في القدر كقرطه . فرتك قلبه قطعه . النتر الجذب بجفاء ، نتر يده من يده . الشفاية ما ينزع من أغصان الشجرة اذا جفت أو لم تجف كأنها مأخوذة من الشفى حرف كل شيء . جزّ الصوف . والجزّة الواحدة من

الصوف • مشق القنب أو الكتان ومنه المشاقة لما يتناثر من أجزائه • ومشق الغصن عرّاه من ورقه • قططت القلم قطعت رأسه عرضاً في بريه • المَرْش الحكُّ بأطراف الأظفار • مصمته بظفرها حركته وفركته يقولون امصع رقبته اي اقطعها • سلخ الشاة كشط جلدها وسمطها نتف جلدها بماء حار • هبرت له من اللحم هبرة أي قطعت له قطعة • قلخ الشجرة وهي قلخ قلعها • نزعته قلعته وقد حولوا معناها الى الفساد • نخ الخشب والحطب او تخيخ بيس وجف وتهرأ (قيل سريانيـة) المقدار لوح من الخشب والمقدار في الفصيح الهنداز والمقياس وقدرت الثوب فانقدر جاء على المقدار • خرم الخرزة فصمها •

(١١) الزهور والبقول

باقة من بقل وحزمة من حطب وطاقة زهر واكليل ريحان • الجلنار زهر الرمان (معرب) شجر الآس ، حبُّ الآس (يركبونه تركيباً مزجياً فيقولون حبلاس) العنب العنقود • الحصرم يلفظونه الحُصرُم • الخيار • الفقوس • الكرفس الكسبرة (الكزبرة) المقدونس (البقدونس) عندهم قيل انها من معدنوز او معدنواز التركية ومعناها مفرح المعدة • الكراث • الخس • الخُطمي يقولون لها الختمية • الطرخون[1] (يونانية) الكمون • الماش • العدس • الفول • الحمص • الجزر • الشوندر (فارسيـة) بزر القطونا • الفجل • البصل • الثوم • الخشخاش • الشقيق • الزيزفون • الورد الجوري • البنفسج • الزنبق • الرَّيحان ويقولون له الحَبَق أيضاً • المنثور • الفصة من فصيلة البرسيم وهي غيره يدوم في الأرض سنين يُسقى في الصيف ويُرعى خمساً أو ست مرات • الخلة شجيرة شائكة تنبت على شواطئ الانهار وبزرهـا ينفع في مرض الرمل وعوده يتخلل به ورائحته زكية • البوص نوع من النجيل (يقولون له الانجيل) مستطيل الورق ينبت في ضفاف الأنهار والبوط نبات يخرج في الأنهار أيضاً تحشى به المخاد • الخضراوات (فارسي معرب) الهَيُوَن • اليقطين مالا ساق له من النبات كشجر القرع • الخضر : البقول البقلة • الخردل •

(١) معجم النبات لأحمد عيسى •

حب الرشاد • الترمس • القثي وهي القثاء يطلقونها على نوع من الخيار • الذُّرة • الشعير • الكرنب • اللفت • السلق : وصفه صاحب اللسان بقوله : نبت له ورق طوال واصل ذاهب في الارض وورقة رخص يطبخ • الخبازى ويقال له الخبيز وهي عندهم الخبيزة • العصفر • الباذنجان يحرفونها فيقولون بيتنجان • القنار بزر البصل وهو القَزَح • الدُّخن • الشيلم قالوا انه نبت يؤكل والمعروف هنا انه يعلق بالحنطة فيسودها ويبقى منها • الحلبة • الجلبان ، حرفوها فقالوا الجلبانة • البيقية • اللوبياء يقولون اللوبية • البطاطا (دخيلة) • البندورة (دخيلة) • درهاوتي (معناها حشيشة الوادي وهي تركيــة) من التوابل والأبازير • اليانسون (الاينسون) • الكروياء يقولون الكراويا • سبانخ جاءتهم من اسباناخ التركية • البابونج • السعتر (الزعتر عندهم) السُماق • عرق السوس يستخرج من الأرض البوز وينقع ويشرب ويستعمل في بعض العقاقير الخرُّوب هو الخرنوب عندهم يتخذ منه شراب كالسوس • النيلوفر ويقال له النينوفر ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ويسمونه النوفر يخلطونه بالعناب ويتخذون منه شراباً معروفاً وربما خلطوا فيه زهر البابونج أيضاً • البلسان • المليسة بفتح الميم وتشديد اللام La verveine

ويدخل في باب المأكولات مواد أولية وان لم تكن من حاصلاتهم مثل البورق والترنجبين ، والزنجبيل ، وحب العزيز • الخولنجان • السلحب • المحلب • الجوز الهندي • وهناك بعض العقاقير وفيها المسمّ كالافيون والحشيش المخدر • والزرنيخ والزئبق والسريقون والسناكي والقطران والكافور والمغرة والنوشادر والبنج ويستعملون فعل بنج • ومن الحشائش الحلبلاب حرفوها فقالوا حابلوب • والعبثران وهو نبت طيب الرائحة من نبت البادية يقال له عبوثران ولعله هو عين المعروف عندهم بعبيطران • النَّفَل محركة نبت من أحرار البقول لونه أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل • المضعّف • الفُلّ •

يتبع محمد كرد علي



شاعر معاوية

كعب بن جُعَيْل التغلبي

شاعر من قدماء شعراء الإسلام ضاع شعره الا قليلاً ، ولم يبق من أخباره الا نتف يسيرة مبعثرة في كتب التاريخ والأدب ، مع انه موصوف بالشهرة وبأنه (شاعر تغلب ، وشاعر معاوية ، وشاعر أهل الشام) في نزاع علي ومعاوية رضي الله عنهما . ذكره ابن سلام الجمحي في (طبقات الشعراء) — مع مثال من شعره وجعله رأس الطبقة الثالثة من الشعراء الاسلاميين — بعدة أسطر ، وكذلك ابن قتيبة في « الشعروالشعراء » والمرزباني في « معجم الشعراء » والآمدي في « المؤتلف والمختلف » . ولم يفرد له صاحب « الأغاني » ترجمة بل أتى على ذكره عرضاً في أخبار الفرزدق والأخطل وغيرهما . وما ورد عنه في «خزانة الأدب» لعبدالقادر البغدادي لا يشفي غلة .

ويغلب على الظن ان ديوان شعره ضاع منذ مئات من السنين ، او لم يجمع شعره في ديوان ؛ فلا أعرف من ذكر له ديواناً ممن يعنى بهذا الشأن كابن النديم في «الفهرست» وكاتب چلبي في « كشف الظنون » . ولذلك لم يستشهد اللغويون بشعره الا نادراً لضياع شعره قبل عصر التدوين . فلم أعثر في «لسان العرب» على شواهد من شعره الا في أربع مواد (سوق) و (ضرر) و (صمد) و (غهب) وقد ورد بعض شواهد هذه المواد في مادة (حار) دون ان ينسب اليه . فهو بين الادباء اليوم مغمور مغموط حقًا دون كثير من أقرانه الشعراء الاسلاميين .

وأوفى ترجمة له اطلعت عليها هي التي لا تزال مخطوطة في ما لم ينشر بعدُ من «تاريخ دمشق» للحافظ ابن عساكر المحفوظ في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، فلقد استفدت منها واستعنت بها كثيراً في هذا البحث ، كما وقفت على مختارات من شعره في ترجمة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وقرثع التغلبي في التاريخ نفسه ، على كثرة ما عاث في هذه المظان من تحريف جهلة النساخ وتصحيفهم .

قبيلته — ربيعة من أعظم بطون العرب العدنانية ، ومن ربيعة قبيلة تغلب التي ينتسب اليها كعب بن جعيل ؛ كانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين وتعرف بديار ربيعة[١] وكانت النصرانية شائعة فيهم قبل الاسلام لمجاورتهم الروم . وقد أبلو بلاءً حسناً مع المسلمين في فتح العراق قبل ان يفتح المسلمون الجزيرة . ذكر الطبري ان مدداً من تغلب وهم نصارى بقيادة ابن مردى الفهر ، حاربوا الفرس مع المسلمين تحت راية المثنى بن حارثة في وقعت البويب سنة ثلاث عشرة ، وقالوا حين رأو نزول العرب بالعجم « نقاتل مع قومنا » وكان قائد الفرس مهران الهمذاني . فلما اشتد القتال قال المثنى لزعيم التغلبيين ابن مردى الفهر : « انك امرؤ عربي وان لم تكن على ديننا فاذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي » فأجابه ؛ وانجلت المعركة عن قتل مهران قتله غلام من التغلبيين نصراني واستوى على فرسه ثم انتمى : « انا الغلام التغلبي أنا قتلت المرزبان »[٢]

ولما فتح المسلمون الجزيرة سنة ثماني عشرة أيام عمر رضي الله عنه ، لم يحملوا التغلبيين على الدخول في الإسلام ، بل دان به من دان منهم طوعاً ، ومن بقي منهم على النصرانية ابى ان يعطي الجزية حميةً وأنفةً ، ورضي ان يعطي الصدقة مضاعفةً حتى دخلوا جميعهم في الإسلام مع الزمن . قال البلاذري في فتوح البلدان : (... فقبلوا ان يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا : اما اذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج فانا نرضى ونحفظ ديننا[٣]) وهذه معاملة خص بها عمر بني تغلب دون غيرهم من العرب . روى ابن عساكر عن سعيد بن العاص « قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لولا اني سمعت من رسول الله ﷺ يقول : ان الله سيعز هذا الدين بنصارى من ربيعة على شاطئ الفرات ما تركت عربياً الا قتلته أو يسلم[٤] »

وقد تألف معاوية عرب الجزيرة كما تألف عرب الشام مذ جمع له عثمان الجزيرة الى الشام ، فرتب ربيعة في ديارها[٥] وكانت قبيلة تغلب مشايعة له ولمن أتى

(١) العبر لابن خلدون ٢ — ٣٠١ (٢) الطبري ٤ — ٧٤ (٣) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٩٠ (٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر المطبوع ٦ — ١٣٢ (٥) فتوح البلدان ص ١٨٦

بعده من خلفاء بني أمية ، وكان هواها السياسي معهم في كل ما اقتحموه من العقبات والاحداث . وشعر كعب بن جعيل — على قلة ما بقي منه — يمثل هذه الحقائق كلها ، فهناك مدن الجزيرة وباديتها تعج بجموع تغلب من مسلمين ونصارى مستمسكين بعصبيتهم وناصرين اخوانهم الفاتحين على الفرس والروم .

نسبه وحياته : هو كعب بن جعيل بن قمير التغلبي ، وقد ساق الرواة والنسابون نسبه حتى بلغوا به تغلب بن وائل ، وذكروا ان اسم أمه ليلى . وقد وردت نسبته في بعض كتب الأدب « الثعلبي[1] » بدل « التغلبي » اما تصحيفاً او انهم نسبوه الى « ثعلبة » أحد آبائه المذكورين في عمود نسبه .

نشأ كعب في بلاد تغلب بالجزيرة الفراتية في صدر الاسلام . وجعله بعضهم من الصحابة ، نقل ذلك ابن حجر العسقلاني في الاصابة[2] عن ابن فتحون ، ولكن الاكثر على انه من الشعراء الاسلاميين . ولقد كان كعب شاعر تغلب قبل الأخطل والقطامي « وكان[3] لا يأتي منهم قوماً الا أكرموه وضربوا له قبة ، حتى انه كان تمد له حبال بين وتدين فتملأ له غنماً ، فأتى في مالك بن جشم ففعلوا ذلك به ، فجاء الاخطل وهو غلام فأخرج الغنم وطردها ، فسبه (رجل منهم اسمه) عتبة ورد الغنم الى مواضعها ، فعاد وأخرجها وكعب ينظر اليه ، فقال : ان غلامكم هذا لأخطل ، والاخطل السفيه فغلب عليه ، ولج الهجاء بينهما فقال الاخطل فيه :

سُميت كعباً بِشرّ العظام ... وكان أبوك يسمى الجُعَل

وان محلك من وائل ... محل القراد من است الجمل

واغري الأخطل وهو غلام حدث بهجاء كعب ليذكر بذلك ويقرن به « فقال له أبوه : أبغرزمتك تريد ان تقاوم ابن جعيل ؟ وضربه ، وجاء ابن جعيل على تفئة[4] ذلك ، فقال : من صاحب الكلام ؟ فقال ابوه لا تحفل به فانه غلام أخطل

فقال له كعب : شاهد هذا الوجه غب الحمه

فقال الأخطل : فنال كعب بن جعيل أمه

(١) كالعقد لابن عبد ربه ٣ - ٣١٠ وغيره (٢) ج ٥ ص ٣٢١ (٣) الأغاني ٧ — ١٦٢

(٤) يقال أتيته على تفئة ذلك اي على حينه وزمانه .

فقال كعب ما اسم أمك ؟ قال ليلى ، قال أردت ان تعيذها باسم أمي ، قال لا أعاذها الله اذا . فانصرف كعب ولج الهجاء بينهما » ولكن ما قاله كعب في الاخطل لم يصل الينا وانما وصل الينا ما قاله الأخطل فيه(١)

ولعل في تصنيف أخبار كعب الاقدم فالاقدم معيناً على تصور ترجمته . فاقدم ما وصل الينا من اخباره اتصاله بسعيد بن العاص والي الكوفة لعثمان فقد كان يفد عليه ويمدحه ، ولما غزا سعيد طبرستان سنة ثلاثين ثم قفل الى الكوفة مدحه كعب بن جميل فقال(٢) :

فنعم الفتى اذ جال جيلان دونه   واذ هبطوا من دَستَبَى ثم أبهرا(٣)
تعلَّمْ سعيد الخير أين مطيتي   اذا هبطت أشفقت من أن تُعَقَّرا
كأنك يوم الشِعب ليث خفية(٤)   تجرد من دون العرين وأصحرا(٥)
تسوس الذي ما ساس قبلك واحد   ثمانين الفا دارعين وحسرا

وقبل وقعة صفين حدث لكعب ما اقلقه وازعجه بأهله عن الجزيرة وذلك ان الضحاك بن قيس الفهري عامل معاوية على الجزيرة(٦) استعمل رجلا من بني عبس على صدقات بني تغلب فخمس ابل كعب بن جعيل ، فتناقل الرواة قصيدة في هجاء الضحاك نسبت الى كعب ، فتوعده الضحاك ، فذعر كعب وتبرأ منها واقسم ان قائلها خصم له اسمه سليم بن عبدة ، انتقاماً منه وحسداً له ، وتشفياً من الضحاك لانه وأخاه كانا واجدين عليه . فوكل الضحاك الأمر الى رجل من خواصه حقق فيه ، ودخل كعب على الضحاك عائذاً وأنشده قصيدة يتبرأ بها مما نسب اليه ، ويعتذر ويمدحه ، وكانت امرأة الضحاك خلف الستر تسمع ، فقالت له : « اقبل منه فوالله لو اعتذر بها الى

(١) انظر ديوان الأخطل ص ٢٨٨و٢٩٧ (٢) الطبري ٥ — ٥٨ (٣) جيلان : اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، ودستبى : كورة كبيرة بين الري وهمذان ، وابهر : مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان . [ياقوت] (٤) الشعب : الطريق في الجبل ، والخفية : الغيضة الملتفة
(٥) في الأصل : [تجرد من ليث العرين وأصحرا] ونظنه تصحيفاً الا ان تكون ليث بكسر اللام جمع اليث وهو الشجاع ولا يخلو ذلك من تعسف . وأصحر : برز الى الصحراء لا يواريه شيء .
(٦) في [وقعة صفين] لنصر بن مزاحم ص ١٠ ان معاوية بعث الضحاك على الجزيرة سنة ست وثلاثين .

الله عز وجل لقبل منه » أما القصيدة التي يتبرأ منها فهي هذه :[١]

أرى ابلي أمست تحن كأنما تعاور أنبوباً أجش مثقبا
تبكي على دين ابن عفان بعدما تضاحك ضحاك بنا وتلعبا
قصير القميص فاحش عند بيته وشر (قريش[٢]) في قريش مركبا
بني لك قيس في قرى عربية من اللؤم بيتاً ثابت الاس ترتبا[٣]
وما ترك العبسي من مربع لنا من الارض الاقد (جرى) فيه (اوكبا)[٤]
معاوي لم يفتح لنا باب هجرة (فنمضي) ولم يترك لنا (متغربا)[٥]
وكنت كباري اللحم بعد التحامه يركب حتى لم يجد متركبا
هم ضيعوا كتب النبي ومنهم النـ ـبي ومن يأمر بها (ان)[٦] يعيبا
وقد كان فرعون وهامان قبلكم (بدار) نعيم (حقبة)[٧] ثم عذبا

وأما القصيدة التي اعتذر بها الى الضحاك واعجبت بها امرأته فهي هذه :[٨]

أتاني وعيد لواتق الفيل لم يقم له الفيل حتى يستخف ويرعدا
اتاني ودوني من نصيبين حاجب لسبعين برجا ذا شماريخ (اكبدا)[٩]
فكان لناما بين (دارا)[١٠] و(عفرة)[١١] الى الرقة السوداء[١٢] يوماً مطردا
أأرمى بأقوال (الحُراق)[١٣] ولم يكن اذا قال مهدي السنان مسددا

(١) ترجمة كعب بن جعيل في تاريخ ابن عساكر المخطوط (٢) في الأصل [قيس] والتصحيح من محاضرات الراغب ١ — ١٩٧ (٣) الترتب : الشيء المقيم الثابت • [٤] في الاصل : (... سري فيه اركبا) [٥] في الأصل : (فيعطى ولم يترك لنا متعربا) [٦] في الاصل : « ان »
(٧) في الاصل : «بدنعيم حقته» (٨) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة كعب بن جعيل «مخطوط»
(٩) في الاصل « اكردا » ولا معنى له • و « الاكبد » من كل شيء الضخم الغليظ العظيم الوسط يقال برج اكبد وحصن اكبد وربما حذفوا الموصوف وارادوا بالاكبد الحصن قال الاخطل :

رأو ثغراً تحيط به المنايا واكبد ما يغيره النيار

قال الشارح : الاكبد الحصن • ديوان الأخطل ص ٣٠٩ (١٠) في الاصل «دار» وهو تحريف و «دارا» بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين «ياقوت» [١١] في الاصل : «وقفرة» وهو تحريف وعفرة بلدة قديمة قرب الرقة على شاطئ الفرات • قال ياقوت في معجم البلدان : وهي الآن خراب •
[١٢] الرقة السوداء : قرية كبيرة ذات بساتين كثيرة وشربها من البليخ وهي غير الرقة البيضاء المدينة المشهورة على جانب الفرات الشرقي • والمطرد من الايام : الطويل • [١٣] الحراق : من يفسد في كل شيء • وفي الاصل الخراق وهو تحريف •

فان كنت مقذوفاً بكل عظيمة ... حكاها خؤون كاذب ثم اقردا[١]
غدت من بني عبد وراحت عليهم ... واصدر منها ابنا قُمير وأوردا[٢]
سأحلف حتى تبلغ الله حلفتي ... لأُبلغ عذرا من رضاك واجهدا
بمن حج بيت الله من كل صارخ ... وشمث يسوقون الهدي المقلدا
اذا اعجبتهم سورة يقرؤنهـا ... لربك خروا راكعين وسجدا
لقد كنت عن شعر ابن عبدة (نائياً)[٣] ... مكان الثريا من سهيل وابعدا
فان قلت (ذماً)[٤] آثراً اوبدأته ... ففارقت (حبي)[٥] الوليد ومعبدا
ارى مدح اعراض الكرام واتقي ... هجاء الملوك انه كان انكدا
وقد علمت اشراف تغلب انني ... بمدح قريش كنت احظى واسعدا
لعمرك للربعان[٦] خير شهادة ... من النكس ان يدعو (دوادا) ليشهدا[٧]
وكانا كما سماهما الله رابعا ... وعبدا نشدناه البيان فانشدا
أجاز القتادي[٨] الشهادة بعدما ... نبا نبوة خففناه ان يترددا

فاذا كانت سنة ست وثلاثين ووقع النزاع بين علي ومعاوية وانقسمت الأُمة الى حزبين حزب أهل العراق وعلى رأسهم علي وشاعرهم النجاشي ، وحزب أهل الشام وعلى رأسهم معاوية وشاعرهم كعب بن جعيل ، إذ ذاك نرى كعباً يخب في تلك الغمرة ويضع ويرفع صوته بالدعوة لمعاوية ، ويحرض أهل الشام على المطالبة بدم عثمان ونصرة معاوية ، ويقول في ذلك قصيدة يبلغ من إعجاب معاوية بها انه ختم بها كتاباً بعث به الى علي ، فكانت بمثابة قطع العلاقات وإعلان الحرب وهي هذه[٩] :

---

(١) أقرد : سكن وتماوت ولصق بالأرض . (٢) يريد بني عبد الشاعر المفتري واخوانه . وابنا قمير : كعب بن جعيل وأخوه عمير لأن جدهما قمير . (٣) في الاصل : «نايا» (٤) في الاصل: «ذمته» (٥) في الأصل : «حتى» وهو تصحيف حبي ولعل الوليد ومعبدا ولداه (٦) من أسماء العرب [ربعان] قال في التاج : وقد سموا ربعان مثل سحبان (٧) في الاصل [جوادا] وقد اخترنا [دوادا] لانه بأسمائهم أشبه . (٨) قال ابن عساكر : القتادي رجل من بني قتادة وكان خلا بهؤلاء النفر الذين سماهم [كعب] في شعره فشهدوا شهد بعض لكعب وبعض لسليم . (٩) الكامل للمبرد ص ١٨٤ والأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ١٩٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ و ص ٢٥١ و ص ٢٥٢ ووقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٦٣

أرى الشام تكره ملك العراق ... وأهل العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبه مبغض ... يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم ... ودناهم مثل ما يقرضونا
وقالوا علي إمام لنا ... فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى ان تدينوا لنا ... فقلنا لهم لا نرى ان ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد ... وطعن وضرب يقر العيونا
وكلٌ يسر بما عنده ... يرى غث ما في يديه سمينا
وما في علي لمستعتب ... مقال سوى ضمه المحدثينا
وايثاره اليوم أهل الذنوب ... ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه زوى وجهه ... وعمى الجواب على السائلينا
فليس براض ولا ساخط ... ولا في النهاة ولا الآمرينا
ولا هو ساء ولا سره ... ولا بد من بعض ذا ان يكونا

فلما قرأ علي كتاب معاوية دعا النجاشي فقال له : ان ابن جعيل شاعر أهل الشام وأنت شاعر أهل العراق فأجب فقال النجاشي [1] :

دعن يا معاوي ما لن يكونا ... فقد حقق الله ما تحذرونا
أتاكم علي بأهل العراق ... وأهل الحجاز فما تصنعونا
على كل جرداء خيفانة ... وأشعث نهد يسر العيونا
عليها فوارس مخشية ... كأسد العرين حمين العرينا
يرون الطعان خلال العجاج ... وضرب القوانس في النقع دينا
هم هزموا الجمع جمع الزبير ... وطلحة والمعشر الناكثينا
وآلوا يمينا على حلفة ... لنهدي إلى الشام حربا زبونا
تشيب النواصي قبل المشيب ... وتلقي الحوامل منها الجنينا
فان تكرهوا الملك ملك العراق ... فقد رضي القوم ما تكرهونا
فقولوا لكعب أخي وائل ... ومن جعل الغث يوما سمينا

(١) معارض قصيدة كعب بن جعيل نفسها .

جعلتم عليا وأشياعه نظير ابن هند أما تستحونا
إلى أفضل الناس بعد الرسول وصنو الرسول من العالمينـا
وصهر الرسول ومن مثله إذا كان يوم يشيب القرونا

ولما وقعت الحرب في صفين بات ابن جعيل في إحدى تلك الليالي يرتجز وينشد[1]:

أصبحت الأمة في أمر عجبْ والملك مجموع غدا لمن غلبْ
أقول قولاً صادقًا غير كذب إن غدا تهلك أعلام العرب
غداً نلاقي ربنا فنحتسب غداً يصيرون رمادا قد ذهب
بعد الجمال والحياء والحسب يا رب لا تشمت بنا ولا تصب
من خلع الأنداد طرا والصلب

ولما قتل في صفين عبيد الله بن عمر بن الخطاب وكان من أصحاب معـاوية قال ابن جعيل يرثيه ويشير إلى رفع أهل الشام المصاحف[2]:

الا انما تبكي العيون لفارس بصفين اجلت خيله وهو واقفُ
تبدل من اسماء[3] اسياف وائل وكان فتى لو اخطأته المتالف
فأضحى عبيد الله بالقاع مسلما تمج دمًا منه العروق النوازف
ينوء وتغشاه شآبيب من دم كالاح في جيب القميص الكفائف
دعاهن[4] فاستسمعن من اين صوته فأقبلن شتى والعيون ذوارف
يحللن عنه زر درع حصينة وانكر منه بعد ذاك معارف
وقد صبرت حول ابن عم محمد لدى الموت شهباء المناكب شارف[5]

---

(١) الطبري ج ٦ ص ٨ ووقعة صفين ص ١٦٢ والأخبار الطوال ص ١٨٢ وشرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٨٢

(٢) الطبري ج ٦ ص ٢٠ والاخبار الطوال ص ١٨١ وتاريخ ابن عساكر [مخطوط] ترجمة عبيد الله بن عمر بن الخطاب ج ٥ ورقة ٥٤٢ — ٢ ووقعة صفين ص ٢١٣ وص ٢٦٦ وشرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٩٨ و ج ٢ ص ٢٧٩ ومعجم البلدان في [صفين] (٣) هي اسماء بنت عطـارد التميمي زوج عبيد الله بن عمر [شرح النهج لابن أبي الحديـد ١ — ٢٩٨] (٤) الضمير في قوله دعاهن يرجع الى نساء عبيد الله وكان تحته اسماء بنت عطارد التميمي وبحرية بنت هانئ الشيباني وكان عبيد الله قد أخرجها معه الى الحرب ذلك اليوم لتنظرا الى قتاله. «شرح النهج لابن أبي الحديد ١ — ٢٩٨»

(٥) يريد بـ(شهباء المناكب) كتيبة، وجعلها شهباء المناكب لما فيها من بياض السلاح والشارف: الناقة المسنة ، واستعاره للكتيبة « عن شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٧٨ » ولهذا البيت رواية أخرى وردت في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص ١٨١ وهي :

وقد ضربت حول ابن عم نبينا من الموت شهباء المناكب شارف

فما برحوا حتى رأى الله صبرهم — وحتى أُشرت بالأكف المصاحف[1]
بمرج ترى الرايات فيه كأنها — اذا جنحت للطعن طير عوا كف
جزى الله قتلانا بصفين خيرما — اثيب عباد غادرتها المواقف
وقرت تميم سعدها وربابها — وخالفت الجعراء فيمن يخالف
معاوي لا تنهض بغير وثيقة — فانك بعد اليوم بالذل عارف

وقال أيضاً يرثيه :[2]

يقول عبيد الله لما بدت له — سحابة موت تقطر الحتف والدما
الا يالقوم اصبروا ان صبرنا — اعف واحجى عفة وتكرما
فلما تلاقى القوم خر مجدلا — صريعاً فلاقى الترب كفيه والفما
وخلف أطفالاً يتامى أذلة — وخلف عرسا تسكب الدمع ايما
حلال لها الخطاب لا تتقيهم — وقد كان يحمي غيرة ان تكلما

ولقد كان كعب حريصاً على ان يظفر معاوية حرصاً حمله على هجاء اخيه عتبة ابن أبي سفيان وتعييره بالفرار من احدى معارك صفين ، ولم يبق مما قاله فيه إلا شطر واحد ذكره نصر بن مزاحم في وقعة صفين ص ٢٦٧ وهو :

« سميت عتاباً ولست بعتب »

كما انه لم يبق مما قاله في رجال همدان لما جدوا في القتال وقالوا (ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت) الا شطر ذكره الطبري في تاريخه ١٢/٦ وهو :

« وهمدان زرق تبتغي من تحالف »

ولما انتهى الفريقان الى التحكيم واجتمع الحكمان ابوموسى الاشعري وعمرو بن العاص وانجلى الأمر عما هو مشهور من دهاء عمرو وغفلة ابي موسى كاد ابن جعيل يخرج من جلده طرباً وقد قال في ذلك :[3]

(١) أشرت : نشرت وأظهرت . قال ابن أبي الحديد : (هذا الشعر نظمه كعب بن جعيل بعد رفع المصاحف وتحكيم الحكمين ...) شرح النهج ١ — ٢٩٨ (٢) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ورقة ٢/٥٤٧ (مخطوط) وشرح نهج البلاغة ٢٩٩/١ ووقعة صفين ص ٢١٦ (٣) شرح نهج البلاغة ١٩٩/١ ومعجم البلدان في (اذرح) .

وكان ابوموسى عشية أذرُح[١] ... يطوف بلقمان الحكيم يواربه
ولما تداروا[٢] في تراث محمد ... سمت بابن هند في قريش مضاربه
سعى لابن عفان ليدرك ثأره ... وأولى عباد الله بالثأر طالبه
وقد غشيتنا في الزبير غضاضة ... وطلحة اذ قامت عليه نوادبه
فرد ابن هند ملكه في نصابه ... ومن غالب الاقدار فالله غالبه
وما لابن هند في لؤي ابن غالب ... نظير وان جاشت عليه أقاربه
فهذاك ملك الشام واف سنامه ... وهذاك ملك القوم قد جب غاربه
يحاول عبدُ الله[٣] عمراً[٤] وانه ... ليضرب في بحر عريض مذاهبه
دحا دحوة في صدره فهوت به ... الى أسفل الجب (الشطون جواذبه)[٥]

ولما عاد معاوية الى دمشق معتبراً ان الأمر تم له ، كان كعب يفد عليه ويمدحه وكان معاوية حفياً به مكرماً له .

(يتبع) خليل مردم بك



(١) اذرح : بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة ثم من نواحي البلقاء وعمان وبا ذرح الى الجرباء كان أمر الحكمين . (٢) تدارأ القوم : تدافعوا في الخصومة واختلفوا . (٣) هو أبو موسى الأشعري (٤) هو عمرو بن العاص «٥» في الاصل : « الظنون كواذبه»

اسماء نباتات مشهورة

-٢-

نشرت في المقال الأول من هذا البحث طائفة من أسماء أشجار الفواكه . وفي هذا المقال الثاني أسماء عدد من الأشجار المختلفة . وقد كنت ذكرت أن هذه التحقيقات اقتبستها من « معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » الذي أكملتُ طبعه في أواخر السنة الماضية .

البُنّ والقهوة — . إذا راجعنا المعاجم الأصلية ، كاللسان والقاموس والمخصص لا نجد فيها ذكراً للبنّ . أما القهوة فهي فيها تدل على الخمر كما هو معروف في أمهات كتب الأدب . ويستدلُّ من ذلك على أن البنّ لم يكن معروفاً أيام تصنيف تلك المعاجم ، ولا أيام صنف ابن البيطار مفرداته في القرن السابع للهجرة لأن تلك المفردات لم تشتمل على الشجر المذكور .

وأول معجم حديث ذكر البن وقهوته تاج العروس . لكن الزبيدي ، وهو من علماء القرن الثاني عشر للهجرة ، لم يعز كلامه عليها إلى المعاجم الأصلية ، لأنها خلت منها كما ذكرت ، بل عزاه إلى الحكيم داود أي داود الأنطاكي ممن عاشوا في القرن العاشر الهجري . وأصحاب المعاجم الحديثة كمحيط المحيط وأقرب الموارد والبستان نقلوا عن التاج .

واذا راجعنا الكتب الفرنجية التي تبحث عن مهد النباتات الزراعية ، نجد ان منابت البنّ الأصلية في الحبشة ، وأنه نقل منها الى اليمن منذ أربعة قرون او خمسة ؛ ثم انتشر حبه في البلاد العربية اللسان ، ونقله الاوربيون منها الى بلادهم واطلقوا عليه الفاظاً مشتقة من القهوة كلفظة Caféier الفرنسية فهي من قهوة العربية أما الاسم العلمي Coffea arabica فهو وإن نسب هذا الشجر الى جزيرة العرب فالراجح أن مهده الأصلي في الحبشة كما أشرت اليه . ولفظة البن مولدة في العربية ويرجح أنها من الحبشية . واصبحت اليوم تعد من الكلمات العربية المألوفة . وهكذا

القهوة سواء أدات على النبات ام على المغلي الذي يُصنع بسحيق حبه المحمص . وكفٌ حتى اعاظم كتابنا عن استعمال القهوة بمعناها الفصيح الأصلي اي الخمر .

القات — . يزرعون في اليمن جنبة مشهورة يسمونها القات . وهم يقطفون اوراقها ويمضغونها لما فيها من خصائص مهيجة مقوية ، او قل مخدرة مذهلة . وهذه الشجرة الصغيرة تنبتها الطبيعة في الحبشة . ويشك علماء النبات في كونها تنبت او لا تنبت برية في جزيرة العرب ايضاً . وأعتقد ان عربة ليست من منابتها الاصلية . ومن الأدلة على ذلك انني لم أجد القات في الامهات من معاجمنا ولا في مفردات ابن البيطار ، ولا في التاج . لكن علماء المواليد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مثل فرسكال وبوتاودفلرس وشربنفرت وغيرهم ذكروا القات وزراعته في اليمن ومضغ اليمانيين لورقه دون ان يذكروا شيئاً عن تاريخه في ذلك القطر العربي .

ويتضح من ذلك ان لفظة القات مولدة ، وانها على الارجح من اصل حبشي ، Tchat و Tchut ، وانها نقلت الى اليمن مع الجنبة المذكورة منذ قرنين على الاقل وستة قرون على الاكثر . ولفظة Cat الفرنسية من قات المعربة وكذلك اللفظة التي تدل على الجنس في الاسم العلمي Catha edulis .

الشاي — . بالفرنسية Théier وباللسان العلمي Thea sinensis . وقد عرفه الصينيون قبل الميلاد بألفين وسبعمائة سنة ، وعرفه اليابانيون والهنود بعدهم . والرأي الراجح ان مهده الاصلي في الجبال التي تفصل سهول الهند عن سهول الصين . وهو اليوم يزرع في كثير من البلاد الحارة الرطبة كالهند وسيلان والبرازيل والهند الصينية وغيرها . واوراق هذا الشجر هي التي نستعملها إما بعد ان تختمر «الشاي الاحمر» وإما دون ان تختمر «الشاي الاخضر»

ولم يرد ذكر شجر الشاي في المعاجم العربية الاصلية ، ولا في كتب النبات والزراعة القديمة . ولا شك أن العرب الاقدمين كانوا يجهلون استعمال اوراقه ولو استعملوها سواء في الطب او كما نستعملها في ايامنا هذه ، لما خلت كتبهم الطبية والادبية من ذكر هذا النبات .

ولفظة الشاي من اصل صيني Tchâ وهي تستعمل بالروسية والتركية واليونانية

الحديثة والبرتغالية وغيرها . اما اللفظة الفرنسية واللفظة الانكليزية منها ايضاً من لهجة صينية Té . ولم يعرف الاوروبيون الشاي قبل القرن السادس عشر من الميلاد وكذا اجدادنا العرب ، إلا من رحل منهم الى الهند او الصين واطرافها قبل ذلك التاريخ . فقد جاء في مقالة للدكتور مايرهوف في مجموعة المجمع العلمي المصري «م ٢٢ ج ٢» ان البيروني ذكر في احد مخطوطاته الشاي واستعمال الصينيين له .

الكاكائو . لوز الهند . — لم يعرف قدماء العرب هذا الشجر ولم يذكروه في في كتبهم لانه من اصل اميركي ، اي ان سكان العالم القديم لم يطلعوا عليه إلا بعد كشف القارة الاميركية . والكاكائو من اشجار البلاد الحارة الرطبة القريبة من خط الاستواء كالبرازيل واميركا الوسطى والكونغو وامثالها . وتكثر اليوم زراعته في افريقية الاسترالية والهند الهولندية وبلاد حارة اخرى .

ومن المعلوم ان الكاكائو هو مادة الشوكولاطة ، وانه يغلى بالماء ويشرب كالشاي والقهوة . وهو بزور ثمار هذا الشجر .

ويسمى الشجر المذكور بالفرنسية Cacaoyer وباللسان العلمي Theobroma cacao . واذا فتشنا عن اصل لفظة الكاكائو نجده يرجع الى لغة شعب الأزتيك احد شعوب المكسيك الاقدمين ، فهو Cacauatl بتلك اللغة . وسماه الاسبانيون Cacao وعنهم نقل الفرنسيون وغيرهم الى لغاهم . اما لفظة شوكولاطة فهي ايضاً من لغة ذلك الشعب المكسيكي القديم وتسمى بها Chocolatl وقال الاسبانيون Chocolate ثم سرت هذه اللفظة الالسنة الى الاوربية .

واذا كان علماء اللغات الاوربية الكبرى لم يروا بأساً بادخال هاتين اللفظتين على لغاهم ، اي باقتباسهما من لغة شعب كانوا يعدونه متوحشاً فأحر بنا ان لا نجد غضاضة في تعريبهما . فالحذلقة او التعصب للغتنا عن جهل في موضوعات كهذه شيء لا يفيد اللغة الضادية بل يوقع بها ضرراً .

الأنَاناس . — Ananas و Bromelia ananas . وهي نباتيا عشبة كبيرة معمرة بارومتها تزرع لثمارها التي هي على شكل صنوبرة اي ثمرة صنوبر . والاناناس من اصل اميركي ، ولهذا ليس له ذكر في معاجمنا ولا في كتبنا النباتية القديمة . ولم يرد

ذكره في كتب اليونانيين والرومانيين • وعلى اثر الكشف عن اميركة حمل منها الى العالم القديم ، فزرع في الهند ، ثم انتشر في بلاد اخرى •

ولفظة أناناس من Nana بالبرازيلية القديمة • واقتبسها البرتغاليون فقالوا أناناس • اما الاسبانيون فقالوا بادئ بدء Pinas للشبه بين ثمرة هذا النبات وثمرة الصنوبر (كرز الصنوبر في الشام) • ولهذا ايضاً سماه الانكليز Pine-apple • لكن لفظة اناناس هي الاكثر شيوعاً فيجدر بنا اقتباسها وتعريبها •

الصَنَوْبر والأَرز والسَرْو والعَرْعَر الخ خلطت معاجمنا الأَصلية بعض الصنوبريات ببعض وعرَّفت الواحد منها بالثاني كالأُرز والصنوبر والعرعر والسرو على حين أن كلا منها يعدُّ اليوم جنساً نباتياً مستقلاً عن الآخر ويرجع السبب في ذلك الى كون التمييز علمياً بين أنواع النباتات هو من الأُمور التي لم تعرف الا بعد تقدم العلوم في الأعصر الحديثة • والتشويش في هذا الباب يرجع في الأَصل الى اليونانيين الذين نقل العرب عنهم •

ومهما يكن من أمر فلا يجوز اليوم دوام هذا الخلط في تسمية هذه المواليد • وقد ذكرت غير مرة في المقتطف ضرورة قصر كل اسم على جنس من أجناس الفصيلة الصنوبرية وذلك على الصورة الآتية :

الاسم العربي	الاسم الفرنسي	الاسم العلمي للجنس
صنوبر	Pin	Pinus
أرْز	Cèdre	Cedrus
سَرْو	Cyprès	Cupressus
عَرْعَرْ	Genévrier	Juniperus
تنُوب	Sapin	Abies

ومن المعلوم ان في كل من هذه الأَجناس أنواعاً • وقد ذكرت كثيراً منها في معجم الأَلفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية • فالشرْبين مثلاً هو نوع من السرو يسمى السرو الشائع او المعروف او الدائم الخضرة Cyprès commun ؛ Cupressus sempervirens

أما الأبهل «القاموس» فهو نوع من العرعر يسمى العرعر الكبير Genévrier Sabine و Juniperus sabina . لكنهم في لبنان يطلقون كلمة الأبهل على الأرز ويلفظونها بضمتين كقولهم أُبُهل الباروك .

البوقيصا والمُرّان والزّان الخ - هذه ثلاثة ألفاظ تدل على ثلاثة أجناس من شجر الحراج والتزيين فالأول هو بالفرنسية Orme وبلسان العلم Ulmus . والثاني Frêne و Fraxinus والثالث Hêtre و Fagus .

وهنا أيضاً يجد المرء اختلافاً وتشويشاً في مدلول الألفاظ التي أطلقوها على هذه الاجناس النباتية . فالبوقيصا وشجرة البق ، تعنيان الجنس المسمى Orme بلا جدال . لكن هنالك اختلافاً في لفظة أخرى هي الدَّرْدار . فهذه اللفظة فارسية النجار ، ومعناها شجرة البق . والبوقيصا الأرمية لها المعنى نفسه على ما حققه الأب أنستاس في الجزء الأول من مجلة الثقافة التي كانت تصدر في دمشق سنة ١٩٣٣ . ويتضح من ذلك انه يجب ان تكون الكلمات الثلاث بمعنى . لكن لفظة الدردار كانت وما برحت تدل في الشام على شجرة لسان العصافير Frêne . وهكذا في المغرب . أما في العراق وفي إيران فهي تدل على شجرة البق Orme . وقد ذكر لها ابن البيطار في مفرداته هذين المدلولين . والبق هنا بمعنى البعوض Moustique لا بمعنى الفُسافِس والضَّمْج وبنات الحصير Punaise وكلمة البق في المعاجم تدل على كلتا الحشْرتين .

وأما لفظة المران فهي أيضاً ذات معان مختلفة . فقد جاء في مفردات ابن البيطار أن المران هو المالِيا ، وعلى هذا يكون المران شجر لسان العصافير Frêne . لكن ابن البيطار لم يلبث ان قال ان التراجمة الذين ترجموا عن جالينوس سموا القرانيا مُرّانا . قلت والقرانيا هي بالفرنسية Cornouiller وبالتركية قزلجق وهي معروفة في الشام . وأين هذه الشجرة من شجرة لسان العصافير ! وفي «شرح اسماء العقار» الذي نشره الدكتور مايرهوف مدلول ثالث للمران جاء ضغثاً على إبالة وهو الزان اي ما اصطلحنا على انه بالفرنسية Hêtre .

ولا بد لنا أمام هذا التشويش من تحديد مدلولات كل من هذه الألفاظ على الشكل الآتي

أولاً : بوقيصا · شجرة البق · دردار (في العراق) = Orme
ثانياً : مُرّان · شجرة لسان العصافير · دردار (في الشام والمغرب) = Frêne
ثالثاً : زان = Hêtre ·

وهذه النتيجة فيما يتعلق بالجنسين الأول والثاني تماثل النتيجة التي استنتجها الأب أنستاس في مقاله الذي المت اليه · ومن المعلوم ان لكل من الأجناس الثلاثة أنواعاً عديدة لا مجال لذكرها هنا · وقد ذكرت كثيراً منها في معجمي ·

القَيْقَب — القيقب في اللسان وفي التاج الآزاذدِرَخت بالفارسية · والذي نعلمه ان ما عربوه بالأزادَرَخت هو Melia Azedarach وهو مشهور ومبذول في شوارع مدن الشام · ويسميه الشاميون « زِنْزَلَخْت » وهي واضحة التحريف · أما الفرنسيون فاسمه عندهم Lilas des Indes ·

لكن لفظة القيقب تطلق اليوم في الشام على شجر آخر هو بالفرنسية Erable وبلسان العلم Acer ، وهو من أشجار الحراج · وفيه عدة أنواع ، منها ما تنبته الطبيعة في بعض جبال الشام · ولا علم لنا بلفظة عربية تدل على هذا الشجر إلاّ لفظة القيقب في اصطلاحنا الحديث ، فينبغي إقرارها له · أما كلمة أزادرخت فتظل تنظر إلى Melia Azedarach على حسب ما هو معروف في القديم والحديث ·

واستعمل بعضهم كلمة جَرْمَشَق ترجمة لكلمة Erable · لكن لفظة الجرمشق هذه لم أجدها في الامهات ولا في كتب المفردات · ولم يذكرها إلا دوزي في معجمه نقلاً عن كتاب الفه لابن عن المصريين في أيامه قال فيه : أظن ان جرمشق هو Erable · وهذا الظن لا يكفي · ومع هذا إذا أردنا ان نتساهل جعلنا الجرمشق مرادفاً للقيقب اي Erable ·

البلُّوط وأنواعه — هو بالفرنسية Chêne وبلسان العلم Quercus · ولفظة البلوط إرمية · وهي اصلح من رفيقاتها التي سأذكرها للدلالة على هذا الجنس والذين لهم اطلاع على نباتات الحراج يعرفون ان جنس البلوط يشتمل على أنواع عديدة · وقد ذكرت أهمها في معجمي الآنف الذكر فبلغت ٣١ نوعاً · ومن هذه الانواع ما ينبت

نباتاً طبيعياً في جبال الشام وهي تعرف بأسماء خاصة بعضها فصيح وبعضها عامي ٠

فمن الألفاظ الفصيحة التي نجدها في المعاجم او كتب المفردات : السِنْدِيان والبُلاخ والبَلْخ وهي تطلق على نوع البلوط المسمى بالفرنسية Ch . Kermès وباللسان العلمي Q . coecifera وهو نوع مبذول في جبال الشام · ولفظة السنديان شائعة وهي معربة قديمًا من الفارسية ٠

ومن الألفاظ الفصيحة التي ذكرها ابن البيطار البَهْش قال : « هو صنف من البلوط يشبه العفص ٠٠٠ ويسمى بعجمية الأندلس شوبر » قلت هو النوع المسمى Ch.liège وبلسان العلم Q . suber وهو الذي يستخرج من لحائه القُرْق أي الفلين liège ٠

ومن الأسماء الشائعة في الشام المَلُّول يطلق على نوع من البلوط يسمى Ch . du Portugal أي Q . lusitanica وهو مبذول في جبال الشام ولم أجد كلمة الملول هذه في الأمهات من المعاجم ولا فيما لدي من كتب المفردات ٠ ويطلقونها أيضاً على نوع آخر يسمى البلوط الرومي Q . Aegilops ٠

ومن الالفاظ العامية الشائعة أيضاً اللّك تطلق على البلوط الأشعر Ch . chevelu أي Q . cerris ٠

مصطفى الشهابي



كتاب المكافأة

تأليف أحمد بن يوسف الكاتب

نشر هذا الكتاب الرفيع في أسلوبه ، الطريف في موضوعه ، الأستاذ أمين عبد العزيز عام ١٩١٤ م وهي طبعته الأولى ، ثم نشره الأستاذ محمود محمد شاكر سنة ١٩٤٠ م وهي طبعته الثانية ، وبعد سنة واحدة أعني سنة ١٩٤١ م طُبع طبعة ثالثة بأمر وزارة المعارف المصرية وقد عهدت إلى الأستاذين الفاضلين احمد أمين بك وعلى الجارم بك بتصحيحه وشرحه وقررته (لقراءة طلاب السنة التوجيهية بالمدارس الثانوية) فقام الاستاذان بما عهد اليهما ، فصححاه وعلقا عليه ، وشرحا معظم ألفاظه المحتاجة الى الشرح بأحسن ما يمكن من التصحيح والتعليق والضبط ، وساعدهما على كشف المبهم من غوامضه (كتاب سيرة احمد بن طولون) للبلوي ، وقدّما له مقدمة ذكرا فيها أسلوب المؤلف ، ونبذة من حياته ، وقالا : إن الكتاب وصل اليهما مملوءاً بالأخطاء وان من تقدموهما بذلوا الجهد في تصحيح بعضها ، وبذلا هما جهدهما في تصحيح بعضها الآخر ، وياليتهما أشارا في مقدمتهما الى الطبعتين السابقتين لطبعتهما والى المصدر الذي اقتبسا منه عبارةً وضعاها بين قوسين في (ص ١٦٢) ساعدت على تنسيق نظام الحكاية ،

وقد استشارني بعض مديري المدارس الأهليـة فأشرت عليه بتقرير كتاب المكافأة هذا في برنامج مدرسته ، وتقويم سلائق طلبته على ثقاف لغته وبلاغته وحكمته ، فارتاح الى ذلك لكنه رغب اليّ ان أتصفح الكتاب أولاً فأصلح بعض أغلاط وقعت في متنه سها عن تصحيحها الاستاذان وان أوضح معنى بعض ألفـاظ وتعابير شرحاها ولم يهتما في تحديد معناها اللغوي تحديداً يفي بحاجة الطلاب الذين إنما نشر الكتاب من أجل إفادتهم ،

وقد رتبت تصحيحاتي على بحثين :

(الأول) في تصحيح أغلاط وقعت في متن الكتاب لم ينتبه اليها

(الثاني) في إيضاح معاني الفاظ من الكتاب شرحت ومازالت في حاجة الى زيادة شرح ·
وهناك أغلاط مطبعية لم نتعرض لها لأن القارئ يتبينها من أول نظرة ·

(الأول)

ص ٣٦ سطر ٢ قوله (فزدتُ في الخلعة وركبت) (الخلعة) الثوب الذي يُعطى منحة وتشريفاً وليس من العادة ان يقول قائل : إنني زدت في الخلعة ثم ذهبت الى الدعوة · وانما يقول زدت في الحلية وهي الزينة والشارة الحسنة · وهذا هو المناسب لسياق القصة ، لأن القوم المجتمعين طلبوا اليه ان يزورهم بزينته وهيأته الحسنة التي كانوا رأوه عليها ·

ص ٤٦ سطر ١٠ (حتى سمعنا حلق البريد) الحلَق جمع حلْقة على غير قياس وهي السلاح · فالتقدير حتى سمعنا صوت سلاح البريد ؟ وصوابه (صلْق البريد) بالصاد · قال في المصباح : الصلق الصوتُ الشديد · وللبريد صراخ شديد مزعج يتعمده حامله حين كان يصل البلد لإعلان الناس بقدومه فيتسارعون الى أخذ رسائلهم · وكنت اسمع ذلك الصوت المنكر في صغري فأُذعر منه · وكان يسمى ناقل البريد الذي يقدم على هذه الصورة (طَطَر) اي (تاتار) كما في قاموس شمس الدين سامي · (مادة بريد)

ص ٤٧ سطر ٢ قوله (بما أمره من الرضى عنه) قال المصححان الفاضلان المعروف أمر به لا أمره وقولهما حق · فلم يبق الآن ان يكون (امره) محرفاً عن (آثره) ·

ص ٧٨ سطر ١ قوله (والتحيز من الذمّ بها) الأشبه ان يكون (التحيز) محرفاً عن التحرز ·

ص ٨٣ سطر ٦ قوله (نستنزل الدنّ صفوه فينزل) صوابه (نستبزل فينبزل) من البزْل (بالباء الموحدة) وهو إسالة المائع من مقرّه بواسطة ثقب او بواسطة المبزَل وهو الصنبور الذي نسميه اليوم حنفية · وفي اللسان وغيره (بزل الخمر · وابتزلها · وتبزّلها · ثقب إناءها) وفي أقرب الموارد (استبزل الشيء فتحه واستبزل الخمر صفاها) ولم أجد (استبزل) في غيره فيكون احمد الكاتب استعمل (استبزله) كما استعمل (استركبه) ولم أظفر بفعل استركب في كتب اللغة · ولا يخفى ان المقام مقام استعمال (البزل) لا (النزول) وان كان للنزول معنى في الجملة ·

ص ٨٤ سطر ٨ (فأكثرتْ الجماعةُ قيامَ شيخٍ مثله الى حدَث) الهمزة في فعل (أكثر) لا تكون لوجدان الشيء على صفة · وإنما تكون للجعل والتعدية نحو كثر ماله وأكثر الله ماله · (اما الهمزة في فعل أكبر) فتكون لوجدان الشيء على صفة · يقال كبر وأكبرته · اي رأيته كبيراً (فلما رأينه أكبرنه) فصواب فأكثرت الجماعة فأكبرت الجماعة (بالباء الموحدة) ·

ص ٨٩ سطر ٣ تصحيح (امتنت يداي بطوْل الأمير) بقولنا (متنت) فيه نظر والأولى تصحيح امتنت يداي بامتلئت يداي بطوْله اي عطائه وهو التعبير المألوف وتكون كتابة امتلأت في الاصل بياء تحت همزة (هكذا امتلئت) من خطأ النسخ ·

ص ١١٥ سطر ٧ قوله (واصطفى ما كان له) لعل صوابه (استصفى) يقال: استصفى الأمير مال فلان اذا أخذه كله · فالمقام مقامها لا مقام مطلق أخذ كما اقتصر المصححان عليه في تفسير (اصطفى) وهو في اللغة بمعنى اختار ·

ص ١٢٨ سطر ٦ قوله: (فسآخذ بطائلي منه) صوابه (بطائلتي) ففي اللسان (والطوائل الأوتار والذحول · واحدتها طائلة · يقال فلان يطلب بني فلان بطائلة اي بثأر) ·

ص ١٥٩ سطر ٥ قوله (ثم اخذ كوزاً معه ومضى يسعى به) فعل (يسعى) زائد لا حاجة اليه ألا تراه لو قال اخذ كوزاً ومضى به لأفاد المعنى بأبلغ تعبير · او ان (يسعى به) مصحف من (يستقي به) · قال في المستدرك واستقى من النهر والبئر اخذ من مائهما · وكذلك كان الحال في القصة ·

ص ١٦٤ سطر ٣ (المغادرة للعدل) الاشبه ان تكون المغادرة محرفة عن المغايرة ·

ص ١٧٨ سطر ٢ قوله (كانت لي بضاعة ··· فافترَقتُ في معاملاتٍ في الصعيد الخ) صواب (افترقتُ) (احترفتُ) اي اكتسبت وطلبت الرزق فهو محرف عنه او هو محرف عن (اقترشت) · قال في الأساس (فلان يقترش لعياله يكتسب ويجمع من هنا وهنا) · واذا كان لفظ (القرش) عربياً كان اشتقاقه من هذا المعنى ·

ص ١٧٨ سطر ٩ قوله (قلع ثيابي وسراويلي) صوابه خلع (بالخاء) اللهم الا ان يقال انهم كانوا في زمن المؤلف يستعملون القلع للثياب في لهجتهم اليومية كما يُستعمل في بعض الاقطار العربية اليوم · مذ نقول قلع فلان ثيابه · وقلع جبته · وليس هذا

بفصيح وإنما الفصيح ما قالته نائلة بنت الفرافصة ليلة زفافها الى بعلها — وقد طلب منها ان تخلع درعها — فقالت (خلع الدرع بيد الزوج) ودرعُ المرأة قميصها ·

ص ١٩٢ س ٢ قوله (رجوتُ من الله مَنْ لا يخطئُ من رجاه) الأُولى الإبقاء على ما جاء في الأصل وهو (ما لا يخطئُ) وتكون (ما) مفعولاً لفعل رجوت والعائد محذوف: تقديره: رجوت من النجاة والخلاص ما لا يخطئُ من رجاه به تعالى ·

ص ٢٠٠ س ٣ قوله (تزكوا لله من قبيح الخ) الأولى ايضاً الإبقاء على ما في الأصل وهو (اتركوا) ولا حاجة الى تصحيحها (بتزكوا) وتكون (من) للتبعيض كأنه يقول: اتركوا بعض ما أنتم عليه من القبائح لأجل الله وطلباً لرضاته ·

(الثاني)

صفحة ٢٣ سطر ٥ قوله (فلما بلحنا بما نطالب به) لا يحسن ان يُقتصر في تفسير فعل (بلحَ) هنا على قولنا: أعيا وكلَّ: لان المقام يستدعي ان نفسره بقولنا عجزَ عن أداء ما عليه من مال المصادرة · اما اذا قيل بلح بعير تحت حمله فيفسر (بلح) إذ ذاك «بأعيا وكلّ» ·

ص ٢٨ س ٢ قوله (وصلتْ ابا سعيدٍ رَحِمٌ) هذا التعبير يستعمل عادةً في الدعاء فلا يحسن ان يفسر بقولنا (يجب ان تصل ابا سعيد القرابات) وانما تفسر بقولنا لا زالت القرابات او الرحم عاطفة على ابي سعيد او ادعو الله ان يجعل القرابات واصلة له او عاطفة عليه · وقد لاحظ الطابع مرتب الحروف هذا المعنى الدعائي فوضع بعد الجملة علامة (!) التي تُرقم عادةً بعد الجمل الدعائية ·

ص ٣٠ س ٥ قوله «إصبر عليَّ (في طلب الكراء) الى الصُنع» تفسير الصنع بالفرج والاقتصار عليه لا أراه سديداً · على ان الصنع إذا أُريد به معنى الفرج قيل صنع الله · ثم يفسر بقولنا ما يصنعه الله فيَّ من تيسير اسباب الرزق · ولو قلنا ان الصنع محرفة عن الصيف وهو الوقت الذي تتوفر فيه اسباب الرزق لما كنا مبعدين ·

ص ٣٣ س ٣ قوله (ينبغي الاّ تنسى نصيب فلانٍ منك في الشدة) تفسير نصيب فلان منك بفضل فلان عليك لا يفيد الطالب الفائدة المرجوّة لمثله وانما يفيده ان

نفسر الجملة بقولنا : ينبغي ان تجعل لفلان في شدته نصيباً من رفدك ومعونتك ٠

ص ٣٥ س ٧ قوله (سرّني بعدُ قيمتك وحسنُ زيّك) الأصوب تصحيح (تيمتك) التي هي في الأصل بكلمة [همتك] لا [قيمتك] إذ نسمع البلغاء يقولون : فلان عالي الهمة وبعيد الهمة لا بعيد القيمة ٠ وفي اساس الزمخشري : [يقال فلان بعيد الهمة] ٠

ص ٤١ س ٨ تخصيص بياض العين بالذكر من معاني الحملاق يوهم ان المراد بالحماليق في قوله (رأيت تجيلي في حماليق عينه) بياض العينين ٠ وليس كذلك : لان الانفعالات النفسية انما تظهر في تحازر العينين وحملقتها لا في بياضها ٠ والحملقة مصدر حملق عينيه اذا فتحها والفتح انما يكون للجفنين فلا مندوحة عن تفسير الحملاق هنا بالمعنى المشهور المتفق عليه وهو باطن الجفن الاحمر الذي يسوّد بالكحل فمعنى رأيت تجيلي في حماليق عينيه : رأيت تجيلي في انفتاح عينيه الدال على شدة التأمل وعاطفة التجيل ٠ ولا نظن النص الذي ذكر الحملاق بمعنى بياض العين الا نصاً لا يعبأ به ٠

ص ٤٢ س ٢ كل ما جاء من معاني (العقد) مما يناسب سياق القصة قولهم : (العقدة الضيعة ٠ واعتقدها اشتراها ٠ وعقد الحاسب اذا حسب) فتفسير المصححين الفاضلين لجملة (فأعقد منها ما تهيأ لي عقده) بقولها (أجمع من حاصلها) هو لعمري اشد مناسبة للمقام ٠ ويا ليتهما اشارا ان كان تفسيرهما هذا استنتاجاً او استندا فيه الى مصدر ٠ اما قول الفيومي (اعتقدت مالاً جمعته) فلا يصلح مستنداً لانهم يفسرون المال بالنعم او الجمال خاصةً والمراد بجمع الجمال تملكها لا جمعها بعد الشراد ٠ على ان المؤلف انما قال [اعقد منها] لا [اعتقد منها] وفرقٌ بينهما ٠

ص ٥٣ س ٣ وَصْفُ [الموَفَّق] بأنه كان من أجلِّ ملوك بني العباس يُشعر بأنه وليّ الخلافة ٠ فيكون الاولى العدول عن لفظ ملوك أو التنبيه الى ان لفظ الملك يطلق أحياناً على ذي السلطة والمكانة العالية في ذلك العهد ٠

ص ٦٧ س ١ قوله (لفظ الناس في إصابتك مع ابن طغان) صوابه (من ابن طغان) ومفعوله محذوف اي اصابتك مالاً ٠ ويؤيده قوله في السطر التالي : اصابني منه ٠ والا فأن [مع] توهم ان الاثنين كانا شريكين في اصابة المال ٠ وهذا كما تحرفت [من السلامة] الى [مع السلامة] في صفحة [٥٠] سطر [٤] وقد نبه اليه المصححان الفاضلان ٠

ص ٨٠ س ٨ (ومثله في صفحة ٢١ سطر ١) — قوله (عجوز جميلة المذهب) فُسر المذهب بحسن العقيدة · ويبعد ان يكون هذا هو المراد هنا لأن العجائز قلما يتهمن بسوء العقيدة : (اللهم ايماناً كإيمان العجائز) والتدين والعقيدة قلما يوصفان بالجمال · وانما المذهب هنا طريقة الرجل : ففي القاموس وشرحه : (والمذهب الطريقة يقال ذهب فلان مذهباً حسناً اي طريقة حسنة) والطريقة هي سيرة المرء وخالته في الحياة التي يحياها مع الناس · ففي القاموس وشرحه (والطريقة الحال تقول فلان على طريقة حسنة او على طريقة سيئة) وقال في المستدرك : (والطريقة السيرة والمذهب وكل مسلك يسلكه الانسان في فعل محموداً كان او مذموماً) والعجوز [أم محمد رحمها الله] فقد قال يوسف الكاتب عنها انها كانت محمودة السيرة · واستدل على ذلك بما كان من وفائها وحسن عهدها له

ص ٨٧ س ١٠ (جئني بتلك الصرار) ضبطت الصرار بكسر الصاد وصوابه الصرَر · ولم تذكر المعاجم هذا الجمع أي الصرَر لشهرته ولقياسيته إلا الفيومي فانه قال (وصرّة الدراهم جمعها صُرَر مثل غرفة وغرف) أما جمعه على صرار فأراه خطأ ·

س ١٠٩ س ٨ قوله (لحج في البرية) لا يحسن تفسير [لحج] بمجرد قولنا [دخل] لان اللحج دخول خاص : بأن ينشب في الشيء فيصعب خروجه منه كنشوب بني اسرائيل في صحراء التيه · وهكذا كان شأن فيروز وجيشه في لحجهم البرية · وتفسير لحج بدخل كتفسير فرك بأبغض · والطالب يحتاج الى اوضح من هذا التعبير ·

ص ١١٤ س ٣ (قوله كان يتقلد الطراز) قال الشارحان الفاضلان في تفسير الطراز : [هي الثياب الجيدة وكانت لهـا إدارة الخ · ·] في هذا التفسير شيء من التقصير : اذ ما من حكومة تقلد أحداً إدارة الثياب الجيدة ! وانما يتولى إدارة هذه الثياب مديرو [فبارك] الحياكة ومعامل النسيج فكان يحسن ان يفسر [الطراز] بالثياب السلطانية او كما قال القاموس [ثوبٌ يُنسج للسلطان] بل الاجدر من ذلك كله ان يفسر [الطراز] بدار الطراز التي تُهيأ فيهـا تلك [الألبسة الرسمية] وهي بمثابة [كسوة التشريف] في اصطلاح المصريين · وتكون لها إدارة ومديرون معينون من قبل الدولة كما اشار الفاضلان ·

ص ١٢١ س ٤ قوله (فأمر بوجئ عنقه) الاقتصار على تفسير الوجئ بالضرب بالسكين غير سديد لان الوجأ يكون باليد أيضاً ولعله المراد هنا لان الرجل الذي وُجئ كان — بعد ان وُجئ — يصيح بأعلى صوته ٠

ص ١٢٤ س ١ (قوله وان في عِين العراق الخ ٠٠) وُضعت بين أسطر هذه القصة عدة نقط مكان كلمات جاءت في الأصل لم يستحسن المصححان الفاضلان ذكرها فحذفوها ٠ ولكن بقي القارئ غير مستوعب لجمال القصة ٠ وفيها نكتة تستخرج من كلمة [عِين العراق] او [عين فارس] كما روي في ترجمة [عدي بن زيد] : ذلك ان كسرى سأل ابن عدي عن معنى [عين فارس] التي جاءت في كلام النعمان ففسرها له بالبقر : لان العين جمع عيناء والعيناء كما تطلق على واسعة العينين من النساء تطلق على واسعة العينين من بقر الوحش ٠ وشعراء العرب يشبهون الحسان ببقر الوحش كما يشبهونهن بالغزلان ٠ وليس الأمر كذلك في آداب الفرس وأساليب لغتهم فلما سمع كسرى من المترجم ان ملك العرب قال : ان في بلاد كسرى عيناً تغنيه عن عين بلاد العرب وعبّر عن العين بالبقر وفهم كسرى من البقر الحيوان الأهلي قامت قيامته على النعمان فبطش به تلك البطشة الكبرى ٠

ص ١٢٦ س ٢ قوله (ولؤم أصلك وفساد مركبك) فسر المصححان فساد المركب بقولهم [هو كناية عن فساد الطرق وسوء الوسائل] أقول ينبغي ان يفسر [المركب] بالهوى اذ يقال ركب فلان هواه اذا جمح في شهواته فلم يثنه عنها شيء أو هو المركب [بتشديد الكاف] على صيغة اسم المفعول ٠ قال الزمخشري في الاساس [فلان كريم المنبت وكريم المركّب] وقال كعب بن جعيل في هجو الضحاك بن قيس

(قصير القميص فاحش عند بيته   وشر قريش في قريش مركّبا)

والظاهر ان المركب بهذا المعنى جاء من قوله تعالى (في اي صورة ما شاء ركبك) فيكون معنى قوله [وفساد مركبك] : وفساد خلقتك او فساد تكوينك او فساد فطرتك ٠

ص ١٣٢ س ١ (قوله من مولدي الغور) ضبط [الغوْر] بفتح الغين ٠ وانما هو بضمها كما في مراصد الاطلاع ٠ قال :[وهي (اي بلاد الغور) لا تنطوي على مدن

مشهورة سوى قلعة يقال لها [فيروز كوه] فيها تسكن ملوكهم اهـ) ولعل من سلالة هؤلاء الملوك قانصوه الغوري آخر ملوك مصر ·

ص ١٦٢ س ٦ (قوله يتشطَّرُ اي يعمل عمل الشطار) وفسر المصححان الفاضلان الشطار باللصوص وفي هذا التفسير نظر · وشاهدُنا ان الاستاذ احمد أمين في محاضرته عن الفتوة في الاسلام التي ألقاها سنة ١٩٣٤ جعل الشطار اسماً للفتيان في العهد العباسي فقال : (· · · عياراً شاطراً كان في بلده رأسَ الفتيان) ثم قال [والعيارون الشطار] ووصف من أخلاق هؤلاء الشطار ما ينافي دناءة اللصوصية ثم استنتج في آخر المحاضرة ان هؤلاء الشطّار هم [الفتوّات] في مصر · فاذا صح تفسير الفتوّات باللصوص صحَّ تفسير الشطار بهم والا فلا · على ان الغلام المتشطّر الذي رفض أخذ الف درهم جزاء حفظه للمال ويقول : [الخيانة أسهل من اخذ أجرة على الأمانة] لا يكون من اللصوص ·

ص ١٦٦ س ٦ تفسير (وضرب الى لحيته) بقولهم [ان ابن العجوز ضرب الشيخ موجهاً الضربة الى لحيته وأعجله] لا نظنه صواباً ولعل صواب العبارة هكذا [وضرب يده الى لحيته او على لحيته] اي قبض الشيخ بيده عليها مفكراً في طريقة للخلاص ولكن ابن العجوز أعجله · ومن هذا الاستعمال قول الفيلسوف :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسرحت طرفي بين تلك العوالم
فلم أر إلا ضارباً كفَّ حائر على ذقن أو قارعاً سنَّ نادم

ص ١٦٧ س ٨ قوله (طويل اللسان مخشيُّ الغضب) تفسير طول اللسان هنا بالذرابة وقوة الحجة لا أراه صواباً · وانما الصواب تفسيره بالبذاء والافحاش في المنطق بدليل قوله بعده [مخشيُّ الغضب] ·

ص ١٦٧ س ٩ تفسير (فأكبَّ عليه) بقولنا أقبل عليه واتجه اليه لا أظنه سديداً والأجدر تفسيره بقولنا : ألقى نفسه عليه يعني على يدي البرمكي او ركبتيه يقبلها : لأن الشاب جاء مستجدياً للبرمكي طالباً صلته · وما ذكروه من قولهم أكبَّ فلان على الدرس اذا أقبل لا أظنه يصلح حجة لهذا الاطلاق في تفسير أكبَّ لأن المراد بالاقبال على الدرس إقبال العزيمة بعد انتشارها وروغانها ·

ص ١٨٥ س ١ قوله (فلما رأى ابوه ان ابنه قد توجَّه) تفسير [توجه] بأنه قد توجه الى ما وجهته اليه من صنوف العلم — لا أراه سديداً وأرى ان تجعل توجه مطاوعاً لفعل وجّه اذا جعله وجيهاً اي شريفاً . والوجيه أيضاً السيد وذو الخصال الحميدة . والمعنى ان أباه لما رآه قد صار ذا وجاهة وسيادة وشرف .

ص ٢٠٣ س ٧ قوله (عَملتُ في أيام ابن الخليج لحماية ضياعٍ كانت في يدي) تفسير حماية الضياع بالإشراف عليها والانتفاع بها لا أراه سديداً . وانما الأسدّ ان يفسر بأنه رضي ان يكون عاملاً اي والياً في عهد ابن الخليج ليتوصل بالولاية الى حماية ضياعه من العدوان عليها-ويؤيده قوله بعده [وخفت الايقاع بي] أي من قِبَلِ عمّال الدولة الطامعين بمالي . وكم من ذوي أملاك واسعة في زماننا انما يتولى الوظائف وهو في غنى عنها لاجل حماية تلك الأملاك وغلاتها من عدوان فلاحيها وذوي الأطماع فيها .

ص ٢١١ س ٤ قوله (كان مع قومٍ من اسباب السلطان يودّونه ويحبونه) تفسير [اسباب السلطان] بعماله لا أراه صحيحاً وانما الصحيح ان يفسر بمن له خصوصية بالسلطان كندمائه وذوي مودته وكل من يتوصل بهم اليه لأن [السبب] في أصل معناه الحبل . وقد تكرر ذكر الاسباب بهذا المعنى في كتاب نشوار المحاضرة مثل قوله : (وقبض الخليفة على حُرَم الوزير وأسبابه) [فحرمه] نساؤه وأهله . و [أسبابه] اصدقاؤه ومن لهم علاقة به . ونقول اليوم في معناه [محاسيبه وتعلقاته] وربما كان من هذا القبيل قولهم [رجال معيته] . وقد فسر المصححان الفاضلان [السبب] في الصفحة نفسها بالوسيلة : عند قول المؤلف (من كان سببك الى المأمون حتى اتصلت به ؟) . فأسباب المأمون إذن هم من يتوصل بهم اليه لا عمّاله .

المغربي

احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

يقول الامام حجة الاسلام (محمد رشيد رضا) في إحدى رسائله الى أمير البيان : « ... ثم تخاطبني أنا في مسألة استعمال (احترم) بمعنى وقر ، وقلت : انك لم تجدها الا في (أساس البلاغة) وقلت لي بعده : (أفترى استعمالها خطأ الخ) سبحان الله! أأنا لا احتج بأساس البلاغة ؟ الا انني اخبرك بأن الاحتجاج به عندي هو فوق الاحتجاج بالقاموس ولسان العرب ، وهو ادق منهما ، وأصح نقلاً . ولا اعرف احداً ممن تسميهم المتنطعين لا يحتج به ، على انني لم أجد الكلمة فيه . واما استعمال البوصيري لها في البردة او غير البردة فلا قيمة له البتة ، واعلم منه الفقهاء وهم يستعملونها[1] »

وفي حاشية الأمير[2] : « لم اجد (احترم) بمعنى وقر وتهيب في كتب اللغة الا قول الفيومي في المصباح المنير : (الحرمة المهابة وهذه اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق) وقد ورد في [اقرب الموارد] للشرتوني هذا الفعل ، ولا أعلم عمن نقل الشرتوني ذلك : غير انني اتذكر انه قال لي في احد مجالسه الكثيرة معي : انه رأى هذه اللفظة في كلام الزمخشري ! ومن هنا جاءني الظن بان يكون الزمخشري اوردها في أساس البلاغة[3] »

[قلت] : انا موقن ان حجة الاسلام قد مرت عليه اللفظة في الاساس ولكن الانسان انسان يذكر وينسى « سميت إنساناً لانك ناس[4] » وكان الامام [رحمه الله ورضي عنه] يجل [اساس البلاغة] وقال لي مرة « هو كتاب مراجعة ومطالعة » فكان

---

(٢) ذكرتني حاشية الامير هذه بكتاب كنت بعثت به اليه أوردت فيه هذين القولين : قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ما تشتهي ؟ قال : النظر في حواشي الكتب . وقال الزمخشري : الزيت مخ الزيتون والحواشي مخة المتون . فجاءني من الامير كتاب يقول فيه : « شفيت غليلي بهذين الشاهدين اللذين جئت لي بهما على فائدة الحواشي ، ولعمري لو أنجدتني بجيش مجر ، ومال دثر ما أحسست فضل تلك النجدة كما أحسست بها عندما قرأت ذينك الشاهدين » وفي الكتاب إطراء غريب لأجل روايتي للقولين ... ! (١) و (٣) السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين سنة تأليف الامير شكيب ارسلان ص ٦٢١

(٤) حبيب . والشاهد في النسيان لا في صحة التسمية والاشتقاق

يرجع اليه متحققاً متثبتاً ويطالعه مستفيداً ، ونشر [مقدمته[1]] البارعة في [المنار] اعجاباً بفصاحتها وبلاغتها

ان الامام والأمير لصادقان ، فهذه اللفظة ما وردت في الأساس في مادتها ، وجاءت في غير مظنتها ، وردت في (م ل ح) في تفسير قوله : (فلان ملحه على ركبتيه) قال : « قيل : الملح الحرمة : وان معناه انه يحترمك ما دام جالساً معك فاذا قام عنك رفض الحرمة »

ومما ذكرها الامام الزمخشري في كتابه في غير مكانها (المنضدة) لم تظهر في [ن ض د] وظهرت في [ف ج ج] قال : « المنضدة شيء كالسرير له اربع قوائم يضعون عليه نضدهم[2] » وكانت هذه اللفظة وردت في مؤلف للأديب الكبير الدكتور بشر فارس ، فخطأه عالم مشهور[3]

ولا يحسبن احد ان جار الله قد تسمح في (الاحترام) اذ رتبه في كتابه في غير مرتبته ، كلا ، ان احترامه اياه لعظيم ، وحسبك انه رقمه في [كشافه] كما قاله في [مقاماته] جاء في الكشاف في سورة قريش : « ... والمعنى انه اهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ، ويحترموهم فضل احترام ، حتى ينتظم لهم الأمر في رحلتيهم ، فلا يجترئ احد عليهم »

وقال في مقامة الشكر : « لا يتخطى (يعني الموت) محدثاً ليعرج على معمَّر ، ولا يحترم محدَّثاً فيخترم دونه المعمّر » والاحترام في كلام اللغويين والأدباء كثير ، قال ابن الحريري في الثامنة والأربعين (الحرامية) : « فأداني الاختراق في مسالكها والانصلات في سككها الى محلة موسومة بالاحترام ، منسوبة الى بني حرام[4] »

---

(١) الفائق : المقدمة الجماعة تتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم ، وقد استعيرت لأول كل شيء فقيل منه مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام ، وفتح الدال خلف . والبطليوسي يجيز الفتح في الاقتضاب ص ٢٠٨ ، وروى قوله التاج . والكسر خير (٢) في الجمهرة : النضد متاع البيت ، وما نضد بعضه على بعض فهو نضيد ومنضود ، والجمع أنضاد ، وكثر ذلك في كلامهم حتى سموا السرير الذي ينضد عليه المتاع نضداً ... »

قلت ليكن بعد اليوم النضد للنضد لا لما يوضع عليه ولتكن المنضدة للمنضدة

(٣) نشرت كلمتين في الرسالة ٣١٧ و ٣٢٨ س ٧ أعلنت فيهما صواب القول ، ورويت في الثانية شعراً لمزرد أخي الشماخ في مفضلية له ورد فيها جمع المنضدة [المفضليات شرح الأنباري ص ١٤٢]

(٤) فسر الاحترام في الشرح المختصر بالتعظيم وهو التفسير المبين ، وفسره الشريشي في شرحه الكبير بالامتناع ...

وقال ياقوت في [ارشاد الأريب الى معرفة الأديب] في سيرة الحسن بن احمد العطار الهمذاني : « وكان محترماً عند الخلفاء والسلاطين » وقال في سيرة محمد بن احمد الابيوردي الشاعر المشهور : « وكان مهيباً محترماً جليلاً معظماً لا يخاطب الا بمولانا » وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج [المجلد ٤ ص ٤٥٧] : « فهلا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامة » والشاهد في هذه الجملة استعمال الفعل : احترم

كنت عثرت على (يحترم) في الأساس وقيدته في احد دفاتري ثم وجدت في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (ج ٢ ص ٢١٠) بحثاً للعلامة الشيخ حسين والي (رحمه الله) في الاحترام ومشتقاته ، ذكر فيه ان ذلك الفعل (يحترم) هو في [م ل ح] فهو السابق ذو الفضل في اظهاره[1] . وأورد (رحمه الله) اقوال أئمة كثيرين ، فيها هذا الفعل ، منهم الزمخشري في سورة ابراهيم قال : « لانه (اي البيت الحرام) محترم عظيم الحرمة [2] » ولم يذكر الشيخ والي قول الحريري الذي أوردته ، ولكنه ذكر تفسير الفنجديهي[3] لقول الحريري في الثامنة والثلاثين [المروية] قال : « ذكر البنجديهي ان الحرم قوم محترمون »

(قلت) وقول الحريري هو « والتزم لأهل الحُرم ما يُلتزم للأهل والحرم » وقول الفنجديهي الذي رواه الشريشي ونقله الاستاذ والي منه هو « الحرم جمع حرمة أراد بذلك أهل الصيانة والعفاف . الفنجديهي : الحرم اقوام محترمون ... »

وقال الاستاذ والي بعد ان روى أقوال أولئك الأئمة : « أليكلام هؤلاء الاعلام اصل في اللغة لم نجده نحن ؟ انه لا يستشهد بكلام امثالهم ، وانما يستشهد بكلام العرب »

(قلت) نعم ، انما يستشهد بكلام العرب حينما يجب الاستشهاد بكلامهم وحينما تقتضي الحال ذلك . والاحترام هذا مولد ، ولم يقل قائل : انه عادي قديم . والكلام العربي جاهلي واسلامي ومولد ، وثلاثة ارباع اللغة العربية بل اكثر من ذلك في

(١) لو اطلعت على [يحترم] في مقالة الاستاذ والي قبل ان اعثر عليها في الاساس لذكرت في هذا المقام ذلك ، فمن خلائقي الصدق في كل شيء وفي كل وقت ، ومن خلائقي الانصاف ونسبة الفضل الى أهله

(٢) لم أكن نبهت لهذا القول فأقيده ، ولم يرو الاستاذ والي مارويت .

(٣) نسبة الى فنجديه ، ذكرها ياقوت في الفاء والباء . ووردت في الباء [پنج ديه] والمعنى بالفارسية القرى الخمس كما قال .

الشؤون والعلوم والفنون من المولد . فاذا اجتزأنا بالذي هو أقل من الربع عدنا كما كنا يوم فارقنا [الجزيرة] . . .

* * *

الامام الزمخشري يرى العربية – كما ترى هي نفسها – اللغة المتبحبحة في الفاظها والمشتقة والمتصرفة والمتقدمة والسائرة مع الزمان

ولم يتأخر من أراد تقدماً ولم يتقدم من أراد تأخرا[1]

وليس هو ممن يقول : لا أقبلها الا جاهلية أعرابية ، بل يرضاها جيدة مولدة . ولما سعدت بقدومه ارض الحجاز وسمع هناك ما سمع من الألفاظ لم ينكرها واودعها [أساسه] فقال : « اهل الحجاز يسمون الزرع والطعام [عيشا]

سماعي من فتيان مكة الصوفية[2] [اللوفية] لاف الطعام لوفا وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون في كل شيء لا يحسن الانسان عمله قد [محقه]

سمعت خادماً من اليمامة يقول – وقد وكف السقف – يا سيدي ، هل [أهب عليه التراب] بمعنى هل اجعله عليه ، وهو من الهبة ، لان معنى وهب له الشيء جعله له

اكتريت من أعرابي فقال لي : أعطني من [سطاتهن] أي من خيار الدنانير

رأيت العرب يسمون الكزبرة [الدقة] وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجوالق [استشق به] اي حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : [عكشتك] بمعنى سبقتك من قوله (عليه السلام) سبقك بها عكاشة[3] ! وهو عكاشة بن محصن الانصاري ، سمي بالعكاشة وهي العنكبوت . . . »

وقصة الشقدف والشقنداف في [الكشاف] مشهورة ، وشهرتها لا تمنعنا من روايتها . قال في تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم) : « . . . ومما طن على أذني من ملح العرب

---

(١) متنبي الغرب ، وقبله :

ولم أجد الانسان الا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرا
وبالهمة العليا . ترقى الى العلى فمن كان أعلى همة كان أظهرا

(٢) الزمخشري حرب للصوفية ، وطعنه عليهم في [الكشاف] كثير ، وفي الاساس : [الصوفية زفانة حفانة ، يزفنون يرقصون ، ويحفنون يجرفون الطعام بحفناتهم] .

(٣) المصباح : هو بالتثقيل ، وعن ثعلب : وقد يخفف ، وفي التهذيب : بالتثقيل وبالتخفيف .

انهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق . فقلت في طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل؟ أردت المحمل العراقي . فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه الشقنداف . فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى » وقد شغل في هذا الزمان بعض اللغويين [شيء مخطر ، والتنزه [1]] والحرفان في الكشاف في تفسير آية في (الزخرف) قال جار الله : « كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك ، وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا . فلما كان الركوب مباشرة أمر [مخطر] واتصالاً بسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب — وقد اتصل بسبب من اسباب التلف — ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة ، فمنقلب الى الله ، غير منفلت من قضائه . ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله ، وهو غافل عنه ، ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه : [تعالوا نتنزه] على الخيل او في بعض الزوارق ، فيركبون حاملين مع انفسهم أواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن

(١) شغل [التنزه] القوم منذ اكثر من ألف سنة ، وفي التاج أقوال فيه وردود على المجد المغلط ، منها قول ملا علي : «البستان مكان نزه ، والخروج اليه تباعد عن مكروه في زمان هم أو خاطر مغموم او مكان غير ملائم واخوان سوء وهواء متعفن وأمثال ذلك »وفي المخصص ج ١٣ ص ١٠ « ومنها (من الألحان) ما يشوق وترتاح له النفس مثل صفة الاشجار والزهر والمتنزهات والصيد ... » وفي الأساس في (ح د ق) : «ورد على كتابك فتنزهت في انف رياضه ، وبهجة حدائقه » وقال شاعر لا أتذكر الآن اسمه ولا مظنة قوله :

ولكل طالب لذة متنزه وألذ نزهة عالم في كتبه

وفي (برد الاكباد في الأعداد) للامام الثعالبي : «ابن دريد ذكرت بين يديه متنزهات الدنيا ، فقال : هذه متنزهات العيون ، فأين أنتم من متنزهات القلوب؟ قالوا : وما هي؟ قال : كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العيناء » وروى (نفح الطيب) لحميد بن مالك يصف دمشق وقومها :

فكلها بمجال الطرف متنزه وكلهم لصروف الدهر أقران

متنزه في البيت كما هو ظاهر ومثلها اللفظة في برد الاكباد في طبعته (في مطبعة الجوائب) والمتنزه نجدها في مؤلفات قديمة كثيرة .

وهي تجري بهم ، لا يذكرون الا الشيطان ، ولا يمتثلون الا أوامره . وقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد ، بينهما مسيرة شهر ، فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار ، فلم يشعر بمسيره ، ولا أحس به ... »

وجاءت [مخطر] في (الوجيز) في مذهب الامام الشافعي (ج ١ ص ١٧٤) .
اما النفل فهو زيادة مال يشترطه أمير الجيوش لمن يتعاطى فعلا مخطراً كتقدمه على طليعة او تهجمه على قلعة[1] »

وأمر خطِر كأمر مخطر . وقد خطأ العلامة اليازجي [القاموس] في قوله: «واستعمال لبنه خطر» قائلا : « لم نجد هذا اللفظ في شيء في كتب اللغة [الضياء ٨ ص٣٢٣]

والعلامة احمد فارس يقول من قبل في [الجاسوس على القاموس] ص ٣٥٥ في النقد العشرين فيما ذكره في موضعه المخصوص به : « ذكر (خطِر) اي ذو خطر في وصف الشبرم بقوله : واستعمال لبنه خطر ، وفي سمم بقوله : والدرهم خطر . كذا رأيتها في عدة نسخ ، وليس لهذه الصيغة ذكر في كتابه ولا في العباب ولا في الصحاح ولا في مختاره ولا في المصباح »

واللفظة في شعر للبحتري رواه العلامة الاستاذ احمد بك العوامري في احدى مقالاته المحققة في مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية :

لما كملت روية وعزيمة أعملت رأيك في ابتناء الكامل
ذعر الحمام وقد ترنم فوقه من منظر خطر المزلة هائل

كما روى العلامة العوامري قول المصباح « وبادية مخطرة » . (قلت) وفي شعر حبيب :

ومجربون سقاهم من بأسه فاذا لقوا فكأنهم أغمار
عكف بجذل للطعان ، لقاؤه خطر اذا خطر القنا الخطار[2]

(١) وجدت في اللسان : أقدم على قرنه اذا تقدم عليه بجراءة صدره . ولم أجد في معجم تهجم ولا تهجم عليه . ووجدت(تهجم) في [جواهر الألفاظ] لقدامة ١٣٣

(٢) لا أدري ما قاله التبريزي في هذه اللفظة ، وله شرح جيد لديوان أبي تمام ، منه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية . وقد رجعت الى (مختارات البارودي) ومن عادته ان يأخذ من التبريزي تفسير أبيات الطائي فلم أجد على [الطاء] شيأ ولا في الالفاظ قولاً ، ووجدت هذا الشرح للبيت ، واليقين انه للتبريزي : ـ

وأغلب الظن انها مثل لفظة البحتري بكسر الطاء لا فتحها ، وربما اقتبسها الطائي الأصغر من الطائي الاكبر .

وجاء في التاج ، والقول يروى على طوله لاشتماله على شيء مهم متعلق بالقاموس . « قال شيخنا : وقد نظم ابن مالك هذه المصادر في قوله :

خشيت خشياً ومخشاة ومخشية وخشية وخشــاة ثم خشيانا

ثم قال : وقد قصر عما للمصنف اذ يبقى عليه تخشاة الا ان يقال إنه لم يذكرها لغرابتها اذ قيل : انها لا تعرف عن غير المصنف ، والظاهر انها في المحكم . قلت : هذا غير صحيح اذ لم يذكر المصنف غير سبعة مصادر ، واما تخشاه الذي ظنه مصدراً فليس هو كما ظنه بل هو معطوف على قوله خَشِيَه ، وهو فعل ماض من باب التفعل ، خشيه وتخشاه كلاهما بمعنى خافه . هذا هو الحق في سياق المصنف . وسبب هذا الغلط عدم وجود النسخ المضبوطة المصححة ، وربما يكون من عدم المعرفة في اصطلاحه ، فربما يعتمد الانسان على كلمة غير مضبوطة او ضبطت على خطأ فينسبها للمصنف ، وهذا امر [خطر] قد وقع فيه كثير من المصنفين الذين ينقلون عبارة القاموس في كتبهم ، ويستشهدون بها . وقوله : (والظاهر انها في المحكم) رجم بالغيب وعدم اطلاع في حالة الكتابة على نسخة المحكم ... »

قلت : ومن خطأ الناسخين الذي لازم نسخ القاموس المخطوطة والمطبوعة في الهند ومصر ولم يفارقه حتى اليوم قوله : « جاء من ذي نفسه ومن ذات نفسه اي طبعاً[1] » بالباء والصواب هو ما جاء في اللسان : « يقال جاء من ذي نفسه وذات نفسه اي طيّعا » بالياء مشددة وفي الأساس : « جاءوا من ذي أنفسهم وذات انفسهم : طائعين ، وجاءت من ذي نفسها وذات نفسهـا : طائعة » وقد نبه شارح القاموس اي صاحب التاج على ذلك الخطأ .

(يتبع) محمد اسعاف النشاشيبي

« عكف — بضم فسكون — جمع عاكف من عكف القوم حول الشيء استداروا بـه ، والجذل — بالكسر — الصاحب وهو في الأصل عود ينصب للابل الجربى لتحتك به ومنه قيل : انا جذيلها المحكك وانه جذل رهان اي صاحبه ، وخطر القنا : اضطرب واهتز » .

(١) كان اديب كبير احتج بلفظة القاموس هذه في رد على تخطئتي اياه في [البلاغ]

رسالة الملائكة

الخزانة الظاهرية في دمشق كنز مليء بالعقائل الكريمة والاعلاق النفيسة كلما نقب الباحث فيه عثر على شيء بديع من الآثار الدالة على ما وصل اليه العقل العربي في الأيام الخالية وظفر بنوع جديد من تلك الطرف النادرة والذخائر الجليلة ومن أجل ما عثر عليه في العهد الأخير رسالة الملائكة لحكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء المعري رحمه الله وهذه الرسالة من جملة كتب أهداها الى هذه الخزانة ورثة السري المرحوم محمد بك المنير من أعيان دمشق تغمده الله برحمته وجزاهم خيراً

التعريف برسالة الملائكة على ما نقل عن المتقدمين

ذكر جماعة من الذين كتبوا في أبي العلاء ان له كتاب ديوان الرسائل وان رسائله ثلاثة أقسام الأول رسائل طوال تجري مجرى الكتب المصنفة ككتاب رسالة الغفران وكتاب رسالة الملائكة · والثاني رسائل دون هذه الرسائل فى الطول كرسالة المنيح · والثالث الرسائل القصار التي جرت بها العادة في المكاتبة · وقال فريق ان هذا الكتاب أربعون جزءاً وقال آخرون انه ثمانمائة كراسة واتفقت كلتهم على ان رسالة الملائكة ألفها جواباً عن مسائل صرفية سأله عنها بعض الطلبة وانها جزء · هذه خلاصة ما وقفت عليه من كلام المتقدمين في هذه الرسالة

وممن ذكر ذلك ابن العديم في الانصاف والتحري · وياقوت في معجم الأدباء وصاحب كشف الظنون على تفاوت بينهم في الايضاح والتفصيل

النسخ المطبوعة

اتى على هذه الرسالة او هذا الكتاب حين من الدهر وهو كالعنقاء لا يعرف غير اسمه وحجمه ثم وفق جماعة الى طبعه وأول ما اطلعت عليه من النسخ المطبوعة رسالة طبعها الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي وألحقها بآخر كتابه أبو العلاء وما اليه سنة ١٣٤٤ — ١٣٤٦ وسماها رسالة الملائكة

التعريف بهذه الرسالة المطبوعة

وقد قال في مقدمتها تحت عنوان كلمة للناشر ما خلاصته : رسالة الملائكة اخت رسالة الغفران والطير في التمثيل الذي لم يسبقه اليه عديل او مثيل . والرسالة وان كان سبق لها نشر الا انه لم يتنبه له إلا نزر على ان الطبعة كانت من التحريف والتشويه بحيث يمجها كل طبع ولم تخل جملة من عدة أغلاط وتصحيفات ولم ننبه إلا على قطرة من عد .. ولا أدعي اني برأتها من كل عيب و كيف ولم تصل بدي الى نسخة أخرى منها .. وقد بقي بعد ما عانيته عدة أغلاط حرت فيها فوكلتها إلى أعرف مني بخبرها وخبرها .. وفي خزانة ليدن نسخة منها .. ويظهر انها الفت نحو سنة ٤٣٥ تقريباً ..

هذه خلاصة ما جاء في مقدمته ويتضح منها انه اطلع على نسخة مطبوعة طافحة بالأغلاط التي أصلح منها ما أصلح ولم تصل يده الى نسخة أخرى منها . على انه ذكر في حواشي هذه الرسالة ما يدل على انه اطلع على غيرها حيث يقول وفي نسخة .. وفي أخرى .. وذلك في ص٤و٧و٨و١٠ او١١ او٢ او٣ او٧ او٢٢و٢٣و٢٦و٢٧و٢٨

ويجوز ان يكون قوله وفي نسخة .. وفي أخرى مأخوذاً عن النسخة المطبوعة التي نقل عنها الا ان قوله في حاشية ص ٣ وفي أخرى خطية .. دليل قاطع على انه رأى غير النسخة المطبوعة ثم ذكر بعد هذه المقدمة هذه الجمل : قال ابو الفضل المؤيد بن الموفق الصاحبي في كتاب الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ . رسالة الملائكة الفها ابو العلاء المعري على جواب مسائل تصريفية القاها اليه بعض الطلبة فأجاب عنها بهذا الطريق المشتمل على الفوائد الأنيقة مع صورتها المستغربة الرشيقة ثم ذكر بعد هذا البسملة . وبعدها . وليس مولاي الشيخ أدام الله عزه بأول رائد ... الى قوله وكلمة حكم تسمع من حليف وسواس . ثم قال تمت الرسالة بحمد الله وعونه ويبلغ مجموع ما ذكره من الرسالة مع حواشيها ستا وعشرين صفحة وسنبين ان كل ما ذكره من مقدمة رسالة الملائكة لا من الرسالة . ولا نريد ان ننكر فضل الاستاذ على الأدب العربي بنشره هذا المقدار ولا ماعاناه من الجهد في التصحيح والشرح وان لم يسلم من تحريف وخطأ فجزاه الله خيراً

التعريف بالنسخة الخطية التي في دار الكتب الظاهرية

الورق ·عدد أوراق هذه النسخة ١١٥ وعدد صفحاتها ٢٣٠ وهو من الورق الثخين ولكنه مصقول صقلاً جيداً وطول كل ورقة ١٧ سانتيمتراً وعرضها ١٢ ½ تقريباً وفي كل صفحة حاشية من أطرافها الأربعة خالية من الخط تبلغ نحو ثلاثة سانتيمات وقد تختلف قليلاً بزيادة ونقص وفي أول الكتاب ورقة واحدة وفي آخره ورقتان خاليات كلها من الكتابة

الخط

وفي كل صفحة ١٣ سطراً كلها مستوية متساوية في الحجم · والكتاب كله بخط واحد جيد وأكثر كلماته مضبوط بالشكل وتغلب على ضبطه الصحة · وفيه كلمات يخالف رسمها الطريقة المعروفة الآن في الرسم · كرسم الهمزة ياء في مثل أوليك الريالا · سايق · جايز ·سيل · الملايكة ·شيتا · المسايل ··· وكرسم يسئل ومسئلة بدلاً من يسأل ومسألة

وفيه حذف الهمزة من آخر الاسم الممدود في مثل : اليا · الثنا · خا · طا ···

وفيه نقط الياء في آخر الكلمة في مواطن لا تنقط فيها · كمثل موسي فعلي يجرون مجري · تري ··· وفيه إهمال النقط حيث يجب مثل العربيه · رايحه كريهه اشحب مألكه الليله ··· وفيه رسم ها هنا · واذا وقعت لا بعد ان المصدرية لا تأتي فيه الا متصلة بهـا · الا يسمع الا يكتب

المكتوب على الصحائف من غير الرسالة

كتب على الوجه الأول من الورقة الثانية هـذه الجمل ١ الحمد لله ملكه الفقير لربه علي بن عماد الدين الشـافعي حامداً ومصلياً مسلماً في منتصف المحرم سنة خمس وستين وتسعمائة أحسن الله ختامها · وهذه مقسمة على سبعة أسطر في زاوية الورقة العليا من اليسار ٢ وقد كتب تحتها ثم ملكه كاتبه من تركة الشيخ علاء الدين ابن عماد سنة ٩٧١ وبجانب الرقم كلمة غير واضحة ولعلها الثمن وتحتها رقم ٧ وهذ الجملة في ثلاثة أسطر وتحتها كلمتان إحداهما احمد والثانية غير بينة ٣ وتحت هذا · هذه الجملة ثم من آلاء الملك الصمد على العبد درويش محمد بدمشق سنة ٩٧٩ وهي في ثلاثة

أسطر بخط فارسي غير منقوط ٤ وتحت ذلك سطران من الأرقام الاول [٤١٠٧٦٠] والثاني ٦٠ - ١١ - ١٠٤١٠٥٠١٠ وهذه الكتابات بخطوط مختلفة ليست من خط الرسالة

وكتب على الوجه الثاني من الورقة الثانية · فهرست ما في هذه المجلدة من المسائل · تحتها عناوين المباحث التي تشتمل عليها هذه الرسالة على هذا الترتيب :

خطبة الكتاب — القول في الملائكة

القول في اياك — القول في آية وغاية وثاية

« في اسم وحقيقة الحذف منه — « في اثنين واثنتين

« في سيد وميت — « في ترك القراء امالة يا اذا كان حرف نداء

« في قول الراجز ابن الشظاظان وابن المربعة — « في قراءة ابن عامر على ما حكي في بعض الروايات من قوله افئيدة

القول في المسألتين اللتين ذكرهما النحويون أزيدا لم يضربه الا هو وأزيد لم يضرب الاياه — القول في قول الراجز · يايها الضب الخذوذان

القول في المسألة التي ذكرها ابن كيسان في كتابه المهذب وهو قوله هذا هذا هذا هذا — القول في مهيمن

القول في اللفظ المنقول من كتاب المراغي

« في يأجوج ومأجوج

« في الحديث المنقول انا فرط القاصفين

« في السمهى

وتحت ذلك · تمت والحمد لله رب العالمين · وكل ما في هذه الصفحة من خط الرسالة وقد وضع فوق كل عنوان رقم للورقة التي هو فيها والأرقام بخط جديد

وكتب على وسط الصفحة الأولى من الورقة الثالثة هذه الجملة في أربعة أسطر ١ رسالة الملائكة ٢ املاء الشيخ الامام ابي العلاء احمد بن ٣ عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ٤ قدس الله روحه · وكلها من خط الرسالة · وفي السطر الأول بعد لفظ الملائكة · لفظ وغيرهم من خط آخر وقد خط فوقها خطان علامة على إبطالها

وفي جانب السطر الأول ثلاثة أسطر مائلة من أعلى الصفحة الى يسارها ١ هذه المجلدة ملكاً لأولاد المرحوم الشيخ شهاب الدين ٢ بن عبد الباقي الحموي وهم محمد بركات

وعمر ويوسف ٣ وهي وديعة لم عندي وتحت السطر الرابع من الجملة الأولى الى يمين الصفحة مكتوب . الله ولي الذين آمنوا . وتحتها ملكه الفقير اليه وتحته كتابة محكوكة لم يفهم منها الا لفظ حسين بن . وتحتها افندي ويقابل السطر الذي فيه الله ولي . . من جهة اليسار سطران ١ لاسحق بن ابراهيم بن ابي اليسر بن عبد الله ٢ بن محمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي . وتحت ذلك كتابات محكوكة كلها

واسحق هذا لم أقف على ترجمته اما ابوه ابراهيم فقد توفى سنة ٦٣٠ وعمره خمس وثلاثون سنة وابو ابراهيم ابو اليسر شاكر صاحب ديوان الانشاء في الدولة النورية توفى سنة ٥٨١ وقد روى عنه ابن عساكر في تاريخه ولم يترجم فيه احدا من الاحياء الا أربعة هذا احدهم وابو شاكر عبد الله كان عالماً شاعراً توفي سنة ٥٦١ وابو عبد الله محمد وهو اخو ابي العلاء صاحب هذه الرسالة . ويستدل مما ذكرناه ان هذه النسخة كانت ملكاً لاسحق في أول القرن السابع

ما في هذه النسخة من أصل الرسالة

هذه النسخة الخطية غير تامة وانما كتبت فيها المسائل تامة على الترتيب الذي ذكر في الفهرست الى [القول في اللفظ المنقول من كتاب المراغي] وقد ذكر من هذه المسألة اربع ورقات ونصف فقط ولم تتم ولا ذكر شيء بعدها من المسائل الباقية واذا كانت أوراق هذه النسخة مقدرة على قدرها ولم يتمها الناسخ فالناقص منها قليل ولكن الظاهر يدل على ان الورقات الباقية الخالية من الكتابة لا تستوعب المسائل الناقصة اذا قيست بالمسائل المثبتة واذا تأملنا وضع الرسالة وترتيبها تبين لنا ان عدد المسائل التي سئل عنها ابو العلاء ست عشرة مسألة وقد وضع أمامها مقدمة لها ذكر فيها الملائكة وان المثبت في هذه النسخة المقدمة واثنتا عشرة مسألة تامة وبعض المسألة الثالثة عشرة والناقص ثلاث مسائل تامة وبعض الأخرى

ضبط النسخة وصحتها

وهذه النسخة مصححة بعد كتابتها بطريقين احدهما القراءة على شيخ والثاني مقابلتها بغيرها ويدل على ذلك ان بعض الكلمات المصححة زيدت في حواشي الصحائف .

وقد كتب على حاشية ص ١٤ · بلغت قراءة ومقابلة على الشيخ · ولم يبين أي شيخ هو · وفي ص ٣٢ جملة ذهب بعضها وبقي بعض ولعل أصلها بلغت قراءة عليه أدام الله أيامه وفي آخر ص ٣٩ بلغت قراءة عليه أيده الله ومثلها في ص ٧٩ و ص ٩٩ · ويظهر ان التصحيح من خط النسخة

معارضة القسم الذي طبعه الاستاذ الميمني بالمذكور في هذه النسخة

لا ننكر ان الاستاذ الميمني استفرغ المجهود في البحث عن الصواب · وذكر ما يحتمل ان يكون هو الاصل او الصواب او قريباً منه · ولقد أصاب في بعض دون بعض

واذا عارضنا المطبوع بالمخطوط تبين ان في النسخة الخطية زيادات لها قيمتها في نظر الباحث والمؤرخ وفيها نقص ولكنه قليل · وان في النسخة المطبوعة تحريفاً يعمي على القارئ طريق الفهم وتصحيفاً يشوه نضرة الكتاب والخطية في جملتها اقرب من أختها الى السداد والصواب ويمكن ان تقسم الفروق التي بينهما الى اربعة اقسام

الأول زيادة الخطية زيادة يخل تركها بالعادات او الآداب المتبعة او بايضاح المبهم او طريقة المؤلف وأسلوبه او بتأدية المعنى المراد او ما شاكل ذلك

الثاني تحريف في المطبوعة يغير المعنى او يفسده او يخالف المشهور او طريقة المؤلف

الثالث زيادة في الخطية او تحريف في المطبوعة لا يترتب عليهما شيء مما ذكر وانما يكون بين حسن وأحسن

الرابع نقص في الخطية

وهذه أمثلة من القسم الأول :

قلنا ان أول الرسالة المطبوعة بعد البسملة · وليس مولاي الشيخ أدام الله عزه وقد جاء أولها في الخطية بعد البسملة هكذا : قال ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وعترته المنتخبين · ديانة مولاي الشيخ أدام الله عزه وسلم جسده ونفسه تبعث من سمع بذكره على الشوق الى حضرته فاذا أضيف اليها علمه وأدبه هم ان يطير بالمشتاق اربه وليس مولاي الشيخ أدام الله عزه · ·

وقال في ص ٤ ولما وافى شيخنا ابو فلان بتلك المسائل ··· وفي الخطية ولما وافى شيخنا ابو القاسم علي بن همام بتلك ··

وفي ص ٧ فكأنهم فروا من المألكة من ابتدائهم ثم بجثوا بعدها بالالف ·· وفي الخطية · فروا من المألكة من ابتدائهم بالهمزة ثم يجيئون بعدها بالألف · وفي ص ١٩ وان أصل بياك بوأك اي بوأك منزلا ترضاه وأما قولهم ·· وفي الخطية منزلا ترضاه نخفف الهمز فأما قولهم · وفيها أيضاً اذا بني فعلاً من ذوات الياء يقلبه الى الواو ·· وفي الخطية · من ذوات الياء مثل عاش يعيش وطاب يطيب فانه يقلبه ·· وفيها أيضاً ويقبح عنده ان يقال صغرى بغير إضافة ولا الف ولام وقال سحيم ··وفي الخطية ولا الف ولام ولكن تقول هذه صغراك وصغرى بناتك وقال سحيم ·· وفي ص ٢١ هل يدري ما معنى الحور فيقول بعضهم هو البياض وفي الخطية · ما معنى الحور ومن اي شيء اشتقت هذه اللفظة فان الناس يختلفون في الحور فيقول بعضهم ··· وفي ص ٢٨ واحلف بروة الكذوب لان ارمى صابة او مقرا آثر لدي ··· وفي الخطية واحلف بجروة الكذوب وهي اذا كانت لي أعز سكان الراكدة علي لان آزم صابة او مقرة آثر لدي ··

وجعل خاتمة الرسالة المطبوعة وكلة حكم تسمع من حليف وسواس ثم قال تمت الرسالة بحمد الله وفي الخطية بعد قوله وسواس · ولا حول ولا قوة الا بالله ان اشدت شاهداً من الشعر فيجوز ان يكون له اروى وان ذكرت قولا من أقوال المتقدمين فلعله به أعرف واعتمادي على تفضله في الصفح والزلل واغتفاره ·· ثم ذكر بعد هذا : القول في إياك

ومن أمثلة القسم الثاني قوله في النسخة المطبوعة	وهي في النسخة الخطية هكذا
ص ٤ الكرة رهن المحاجن	الكرة وهي المحاجن
« « النادبة بالمنادب	النادبة بالمعاذب وهو الملائم لقوله الكاذب
« ٥ الاخفش او الفرا	الاخنس أو الفرا « « لسياق الكلام
« « وما حار بيدي	وما جاز بيدي
« ٦ وفي الهمز وهمز العلة	في الهمز وحروف العلة

ص ٧ اسماء الملائكة كلها من الأعجمية	اكثرها من الاعجمية
〃 ٨ لا عدت لها	لا عددت لها
〃 ٩ افيت ووفيت	وقتت وأقتت
〃 〃 حرزة	حزرة
〃 ١٠ تثبتا رحمكم الله	رحمكما الله
〃 〃 جاوبت حوالي ٠٠ مرّي	جاذبت حبالى ٠٠ مدّى
〃 ١١ ظبأ مع ظبي	حيا مع ظبي
〃 〃 وثومها	وفومها
〃 ١٢ لتهدم الحول	لمتهدم الجول
〃 ١٣ زُبنى او زبانى	زِبنى أو زُبُنى
〃 ١٦ جهابذة الأُدباء	خمان الأُدباء
〃 ١٩ الذي يبني به طابت	اذا بني به طابت
〃 ٢٢ حروف القف	حزون القف ٠ ورواه في اللسان رياض القف
〃 ٢٥ غريب في العامة	غربت بي العامة
〃 ٢٦ الهادم والمبيعة	الهادم والمسيعة
〃 ٢٧ عار بنضم	عار بعثم
〃 〃 في حسن العمر	في جن العمر
〃 ٢٨ برُوة الكذوب	بجروة الكذوب
ومن أمثلة القسم الثالث قوله في المطبوعة	وهو في المخطوطة هكذا
ص ٣ عنفوان الشباب	غيسان الشباب
〃 ٤ فسجنتني عنه سواجن	فشجنتني عنه شواجن
〃 〃 القول الكاذب	أقوال الكاذب
〃 〃 للنكرة والتعريف	للتنكير والتعريف
〃 ٥ حق مثلي	حق لمثلي
〃 ٧ فأقول فامهلني	فأقول امهلني
〃 ٨ الا غيظاً	إلا غلظة
〃 ١٠ لله دركما	لله أنتما

وهذا النوع كثير في النسخة المطبوعة وأما نقص الخطية عن المطبوعة فهو أقل من عكسه واكثره لا يترتب عليه اخلال بالمعنى وفيه ما يفسد نقصه المعنى او يغيره

فمن الأول قوله في المطبوعة	وهو في الخطية
ص ١٦ لم يحر في ذلك جواباً	لم يحر جوابا
« ٢٠ حسني على فعلي بغير تنوين	حسني بغير تنوين
« « قال عمر بن أبي ربيعة	قال ابن أبي ربيعة
« ٢٣ يمضي عليه أبد بعد ابد	يمضي عليه أبد
« « تقول ان عبقر	تقول عبقر

ومن الثاني قوله

ص ١٠ اريزبة وأرازب بالتشديد	اريزبة بالتشديد
« ١٩ قلت هذه الصغرى او صغرى بناتك	قلت الصغرى

وفيها كثير من تقديم بعض الكلمات على بعض ولكن الخطب في ذلك يسير لأنه لا يفسد المبنى ولا يغير أصل المعنى وذلك كقوله

في المطبوعة	وهو في الخطية
ص ٦ جبذ وجذب	جذب وجبذ
« ٢١ في هذا البيت بالياء	بالياء في هذا البيت
« ٢٣ الزيغ ولا الزال	الزال ولا الزيغ

وهناك كلمات ضبطها الطابع والشارح ضبطاً غير معناها او شرحها شرحاً أبعدها عن المعنى الذي يريده المؤلف كقوله ص ٢٤ اقتنع بالحيلة والسحاء .. جعل الحيلة من الاحتيال والسحاء ما يؤخذ من القرطاس . وقد تكلف لتصحيح المعنى وجعل الأصل من الحيلة بالسحاء .... والصواب بالحُبْلة والسحاء . والحبلة ثمر عامة العضاه وبقلة طيبة وشجرة تأكلها الضباب . والسحاء نبت تأكله النحل وقد ذكره الشارح ولم يرتضه . وشجرة لها زهرة تسمى البهرمة ونبت يأكله الضب . ويقال ضب ساح حابل اذا رعى السحاء والحبلة . وقد قال ابو العلاء في هذه الرسالة ولكني ضب

أقنع بالجبلة والسحاء .. فيتعين ان يكون المراد منها ما تأكله الضباب ولا يصح شيء مما تكلفه الشارح

وقوله ص ٢٨ رب دواء ينفع وصفه من ايس بناس . ضبط وصفه بالنصب . والصواب انها فعل ماض . وقوله بناس صوابه بآس فاجتمع في هذه الجملة علتان كل واحدة منهما مانعة من فهم المعنى المقصود

النسخة التي طبعها الأستاذ الكيلاني

طبع الأستاذ كامل الكيلاني رسالة الملائكة في الطبعة الثانية لرسالة الغفران سنة ١٩٢٥ نقلاً عن الرسالة المطبوعة . ثم طبعها مرة ثانية في الطبعة الثالثة لرسالة الغفران وقال في مقدمة هذه الطبعة . وقد توخينا في هذه الطبعة الثالثة ان ننشر النص الكامل لرسالة الملائكة فراجعنا ما وصلت اليه أيدينا من نسخها المطبوعة والمخطوطة وأصلحنا ما امكن مما بقي فيها من تحريف وفصلنا موضوعاتها ... وشرحنا من ألفاظها ما تمس حاجة القارئ الى شرحه ....

وقد عارضت هذه النسخة بالنسخة التي طبعها الراجكوتي فاتضح لي ان أول الرسالة وآخرها واحد فيهما وفيهما اختلاف في بعض المواطن كقوله :

في نسخة الكيلاني	وهي في نسخة الراجكوني
ص ٤٤١ رائد ظعن	رائد ظن
« ٤٤٣ الانسان في الفرق	الانسان الفرق
« « في همز	على همز
« « أما انا	فأما انا
« ٤٤٤ على محياها جليت	على يجياها جليت
« « حلت الندي	حلت الندى وكلاهما خطأ
« « فان كتب	كتبه
« ٤٤٦ اصل في بابه	اصلا في ..
« « آنيت الفساد	آنيت العشاء . وهو الصواب

ص ٤٥٠	نوحة وترنما	ترحة وترنما • وكذلك روى في اللسان وغيره
« «	عسيبًا اشما	عسيب اشاء • وهو كذلك في طبقات ابن السبكي
« ٤٥١	رحمكما الله	رحمكم
« ٤٥٢	ظبأ مع طي	ظيًا مع ظي
« ٤٥٣	معاثير ومعافير	مغاثير ومغافير • وهو الصواب
« ٤٥٤	لمهدم الحول	لنهدم الحول • وكلاهما خطأ
« «	فسلمى	فسلمى • وفي الأصل وسلمى
« «	سقرته اذا	سقرته اذ • والصواب سقرته الشمس اذا ••
« ٤٦٢	والمطيبين	والمطيبون • وهو الصواب
« ٤٦٤	فذهب سعيد	وزعم سعيد
« ٤٦٩	مخفقون مما	مخفقون فيما
« ٤٧١	من الحبلة بالسحاء	بالحيلة • وكلاهما خطأ
« ٤٧٢	في عداد الهمل	عداد المهلة • وكلاهما خطأ

الى غير ذلك • ومما ذكرنا يتبين ان الاصلاح قليل وان بعضه افسد المعنى اكثر مما في النسخة الثانية كقوله آنيت الفساد • عسيبًا اشمًا معاثير معافير عداد الهمل ••

وفيها زيادة غير سديدة كقوله ص ٤٤٤ فلما حلت الندى •••

وما عدا هذا فالنسختان سواء في أكثر ما قدمناه من التحريف والزيادة والنقص وهذا يدل على ان النسخة الخطية أصح من النسختين المطبوعتين وأقل خطأ وأكثر صوابا

(يتبع) محمد سليم الجندي

العامي والفصيح

تمهيد

كنت وانا أعمل في تأليف كتابي متن اللغة (واسمه يدل عليه) يعرض لذهني كلمات عامية لها معنى الفصيح الذي أدوّنه فأعلق الكلمة العامية على هامش الصفحة

وربما كان اللفظ العامي هو لفظ الفصيح ولكن الفصيح غريب والعامي مشهور فأعدّه من الغريب الفصيح في العامي او يكون في العامي تحريف قليل أو كثير من قلب أو إبدال فأدل عليه ولم أعنَ بالتحريف في الحركات لأنها فيما أرى اكثر من ان تحصى بين العامي والفصيح

وربما كانت العامية دخيلة او مولدة لم يعرفها الأولون بل عرفت في عصر العباسيين ومن بعدهم فأذكر ما وصل اليه بحثي فيها القاصر على الكتب العربية التي بيدي

وربما تراءى لي في بعض ما نسبه الباحثون في الألفاظ المعربة الى غير العربية وعده دخيلاً فيها، انه عربي او يمكن تخريجه على انه عربي فأذكر ما تراءى لي فيه لأنني رأيت ان بعضهم اسرف في إلحاق كثير من الكلمات العربية بالسريانية او غيرها من اللغات مع ان ارجاعها الى أصل عربي واضح او ممكن على الأقل فلا ينبغي والحال هذه جعله دخيلاً ما دام لعروبته وجه

ولما بلغت النهاية من تأليفي (متن اللغة) رأيت انه قد أصبح في يدي طائفة صالحة من هذه الكلمات العامية لأن يفرد لها مؤلف خاص يتوسع في البحث حسب الوسع والطاقة فشرعت في كتابي العامي والفصيح وأنجزت حتى الآن اكثر من ثلثيه

وانه لغني عن البيان ان اكثر ما ذكرته من العامي انما هو من اللهجة التي اسمعها كل يوم بل كل ساعة وهي لهجة جبل عاملة وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان وهاؤم اقرأوا كتابيه

الأرمِيَّة — عند العامة أصل الشجرة في الأرض ويغلب ان تكون كالعقدة او كالعقد المتصلة

(١) وهي اما من الأُرُومة قال في تاج العروس (والأرُومة) بالفتح (وتضم) لغة تميمية (الاصل ج أروم) وفي الصحاح الأُرُوم أصل الشجرة والقرن اه • وكأنهم الحقوا بالاروم ياء النسبة ثم حذفوا الواو واسكنوا الراء بكثرة الاستعمال فصارت أرْمِيَّة

(٢) وإما من الأُرْبِيَّة على الاستعارة من أربية الفخذ أبدلت الياء ميماً ومثل هذا الابدال كثير في الفصيح وفي العامي أيضاً والأُربِيَّة كما في الصحاح كأثفيَّة اصل الفخذ وفي الأساس الاربيتان لحمتان في أصل الفخذين تنعقدان من ألمّ الرجل وفي القاموس هي أصل الفخذ وفي اللسان : ما بين أعلى الفخذ وأسفل البطن ونقل عن اللحياني انها أصل الفخذ مما يلي البطن وهي فعلية اي همزتها أصلية وكأنه يريد انها من الأربة وهي العقدة وتأريب العقدة إحكامها

أقول وهذه التي تسميها العامة أرميَّة الفخذ

وفي اللسان أرْبِيّة الرجل أهل بيته وبنو عمه لا تكون الأربية من غيرهم قال الشاعر (وهو سويد بن كراع) :

واني وسط ثعلبة بن عمرو   بلا أربيَّة نبتت فروعا

هكذا رواية اللسان « بلا اربيَّة » وفي رواية الصاغاني « الى اربية » أقول وهذه تسميها العامة أرمية العيلة اي أصل النسب ويقول القائل منهم اذا أراد ذكر أصل نسبه أرمية عائلتنا فلان اي الجد الأكبر الذي تتفرع منه الأسرة ومن أمثالهم على الارمية تنبت السبربوخية اي على الاصل ينبت الفرع

(٣) وإما من أرمولة العرفج وهي جذموره قال في اللسان وارامل العرفج أصوله وارمولة العرفج جذموره فتصرفت فيها العامة الى أرمية

(٤) واما ان تكون هي القرمية بالقاف كما يلفظها أبناء جنوبي لبنان وأعرابهم فتكون من قِرْمِيَّة البُرَة على التجوز

قال في القاموس والقِرمِية بالكسر عقدة أصل البُرَة من أنف الناقة والبُرَة حلقة في أنف البعير او في لحمة أنفه اه • الا ان العامة تضم القاف • وقرميتنا هذه عقدة أصل الشجرة تحت التراب لا يقال لها قرمية ما لم تكن مجتمعة كالعقدة فاذا كانت الى الطول ما هي سميت جَزَرَة

مأروم تأرمت أفخاذه — ويقولون للفتاة المجدولة الخلق الى القصر ما هي ، مأرومة . وللفتى هو مأروم أرْماً

وفي اللغة المأرومة من الجواري الحسنة الأرم المجدولة الخلق

ويقولون تأرمت أفخاذه اذا تعبت وشكا ألمها من طول الركوب على مركب خشن وهو مأخوذ من ارم بمعنى قطع يقال ارمتهم السنون تأرمهم أرْماً اذا قطعتهم كما في التاج وغيره او من أرم بمعنى عضّ يقال ارم عليه بأرِم اذا عضّ وكل هذا من المجاز والفصيح في ذلك عَمِدت وفي اللسان عَمِدَ البعير عَمَداً ورم سنامه من عض القتب والحلس وانشدخ

أشِل مُؤشل — ويقولون أشِلَ فلانٌ وهو آشل ومؤشل والاسم الإشل وذلك اذا ضاقت يده فليس له شيء يملكه

واحسب انه من الأزل وهو الضيق والشدة قال في التاج أزِلَ فلان يأزل صار في ضيق وجدب وقال ابو معكت[1] الأسدي :

وليأزلن وتبكؤنّ لقاحهُ ويعللنّ صبيه بسمار

وفي اللسان الأزل شدة الزمان يقال هم في أزْل من العيش .. وأصبح القوم آزلين اي في شدة

والزاي والشين يتعاقبان كما في أزِم على فلان وأشم اذا ألمّ

يقولون بحّر الثوب — بحّر الثوب اذا غسله وهو جديد لأول مرّة قيل بأنها سريانية بمعنى اختبره وامتحنه

ويمكن القول بأنها عربية بمعنى أدخله البحر كما قالوا بخّره اذا أدخله دخان البخور ليطيبه

واطلاق البحر على الماء ملحاً كان او عذباً قال به كثير من الأئمة قال في القاموس المحيط انه يطلق على الماء الكثير عذباً كان او ملحاً وفي التاج انه غلب على الملح حتى قلّ في العذب ومن شواهد اطلاقه على العذب قول عدي بن زيد العبادي :

سرّه ماله وكثرة مايملك والبحر معرضاً والسدير

قال ابن منظور : أراد بالبحر هنا الفرات

(١) هو ابو مكعت كما في التاج

وقول ابن مقيل

ونحن منعنا البحران يشربوا به وقد كان منكم ماؤه بمكان

وقول جرير

كوماً مهاريس مثل الهضب لو وردت ماء الفرات لكاد البحر ينتزف

وقد أجمع اهل اللغة ان اليم هو البحر وجاء في الكتاب العزيز «فألقيه في اليم» قال اهل التفسير : هو نيل مصر

بَحَش وبحبَش – ويقولون بحش في الأرض وبحشها بمعنى حفرها ونبث ترابها وبحش وبحبش في الشيء بمعنى نقّب فيه وفتش والثانية اكثر ثم تمحضت بحش لمطلق الحفر وبحبش للتنقيب والتفتيش

قيل بأن بحش سريانية الأصل وأرى انها عربية النجار من بحث واصل البحث في العربية طلب الشيء في التراب كما في كتب الأئمة وفي اللسان البحث طلبك الشيء في التراب بحثه يبحثه بحثاً وابتحثه . والبحوثُ الابل تبحث التراب بأخفافها أخراً في سيرها

وفي التاج بعد نقله عبارة اللسان «فهو يتعدى بنفسه وكثيراً ما يستعمله المصنفون متعدياً بفي فيقولون بحث فيه والمشهور التعدية بعن كما للمصنف تبعاً للجوهري وارباب الأفعال» اهـ . والبحُثى والبحيثى لعبة يلعبونها في التراب

واذ صلح للكلمة المستعملة بين أبناء العرب ان تلحق بأصل لغتهم ولو بيسير من الكلفة او التغيير اليسير في المعنى وجب المصير اليه تفادياً من كيد الشعوبيين الذين يعملون لغمط العربية حقها ومكانتها بمحاولتهم ان يصرفوا الكثير من كلماتها الى غيرها مع انها بحر واسع فيه نفائس الدرر الغوالي ويأبى الله الا ان يتم نوره

أما تعاقب الشين والثاء فنظيره في الفصيح شلغه وثلغه اذا شدخ رأسه

ويمكن ان يقال ان بحش من بهش عن الشيء اذا بحث عنه نقله الصاغاني عن ابن عباد كما في التاج .

(يتبع) احمد رضا

دراسات عن مقدمة ابن خلدون

تأليف السيد ساطع الحصري ، بيروت ، مطبعة الكشاف ١٩٤٣

في ٣٢٤ صفحة من القطع الوسط

الاستاذ ساطع الحصري عالم من أئمة التربية والاجتماع ، كان جل همه ان يؤلف كتاباً في ابن خلدون يظهر فيه منزلته ويقارن بينه وبين فلاسفة الغرب الاجتماعيين . جمع افكاره في مقالات متفرقة سماها : دراسات عن مقدمة ابن خلدون .

وقد قسم دراساته هذه الى مدخل وثلاثة أقسام : فجال في المدخل بين التاريخ والمؤرخين ، وبحث في التاريخ والكهانة والتنجامة والسحر ومشيئة الله ، وبين موقف ابن خلدون من هذه الأمور كلها .

وأحاط في القسم الأول بحياة مؤلف المقدمة ونسبه وتاريخ كتابة مقدمته وطرافتها ولغتها ومعنى كلمة العرب فيها .

وتكلم في القسم الثاني عن منزلة ابن خلدون في تاريخ فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع فوازن بينه وبين (فيكو) و(مونتسكيو) وبين أثره في علم الاجتماع ومنزلته عند علماء الغرب .

وبحث في القسم الثالث عن آراء ابن خلدون ونظرياته ، فأتى على ذكر موضوع علم التاريخ وطبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم والقسر الاجتماعي والتقليد وطبائع الأمم وسجاياها ونظرية العصبية والخط والكتابة .

ومن طالع هذه الدراسات استحسن من مؤلفها حرصه على الضبط العلمي ، وقدرته على الاستقراء والتحليل ، والنقد والتعليل ، وميله الى انتقاء أحسن نصوص المقدمة ، واتباعه في دراستها طريقة تاريخية محضة فلم يشوه حقيقتها ، ولا خفيت عليه مقاصد صاحبها ، بل شرحها شرحاً وافياً ، وانتقدها انتقاداً تاريخياً كافياً . قال : « ان الذين يطالعون مقدمة ابن خلدون يقرأونها عادة كما تقرأ الكتب الحديثة ، وينتقدونها بوجه عام كما تنتقد المؤلفات العصرية ...... ويميلون الى وزن الآراء الواردة فيها بموازين المكتسبات العلمية الحالية ، من غير ان يلتفتوا الى عدد القرون التي تفصل

بيننا وبين تاريخ كتابة المقدمة المذكورة ، في حين ان قيمة المؤلفات القديمة ، ومنزلة المفكرين القدماء — في تاريخ العلوم والأفكار — لا يمكن ان نقدر على هذه الطريقة .

« ذلك لأن كل عالم ومفكر يشترك — بوجه عام — مع معاصريه في معظم آرائهم ، فيشاطرهم اكثر اخطائهم ، ولا يمتاز عليهم الا في « بعض الاراء » التي يتوفق الى ابتكارها ، و « بعض المعلومات » التي يتوصل الى اكتشافها . » — (ص ١١)

وهذا لعمري خير طريق لبيان منزلة العالم او الفيلسوف او الكاتب في تاريخ العلوم والأفكار ، اذا خالفه الباحث وقع في مهاوي الزلل ، وخفيت عليه الآراء المبتكرة والحقائق الجديدة التي اضافها كل منهم حظيرة العلم .

وقد نحا صاحب هذه الدراسات في طريقته التاريخية نحو العلماء في النقد الداخلي والخارجي ، فاستدل بذلك على ان ابن خلدون قد كتب بعض أقسام المقدمة بعد عودته الى تونس ، وبعضها الآخر بعد هجرته الى مصر ، مثال ذلك فصل « حقيقة النبوة » فهو من الفصول التي كتبت بعد إتمام سائر فصول المقدمة ، لانه يختلف عنها بأسلوبه وروحه وغايته . وكذلك القسم الثاني من الفصل الذي يقرر « وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته » ، فانك تجد فيه عدة قرائن تدل على انه كتب بعد القسم الأول منه بمدة غير يسيرة ، لأن القسم الأول يتضمن أبحاثاً تعتمد على التفكير العلمي النظري والاستدلال العقلي المنطقي ، اما القسم الثاني فيعتمد على الكشف والالهام واشراق النور الالهي ، فينم على تفكير ديني محض ونزعة صوفية عميقة .

ولو استطاع المؤلف ان يطلع على نسخ المقدمة الخطية لجاء نقده الخارجي أتم واكمل . الا ان شروط حياته الحاضرة قد حالت دون وصوله الى بغيته ، فاقتصر في نقده الخارجي على دراسة النسخ المطبوعة كطبعة باريز وترجمتها الى الفرنسية ، وطبعة الشيخ نصر الهوريني بالقاهرة ، والترجمة التركية وغيرها ، فقارن بين النسخ الخطية كما بدت له من خلال هذه النسخ المطبوعة ، واستخرج منها بعض القرائن التي تدل على تاريخ كتابة بعض فصول المقدمة وتطور أسلوب ابن خلدون وتغير آرائه واختلاف غاياته .

وقد ذكر ذلك كله بأسلوب سهل واضح ، فاذا أتى بمسألة قدم لها المقدمات

ثم أحاط بأصولها وفروعها ، واذا ذكر فيلسوفاً او عالماً أتى بنبذة من تاريخ حياته وبجملة من آرائه ، فلا يجد القارئ غموضاً في مطالعتها ، بل يقف منها على حقيقة الأمر وجليته ، وينكشف له الغطاء ويزول الارتياب .

والحرص على الوضوح في أساليب التعليم قد يسوق العالم في بعض الأحيان الى التكرار والترديد والاسهاب . فيفرط في الكلام وتقديم المقدمات وشرح المسائل واستنباط النتائج كما فعل الاستاذ الحصري في كلامه عن حياة (فيكو) و (مونتسكيو) وإفاضته في شرح آرائهما واسهابه في قصة الملك (قرزوس) و كاهنة (دلفي) ، واستعراضه الآراء التي ذهب اليها العلماء في تعليل طبائع الأمم وسجاياها .

قال في الموازنة بين ابن خلدون و (فيكو) :

« ولا نرانا في حاجة الى القول بأن ابن خلدون كان اكثر اصابة وأسلم تفكيراً من فيكو في هذا الموضوع » ، (ص ١٦٥) ثم عاد الى ذلك في الصفحة ١٦٦ فقال :

« ولا حاجة للبيان ان رأي ابن خلدون في هذه المسألة أيضاً أقرب الى الصواب من رأي فيكو » . ثم قال في الصفحة ١٦٧ :

« فلا مجال للشك اذن في ان نزعة ابن خلدون الفكرية في هذا الصدد كانت أقرب من نزعة (فيكو) الى مناحي الأبحاث العلمية » وقال في الصفحة ١٦٨ :

« فلا نرانا في حاجة الى البيان ان خطة ابن خلدون في هذا المضمار اقرب من خطة فيكو الى الروح العلمية » وقال في الصفحة ١٦٩ :

« ان مقدمة ابن خلدون اقرب من كتاب (فيكو) الى أسس علم التاريخ وفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع وفلسفة الاجتماع » .

ولو جمعت هذه الأقوال كلها في عبارة واحدة ، ووضعت داخل قوس ، كما يقول الرياضيون لكان ذلك أقرب الى القصد وأوفى بالمرام . وربما كان عدم التصريح بالأمر أقرب الى دقة التفكير ، كما يقول رينان ، من التصريح به . فما بالك اذا صرح به الكاتب خمس مرات في خمس صفحات متتابعة .

وكما يدل أسلوب الأستاذ الحصري في شرح مسائله على طريقته التعليمية ،

وكذلك تدل الاصطلاحات التي وضعها على ذوقه وفنه • فقد ترجم كلمة « Objectif » بالشيئي ، و « Scolastique » بالدرساني والكلاني ، و « Raionaliste » بالعقلاني ، و « Système » بالانظومة • « Idée - force » بالفكر القوانية ، ونحت من كلمتي (أب) و (رئيس) كلمة (أبيس) على وزن أمير ثم جمعها على (أبساء) للدلالة على كلمة « Patriarches » • ونحن وان كنا لا نجاري المؤلف في جميع هذه الاصطلاحات ، فاننا نعجب من حذقه فيها ، ومهارته في تثبيت المعاني وتوضيحها • فالمعاني لا تقوم في النفس الا اذا ارتكزت على اصطلاحات علمية ثابتة ، وقد قيل الاصطلاح هو نصف العلم ، لا بل هو العلم كله • ولو اتبع علماؤنا هذه الخطة في وضع الاصطلاحات وعرضوا ما وضعوه منها على المجامع اللغوية ، وتعاونوا على تثبيت المعاني لخرجنا شيئاً فشيئاً من الفوضى العلمية المحيطة بنا • ولكن كل عالم من علمائنا يعمل وحده ، و كل قطر من أقطار الشرق العربي يسير في ذلك بمعزل عن الآخر ، فلا يكتب البقاء في هذا التنازع الطبيعي الحر الا للاصطلاحات القوية التي تتغلب على غيرها ، فتنتقل من عالم الى عالم ، ومن قطر الى قطر ، وتعم أقلام الكتاب والسنة العلماء وتستقر في الأذهان • وأقوى هذه الاصطلاحات ما كان مقتبساً من الكتب العربية القديمة مع تبديل جزئي في معناه ، فلا يمجه الذوق العربي ولا ينكره العلم الحديث • وقد وفق الاستاذ الحصري لبعض هذه الاصطلاحات في قوله الأحكام الخبرية ، والأحكام الانشائية ، والقسر الاجتماعي ، والنقد التفسيري وغير ذلك من الاصطلاحات المقتبسة من مقدمة ابن خلدون نفسها •

ولو قلده المؤلفون في اختيار النصوص للطلاب لوفروا عليهم كثيراً من العناء • الاان بعض هذه النصوص قدجاءت مختلفة عن الأصل قليلاً ،مثال ذلك قوله في ص ٢٤٤ :

« ان عدوان أهل المدينة بعضهم على بعض ، تدفعه الحكام والدولة ، واما العدوان الذي من خارج المدينة ، فيدفعه سياج الاسوار • وذياد الحامية ، وأعوان الدولة » .

بدلاً من قول ابن خلدون :

« فأما المدن والأمصار ، فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الحكام والدولة بما

قبضوا على أيدي من تحتهم من الكافة ان يمتد بعضهم على بعض ، او يعدو عليه ، فهم مكبوحون بحكمة القهر والسلطان عن التظالم ، الا اذا كان من الحاكم بنفسه . واما العدوان الذي من خارج المدينة ، فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة ، او الغرة ليلاً ، او العجز عن المقاومة نهاراً ، او يدفعه ذياد الحامية من أعوان الدولة »

المقدمة ؛ (ص – ٧١) من طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة .

وهذا جائز على شريطة ان يشير المؤلف الى العبارات الناقصة بنقط تدل على الألفاظ المحذوفة . ومهما يكن من أمر ، فقد اثبت لنا المؤلف في هذه الدراسات النفيسة ، ان ابن خلدون هو مؤسس فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع معاً ، وانه جاء قبل عصره بأجيال ، وانه اول من عالج القضايا الاجتماعية بأسلوب علمي ، وأول من تكلم عن أثر الحياة الاقتصادية في تطور التاريخ ، واول من قال بخضوع الحوادث الاجتماعية لروابط طبيعية ضرورية ، واول من تكلم عن الرابط الاجتماعي ، واوضح تكون الجماعات والدول ، وبحث عن طبائع الأمم وسجاياها ، فالمقدمة كتاب اجتماعي تام ، مشتمل على الاجتماعيات العامة ، والاجتماعيات السياسية ، واجتماعيات الامصار ، والاجتماعيات الاقتصادية ، والاجتماعيات الادبية . وأشار المؤلف في نهاية كتابه الى بعض الدراسات الأخرى التي عزم على انجازها : كالدولة في مقدمة ابن خلدون ، وآراء ابن خلدون في الحرب ، وابن خلدون والمذاهب الاجتماعية ، وآراء ابن خلدون في الدين واللغة والأدب ، وابن خلدون في الكتب العربية . ولم نجد في هذا العرض العام إشارة الى فلسفة ابن خلدون العامة . ونعتقد ان لآراء صاحب المقدمة في نظرية المعرفة ، وحدود العقل ، والاطلاع على ماوراء الحس ، وانتقال الاكوان من طور الى طور ، قيمة خاصة في تاريخ الفلسفة العامة ، حتى ان فلسفته الاجتماعية ليست الا نتيجة لهذه الفلسفة العامة التي نجدها في تضاعيف مقدمته . فمن ذلك قوله في حدود العقل ان احكامه صادقة في الأشياء التي لا تخرج عن طوره ، وانه اذا خرج عن هذا الطور عجز عن الوصول الى اليقين . ومن ذلك أيضاً تمييزه الامكان العقلي المطلق من الامكان بحسب المادة التي للشيء ، وإبطال فلسفة ما بعد الطبيعة ، وانتقاد المذهب الخيالي وغير ذلك من الآراء التي ترفعه الى صف كبار الفلاسفة النظريين . فاذا

أضاف الأستاذ الحصري الى مباحثه هذه دراسة خاصة عن ابن خلدون الفيلسوف ، جاءت دراساته تامة ، وسدّ في تاريخ الفكر العربي خلة لا يستطيع غيره من الكتاب المعاصرين ان يسدها .

ولعله عند اتمام دراساته هذه يأتينا بفهرس عام لكل ما كتب باللغات الاجنبية واللغة العربية عن ابن خلدون . ففي ذلك فائدة علمية لا تخفى على أحد .

ونرجو ان يوفق الاستاذ لإتمام ما عزم عليه وان تجيء دراساته القادمة خالية من الهنات اللغوية . ففي هذه الدراسة هنات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال قوله : كلتا الاطروحتان (ص — ٨) — اثنى عشر سنة (ص — ٨) — غث وثمين (ص — ١٥) اضطرت الحراس والجلادون (ص — ٣٣) — لم يجد عمل ابن خلدون تلاميذ وشراح ومعقبين ، (ص — ٤٤) — بمعاني خاصة (ص — ١٠٢) — ان المصريون خدموا التاريخ (ص — ١٤٧) سبعة سنوات (ص — ١٥٣) — ان أهل الكتاب المتبعون للأنبياء (ص — ٢٤٢) — لم يتأتى (ص — ٢٤٨) — بعد العاملين السالفين الذكر (ص— ٢٦٠) — أهل هذه الأقاليم متأخرين (ص—٢٦٧)—الخ . . .

ولولا هذه الهنات اللغوية لكانت دراسات الأستاذ الحصري أحسن ما كتب حتى الآن باللغة العربية عن مقدمة ابن خلدون ، فهو لم يتعصب على صاحب المقدمة كما فعل بعض الكتاب المعاصرين ولا تعصب له ، بل وزن آراءه بميزان علمي صادق ، فاذا تعهد لغة دراساته بقليل من العناية ، أتى ما هو مظنون بمثله ومأمول منه ،

جميل صليبا



أقول في المقول

— ٦ —

٢٨ – وورد في هذه المجلة[1] : «وينقل البارع [الهروي] مؤلف الكتاب أبياتا لشعراء لم نعرفهم في هذه الديار ومنهم الشيخ الامام مجد الدين علي بن الهيصم» قلت : وهل يشك أحد في انّ عشرات من الأدباء والشعراء والعلماء وغيرهم من أهل الصناعات الفنية قد عمّى على الناس أخبارهم الاغفال واهمال الكتب[2] ، ولا بدّ للأدباء والمؤرخين ان يتعاونوا لمعرفة الذي وطيءَ ذكرهم الاغفال والاهمال ، كالبارع الهروي أما علي بن الهيصم فاني أعلم شيئاً من أخباره وأعرف مظنة لقطع من اشعاره ، قال ياقوت: «علي بن عبد الله بن محمد بن الهيصم الهروي الامام صدر الاسلام مات[3] . . . ذكره أبوالحسن [علي بن زيد] البيهقي في كتاب الوشاح فقال : قد بلغ من العلم أطوريه ، فلا فضل الا وهو منسوب اليه وقد اختلفتُ مدة مديدةً اليه وقرأت ما شئت من دقائق العلوم عليه» الى ان قال : «ومن تصانيفه مفتاح البلاغة ، كتاب البسملة، كتاب نهج الرشاد ، كتاب عقود الجواهر ، كتاب لطائف النكت ، كتاب تصفية القلوب ، كتاب ديوان شعره» وذكر له مقطوعتين في وصف الربيع والتهنئة بعيد الأضحى[4]

وجاء ذكره استطراداً في كتاب القفطي ، فقد قال في ترجمة محمد بن احمد بن عبد الله الامام المقتفي لأمر الله العباسي ما صورته : «ذكره علي بن الهيصم في كتاب عقود الجواهر وانشد له من قصيدة أولها : عمر الامام ودينه الأديانا[5] . . .» وأورد له العلامة علي بن محمد المازندراني المعروف بابن شهراشوب شعراً فقال : «ولعلي ابن الهيصم :

---

(١) ص ٢٩٢ من الجزء السابع من المجلد ١٧ (٢) منهم مؤلف «ما لا يسع الطبيب جهله» من الادوية المفردة وهو المعروف بجامع الخوي ، ومؤلفه يوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكبيثي ، فهل يستطيع أحد ان يأتي له بترجمة ولو مختصرة ؟ ! (٣) بياض بالأصل (٤) معجم الأدباء «ج ٥ ص ٢٣٣» (٥) القفطي في كتاب [المحمدون من الشعراء وأشعارهم] . مخطوط بدار الكتب الوطنية بباريس ، رقم ٣٣٣٥ ورقة ١٨ من العربيات

الحمدلله ذي الافضال والكرم ٠٠ »الى آخر ثلاثين بيتاً[1] ٠ فأمره واضح بعض الوضوح ٠

٢٩ — وجاء في ص ٣٢٢ من الجزء المذكور أنّ « سوف لا أتردد في تأديبه » غلط وصوابه « لن أتردد » وهذا من آثار العلامة اليازجي ، او من أقوال ناشر لأثره[2] ٠ وقال فيها ان من الأوهام قولهم « تأمل في كذا » وصوابه « تأمله » كما يستعمله بلغاء الكتاب وفصحاؤهم ، قلنا : وقد أغار على ما كتبنا في احدى المجلات فادّعاه لنفسه[3] ونحن لا تدّعي الا ما لنا من التنبيهات اللغوية ، أما كشفنا عن حقيقة الغارات الأخرى فمن الملاطفة ٠

٣٠ — وجاء في ص ٣٢٣ « وأما الطائرة فلا تدل إلا على ما ستطير عن قليل (كذا) اوعلى ماستصير طائرة[4] عن قليل ، لأن هذا معنى الفاعل مذكراً أو مؤنثاً ٠٠٠ ولذا لا يحسن ان يقال طائرة بل طيارة » قلنا : وهذا وهم لأن « الطائرة » صارت من الاسماء ولم يبق لها في الحدث ذي الزمان نصيب ، فهي كقادمة الرحل والهاوية والداهية والمصيبة والقابلة والنائحة والزاوية ، فهذه الاسماء على اختلاف أبوابها لا يُراد بها الحدث لاستغراق الاسمية لها ، واسماء الآلة التي جاءت على وزن « اسم الفاعل » اكثر من التي وردت على وزن « فعال » و « فعالة » لان هذا الوزن الأخير بمؤنثه ومذكره موضوع في اصل اللغة لنسبة الفعل او الشيء الى الموصوف به كالظلام ٠ بمعنى ذي ظلم والعطار بمعنى ذي العطر واذا كانت هذه النسبة تقتضي في الغالب التجريد من الحدث المقارن لزمان غلبت صيغة « فعال » في الحرفة والصناعة والمهنة فقيل « عطار ودلاّل ، وبياع وسرّاق ، وقوّاد وعيار وقصار » فالوجه ان تسمى المرأة « الطيارة » كما سمي الرجل « طياراً » ومنه لقب الشهيد جعفر بن أبي طالب — أعني الطيار — وكان المعتضد بالله يلقب بالسفار وأول خلفاء بني العباس بالسفاح والمرأة التي تطرّ الجيوب بالطرارة ٠ وقالوا في المبالغة « ولاّدة » فالاسماء التي على وزن «فعالة» من اسماء الآلة ، هي من مخالفات أصل الاشتقاق فاشتقاقها استعاريّ ٠ كما ان (مفعلاً) في مبالغة اسم الفاعل — كما سمي — مستعار من أوزان الآلة كمسعر حرب ٠

(١) ابن شهراشوب في [مناقب آل ابي طالب ج ١ ص ١٩٦ من طبعة بلاد العجم ٠

(٢) مغالط الكتاب [ص ٥٥] (٣) راجع لغة العرب آمج ٦ ص ٣٤٠ ، ٨٠٢ ، ٩٠٣

(٤) كذا ورد وهو خطأ والصواب تذكير الفعل بعد [ما] الموصولة وذلك أسلوب العرب الفصحاء ٠

٣١ — وجاءت في ص ٣٢٣ تخطئة من قال: «أضفيتم عليه جلالاً» وقال المخطئ: «أضفى لم يرد في كلام السلف بمعنى أسبغ وأفاض» قلنا: أضفى عليه كذا إضفاءاً من بديع الاستعارات الحديثة، فكيف نعد خطاءاً؟ وقالوا ضفا الثوب أي سبغ فهو ضاف اي سابغ وقالوا: نعمة ضافية اي سابغة ولكنهم قالوا: أسبغ الله النعمة ولم يقولوا: «أضفى الله كذا» فكأن القائل لهذه الاستعارة الجميلة حفظتها له حتى قالها هو، ولن يرسخها بعض الارساخ، تعقيب الناقد، فالجميل جميل، ثم اننا ننقل كلاماً للناقد يدل على انه لا حق له في تخطئته من قال: «أضفاه» البتة، قال: ان كتب اللغة لا تحوي جميع المفردات ... واذا كان القياس لا يمنع وضع لفظة فاتباعه لمعنىً جديد مستحب ... وهذا كلام واضح في انّ دواويننا اللغوية لا تحوي مفردات لغتنا من قياسية وغير قياسية ... قال حضرته لم يجيء في كلامهم نصره ينصره تنصيراً للمبالغة والتكثير، قلنا لو قال: لم نجد نصره (بالتشديد) في دواوين اللغة لسلمنا له بالأمر أما انه لم يجيء أبداً فهذا ما نخالفه فيه لان ابن قتيبة يقول: وتدخل فعّلت على فعلت المجردة اذا اردت كثرة العمل ... من غريب صنعه انه يأمرنا بالجري على آثار السلف او بالجمود أو قل بالهمود وهو يخالف ما يأمرنا به ... كان السلف منا يتخذ الألفاظ للمعاني وحضرته يريد منا ان نتخذ المعاني وهو عندي أمر جائر لا يقبل به[1] (كذا) أحد من المعاصرين اذ المعاني هي كالأرواح للألفاظ او كالصورة للمادة او كالقالب للجوهر او كسكان البيت للبيت الذي يأوون اليه[2] ...» الى آخر كلامه الذي أراد به تجويز «عضده تعضيداً» وان لم تذكره كتب اللغة للمبالغة.

أما نحن فيكفينا إيراد كلام الناقد وان نزيد عليه ذكر القاعدة المجوّزة للاضفاء وغيره، قال محمد بن عبد القادر الرازي في مقدمة مختار الصحاح: «وكذا أيضاً[3] لم نذكر الفعل المتعدي بالهمزة او بالتضعيف بعد ذكر لازمه لأنّ لازمه متى عُرف فقد عرف تعدّيه بالهمزة والتضعيف من قاعدة العربية، كيف وان تلك القاعدة مذكورة

(١) كذا والصواب [لا يقبله] (٢) لغة العرب [٦: ٧٨٣] ومابعدها (٣) هذه صورة وفيه تأييد لما ذكره الناقد من اختلاف معانيها وامتناع تعاقبها على معنى بعينه

أيضاً في حرف الباء الجارّة من باب الألف اللينة في هذا المختصر فان اتفق ذكر الفعل لازماً او متعدياً بواسطة فذلك لفائدة تختص بذلك الموضع غالباً» وقال في الباء: «وكل فعل لا يتعدّى فلك ان تعدّيهُ بالباء والهمزة والتشديد تقول: طار به وأطاره وطيره» اهـ. وقياس تعدية اللازم ظاهر في كلام امام النحويين سيبويه «الكتاب ج ٢ ص ٢٢٣».

٣٢ — وجاء في ص ٣٢٥ من الجزء: «لم أجد بين الكتاب من يعرف الفرق بين الموقت والوقتي فقد يستعملون الواحد بدل الآخر بدون[1] أدنى فرق مع الواحد غير الآخر». قلنا: وقد أغار أيضاً في نقده هذا، ألا ترى أننا قلنا قبل ثلاث عشرة سنة في إحدى المجلات العراقية: «وقالوا جريدة أدبية تصدر في الاسبوع موقتاً. وأرى هذه الوظيفة موقتاً «مُريدين من دون وقت محدود» مع ان «الموقت هو الذي يكون في وقت معين معلوم فالصواب: «تصدر بلا أجل مسمى» او «غير موقتة[2]» وهو قد زاد «الوقتي» ولا ننكره عليه.

وتكلم على إبدال الهمزة من الواو المضمومة التي في أول الكلمة فقال: «والعرب تعاقب بين الهمزة لا سيما اذا كانت في الأول وكانت مضمومة ... وكل[3] واوٍ مضمومة همزها جائز في صدر الكلمة وهو في حشوها أقل. قلنا: وقد عكسوا الأمر فقد قالوا الأُثن وأصلها الوُثن والأُشّق واصلها الوُشّق وقالوا في الصنم وُدّ: أدّ الى ما لا حدّ له» اهـ قلنا: ليس في الأمثلة التي ذكرها عكس للقاعدة الصرفية. بل فيها قلب الواو همزة أيضاً. أما العكس فهو ان يقال في الأُسرة «وُسرة» وفي الأُسوة «وسوة» وهو بعيد عن العرب لأنها طلبوا الخفة بقلبهم الواو همزة[4].

بغداد (يتبع) الدكتور مصطفى جواد

(١) كذا والفصيح من دون أدنى لأن الباء تفيد الاستعانة فالاتصال ويكون المعنى بأقل أدنى فرق وهو غير مُراد، ولعل بدون شاعت منذ القرن الرابع. (٢) لغة العرب (٨: ٥٣٠)

(٣) نقل هذا الكلام الى قوله أقل من المجد الفيروزأبادي في مادة وقش ونسبه اليه (٤) قال شيخ الحنابلة الامام ابو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٥١٣ هـ في كتابه (الفنون) ما هذا نصه: قال ابو زيد قلت للخليل: لِمَ قالوا في تصغير واصل (أُويصل) ولم يقولوا وويصل؟ قال: كرهوا ان يشبه كلامهم نبح الكلاب (مخطوط رقم ٧٨٧ ورقة ١٤ من نسخة باريس).

مخطوطات ومطبوعات

مخطوطات نادرة

عثرنا على مجموعة نفيسة من المخطوطات النادرة القديمة كتب بعضها سنة ٤٢٠ وبعضها سنة ٤٢٨ للهجرة وهي سبعة كتب في مجلد واحد بخط واحد

(١) كتاب عنوان المعارف وذكر الخلائف تأليف الوزير الصاحب ابي القاسم اسماعيل بن عباد ابتدأ فيه بذكر النبي ﷺ . فذكر نسبه الشريف ومولده ورضاعه وسفره للشام ومبعثه وهجرته وجملة من مغازيه المشهورة وازواجه واولاده واعمامه وعماته واسماء افراسه ودرعه وسيفه وحاجبه ونقش خاتمه ووفاته وغير ذلك بوجه الاختصار ثم ذكر الخلفاء الأربعة وخلافة الحسن ودولة بني أمية ومن بويع له بالخلافة في مدة بني أمية ودولة بني العباس الى المطيع بن المقتدر الذي كان في أيامه ويذكر في كل واحد من بني أمية وبني العباس اسم أمه وتاريخ بيعته ومولده واسماء وزرائه وقضاته وحجابه ونقش خاتمه وتاريخ وفاته ومدة خلافته والوقائع المشهورة في أيامه كل ذلك بوجه الاختصار . والكتاب يقع في ٣٥ صفحة كل صفحة ٢٠ سطراً وكذا جميع الصفحات . وفي آخر النسخة : تم الكتاب والحمد لله وصلواته ورحمته على نبيه وخيرته من خلقه محمد وعترته الطاهرة وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل وكتب في رجب سنة عشرين واربعمائة وكتب في آخر النسخة أيضاً ما صورته : نسخ منه ابو النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بلغ مناه في آخرته ودنياه .

(٢) كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رواية محمد بن علي ابن ابراهيم بن هاشم عن أبيه عن جده عن محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن الاصبغ ابن نباتة عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب ويقع الكتاب في (٧١) صفحة ولم يذكر تاريخ كتابته لكن خطه عين خط الكتاب السابق فعلم ان تاريخ كتابتهما متقارب وفي آخره ما صورته : تم الكتاب بحمد الله وصلواته ورحمته على نبيه محمد وعترته

الطاهرة وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل وكتب على ظهره ما صورته : نسخ منه ابو النجيب الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ·

(٣) رسالة مرسلة الى القاضي احمد بن ابي دؤاد في فضل العلم لم يذكر اسم مرسلها وهي في ست صفحات ونصف صفحة · قال في أولها كان يقال إن السلطان سوق وانما يجلب الى كل سوق ما ينفق فيها — الى ان قال — : وقد نظرت في التجارة التي اخترتها وتأملت السوق التي أقمتها فلم أر شيئًا ينفق فيها الا العلم — الى ان قال — : ولا اعلم شيئًا ادعى الى التحاب وأوجب في التهادى وأعلى منزلة واشرف مرتبة من العلم ثم ذكر فضل الكتب فقال : والكتاب قد يفضل صاحبه ويرجح على واضعه بأمور (منها) ان الكتاب يقرأ بكل مكان ويظهر ما فيه على كل لسان وموجود في كل زمان على تفاوت الأعصار وتباعد الأمصار وذلك أمر يستحيل في واضع الكتاب وقد يذهب العالم وتبقى كتبه ويفنى العقل ويبقى أثره ولولا ما رسمت لنا الأوائل من كتبها وخلدت من جمع حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها المستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خس حظنا في الحكمة وانقطع سببنا من المعرفة وفي آخرها : تمت الرسالة والحمد لله وحده وصلواته ورحمته على نبيه محمد وعترته الطاهرة وكتب في شهر ربيع الأول سنة عشرين واربعمائة وكتب على ظهرها ما صورته أصفحه ونقل عيونه ابو النجيب الكرخي بلغ مناه في آخرته ودنياه ·

(٤) كتاب أدب الصغير لابن المقفع في ٢٨ صفحة وفي آخره تم كتاب أدب الصغير لابن المقفع والحمد لله وصلواته ورحمته على نبيه وسيد خلقه محمد وعترته الطاهرة · وكتب على ظهره ما صورته : تصفحه ونقل عيونه ابو النجيب الكرخي بلغ مناه في آخرته ودنياه

(٥) كتاب ذخائر الحكمة تأليف ابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي قال في أوله : هذا كتاب جمعنا فيه ذخائر استودعتها الحكماء الصحف على قديم الدهر وزبروا بعضها في الصخر ضنا منهم بالحكمة وايثارا منهم لبثها في الناس بعد موتهم يقع في ٤٩ صفحة وفي آخره تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته ورحمته

على نبيه وسيد خلقه محمد وعترته الطاهرة وحسبنا الله ونعم الوكيل . وكتب على ظهره ماصورته: تصفحه ونقل عيونه ابوالنجيب عبد الرحمن الكرخي بلغ مناه في آخرته ودنياه

(٦) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف مسكويه لم يذكر اسم من اختصره وجاويدان خرد لفظ فارسي معناه العقل الخالد وفي أول هذا المختصر ما صورته : نتف وآداب انتخبت من آداب جاويدان خرد الذي ألفه احمد بن محمد مسكويه وهي تشتمل على حكم الفرس والروم والهند والعرب يقع في نحو ١٠ صفحات الا شيئاً يسيراً .

وبعد ما أورد المختصر مختصره هذا قال ما صورته حكى ابو عثمان الجاحظ خبر هذا الكتاب في كتابه المسمى استطالة الفهم فقال حدثني الواقدي قال قال لي الفضل بن سهل : لما دعي للمأمون بكور خراسان بالخلافة جاءتنا هدايا الملوك ووجه ملك كابلستان بشيخ يقال له ذوبان وكتب يذكر انه وجه بهدية ليس في الأرض اسنى ولا ارفع ولا انبل ولا افخر منها فعجب المأمون وقال مثل هذا الشيخ ما يكون معه من الهدايا فسألته فقال : ما معي شيء اكبر من علمي قلت فأي شيء علمك فقال تدبير ورأي ودلالة فأمر المأمون بانزاله واكرامه وكتمان امره فلما اجمع على التوجيه الى العراق لقتال أخيه محمد دعا ذوبان وقال ما ترى في التوجيه الى العراق لقتال محمد فقال رأي مصيب وملك قريب . ثم حكى الجاحظ عن ذوبان بإسناده انه كان يسجع سجاعة الكهان ويصيب في كل ما يسأله المأمون فلما ورد عليه كتاب فتح العراق دعا بذوبان وأكرمه وأمر له بمائة الف درهم فلم يقبلها وقال اني لست أردها عن استصغار لقدرها وسوف أقبل منك ما بفي بهذا المال ويزيد وهو كتاب يوجد بالعراق فيه مكارم الأخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس يوجد في الخزائن عند الإيوان بالمدائن فلما قدم المأمون بغداد اقتضاه ذوبان حاجته . ووصف للمأمون مكان الكتاب في الإيوان فأرسل رسولاً لحفر في الموضع الذي وصفه فوجد صندوقاً من زجاج أسود عليه قفل فحمل الى المأمون فدعا بذوبان فقال هذه بغيتك فقال نعم ثم فتح القفل وأخرج خرقة ديباج ونشرها فسقط منها مائة ورقة وقال هذا كتاب جاويدان خرد اخرجه كجور وزير ملك ايرانشهر من

الحكمة القديمة . ونسخ الحسن بن سهل منها نحواً من ثلاثين ورقة ولم يمكنه ذوبان من نسخ الباقي ورحل به الى بلاده . وليت شعري لم لم يأمر المأمون بنسخه كله قبل تسليمه الى ذوبان . ثم أضاف اليه مسكويه من حكم الفرس وحكم الهند وحكم العرب نحواً من ٣٤ صفحة وقد سقط مما أضافه بعض أوراق من آخره . وعلى ظهر النسخة ما صورته : تصفحه ونقل عيونه ابو النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي رزقه الله علما نافعاً .

(٧) رسالة في كتمان السر ذهب اولها فجهل مؤلفها يبلغ الباقي منها نحواً من ٣٤ صفحة وفي آخرها ما صورته : تمت الرسالة ولله الحمد وحده وصلواته على نبيه محمد وعترته الطاهرة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

محسن الامين الحسيني

قصة الأدب في العالم

تصنيف الأستاذين : أحمد أمين وزكي نجيب محمود

أشار الأستاذ الجليل أحمد أمين بك في مقدمة كتاب : قصة الأدب في العالم ، الى ان النهضة العربية على زمن بني العباس أسست على الترجمة ، فترجم العرب كل شيء ، ما خلا الأدب فانهم اعرضوا عنه ، فنشأ عن هذا الإعراض ان صار الأدب العربي وخاصة الشعر لا يجري الا في المجرى الذي شقه الأدب الجاهلي في أوزانه وقوافيه وموضوعاته ولو انصرف العرب الى ترجمة الأدب انصرافهم الى ترجمة الفلسفة والعلوم لكان لهم تنويع في البحور وفي الموضوعات ولكان لهم شعر ملاحم وشعر تمثيل روايات وقصص .

وقد ذكرت في موطن من مواطن الكتاب الأسباب التي من أجلها زهد العرب في ترجمة آداب غيرهم من الأمم ، من هذه الأسباب تخالف البيئة التي نشأ فيها أدب العرب والبيئة التي نشأ فيها أدب اليونانيين والرومان ، وتخالف الاذواق بتخالف البيئات ، ومن هذه الأسباب اشتمال أدب اليونانيين والرومان على الأساطير .

واني أرى ان من جملة الأسباب التي حملت العرب على الزهد في آداب غيرهم اعتقادهم ان لغتهم أوسع اللغات ولفظهم أدل الألفاظ ، وأمثالهم أجود الأمثال وأسيرها وان البديهة مقصورة عليهم والارتجال خاص فيهم ، بالنسبة الى الأمم التي فيها الأخلاق والآداب والحكم والعلم ، كالهند وفارس والروم ، هكذا كان رأي الجاحظ .

ومن أصحاب هذا الرأي أبوحيان التوحيدي ، فقد سمع لغات كثيرة من جميع الأمم كلغة العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج فما وجد لشيء من هذه اللغات نصوع العربية .

فلهذا السبب على ما أظن ، وللأسباب التي بسطت في كتاب : قصة الأدب في العالم ، لم يكن لأدبنا العربي القديم نصيب من الاقتباس عن آداب الأمم القديمة ، فقد كان العرب يعتقدون ان أدبهم أكمل الآداب وأحسنها .

فوضع الاستاذان أحمد أمين وزكي نجيب محمود كتاب : قصة الأدب في العالم ، نظراً الى حاجة أدبائنا الى الاطلاع على آداب الأمم الراقية ، قديمها وحديثها ، والى الاستفادة من موضوعاتها واتجاهاتها واستفهام بعض نماذجها .

وهذا عمل جليل القدر فاذا جاز للعرب في القديم الترفع عن آداب غيرهم من الأمم لسبب من الأسباب فلا يجوز في عصر مثل عصرنا ان يكون أدبنا فيه في عزلة عن هذه الآداب ، فقد تمازجت الآداب في القديم والحديث ، فاقتبست أمة عن أمة ، وانبلج أدب من أفق أدب آخر ، وأثر شاعر قوم في شعراء قوم آخرين .

فأدبنا الذي يحتاج الى أمور كثيرة لا يحصل عليها الا باطلاع أهله على أداب الأمم الراقية ، فأدب الطبيعة مثلاً يخلو في كتبنا من هذه الصلة الروحية التي يجعلها كتاب بعض الامم وشعراؤهم بينهم وبين الطبيعة ، وكتاباتنا تخلو من هذا التدقيق الفلسفي ، او الاجتماعي او الخلقي الذي نجده في روايات الافرنجة وقصصهم .

فكتاب : قصة الأدب في العالم يدفعنا الى الموازنة بين بعض أدبنا وبعض آداب غيرنا من الأمم ، فنصقل أدبنا بهذه الموازنة ، وليس من الضروري ان يشتمل هذا الكتاب على كل شيء من آداب الأمم ، فحسبه ذكر نماذج منها ، حسبه ان

يمهد لنا سبيلاً الى الامتزاج بهذه الآداب ، حتى يكون لنا فكر عام فيها .

انا لا نقدر فائدة كتاب الأستاذين احمد أمين وزكي نجيب محمود حق قدرها الا اذا كنا نشعر بمقدار حاجة أدبنا الى الاستضاءة بآداب بعض الأمم الراقية حتى تشيع فيه ما يفتقر اليه من حياة وروح ، حينئذ نعرف فضل كتاب : قصة الأدب في العالم ، ونعرف فضل الغاية الرفيعة التي رمى اليها صاحباه الجليلان في وصف طائفة من أدب مصر والهند وفارس واليهود واليونانيين والرومان في قديم العصور وطائفة من أدب الانجليز والفرنسيين والاسبان والألمان والطليان وفارس في العصور الوسطى .

شفيق جبري



تاريخ العراق بين احتلالين

الجزء الثاني والثالث تأليف الأستاذ عباس العزاوي .

طبعا في بغداد في سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٩ . وعدد صفحات الثاني ٤٧٤ و ٢٥ صورة .
وعدد صفحات الثالث ٤٧٠ و ١٣ صورة .

وهذان الكتابان هما الحلقة الثانية والثالثة من تاريخ العراق بين احتلالين من وضع صاحب هذا التأليف خص الجزء الثاني منهما بأيام الحكومة الجلايرية من سنة ٧٣٩ — ٨١٤ هـ . وخص الجزء الثالث بالحكومات التركمانية من سنة ٨١٤— ٩٤١ هـ . وما كتبناه في هذه المجلة عن الحلقة الأولى يغنينا عن الاشادة بقيمة هذا الكتاب ومزاياه الوافرة . وقد جمع فيه المؤلف كل ما يمكن جمعه فوفر على القارئ عناء البحث في المصادر المبعثرة وضم في طياته الوثائق القيمة المنقولة عن أمهات المراجع العربية والأعجمية وبعضها مخطوط وعزيز المطلب . وقد رتب المؤلف هذين الجزءين على منوال الجزء الاول غير انه قد توسع في ذكر وفيات ذاك العصر وأضاف اليهما بحثاً مقتضباً عن قبائل العراق والتركمان . واختتم كلاً من الجزئين ببعض التعليقات والاستدراكات على القسم الذي سبقه . وقد عثرت على أغلاط ربما وقعت سهواً رأيت من الفائدة الاشارة اليها . وأهمها ما جاء في الجزء الثاني الصفحة (٥٢) ذكر فيها اسماء تسعة فقط من افراد امارة اللر الكبيرة وأغفل اسماء خمسة آخرين وهم :

شمس الدين هوشنك واحمد وابوسعيد وحسين وغياث الدين الذي عزله ابراهيم بن شاهرخ ٠ وجاء في صفحة (٦٩) ان دوندي هي ابنة الشيخ حسن والصواب هي ابنة جلال الدين حسين بن الشيخ اويس بهادر ٠ وذكر في صفحة (٨٠) قبوغا بن ايلكا وصوابه اقبوغا بن احمد بن اويس وجاء في ص (١٢٢) ان اول ظهور تيمورلنك كان في ٧٧٣ مع ان الكتابات والنقود تشير انه كان في سنة ٧٧١ ٠ وذكر في ص (١٥٠) ان وفاة شجاع كانت في سنة ٧٨٧ وصوابه في ٢٢ شعبان سنة ٧٨٦ ٠ وذكر في ص (١٨٢) حادث الكفيشة وهذا ما يتقولونه ايضا عن الدروز وهو محض افتراء على هذه الفرق يكذبه ماهو معروف عنهم من الغيرة الشديدة على أعراضهم وتمسكهم بالمبادئ الشريفة واستنكارهم الفاحشة ٠ وذكر في ص (٣٠٢) ان تاريخ تولي اويس الحكم كان في سنة ٨٢٢ والاصح فى سنة ٨١٨ غير انه عاد للحكم ثانية في سنة ٨٢٥ كما حققه (زنباور) وجاء في ص (٢١٧ و ٢١٨) بعض النقص في قائمة ملوك حكومة الجغتاي منهم : يسومنكو ٠ وارجانا خاتون أرملة قراهلاكو ٠ والكو ٠ وايجيلداي ٠ وبوزان ٠ وورد اسم دوري تيمور وصوابه دوي تيمور ٠ ورسم في ص (٣٢١) اسم الملك الاشرف كوجك وصوابه كجك كما في الشذرات كما انه قد اغفل ذكر الملك المنصور علاء الدين علي من قائمة ملوك الجراكسة وذكر في ص (٣٢٢) ان ولاية الملك الصالح حاجي بن الاشرف كانت من سنة ٧٧٨ — ٧٨٤ وصوابه كانت في المرة الأولى من سنه ٧٨٣ — ٧٨٤ وفي المرة الثانية من سنة ٧٩١ — ٧٩٢ ٠

وجاء في الجزء الثالث ص (٢٧) قرا محمد بن تورمش وصوابه قرا محمد تورمش بن بيرم خواجه ٠ وذكر في ص (٧١) نخلفه أخوه السلطان محمد وصوابه السلطان محمود ٠ وقال في ص (١٠٣) ان مدة حكم الأمير اسكندر ١٦ سنة وصوابه نحو ١٨ سنة من ٨٢٣ — ٨٤١ ٠ وقد اغفل في ص (١٠٤) من بين أولاد الأمير اسكندر اسم قباد قاتل والده ٠ وجاء في ص (٣١٢) حوادث سنة ١٥٠٣ هـ الموافق لسنة ١٥٠٧ م ٠ وصوابه سنة ٩١٣ هـ ٠ كما يفهم من سياق البحث ٠ وجاء في ص (٣٧٥) اسم طومانباي هكذا وصوابه طومان باي كما في الشذرات ٠ وذكر في ص (٣٧٥) ان قانصوه

الغوري هو آخر ملوك الجراكسة مع ان طومان باي هو آخر من ولي الحكم منهم في مصر سنة ٩٢٣ بعد قتل قانصوه الغوري في وقعة مرج دابق .

وهذه الأخطاء هي بسيطة بالنسبة الى سعة هذا التأليف وعظيم فائدته فنشكر للمؤلف عنايته بهذه الناحية الغامضة من التاريخ الاسلامي .

جعفر الحسني



مكتب الدراسات الاسلامية في دمشق

المقنع

في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط

تأليف الامام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى عام (٤٤٤) بتحقيق : محمد أحمد دهمان

مطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٥٩ هـ — ١٩٤٠ م

من أراد الوقوف التامّ ، على رسم مصحف عثمان الإمام ، وعلى مرسوم النسخ التي انتسخت منه ووجه بها الى الكوفة والبصرة والشام ، وما كان متفقاً عليه منها ومختلفاً فيه ، مع بيان القول في كيفية نقطه ، واحكام ضبطه ، فعليه بهذين الكتابين للإمام أبي عمر والداني ، فقد وصفا ذلك كله وصفاً دقيقاً كاملاً . فأما الكتاب الأول فيقع في (١٢٢) صحيفة ، وقد رتبه على اكثر من عشرين باباً ، وتحت كل باب فصل أو اثنان أو فصول ذكر فيها ما سمعه من مشيخته ، ورواه عن أئمته من مرسوم خطوط مصاحف أهل الأمصار ، افتتحه بذكر جمع الخليفة الأول (رضي الله عنه) للصحف في المصحف ، ثم ذكر في الباب الثاني ما رسم في المصحف العثماني بالحذف والاثبات ، وبدأ بذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً : فروى بسنده عن نافع بن ابي نعيم القاري ان الألف غير المكتوبة — يعني في المصاحف — في قوله في البقرة « وما يخدعون » (٩) « واذ وعدنا » (٥١) « وواعدنا موسى » (٧ : ١٤٢) « وواعدناكم » (٢٠ : ٨٠) وهكذا أخذ يعرض للسور الكريمة سورة سورة ، ويذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً كلمة كلمة ، ومن أبوابه ما حذفت منه الياء

اجتزاءاً بكسر ما قبلها منها نحو « دعوةَ الداعِ اذا دعانِ » (١٨٦) « واتقونِ يأولي الالبٰبِ » (١٩٧) ومنها ما حذفت منه الواو اكتفاءاً بالضمة منها أو لمعنى غيره مثل « ويمحُ الله البٰطل » (٤٢ : ٢٤)

ومن أمعن النظر في أبواب هذا الكتاب وفصوله تحقق انه قد أحاط بالرسم العثماني خبراً ، ووجد من اختلاف مرسوم الكلمات المتشابهات ، عوناً على معرفة القراءات ، كلفظ (الكلمة) مثلا فقد وردت على لفظ الواحد بالهاء ، ووردت (كلمت) بالتاء في عدة مواضع ، فهذه تقرأ بالجمع والإفراد كما نص عليها في ص (٧٩) ولو بسط الإمام ابو عمرو في كتابه هذا العلل والأسباب في اختلاف مرسوم كلمات القرآن العظيم ، وشرح لنا معاني ذلك وأسراره لرأينا العجب العجاب ، ولكنه رحمه الله تعالى اختار الايجاز ليقرب حفظه ويخف متناوله على من التمس معرفته من طالبي القراءة وكاتبي المصاحف وغيرهم كما قال ، وعلم من ذلك كله ان الضرورة داعية الى بقاء نسخ من القرآن الكريم على الكتبة الأولى لتصل حاضر الأمة بماضيها ، فلا نكون غرباء عن معرفة مرسومهم وعلومهم .

واما كتاب النقط فيبلغ عشرين صحيفة ، وقد ألفه الامام الداني بعد الاول وجعله متماً له ، أو مفتاحاً لرموزه وكنوزه ، وقد رتبه كالأول على أبوابٍ وفصول ، وقال في أولها « واني لما أتيت في كتابي هذا على جميع ما تضمنت (كذا) ذكره في أوله من مرسوم المصاحف ، رأيت ان أصل ذلك بذكر أصول كافية ، ونكت مقنعة ، في معرفة نقط المصاحف وكيفية ضبطها على ألفاظ التلاوة ، ومذاهب القراءة ، لكي يحصل للناظر في هذا الكتاب جميع ما يحتاج اليه من علم مرسوم الخط ، وأحكام النقط ، فتكمل بذلك درايته ، وتتحقق به معرفته إن شاء الله ، وبالله التوفيق ، ومن أهم ابوابه وأعظمها : باب ذكر أحكام نقط ما نقص من هجاء المصحف ، وباب ذكر أحكام نقط ما زيد في هجائه ، و (فصل) أحكام الدارة على الحروف الزوائد في الخط ، المعدومة في اللفظ ص ١٣٨ - ١٤٢ ، وانما قلنا من أهمها لأنه لو تُلي كثير منه على رسمه الأول لانقلب بذلك معنى التلاوة وتغيرت ألفاظها ، ألا ترى قوله « ولا

اوضعوا خللكم » و « اولا اذبحنه » و « ساوريكم « و« من نباي المرسلين » مما زيدت الألف والواو والياء في رسمه ، فلو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على هذه الصورة في الخط ، لصير الايجاب نفياً ، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله .

وبعد ان نقل — في أول كتاب النقط ما اشتهر عن الإمام مالك من جواز تعليم الصبيان بالأجزاء الصغيرة أي (كجزء عم وتبارك) المنقوطة المضبوطة تيسيراً عليهم ، دون الأمهات — ردّ هذا القول باجماع الناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين الى زمنه (أي الى القرن الخامس) على الترخص في ذلك في الأمهات وغيرها (قال) : ولا يرون بأساً برسم فواتح السور وعدد آيها ، ورسم الخموس والعشور في مواضعها ، والخطأ مرتفع عن إجماعهم » قلت : وبهذا الترخص طبع المصحف العثماني الإمام في مصر مشتملاً على هذه التسهيلات كلها ، لتمكين التالين من فهم رسم مصحف عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أما الصحابة فلم يكونوا محتاجين الى النقط او الضبط لأن القرآن نزل بلغتهم ، وكانوا يتقلونه بالسماع والرواية ، ويحققون ألفاظه بالتلاوة لا بالكتابة .

وقد قام بنشر هذا الكتاب النفيس مكتب الدراسات الاسلامية بدمشق ، وعهد الى الأستاذ الأثري الشيخ محمد أحمد دهمان بتحقيقه ووضع فهارسه المفصلة وتقديم مقدمة له و وقد حالت الحالة الحاضرة وقلة الورق دون نشر المقدمة التي تبلغ ثلث حجم الكتاب كما قال ، وجاء في كلمته انه اختار (المقنع) ليكون أول أعماله لكونه يبحث في أول عمل ثقافي كان للعرب وللمسلمين ، وهو أول محاولاتهم العلمية التي تكللت بالنجاح فكانت نواة أولى في وضع قواعد اللغة العربية وأصولها الخ ، فجاء قوله هذا على طريق المحدثين في مسلسلاتهم بالأولية فنحن نسأل الله تعالى أن ييسر للأستاذ دهمان طبع مقدمته ، وان يوفق مكتبه الى إخراج هذه الكتب النافعة لا سيما المسلسلات منها بالأولية .

محمد بهجة البيطار



— رؤياي —

رسالة في (٨٦) صفحة للأستاذ عارف العارف من رجالات فلسطين ضمنها آراء له في الأوضاع والأشكال والأسس التي يطمح ان يرى الأمة العربية صارت اليها في مستقبلها القريب ، وقد جعل ذلك بطريق الرؤيا والخيال ويستشف من خلال ما تعرضه هذه الرؤيا تصوير لحالة الأمة العربية في شؤونها السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية . وقد تخيل المؤلف الجزيرة العربية الكبرى قد أخصبت وتحولت صحاريها الرملية وبواديها إلى حدائق غناء ، وتبدل خرابها قصوراً وقفرها أنهاراً ، وشمسها المحرقة نابت عن الكهرباء والبخار في الاضاءة وتحريك الآلات ، وقضي على حياة الخيام والظعن ، واتصلت أجزاء الجزيرة ونواحيها ، بعضها ببعض ، بسكك الحديد والطيارات وأنشئت المدارس والمصانع والمعامل والجسور والمرافئ .. ويصور العرب وقد استرجعوا مجدهم وعزهم فهم ليسوا أسرى العادات والتقاليد كما كانوا وقد أصبحوا (متمسكين بأذيال العلم والفن والمنطق والفلسفة الرائقة الحقيقية) ص ١٠ ولعل الزمان غير البعيد يجعل من حلم السيد العارف حقيقة تقر بها عينه في اليقظة كما قرّت في المنام وينبثق الفجر الذي طال انتظار العرب سطوعه فيساهموا في بناء العالم الجديد ، ورفع صرح الانسانية والحرية والثقافة . غير ان التمسك (بأذيال العلم والفن والمنطق والفلسفة الرائقة) وحده لا يجعل من المجتمع العربي المنتظر الذي يتخيله مجتمعاً صالحاً فاضلاً ، وهذه ؛ ظاهرة من ظواهر الحضارة والمدنية وليست أساساً لها ، وإنما قوام المجتمع الخلق المتمثل في طائفة من العادات والتقاليد الصالحة المتوارثة في المجتمع والمنبثقة من روح أهله ، ولم نسمع ان شعباً قام على العلم وحده ، أو الفن أو المنطق او الفلسفة ، وهي أمور كغيرها من مستلزمات الحضارة ، مرتبطة بالتغير والتبدل والانتقال ، وتابعة للنسخ والمسخ والمحو والإثبات ! وقد عاشت الشعوب وتألفت المجتمعات ودامت حيويتها بالخلق وحده ، بدون الفلسفة وبدون دراسات المنطق ، وبدون الفنون ! وانهارت أمم ودول وهي ريّا بالعلوم والفنون والفلسفة والمنطق ولكنها عارية من الخلق ! فاذا كنا نتخيل مجتمعاً عربياً في الآتي ، ونلفت

اليه الأنظار من الآن مع إعداد العدة له ، فمن الواجب ان ننبه الى ان مجتمعاً مثل هذا لا يمكن ان يقوم على العلم وحده ، او الفلسفة والمنطق والفن والانطلاق من العادات والتقاليد التي تمثل فيها الأمة وتتكوّن منها شخصيتها الاجتماعية ! وإذا كنا نحب ان لا نرى بين العرب في هذا المجتمع المنتظر ، مع التأكد من عدم إمكان ذلك ، (لا ظالماً ولا مظلوماً ولا ضارباً ولا مضروباً ، ولا قاتلاً ولا مقتولاً ، كما يتخيل المؤلف (ص ١١) ؛ فمن الحكمة والمنطق ان نؤسسه على الخلق الفاضل والعادات الفاضلة قبل أي شيء آخر ، ونجاري زماننا وشعوبه في الاستعداد والأخذ بالقوة بجميع مفاهيمها ! وها إننا نرى في هذا الصراع العالمي أن العلم والمنطق والفلسفة وشتى أنواع الفنون قد عجزت أن تعطينا مجتمعاً فاضلاً .. وعجز القرن العشرون كله ، رغم التقدم الباهر العجيب فيه ، في الحضارة والعلم والفلسفة ، ان يكون له طوابع وسمات غير ما كان للعصور المظلمة السالفة ! ودم الانسانية الذي أهرقه العلم والفلسفة في هذا العصر يفوق مادة ومعنى كل دم للانسانية هراقة الجهل في العصور التي سبقته حتى القرون الأولى ! .

وقد طاف بهذه الرؤيا مغامز عدة ووخزات جمة يحسن تنبيه المؤلف اليها ، وإن كنا لا نعتقد انه أرادها لذاتها وإنما أوردها بقصد التنظير والتمثيل لحالة العرب الراهنة ليتسنى له المقابلة بينها وبين الآتي المنتظر . ومن ذلك : نسبته الى العرب اليوم التعصب الشديد ، والقول بالترهات والأباطيل ومحاربة حرية الفكر والعقل والضمير (ص ١١) . والعرب ليسوا أكثر تعصباً من غيرهم ، ولا يكون التعصب دائماً ممقوتاً ، ومنه التعصب للحق والرأي الصواب والمقدّسات الدينية والوطنية ؛ وكذلك ليسوا على هذا الشكل الخيالي الذي وضعهم فيه من الأخذ بالخرافات والأضاليل وإنكار العلم والعقل وحرية الفكر ! على ان الخرافات لا يخلو منها مجتمع في العالم مهما سما شأنه ، ومهما ارتقى علماً وفناً وفلسفة ! ان الكاتب يريد ان يكون مستقبل العرب خيراً من حاضرهم ، ولكن هذا لا يستدعي ان يصوّرهم مشوّهين ومعيوهين اليوم ؛ ليجعل منهم كملة وصحيحين في الغد !

ومن ذلك انتقاده عقوبة القاتل بالقتل ، ويرى ان ذلك لم يجد نفعاً ، ويجد من الواجب محاربة شرور المجتمع ليمتنع القتل وعقوبته (ص ٦٠) ، وهو كلام نظري خيالي يناقضه الواقع وغريزة الانسان حتى في اعظم بلاد العالم رقياً ، ويصطدم بالنص الرائع : (ولكم في القصاص حياة !) .

ومن ذلك تخيله ان العلم صائر الى جعل الناس قادرين ان يلدوا اذا شاؤا البنين واذا شاؤا البنات ، وان يعرفوا قبل الوضع باليقين جنس الجنين (ص٥٢) ! وعلم ما في الأرحام من خصائصه جل وعلا : (ويعلم ما في الأرحام) ، وهو مما استأثر به الخلاّق ومن الأمور الخمسة الغيبية التي لا يعلمهن الا الله ، وكذلك التصوير في الأرحام : (هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء) والعلم والفن عاجزان عن تحقيق ذلك .

ومثل ما ذكرنا تصوره إبطال قاعدة الإرث التي جاء بها الاسلام ونص عليها القرآن ، وعدم التفريق بين الذكر والأنثى في ذلك ، والتساوي التام في كل شيء بين الجنسين (ص ٥٣) ، وحدوث انقلاب في المساجد والصلاة واساليبها (ص ٦٧) وتغيير اللغة العربية في خطها وحروفها واملائها وقواعدها (ص ٥٩) وهذه وأمثالها من النزعات المتطرفة التي يصعب تطبيقها ولا يفيد تحقيقها .

ولو أننا نجنا في الواقع والحقيقة هذا المجتمع الذي تخيله الكاتب لما خلي من المؤاخذات ، ولما سلم من الانتقادات ونحن ما نزال متأثرين بأوهام عن المجتمع الغربي زهدتنا في مجتمعنا وتراثنا فنحسب ان كل ما يعكسه هذا المجتمع حسن وصواب ، فلا نفرق بين الصالح منه والفاسد والرديء والجيد . والعقلاء والمفكرون تذمروا كثيراً من مفاسد هذا المجتمع وشكوا ما فيه من شرور ! وها هي ذي المدنية الاوروبية تحترق وتسقط مضرجة بدمائها في الصراع القائم اليوم ، ويردد قادة العالم نشدان مجتمع أفضل ومدنية أقوم ، ومن واجبنا ان ننتظر مصير العالم بعد هذا الصراع ، ومصير المدنية والحضارة ، ونتطلع الى المدنية الجديدة والمجتمع العالمي الجديد فنساهم في بناء مجتمع فاضل ومدنية شريفة تستقي من تاريخنا وحضارتنا أولاً ، ثم من النافع المفيد في العالم المنتظر الجديد .

والدعوة اليوم الى اعتناق مبادئ اجتماعية وعادات وتقاليد مستوحاة من المجتمع الغربي المنهار لا تفيد مجتمعنا وبلادنا ما دمنا لا ندري ما يطلع علينا به الغد من صور الحياة الجديدة وألوان المجتمع الجديد ! ولماذا لا ندعو الى اصلاح مجتمعنا على اساس الإبقاء على مزايانا الخلقية وفضائلنا العنصرية وعاداتنا وتقاليدنا الرضية مع قبول كل ما لا يتعارض وذلك من النافع الجديد ! فمنهجنا الاصلاحي من الواجب ان تؤخذ مواده من حياتنا وتاريخنا ، وينبغي ان تستوحي روحه من شريعتنا وقوميتنا ، فجميع ذلك من العرب والى العرب ٠٠ وفيه كل حسن !

أديب التقي

أبو بكر الصديق

أول الخلفاء الراشدين

تأليف محمد رضا بمكتبة الجامعة المصرية [ص٢٢٩]

مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر

لكتابة كتب التراجم التي كثر نشرها في السنوات الأخيرة طريقتان :

إحداهما ان يعمد المؤلف الى قراءة ما يصل اليه من أخبار المترجم فيصوغه بقلمه في قالب جديد من انشائه ويضفي عليه حلة من وشي بيانه ، وهذه الطريقة لا يجيد سلوكها ولا يحسن المضيّ فيها — ان سلكها — الا العارف بمدلول الألفاظ الماهر بفنون التاريخ والسير وقليلٌ ما هم ٠

والطريقة الأخرى ان يقصد المؤلف الى ما تفرّق في بطون الكتب مما يتصل بسيرة المترجم فيجمعه وينسقه في أبواب تنظم ما انتثر من أخباره ، وتؤلف ما اختلف من آثاره ٠ وهذه الطريقة يحتاج صاحبها الى حرص على النص وامانة في ادائه ، وبيان نسبته الى قائله او راويه ، وتخليص النصوص مما قد يكون اعتورها من التحريف او الخطأ في الطبع او النقل (اذا كان الاصل المنقول منه مخطوطاً) فاذا ما احتاج الى تلخيص خبرٍ ما او الافاضة فيه كان له من المعرفة ما يعصمه من إفساد المعنى وتغيير المراد منه ٠

اقول هذا وقد دفع الي المجمع العلمي العربي كتاباً في سيرة سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ألفه محمد رضا بمكتبة الجامعة المصرية — لأكتب كلمة فيه تنشر في مجلة المجمع · ولما كان لمؤلفه الفاضل سابقة خير ولاحقة بتأليفه قبله كتاباً في السيرة النبوية وثلاثة كتب بعده في سير الفاروق وذي النورين وعلي رضي الله عنهم فقد رأيت حقاً علي له وللقارئين ان احتفل بكتابه هذا فأتصفحه بتؤدة ، وأدون ما يعن لي فيه مما يلفت النظر فأقول :

بلغت صفحات هذا الكتاب ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط ليس فيها من ترجمة الصديق غير اثنتي عشرة صفحة من أوائله وبضع صفحات منبثة في اثنائه واواخره · اما سائر الصفحات فقد تضمن انباء حروب الردة والفتوح في عصر ابي بكر — وهي بسير قوّاده ألصق — ثم خاتمة في حياة خالد بن الوليد رضي الله عنه في احدى عشرة صفحة تبعها فهارس بأسماء الرجال والقبائل، والنساء، والبلدان والاماكن استغرقت ٣٢ صفحة

لقد اختار المؤلف لنفسه طريقة الجمع وهي أقرب الى الصواب وابعد بصاحبها عن مواطن الزلل ·

صدّر المؤلف كتابه بذكر أهم المراجع التي رجع اليها في تأليفه واغفل ذكر تلك المصادر بذيل الأخبار التي أوردها · وفي ذلك ما فيه من عنت كبير على من يريد الرجوع الى الأصول المنقولة عنها تلك الأخبار ·

أما الفهارس فلا أدري اي شيطان سوّل لي امتحانها بعد ان مضيت في قراءة الكتاب صفحات كثيرة · فكانت نتيجة الامتحان أني وجدت في الكتاب نحواً من تسعين علماً لا ذكر لها في الفهرس وبعضها تكرر مرتين فأكثر ، كما وجدت بعض الاسماء وقد أشير الى وجودها في صفحة او صفحات وهي موجودة في صفحات أخرى غير التي ذكرت ، وربما ذكر اسمان في موضعين وهما لشخص واحد ، وقد يذكر الاسم في الفهرس مبهماً مع وروده في الكتاب معرّفاً بكنية او لقب ، او بنسبته الى اب او قبيلة او بلد ، الى غير ذلك مما يضيق عنه البيان وتضيع به الفائدة من الفهارس ·

اما الكتاب ففيه اغلاط جمة : (١) بعضها من الطبع الحديث (اي طبع الكتاب) (٢) وبعضها من الطبع القديم (اي من المطبوعات التي نقل منها المؤلف) ، (٣) وبعض

جاء من تلخيص بعض النصوص (٤) او الافاضة فيها . ولو ذهبت أشر الى كل أولئك لاحتجت الى صفحات كثيرة ، لذلك اجتزئ بإيراد مثال واحد من كلٍ منها يدلُّ على الباقي .

١ — فمن الأغلاط المطبعية الحديثة ما جاء في ص ١٠ ما دعوت أحداً الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردُّد إلا ما كان من ابي بكر ما (علم) عنه حين ذكرته له . والصواب ما (عكم) عنه اي ما تلبث ولا ابطأ .

٢ — ومن الأغلاط المطبعية القديمة ما جاء في ص ١١٠ قال ابو مقرن الأسود ابن قطبة (وكذا هو في معجم البلدان مادة أليس) ثم ذكره في ص ١١٢ باسم الاسود ابن قرطبه . والصواب ابومُفَزِّر الاسود بن قطبة كما ضبطه الحافظ العسقلاني في الاصابة .

٣ — اما تلخيصه المقتضب فقد ذكر في ص ٤٠ و ٤١ قصة إمارة باذان على اليمن في عهد رسول الله ﷺ وهي مع كونها لا تمتّ الى السيرة البكرية بسبب فقد لخصت — على الغالب من تاريخ الطبري — تلخيصاً افسد المعنى وغير المراد منه فليرجع اليها من شاء في الكتابين .

٤ — واما إفاضته التي لا طائل فيها فهي ما ذكره في ص ١٧٠ من ان ابا بكر رضي الله عنه بعث عبد الله بن ثوب الى جُرَش ثم افضى به هذا الى ان قال : وهو ابو مسلم الخولاني وذكر قصة عنه نقلها من اسد الغابة لابن الأثير في نحو صفحة . والصواب ان الذي بعثه الصديق اميراً على جرش هو عبد الله بن ثور كما في الطبري وابن الأثير — وهو احد بني الغوث كما في الاصابة . فاذا علم هذا فقد بطل الاستطراد .

هذه امثلة اربعة من اغلاط كثيرة وقعت في السيرة البكرية . اما بقية السير التي أشرت اليها في هذه الكلمة فلم تتيسر لي قراءتها ، فان كان المؤلف قد طبعها على غرار واحد فقد وجب عليه إعادة النظر فيها ، عسى ان تكون في طبعاتها المقبلة خيراً منها الآن .

احمد عبيد

آراء وأنباء

كتابة آخر الألفاظ المؤنثة

نرى كثيرين من كتاب هذه المجلة يرسمون بالألف آخر الكلمة (سورية) . والذي نراه في معجم البلدان والقاموس وتاج العروس والاوقيانوس والقاذوس والبابوس والجاسوس وسائر التصانيف القديمة انها ترسمها بالهاء (تراجع هذه الكلمة في مادة س و ر) . — وكان أهل الشام سابقاً يرسمونها بالهاء في الآخر ، فلما رأوا ان بعض كتاب المصريين يرسمونها بالالف اخذوا يتابعونهم في هذا الرسم الحديث ويا ليت لم يتابعوهم باقين على رسم الاقدمين وهو الرسم الصحيح الفصيح الذي لا شائبة فيه والذي ندعو اليه منذ زمن مديد ان يعود الخلف الى رسم السلف وتكتب كذلك جميع اواخر الاعلام المؤنثة بالهاء ، لا بالألف ، الا اذا كانت أسامي تلك المدن والأمكنة منقولة عن اللغة الإرمية (المسماة وهماً اللغة السريانية او الكلدانية) وذلك للاشارة الى هذا الاصل ، لان كلم هذه اللغة تختم كلها بالف لا بهاء . اما اذا كانت تلك الاعلام عربية النجار اوغربية الوضع ، فتكتب بالهاء والسبب هوهذا :

ان الكتاب يقسمون ثلاثة أقسام من جهة كتابة الاعلام :

قسم عربي الأصل والنشأة والتعلم .

وقسم إرَمي الأصل والنشأة والتحصيل .

وقسم عربي الأصل ، الا انه نشأ نشأة ارمية او غربية فمن كان عربي الاصل او التحصيل ، كتب بالهاء الاعلام المؤنثة التي تتجاوز احرفها الثلاثة ، لان هذا الوضع هو وضع جميع اعلام الاناث الا ما ندر . والكتاب حينئذ ينبهون عليها . ومن كان ارمي الاصل او النشأة او التحصيل يجري بطبعه على سنن لغته من غير ان يشعر بذلك . واما الذي نشأ مع الارميين او الغربيين فيجري على ما نشأ عليه أيضاً من غير ان ينتبه اليه . ونحن نؤيد لك ذلك بالأدلة :

لما دخل العرب بفتوحاتهم في العراق وسورية وفلسطين وغيرها من البلاد الارمية

اللسان ، كتبوا تلك الاعلام كما كان يكتبها أهل تلك الديار التي كان يتكلم اصحابها الارمية واما البلاد التي افتتحوها ولم يكن أهلها يتكلمون الارمية فكانوا يكتبونها بحسب سليقتهم العربية اي بهاء في الآخر . فعل ذلك العرب في فتوحاتهم لبلاد البربر والأندلس . فمن مدن البربر وبلاد المغرب المؤنثة : بونة (وهي اليوم عنابة) وسكيكدة (واليوم فيليڤيل) وبجاية وارقلة او ارجلة ، والقليعة ، وفرضالة ، ودكالة والصويرة (وهي اليوم مغادور) ووادي ذو سفانة ، ومليلة ، وأصيلة (وهي اليوم ارزيلة) ، والبريجة (وهي اليوم مذغان) ، ولم نجد في كتب الفتوحات القديمة اسماً واحداً مكتوباً بألف ، لانه لم يكن بين الفاتحين من كانت نشأته ارمية ، او لسانه إرَمية .

واما اسماء المدن الاندلسية ، فلا تحصى ، وكلها من وضع العرب ، او انهم لما دخلوا تلك الديار وسموا باسمائها الاعجمية كتبوها بموجب سليقتهم العربية ، اي انهم رسموها كلها بلا شاذّ واحدٍ ، مع انها مئات — بهاء في الآخر . من ذلك : أشبونة (ويقال لشبونة) ، وماردة واشبيلية وقرطبة ومالقة وغرناطة والمرية ، وطليطلة ومرسية ودانية وبلنسية وتطلية ومرقسطة وبنبلونة (لكنهم كتبوها ينبلوتة بياء مثناة تحتية في الاول . والاصل باء مثلثة تحتية) وطرطوشة ، ولاردة ، الى ما لا يُحصى عدة . وقد وضعت بين يديَّ تقويم البلدان لابي الفداء ، وجريت على ما وضعهُ . واكتفيت بذكر المدن الأُولى منها ، والا فهي كثيرة لا تُحصى .

واما في مصر ، فكان الفاتحون الأولون يكتبون اسامي مدنها بهاء في الآخر ، ولما دخلها السوريون اخذوا يكتبونها بألف في الآخر على ما ألفوه في بلادهم . من ذلك مُنية (وتضاف الى عدة اسماء) فان كثيرين اخذوا يكتبونها منيا (بألف في الآخر) وهو خطأ صريح . وانبابة (واليوم يكتبونها امبابا او امبابة) وشمارتة وشمارة وشماسمة وشماطة وشمرزة وشمشيرة وشنانية وشناهرة ، الى غيرها ، وتعد بالمئات وهي مذكورة في الكتاب الضخم المسمى (قاموس جغرافي للقطر المصري) وكتبة هذا اليوم يختمون هذه الاسماء بألف قائمة وهو خطأ لا ريب فيه .

هذا واذا اتفق للعرب ان يرسموا اسم بلدة بألف في الآخر ، فهم يرسمونها بالياء المرسلة ، اذا كانت رابعة فصاعداً ، جرياً على قاعدتهم الصرفية المشهورة . اما

كتاب اليوم فيرسمونها بألف قائمة ، على ما ألمعنا اليه . فكانوا يكتبون مثلاً شبرى بالياء المرسلة ، اما اليوم فيكتبونها بألف اي شبرا ، فيقولون : شبرا مصر ، وشبرا الخيمة ، وشبرا سهواج الى غيرها من المضافات اليها . مع ان صاحب القاموس يقول صريحاً : «وشبرى كسكرى ثلاثة وخمسون موضعاً كلها بمصر» ولما أخذ صاحب التاج يعدّدها مع المضافات اليها كتبها كلها : «شبرا» اي بألف قائمة : وذلك من الناشر لا من المؤلف ، على ما يخيل الينا ، وهذا من باب التأسل ، او من المؤلف نفسه وهو السيد مرتضى واصله من واسط العراق ، ولغتهم الأصلية الارمية نعم انه ولد هو في الهند ونشأ في زبيد (اليمن) ورحل الى الحجاز وأقام بمصر ، لكن الاصل لا يمحي ، فأخذ يعود الى أصله وهذا هو التأسّل Atavisme . اما المجد الفيروزابادي فانه كان ايراني المولد ، فكان يرسم الاعلام على الطريقة العربية اي بهاء في اغلب الاحيان او بالياء المرسلة اذا اراد ان يكتبها بألف . اما اذا رسمها بألف قائمة ، فيمدها لكي لا يجري وراء النبط الارميين فيكتب بخاراء لا بخارا . ففي القاموس : «بخاراء بلد ، ويُقصر» وفي التاج بخاراءَ بالضم والمدّ : مدينة من أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثمانية أيام ، او سبعة . وهو ممدود في شعر الكميت ... ويقصر [اي بخارى] وهو المشهور الراجح ، وبه جزم غير واحد من الحفاظ وانكروا المدّ» انتهى المراد من نقله .

قلنا : واذا قصروها كتبوها بالياء ولم يرسموها بألف قائمة . وممن رسمها بالمدّ البكري في معجم ما استعجم ص ١٤١ و ٧٤٧ وابن خلكان فقد جاءت في كتابه ٢٤ مرة فكتبها احياناً بالياء ومراراً بالألف وبعض الاحيان بالمد وبيدي نسخة بولاق . اقول ذلك معتمداً على النسخة المطبوعة في بولاق . واما في المجلد الاول ص ٦٥٠ فقد ضبطها بهذه العبارة : «والبخاري» بضم الباء الموحدة ، وفتح الخاء المعجمة ، وبعد الالف راء . هذه النسبة الى بخاراءَ [هكذا كتب بالمد] وهي من اعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام» اه . وفي خزانتنا البغدادية اربعة اجزاء صغيرة من وفيات الاعيان ، هي من اجزاء مسودة المؤلف الاولى التي كانت بيده وقد ضبطت في كل مرة بالمدّ فهي من هذه الجهة ثمينة لأنها بخط يد المؤلف نفسه . اما الذي طبع الكتاب في بولاق ، فانه لم يتوخَّ رسم الكلم كما كتبها المؤلف ، بل بحسب ما كان يعنّ له .

وجاءت بخارى في حياة الحيوان الكبرى للدميري مرة واحدة فكتبها بالياء المرسلة ٠

واما معجم البلدان لياقوت ومراصد الاطلاع ، المطبوعان في ديار الغرب فقد رسماها بالقصر وبالالف القائمة ، وجميع سائر الكتب التي ذكرت بخارى لم ترسمها بصورة واحدة ، بل اختلفت ، لجهل اصحابها ، او اغلب اصحابها قواعد العربية واحكامها ، الا انها اتفقت في الضبط والتقييد ٠ وعليه يكون الاصح في الرسم ان يكون آخرها بالياء المرسلة اي المهملة ، او بالمدّ اي بخاراء ٠ واما القصر وبألف قائمة فيكون من صريح الخطأ على كل حال لمخالفته الأُصول المقبولة ولكبار الكتاب والمؤلفين في سابق العهد وفي عهدنا هذا ٠

ونقول لكل من يطلع على مقالنا هذا : انك ان عقدت النية على ان تاتم بفصحاء الكتبة ، فما عليك الا ان ترسم كل كلمة مؤنثة بالهاء ، لان البصراء من أُدبائنا اجازوا رسم كل كلمة مختومة بألف ، ان تكتب بالهاء ، ولم يجيزوا العكس ٠ فقد جاء في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني صاحب الاكليل ، في ص ٣٣ من طبعة الافرنج ، هذا نقله بحروفه :

« والامم الكلية التي تسكن في هذه الاجزاء ، هي : أهل بلاد الصقالبة ، بلاد برطانيا ، وغالاطيا ، وجرمانيا ، وباسطرانيا ، وايطاليا ، وغاليا ، وبوليا ، وسقيليا ، وطورنيا ، وقالطيقن ، وسبانيا ، وقد تسمى اكثر هذه الاسماء بالهاء فيقال : غالاطية ، ويهمس فيه ، ويقال : غالطية وايطالية ، وابولية ، وهي مدينة عظيمة بمنزلة عمورية ، وسيقلية ، وهي سقلية ، وطورنية بمنزلة قوربنية ٠ وما كان منها مثل ملطية فبمنزلة سلمية » انتهى

وقد سار ياقوت الحموي سيراً اعظم في رسم هذه الكلم وامثالها فانه رسم الاسم المذكر نفسه بالهاء حينما كان يرسمه الغير بالالف ٠ فكل يعلم ان (عزرا) الذي يسميه العرب (العزير) هو من مادة عبرية (عزر) ويعني الازر والعون ، كأن معنى اسمه (المعين) ، لكن ولد هذا الكاتب الصالح في عهد كانت لغة العبريين الارمية المخلوطة بالعبرية وتسمى (اللغة الترجومية) فسماه ابواه باسم عبري الاصل ، ارمي الصيغة ، وقالا (عزرا) ولكون هذا العلم ارمي الصيغة ، كان من حقه ان يكتب آخره بالالف اي (عزرا) ٠ اما ياقوت فلكونه من أصل رومي وعربي النشاة ،

كتبه (عزرة) في المجلد ١ : ٥٩٤ وفي المجلد ٢ : ٢٥٧ . وهذا حاقٌ التعصب للعربية من هذا الرجل العظيم والمؤلف الذي ابقى في العربية احسن ذكرى !

وقد سبقه الى هذه الحجة البينة ابو جعفر محمد بن جرير المتوفى في سنة ٣١٠ هـ . في تاريخه البديع فكتب الآتية اسماؤهم هكذا : عزرة بن بطان التغلبي ، وعزرة بن ثابت الراوي ، وعزرة بن عبد الله بن خازم ، وعزرة بن عزرة الاحمسي ، وعزرة بن قيس الاحمسي . فمن هذه الكتابة الصحيحة ، يستنتج — ان عدمت سائر الأدلة — ان ليس في دمه من دم الارمية قطرة واحدة ، بل انه نشأ هو وكل من تأثره نشأة عربية محضة لا شبهة فيها ، وعسى ان ينتفع قارئ هذه الكلمة بمن سبقه من الائمة الاثبات ، الثقات . هذا ما أردنا تبيانه في هذا اليوم ، ونحن لا نتوخى الا الصحيح الفصيح من كلام العرب كتابة وكلاماً ورسماً . ومنه تعالى الهداية والرعاية لكل منا .

كتاب العين

كتب الاستاذ السيد يوسف العش في هذه المجلة ١٦ : ٥٥٤ مشيراً الى توقف نشر كتاب العين . فأقول في سببه :

اني اشتريت نسخة من كتاب العين بقيمة لا تصدَّق ، اي بسبعمائة ربية (نحو من ٧٥ ديناراً عراقياً في هذا اليوم) ثم قابلته على ثلاث نسخ ظفرتُ بها وكل واحدة في بلدة ، وقد فقدت اليوم بسبب الحرب الكبرى الأولى ، ثم شرعت بطبعها في سنة ١٩١٤ ، ففاجأتنا الحرب ، ونفيت الى قيصرية في كبادوكية . فوضعها أحد اخواني في صندوق من صفيح ودفنها في الارض . ولما عدت الى بغداد بعد ٢٢ شهراً ، وجدت خزانة الكتب قد نهبت وبيعت أوراق النسخ المطبوعة من (العين) للعطارين وباعة التبغ والبقالين ، فأسرعت الى استعادتها بشرائي اياها من هؤلاء الناس ، فنجحت في تخليص بعضها وذهب مني القدر الاعظم منها . ثم طلبت الى الحكومة العراقية ان تساعدني على طبع الكتاب ، فأبت . فلو رأيت من يساعدني لعدت الى استعمال النشر ، ومن الله العون .

بغداد: **الاب انستاس ماري الكرملي**

مجمل أنباء المجمع العلمي العربي سنة ١٩٤٣

عقد المجمع خلال سنة ١٩٤٣ احدى عشرة جلسة عامة بحث فيها أموراً في اللغة والآداب العربية والثقافة الاسلامية مما يعنى به ويعمل على حفظه ونشره ، وقرر في سبيل ذلك أموراً نجملها فيما يأتي :

قانون المجمع ونظامه الداخلي

كان المجمع رفع الى وزارة المعارف قانونه طالباً تصديقه فصدر به مرسوم اشتراعي رقم ١٦٦٠س مؤرخ في ١٦ آذار سنة ١٩٤٣ (راجع مجلة المجمع م ١٨ ص ٢٧٧) فانصرف المجمع بعد ذلك لوضع نظامه الداخلي وانجزه ورفعه الى وزارة المعارف للتصديق فصدر به ايضاً مرسوم رقم ٥٧١ مؤرخ في ١٢ آب سنة ١٩٤٣ (راجع مجلة المجمع م ١٨ ص ٥٥٤) وبهذين النظامين تسنى للمجمع تحديد اعماله الخاصة والعامة وتنظيم شؤونه والسير بها على سبيل واضح ·

مكتب المجمع ولجانه

مكتب المجمع مؤلف من الرئيس (الاستاذ محمد كرد علي) ونائبه (الاستاذ عبد القادر المغربي) وامين السر العام (الاستاذ خليل مردم بك)

واللجنة الادارية مؤلفة من مكتب المجمع يضاف اليها بالانتخاب عضوان عاملان· وقد انتخب لها الأمير مصطفى الشهابي والامير جعفر الحسني في ١٨ نيسان سنة ١٩٤٣ ثم لما عين الامير مصطفى محافظاً للاذقية انتخب الدكتور جميل صليبا بدلاً عنه في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٣

ولجنة المجلة والمطبوعات مؤلفة من مكتب المجمع يضاف اليها بالانتخاب عضوان عاملان· وقد انتخب لها الاستاذان اديب التقي وعز الدين التنوخي في ١٨ نيسان سنة ١٩٤٣

ولجنة دور الكتب وصيانة الاضبارات الوطنية مؤلفة من مكتب المجمع ومحافظ دار الكتب الوطنية وثلاثة اعضاء عاملين وقد انتخب لها الأمير جعفر الحسني والاستاذان اديب التقي وعز الدين التنوخي في ١٨ نيسان سنة ١٩٤٣

الأعضاء الراحلون والأعضاء الجدد

فجع المجمع سنة ١٩٤٣ بوفاة ثلاثة من أعضائه هم : المرحوم رشيد بك بقدونس

العضو العامل (دمشق)، والمرحوم الدكتور مكدونلد المستشرق الأميركي، والمرحوم الاستاذ ميتفوخ المستشرق الألماني، وكلاهما عضو مراسل . رحمهم الله واحسن عزاء المجمع عنهم .

وانتخب المجمع في جلسته المنعقدة في ١٣ ايار سنة ١٩٤٣ الاستاذ عباس العزاوي (بغداد) عضواً مراسلاً ، والدكتور داود الچلبي (الموصل) عضواً مراسلاً . وصدر مرسومان جمهوريان بذلك في ٢٤ تشرين الأول سنة ١٩٤٣ رقم ١٩٣ و ١٩٤ . اما كرسي العضو العامل الذي خلا بوفاة رشيد بك بقدونس فسيجري الانتخاب له وفقاً لقرار المجمع .

جوائز المجمع

اعلن المجمع في الصحف اليومية عن جوائزه التي يمنحها المؤلفين والمترجمين فقدم اليه بعض الافاضل آثارهم فأحالها الى لجنة المجلة والمطبوعات لتدرسها وتبين رأيها فيها .

نشر المخطوطات

عقد المجمع جلستين رغب فيهما الى الأعضاء نشر بعض المخطوطات القيمة المحفوظة في دار الكتب الظاهرية ومكتبة المجمع ، وقدم جريدة بأسمائها تتضمن نحواً من ثلاثين مخطوطاً نفيساً في فنون متنوعة . فاختار الاستاذ الرئيس ان يحقق كتاب تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي ويعده للنشر، كما اختار الاستاذ خليل مردم بك ديوان ابن عنين ، والاستاذ سليم الجندي رسالة الملائكة لابي العلاء المعري ، والدكتور جميل صليبا الرسالة الجامعة للمجريطي . وما زال قسم من السدة الاعضاء يدرسون بقية المخطوطات كي يختاروا منها ما يلائم اختصاصهم .

المحاضرات الأسبوعية العامة

اما محاضرات المجمع الاسبوعية العامة التي القاها خلال سنة ١٩٤٣ اعضاء المجمع وغيرهم من اهل العلم والادب فقد كانت اثنتين وثلاثين محاضرة في العلم والأدب والتاريخ والاجتماع منها ست محاضرات للسيدات القاها عليهن بعض فضليات الاوانس .

المخطوطات والمطبوعات الداخلة على المكتبة الظاهرية ومكتبة المجمع شراء أو هدية

دخل دار الكتب الظاهرية (٣٦٣) مجلداً مخطوطاً و (١٥٣٧) مجلداً مطبوعاً و (٦٥٩) مجلداً وجزأ من المجلات . وكان عدد الكتب المطلوبة للمراجعة في دار الكتب (١٦٥٨٦) كتاباً .

ودخل مكتبة المجمع (٣٨٨) مجلداً .

فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد التاسع عشر

صفحة

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

الجزء الثالث والرابع ٢٢١ و ٢٢٢ المجلد التاسع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٤ ربيع الأول وربيع الآخر سنة ١٣٦٣

الفصيح والمولد

في كلام أهل الغوطة

— ٥ —

(١٢) أدوات الحراثة والزراعة وغير ذلك

المؤج المرور هكذا ذكرها الاسكافي (من أهل القرن الخامس) وغلط من قال انها ايطالية كما غلط من قال ان البوقال (بضم الباء كوز بلا عروة) هي ايطالية أيضاً Bocal والصحيح انها كانت عربية قبل ان تخلق اللغة الايطالية على أن البوقال غير مستعملة في الغوطة . المخلوف آلة لجرف التراب مشتقة من جلفه قشره وجرفه . المسحاة المعزقة ج المساحي . الزُّوبر قطعة من الحديد شبه عُقافة تناط بعصا يتوصل بها الى قلع الشوك والعوسج ولعلها من أخذ الشيء بزوبره اي بجميعه ، وهذه الحديدة تأخذ جميع الشوك المتجمع . المحفار آلة الحفر . الفأس ج الفؤوس . البلطة أصغر من الفأس (من بالتة التركية) . الرفش المجرفة كالمرفشة . القطفة أداة من حديد يقطف بها العشب . المسّاس عصا طويلة يستعملها الحراث والدرّاس وقد يناط برأسها مسمار لهمس الفدان . الشوف المجرّ تسوى به الأرض المحروثة يقال لها الشاقوفة . القاشوش آلة يجمع بها القش والقش هنا الحبوب بسوقها قبل ان تدرس . الدّيقل آلة من حديد ذات شطرين يقلب بها القش في البيدر ، وفي القاموس : الدّقل كالدوقل سهم السفينة . المنجل كمنبر حديدة يُقصب بها الزرع . المجرفة آلة جرف التراب تعمل من حديد والجاروف شيء مستطيل من

الخشب مربع كبير الحجم ويناط بحبل يجره الفدان لجرف التراب والقلاع • الفدان كشداد الثوران بقرنان للحرث ولا يقال للواحد فدّان ج فدادين • السكة حديدة الفدان وحرث الارض يقولون أكلت هذه الأرض سكة او سكتين • كدن[1] الفدان قرن الثور بثور آخر اي شدهما الى نير واحد ومنها الكدنة قيل انها سريانية • النير الخشبة التي تجعل على عنق الثور بأداتها ج أنيار ونيران • جامل على فدانه اي استعار فدان جاره ليقرن ثوره الى ثوره ويحرث بهما ولعلها أتت من جامله عامله بالجميل اي تحبب اليه باعارته ثوره • المنكاش • الغزّالة آلة لتنقية الحشائش من الحبوب اول طلوعها (وهي ليست عربية) • المخبط من خبط ويقولون له المخباط • المخل وعربيتها العتَلة وهي يونانية • العقّافة كرمانة خشبة في رأسها مُحجنة — اعوجاج — يمدُّ بها الشيء كالمحجن • الرَّشمة ما يوضع على فم الفرس وهي عامية (التاج) • الكوبان ما يقي الحيوان من البرد يلبسه على ظهره وهو أيضاً من الألفاظ العامية • المرشح والمرشحة بكسرهما البطانة التي تحت لُبد السرج سميت بذلك لانها تنشف الرَّشح بمعنى العرق • السريجة من سرج ضفر تجعل على ظهور الدواب تحمل فيها البقول او السماد او التراب وغير ذلك • السرج الذي يسرج على الدابة للركوب • الشليف (باسكان الشين) كيس من قماش يجعل على الدابة لنقل البقول وغيرها أشبه بالسريجة الا ان تلك تعمل من الخوص وهم يصوغون منه فعلاً فيقولون شلفه منه أخذه وفي أمثالهم : شلفة المعلم بألف ولو شلفها شلف ، ويعنون بالشلفة الضربة • وهذه المادة غير موجودة في كتب اللغة وفيها فقط الشلافة المرأة الزانية • الكندوج صندوق كبير تحفظ فيه الحبوب • الحديد ، حديدة ، الحدادة ، الحداد ، سكين حاد وحديد • المحسة : الفرشاة • الكلاّب : حديدة معطوفة الرأس او عود في رأسه عقافة منه او من الحديد يجرُ به الحجر (محيط المحيط) • الزناق شكال الدابة والشكال بالكسر اسم الحبل الذي تشد به قوائم الدابة والمزنوق المربوط • المقود • الحزام • الرَّسن • الُخرج • المخلاة • الحياصة سير يشد به حزام السرج •

---

(١) للألفاظ العربية التي جاءت من أصل سرياني : انظر مبحث الاب يوسف حبيقة (المشرق م ٣٧ ج ٣ سنة ١٩٣٩) ومبحثه في الدوائر وهو في الألفاظ السريانية في العربية العامية (المقتبس م ٥) .

الكمامة ما يجعل على فم العجل لئلا يرضع أمه او على منخري الثور والكمام والكمامة بكسرهما ما يكمّ به فم البعير لئلا يعض . اللجام حبل او عصا يدخل في فم الدابة ويلزق الى قفاها . البردعة والبرذعة في الأصل حلس يجعل تحت الرّحل . الجلّ (بالضم والفتح) ما تلبسه الدابة لتصان به ج أجلال . يقولون جلال الدابة . الحداجة القتب بأدواته والقتب إكاف البعير او رحله وبرذعته . الشرعة من شرع الحبل انشطه وأدخل قطريه في العروة وهو ما يجعل على النير في عنق الفدان . الكدان شعبة من الحبل تفصل من المعقد وفي اصطلاحهم آلة مستديرة تعلق في عنق الحيوان لشد لوح او سكة او محراث . نقضت الحبل حللت برمه . انحلّ الحزام ، ارتخت العروة ، كرّب الحبل فتله . عقد الحبل شدّه . المرَسة الحبل ج مَرَس وامراس . زمه شدّه ومنه الزّمامات لما تزم به الأكياس . الشحْر (بفتح الشين واسكان الحاء) سلمان صغيران من خشب يجعلان على ظهر الدابة وتربط بهما سنابل الحبوب لتحمل من الحقل الى البيدر ، لم أجد لها تخريجاً مقبولاً في اللغة . واذا كانت الحمولة من الجمال تجعل الحبوب في «شبكة» لتقيها الانتثار في النقل والشبكة معروفة وهي من خيوط وحبال ومرس .

(١٣) الأطعمة والأشربة والخضروات وأدوات الطعام

القوت ما يؤكل ليمسك الرّمق ، واقتات به أكله وهو يتقوت بالقليل . الرزق ما ينتفع به والجمع الأرزاق والمرزوق المجدود المحظوظ . البرُّ الحنطة ج أبرار . الطعم ما يؤديه الذوق فيقال أطعمه حلواً وحامضاً وتغير طعمه اذا خرج عن وضعه الخلقي . الفُضالة والفضلة اسم لما يفضل . الطبخ انضاج الطعام . لهوجت اللحم اذا أدرته على النار ليشوى فلم تنعم شيه . قلى الطعام انضجه في المقلاة . لحم ضاني يريدون لحم ضأن . العجة طبيخ ببيض . الذبيحة ما ذبح من الغنم يلفظونها بالدال . شرّح اللحم قطعه طولاً بالتخفيف والتشديد ، وكل سمين من اللحم ممتد فهو شريحة والجمع الشرائح للقطع منه . الكباب اللحم المشرّح . أمرقت القدر ومرقتها اكثرت مرقها والمرقة معروفة وتقول هذا طعام مريق اي كثير المرق ولا اصل لمريق ويسكنون ميمه .

شويت اللحم اشويه وهو مشويّ . النيء وزان حِمل كل شيء شأنه ان يعالج لطبخ اء شيّ ولم ينضج فيقال لحم نيء . شيط اللحم في الشيّ اذا دخنه وأحرق بعضه ولم ينضج . زِت الطعام جعلت فيه زيتاً يقولون زَيت . ساق اللحم طبخه في الماء . القديد اللحم المملوح المجفف في الشمس . النقوع ما ينقع في الماء ليشرب والنقوع عندهم بضم النون المشمش المجفف ينقع في الماء فيسهل أكله . قمر الدين هو عصير المشمش لم أعرف وجهاً لهذه التسمية . عصر العنب والزيتون فانعصر في المعصرة . السقط ما أسقط من الشيء وما لا خير فيه يطلقونه على كرش الغنم واكارعه ورأسه ويقولون لها القشة والقبوات وبائعها سقطي . استوى الطعام نضج . دخن اللحم والطعام غلب عليه الدخان فوجد طعمه فيه . قليت الطعام أنضجته في المقلى والمقلاة وهو مقليّ ومقلوّ بالواو والفاعل قلاء بالتشديد . الدَّسم الودك من لحم وشحم . صوّل الحنطة والكاس أخرج ما فيها من حجر وغيره وفي المراجع والتصويل إخراجك الشيء بالماء . حنطة غلثة مخلوطة بزوان وحبوب أخرى وفي القاموس الغليث الطعام يغث بالشعير كالمغلوث . غلت القدر وفارت . لحس القصعة أخذ ما عليها بالاصبع واللسان . لعق الطعام اكله بإصبع . ملحت القدر القيت فيها ملحاً بقدر ، فاذا اكثرت الملح قلت أملحتها . اللقمة من الخبز اسم لما يلقم في مرة كالجرعة اسم لما يجرع في مرة . لتّ السويق بله بشيء من الماء . لاك اللقمة يلوكها مضغها . خمرت العجين جعلت فيه الخمير والخمير الفطير الذي لم يختمر . قرش من الطعام أصاب منه قليلاً . الكشك وزان فلس ما يعمل من اللبن والحنطة وربما عمل من الشعير . المكدوس باذنجان يسلق ويحشى جوزاً وبصلاً وثوماً وفليفلة ويترك في الزيت . والمكدوس في النار المدفوع . زببت العنب جعلته زبيباً ودبست الزبيب جعلته دبساً . الخلّ ما حمض من عصير العنب وغيره . المخلل ما حمض من الخيار واللفت وغيرهما في الخل او بدونه . الخردل . الكمون . الزيت . الشيرج . الخمر . القاورمة اللحم المجفف بالنار ، الشاورمة اللحم المشوي بالنار . البصدرمة شرائح من اللحم مجففة في الشمس (وهذه الكلمات الثلاث تركية) . الثريد ثردت الخبز وهو ان تفته وتبله بمرق . ابُّ اللوز والجوز قلبها . الهريسة الحب اذا دُقّ وطبخ .

الفتُّ الدق والكسر بالاصابع ومنه الفتة لطعام يفت فيه الخبز ويمزج بالمرق واللحم . نسف الحبّ والاسم المنسف وهو القصعة العظيمة او الغربال الذي ينسف فيه الحب . عاف الرجل الطعام والشراب يعافه عيافة بالكسر كرهه . شرق بريقه . غص بالطعام . كسرة من الخبز . القرامة بقية الخبز في التنور . أولم صنع وليمة والوليمة اسم لكل طعام يتخذ لجمع . تفكه الشيء تمتع به وفي هذه الفاكهة نكهة رائحة زكية . العشاء الطعام الذي يتعشى به وقت العِشاء . الغداء طعام الظهر والفطور طعام الصبح . شهيته فاشتهى عليّ . النقاية والنقاوة رديء الشيء . الفضلة البقية من كل شيء . الطاجن المقلو يقال له مطجن أيضاً (فارسية) . يقولون هذا خبز او طعام تازه يعنون به الطريّ الجديد وهي فارسية عربها العرب بطازج وعاد العوطيون الى الكلمة الاصلية تازة . الكعك (فارسي) . أُلخشارة الرديء من كل شيء . الحريرة الحساء المطبوخ من الدقيق والدسم ومنه « ذُرّي وانا أحر لك » . السفوف ما يسف . سف الدواء . الذّرور ما يذرّ . السفساف مايطير من غبار الدقيق اذا نُخل . القطاعة كالنخالة ما سقط من الحب . الحلواء معروف ويقولون الحلو . الرُّقاق الخبز المرقوق . الطُلْمة الخبزة . القطائف . الكنافة . الناطف . الُجرادق يفتحون جيمه وهو مضموم والجردق الكبار من الخبز والرُّقاق ، أرقه . النقانق او المقانق المصير يحشى باللحم المفروم ويقلى (مولدة) . الخبيص ، الخبيصة من الخبص وهو الخلط . السميد السميذ (فارسية) . الحوّارى الدقيق الأبيض . البيوت الغابُّ من الخبز كالبائت وغبّ بات . الثفل ينطقون به بالتاء وهو ما رسب تحت الشيء . خمَّ اللحم خبث وأنتن كأزخم فهو زخم ، وأنتن الطعام صار نتناً وخمّ . الجلاّب عصير العنب . الشراب يجمعونه على شربات وعندهم شراب الليمون وشراب النارنج وشراب البرتقال وشراب التمر هندي وشراب التوت الشامي وشراب الورد وغيرها . الخشاف (تركية خوشاب) .

ومن أطعمتهم ورق العنب يحشونه بالأرز واللحم يقولون له « يابراق » ومعناها الورق وهي تركية ومن التركية أخذوا ألفاظاً كثيرة مثل البورك اي الفطائر خبزة تعمل باللحم او الاسباناخ او الجبن . ومن التركية أكمك قطائفي» « إمام بايلدي » « يلانجي

طوله »· جريش الحنطة يقال له البرغل « وهي تركية بلغور » · ومن معجناتهم البقلاوة ، السنبوسك ، المعمول · ومن مشتقات اللبن : المهلبية ، المبطنة ، كشك الفقراء ، الكلاج ، ومن حلوياتهم مشبك القطين يعقد بالسكر ومشبك النارنج والجوز واللوز والفستق والتين ومعقود النارنج والكباد والمشمش والسفرجل وغير ذلك ، ومن المربيات مربى الجوز ومربى المشمش والتفاح والسفرجل والدراق والزهر زهر الليمون وغير ذلك من الحوامض ومنها مربى القجلجق والباذنجان · القرص بسط العجين ، والقرص ج أقراص يقولون قرّص العجين جعله أقراصاً · الخميرة وتخمير العجين والخمر التخمير للعجين والعلف وغيرهما · الفشوق كل دواء ينشق مما له حرارة او يُدنى من الأنف ليجد ريحه وحرّه · الإدام ما يؤتدم به · الحفنة ملء الكف من الطعام ، يقولون أحفن له حفنة او حفنتين من الحنطة اي اعطه قليلاً · سِنة من الثوم اي فص يقولون سن ثوم وفص أيضاً · ماء زلال عذب · زنخ الدهن تغير · الزاد طعام يتخذ للسفر · الرضّ الدقيق الجريش · رخف العجين استرخى بمائه · شيء مشمّس عمل في الشمس · الشهد بضم الميم وفتحها العسل في شمعها · شاطت القدر احترقت ولصق بها الشيء · الاضحية ج اضاحي ، ضحى بشاة من الأضحية وهي شاة تذبح يوم عيد الاضحى · سمك مليح ومملوح ولا تقل مالح · هرأ اللحم أجاد إنضاجه حتى سقط من العظم وأهرأه هرأة وتهرئة · فعص الليمون مثل فصعها وفصع الرُّطبة عصرها وأخرجها من قشرها · سحن الملح او غيرهـا ويقولون زحن أيضاً وهي صحن · شراب مفلفل يلذع وارز مفلفل يلذعُ لحرارته · والفليفلة تصغير فلفلة وفلفل على ما في التاج نبت يجاور الماء سبط ناعم الورق له حب في عناقيد · والفلفل معروف وهو من نباتات الهند · الرواس أصلها الرآس بائع الرؤوس · السلاخ المسلخ السلخ المسلوخ سلخ التقطير التكرير التكليس التحليل · خبز حاف اي ليس معه أدم جاءت من سويق حافٌ غير ملتوت ·

(١٤) الألبان وتفرعاتهـا

بقرة غراز او عنز غراز قلّ لبنها ، ويعنون بالغراز اللبن الذي يحلب أيام قلة اللبن من العنز والبقر · ويحرفون اللباء اول اللبن فيقولون اللبي ، والقشدة فيقولون

القشطة كما حرفوا الانفحة كرش السخلة فقالوا ملفحة والمنفحة كما في القاموس شيء يستخرج من بطن الجدي الرضيع اصفر فيعصر في صوفة فيغلظ كالجبن ، ويستعمل لعقد اللبن الحليب في طعام يقال له الحلاية ولعمل الجبن . الرُّوبة الخميرة تلقى في اللبن ويبقى عليه اسم الرايب بعد ما تُخرج زبدته . راب اللبن ادرك ان يمخض فهو رائب . خثر فهو خاثر (ينطقون به بالتاء) لبن محض لم يخالطه ماء . لبن مغشوش مخلوط بالماء . والمخض تحريك اللبن لاستخراج زبده . لبن مقطوع اي لبن رائب مصفى . ساح . دفق . مصل . تجبن اللبن صار جبناً وجبّنا عملنا جبناً مثل زيتنا ودبسنا وكشكنا . لبن قاطع حامض . لبّن الرجل اتخذ اللبن . درّ اللبن اذا حلبت الناقة وغيرها فأقبل منها على الحالب شيء كثير يقال درّت ، والدِّرة بالكسر كثرة اللبن وسيلانه وذوات الدَّر أي ذوات اللبن . الرغوة زُبد اللبن حين يحلب : المذيق اللبن المخلوط بالماء . سلأ السمن طبخه . الحالوم نوع من الجبن عندهم . المصل ماء اللبن المخيض او الأقط حين يطبخ ثم يعصر وما قطر منه مصل . مصلت اللبن اذا وضعته في وعاء خوص او خزف حتى يقطر ماؤه . الزُّبد خلاصة اللبن واحدته زُبدة وقد زَبّد اللبن . السمن سلاء الزبد والجمع اسمن وسمون . كل هذه الألفاظ مستعملة في الغوطة الا الأقط وهو يستعمل في أقاليم أخرى من أقاليم الشام . دلقه أخرجه كاستدلقه واندلق خرج من مكانه وللسيل اندلق . يقولون دلق الحليب اي كبه او صبه . كفأته كفئاً كببته ويقولون كفته . مزج خلط . خضخض وخض اللبن . الشمندور اول اللبن الحليب لم نعرف له وجهاً . السويق اللبن الحليب يمزج بالثلج والسكر او الدبس فقط والسويق من بعض معانيه الخمر كما أطلقوا القهوة على هذا البنّ المعروف والقهوة في الأصل الخمر . يقولون سقاني نتفة من لبن أي شيئاً وهي نُدفة في الفصيح . ويقولون أعطني شوية حليب والشواية بالضم الشيء الصغير من الكبير وتقوله العامة بحذف الألف كما في التاج .

(يتبع) محمد كردعلي

شاعر معاوية

كعب بن جعيل التغلبي

– ٢ –

ومن شعره في معاوية هذه الأبيات التي رواها ابن عساكر[1] وهي تشعر بمبلغ دالته على معاوية ، ويظهر انها مع الأبيات التي تقدمت من قصيدة واحدة :

وابيض جني[2] عليه (سموطـه)[3]   من الانس في قصر منيف غواربهْ
تدليته تَسقط الندى بعد هجعـة   فبت أُمنيـه المنى وأُخالبه
بما ينزل(الأروى من الشعف العلى   وما لو يسنِّي حية) لان جانبه[4]
ندمت على شتم العشيرة بعـد ما   مضى واستتبت للرواة مذاهبـه
فأصبحت لا أسطيع رداً لما مضى   كما لا يرد الدر في الضرع حالبه

(١) مخطوطة ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢   (٢) يريد بالجني هنا المرأة الساحرة بحسنها على عادة العرب في نسبة كل شيء بارع الى الجن . قال ابودهبل الجمحي ويروى لمحمد بن بشير الخارجي :

واغا دلها سحر تصيد به   واغا قلبها للمشتكي حجر
جنية أولها جن يعلمهـا   رمي القلوب بقوس ما لها وتر

قال ابوزكريا التبريزي : يعني ان فعلها مباين لفعل الانس وكذلك شكلها وحسنها [شرح الحماسة للتبريزي ٣/١٦٦] . ومثله قول المقنع الـكندي رواه الجاحظ في كتاب الحيوان ٦ /٥٧

وفي الظعائن والاحداج أملح مَن   حلّ العراق وحلّ الشام واليمنـا .
جنية من نساء الانس أحسن مِن   شمس النهار وبدر الليـل قد قرنا

وقال ابو العلاء المعري :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما   رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

(٣) في الأصل :[شموطه] وهو تصحيف سموط وهي القلائد .

(٤) الأرْوي جمع أرْوية وهي تقع على الذكر والأنثى من الوعل . والشعف : جمع شعفة وهي رأس الجبل . والعلى: جمع علياء . ويسني: اي يستخرج الحيات فيرقيها ويرفق بها حتى تخرج اليه قال العجاج :

بمنطـق لو أنني أسني   حيات هضب جئن أو لواني
أرقي به الأروى دنون مني   « لسان العرب »

وقد كان البيت محرفاً تحريفاً لا يستقيم معه له معنى فقد ورد في الأصل هكذا :

بما ينزل الاورى من الشعف الطلى   وما يوسى حيـه لان جانبـه

معاوي أنصف تغلب ابنة وائل … من الناس أودعها وحيًّا تضاربه
قليل على باب الأمير لباثتي … اذا رابني باب الأمير وحاجبه
ولما تداروا في تراث محمد … نمت بابن هند في قريش مضاربه

قال ابن عساكر ويقول فيها :

قليتك فاهجرني[1] فلا ود بيننا … كذلك من يستغن يستغن صاحبه

ويروي ابوزيد البلخي في (كتاب البدء والتاريخ ٢٣٥/٥) بيتًا مما قاله كعب ابن جعيل في تأهب الحسن بن علي ومعاوية للقتال بعد مقتل علي رضي الله عنهم :

من جسر منبج أضحى غب عاشرة … في نخل مسكن تتلى حوله السورُ

وقد طلب يزيد بن معاوية اليه ان يهجو الأنصار انتقامًا من عبد الرحمن بن حسان الذي شبب بأخته رملة ، فأبى كعب تحرجًا وتأثمًا وقال له : (أرادّي أنت في الشرك بعد الايمان؟ أأهجو قومًا نصروا رسول الله ﷺ وآووه ؟ ولكني أدلك على غلام منا نصراني لايبالي ان يهجوهم كأن لسانه لسان ثور . قال من هو ؟ قال الاخطل)[2] .

واتصل ابن جعيل في دمشق بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، كان مداحًا له نوّه بذكره وشاد بمآثر والده العظيم وبلائه الحسن في الفتوح ، ولما مات عبد الرحمن بحمص سنة ست وأربعين حزن عليه ورثاه . فمن شعره فيه قوله يمدحه[3] .

أبوك الذي قاد الجيوش (مغرّبا[4]) … الى الروم لما (اعطت الخرج)[4] فارسُ
وكم من فتى نبهته بعد هجمة … بقرع اللجام وهو (أليَغُ)[5] ناعس
وما يستوي الصفان صف لخالد … وصف عليه من دمشق البرانس[6]
ولم يبق تحت الحزم الا أجنة … ولا من هواديهن الا الكرادس

وله فيه أيضًا :[7]

---

(١) في الأصل [فاهجري] .

(٢) نقائض جرير والاخطل لابي تمام ص١٥١ والكامل للمبرد ص ١٠١ والعقد لابن عبد ربه ٦ — ١٦٩ والأغاني١٧ ١٢٧ على اختلاف في بعض الالفاظ ففي الكامل [ارادّي انت الى الكفر بعد الاسلام ...]

(٣) ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ج ٥ ورقة ٢٩٣ [مخطوط]

(٤) في الأصل :(ممرفا) و(اعطب الحرج) (٥) الأليغ :من لا يبين كلامه . وفي الأصل :«الثغ»

(٦) البرنس هو قلنسوة طويلة وكل ثوب رأسه ملتزق به، ويريد بالصف الذي عليه البرانس جيش الروم .

(٧) ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد .

اني ورب النصارى في كنائسها — والمسلمين اذا ماجمّعوا الجمعا
والقائم الليل بالانجيل يدرسه — لله تسفح عيناه اذا ركعا
ومهراق دماء البُدن عند مِنى — لأشكرن لابن سيف الله ماصنعا
لما تهبطت من غبراء مظلمة — سهلت منها بإذن الله مطّلعا
فقد نزلت اليه مفرداً وحداً — (كفرضة) النيل (تروي العدوتين) معا [1]
افضلت فضلا عظيما لست ناسيه — كان له كل فضل بعده تبعا
فرع اجاد هشام والوليد به — بمثل ذلك ضرّ اللهُ او نفعا
من (مستنيري) قريش عند نسبتها — (كالهبرزي اذا وازنته متعا) [2]
جفانه كحياض البئر مترعة — لما رآها اليماني رق واختضعا
لأجزينكم سعياً بسعيكم — (وهل) بكأّف ساع فوق ما (وسعا) [3]

وقال يمدحه: [4]

انني والذي (اجار) [5] بفضل — يوسف (الحب [5]) من بني يعقوب
والمصلين يوم خضب الهدايا — بدم من نحورهن صبيب
لأصيبن كاشحيك من النا — س (بوسم) على الانوف (علوب) [6]
وأجدن كل يوم ثناء — (يونق) [7] الاذن من محل نسيب
كيف أنسى ايام جئتك فرداً — مضمراً بشر (راغب مرغوب) [8]
اخرق الجند والمدائن حتى — صرت في منزل القريب الحبيب
عبد عبد الرحمن ذي الحسب العد ومأوى الضريك و (المحروب) [9]

وقال معاوية يوماً لكعب بن جعيل بعد موت عبد الرحمن : ليس لشاعر عهد ،

---

(١) في الأصل : [كمرض اليل يرويني العداة معا] وهو تحريف منكر
(٢) الهبرزي : الدينار الجديد والذهب الخالص . وازنه : عادله وقابله . متع : جاد ورجح . وفي الأصل: (من مستبري .... كالهرمزي اذا واريته منعا)
(٣) في الاصل: [زهر ايكاف ساع فوق ماوضعا]
(٤) مخطوطة ابن عساكر ترجمة عبد الرحمن بن خالد
(٥) في الأصل: [احار] و [الجب]
(٦) في الأصل : (بوسيم) و (غلوب) .
(٧) في الاصل : (يويق)
(٨) في الاصل: (راهب مرهوب .
(٩) في الأصل: (وللحروب) .

قد كان عبدالرحمن لك صديقاً ، فلما مات نسيته . فقال مافعلت ولقد قلت فيه بعد موته[1] :

ألا تبكي وما ظلمت قريش   بإعوال البكاء على فتاها
ولو سئلت دمشق وبعلبك   وحمص من أباح لكم حماها
فسيف الله أوردها المنايا   وهدم حصنها وحوى قراها
وأنزلها معاوية بن حرب   وكانت أرضه أرضاً سواها

ثم اذا كانت سنة خمسين نراه هو والحطيئة في مجلس صاحبه القديم سعيد بن العاص والي المدينة حينئذ ، ويدخل الفرزدق عائذاً بسعيد من زياد ابن أبيه ، فاذا أنشد الفرزدق قصيدته التي يمدح بها سعيداً قال كعب بن جعيل : هذه والله الرؤيا التي رأيتها البارحة ، قال سعيد وما رأيت ؟ قال رأيت كأني في سكك المدينة فاذا انا بابن قترة[2] أراد ان يتناولني فاتقيته . فيقول الحطيئة للفرزدق : أدركت من مضى ولا يدركك من بقي . فيقول كعب للحطيئة : فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك . فيقول الحطيئة : والله أفضله على نفسي وغيري[3]

وكما رأينا كعب بن جعيل في الشام والحجاز نراه في العراق يقوم بالمربد في البصرة يقضي بين الشعراء ويفضل بعضهم على بعض . ورد في الأغاني ٤/١٣١ ان النابغة الجعدي واوس بن مغراء اجتمعا في المربد فتنافرا وتهاجيا وحضرهما العجّاج والأخطل وكعب بن جعيل .. وقال كعب في ذلك :

اني لقاض قضاء سوف يتبعه   من أمّ قصداً ولم يعدل الى أود
فصلا من القول تأتم القضاة به   ولا أجور ولا أبغي على أحد
(نالت) بنو عامر (جعداً[4]) وشاعرها   كما (تنيل) بنو عبس بني أسد

وقد ذكر عن النابغة انه هاجى كعب بن جعيل فغلبه كعب . كما ان ابا جهمة الأسدي كان قد خص بني تغلب جميعاً بالهجاء فقال كعب بن جعيل[5] :

---

(١) ابن عساكر ترجمة كعب بن جعيل ج٧ورقة ٥٣٢ وترجمة عبد الرحمن بن خالد ج ٥ ورقة ٢٩٣ — ٢ [وكلاهما مخطوط] والاصابه لابن حجر ٥ — ٦٨

(٢) ان قترة : حية خبيثة .   (٣) الاغاني ١٩ — ٢١ و ٢١ — ١٢٧

(٤) في الأصل «سعدا» وسياق الكلام يقتضي ان يكون جعداً لان المقصود بالهجاء النابغة الجعدي.

(٥) ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ مخطوط

بنا كثرت بنو أسد فيخشى لكثرتها و (ما[١]) عز القليل
قبيلة تردد في (معد)[٢] خدودهم أذل من السبيل
تمنى ان تكون اخا قريش (شحيج البغل)[٣] بأذن للصهيل[٤]

وقال كعب أيضاً :[٥]

اذا احمرّ بأس الناس ألفيت شرهم بني اسد اني بما قلت عارفُ
اغاروا علينا يسرقون رحالنا وليس لنا في مرج صفين قائف

وتنقطع اخبار كعب بعد وفاة معاوية سنة ستين مع عظم الأحداث التي جرت بعده ، فلا نسمع صوته ايام يزيد ، ولا أيام مروان بن الحكم في وقعة مرج راهط سنة اربع وستين حيث ابلت بنو تغلب مع مروان بلاء حسناً . فاذا بويع عبد الملك بن مروان وقضى على مصعب بن الزبير سنة احدى وسبعين سمعنا كعب بن جعيل يقول فيه :[٦]

أمير المؤمنين هدى ونور كما جلى دجى الظلم النهارُ
قريع بني أمية من قريش هم السر المهذب والنضار

ويروي ابن عساكر خبراً لكعب مع خليفة من بني أمية لم يسمِّه وخلاصة الخبر : ان بعض خلفاء بني أمية سأل شاعراً من تغلب اسمه قرثع التغلبي عن شرف تغلب وعددها فيمن هما ؟ فقال في بني اوس بن تغلب — لانه منهم — فيقول له الخليفة أتقول هذا وكعب بن جعيل حاضر ؟ فيقول نعم . فاذا جاء كعب أعاد الخليفة سؤاله فأعاد قرثع جوابه ؛ فيغضب كعب — لانه من بني غنم بن تغلب — وينال من بني الأوس بن تغلب وتقع بين الشاعرين مشارّة فيقول كعب[٧] :

لعمرك ما السفاح مثل ابن خالد وما انت من ابناء عمرو بن حيجل[٨]
ومالك في عمرو وعمران مسكة ولا في الكناني الأغر المحجَّل
ومالك في آل الهذيل دعامة ولا في بني (حوط الحظائر)[٩] فارحل

(١) في الاصل: ولا (٢) في الاصل: معهد (٣) في الاصل : شحيج البعل
(٤) وردت هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت منسوبة اليه بتغيير قليل ص ٩٠
(٥) ابن عساكر ج ٧ ورقة ٥٣٢ مخطوط (٦) انساب الاشراف للبلاذري ج ١١ ص ٢١٢
(٧) مخطوطة ابن عساكر ، ترجمة قرثع التغلبي ، ج ١٤ ورقة ٢٠٧ — ٣
(٨) كذا بالاصل: ولعله حيهل (٩) في الأصل: خوط الحصائر والصحيح من كتاب الاشتقاق لابن دريد

وما الاوس الاجعر خار بقرقر من الأرض يجبي جعوه غير معجل

ويقول ابن عساكر ان كعباً بقي حتى وفد على الوليد بن عبد الملك ومدحه ، والوليد بويع سنة ست وثمانين وتوفي سنة ست وتسعين . فكعب على ذلك من المعمرين و كان له أخ شاعر أيضاً اسمه عمير[1] ولكنه لم ينل من الشهرة ما ناله كعب .

خصائص شعره : ان ما بقي من شعر كعب بن جعيل طائفة يسيرة ولكنها تحمل خصائص تستحق التدبر كأثر الموطن والمجتمع والزمان ؛ فقصيدته التي يعتذر بها الى الضحاك بن قيس تدل دلالة واضحة على ان الشاعر من الجزيرة الفراتية بعد ان ذكر فيها اضطرابه بين نصيبين ودارا والرقة . وذلك أثر من آثار الموطن واضح غير عميق يتأثر به الشاعر وغير الشاعر . ولكن الأثر البليغ هو الذي يلوّن شعر الشاعر بطبيعة الموطن ويلهمه انتزاع تشبيهاته واستعاراته مما تقع عليه عينه . فهل من ذلك شيء في شعر كعب ؟

درج شعراء العرب على تشبيه الفتاة الحسناء بالغصن لاعتدال قامتها ونعومتها وتأودها ، وكثيراً ما يجعلون ذلك الغصن من البان ونابتاً في كثيب من الرمل ، ويكنون بكثيب الرمل عن عظم الأرداف وارتجاجها ، والشواهد على ذلك كثيرة جداً . وهذا غير مستغرب من شاعر ينشأ في بوادي الحجاز او نجد . اما كعب الناشئ في الجزيرة ذات الانهار والغدران والظل والشجر ، فقد شبه الفتاة الناعمة الممشوقة القوام بـ « صعدة نابتة في حائر » من الماء ، فعدل عن غصن البان على كثيب الرمل الى «الصعدة» وهي القناة النابتة في«حائر» والحائر المكان المطمئن يجتمع فيه الماء فيتحير ولا يخرج منه فقال :[2]

وضجيع قد تعللت به طيب أردانه غير تفل

في مكان ليس فيه برم وفراش متعالٍ متمهل

فاذا قامت الى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل

وبتنين اذا ما ادبرت كالعنانين ومرتج رهل

« صعدة نابتة في حائر » اينما الريح تميلها تمل

(١) عمير بن جعيل ذكره المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٤٥

(٢) المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٨٤ وخزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٤٥٧

ولا يأتي بمثل هذا التشبيه الا من أقام بموطن مثل الجزيرة .

وكذلك نلفي في شعر كعب « القصور المنيفة الفوارب » و «البروج ذات الشماريخ » وذلك لكثرة ما وقع نظره عليه من قصور الروم وحصونهم وبروجهم وأسوارهم ، وما أقاموه في الجزيرة وعلى حدودها من المصانع والقلاع ، وفيما سبق إيراده من شعره شواهد على ذلك .

وللمجتمع في شعره أثر ليس بدون أثر المكان ، فهو تغلبي متعصب لقبيلته شأن جميع شعراء العرب ، ويزيد على ذلك ان موقفه من قبيلته موقف يرينا الروح العربية تسع دينين في وقت واحد ، فهو وان كان مسلماً ، ينطق بلسان تغلب مسلمها ونصرانيها ، لان تغلب وقتئذ لم تدخل كلها في الاسلام ، ويحلف بالكنائس كما يقسم بالجوامع ، ويكرم دارس الانجيل كما يعظم قارئ القرآن :

انى ورب النصارى في كنائسها والمسلمين اذا ما جمّعوا الجمعا
والقائم الليل بالانجيل يدرسه لله تسفح عيناه اذا ركعا
ومهراق دماء البدن عند منى لاشكرنْ لابن سيف الله ماصنعا

ومثل هذا الروح السمح يستدعي الاعجاب ، والغريب أن اثر النصرانية في شعر كعب التغلبي المسلم اكثر ظهوراً منه في شعر الأخطل التغلبي النصراني .

كان كعب في زمن جرت فيه عظام الحوادث سراعاً ، فقد أدرك الفتوح الاسلامية التي غيرت مجرى التاريخ وانتصار العرب على الفرس والروم ، وأدرك الفتن الداخلية كمقتل عثمان وما تلاه من الأحداث كوقعة الجمل ووقعة صفين التي شهدها كعب مع معاوية . وهو من الشعراء الذين ساهموا في الأمور العامة ، واندفعوا في معالجة الشؤون السياسية ، فكان شاعر أهل الشام ولسانهم . فظهر على شعره خيلاء الفاتحين وكيد الساسة ومكر الدعاة . فاذا مدح عبد الرحمن بن خالد بن الوليد او رثاه نوّه بتغلغله في بلاد الروم وبيطولة ابيه وظهوره على الفرس في العراق والروم في الشام . وما قاله في صفين من الشعر فيه دهاء وحسن تصرف ، فقد تفجع على عثمان ودعا الى المطالبة بدمه ، وجعل الشبه في دمه تحوم حول علي وأصحابه . قال ابن ابي الحديد في الموازنة بين قصيدة كعب وقصيدة النجاشي في خلاف علي ومعاوية وقد تقدم

نقلها : « وأبيات كعب بن جعيل خير من هذه الأبيات – أبيات النجاشي – واخبث مقصداً وأدهى واحسن »[1] وقال في مكان آخر بعد ما نقل قصيدة كعب : « وهذا شعر خبيث منكر ومقصد عميق[1] »

واذا أضيف الى ذلك ما يدور في شعره من الألفاظ الاسلامية كالنبي والحج وبيت الله والهديّ والمصاحف والجمع والسوَر والركوع والسجود « وخلع الأنداد والصلب » وما الى ذلك وجدناه من اكثر الشعراء الاسلاميين تأثراً بالاسلام وحوادثه . وفي استنكافه عن هجاء الأنصار تحرجًا وتأثمًا وقوله ليزيد بن معاوية الذي طلب اليه ذلك «ارادّي انت في الشرك بعدالايمان ؟ أاهجو قومًانصروا رسول الله ؟[2]» دليل على مبلغ أثر الاسلام في نفسه .

أما أسلوبه فأسلوب أهل الصدر الأول جزالةً وسلامةً وعدمَ تعمل ، والحس والعاطفة في الافصاح عن المعاني اظهر من الخيال ، كقوله وهو مما تغنى به المغنون في القرن الأول :[3] ولعل هذه الأبيات من غزل القصيدة التي يمدح بها سعيد بن العاص انظر مجلة المجمع (م ١٩ ص ١٨)

اذا امتشطت عالوا لها بوسادة ومدت عسيب المتن ان يتعفرا
ثوت نصف شهر تحسب الشهر ليلة تناغي غزالأساجي الطرف احورا
تزين حتى تسلب المرء عقله وحتى يحار الطرف فيها ويسكرا

وقوله يمدح :[4]

لا ينكتون الارض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فترى لهم عند السؤال كأحسن الألوان

وقوله يهجو :[5]

اذا راح في فوهيـة متأزراً فقل جرذ يستن في لبن محض

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥٨ و ص ٢٥٢ (٢) تقدمت الاشارة الى مصادر هذا النص (٣) الأغاني ج ٣ ص ٨٣ (٤) شرح مقامات الحريري للشريشي ج٢ ص ٨١
(٥) ديوان المعاني ج ١ ص ٢١١ وعيون الأخبار ج ٤ ص ٥٥ وأمالي القالي ج ١ ص ٢٧٨ وشرح الحماسة للتبريزي ج ٤ ص ١٨٣ .

وتحسبه ان قام للمشي قاعــداً   لقلة مقياسيه في الطول والعرض
فأقسمت لو خرت من استك بيضة   لماانكسرت من قرب بعضك من بعض
فيا خلقة الشيطان أقصر فانمــا   رأيتك أهلا للعداوة والبغض

وقوله [١] :

وغزانا تبَّع سيفي حمير   نزل الحيرة من أهل عدنْ

وقوله في الرثاء :

برابية الثرثار [٢] قبر ترابــه   يضم الغمام الجَوْد والشمس والبدرا
رأت تغلب الغلباء عند مصابه   عيون الأعادي نحو أعينها خزرا
وودت نجوم الجو يوم حملتــه   على النعش لو كانت بأجمعها قبرا
منافسةً منهــا عليه وضنةً   على الترب أن يمحو المآثر والفخرا
وما بخلت عينــاي بالدمع بعده   على هالك الا ذكرت لها عمرا

في البيتين الثالث والرابع معنى مبتكر بديع لم أره لغير هذا الشاعر من شعراء العرب، والبيت الأخير من عيون الشعر وحر القريض، أخذه ابو محلّم الشيباني فقال وأحسن:

ما غاض دمعي عند نازلة   الا جعلتك للبكا سببا
فاذا ذكرتك سامحتك به   مني الجفون ففاض وانسكبا

خليل مردم بك



(١) الطبري (٢ — ٢٨) وفي معجم البلدان في مادة (الحيرة)

وغزانا تبع من حــير   نازل الحيرة من أرض عدن

(٢) الثرثار واد عظيم بالجزيرة يمدّ اذا كثرت الأمطار ، وهو في البرية بين سنجار وتكريت ، اختص بأكثره بنو تغلب ، وتنصب اليه مياه من نهر الهرماس ، وكان للعرب بنواحيه وقائع مشهورة ولهم في ذكره أشعار كثيرة (معجم البلدان)

احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

— ٣ —

رأى الامام الزمخشري ان يشتق من اسم العلم العربي والعجمي فأقدم ولم يحجم، شجعته العربية فتشجع وهو من أبطالها . قال في أساسه بعد ان ذكر عمرو بن بحر الجاحظ : « و [تجاحظ فلان في كلامه] »

وقال في شرح مقامة التصدق : « ابن الفرات هو علي بن محمد الفرات وكان كريمًا سخيًا مرباً [يتبرمك] في أيام وزارته »

وقال في مقامة العمل : « ولو سمع قول قائل من صحبانه سحبانُ بن وائل [لاستبقل] من الدهش »

قال في شرحها : « استبقل كلمة موضوعة ، استفعل من باقل المضروب به المثل في العي ، قيس على استنوق الجمل ونظائره ، ونحوه ما في قول المعري :

استنبط العرب في الموامي   بعدك واستعرب النبيط »

والكلمات الثلاث المتقدمات تغني عن سطور في التوضيح طويلات

وهذه الطريقة الزمخشرية في الاشتقاق من الأعلام قد سلكت من قبل ، ففي (الأغاني) في أخبار ابن مسريج : « هذا صوت قد [تمعبد] فيه ابن مسريج »

وفي الأغاني في أخبار دعبل الخزاعي يقول أديب لرجل رجع من عند دعبل ذي الشيطنة : « ما ذا [دعبلتَ] عنده »

ومن استقرى[1] أحاديث العرب في الجاهلية والاسلامية (الاموية) وجد ان العربية قد اشتقت مثل هذا الاشتقاق ولم تردد ، ففي (تاريخ الأمم والملوك) للطبري ج٨ ص٢٥٨ « . . . لما قدم يوسف بن عمر العراق قال : اشيروا علي برجل أوليه خراسان

---

(١) استقرى لا استقرأ ، قرا الامر واقتراه واستقراه وتقراه : تتبعه ، وفي التاج في (ق ر و) واستقرى الاشياء تتبع أقراءها لمعرفة أحوالها وخواصها . وفي (المصباح) : استقرأ ، وعندي ان هذا تصحيف او تطبيع او وهم ان كان الفيومي قد خطه ؛ واستقرى هي في جميع معجماتهم وفي جميع اقوالهم

فأشاروا عليه (بجماعة سماهم الطبري) فكتب يوسف باسمائهم الى هشام ، وأطرى القيسية ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكناني . فقال هشام : ما بال الكناني آخرهم ؟ وكان في كتاب يوسف اليه : يا أمير المؤمنين ، نصر بخراسان قليل العشيرة . فكتب اليه هشام : قد فهمت كتابك واطراءك القيسية ، وذكرت نصراً وقلة عشيرته ، فكيف يقل من أنا عشيرته ؟ ولكنك [تقيست علي وأنا متخندف عليك] ابعث بعهد نصر ، فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين بله ما ان تميما اكثر أهل خراسان ...

وكان أحد الأدباء سأل صاحب (الضياء[1]) هذا السؤال :

« جاء في كلام الجرائد الافرنجية في هذه الأيام لفظة مرتجلة عربها أصحاب الجرائد عندنا بدرفس وهي كلمة مشتقة من اسم دريفوس فهل ورد في العربية شيء من مثل ذلك»

فأجاب : « لا نذكر من مثل ذلك عندنا الا حكاية جاءت في الأغاني . محصلها ان بدر بن معشر الغفاري كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بمنعته فاتخذ مجلساً بسوق عكاظ وجعل ينشد و يقول :

نحن بنو مدركة بن خندف من يطعنوا في عينه لم يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف كأنهم لجة بحر مسدف

وكان ينشد وهو باسط رجليه يقول : أنا اعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضرب هامتي بالسيف . فوثب رجل من بني نصر بن معاوية يقال له الاحمر بن مازن فضربه بالسيف على ركبته فاندرها اي أطارها ثم قال : خذها اليك أيها المخندف »

(قلت) : جاء في (الفائق) : « الزبير (رضي الله عنه) سمع رجلاً يقول يا لَخندف فخرج وبيده السيف وهو يقول أُخندفُ اليك ايها المخندف[2] » .

قال الزمخشري : الخندفة الهرولة ، ولو قيل : ان نونها مزيدة واشتقت من خذفت السماء بالثلج اذا رمت به لان المهرول يقذف بنفسه في السير — كان وجها[3] . أراد بالمخندف المنادي بيالخندف

---

(١) السنة ١ ص ٣٣٨

(٢) اللسان : قال ابو منصور : ان صح هذا من فعل الزبير فانه كان قبل نهي النبي (صلى الله عليه وسلم) عن التعزي بعزاء الجاهلية .

(٣) التاج : الخندفة مشتق من الخدف وهو الاختلاس قال ابن سيده : ان صح ذلك فالخندفة ثلاثية ، وفي مستدركه : خندف : اختلس بسرعة ...

وروى اللسان قول الزبير وزاد : (والله لئن كنت مظلوماً لأنصرنك) وقال : خندف الرجل انتسب الى خندف [1] ، قال رؤبة : (إني اذا ما خندف المسمي)

* * *

مثل (احترم) المتقدمة — اكتنه ، برهن ، تجيَّل ، لاشى تلاشى ، كيَّف تكيف ، تطور . وكثيرات من اخواتهن لا يحصى عددهن ، والكنه والبرهان والجيل و كيف والطور لم يكن في العربية الأولى الا هن ، ولم يسمع فعل منهن ، ثم رأت العربية القوية في الحضارة والنضارة ان تشتق فاشتقت

١ — اكتنه

قال الأساس اكتنه الأمر بلغ كنهه ، وعندي من السرور مالا يكتنهه الوصف

وقال الحريري في (الحلبية) فجلست اليه لا بلوجني نطقه ، واكتنه كنه حمقه

وقال الأزهري صاحب (تهذيب اللغة) : اكتنهت الأمر اكتناهاً اذا بلغت كنهه ، روى عبارته اللسان

وقال المجد في معجمه : اكتنهه وأكنهه بلغ كنهه

قلت : نأخذ من مجد الدين (اكتنه)وندع (أكنه)قامسة في(قاموسه)لاتخرج منه ابداً

وأما الجوهري فهذه مقالته في ذلك الفعل : لا يشتق منه (اي من الكنه) فعل ، وقولهم : لا يكتنهه الوصف بمعنى لا يبلغ كنهه اي قدره وغايته — كلام مولد

قلت: قد اشتقت العربية منه فعلا ... ولم يجادل مجادل في توليدالقول ، ولم يقل : «قرأته في (الصحاح [2]) وسمعته من الأفحاح) كما قال الزمخشري في احدى سجعاته في أساسه

٢ — برهن

قال ابونصر الجوهري في (تاج اللغة وصحاح [2] العربية) :

البرهان : الحجة ، وقد برهن عليه : أقام الحجة

(١) امرأة الياس بن مضر بن نزار غلبت على نسب أولادها منه ...

(٢) المزهر : قال التبريزي : يقال كتاب الصحاح بالكسر وهوالمشهور ، وهو جمع صحيح كظريف وظراف ، ويقال الصحاح بالفتح ، وهو مفرد نعت كصحيح . وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة في فعيل كصحيح وصحاح ، وشحيح وشحاح ، . بريء وبراء . في التاج : قال شيخنا : والحق صحة الروايتين وثبوتهما من حيث المعنى ، ولم يرد عن المؤلف في تخصيص احدهما بالسند الصحيح مايصار اليه ولا يعدل عنه

وقال الزمخشري في (أساس البلاغة) في ديباجته : المبرهنين على ما كان من العرب العرباء

وقال الحريري في التاسعة (الاسكندرية) فبرهن الآن عن نفسك ، والا كشفت عن لبسك

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج المجلد ١ ص ٤٤٣ : واعلم أنا قد تكلمنا عليه (يعني المثل السائر لابن الأثير) في كتابنا الذي أفردناه للنقض عليه ، وهو الكتاب المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر[1] . فقلنا أولاً انه اختار حد الكناية ، وشرع [يبرهن] على التحديد ، والحدود لا يبرهن عليها ، ولا هي من باب الدعاوي التي تحتاج الى الأدلة ، لان من وضع لفظ الكناية لمفهوم مخصوص لا يحتاج الى دليل ، كمن وضع لفظ الجدار للحائط لا يحتاج الي دليل

وجاء في لسان العرب : يقال : برهن يبرهن برهنة اذا جاء بحجة قاطعة لِلدد الخصم فهو مبرهن

وقال الانسان الكامل الاستاذ الامام في (رسالة التوحيد) ص ٦ :

... ولكنه (يعني الكتاب الكريم) أقام الدعوى [وبرهن] وحكى مذاهب المخالفين ، وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الاحكام والاتقان على انظار العقول

وقال حجة الاسلام في (الوحي المحمدي) ص ١٦٢ : وجملة القول انه ما وجد دين ولا شرع ولا قانون في أمة من الأمم أعطى النساء ما أعطاهن الاسلام من الحقوق والعناية والكرامة . أفليس هذا كله من دلائل كونه من وحي الله العليم الحكيم الرحيم لمحمد النبي الأمي المبعوث في الأميين ؟ بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين [المبرهنين] والحمد لله رب العالمين

ومن الغرائب والعجائب ان اللسان يقول في (برهن) ما تلوته أيها القارئ ، ثم يقول في (بره)

---

(١) مطبوع في الهند ، كنت لخصته ونشرت طائفة مما لخص في مجلة الهلال

وأما قولهم : برهن فلان فهو مولد ، والصواب ان يقال : (أبره) اذا جاء بالبرهان كما قال ابن الاعرابي ان صح عنه

قلت : برهن مولد كما قال وقلنا ، وبرهن صواب ، وأبره خطأ اذ لم يقلها عربي ولا أعرابي ولا إسلامي ولا محدث ، ولن يقولها احد — ان شاء الله — انهـا لفظة بشعة متنكرة [والعياذ بالله] وقول اللسان : (ان صح عنه) يدل انها لم تصح عنه ، ولو رواها ابن الاعرابي واستند الى الاعرابي لرددنا روايته، وان كان افتعلها فهو من الآثمين ...

واغرب مما جاء به ابن منظور ما أتاه الامام الزمخشري فهو يقول في مقدمة الاساس (المبرهنين) ثم يقول في كتابه هذا :

أبره فلان : جاء بالبرهان ، وبرهن مولد ، والبرهان بيان الحجة من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري كما اشتق السلطان من السليط لاضاءته

(قلت) : ابره ليست من كلام العرب ، واذا صحت عندك فكيف آثرت مولدة على العربية فلم تقل من (المبرهين) نعوذ بالله

والله لو قلتها لشوهت تلك (الديباجة) البارعة الباهرة ذات الحفلة[1]

والبرهان — يا أبا القاسم — ليست من البرهرهة وانما هي لفظة استعرناها في الجاهلية من الجيران ، والناس تعير وتستعير ، والأمم تأخذ وتعطي في كل زمان . والسلطان قالوا فيه كما قلت ، وقال قائل : انه من اللسان السليط الحديد ، من السلاطة ، وقال آخر : هو من السطوة والحدة ، وقيل غير ذلك . ومن يتل أقوال اللغويين في اشتقاق [السلطان] وتذكيره وتأنيثه وفي كونه مفرداً أو جمعاً تطل بلبلته ...

وأغرب مما صنع ابن منظور والزمخشري ما فعله حجة الاسلام فانه جاء الى قول الاستاذ الامام في (رسالة التوحيد) : « وأقام الدعوى وبرهن » فقال في الحاشية : « قال في الأساس : ابره : جاء بالبرهان ، وبرهن مولد »

---

(١) في الأساس : على وجه فلان غسلة اذا كان حسناً ولا ملح عليه ، ويقال في ضده على وجهه حفلة . ونقل (التاج) هذا القول ، ولم يذكر الزمخشري (الحفلة) هذه في (ح ف ل) وذكرها في (غ س ل) وفي حفل قال : هذا ثوب يحفل الوجه اي يظهر حسنه ويجمله ، وحفل وتحفل : تزين ، ولبس ثياب الحفلة .

ماذا تعني — يا ابا شافع — بما علقت ؟ هل ترى ان الاستاذ الامام قد أخطأ فجيت تنبه على غلطه ...

اذا كان الامر كذلك فكيف قلت في الوحي المحمدي : [وانا على ذلك من الشاهدين المبرهنين] واذا كانت للأدب لغة ، وكانت للعلم لغة فهل يجوز لعالم متكلم من المتكلمين — وان فرض ان في العربية (ابره) — ان يقول في بحث كلامي علي الأ (برهن) ؟

٣ — تلاشى

بنت العربية (الملاشاة والتلاشي) من (لا شيء) في القرن الثالث فقالت : لا شى ، يلاشي ، ملاشاة . وتلاشى ، يتلاشى ، تلاشياً .

جاء في (النهج) : سبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ، ولا ليل ساج ، في بقاع الارضين[1] المتطأطئات ، ولا في يفاع السفع[2] المتجاورات ، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء ، وما [تلاشت[3]] عنه بروق الغمام ، وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الانواء وانهطال السماء

وقال البديع الهمذاني في احدى رسائله يعاتب بعض اصدقائه (ص ٢٦٤ شرح العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب) .

الوحشة أطال الله بقاء الشيخ تقدح في الصدر اقتداح النار في الزند ، فان اطفئت بارت [وتلاشت] وان عاشت طارت وطاشت . وورد هذا القول في مقامته (الخَلَفية) وقال في الصيمرية: «وتلاشت صحتي» (شرح العلامة الشيخ محمد عبده ص ٢١٩)

وفي (ارشاد الأريب) لياقوت في سيرة الحسن بن عبد الله المرزباني (شارح كتاب سيبويه) : « التفاوت في تلاشي الاشياء غير محاط به »

---

(١) بفتح الراء وربما سكنت في المخصص واللسان والتاج بحث في هذا الجمع

(٢) ابن ابي الحديد: السفع المتجاورات : ههنا الجبال وسماها سفعاً لان السفعة سواد مشرب بحمرة ، وكذلك لونها في الاكثر (٣) قال ابن ابي الحديد (المجلد ٢ ص ٥٣٢ : هذه الكلمة أهمل بناءها كثير من أئمة اللغة ، وهي صحيحة ، وقد جاءت ووردت ، قال ابن الاعرابي : لشا الرجل اذا اتضع وخس بعد رفعة ، واذا صح اصلها صح استعمال الناس تلاشى الشيء بمعنى اضمحل ، وقال القطب الراوندي : تلاشى مركب من لا شيء ، ولم يقف على أصل الكلمة

(قلت) مقالة ابن ابي الحديد متلاشية ، والحق مع القطب الراوندي صاحب (شرح نهج البلاغة ومعتقد الشيعة)

وراوي الجملة هو المنشىء العبقري ابو حيان التوحيدي « الذي ربما كان اعظم كتاب النثر العربي على الاطلاق » كما يقول العرباني (متز) في كتابه المشهور الذي عربه او ترجمه الاستاذ محمد عبد الهادي ابو ريدة ج ١ ص٣٩٥ وفي (العمدة) لابن رشيق ج ١ ص ٨٠

اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ... ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب ... فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع ... وكذلك ان اختل اللفظ جملة [وتلاشى] لم يصح له معنى لأنا لا نجد روحاً في غير الجسم البتة

وفي المثل السائر لابن الأثير: واوسعها توشية وإذهاباً إذا وسع غيرها تلاشياً وذهاباً

وقال ابن خلدون في الفصل ٢٤ (في ان الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء) . والسبب في ذلك ما يحصل في النفوس من التكاسل إذا ملك أمرها عليها ، وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم ، فيقصر الامل ، ويضعف التناسل ، والعمران انما هو عن جدة الأمل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية . فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعو اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم — تناقص عمرانهم ، [وتلاشت] مكاسبهم ومساعيهم ، وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم ، فأصبحوا مغلبين لكل متغلب ، وطعمة لكل آكل ... وفيه سر آخر ، وهو ان الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له ، والرئيس اذا غلب على رئاسته[1] وكبح عن غاية عزه — تكاسل حتى عن شبع بطنه وري كبده ... »

والتلاشي في كلام ابن خلدون كثير

وقال أمير البيان الامير شكيب ارسلان في مؤلف له :

(١) قل كثيرون الرئاسة والرياسة ، وأبى بعضهم الا الرآسة . وقالوا الريس قال الكميت : (تهدى الرعية ما استقام الريس) رواه اللسان في شعر له ، وروى : كان يقال : ان الرياسة تنزل من السماء فيعصب بها رأس من لا يطلبها .

«ولو لم تتلاش العصبية الجنسية بالعصبية الدينية لبقي العرب محصورين في جزيرتهم لا تعلم بهم الامم ولا يذكرهم التاريخ الا لماماً ولكانوا الى يومنا طرائق قددا خضعاً رقابهم لعدو يأتيهم من طرف العراق باسم كسرى ، ومن طرف الشام باسم قيصر[1] . . . اذا كان محمد (ﷺ) نقل الناس من ظلمات الوثنية والرذائل الى نور التوحيد وفضائله فما معنى هذه المفاخرة بالعرب قبل الاسلام ، وما وجه تذكار ذلك التاريخ العربي المملوء بفظائع الجاهلية وسفاحها ووأد بناتها وعبادة عزاها ومناتها»

وجاءت اللفظة في شعر الغزي (مواسم الادب ج ١ ص ٢٩٥) والصنوبري (رواه شفاء الغليل) وفي نقد النثر المنسوب لقدامة ص ١١٧ وأوردها التاج في مستدركه ، ووردت في كليات ابي البقاء ص ٢٣٣

فالتلاشي مولدة كيسة ، وقد تقبلها من تلوت أقوالهم ، وسمينا اسماءهم بقبول حسن ثم طلع علينا الخفاجي في آخر الزمان يقول في (شفاء الغليل) :

« التلاشي بمعنى الاضمحلال عامية ، لا أصل لها في اللغة »

عامية يا شيخ « قدك اتئب ، أربيت في الغلواء[2] » خفف الله ، احترم أولئك الأئمة ، قل مولدة ، قل محدثة . لقد ظلمتها حين ذممتها ، واستأصلت أصلها . والنسب

(١) قلت منذ تسع سنين في احدى مقالاتي في البلاغ المصري (العرب وقواعد لغتهم) . . . جماعة في اليمن يضيمها الاحبوش ، واخرى في الحيرة عبدان عند الفرس ، وفريق في حوران تابع ذنب عند الرومان ، وشراذم تجار في الحجاز عرفناهم أيام الفجار . . . ثم كان (خالق) خلق — بهدى الله وحوله — امة ، وهو — وان عزي الى امته — فوق فوق امته ، وفوق سائر الامم . وكان (كتاب) كون لغة ، وكون أدبا ، وهو — وان عد من العربية — فوق فوق العربية ، وفوق كل لغة . نعم بمحمد كانت عرب ، وبمحمد كانت عربية ، وبه كانت امة ، وبه كانت لغة ، وبه كان أدب ، وبه أضاء الوجود والوجود مظلم .

في (نهج البلاغة) : تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم . . . فتركوهم عالة مساكين . . . اذل الامم داراً واجدبهم قراراً ، لا يأوون الى جناح دعوة يعتصمون بها . . . فالاحوال مضطربة ، والايدي مختلفة . . . في بلاء ازل ، واطباق جهل ، من بنات موؤدة ، وأصنام معبودة ، وأرحام مقطوعة ، وغارات مشنونة . فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا فعقد بملته طاعتهم ، وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها »

(قلت) وفي (الكتاب) التاريخ الحق والقول الفصل (٢) ابو تمام

مشهور ، والناجلان معروفان ، وهما (لا) و (شيء) وقد نشأت في العراق ، ورحب بها (المهيللون) و (المبسملون[1]) و (الحمدلون) والادباء والعلماء والباحثون

جاء في (جامع البيان) تفسير الطبري ج ١ ص ١٠ :

... لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع اليه اصحابه ، فودعهم ثم قال : لا تنازعوا في القرآن ، فانه لا يختلف ولا [يتلاشى] ولا ينفد لكثرة الرد . وان شريعة الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة . ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر — كان ذلك الاختلاف . ولكنه جامع ذلك كله ، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام . ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله ﷺ فيأمرنا نقرأ عليه ، فيخبرنا أن كلنا محسن . ولو أعلم أحداً أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتى ازداد علمه الى علمي . ولقد قرأت من لسان رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وقد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن في كل رمضان حتى كان عام قبض ، فعرض عليه مرتين ، فكان إذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني أني محسن ، فمن قرأ على قراءتي فلا يدعنها رغبة عنها ، ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه ، فانه من جحد بآية جحد به كله »

(قلت) : ان صح شيء من معاني هذا الحديث فقد رواه راويه في القرن الثالث بلغة وقته .

(يتبع) محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) روى ابوعلي في أماليه :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا بأبي ذاك الغزال المبسمل

رسالة الملائكة

- ٢ -

التعريف برسالة الملائكة بقدر ما في النسخة الخطية منها

قدمنا ان المتقدمين لم يذكروا من أمر هذه الرسالة شيئاً الا انها جواب عن مسائل صرفية . ولم يبين أحد منهم ما هي تلك المسائل ولا تاريخ تأليفها ولا سببه ولا من هو السائل ولا شيئاً آخر يفيد الباحث في إزالة الغموض عن ناحية من النواحي

ويظهر من فحوى الرسالة ان ابا القاسم علي بن محمد بن همام سأل ابا العلاء عن ١٦ مسألة أو حمل اليه من سائل آخر تلك المسائل

وفي التنوخيين همامان احدهما همام بن عامر جد بني المهذب التنوخي وهذا توفي سنة ٢٣٤ والثاني همام بن الفضل بن جعفر من أحفاد المهذب . وهذا هو صاحب التاريخ الذي نقل عنه ياقوت وابن العديم وابن الوردي وغيرهم كثيراً من الحوادث وكان معاصراً لابي العلاء وله ولد يقال له ابو الحسن علي بن همام كان تلميذاً لابي العلاء وهو الذي رثاه بأبيات يقول فيها :

ان كنت لم ترق الدماء زهادة   فلقد أرقت اليوم من عيني دما

فأبو القاسم صاحب هذه المسائل اما ان يكون هو هذا التلميذ وقد وقع في كنيته تحريف ونسب الى جده واما ان يكون لهمام ولدان احدهما علي والثاني محمد ولمحمد ولد يقال له أبو القاسم علي وهذا اقرب الى القبول

المسائل : منها ثلاث ليست في هذه النسخة لنستطيع الوقوف على حقيقتها والظاهر ان السؤال عن يأجوج ومأجوج يعود الى وزنها واشتقاقها ولغاتها ونحو ذلك فهي من المسائل الصرفية وكذلك السمهي . واما الحديث انا فرط القاصفين .. والمشهور في روايته انا والنبيون فراط القاصفين فيمكن ان يكون السؤال عن صيغة فراط وما يتعلق به من علم الصرف ويحتمل ان يكون غير ذلك واما مسألة قول الراجز اين الشظاظان وإين المربعة فالذي يظهر ان السؤال كان عن الوزن والمعنى لان اكثر

الجواب يتعلق بذلك ومع هذ فقد ذكر فيها اشتقاق مطبعة فلم تخل من بحث صرفي

والقول في المسألة التي ذكرها ابن كيسان ايضاح لغامض ولا يدل الجواب على ان المسألة صرفية والمسألة الباحثة عن المسألتين اللتين ذكرهما النحويون انما تتعلق بعلم النحو وبهذا القدر يتبين ان قول المتقدمين جواب عن مسائل صرفية بالنظر لان اكثر المسائل صرفية وكثيراً ما يقع مثل هذا التسامح في كلامهم ويجوز ان يكون تابع المتأخر المتقدم منهم على تسميتها صرفية من غير تثبت ولا تحقق ولا اطلاع عليها

صيغة الجواب عن تلك المسائل

ذكر ابو العلاء قبل الجواب عن تلك المسائل مقدمة اعرب فيها عن شيخوخته واعراضه عن الادب وصغر فيها شأنه وقلل علمه وعظم السائل ثم جعل نفسه كأنه في الاحتضار وتساءل هل يستطيع ان يدافع ملك الموت اذا بين له اصل ملك ومن اين اشتق فاذا سمع الملك منه ذلك اعجبه فانظره فاذا هم بقبض روحه ذكر له وزن ملك ومن اي لفظ قلب واستشهد له ببيت انشده ابو عبيدة لابن ابي ربيعة فيسأله من ابن ابي ربيعة وما ابو عبيدة وما هذه الاباطيل فيقول له امهلني حتى أخبرك بوزن عزرائيل وأقيم الدليل على زيادة الهمزة فيه فيأبى الملك ذلك

ثم جعل نفسه كأنه مات ودخل القبر فسأل هل يقدر ان يدرأ منكراً و نكيراً فيسألها كيف جاء اسماهما عربيين واسماء الملائكة كلها اعجمية فيقولان هات حجتك فيقول كان عليكما ان تعرفا وزن جبرائيل وميكائيل فيزيدهما ذلك غيظاً ولو علم انهما يرغبان في مثل هذه العلل لاعد لهما شيئاً كثيراً وسألهما ما يريان في وزن موسى

ثم سألهما كيف تجمع الأرزبة جمع تكسير و كيف تصغر وبين لهما ان الجدث بالثاء والفاء وما يختاران في تفسير الفوم وكيف يبنيان من الريم مثل ابراهيم

وتساءل بعد هذا هل « يتودد لخازن النار » فيقول له يا مال ثم يسأله ما واحد الزبانية وما يرى في نون غسلين ونون جهنم فيقول له ما جلست هنا للتصريف وانما جلست لعقاب الكفرة .. ثم يقول للسائق والشهيد يا صاح انظراني فينكران عليه

مخاطبة الاثنين بخطاب الواحد ٠٠ثم سأل هل يجيء في جماعة من الأدباء قصرت اعمالهم عن دخول الجنة فيقفون على بابها ويقول بعضهم يا رضو بضم الواو ويقول آخرون يا رضوَ بفتحها فينكر عليهم ترخيم اسمه ثم يسألهم عن حاجتهم فيسأله بعضهم ان يكون واسطتهم الى أهل الجنة لانهم لا يستغنون عن مثلهم ولعل في الفردوس من يصيب من ثمارها ولا يعرف حقائق تسميتها ولا يدري حروف الكمثرى كلها أصلية ام لا ولا يعرف وزنها ولا يجمل بالرجل ان يصيب من سفرجل الجنة وهو لا يعلم تصغيره وجمعه ولا يشعر ان كان يشتق منه فعل ام لا وكم في الجنة من رجل لا يدري ما هو وزن السندس ولا يعلم لفظ طوبى أهو من ذوات الواو ام الياء وكذلك ماء الحيوان لا يدرون اهو واوي ام يائي ٠ وفيهم من لا يدري معنى الحور ولا الى اي شيء نسب العبقري

ثم يقولون له ان كان أهل الجنة عارفين بهذه الأشياء فان الولدان المخلدين لا يستغنون عن معرفتها وانا لنرضى بالقليل مما عندهم اجراً على تعليمهم فيقول رضوان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وقد اكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه فانصرفوا فيسألونه ان يعرف بعض علمائهم بأنهم واقفون على باب الجنة فيسألهم من تريدون ان أعلمه بكم فيقولون بعد المشاورة عرف الخليل بن احمد بموقفنا فيدعوه فيشرف عليهم ويقول ماذا تريدون فيعرضون عليه ما قالوا لرضوان فيقول ان الناس افتقروا الى علم اللغة والنحو في الدنيا لان العربية أصابها تغيير واما اهل الجنة فقد رفع عنهم الخطأ والوهم فهم يتكلمون بالعربية كما نطق بها يعرب او معد بن عدنان فاذهبوا راشدين فينقلبون وهم مخفقون فيما طلبوه

ثم عاد فذكر جملاً عظم فيها امر الشيخ السائل وصغر نفسه وجعل منزلته الى الجهال ادنى منها الى العلماء واقسم انه لو أكل صابة الكان ذلك آثر لديه من ان يتكلم كلمة في هذه الصناعة وانه تكلف الاجابة فان أخطأ فهو معدن الخطأ لانه تعرض لمالا يحسنه وان اصاب لا يحمد على الاصابة ٠٠٠

وان السائل يجوز ان يكون اعرف منه بما يذكره من أقوال المتقدمين فهو يعتمد على صفحه عن زلله ٠ ثم بدأ في الإجابة عن تلك المسائل فقال ٠ القول في اياك ٠٠٠

هذه خلاصة ما جاء في مقدمة الرسالة ومنها يتبين ان ابا العلاء :

١ — سلك هذا السبيل واحتذى فيه على مثال رسالة الغفران لانه أوقع في النفس واكثر طرافة لأن القارئ لو سرد المسائل المذكورة في المقدمة على نسق واحد بعضها في اثر بعض . ولو قرأها على هذه الصورة بعضها على شكل محاورة مع ملك من الملائكة او غيره وبعضها على سبيل التعجب من سكان الجنة الذين يتمتعون فيها بصنوف من النعيم وهم لا يعرفون اسماءها ولا اوزانها ولا مم اشتقت وجد فرقاً واسعاً وبوناً شاسعاً بين الاسلوبين ووجد ان النفس ترتاح الى الطريق الثاني لما فيه من الطرافة والصور الخيالية البديعة ولا يخامره من السآمة والملل ما يخامره في الطريق الأول

٢ — ان ابا العلاء سئل عن بضع عشرة مسألة فأجاب عنها واتخذ هذا الاسلوب وسيلة للبحث في كلمات وهي ملك وعزرائيل ومنكر ونكير وغير ذلك مما تصدى الى القول فيه في المقدمة فهو اكثر عدداً من المسائل التي سئل عنها وكأنه يشير الى انها جديرة بان يسأل عنها .

٣ — انه اختار هذا الوضع ليجعل منه نظاماً لائقاً لجمع هذه الكلمات فيه فابتدأ من أول الموت فدخول القبر فالجنة فالنار وهذه المسميات كلها تنتظم في هذه السلك التي يجعل منها وحدة متصلاً بعضها ببعض ولولا هذا الاسلوب لما رأى القارئ مناسبة بين عزرائيل . والكثرى وجهنم وعبقري ونحوها

٤ — ان ابا العلاء تصاغر على سبيل التواضع في هذه المقدمة وحاول انْ يجعل نفسه اخفى من السهي وادق من الشعرة وأعجز من ميت وهذه سبيله في كل ما يكتبه جواباً في المسائل العلمية وشنشنة معروفة من اخزم

ولكنه عند البحث في اشتقاق الكلمات واوزانها وردها الى أصول تحتملها وتمهيد السبل الى بيان العلاقة بينها وبين تلك المعاني والاستشهاد على كل ما يأتي وسرد القواعد الكلية والضوابط العامة في اللغة والنحو والصرف وعند رده على أئمة العلم وتزييف آرائهم ودحض حججهم وكشف شبههم وتجويز ما منعوه ومنع ماجوزوه ونحو ذلك مما يراه القارئ في اضعاف سطوره في هذه الرسالة

يتعاظم ويكبر حتى يملأ العين بل يملأ الذهن وحتى يخيل للناظر في رسالته ان اباالعلاء قرأ كل ما كتب في علوم اللغة واستقرى مفردات اللغة من الفصح والشوارد والنوادر واحاط علما بالشواهد والاشباه والنظائر

وقد أتى في رسالة الغفران ببيتين للنمر وهما :

الم بصحبتي وهم هجوع خيال طارق من ام حصن

لها ما تشتهي عسلاً مصفى اذا شاءت وحوارى بسمن

وذكر ان خلف الاحمر قال لاصحابه لو كان موضع ام حصن ام حفص ما كان يقول في البيت الثاني فسكتوا فقال حوارى بلمص يعني الفالوذج . ثم قال ابوالعلاء ويفرع على هذه الحكاية فيقال لو كان مكان ام حصن ام جزء ما كان يقول في القافية فانه يحتمل ان يقول وحوارى بكشء . او يقول بوزء ... او بنسء او بلزء ثم بين اشتقاق كل واحدة من هذه الكلمات والوجه الذي تؤول فيه لتلائم قوله وحوارى ثم غير قافية البيت الاول فقال ام حرب . ام صمت ام شث ام لج حتى أتى على جميع الحروف الهجاء وغير معها قافية البيت الثاني فقال وحوارى بضرب اوارب وحواري بكمت او صمت وحوارى بيث وحوارى بدج الى آخر حروف الهجاء وفي كل حرف يذكر معنى الكلمات في البيتين وربما اورد في قافية البيت الثاني اكثر من لفظ واحد مما يمكن ان يكون مع الحوارى .. ثم قال وهذا فصل يتسع وانما عرض في قول نام كخيال طرق في المنام .

فأكبر العلماء سعة اطلاعه على اللغة وطول باعه في التصرف بها وسرعة خاطره وقوة حافظته . ونحن اذا قايسنا ما في رسالة الغفران الى ما في رسالة الملائكة من هذا النوع تبين لنا ان اباالعلاء في الرسالة الثانية اطول باعا واوسع اطلاعا منه في الرسالة الأولى ولا يمكن للانسان ان يعرف ما هذه الرسالة وما فيها من غزارة العلم والتحقيق ولا ان يعرف ما هو ابو العلاء في هذه الرسالة حتى يعترض ما فيها مسألة مسألة ويمعن النظر فيما ورد فيها من القواعد والشواهد والنوادر والشواذ واذا كان ذلك يشق على القارئ فانا نلخص له مواقف تدل على شيء مما ذكرنا

الموقف الاول سعة الاطلاع على اللغة والقدرة على رد الكلمات الى أصولها التي تحتملها وتوجيهها الى المعنى الملائم . وهذا يتجلى فيما ذكره في كلمة اياك ووزنها فذكر انها من وأى او أوى او أياة .. وان وزنها فعل او فعلى او افعل .

وكذلك لفظ اثنين وابن واسم ومهيمن .. فانه ذكر لكل واحد منها اوزاناً متعددة واصولاً مختلفة وبين معنى كل منها على كل تقدير

الموقف الثاني الاطلاع على القرآات المتواترة وغيرها ويتراءى ذلك فيما يذكره من مثل قوله ص ١٧ ويقال ان في مصحف ابن مسعود كافاً زائدة في الخط في كل أرأيت في القرآن مثل قوله «أرأيت الذي يكذب ..

وقوله ص ٤٧ عند الكلام على كسر همزة ام . وبذلك قرأ الكوفيون فلامه السدس

« « ٥٦ القراء مجمعون على قراءة هذا الحرف بين المرء وقلبه وحكى عن بعضهم بين المِر بكسر الميم

« « ٥٧ قرأ بعض الناس ما يفرقون به بين المرّ وزوجه وتنسب هذه القراءة الى الحسن

« « ٦٦ ومن ذلك القراءة التي تروى عن ابي اسحق فمن تبع هُدَيّ

« « ٦٩ وهم مجمعون على قراءة المشعر الحرام بالفتح وقد حكى ان كسر الميم منه ..

« « ٧٣ ما ذكره في قراءة ابن عامر افئيدة

« « ٧٩ ان الحسن قرأ واعتدت لهن متكاء بالمد

« « ٩٧ اجماع القراء على كسر النون . [من غسلين] .

« « ٩٩ فقيل اللاه وهي لغة كثيرة وبها قرأ ورش عن نافع

الموقف الثالث كثرة ما يحفظه من القواعد . والضوابط العامة ويظهر هذا فيما ذكره في القول في اياك مثل قوله . المتقدمون لا يزنون الحروف التي جاءت لمعنى ولا الاسماء المضمرة لانها لا تشتق . الواو او الياء اذا كانتا بدلاً من الهمزة خرجتا من حكم القلب . لا يجمعون بين علة العين واللام ولذلك قالوا قوي وروي . جرى الاصطلاح فيما سمع من كلامهم على ان الفات الوصل لا تدخل على الاسماء التي ليست جارية على الافعال حتى تكون نواقص من آخرها ولم يشذ الا ايمن على رأي البصريين .. اذا بنوا فعلى اسما في التأنيث من ذوات الياء يقلبون في الغالب

الى الواو فيقولون الشروى والتقوى ٠٠ من شربت وتقيت وذكر في غير هذه المسألة كثيراً من مثل هذا كقوله ٠ في القول في اثنين وغيرها شأن تاء التأنيث ان يكون ما قبلها مفتوحاً كطلحة الا اذا كان الفاً كارطاة ٠ قلب الواو المفتوحة الى الهمزة قليل انما جاء في احرف معدودة كقولهم احد اصله وحد٠٠ الالف واللام والتنوين لا يجتمعان في المنثور ٠ التأنيث يدخل على التأنيث مثل علقاة واحدة العلق الترخيم لا يرد الامثلة الى أصولها ٠ اذا اجتمعت الواو والياء في صدر الكلمة كرهوا ان يصرف منها الفعل مثل يوم وويل ٠٠

وفي المواطن التي ذكر فيها حروف الزيادة سرد جملة من الضوابط التي يحكم فيها بزيادة كل حرف وامثال هذا كثير حتى يكاد يخيل الى القارئ ان الرسالة انما وضعت لجمع هذه الضوابط ٠

وفي الرسالة جملة من القواعد والضوابط اللغوية مثل قوله مفقود في كلامهم الياء بعدها الواو وشذ حيوة وحيوان ٠ لم يستعملوا من الافعال الماضية ما يجتمع فيه اليا آن غير عيّ بالأمر وحيّ الرجل وما تصرف منهما ٠ ولم يجيء بناء على افعيلة او افعيل الا انجيل في قراءة الحسن ٠ ليس في ابنيتهم ما فيه اربع متحركات واما علبط وهدبد فاصلهما علابط وهدابد ٠ فعلال يجيء في المضاعف كزلزال وجاء حرف واحد في غيره ناقة خزعال ٠ لم نجدهم بنوا فيعل في الماضي من ذوات الياء ولا الواو اللتين هما لامان ٠ لم يقولوا غيزي من غزى وقيضى من قضى لم تقل العرب ثن ولا ثنان ولا بن في ابن ٠ لم يأت في كلامهم فعل ثلاثي اوله ياء وآخره واو ٠ وقد اتى ضده مثل وعيت ونيت ٠ ليس في كلامهم واو مكسورة بعدها ياء مشددة في صدر الكلمة ٠ ليس في كلامهم اسم اوله ياء مكسورة الا اليسار لليد ٠ ممن لم يذكره احد من المتقدمين

الموقف الرابع الاستقصاء في البحث وايراد الامثلة والشواهد والتبسط في الاستدلال ومقايسة الشيء باشباهه وايضاح الفروق بين المتشابهين وتعليل الاحكام

ويمكن الوقوف على كل هذا فيما ذكره في اياك فانه بحث في الكاف ورجح انها في موضع جر وبين سبب ذلك واوضح الفرق بينها وبين كاف ذاك ورويدك واستشهد على ذلك بقراءة ابن مسعود وابيات من الشعر

ثم انتقل الى الكلام في وزن ايا فذكر طريقة المتقدمين في وزن الافعال والاسماء واصطلاحهم فيما جاوز الاحرف الثلاثة . وفي الحروف التي جاءت لمعنى والاسماء المضمرة وتعرض الى بيان وزن فعل الأمر من آن واصله وبين سبب حذف العين منها ومثلها بائتمن . وبين حكم الأمر من اوى بأوي . وحكم الواو والياء اذا كانتا بدلا من الهمزة ثم ذكر وزن انا . وبين مذاهب العلماء في الاشتقاق وفي اي شيء يكون وكيف يصغر من اذا سمينا بها ووزن قد . وذكر الفرق بين الضمائر وحكمها في الوزن .

ثم بين اشتقاق اياك على تقدير انها مضافة . ثم عاد فذكر ان ايا على وزن فعلى والفها للتأنيث او للالحاق ! . ووزن اصبع . وعلى تقدير ان الفها للتأنيث فاشتقاقها اما من اوى وهي اما من أويت الى المنزل او اويت له اي ترفقت وعلى التقدير الأول يجوز ان يعنى بها النفس التي تأوي الى الجسد او الجثة التي تأوي نفس الانسان اليها من باب تسمية الشيء بما صاحبه او جاوره ثم استشهد على هذا بمثالين وبيت من الشعر ثم ذكر ان اصل ايا على هذا القول اويا وافاض في ذكر الامثلة وذكر كيف يبنى من طويت اسما على مثال فعلى

وهكذا يسير بالقارئ من وزن الى آخر ومن بناء الى غيره ومن صيغة الى الى ما سواها وقد يأتي بالمثال فيه كلمتان وبعد ان يتم القول في السبب الذي اتى به من اجله ينتقل الى الكلمة الثانية فيبحث في اصلها او وزنها او اشتقاقها ثم يعود الى الكلمة الاصلية فيذكر لها وزناً آخر او يبحث في اشتقاقها على تقدير كل معنى تحتمله

وليس في وسع القلم ان يستوعب شرح ما يشتمل عليه القول في مسألة من المسائل الا اذا أتى به بجذافيره

وكل ما ذكرناه في لفظ اياك قل من كثر بالنسبة لما ذكره في مهيمن لأن كلامه في اياك في نحو اثنتين وثلاثين صفحة . وفي مهيمن بلغ نحو خمسين صفحة وقد ذكر أن همن لم يذكره أحد من المتقدمين وان في الصحابيات امرأة يقال لها همينة . وموضع يعرف بهمانية . وهما من الهمن

الموقف الخامس اعتداده بنفسه وثقته بحفظه واطلاعه . واقدامه على مناقشة

الأئمة ونقد أقوالهم وردها والتصريح بآرائه في تجويز ما منعوه ومنع ما جوزوه ويتمثل لك ذلك في مثل قوله ص ٦ أليس صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه زعم أن الياء إذا شددت ذهب منها اللين وأجاز في القوافي حيا مع ظبي قلت قد زعم ذلك الا أن السماع من العرب لم يأت فيه نحو ما قال الا أن يكون شاذاً قليلاً

وقوله ص ٨ أما سيبويه فلم يذكر في الأبنية فَعَنْلا : مثل جهنم : و ص ١٠ فُعَلَّى : مثل كُمَّثْرى لم يذكر له سيبويه نظيراً . ليس في كلامهم مثل أسفرجل يسفرجل . والذي أعتقد في السندس أن النون زائدة وانه من السدوس . ولا أمنع أن يكون فعللا ولكن الاشتقاق يوجب ما ذكرت وقوله ص ١٠ في طوبى والذي نذهب اليه اذا حملناه على الاشتقاق انها من ذوات الياء . وقوله ص ١١ في حسنى . زعم سيبويه أن أخرى معدولة عن الألف واللام ولا يمتنع أن تكون حسنى مثلها .

وقوله ص ١٣ . وكان ابو اسحق الزجاج يزعم ان استبرق في الأصل مسمى بالفعل الماضي وذلك الفعل استفعل من البرق او البرق وهذه دعوى من أبي اسحق وانما هو اسم اعجمي عرب وقوله ص ٧٠ وزعم الفراء ان اصل لكن لا كئن وهذه دعوى لا تثبت

وقوله ص ٩٣ في لفظ شيطان وكان الفارسي يأبى ترك صرفه ههنا الا بعلة فيجعله اسماً لقبيلة والرواية على غير ما قال والاخبار تدل على خلافه

وقوله ص ١٠٠ ولا امنع أن يجيء الفعل على فعلان وان كان المتقدمون لم يذكروه.

وقوله ص ١٠٢ ورأي سيبويه أن يظهر في سيرر ويدغم في مثل اغدودن من مرر وفي ذلك نظر ولم يسمع مثل اغدودن من المضاعف مدغماً ولا مظهرا

وقوله ولا أدفع أن يكون هذا الشعر مصنوعاً . وانشدوا بيتاً يجوز أن يكون مولداً ولا أحكم عليه بالتوليد

وقوله ص ١٠٥ وهذه الحكاية التي يجعل فيها مسيطر ومبيطر من ذوات التصغير ذكرها أهل اللغة وهم يتجوزون في العبارة ولا يوفون التصريف ما يجب له كما ذكر بعضهم أن اولا فوعل وذلك ما لا يجوز في حكم التصريف .

الموقف السادس اتيانه بنوع من التقسيم والجمع في أبيات الشعر لم يعرف لأحد

قبله مع ذكر الفروق التي يتميز بها كل نوع من غيره وذلك كقوله ص ٧٢

الأبيات التي يسأل عنها على أربعة اضرب بيت فارد وهو الذي ليس بعده شيء ولا قبله وبيت فاتح وهو المبتدأ به وبعده بيت آخر وبيت واسط وهو الذي قبله بيت وبعده بيت وبيت خاتم وهو الذي يكون آخر الأبيات

وكل بيت يسأل عنه فانه لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون معناه قد كمل فيه واما أن يكون معناه يكمل في الذي بعده او الذي قبله أو فيهما جميعاً .

ومهما أطلنا القول في وصف هذه الرسالة ومؤلفها لا يمكن أن نوفي كلا منهما حقه حتى نأتي على الرسالة من أولها الى آخرها فيتضح لنا حينئذ كنهها ونعلم من هو أبو العلاء فيها وأنه صادق في قوله :

واني وان كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

سبب تأليفها

وقد اتضح من المقدمة أن سبب تأليفها سؤال بعض العلماء عن تلك المسائل

تاريخ تأليفها

وأما الزمن الذي ألفت فيه فلم نعثر على نص تاريخي بعينه وما ذكره الاستاذ الميمني يحتمل أن يكون هو أو قريباً منه لأن أبا العلاء كان يشكو من الشيخوخة قبل سنة ٤٣٥

محمد سليم الجندي



اسماء نباتات مشهورة

-٣-

البَنادُورَى . الطَماطِم — الأولى في الشام والثانية في مصر . وهما تدلان على البقل المشهور المسمى بالفرنسية والاسبانية والبرتقالية Tomate . ومن اسمائه الفرنسية Pomme d'or اي تفاح الذهب و Pomme d'amour اي تفــاح الحب . وهو بالايطالية Pomo d'oro وباللسان العلمي Solanum lycopersicum

ومن الثابت ان المهد الأصلي لهذا النبات في اميركة ولذلك لم يذكر في معاجمنا ولا في كتبنا النباتية القديمة . ولفظة البنادورى المستعملة في الشام من اللفظة الايطالية التي معناها تفاح الذهب او التفاح الذهبي اما كلمة طماطم فمن Tomate التي تستعمل باللغات التي ذكرتها كما تستعمل بالانكليزية والالمانية والهولندية وغيرها . وهي مقتبسة من لغة الأزتيك القديمة في المكسيك .

البَطاطا . البَطاطة . البَطاطس — الأولى والثانية في الشام والثالثة في مصر . وهو النبات الزراعي المشهور المسمى بالفرنسية Pomme de terre (اي تفاح الأرض) و Patate و Batate وغيرها ، وباللسان العلمي Solanum tuberosum وهو من أصل امريكي نقله الاسبانيون ثم الانكليز الى اوربة في اواخر القرن السادس عشر ومنهــا انتشر في انحــاء العالم .

ويتضح من ذلك ، ان هذا النبات العسقولي (الدرني) الكبير الشأن في تغذية الانسان ليس له اسم عربي في معاجمنا ولا ذكر له في كتبنا الطبية والنباتية القديمة . والاسماء المعربة الثلاثة التي يسمى بها من Batata و Patata الاسبانيتين . وهما من لغة الأرواك في جزيرة هيتي الامريكية . وقد اقتبسها الفرنسيون والانكليز وغيرهم ، لكن الفرنسيين عدلوا عنها في القرن الثامن عشر فسموه Pomme de terre واصبحت اللفظتان المذكورتان تطلقان في الغالب على البطاطة الحلوة

البطاطة الحلوة . القلقـاس الهندي — بالفرنسية Patate و Batate و Patate douce وباللسان العلمي Convolvulus batatas و ipomœea Batatas لها جذور منتفخة تشبه رؤوس البطاطة التي سبق ذكرها ، ولهذا خلط ملاّحو القرن السادس عشر الاولى بالثانية ، وسموها باسم واحد ، على حين ان البطاطة الحلوة من الفصيلة اللبلابية ، والبطاطة او قل البطاطس من الفصيلة الباذنجانية ، وعلى حين ان رؤوس الاولى هي نباتياً جذور ، أما رؤوس الثانية فسوق او اغصان ارضية . ومن المعروف ان البطاطة الحلوة فيها سكر ونشا ، وانها تزرع كثيراً في البلاد الحارة وقليلا في بلادنا . ولم تذكر في معاجمنا ولا في مفردات ابن البيطار . ويجزم علماء النبات ان اليونانيين والرومانيين كانوا يجهلونها . ويرجح كثير منهم ان منابتها الاصلية في اميركة . ولفظ البطاطة الحلوة ترجمة اسمها الفرنسي . اما تسميتها بالقلقاس الهندي فقد ذكرها الدكتور احمد عيسى في معجم اسماء النبات ، كما ذكرها فيجري من قبله . ومن اسمائها عند الفرنسيين Artichaut des Jndes اي كَنْكَر الهند و Truffe douce اي الكمأة الحلوة .

البطاطة الصينية — Jgname de Chine و Dioscorea batatas لهـا سوق ارضية تنتفخ وتحتوي على نشا كالبطاطة . وقد ذكرت عنها في معجم الألفاظ الزراعية ما يلي : « ليس لها اسم عربي على ما نعلم . ولم نشاهدها في بلادنا . ولم يذكرها أحد من علماء النبات الذين زاروا بلادنا منذ قرنين . واللفظة الفرنسية من لفظة اسبانية وهذه من لفظة افريقية النجار » .

القُلْقاس — Colocase و Colocasia antiquorum . يزرع هذا النبات في البلاد العربية منذ عهد بعيد . ويستفاد من جذوره الأرضية كالبطاطة . وقد ذكره بلينيوس وسماه Arum Aegyptium ورآه ألبينوس مزروعاً في مصر في القرن السادس للميلاد . وقال ان المصريين يسمونه القلقاس . وذكره ايضاً علماء النبات الذين زاروا مصر في القرنين الماضيين مثل دوليل وفورسكال وشوينفرث وغيرهم . ولفظة القلقاس موجودة في القاموس المحيط وفي مفردات ابن البيطار . والاسم الفرنسي وكذا الاسم العلمي الذي يدل على الجنس كلاهما من القلقاس العربية اي المعربة قديماً .

القُلقاس الرومي · الطَّرْطُوفة · كَنْكَر القدس — Topinambour

و Helianthus tuberosus · ومن اسمائه الفرنسية Artichaut de Canada اي كنكر كنــدا او حَرْشف كندا · و A . de Jérusalem اي كنكر القدس (انكنار القدس) و Tertifle · ويسميه الانكليز بما معناه كنكر القدس · ومن اسمائه الايطالية Tartufoli ومنها الطرطوفة المعربة ·

وهو نبات يزرع كثيراً في اوربة وفي غيرها لأجل سوقه الأرضية المنتفخة كالبطاطة · لكن لحم رؤوسه مائي وسكري قليلا · وليس له ذكر في كتبنا القديمة لانه من اصل اميركي · واسماؤه التي ذكرتها بالعربية كلها مترجمة · اما اسمه الفرنسي فيرجع الى لغة اميركية قديمة ·

الفُومي · الطراغوبوغن · لحية التيس — اللفظتان الأوليان عن المفردات ، والثالثة مترجمة · وهو بالفرنسية Salsifis وباللسان العلمي : Tragopogon porrifolium وهو يزرع قليلاً لجذوره اللحمية · وكلمة طراغوبوغن من اليونانية · وذكر ابن البيطار ان ابن سينا سماه الفومي · وهذه الكلمة ايضاً تمت الى اصل يوناني · اما اللفظة الفرنسية المستعملة ايضاً بالانكليزية وبلغات أخرى فهي ايطالية النجار ·

القمباورن · الفومي الأسود · القشر الأسود — بالفرنسية Scorsonère و Salsifis noir و Écorce noire وباللسان العلمي Scorzonera hispanica وهو لا يختلف عن الفومي الا بكون جنثه اي جذره اللحمي له قشرة سوداء · اما طعم الجنث وقدّه فيشبهان طعم جنث الفومي وقده · والقمباورن عن «معجم اسماء النبات» للدكتور احمد عيسى · ولم اجد هذه اللفظة في المعاجم ولا في المفردات اما الاسمان الآخران فمترجمان ·

الفُلَيْفلة — Piment و Poivron وباللسان العلمي Capsicum annum هي الشطة في مصر ، والفليفلة في الشام · لم يزرعها العرب في القديم ولا ذكر لها في المفردات ولا في المعاجم الاصلية · ويرجح علماء النبات ان مهدها في البرازيل · اما الفليفلة التي ذكرت في مفردات ابن البيطار وفي «شرح اسماء العقّار» لابن عبيد الله

الاسرائيلي القرطبي الذي نشره مايرهوف فهي تدلّ على نباتات أخرى كالأرنْدَ اي حب الفَنْد gattilier وكالكمون الحبشي المسمى نانخُواه Ammi وغيرهما مما فيه حرافة ·

والفُليفلة تصغير فُلْفلة · وهي تناسب البقل الذي نتكلم عليه فيجب اقرارها · اما لفظة الشطة التي يستعملها اخواننا في مصر فلا اعلم اصلها وهل لها وجه ام لا ·

الشَوَنْدَر · الصَوْطَلَة · البَنْجَر — Betterave و Beta vulgaris. كلّ من شدا شيئًا من العلوم الزراعية ومن علم النبات يعلم ان السلق Batte والشوندر betterave هما نوع نباتي واحد · فالزراعة غلَّظت اوراق الأول كما غلظت جذور الثاني · والسلق مشهور وموجود في كتب اللغة والنبات · اما الذي له سوق غلاظ فلم نجده الا في المفردات حيث سمي « صَوْطَلَة » ووصف وصفًا حسنًا · ولعل هذه اللفظة يونانية · ولفظتا الشوندر والشمندر المستعملتان في الشام بمعنى Betterave هما من اصل فارسي ففي التاج ان السلق هو الجفندر بالفارسية · ولم يذكر إدى شير الشوندر والشمندر في كتاب الألفاظ الفارسية المعربة · اما لفظة البنجر المستعملة في مصر فهي تطلق بالتركية على هذا النبات ، واظن ان المصريين اقتبسوها عن الاتراك · ولا ذكر في المعاجم الاصلية للكلمات الثلاث المذكورة ·

الكُرُنْب ، الكَرَنْب ، الكُرُنْب ، الملفوف — Chou و Brassica oleracea

لفظة الكرنب هي الفصيحة وهي من krambê اليونانية · وقد ضبطت في القاموس واللسان بكاف وراء مضمومتين يليهما نون ساكنة · لكن الزبيدي ذكر في التاج ان هذا الضبط من كلام العامة ، وان الضبط الصحيح كَقُنْفُذ وكَشَمَنْد · وتبعه بعض اصحاب المعاجم الحديثة · قلت يلوح لي انه لا غرابة بترجمة الكلمة اليونانية بكلمة كُرُنْب لكنّ الغرابة بترجمتها كقنفذ · ومهما يكن فالكرنب تستعمل في مصر للدلالة على هذا البقل · اما في الشام فيسمونه الملفوف لالتفاف ورقه · وهذه اللفظة مولدة ولا ذكر لها في المعاجم · ويطلق الشاميون لفظة الكرنب على بقلة هي نباتيًا ملفوف تغلظ ساقه فويق الارض وتستدير · ويسميه العامة في مصر [ابوركبة] وهو بالفرنسية chou rave ، colrave وباللسان العلمي brassica colorapa ·

الـكَرنب اللفتي · الملفوف اللفتي — Brassica oleracea napus؛Chou - navet

وهو نباتياً ضرب من الكرنب اي الملفوف تغلظ جذوره (لا سوقه كما في النبت السابق) وتستعمل مثله · واسمه العربي مترجم ·

الفاصولية · الفاصوليا · الفاصولياء — Phaseolus communis و Haricot

لا ذكر لهذه الكلمات في المعاجم الاصلية ولا في مفردات ابن البيطار · ويرجح ان هذا النوع النباتي من اصل اميركي · لكن هنالك انواعاً أخرى قريبة منه تزرع في بلادنا منذ القديم · وأرجح انهم كانوا يسمونها لوبياء اي انهم ما كانوا يفرقون بينها وبين انواع اللوبياء من جنس Dolichos لتقاربها · ومعناه ان لفظة لوبياء كانت ذات معنى شامل لبضعة انواع نباتية متقاربة في تحلية نباتها وفي شكل حبوبها · ولفظة فاصولية من اصل يوناني · فهي فازيولوس التي ذكرها ديسقوريدس · وكانت تدلّ على ضروب صغار من الفاصولياء او من اللوبياء · وقد استعمل الروم والفرنج هذه اللفظة · ولها شبيهات في الايطالية Fagiolo وفي اليونانية الحديثة Fasoulia وفي الفرنسية Faséole · اما لفظة Haricot الفرنسية فهي حديثة · وكتب مايرهوف في مادة لوبيا من كتاب « شرح اسماء العقّار » ان الادريسي ذكر من جملة اسمائها الاسم الفرنجي فازول Faseolo · ولا اعتقد ان لفظة فاصوليا سرت الينا منذ عهد الادريسي ، فعبد الله البدري صاحب كتاب « نزهة الانام في محاسن أهل الشام » وهو من علماء القرن التاسع الهجري لم يذكرها على حين انه ذكر اللوبياء والباقلاء وما هو دونها ·

ولم يذكرها ايضاً عبد الرزاق الجزائري صاحب « كشف الرموز » على حين ان كتابه هذا يكاد يكون مختصراً لتذكرة داود الانطاكي من علماء القرن العاشر الهجري · والذي أرجحه هو ان لفظة فاصوليا المذكورة سرت الينا اما من التجار الايطاليين في القرن السابع عشر للميلاد واما من الاتراك الذين أخذوا هذه الكلمة من اليونانيين ·

اَلحَرْشَف · اَلحَرْشَف البستاني · الكَنْكَر — Cynara scolymus ، Artichaut

هو ما يسمى اليوم في الشام انكنار وارضي شوكي · ويسمى الخرشوف في مصر · وكان العرب يطلقون لفظة الحرشف على مايسمى Cardon اي cynara cardunculus ويفرّقون بينه وبين البقل الذي نتكلم عليه بتسمية الاول الحرشف البرّي وبتسمية هذا الاخير الحرشف البستاني · واللفظة الفرنسية Artichaut وأشباهها في معظم اللغات الأوربية مقتبسة من كلمة حرشف العربية · اما كنكر فهي فارسية معربة قديمًا ·

وارضي شوكي التي يستعملها الدماشقة لا معنى لها · وهي في صيغة عجيبة · ويظن ادي شير انها من اردشاهي الفارسية · واعتقد انها من ارتيشو الفرنسية · فكثيراً ماينقل عنا الاوربيون ألفاظًا عربية النجار ويحرفونها على هواهم ، ثم يستردها العوام عندنا محرفة دون ردّها الى اصلها العربي · ومن الامثلة على ذلك قولهم الحمبرا بدلا من الحمراء اي قصر الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر الى امثال هذه الرطانات السمجة ·

للبحث تلو

مصطفى الشهابي



لماذا أخفقنا

في تعليم اللغة العربية وتعلمها

كثيراً ما سألني شداة الأدب من طلابنا : ما هو أقرب الطرق الى التمكن من الأدب العربي وتحصيل الملكة العملية في منظومه ومنثوره ؟ فكنت أجيبهم :

التمكن من القواعد العربية أولاً ثم التمكن من اللغة وتذوق أساليبها ثانياً . واعني بالقواعد قواعد النحو والصرف . والتمكن منها يتوقف على الاعراب الملحّ المتكرر الى حد الولوع فلا تقرأ جملة او شعراً حتى تفكر في اعرابه وتوجيه ماأشكل منه . فدرهم من القواعد يحتاج الى قنطار من الامثلة والشواهد .

هذه هي الطريقة الى تحصيل ملكة القواعد العملية . اما تحصيل ملكة الأدب فطرائقه :

(١) الاكثار من مطالعة الكتب العربية الصحيحة العبارة في الموضوعات المختلفة

(٢) مراجعة معاجم اللغة لتحقيق معنى كل لفظ اشكل معناه

(٣) اتخاذ المجموعة بعد المجموعة لتدوين كل قول تشعر النفس بجماله وتتأثر بروعته وحسن معناه

(٤) حفظ هذه المختارات تدريجاً . اما ما لا يفهم له معنى او لا محصول له من الأقوال فلا يحسن اختياره ولا تدوينه ولا حفظه

(٥) العناية بشرح المشكل من الفاظ تلك المختارات وايضاح ما غمض من اساليبها فان في ذلك الشرح والايضاح تمرّناً على تحصيل ملكة الانشاء وانسياقاً اليها من حيث لا يتعمدها الطالب بل لا يشعر بها أحياناً . وليصبر الشادي على نفسه بضع سنين ولا يتعجل كتابة المقالات في الصحف والمجلات لئلا تسبق ملكة الكتابة الرديئة الى نفسه ولئلا يخدعه المطرون والمحبّذون فينخدع ثم يقصر في الاكباب والتحصيل وإعداد الآلة كما وقع لكثير من الطلاب . اذن لا يعجل ولا ييأس . ولا بأس بان يتوسع قبل محاولة الكتابة في فنون الاجتماع ونحوها — في كتابة (الاخوانيات) اي كتابة الرسائل الى اخوانه وفي الترجمة من لغة أجنبية اذا كان

يحسنها ووراء ذلك كله عرض ما يكتبه على النقاد الذين لهم بصارة في صناعة الادب

هذه هي خلاصة ما كنا ننصح به شداة الأدب ومحبي لغة العرب من اخواننا وتلامذتنا . ولم يدر في خلدنا ان يقوم استاذ جليل من (جماعة كبارالعلماء) الازهريين في مصر وهو الشيخ محمد عرفة فيتناول هذا الموضوع المفيد ويكتب فيه بلباقة وحذق سلسلة مقالات في مجلة الرسالة نشرت اولاها في العدد (٥٢٨) بعنوان (اللغة العربية لماذا أخفقنا في تعليمها وتعلمها ؟) وقد بلغت الى اليوم عشر مقالات اجاد فيها كل الاجادة وأحسن في التنبيه والنصح كل الاحسان . والذي حمله على الكتابة في هذا الموضوع ما شاهده في اساتذة التعليم من العناية بالقواعد وقصر اهتمامهم عليها وتكليف تلاميذهم حفظها والاحتفال لها من دون ان يقيموا وزناً لحفظ الشواهد المختلفة والأمثلة المتنوعة ومن دون ان يلزموهم بالتتبع والاختيار والتعليق والتمرّن على الكتابة ومحاكاة كلام البلغاء كيما تحصل لهم الملكة المبتغاة . وكأن الاستاذ في مقالاته يقول للطالب : اذا امكنك ايها الطالب ان تنال الملكة ولا تعرف القواعد كان ذلك خيراً لك من العكس . والملكة قد تنال وحدها : كما في من تمرّن من العامة على قراءة فصيح الكلام تمرناً طويلاً وحمل نفسه على الكتابة والمحاكاة والتقليد فانه بذلك تحصل له ملكة الانشاء وتمييز الكلام الفصيح وان لم يدرس القواعد درساً وافياً وكتابنا الذين من هذا القبيل كشعرائنا الذين ينظمون الشعر ولم يقرأوا في حياتهم مسألة من علم العروض وكلا الفريقين كثيرون في مصر والشام وغيرهما واعرف شاباً من موظفي الجمارك كان ينظم الشعر وينشدني منه ولم يقرأ عروضاً وأذكر من شعره هذا البيت في وصف براعة القلم :

وثّابة في وجه كل ملمةٍ قد نام عنها السيف ملءَ جفون

وقد رأينا تلخيص مقالات الاستاذ الآنفة الذكر ونشرها في مجلتنا تعميا لفائدتها :

(١) ففي المقال الأول ذكر الاستاذ كتب تعليم اللغة العربية وطرائقها في التعليم وأساليبها في التلقين . وتساءل عما اذا كانت تلك الحالة تصلح ان تكون سبباً للاخفاق في تعليم اللغة أو لا ؟

ثم ذكر الاسباب الموجبة للاحتفاظ باللغة وعدّها ثلاثةً : دينية واجتماعية وتاريخية وفصل في بيانها القولَ تفصيلا وعنى باللغة اللغة الفصحى لا العامية وابان ضرر استبدال احداهما مكان الأخرى

(٢) وفي المقال الثاني ذكر الأسباب الحقيقية في اخفاق تعليم اللغة وتعلمها وعدّ منها تكلم الاساتذة باللغة العامية في قاعات دروس العربية حتى انهم في بعض الأحايين يلقون دروس العربية نفسها باللغة العامية فيخرج الطالب ولا أنسة له بالفصحى ولا مقدرة على النطق بها وانما كل أنسته بالعامية التي أصبح يحبهـا ويبغض الفصحى (ومن جهل شيئًا عاداه) واستثقله وعد أهله من الثقلاء وبذلك اصبحت دروس العربية مستكرهة مأجومة وهذا من اكبر مظاهر إخفاق اللغة كما انه أدى الى نشوء لغتين في البلد الواحد : لغة خطابة ، ولغة كتابة . ومن لم يعرف لغة الكتابة لا يستفيد مما يكتب بهـا . ومن ثم قام فينا مع الأسف من يشير بجعل العامية واسطة الى درس العلوم والفنون فوجب علينا اذن درء هذا الخطر بإصلاح طرق تعليم اللغة الفصحى

(٣) وفي المقال الثالث قال الأستاذ لعل القراء يتوقعون ان آتيهم بالمعقّد من القول في حل مشكلة التعليم . كلا : وانما رأيي سيكون سهل الإيراد لا غموض فيه . وقد قلدت فيه تعليم الصناعات اصغار الصناع من العامة وأشباههم : اعتبروا ايها السادة الطرائق التي سلكها الحدادون والنجارون والحاكة في تعليم مهنهم وتلقين مسائل صِناعاتهم فينجحون ؟ ونخيب نحن معشر علماء اللغة في تعليم اللغة .

سلك رؤساء الصناعات في تعليم مهنهم طريقة التمرّن الدائم والمزاولة المتكررة فنجحوا . واخذنا نحن طريقة التفلسف وتعليل المسائل فأخفقنا .

ثم أخذ الأستاذ في مقالاته التالية يورد الدليل بعد الدليل على صحة قوله وسداد رأيه

(٤) وأثبت في المقال الرابع ان التحقق من إصلاح الشيء يجب ان يتقدمه فهم كنه ذلك الشيء وطبيعته ولا اصلاح لمشكلة تعليم اللغة ما لم ندرس خصائصها وطبائعها وطبيعة اللغة ملكة والملكات لا تنال الا بالمران الدائم والتكرار الملح فحفظ قواعد اللغة من دون استعراض الفاظها وعباراتها في الذهن المرة بعد المرة لا يوجد في

أنفسنا ملكة اللغة أصلاً . وضرب لذلك مثلاً عامل المطبعة الذي أتقن معرفة حروف الحديد وتمييز أجناسها وأماكنها وطريقة صف بعضها الى بعض لكنه قصر في (عملية الصف ولم يزاولها لا جرم أنه يبقى متخلفاً في الصنعة غير محصّل لملكتها والاستفادة منها وهكذا طالب اللغة اذا حذق قواعدها واستظهر ضوابطها من دون الإلحاح على نفسه بالاستكثار من قراءة نصوص اللغة المختلفة وتطبيق القواعد عليها .

(٥) والمقال الخامس أثبت فيه ان محاكاة الفطرة في تحصيل ملكة اللغة هي الطريقة المستقيمة الموصلة : فقد غرز الله في البشر وهم أطفال فطرة التقليد والمحاكاة يسمعون من محيطهم كلمات اللغة المرة بعد المرة فيحفظونها وينطقون بها من دون استناد الى قاعدة . وهكذا ينبغي للاساتذة في تعليم لغة العرب ولغة الأدب : يخلقون للطالب جواً يتقلب فيه فيسمع ويقرأ شواهد متعددة وأمثلة مختلفة بحيث تجعل مدلول القاعدة في نفسه جليًا واضحاً . ومن ثم تحدث الملكة وتستحكم وحذر الاستاذ من الاقتصار على ما يقدّمه المعلم للطالب من المحفوظات القليلة المختارة بحسب ذوق الاستاذ لا بحسب ذوق التلميذ ثم قال: (وقد علمتني التجربة أن ما يؤخذ من المحفوظات في المدارس لا يفيد التلاميذ شيئًا فمن الواجب ان يكلفوا العكوف على بعض دواوين الأدب فيقرأوها ويختاروا منها ويجمعوا ما يختارون في كراسة ويحفظوه ويفهموا معناه . . وان يكلفوا مطالعة كتب الادب ويكتبوا آراءهم فيها ويلخصوا محتوياتها)

ومن ملاحظاته الدقيقة ان بعض العامة قد يفضل بعض النحاة في حذق اللغة العربية قراءةً وفهما : ذلك ان النحوي اقتصر على فهم قواعد اللغة والعامي أكثر من قراءة الكتب العربية ومجلاتها وصحفها فأصبح ذا مرانة على القراءة وفهم ما يقرأ والاستشهاد بمختارات ما يقرأ . قال ونظير ذلك العالم بفن العروض الذي لا ينظم والمكثر من قراءة الشعر الذي ينظم ولم يقرأ علم العروض .

(٦) وأثبت في المقال السادس موازنةً بين أبناء العرب الذين يأخذون اللغة من محيطهم والأفواه التي تكلمهم وبين الطلاب الذين انما يأخذون اللغة عن طريق القواعد وسيطرة قوانينها : فكانت النتيجة ان حذق الأولون اللغة وملكتها وأفحم الآخرون فلم يحذقوا سوى قواعدها . ومحفوظات ضيقة النطاق منها . قال :

واذا لم يكن في استطاعتنا ان نخلق بيئة عربية محضة لطلابنا فلنخلق لهم على الأقل بيئة نقلد بها تلك البيئة ونحاكي العوامل المحدثة لملكة اللغة فيها (يا قوم قد جربتم طريقة القواعد في تعلم اللغة العربية الف مرة . وفي كل مرة تخفقون وجربتها الاجيال قبلكم كذلك . فجربوا مرة واحدة طريق الحفظ والتكرار وأنا كفيل لكم أن تحمدوا هذه التجربة) ثم وازن بين طرائق تعليم اللغات الاجنبية في المدارس الوطنية وبين تعليمها في المدارس الأجنبية فأبناؤنا في مدارسنا يحفظون قواعد الانكليزية ويستظهرون نتفاً من أدبياتها من دون فهم . بينا أولئك يتلقنون اللغة الانكليزية على الطريق الطبَعي طريق الحفظ والتكرار والمحادثة . وبذلك يصبح الحديث بتلك اللغة ملكة راسخة في النفس يسهل معها الكتابة والخطابة وغيرهما . ثم تمنى لمدارسنا استنهاج طرق المدارس الأجنبية في تعليم اللغات وتحصيل ملكاتها

(٧) وتمم قوله السابق في المقال السابع فقال: وبذلك ننقذ تلامذة الوطن من الرسوب المحزن في آخر كل عام دراسي . ويتوفر على أوليائهم النفقات التي قد يكونون في حاجة اليها في معيشتهم . وأثبت انه لا فرق بين اللغة العربية وغيرها من جهة الاستفادة من طرائق التعليم العملية التي أشار بها وان كانت اللغة العربية ذات أحكام وتفاصيل في مسائلها لأن الملكة المكتسبة بالتكرار والمزاولة كفيلة بضبط الأحكام مهما تعددت والتفاصيل مهما تشعبت وأيد ذلك ببعض الأمثلة التي تهتدي الملكة الى أغمض مداخلها . فعلينا اذن ان نعمل بالاسلوب العملي في التعليم وبذلك نحصل على تلك الملكة فنوسع بها دائرة الاستفادة من اللغة الفصحى التي نرى اللغة العامية تفشت فيها بسبب أنها تكتسب بالطريقة العملية لا بالطريقة النظرية المتحجرة في القواعد . وما لا قيمة له من الشواهد . ثم استفظع الكاتب الفاضل ان تمر الاجيال علينا ونحن متمسكون بتلك الطريقة العقيمة ولا نهتدي الى طريقة الدربة والمرانة وهي تحت مواقع ابصارنا .

(٨) وأوصى في المقال الثامن : بأن يقتصر في التعليم الابتدائي على الاستكثار من المطالعة ومن المحفوظات المناسبة لأذهانهم — ومثل ذلك في التعليم الثانوي لكن

يضاف اليه قواعد اللغة وتكليف التلاميذ ان يختاروا أحسن ما يقرأون ويحفظوا احسن ما يختارون — ومثل ذلك في التعليم العالي ويضاف اليه التعمق في درس القواعد وممارسة الانشاء والكتابة في الموضوعات المختلفة التي تكون ُخزنت في نفوسهم بعد هذه المطالعات الكثيرة · ثم اشار الى مبلغ ما يشعر به التلاميذ والاساتذة من اللذة عند مطارحة أقوال الأُدباء والانتفاع بحكمة الحكماء · وتجربة ذوى التجارب · وليس في الاقتصار على القواعد والاستكثار من بحوثها شيء من اللذة ولا الفائدة · ونصح بان لا ُيعوّل فى تعليم الأُدب على الأَدب الفاسق ولا الأَدب الماجن ووصف مبلغ ضررهما في اخلاق الناشئين ·

(٩) ثم ذكر في المقال التاسع شبهةً تقوم في نفوس أساتذة التعليم وفي نفسه هو أحيانا وهي ان اللغة العامية وتفشيها في المجالس والمدارس والشوارع وكل ما يحتاج فيه الى الكلام من مظاهر الاجتماع — هذه اللغة تقف في وجه تحصيل ملكة اللغة الصحيحة والتخلص من ملكة اللغة العامية غير مستطاع وهذاما جعل العلماء الاقدمين ينصرفون الى التبسط في القواعد ثم ردّ على هذه الشبهة بأن ملكة اللغة العامية تؤدي الى تعسير الحصول على ملكة اللغة الفصحى ولا تكون مانعاً منها · واستدل على ذلك بالادباء الذين ربوا في أوساط عامية ونالوا من الفصحى نصيباً وافراً · فعلينا ان نجتهد في إدالة اليسر من العسر · وان نمهد السبل الى الفصحى فتشيع · ونضع العراقيل أمام العامية فتتلاشى أو يخف شرها · وما كانت ملكة لغة لتحول دون تحصيل ملكة لغة أخرى · وهؤلاء الغربيون متمكنون من لغاتهم الوطنية ولم تمنعهم ملكاتها من اكتساب ملكات اللغات الأُخرى · وملكات الأَخلاق السافلة تتبدل وتتحول الى ملكات فاضلة · كما حقق ذلك علماء النفس · فما علينا اذن الا ان نحارب العامية ونقطع الطريق عليها فلا تصل الى أذهان اولادنا الا بعد ان تستحكم اللغة الصحيحة فيها وهذه مدارس (رياض الأطفال) يمكننا ان نجعلها مخابر للتجربة والامتحان

(١٠) وذكر في المقال العاشر ان الطريقة التي أشار بها ليست بدعا من أعمال السلف وانما هي مما كانوا يتوسلون به الى تحصيل ملكة اللغة العربية · ومثل لذلك

بآثارهم التي من أجلها كتاب سيبويه فهو لم يقتصر فيه على القواعد بل ان معظم ما فيه شواهد على تلك القواعد : فنحويُّ السلف كان يتخذ من الأدب المنظوم والمنثور ما يؤيد به القواعد . فهو نحوي وأديب في آن واحد . ومثل ذلك تعلّمهم للبلاغة فهم انما يحصلون على ملكتها بما يحفظونه من منثورها ومنظومها . ومثل لذلك بكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ وبكتاب (المثل السائر) لابن الأثير وبغيرهما . ثم نقل من أقوال البلغاء من عرب وافرنج ما ينصحون به للطلاب بأن يأخذوا من القواعد ما يستعينون به على المنظوم والمنثور والاستكثار منهما لتستحكم فيهم ملكتها . وبالغ علماء الافرنج في الأمر حتى أوصوا بتأخير تعليم القواعد ريثما تقوى ملكة اللغة في نفس الطالب او ان تصطاد قواعد النحو من تضاعيف ما يقرؤه الطلاب من منظوم ومنثور . ثم قال الأستاذ : فالواجب علينا في نهضتنا اللسانية ان نعمل بالأساليب التي جرى عليها سلفنا وأساتذة التربية والتعليم في الأمم المعاصرة لنا والتي تستشرف الينا لتحكم علينا بما تصطنعه من الأساليب في التربية والتعليم . فلننتبه ولنتق حكمهم القاسي علينا ا . ه

هذه هي خلاصات مستعجلة من مقالات العلامة الشيخ محمد عرفة نشرناها في مجلتنا ليطلع عليها أساتذة التربية في بلادنا فانها لعمري نصيحة من ناصح أمين . ومرشد بالشكر قمين .

المغربي



من حوادث بلاد الشام المجهولة

أشرنا في مقالنا الذي وصفنا به كتاب شرح مختصر القدوري «مجلة المجمع العلمي مجلد ١٦ ص ٥٠٦» الى حادثة اعتصاب واضراب وقعت بحماة سنة ٨١١ هـ دوَّنها احد الذين تملكوا ذلك الكتاب في ثلاث صفحات أولاها كتبت بحبر أحمر والاثنتان الأخريان بحبر أسود . وبما ان هذه الحادثة لم ترد في كتب التاريخ وهي على كل حال من حوادث بلاد الشام فاننا ننقلها الى القراء الكرام لانها تدلُّ على أحوال ذلك العصر الاجتماعية والسياسية وهذا ما دونه الكاتب المجهول بحرفه وأغلاطه اللغوية ولهجته العامية :

(بسم الله الرحمن الرحيم

لما كان بتاريخ رابع عشرين ربيع الآخرة سنة احدَعشر وثمانمائة وجد في قمين[1] حمام صارم الدين البرّاني قتيلاً ما يعلم من قتله .

قيل انه مجنوناً انصرع فوقع من فوق سطح السوق بالمنصورية وقيل انه كان قرندكيًا (؟) شرب خمراً بالمرج فعربدوا جميع الشراب فقتل بينهم ولم يظهر له غريمًا فأدخلوه الى القمين المذكور وقيل انهم وضعوه الدولة لما تقدمه من قتيل غيره وجد في قمين حمام الحسام فأخذوا عليه من داخل المدينة ذهبًا وقدره سبعمائة ديناراً فأرادوا ان يأخذوا من خارج المدينة نظير ذلك فتوفي مريضًا بالمارستان فجرحوه ووضعوا على جراحاته قليلاً من الدم ووضعوه في القمين المذكور وجهزوا الولاة في طلب كبارية[2] خارج المدينة وهم الدبيس وكان نصرانيًا فأسلم ووالي المنصورية وهو ابن ميّاسة فأحضروا من المحالبة الحاج احمد بن الخطيب سليمان ومن المشارقة جماعة يغني عن ذكرهم شهرتهم ومن باب دمشق جماعة من جملتهم عبد الملك الدقاق ومن المنصورية جماعة منهم الشيخ الجيد العارف بالأشقة فأحضروهم الى بيت بدن[3]

(١) في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل لاحمد الخفاجي صفحة ١٦٥ : قمين هو موقد نار الحمام

(٢) كبارية هنا بمعنى الأعيان والوجوه

(٣) يظهر ان تعبير بيت بدن يطلق على بيت السكن الخاص

الجناب العالي لا أعلاه الله جار قطلي نائب حماة فقال لهم من قتل هذا فتقدم اليه الخطيب سليمان الحلبي وقال له ما يعلم الغيب الا الله عز وجل فأطرق قليلاً وأمرهم بإدخالهم المسجد وهم قريب من ستون رجلاً

فلما كان قبل تاريخه قامت الناس اجتمعت أهل المنصورية وخارج المدينة وداخلها اجتمعت الناس محصلين ملبسين مقاتلين

فلما انقضى نهار ما ذكرناه لم يُفتح داخل المدينة ولا خارجها دكاناً ولا طعاماً ولا خبازاً ولا قطاناً ولا بياعاً ولا أحداً بالجملة الكافية

فلما أتى نهار ما ذكرناه في اول الحديث اجتمعت الناس فبقي كل مائة رجل جملة واحدة وهم يقولون الله اكبر. الله اكبر .

فبينما شاهين المهمندار[1] هو نازل الى دار السعادة[2] ، اذ رأى بعضهم فأتى مسرعاً الى الدوادار[3] ورأس نوبته[4] فاعلمهم بذلك فلم يقدر أحداً يقابله بذلك

فبينما هم يكبرون اذ خرج الأمير الكبير[5] وهو يومئذ الأمير صلجي طالباً داره فحطوا أيديهم فيه ورجموه فلم يقدر يخرج فأتى الجار قطلي فأعلمه بذلك فطلب نفسه يركب عليهم فلم يمكنوه وهم الدوادار والجرندار ؟[6] والاستادار[7] وناظر الخبر[8] وكان الرجم له واجتمعت الناس في ذلك اليوم وكان يوماً مشهوداً مشهوراً .

(١) المهمندارية : موضوعها تلقي الرسل الواردين كما في صبح الأعشى للقلقشندي

(٢) دار السعادة هي دار الحكومة ومقر نائب السلطنة

(٣) الدوادارية : موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وابلاغ عامة الامور وتقديم القصص اليه والمشاورة على من يحضر

(٤) رأس النوبة : موضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم

(٥) الأمير الكبير : لم يذكر القلقشندي موضوع الأمير الكبير والراجح انه المسمى بالاتابك وهو اكبر الأمراء المقدمين وليس له وظيفة .

(٦) هكذا في الأصل وفي صبح الأعشى إمرة جاندار : موضوعها ان صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل امامهم الى الديوان

(٧) الاستادارية : موضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان ويمشي بطلب السلطان

(٨) لم يذكرها القلقشندي واسمها يدل على مسماها

وخرّب في ذلك النهار دكانان من تحت باب القلعة وأخذوا خشبهما وسقيفة الحاج علي البيطار وأخذ أربعة احمال حطب وهرجت الناس للعدد والسيوف والدرق والمقاليع ودُرّبت الزقاقات والدروب وطلب بعض الناس القلعة فخرج بعضهم وأقلهم فبقي في القلعة نحو من الفين رجلاً وبقي على الأسوار[١] وخارج المدينة والمنصورية والبساتين والأبواب بقي نحو من أربعة آلاف رجلاً وصفصفوا الرجال ونصب السنجق[٢] على باب العدة وصاحت الناس فرديد واحدة الله اكبر الله اكبر وكان يوماً عبوساً قمطريرا فقعدوا ومرّ عليهم ساعة زمانية الى قرب الظهر والناس قاعدون يصيحون الله اكبر يُسمع صوتهم من بُعد ميل

ثم بعد ساعة امر المهمندار ان يخرج ويحدثهم بكل لين فخرج وقال يا جماعة الخير ما هذا انصرفوا لانه قال لا يأخذوا منكم شيء بالجملة ولا بالمفرق وانما هو عمل هذا ليظهر غريم هذا المقتول فلم يظهر بعد فانصرفوا ولا قلنا ولا قلتم قولوا نستغفر الله ولا نعود الى مثلها ٠

وكان المهمندار هو والأمير صلجي فلمّا قال هذا أحاطوا أيديهم فيه بالضرب قال بعض الحضار بقي الناس تضرب الحجارة وهي تنزل كما تنزل من السقف ٠٠٠٠٠ الى جار قطلي وكان شيخاً مجنوناً قد بلغ من العمر ثمانين سنة وهو يشرب الخمر ٠

ثم بعد ذلك جهز الحاجب[٣] المسمى بسودون العلائي فقال لهم يا جماعة الخير ما هذا الذي بتعملوه بغضب وهذا ما هو مليح نكشتوا عرضكم وعرضه ٠ امضوا الى شغلكم والماضي ما يعاد وانا أضمن لكم ما أقوله لكم

قالوا لا سمعاً ولا طاعة لك في ذلك ثم انهم ضربوه بالحجارة فما قدر ان يتوقف ساعة واحدة فرجع الى النائب واعلمه بذلك فاغتمّ غمّاً شديداً ٠

ثم بعد ذلك جهز المهمندار ايضاً والحاجب المدلق طريق آخر فضربوهم من القلعة الى ان لا يقدروا يوصلوا الى دار السعادة وقعد ذلك النهار[٤] بلا سماط ولا

(١) يعني الاسوار المحيطة بالمدينة (٢) السنجق كلمة تركية

(٣) الحجوبية : موضوعها ان صاحبها ينصف بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب ان كان وعرض الجند (٤) يظهر من سياق الكلام ان الذي بقي بلا سماط هو النائب

اكل ولا شرب فأتى اللحم من المذبح فرجموا صاحبه وأخذوه من يده وكان قبل ذلك بعشرة أيام وسّط[1] الشيخ الطواشي وعمر مقدّم بني هنيم بغير ذنب ولا جرم وقبل تاريخه بيوم قطع إيد ورجل الشب البطاط .

وفي تاريخه رجل مسمى شاهين الكاشف وهو سكران فخرج على العور وضرب اربعة خمسة اسهم فجرح اثنان وقتل شاباً اسكافاً وهرب .

وجاء في تاريخه مطر شديد وقدره مجيئه من بكرة الى عشاء الآخرة وهو سيل عظيم وقعدوا اناس في القلعة حتى اذا خرج احداً صاحوا فتجمع الناس بسرعة

وهذا ما انتها الينا من ذلك وكان رابع عشرين ربيع الآخرة نهار الأحد سنة احد عشر وثمانمائة)

* * *

أما الأمير الكبير سيف الدين جار قطلي فقد وُلي نيابة حماة مرة بعد أخرى ثم ولي نيابة حلب والشام وصار اتابك العساكر بالديار المصرية وتوفي سنة ٨٣٧ ﻫ ١٤٣٣ م وهو في عشر السبعين كما يقول يوسف بن تغري بردي « في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جزء ٦ صفحة ٨٣١ من طبعة ليدن »

اما شاهين المهمندار والأمير الكبير صلجي فلم نعثر لهما على خبر « في الكتاب المذكور ولا في تاريخ مصر لابن اياس »

اما الحاجب سودون فقد ورد ذكره في النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٤٠٩ » باسم الأمير سودون السيفي علان بسبب استقرار الأمير اقبغا الاستدمري حاجباً بحماة بدلاً من سودون المذكور في سنة ٨٢٢ ﻫ ١٤١٩ م

وجاء اسم سودون العلائي بمناسبة الانعام عليه بإقطاع الأمير الطنبغا الصغير رأس نوبة النوب المستقر في نيابة حلب سنة ٨٢٤ ﻫ ١٤٢١ م

وبما ان هذه الحادثة تكوّن صفحة من تاريخ بلاد الشام وتنم على سوء ظن المحكومين بالحاكمين في تلك الأيام فهي حرية بالتدوين .

عبد الله مخلص

(١) هو اجلاس الرجل على أداة من حديد جادة الرأس واعدامه بهذه الصورة البشعة

العامي والفصيح

— ٢ —

البرازق — تقال اليوم لضرب من الخبز المعالج بالسمن والسكر وأرى انها محرفة عن الفرازق على البدل والفرازق جمع فرزدق قال في التاج : الفرزدقة القطعة من العجين الذي يسوّى منه الرغيف وبه سمي الرجل وقال الفراء يقال للجردق العظيم الحروف فرزدق فارسيته برازده او عربي منحوت من كلمتين من فرز ومن دق لأنه دقيق عجن ثم أفرزت منه قطعة فهي من الافراز والدقيق هذا قول ابن فارس ج فرازق والقياس فرازد اه ·

فتكون العامة خصصت به نوعاً من الخبز

البزّ — قال صاحب التاج والبَزْ والعامة تكسره ثدي المرأة ولا أدري كيف ذلك هذا كلامه والذي أراه ان العامة اختزلت البز من البَزباز اي بزباز الكير استعير لحَلَمته التي يمتصها الرضيع ثم عمّ عندهم للثدي كله وللأطباء والاخلاف فقالوا بز العنزة وإبزاز الكلبة ثم ازدادوا توسعاً فسموا بالبز القصبة الصغيرة التي يمتص السيكارة منها مُدَخِّنُها وكذلك ما يوضع في فم القصبة التي يدخل فيها الغليون سموها بالبزبوز من بزباز الكير أيضاً كما سموها الحَلَمة من حلَمة الثدي فقالوا بز القصبة وبزبوزها وحلَمتها

اما بزباز الكير فقد جاء عن ابي عمرو كما في التاج « البزباز قصبة من حديد على فم الكير الذي تنفخ منه النار وانشد للأعشى :

ايها خُثَيم حرك البزبازا ان لنا مجالساً كنازا

البسط · البساطة — من المولد البساطة في الطبع وهي السذاجة وهذا معنى شائع عند العامة أُخذ من البسيط ضد المركب وصاحبها يقال له البسيط اي ان طبعه لا يشوبه مكر ولا دهاء ولا جودة حيلة

واصل البسط في اللغة النشر وعنه يتفرع غيره وفي البصائر اصل البسط النشر

والتوسع فتارة يتصور منه الامران وتارة يتصور منه احدهما واستعار قوم البسط لكل شيء لا يتصور فيه تركيب وتأليف ونظم . اه

والعامة في بلاد الشام تقول انبسط فلان بمعنى سُرَّ وفرح وانشرح صدره وهو مبسوط اي مسرور وهذا استعمال فصيح صحيح مجازي قال في التاج «وبسط فلاناً سرَّه ومنه حديث فاطمة يبسطني ما يبسطها اي يسرني ما يسرها لان الانسان ايضاً اذا سُرَّ انبسط وجهه واستبشر» وهكذا نص النهاية وزعم بعضهم انه مولد في هذا المعنى ووروده في الحديث الشريف يدفع ذلك . اه .

وأما استعمالهم البساط للفرش المخصوص فهو بمعنى مبسوط كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والفراش بمعنى المفروش كما في المصباح . وفي الاساس هذا فراش يبسطك اذا كان واسعاً فهو اذاً بمعنى الفاعل

وفي العراق كما سمعته من بعضهم يقولون بسطه بمعنى القاه على الأرض ليضربه اي القاه على البساط وهو الأرض المستوية الواسعة وعامتنا تقول في مثل هذا المعنى بطحه اي ألقاه على البطحاء

البظبظة — وتلفظ بزاي مفخمة مكان الظاء كما هي عادة سكان اكثر المدن في الديار الشامية ويراد بها عندهم ان لا يُعجب المرء شيء فكلما عُرِض عليه أمر ازدراه ولم يستحسنه وفي اللغة كما في التاج (و) يقال (ما علمك أهلك الا مِضا ومضا وميضا وبيضا بكسرهن وهو ان يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه) نقله الصاغاني عن الفراء . اه .

وفيه أيضاً (و) قال الليث المِض (بالكسر ان يقول الانسان بشفتيه) وفي العين بطرف لسانه (شبه لا) وهو هيج بالفارسية وأنشد :

سألتها الوصل فقالت مِض وحركت لي رأسها بالنغض

(وهو مطمع يقال مض مكسورة مثلثة الآخر مبنية ومض منونة) وفي الصحاح مض بكسر الميم والضاد (كلمة تستعمل بمعنى لا) ...

وفي اللسان واصل ذلك ان يسأل الرجلُ الرجلَ الحاجة فيعوج شفتيه كأنه يطمعه فيها وقال الفراء مض كقول القائل يقولها بإخراسه فيقال ما علّمك أهلك

من الكلام الا مِضْ وإِض وبعضهم يقول الا مِضاً بوقوع الفعل عليها ويقال أيضاً ميضا كما يقال بِضاً وبيضاً ٠ اه ٠

واحسب ان العامة سمت التمطُّق بالشفتين بِضبضةٍ بالضاد لان الصوت الخارج منها عند التمطق يشبه بض مض ثم قلبت الضاد ظاء وهما كثير تعاقبهما في كلامهم ويتعاقبان كثيراً في الفصحى كما في عظت الحرب وبظ الوتر وفرظ المادح وبيض النمل ويقال ان قوماً من العرب لا يفرقون بين الضاد والظاء في كلامهم وعلى ذلك اليوم كثير في جبل عاملة

البغلة — تطلق البغلة مجازاً عند العامة على دعامة يسند بها الحائط الذي يخشى سقوطه واذكر انني رأيت المقريزيَ في خططه قد استعملها لذلك

وكانت تسمى باسم دخيل وهو الدستاهيج وجمعه الداستاهيجات وانما سميت بغلة تجوزاً لحملها ثقل الميل في الحائط الذي تدعمه والبغال تحمل الأثقال واسمها الفصيح عند العرب الظائر قال في اللسان ويقال للركن من أركان القصر ظِئر وللدعامة تبنى الى جنب حائط ليدعمَ عليها ظِئرة

والظاهر ان أصل المعنى العطف واستعماله في الدعامة مجاز

البِكْرِيَّة ٠ بَكِّير ٠ بُكرة — ويقولون للتي تلد أول بطن ناقةً كانت او امرأة هي بِكريةٌ بياء النسبة الى البِكر وبها يفرقون بينها وبين العذراء التي لم تفتض

والبِكر في اللغة تطلق على الفتيَّة من البقر التي لم تحمل بعدُ وتعرفها العامة باسم البَكِّيرة بباء مفتوحة بعدها كاف مشددة مكسورة ويجمعونها على بكاكِرة

ويقولون خرج فلان بَكيراً وُمبَكراً ويقولون لكل عمل سابق أوانه والزرع ينتج قبل أوانه بَكير وضده اللقيس ومن أمثالهم بالِقيس الحق البكير قال الكل على البيدر يضرب عندهم بمعنى ان اللاحق يدرك السابق فيجمع بينهما البيدر والبكير والبكيرة فِعيل بمعنى للمبالغة

البَلْطة ٠ بلَّطت السكين ٠ البلِط ٠ البلاط — البلطة عندهم فأس ذو حدٍ واحد يقطع به الشجر وقد يكون له حدّان

وقد جاء في اللغة البُرْت الفأس يمانيه ويفتح وكل ما قطع به الشجر بُرْت

وجاء في التاج في مادة ب ل ط (والبلط) بالفتح (ويضم المخرط) وهو الحديدة التي يخرط بها الخرّاط عربية والعامة يسمونه البلطة وقال ابو حنيفة أنشدني ابن الاعرابي « فالبلْط يبري حُفر الفرفار »

الحبرة السلعة تخرج في الشجرة او العقدة فتقطع وتخرط منها الآنية فتكون موشاة حسنة ويقولون بلطت السكين اذا كلَّ حدها فلم تقطع ويقولون بلط في مشيه اذا اعيا والاكثرون يقلبون فيقول طبَّل في المشي

وفي اللغة بلَّط فلان تبليطاً اذا اعيا في المشي وكذلك بلَّح نقله الجوهري ومثله بلد ايضاً

ويقولون غلام بلط اذا كان كثير الحركات حتى يبرم ويزعج وفي التاج (و) قال الفراء ابلط فلان (فلانا) اذا (الحّ عليه في السؤال حتى برم) ومثل ذلك الجأه اه · كذا في نسخة التاج المطبوعة بمصر سنة ١٣٠٧ م والصواب أخجأه بالخاء كما في لسان العرب · وفي مستدرك التاج بالط في أموره بالغ ولم يسمع من العامة لها فعل وكأنها في كلامهم تحريف مُبلط او مبالط من بالط

البَلاط عندهم حجر يُصقل وجهه ويملَّس ويفرش به وجه الأرض يكون من آجُرّ او حجر مصنوع او غير مصنوع واحدته بَلاطة والعامة تكسر الباء غالباً وهو في اللغة بفتحها وجه الأرض وبالط القوم لزموا البَلاط اي وجه الأرض وقيل هو الأرض المستوية الملساء والبَلاط بالفتح الحجارة المفروشة في الدار وغيرها يقال بلطت الدار فهي مبلوطة وبلطتها فهي مبلَّطة اذا فرشتها بآجُرّ او حجارة وفي اللسان كل أرض فُرشت بالحجارة او الآجر بَلاط وبَلَطها يبلطها وبلَّطها سوّاها وبلَط الحائط وبلَّطه كذلك والبلاليط الأرضون المستوية قال السيرافي ولا يعرف لها واحد

ويقول صاحب التاج وقول العامة بَلِّط السفينة اي ارس بها كأنه يأمره بالزاقها الارض

اقول والمعروف اليوم بنَّط الملاح اذا أرسى السفينة في البَنْط وهو المكان الذي ترسو به السفن محرف (بورت) الدخيلة وضده بوَّج

البهدلة — ويقول تبهدل فلان وبهدله اذا شتمه وتنقّصه وهو مُبهدَل ويريدون به المستقذر القليل التهذيب في لبسه او عمله او مشيه او المستسخر منه لأمثال هذه الأسباب والاسم البهدلة

وفي التاج البهدلة التنقص من الأعراض والتجريس عامية وفي اللغة البهدل كجعفر جرو الضبع عن ابن عباد وأرى ان قول العامة بَهْدَله فتبهدل بمعنى نسبه الى البهدل اي جرو الضبع وشبهه به كما يقال مضَّره فتمضَّر وقيَّسه فتقيَّس قال في الاساس ومضَّرناه فتمضَّر وقيَّسناه فتقيَّس اي صيَّرناه منهم بالنسب اليهم وتمضَّروا تشبهوا بمضر قال:

«ولولا رجال من ربيعة لم تكن   نزار نزاراً لا ولا من تمضَّرا»

وكما قالوا تبغدد وتدمشق بمعنى تشبه بأهل بغداد ودمشق

والضبع معروفة بأنها قذرة مستقذرة ولذلك يغلب عليها الوصف بالمدراء والامدر قال ابن شميل المدراء من الضباع التي لصق بها بولها وفي اللسان قال ابو عبيد الامدر الكثير الرجيع الذي لا يقدر على حبسه ويقال الامدر الذي تترب جنباه من المدر اي التراب وقال الجوهري الامدر الذي في جسده لُمَعٌ من سلحه وطالما سمعت كثيراً يشتمون فيقولون لمن يصفونه بالقذارة «له رائحة كرائحة الضبع» اي نتنة لا تطاق واذا بهدل الرجلُ الرجلَ فقد كان بان شتمه بتشبيهه له بالبهدل اي جرو الضبع وجرو الضبع ضُبَعٌ ثم عمَّ لكل شتم وقيل ان البهدلة دخيلة

التوك — عند العامة العوج والعيب في عصا وغيرها وقد عمَّ عندهم كل عيب حتى في الأخلاق وصاغوا منه فعلا فقال توَّكه اي جعل فيه توكا

وهو في اللغة بالقاف اي التوق قال في اللسان التوق العوج في العصا ونحوها ونسبه صاحب التاج الى ابي عمرو فلا حاجة اذاً الى جعلها من السريانية او من دواثرها بمعنى العطب والمصيبة والعامة لا يريدون شيئاً منهما بل اصل إطلاقها عندهم للعوج ثم عمت كل عيب كما تقدم وأما قلب القاف كافاً فهو كثير في كلامهم وفي لهجاتهم وورد منه في الفصيح دقم في صدره ودكم اذا دفع وشقع وشكع اذا جزع من مرض ونحوه على ان من العرب من يلفظ القاف قريبة من الكاف وتسمى القاف المعقودة قال في التاج وهي لغة مشهورة لأهل اليمن وقد سأل الحافظ ابن حجر شيخه مصنف القاموس عن هذه القاف فقال لغة صحيحة وقال ابن خلدون على ما نقل عنه أنها لغة مضرية ٠

النبطية   (يتبع)   احمد رضا

أقول في المقول

- ٥ -

٣٣ — وورد في ص ٣٤٨ س ٨ « فنوهم انا قطعناها [من] جديد وينستر امرك »
وليس هذا بصواب وذلك لأنا لو حسبنا انّ « من » المزيدة كانت سقطت من
الأصل لصارت العبارة « فنُوهم انا قطعناها ثانيةً وينستر أمرك » فهذا هو المعنى المراد
اليوم بقولهم « من جديد » De nouveau مع ان اليد لا تقطع الا مرة واحدة .
وهذا مقتضى النص ، فالصواب « فنوهم أن قطعناها[1] جديد » أو « قطعنا إياها جَديد »
أي أنّ القطع جديد . أما قولهم « من جديد » بمعنى « ثانية ومرة أخرى ومرة
ثانية وعوداً على بدء » وأيضاً « فلا سماع يؤيده ولا قياس يعضده . والبيت الذي
استدلّ به الدكتور زكي مبارك على استعمال « من جديد » كان مستبهماً عليه لأن
الجار والمجرور « من جديد » متعلقان فيه بفعل هو « أنفق » والأصل « أنفق من
جديد » أي من مال مكتسب حديث ، وكان الشاعر كثيراً ما يصيبه الاعدام
فيتعذر عليه الانفاق فاذا أصاب مالاً جديداً أنفق من الجديد .

٣٤ — وورد في هذه المجلة[2] ما هذا نصه « وقوف السماط للأمير العظيم ويغضون
أبصارهم أمامه » . قلنا : يظهر انه لا يعرف حقيقة معنى « أمام » لأن غضّ البصر
أمام الرئيس لا معنى له في آداب الرئاسة وذلك ان لفظ « أمام » يعني به انهم كانوا
جعلوا ظهورهم الى وجهه فهو مستدبر لهم لا مستقبل ، وليس من الصواب إذن ان
يفسر « دون » في قوله « يغضونَ دون الاشتيام عيونهم » بان يقال « يغضون أمام
الاشتيام رؤسهم » بل يجب ان يقال « يغضون بين يدي الاشتيام عيونهم » ومن
الواجب على كل كاتب بالعربية ان يعلم انه اذا استعمل لفظ « أمام » مضافاً الى
انسان أو ما له وجه ودبر او أول وآخر فانما يريد ان المضاف اليه ظهره الى وجه
الذي قبله فليس متقابلين ، وأمام والامام من أصل واحد وقيامة الامام في الصلاة

(١) باضافة المصدر « قطع » الى فاعله (٢) ص ٦٢١ من المجلد السابع عشر

معلومة فهو متقدم للمصلين وهم قائمون وراءه ، وللايناس نذكر أيضاً من كلام فصحاء العرب ، قال ابو مخنف لوط بن يحيى في أخبار حرب الجمل المشئومة : « وبلغنا ان عبد الرحمن بن طود البكري قال لقومه : انا والله قتلت عمراً وان الاشتر كان بعدي وأنا أمامه في الصعاليك[١] » وتراجع ص ٤٥٦ س ١٨ من المجلة

٣٥ — وورد في ص ٤٢٦ منه أنّ « التحليل لم يقع في كلام أحد ممن يوثق بعربيته » قلنا : هذا مضاد لما ذكره في ص ٤٢٥ من الجزء وهو : « ان كتب اللغة لم تحط بكل مفرداتها وكثيراً ما استدرك اللاحق على السابق ومنها ان أكثر كتب اللغة لا تستوفي ذكر المشتقات » فالتحليل مصدر « حلله » للتكثير[٢] لا للمبالغة فيجب ان يذكر « التحليل » مع ذي الأجزاء التي تستوجب حلولاً حقيقيةً أومعنوية فلا يُقال « حللتُ العقدة تحليلاً وقتل المجرم فلاناً تقتيلاً وذبح فلان فلاناً تذبيحاً » بل يجب وضع الجمع وما في معناه مكان المفرد حتى يصح « التكثير » نحو « قتلوهم تقتيلاً وغلقت الأبواب ، ويذبحون أبناءكم » فهذا قانون طبيعي في الاشتقاق ، قال الشاعر يذكر تحليل رؤيته حبيبته لأحقاده عليها :

تحللُ أحقادي اذا ما لقيتها وتبقى بلا ذنب عليّ حقودها[٣]

وجاء في أمثال العرب « الحفائظ تحلل الأحقاد[٤] » ، ولذلك كان قولهم تحللت عقده » كناية عن سكون غضبه[٥] أما ورود التحليل في الكيمياء وفي التدريس في كتب فهارس العلوم وأخبار الحكماء وأقوال الفلاسفة فلا شك فيه[٦] .

٣٦ — وجاء في ص ٤٢٨ « وانما هو فتح جبهات جديدة في الجدل» وفتح الجبهات عبارة لا تسوغ للعربية فالأُولى « اتخاذ براكاء او براكاوات جديدة ، قال المبرد :

(١) شرح نهج البلاغة « مج ١ ص ٨٧ س ١٩ »
(٢) منهم من لا يميز بين قول اللغويين « للتكثير » وقولهم «للمبالغة»لظنهم ان هذامن المترادفات .
(٣) ابو العباس المبرد في الكامل [ج ٢ ص ١٩٣] من طبعة الدلجموني
(٤) أبو هلال العسكري في جمهرة الامثال ص ٩٠ (٥) أساس البلاغة
(٦) كنا قرأنا تذكرة الكاتب فوجدنا ان مؤلفه يذكر [ص ٢٦ من الطبعة القديمة] من الكلمات لا يجوز استعمالهـا الا على ضعف وتكلف [التحليل] فصدقنا بقوله أولاً ثم كذبنا به والهدى بعد الضلال خير من الضلال بعد الهدى .

وقد كان عند المختار كرسي قديم العهد فغشاه بالديباج وقال : هذا الكرسي من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فضموه في براكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محل السكينة في بني اسرائيل[1] » قلت : عنى بالبراكاء ما يسمونه في هذه الأيام بجبهة الحرب » قال ابو العباس المبرد : «وقوله في براكاء ، يقال براكاء وبروكاء وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر :

وليس بمنقذ لك منه إلا براكاء القتال او الفرار[2] »

وعلى هذا يجوز ان يقال في العربية بمعنى فتح الجبهة الجديدة « اتخاذ مصدم جديد وملتحم جديد ومقتل جديد، وملتقى جديد، ومجتلد جديد» وهذه أشرف من العبارة الافرنجية .

٣٧ — وورد في ص ٤٣٣ من الجزء المذكور: « وقد أغفل كتبة الأنساب كالسمعاني وابن الأثير والسيوطي . ذكر هذه النسبة [السنامي] وقد رجعت الى كتب البلدان فألفيت بعضها يذكر سناما . . . » قلنا : كان على صاحب البحث ان يُراجع أيضاً « المشترك » لياقوت الحموي فقد كنا قرأنا ما نقله شمس الدين أحمد بن خلكان في ترجمة « المبرقع » من الوفيات . قال في ذكر قلعة المبرقع المذكور : « لم أر احداً ذكر هذه القلعة وأين هي حتى أذكرها ثم رأيت في كتاب الشبهات لياقوت الحموي . . . الذي وضعه في معرفة المواضع المشتركة قال في باب « سنام » (بفتح السين) إنها أربعة مواضع منها سنام قلعة عمرها المقنع الخارجي بما وراء النهر والله أعلم . والظاهر انها هذه القلعة . ثم وجدت في أخبار خراسان أنها هي وانها (كذا) من رستاوكش[3] »

وقال في ص ٤٣٤ نافلاً : « وقد ظفرت على هذا الحديث (كذا) بعد ان كنتُ . . . » قلنا : إن تكذية[4] الكاتب لا محلّ لها ها هنا ، فقد قالت العرب : « ظفرته وظفرت به وعليه » فهو في الوجهين الأخيرين مثل « وثبت به وعليه وثرتُ به وعليه وسعيتُ به وعليه » لأن الظفر يفيد الاستعلاء ودخول « على » في عبارة فعل الاستعلاء اللفظي والمعنوي مألوف نحو « غلبه وغلب عليه وفاقه وفاق عليه وعلاه

(١) المبرد في الكامل ص ٥٩٩ من طبعة أوربة (٢) المرجع المذكور ص ٦٠٠

(٣) ابن خلكان في الوفيات ج : ٣٤٦ طبعة العجم (٤) التكذية من اشتقاقنا لقول [كذا] وكتبها ، فهي كالفذلكة من [فذلك] والتفقيط في الحساب لقولهم [فقط]

وعلا عليه » في الصحاح : قال الأخفش : وتقول العرب ظفرتُ عليه في معنى ظفرت به » وقال التوحيدي : « قال الوزير : هل يقال ظفرت عليه ؟ قلت : قد قال شاعرهم :

وكانت قريش لو ظفرنا عليهم شفاءً لما في الصدر والنقصُ ظاهر

قال : هذا حسن . قلت : الحروف التي تتعدى الى الأفعال والأفعال التي تتعدى بالحروف يُراعى فيها السماع لا القياس . هذا كان مذهب إمامنا ابي سعيد [السيرافي] وقد جاء أيضاً ظفر به وجاء سخر منه وبه ....[1] » وقول الزمخشري في الاساس « وظفره الله عليه » دليل على وجود « ظفر عليه »

٣٨ — وجاء في ص ٤٣٨ منه أن وفاة مؤلف الكتاب الموسوم بنصاب الاحتساب « داخلة في المدة المحصورة بين سنة ٦٣٧ هـ وسنة ٩١٢ » لها ، وليس هذا بشيء حسن التحقيق لأن المؤلف — كما أثبت الكاتب بعض الاثبات — سنامي من أهل ما وراء النهر[2] ولأن السؤال الذي سئل به داود الظاهري من تلقيب السلطان بشهنشاه الأعظم مالك رقاب الأمم سلطان الارض معين خليفة الله[3] ، يدل على ان الامر المسئول عنه له مثال في عهد المؤلف او قبله بقليل فهو يدعو الى ترك ذلك تعريضاً لا تصريحاً ، وقوله : « معين خليفة الله » يدل على بقاء الخلافة في عهده أو زوالها قبل برهة . فالمؤلف إذن من معاصري الدولة الخوارزمية المنقطعة سنة « ٦٢٨ » هـ أو كان بعدها بقليل وقد قرضها المغول وأزالوا هذا الدعاء من المنابر ثم أزالوا الخلافة ؛ ووفاة فريد الدين العطار سنة (٦٣٧ هـ) لا تمنع من أن مؤلف نصاب الاحتساب نقل من كتابه قبل وفاته . فأنا ارى ان تاريخ تأليفه لا يتجاوز السنة (٧٠٠ هـ)

٣٩ — وورد في ص ٤٥١ من المجلد « حدثنا ابو علي محمد بن الحسن بن جمهور العجمي الكاتب الصلحي البصري صاحب الستارة المشهور بالأدب والشعر وتصنيف الكتب » . قلنا : الذي نعرفه من كتب التراجم والسير انه « العمي » نسبة الى

---

(١) ابو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ٢٢١ ونحن لا نذهب الى مذهب السيرافي كما هو ظاهر من قولنا . (٢) ص ٤٣٣ من الجزء المذكور

(٣) هذا لا يصح في التاريخ لأن داود الظاهري توفي سنة ٢٧٠ هـ على ما نقل الكاتب وأول من لقب بالسلطان محمود بن سبكتكين وأول من لقب بشهنشاه عضد الدولة البويهي . فالمسئول غير داود الظاهري وفي الكتاب نقصان .

بني العمّ من تميم ، صرّح بذلك مؤلفون عدة في تراجم الرجال كالنجاشي[١] والعلامة الحلي وابن داود الحلي وأبي علي والمامقاني ، وبيته مشهور في كتب الأدب والمذهب ، ومن الحق ان نقول : ان اسمه سهل التصحف والمشابهة للقمي ، وكذلك كان في معجم الأدباء فقد ورد فيه : « محمد بن الحسن بن جمهور القمي الكاتب ابو علي ، قال ابو علي التنوخي : وكان من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثير الملازمة لأبي ، وحرّر لي خطي لما قويت على الكتابة لأنه كان جيد الخط حسن الترسل كثير المصنفات لكتب الأدب (كذا) فكثرت ملازمتي له وكان يمدح أبي فأنشدني لنفسه ... قلت : انا وهو صاحب النوادر مع زادمهر المغنية جارية المنصورية[٢] » اه ولعل زادمهرد هذه هي التي أشار الى حسن غنائها أبو حيان التوحيدي فقال : ولاطرب ابن الغازي على جارية العمي في مجلسها الغاصّ بنبلاء الناس بين السورين[٣] » . وتصحف نسبه أيضاً في كتاب الديارات للشابشتي فقد جاء فيه « ولابن جمهور في ديرقنى ... وهو أبو علي محمد بن الحسين بن جمهور القمي ... وكان ... ظريفاً متأدباً مليح الشعر والكتابة ... وكنا نحضر مجلسه بالبصرة فيملي أخبار أهل البيت عليهم السلام وغيرها فاذا فرغ من الاملاء ابتدأ جواريه فقرأن بألحان ثم قلن القصائد الزهديّات فاذا فرغن من ذلك انصرف من انصرف واحتبس عنده من يأنس به وعمل الغناء والشرب[٤] » ، وجاء هذا النسب محرفاً الى « القمي » أيضاً في كتاب معالم العلماء الذي طبعه الأستاذ عباس إقبال[٥] » اما لقب « الصلحي » الوارد مع « العمي » فلم أعرف حقيقته ولعله « الشيعي »

٤٠ — وورد في ص ٤٦٤ نقد وتقريظ لكتاب « تاريخ ابن الفرات المصري » قلت : وقد ورد في حوادث ووفيات سنة ٧٩٩ منه[٦] ما صورته « الشريف الأخلاطي المصري ويعرف باللازوردي لأنه كان يصنع اللازورد وكان وجيهاً عند السلطان الظاهر برقوق وعند أكابر الأمراء والأعيان ... » ولم يعرف الناشر ان للتاريخ

(١) رجال النجاشي [ص ٢٦ ، ٢٣٨] (٢) ياقوت الحموي ج٦ ص ٤٩٨ طبعة مرغليوث الاولى
(٣) الامتاع والمؤانسة [ج٢ ص ١٧١] (٤) الشابشتي في مختصر الديارات ص ٩٨ من نسختنا
(٥) ابن شهراشوب في [معالم العلماء ص ٩٢ طبعة طهران سنة ١٣٥٣] (٦) ص ٤٧٨

اسم هذا الرجل الشهير ، فان شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني قال انه « ابراهيم ابن عبد الله الخلاطي ، ولد قبل سنة عشرين [وسبعمائة ونشأ في بلاد العجم وتعلم صناعة اللازورد وكان يحترف منها وقدم الديار المصرية[١] وذكره أيضاً في كتابه « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة[٢] » وكأنه وافق في ذلك ابن قاضي شهبة في ترجمته لهذا الراجل فقد سماه « ابراهيم الشريف برهان الدين الأخلاطي المعروف باللازوردي[٣] » . وسماه بدر الدين العيني « حسينا » فقال : « الشريف حسين الحسني المشهور بالأخلاطي توفي في العشر الأول من جمادى الأولى بالقاهرة وعمره ما ينيف على ثمانين سنة[٤] » وذكر له ترجمة جيدة متقنة ، مما يدل على ان مرجعه في تسويد التراجم غير مرجع ابن حجر وابن قاضي شهبة .

٤١ — وجاء في ص ٤٧١ من الجزء العاشر من المجلة ان صواب « برغم » هو « على رغم » وليس في العبارة خطأ وصواب بل لهـا وجهان يقال « على رغمه وعلى الرغم منه » و « برغمه » كما يقال « على حسبه وبحسبه » قال ابن مناذر الشاعر :

فبرغمي كنت المقدّم قبلي وبكرهي دُليت في الملحود[٥]

وقال عمر بن ابي ربيعة :

قال ساروا وأمعنوا واستقلوا وبرغمي لو استطعت سبيلاً

وقال شرف الدين بن اجح بن اسماعيل بن أبي القاسم الأسدي الحلي يرثي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين :

فشلت يمين الخطب أي مهند برغم العلا سلت وفلت مضاربه[٦]

وقال مطيع بن اياس :

وبرغمي أصبحت ليس تراها الـــعين مني وأصبحت لا تراني[٧]

(١) ابن حجر العسقلاني في كتابه [إنباء الغمر بأبناء العمر] مخط ، رقمه ١٦٠١ ورقة ١٣٢ من العربيات بدار الكتب الوطنية بباريس (٢) يراجع باب [ابراهيم بن عبد الله]
(٣) ابن قاضي شهبة في [ذيل تاريخ الاسلام] مخط رقمه ١٥٩٩ ورقة ١٢٥ من الدار المذكورة
(٤) العيني في [عقد الجمان] مخط ورقمه ١٥٤٤ ورقة ٥ من الدار المذكورة
(٥) كامل المبرد [ج ٢ ص ٢٩٠] طبعة المكتبة التجارية الكبرى ج ٣ ص ٢٨٤ من طبعة الدلجموني الازهري
(٦) الوفيات [ج ١ ص ٣٤٩] طبعة العجم (٧) جمهرة الأمثال [ص ١٣٧]

وجاء في حديث المتطفل للأصمعي «وأضحك اذا رأيته عابساً فآكل برغمه وأدعه بهمه[1]» وقالت الفتاة الأسدية :

وان يمنعوني ان أموت برغمهم غداجوف هذاالغارفي جدث وحدي[2]

وقال ابن ميادة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك يوم كان أمير المدينة :

ولقد بلغت بغير أمر تكلف أعلى الحظوظ برغم أنف الحاسد[3]

وذكر ابن خلكان في الوفيات قول أحدهم :

برغمي أطيل الصدّ عنها اذا نأت أحاذر أسماعاً عليها وأعينا

وقال بشار بن برد :

واذا أتينا الباب وقت غدائه أدنى الغداء لنا برغم الحاجب[4]

٤١ — وجاء في ص ٤٧٥ شاهد لإثبات جواز وصف الجمع بفعلاء الصفة هو :

ويوم رأينا الغيم فيه كأنه سماحيق ترب وهي حمراء حرجف

وفي البيت تصحيف لأن معناه غير ظاهر وتركيبه متباين متفاوت ، وشرط الاستشهاد بالشعر ان يفهم المستشهد به معناه ويوضحه ايضاحاً كاملاً ، وكذلك يقال في البيت المنقول في (ص ٤٧٨)

بقيت بعده الجليلة تبكي والخدود العيطاء تدعو لحاحا

وهو أولى بأن يكون أصله :

بقيت بعده الحليلة تبكي والجزور العيطاء ترغو لحاحا

فلا يبقى فيه شاهد ، وأما قوله «فله فارسية خضراء» فخضراء نعت لدرع واحدة وقول الزوزني «وله دروع فارسية خضراء» فيه خطأ نسخ او طبع فهو إما «له درع فارسية خضراء» واما «له دروع فارسية خضر» .

بغداد (يتبع) الدكتور مصطفى جواد

(١) أمالي الشريف المرتضى [ج ٢ ص ١٤٣]
(٢) مصارع العشاق ص ١٨٨ من طبعة مصر
(٣) الأغاني ج ٢ ص ٣٢٧ طبعة دار الكتب المصريه
(٤) شرح نهج البلاغه لابن ابي الحديد مج ٤ ص ١٦٦

الأمير عمر طوسون



فجع المجمع العلمي العربي بوفاة الأمير العالم عمر طوسون صاحب الاعمال المبرورة والأيادي البيض على العلم والثقافة . جمع الى كرم المحتد سعة العلم و كرم الأخلاق وعمل الخير ، ولم تصرفه كثرة أعماله عن الاشتغال بالعلم والتأليف بل كان من أكثر العلماء انتاجا . توفي رحمه الله في الاسكندرية في ١ صفر سنة ١٣٦٣ : الموافق ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٤

وفيما يلي بعض رسائله وترجمته بقلمه بعث بها الفقيد الى المجمع بعد ان انتخب عضواً مراسلاً :

— ١ —

حضرة صاحب السعادة العلامة الكبير محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تلقينا قرار المجمع العلمي العربي بدمشق بانتخابنا عضواً فيه بمزيد الارتياح والسرور . واننا لنرى ذلك فخراً لنا اي فخر ونشكر سعادتكم وحضرات أعضاء المجمع المحترمين اجل الشكر ونهدي اليكم واليهم أوفر تحياتنا مع أطيب تمنياتنا سائلين المولى تعالى ان يوفقنا جميعاً الى خدمة العلم ونشر الفضيلة والأدب خدمة خالصة مخلصة وان يكتب لمجمعنا الموقر غاية الفلاح والنجاح . وتفضلوا سعادتكم بقبول وافر احترامنا . ١٩٤٢/٤/٥ عمر طوسون

— ٢ —

حضرة صاحب السعادة العلامة الكبير محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تلقينا صورة المرسوم العالي الصادر بتعييننا عضواً مراسلا في المجمع العلمي العربي بدمشق بمزيد الارتياح والابتهاج .

واننا نسأل المولى ان يمد في حياتنا وان يعيننا على القيام بهذا الواجب العلمي الخطير حق القيام حتى نكون أهلاً لهذا القرار الكريم . ونشكر حضرتي صاحبي الفخامة والدولة رئيس الجمهورية السورية ورئيس مجلس وزرائها على اصداره أجل الشكر ونهدي اليهما خالص تحياتنا وطيب تمنياتنا .

وتفضلوا بقبول مزيد سلامنا واجلالنا ١٩٤٢/٥/٢ عمر طوسون

— ٣ —

حضرة صاحب السعادة العلامة الكبير محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فجواباً على كتاب سعادتكم الينا المؤرخ ٥ حزيران سنة ١٩٤٣ نرسل اليكم اليوم بالبريد ترجمتنا مع آخر صورة لنا ٠ واننا نفتهز هذه الفرصة فنهدي الى سعادتكم والى حضرات اخواننا المحترمين اعضاء المجمع خالص تحياتنا مع أطيب تمنياتنا لكم ولهم جميعاً ٠ واقبلوا مزيد سلامنا واحترامنا ٠

٣٠ يونية سنة ١٩٤٣ عمر طوسون

ترجمة حياتي

انا الأمير محمد عمر طوسون ابن الأمير محمد طوسون باشا ابن والي مصر محمد سعيد باشا ابن محمد علي باشا الكبير رأس الأسرة العلوية ٠ ووالدتي الأميرة بهشت حور وجدتي لأبي الاميرة ملك بير ٠

ولدت بمدينة الاسكندرية في يوم الاحد ٥ رجب ١٢٨٩ هـ — ٨ سبتمبر سنة ١٨٧٢ م ولما بلغت اربع سنوات توفي والدي فكفلتني جدتي لأبي وعنيت بتربيتي ٠ ودرست مبادئ العلوم على أساتذة مختارين في قصر ابي فلما ادركت الحلم نزحت الى سويسرة حيث استكملت دراستي ٠ ثم قمت بسياحة في فرنسا وانجلترا شاهدت في أثنائها انواع التقدم الاجتماعي والعلمي والصناعي والزراعي ثم عدت الى مصر ٠ وانا أُجيد اللغات التركية والعربية والفرنسية والانجليزية قراءة وكتابة وأشارك في العلوم بعض المشاركة ٠

وحينما أوفيت على سن الرشد قبضت على زمام دائرتي وادرت شؤونها بنفسي ومع اشرافي على إدارة اعمالي لم انقطع عن المطالعة والبحث في مكتبتي ٠ ولي ولع شديد بالاطلاع على كل ما له علاقة بتاريخ مصر والسودان وجغرافيتها وقد جبلت منذ الصغر على حب بلادي ٠ واني لفخور بما قمت به في الحرب الطرابلسية وحرب البلقان ٠ وكنت أول من فكر في ارسال وفد من مصر الى مؤتمر فرساي في ١١ نوفمبر سنة

١٩١٨ م للمطالبة باستقلالها . ثم ما قمت به في حرب الحبشة التي دافعت فيها عن كيانها ضد الايطاليين . وما ساهمت به من نصيب في مساعدات الامم المجاورة لمصر في شتى المناسبات والجمعيات الخيرية في مصر وبناية وترميم المساجد في السودان ومعاهده الدينية والعلمية وأنديته الاجتماعية وتشجيع المعارض الزراعية والعمل على توثيق العلائق الاخوية والتجارية بين مصر والسودان .

واقترنت بإحدى كريمات الأمير حسن باشا نجل الخديوي اسماعيل باشا في ١٤ اغسطس سنه ١٨٩٨ م فرزقني الله من البنين النبيل سعيد طوسون في ليلة الأحد ١٥ رمضان سنة ١٣١٨ هـ — ٧ يناير سنة ١٩٠١ م . والنبيل حسن طوسون في ١٩ شعبان سنة ١٣١٩ هـ — اول ديسمبر سنة ١٩٠١ م . ومن البنات النبيلة امينة في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ هـ — ٢ فبراير سنة ١٩٠٣ م . والنبيلة عصمت في ٣٠ ذي الحجة ١٣٢١ هـ — ١٧ مارس ١٩٠٤ م . وقد توفيت بالاستانة في ٨ رمضان سنة ١٣٣٦ هـ — ١٨ يونيه ١٩١٨ م . ثم نقل جثمانها الى الاسكندرية ودفنت بمدفن النبي دانيال .

هذا كل ما حضر ببالنا في ترجمة حياتنا بعثنا به اليكم اجابة لرغبة المجمع العلمي العربي الموقر .

عمر طوسون

— ٤ —

حضرة صاحب السعادة العلامة محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فجواباً على خطاب سعادتكم المؤرخ ١٩ تموز ١٩٤٣ نرسل اليكم مع هذا بيان المؤلفات التي وضعناها بالعربية والفرنسية والانجليزية وكذلك المؤلفات التي طبعت على نفقتنا . واننا ننتهز هذه الفرصة فنهدي الى سعادتكم والى حضرات اعضاء المجمع مزيد سلامنا مع اطيب تمنياتنا لكم جميعاً .

٧ أغسطس ١٩٤٣ عمر طوسون

المؤلفات العربية

لحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون

رقم مسلسل	اسم المؤلف	تاريخ طبعه: هجري	ميلادي
١	اربع رسائل طبعت في نحو سنة ١٩٢٥م وأعيد طبعها مراراً (الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية والجيش المصري البري والبحري	١٣٤٤	١٩٢٥
٢	مصر والسودان	١٣٤٦	١٩٢٧
٣	كلمات في سبيل مصر	١٣٤٦	١٩٢٨
٤	مذكرة عن مسألة السودان بين مصر وانجلترا	١٣٤٨	١٩٢٩
٥	ضحايا مصر في السودان وخفايا السياسة الانجليزية (للمطلع محزون) طبع على نفقة سمو الأمير	١٣٤٩ ١٣٥٤	١٩٣١ ١٩٣٥
٦	مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن	١٣٥٠ ١٣٥١	١٩٣١ ١٩٣٢
٧	الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي باشا	١٣٥١ ١٣٥٤	١٩٣٢ ١٩٣٣
٨	بطولة الأورطة السودانية المصرية في حرب المكسيك	١٣٥٢	١٩٣٣
٩	يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢م	١٣٥٣	١٩٣٤
١٠	البعثات العلمية في عهد محمد علي باشا ثم عهدي عباس الأول وسعيد	١٣٥٣	١٩٣٤
١١	الأطلس التاريخي الجغرافي لمصر السفلى اي الوجه البحري منذ الفتح الاسلامي الى الآن	١٣٥٣	١٩٣٤
١٢	وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة	١٣٥٤	١٩٣٥
١٣	الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا	١٣٥٤	١٩٣٥

رقم مسلسل	اسم المؤلف	تاريخ طبعه : هجري	ميلادي
١٤	مذكرتان للمرحومين أمير اللواء محمد باشا لبيب الشاهد وأميرالالاي احمد بك رفعت عن اعمال الجيش المصري في السودان ومأساة خروجه منه (طبع على نفقة سمو الامير)	١٣٥٤	١٩٣٥
١٥	المسألة السودانية	١٣٥٥	١٩٣٥
١٦	الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم	١٣٥٥	١٩٣٦
١٧	فتح دارفور سنة ١٩١٦ م للبكباشي حسن قنديل (طبع على نفقة سمو الأمير)	١٣٥٦	١٩٣٧
١٨	تاريخ مديرية خط الاستواء من فتحها الى ضياعها (ثلاثة اجزاء)	١٣٥٦	١٩٣٧
١٩	صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي (الجيش المصري البري والبحري)	١٣٥٩	١٩٤٠
٢٠	تاريخ خليج الاسكندرية القديم وترعة المحمودية	١٣٦١	١٩٤٢
٢١	مذكرة بما صدر عنا منذ فجر الحركة الوطنية من سنة ١٩١٨ الى سنة ١٩٢٨ م	١٣٦١	١٩٤٢
٢٢	اراضي الدومين والدائرة السنية التي كانت مرهونة للديون الخارجية وثمنت في سنتي ١٨٨٣ و ١٩٠٠ لعرضها للبيع	١٣٦١	١٩٤٢

OUVRAGES ET OCNFERENCES DE S.A. LE PRINCE OMAR TOUSSOUN

A . Puplications de l'Institut d'Egypte:

a) Tome IV

1 . Mémoire sur les anciennes branches du Nil (I[er] et 2e fasc.)

b) Tome VI

2 . Mémoire sur les finances de l'Egypte depuis les Pharaons jusqu' à nos jours.

c) Tomes VIII , IX,X

3 . Mémoire sur l'histoire du Nil

B.Publications de la Société Royale de Géographie d'Egypte

d) Tome VIII

4. Mémoire sur la Géographie de l'Egypte à l'époque arabe (3 parties)

C.Mémoires de la Société Royale d'Archéologie d'Alexandrie

5 . Cellia et ses couvents (Notes sur le désert libyque) - 1935

D. Bulletin de la Société Royale d'Archéologie d'Alexandrie

6 . La conquête de l'Egypte, par Ibn Abd-el-Hakam, T. V du Bull. , pages 213 - 239 - 1921

7 . Description du phare d'Alexandrie, d'après un auteur arabe du XIIe siècle T. IX du Bull. pages 49 -53 - 1935

8 . Une ascension de la colonne de Pompée - en 1843 T. IX du Bull. pages 54-55-1936

9 . E. Mémoire sur la question du Soudan - 1929

10.F. Etude sur le Wadi Natroun, ses moines et ses couvents- 1931

11. G. Alexandrie en 1868-1933

12. H.Memorandum on the question of the Sudan - 1936

CONFERENCES:

13. Note sur les déserts de l'Egypte (Bull. Inst. d'Egypte, T. XIV, Session 1931/32)

14. La fin des Mamlouks (Bull. de l'Inst. d'Egypte, T. XV, Session1932/33)

15. Note sur le voyage D'Alexandre le Grand à l'Oasis de Jupiter Ammon (Siwa), avec I planche-Bull. de l'Inst. d'Egypte, T. XVI, Session 1933/34

16. Les ruines sous - marines de la Baie d'Aboukir - Bull. de la Société Royale d'Arch. , N° 29, 1934)

17. Le Kasr el - Katagi (Bull: de la Société Royale d'Archéol. , N° 34 - 1939)

18. Les forts d'Alexandrie et ses environs

19. La conquête égyptienne de Siwa en I820 .

مخطوطات و مطبوعات

تفسير النسفي

المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل . وكأنه مأخوذ من اسم تفسير الشريف الرضي حقائق التأويل في متشابه التنزيل

وصاحب هذا التفسير هو ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي منسوب الى نسف بوزن جبل مدينة بين جيحون وسمرقند توفي اول المائة الثامنة للهجرة وهو غير صاحب العقائد النسفية فان ذلك اسمه عمر النسفي . ويظهر من تفسيره علمه وفضله وسعة اطلاعه

وهذا التفسير مطبوع في القاهرة بالمطبعة الأميرية ببولاق في ثلاث مجلدات كبار ويقرب حجمه من تفسير الكشاف طبعاً متقناً في الغاية على نفقة وزارة المعارف العمومية المصرية من سنة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م الى سنة ١٣٥٨ هـ — ١٩٤٢ م وقد جعل التفسير بمنزلة الحواشي على ألفاظ القرآن الكريم الموضوعة بأعالي الصفحات وهذا من الطابعين لا من المؤلف وقد رتبه ورقمه وصححه وضبطه لغة وقراآت كل من الأستاذين الشيخ شرف الدين محمود خطاب والشيخ محمود احمد البطراوي ومما يؤخذ على طابعيه عدم وضع فهرست له وقد أهديت منه نسخة الى المجمع

يجمع هذا التفسير اعراب المشكل والقراآت ومشكل اللغة وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والإشارة الى الأحاديث النبوية الواردة في التفسير وغير ذلك مما يذكره المفسرون وهو متوسط بين الإيجاز والإطناب كما انه واف بفهم معاني القرآن الكريم بدون تقصير ومما يؤخذ على مؤلفه غلبة التعصب المذهبي عليه الذي صار كالطبيعة في جملة من المؤلفين السابقين

محسن الامين الحسيني

الأسلوب

تأليف الأستاذ : أحمد الشائب

وضع الأستاذ أحمد الشائب ، المدرس في كلية الآداب في جامعة الاسكندرية كتاباً في الأسلوب بين فيه ما ينبغي لنا ان نسلكه في دراسة البلاغة .

يتضمن الكتاب فصولاً في البلاغة من حيث تعريفها وعلومها وموضوعها وفصولاً في الاسلوب من ناحية حده وتكوينه وعناصره وأقسامه وصفاته وفصولاً في الشخصية في الأسلوب .

وانا لنستطيع ان نعرف مبلغ فهم المؤلف ومقدار ذوقه من هذه المقابلات والموازنات التي لجأ اليها في كتابه ، فانه اذا وازن بين شعراء ثلاثة كأبي تمام والبحتري والمتنبي في موضوع واحد : العتاب ، او اذا وازن بين خطباء ثلاثة كعلي بن أبي طالب ومعاوية وزياد في موضوع واحد : سياسة الناس ، أو اذا وازن بين كتاب ثلاثة ، كالجاحظ والبديع وابن خلدون في موضوع واحد : السخرية ، تمكن كل التمكن من ان يدل أوضح دلالة على خصائص كل شاعر وكل خطيب وكل كاتب ، سواء أكانت هذه الخصائص فنية أم علمية أم نفسية ، وهذا النحو من الدراسة نحتاج اليه في أدبنا كل الحاجة فهو الذي يهدينا الى مواطن الحسن في أدبنا القديم ، وهو الذي يصفي أذواقنا ، ويهذب عواطفنا ، ويصقل خيالنا ، ويقوي تفكيرنا ، ان تحليلاً مثل تحليل الأستاذ أحمد شائب في بعض أماكن من كتابه يضمن لنا الوصول الى كل ما ذكرت ، وان تدريساً مثل تدريسه يجعل منا أدباء نفطن الى مصادر الحسن والقبح في أدبنا ونتغلغل الى بواطن نفوس كتابنا وخطبائنا وشعرائنا ونطلع على حقائق أمزجتهم وطبائعهم .

لست أستطيع التوسع في الكلام على كتاب : الأسلوب ، انما اقتصرت على الإشارة الى نماذج منه لعلمي بأن أمثال هذه النماذج انما هي غاية ما نفتقر اليه في أدبنا الحديث ولا يشعر بشدة هذا الافتقار الا الذين مارسوا تدريس الأدب على الأصول الحديثة ، وعرفوا ما تشتمل عليه هذه الأصول من المنافع .

شفيق جبري

الفكر العربي

بين ماضيه وحاضره – تأليف سامي الكيالي

اشتملت رسالة الأستاذ سامي الكيالي على مباحث شتى : الفكر العربي بين ماضيه وحاضره ، إحياء ثقافتنا العربية القديمة ، البلديات عند العرب ، الوحدة العربية ، النزعات التجديدية ...

في صدر الرسالة مقدمة للدكتور طه حسين بك دلت على صلة متينة بين الدكتور وبين الأستاذ الكيالي .

تشيع في الرسالة روح قوية في القومية العربية فلا يهون على مؤلفها ان يقول ابن خلدون في العرب انهم أهل انتهاب وعبث وانهم أمة وحشية ، فقد حاسب ابن خلدون على حكمه هذا ورأى فيه شيئاً من الإسراف .

ولا يهون عليه ان تبقى مخطوطاتنا مضيعة أو مدفونة ، فهو يريد ان نبحث عنها وان ندرسها ونصنفها وننشر أنفعها .

ووضح في فصله : البلديات عند العرب، سلطة المحتسب في الإسلام، وعناية حكومات المسلمين في القديم بما تعنى به في عصرنا هذا أبعد الأمم مذاهب في الحضارة كالصحة والعمران وما شابهها .

واذا دلت فصول الرسالة على شيء فانها لتدل على نحو ما قلت على نزعة عربية قوية ولست أبالغ اذا ادعيت ان الأدباء هم أساتيذ الوطنية والقومية لأنهم أشد الناس شعوراً بمحاسن وطنهم وآثار قومهم ، وقد اجتمع للأستاذ سامي الكيالي نصيب غير قليل من هذا الأمر .

ش . ج

تأريخ بئر السبع وقبائلها

تأليف : عارف العارف

لا يزال تأريخ بئر السبع وقبائلها غامضاً وقد اجتهد الأستاذ عارف العارف قائم مقام بئر السبع في جمع طائفة من أخبار تلك البقاع وآثارها ، وذكر في كتابه : تأريخ بئر السبع أشياء كثيرة عن أصل قبائلها مما نقله اليه الرواة أصحاب الثقة من أبنائها، ولكن الروايات التي دوّنها قد تضعفُ في بعض الأحوال وقد يناقض بعضها بعضاً على نحو ما ذكره المؤلف في مقدمة الكتاب .

فقد حار في أمر هذه القبائل ، في أصلهم ونسبهم وأوطانهم وتأريخ هجرتهم ، واستضاء في حيرته بثلاثة مراجع : بالكتب والأسفار وبالطلول والآثار وبالأحاديث والأخبار ، ولكنه لم يجزم صحة هذه المراجع لاقتضاب أنبائها وتناقض أخبارها وغموض طلولها وآثارها ومع هذا كله فقد أدلى دلوه في هذا الباب ، واعترافه بهذا كله يدل على الفضل .

وعلى الرغم من عيوب هذه المراجع لا يخلو تأريخ بئر السبع من بعض الايضاح لأصل بئر السبع ، ولموقعها ولعهودها في مختلف الأحقاب كما ان الكلام على قبائلها يتضمن شيئاً من التحقيق فقد كان المؤلف يركب بعيره ويستقصي في أخبار هذه القبائل بنفسه ويتصل بمشايخها ويسمع أقوالهم وأحاديثهم .

وفي الكتاب كثير من الصور . ش . ج

الأدب واللغة

مادلين أرقش

غاية الكاتبة في كتابها هذا : (الأدب واللغة) الدعوة الى توحيد اللغة على نحو ما وحدتها قريش في قديم الدهر ، ولهذا فانها تقترح إنشاء مجمع علمي لغوي عام ، والظاهر ان المجمع الذي تريده انما هو من غير طراز مجمع فؤاد الأول في القاهرة ، أو مجمع دمشق .

كل هذا يسير ، فلننظر في المسلك الذي ينبغي لنا ان نسلكه الى توحيد اللغة ، لقد بينت الكاتبة المسالك كلها ، من جملتها : الغاء الألفاظ القديمة البالية وحذف شطر كبير من المترادفات .

أما إلغاء الألفاظ القديمة البالية فاني أعتقد ان مجامع اللغة في غنى عن هذا العمل ، فان الأيام وحدها تضمن هذا الأمر ، ان قانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح يعمل في عوالم اللغة عمله في عوالم الطبيعة ومن يتعمق في دراسة لغتنا ولم يمسح هذه الدراسة مسحاً يتحقق عنده هذا العمل ، فكل عصر يطرح طائفة من الألفاظ التي كانت قبله او يحول معاني بعض الألفاظ من وجه الى وجه ، فمن الذي يقول في عصرنا هذا : غدائرها مستشزرات بدلاً من ان يقول : مرفوعات أو مرتفعات ، فالأيام هي التي تصقل اللغة فتطرح ما يجب طرحه وتستبقي ما يجب بقاؤه ، ففي اللغة العامية الفاظ وتراكيب يمتد تأريخ استعمالها الى اكثر من الف سنة ، لم تستطع السنون ان تلغيها فهي بقايا الفصاح فلماذا احتفظت العامية بهذه الألفاظ والتراكيب الحية ولم تحتفظ بغيرها مما عتق وبلي ، فالزمان وحده هو الذي يلغي في هذا الباب ما يجب الغاؤه ، لا المجامع العلمية .

أما حذف شطر كبير من المترادفات فقد أنكر فريق من علماء الافرنجة وعلماء العربية المترادف وقالوا في كل اللغات الفاظ لم يتكامل ترادفها ، فلكل لفظ سر وروحه وخصائصه .

فالكتاب لا يخلو في بعض المواطن من مبالغة في الرأي ، مثل فصل : باب اللهجات ، فقد يجوز ان تستفيض في بعض أقطار العرب الفاظ من أصل فارسي او تركي او كردي ، فيصعب على أقطار ثانية فهم هذه الألفاظ ، اما ان يكون الأمر في هذه الأقطار محتاجاً الى ترجمان بين الناس فهذا فيه شيء من الغلو .

كما ان كتاب : الأدب واللغة لا يخلو في بعض الأماكن من خطأ في الرأي ، ففي كلام صاحبته على التمثيل ما يدل على انها تعتقد ان لغة الافرنجة في التمثيل هي مثل لغتهم في الروايات الأدبية ، والحقيقة ان الجماهير في المسارح لا يدققون في مقادير الألفاظ تدقيقهم في إشارات الممثلين وحركاتهم ، فالروايات التي تمثل على

المسارح لها إنشاء يختلف عن إنشاء الروايات التي يقرأها الخاصة ، ولا عبرة ببعض مسارح في باريز او لندن يمثلون فيها روايات « موليير » أو « راسين » أو « شكسبير » فان جماهير هذه المسارح من الخاصة لا من العامة .

الا انا نشاهد الى جنب هذه الآراء طائفة من الآراء الصحيحة مثل الكلام على دعاة الفينيقية أو الفرعونية أو مثل الكلام على التعليم العملي في أوروبة حيث يدرسون علوم الطبيعة في المصانع والمزارع وهذا آخر أسلوب في التعليم الحديث .

أما اطلاق الكلام في التعليم الاجباري على نحو ما فعلته الكاتبة فهذا لا يخلو من بعض النظر ، فان موازنة الدولة لا تتسع لتطبيق التعليم الاجباري على نحو ما أرادته الكاتبة كما انه لا يجوز لكل سيدة من السيدات ان تعلم لان للتدريس والتعليم أساليب وقواعد يجب تحصيلها في دور المعلمين .

وقد كنت أرجو ان يخلو الكتاب من بعض الملاحظات لأنه يدل على فضل صاحبته واطلاعها على الرغم من الخطأ الذي نبهت عليه . ش . ج

من أمالي الوحدة

تأليف : علي الزين

يشتمل هذا الكتاب على موضوعات شتى ، من جملتها : الأدب في جبل عامل ، رسالة الشاعر ، المقاييس الفنية ، الاستقلال بالفكر والخيال ، وأشباه هذه المباحث .

صدّر الكاتب كتابه بمقدمة ذكر فيها بدء نشأته ، واعتدال ذوقه الفني وتجرد فكره ومرونة قلمه ، ونظائر هذه الأمور التي قد يستغربها القارئ والمؤلف يعرف ان في ذكرها شيئاً من الفتنة والغرور ويصرّح بهذه المعرفة ولا يبالي بذلك .

واذا تعذّر في هذا المقام إبداء الرأي في كل موضوع من موضوعات الكتاب لتنوعها ، فمن الممكن ان نقول ان الكتاب قد يتضمن طائفة من الخواطر الصالحة مثل موضوع : تفاوت أساليب البيان بتفاوت الموضوعات ، أو مثل موضوع : الوحده والانسجام في الشعر وغير ذلك .

وفي آخر الكتاب جملة من شعر المؤلف تظهر على بعضها آثار سهولة الطبع .

ش . ج

كشف الظنون

نسخة مخطوطة منه في الأحمدية بحلب والطبعة الرابعة له

اذا تصفحت كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعلامة مصطفى ابن عبد الله المعروف بملا كاتب چلبي المتوفى سنة ١٠٦٧ رأيت فيه كتباً توفي مؤلفوها في أواسط وأواخر القرن الثاني عشر . كقوله في الكلام على شرح الطريقة المحمدية . وشرحها الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٤ (هكذا والصواب ١١٤٣) وكقوله في (ج ٢ ص ١٣١) عمدة العرفان في وجوه القرآن للشيخ مصطفى الازميري المتوفى سنة ١١٥٥ . وكقوله في الكلام على شرح الطريقة وشرحها الشيخ أحمد الكشفي المتوفى سنة ١١٦٠ . وكقوله في (ج ٢ ص ١٩) سبع السيار في أخبار ملوك التتار مجموعة تركية للمولى الشريف محمد رضا النقيب السابق المتوفى سنة ١١٦٩

وهنا يأخذك العجب كيف مزجت هذه الكتب (اي التي توفى مؤلفوها بعد سنة ١٠٦٧) ومن مزجها بالأصل وكيف طبعت مع الأصل ولم ينبه على ذلك . وكنت تنبهت لذلك من سنين تزيد على ثلاثين . ونسيت أكان من اطلاعي على ما في الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعلامة محمد عبد الحي اللكنوي الهندي حيث قال في ص ١٩ ما ملخصه . مؤلف كشف الظنون مشهور لكاتب چلبي واسمه مصطفى كما ذكره في حرف التاء (تقويم التواريخ) تركي لجامع هذا الكتاب مصطفى بن عبد الله القسطنطيني مولداً ومنشئاً المشهور بحاجي خليفة وهو مشتمل على نتيجة كتب التاريخ سودته في شهرين من شهور سنة ثمان وخمسين والف . او كان من اطلاع على نفس العبارة في كشف الظنون . ثم قال اللكنوي نقلاً عن السيد غلام البكرامي في سبحة المرجان في آثار هندوستان وهذا يدلك على انه من رجال القرن الحادي عشر لكن نسخ كشف الظنون مختلفة في ما بينها متخالفة واكثرها مشتملة على ذكر مصنفات أهل القرن الثاني عشر ولعله من زيادات من جاء بعده (قلت لكشف الظنون ثلاثة ذيول مزجت به) اه .

وفي المكتبة الأحمدية بحلب نسخة من كشف الظنون في مجلد واحد تحت

رقم ٨٨٥ بخط حسن وقطع كامل محررة سنة ١١٧٠ ، وقد تصفحتها فوجدتها خالية من شوائب المزج ، وما اهمل من الوفيات في الطبعتين التي في مصر سنة ١٢٧٤ والتي في الآستانة سنة ١٣١١ هو مهمل فيها ،

وكنت أود ان أعرف هذه الذيول لمن وبحثت عن ذلك كثيراً الى ان بلغني من عهد قريب ان هذا الكتاب يطبع في الآستانة وان الجزء الأول منه حضر الى حلب أحضره المحامي الفاضل السيد احمد الزاغاتي فبادرت لرؤيته وسمح لي باعارته فأحببت ان اكتب لمجلة المجمع كلمة عن هذا الجزء مقتضبة من مقدمة في أول الكتاب لناشره ، ومن ترجمة كاتب چلبي التي ذكرت بعد هذه المقدمة ،

وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل وبقطع كامل وكل صحيفة منه عمودان على نسق أقرب الموارد في اللغة وفي آخره صحيفتان مأخوذتان بالمصور الشمسي من خط المؤلف احداهما من المسودة والثانية من المبيضة تحت أحدهما صورة قبره يليها صحيفة من كشف الظنون المطبوع في الآستانة بذيلها خط العلامة المرحوم اسمعيل افندي صائب وبجانبه رسمه ويلي ذلك بعد أوراق رسم اسمعيل باشا بن محمد أمين البغدادي وهما المذيلان الأخيران للكتاب ،

ما على ظهر الكتاب

المجلد الأول من كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للعالم الفاضل الأديب والمؤرخ الكامل الاريب مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة وبكاتب چلبي غفر الله تعالى له آمين

عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف مجرداً عن الزيادات واللواحق من بعده وتعليق حواشيه ثم بترتيب الذيول وطبعها العبدان الفقيران الى الله الغني محمد شرف الدين بالتغايا أحد المدرسين بجامعة استنبول المحمية والمعلم رفعت بيكله الكليسي

طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية

١٩٤١ — ١٣٦٠

المقتضب من المقدمة

ان أول كتاب حسب ما نعلم يبحث عن كتب الأمم الموجود منها بلغة العرب

في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها الخ هو فهرست ابي الفرج محمد بن اسحق المعروف بابن النديم الموضوع سنة ٣٧٧ وبعد ان تكلم عليه قال ثم وليه الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ بمفاتيح العلوم · والامام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ بحدائق الانوار في حقائق الأسرار · والعلامة قطب الدين الشيرازي المتوفى سنة ٧١٠ بدرة التاج لغرة دباج[1] وغيرهم من الذين صنفوا الكتب في بيان العلوم واسماء الكتب · وكتب الفارابي المتوفى سنة ٣٣٩ كتابه احصاء العلوم وصنف عبد الرحمن البسطامي المتوفى سنة ٨٥٨ كتابا حافلاً في موضوعات العلوم وكتب ملا لطفي المقتول سنة ٩٠٠ كتابه المطالب الإلهية خدم به خزانة كتب بايزيد الثاني العثماني والسيوطي المعاصر له كتب في ذلك النقاية واتمام الدراية · وكتب محمد أمين الشرواني المتوفى سنة ١٠٣٦ كتابه الفوائد الخاقانيـة · والف المولى احمد المعروف بطاشكبري زاده المتوفى سنة ٩٦٨ كتابه القيم المسمى بمفتاح السعادة ومصباح السيادة · وجاء بعد هؤلاء مؤلفنا كاتب چلبي ومشى على أثرهم واستفاد منهم وابتدأ بتحرير اسماء الكتب التي يجدها عند الوراقين الكتبيين وفي خزائن الكتب بحلب بإلهام من الله كما يقول هو في ترجمته التي كتبها بنفسه في آخر كتابه ميزان الحق (ثم قال) وعلى كل حال فهذا الكتاب اوعب الكتب المصنفة وأوسعها في بيان أحوال الكتب وان كان لا يخلو من أغلاط في الوفيات واسماء المؤلفين والمؤلفات كما هو شأن من قام بنفسه بمثل هذه المهمة العظيمة المذكورة اشتغل به مدة عشرين سنة وكتب فيه زهاء

(١) فاتها ذكر كتاب اخبار المصنفين المذكور في هذا الجزء وقد قال عنه انه في ست مجلدات لأبي الحسن علي بن انجب البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ وقد كان خازن كتب المستنصرية كما في ترجمته في شذرات الذهب في وفيات هذه السنة وفي تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي في أواخرها ·

وفاتها أيضاً ذكر كتاب التوبيخ لمن ذم التاريخ للحافظ السخاوي المتوفى سنة ٩٠٢ وقد طبع في مصر · ومنه نسخة مخطوطة في الأحمدية بحلب ·

وفاتها ذكر إرشاد القاصد الى اسنى المقاصد للشيخ محمد شمس الدين بن ابراهيم بن صاعد الانصاري السخاوي المتوفى سنة ٧٤٩ وهو مطبوع · وأخبار المصنفين وما صنفوه تأليف القاضي الاكرم علي بن يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٨ · وقد ذكره في تعداد مؤلفاته في تاريخي اعلام النبلاء نقلاً عن معجم الأدباء لياقوت · وهذا لم يذكره صاحب كشف الظنون في كتابه ولم أقف على نسخة مخطوطة لا منه ولا من اخبار المصنفين لابن انجب الساعي ·

١٥٩٠٠٠ من أسماء الكتب والرسائل وما ينيف على ٩٥٠٠ من اسماء المؤلفين وتكلم فيه عن نحو ثلاثمائة علم وفن . ولما عرض مسودة ما صنعه على العلماء استحسنوه غاية الاستحسان وطلبوا منه تبييضه فبيضه الى حرف الدال ثم اخترمته المنية فبقي التبييض في مادة (دروس) وبقيت هذه المادة وما يليها الى آخر الكتاب في حالة التسويد واقتنى هذه النسخة المسودة التي تبتدئ من مادة دروس الى آخر الكتاب تلميذ تلميذ المصنف جار الله ولي الدين افندي صاحب المكتبة باستنبول ووضع بمكتبته ومن ضم هذه المسودة الى المبيضة الموجودة في خزانة روان كوشكي من أول الكتاب الى مادة دروس يجد بين يديه كتاب كشف الظنون تاماً بخط مصنفه بين مبيضه ومسودته . والصحيفتان المأخوذتان بالظل الشمسي صحيفة من الصحائف المبيضة وصحيفة من المسودة تريانك أصلها بخط المصنف . ويرى المطالع وبقدر ما عانينا وكابدنا الى إخراج صحيح العبارة من السطور والحروف التي اختلط بعضها ببعض في الصحائف المسودة بحيث لو فسح الله في اجل كاتبه وأراد ان يبيضها لعصت له .

ونذكر للمطالعين ونخبرهم اننا بحمد الله وجدنا أوراقاً بين كتب شيخنا العلامة اسماعيل صائب سنجر المرحوم سقطت منذ زمان يفيد فيها مادة علم الفقه واسماء الكتب المصنفة فيها ولذلك نقل الطابع الأول Gustavus flugel في هذه المادة عبارة مفتاح السعادة بعينها وتبعه ملتزم الطبعة المصرية والطبعة الاستنبولية فنحن وضعنا عبارة المصنف في هذه المادة وأثبتناها في طبعنا هذا بكمالها فلله المنة . كتب جار الله ولي الدين افندي المذكور على ظهر النسخة المسودة المذكورة الموجودة في مكتبته تحت عدد ١٦١٩ ما حروفه فاعلم ان هذا الكتاب المسمى بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لاستاذ أستاذي لحاجي خليفة المشتهر بكاتب چلبي الاستنبولي بيضه بعد ما سوده الى آخر الكتاب الى كلمة دروس من حرف الدال المهملة انتقل الى رحمة الله تعالى سنة ١٠٦٧ وبقي الكتاب من كلمة دروس في مسودته بلا تبييض . ثم اجتمع ستة رجال فبيضوه لكن لم يبيضوه كما ينبغي والمسودة هي في هذا الجلد بخط المؤلف المسود رحمه الله تعالى .

ولقد رأيت مبيضته بخطه الى كلمة دروس من حرف الدال في مجلد كامل موجود في بلدة قسطنطينية[1] ولقد اختصر هذا الكتاب من جهة اللفظ وزاد عليه اسامي كثيرة أستاذنا المتجر في جميع العلوم والفنون السيد الحسين العباسي النبهاني الحلبي المتوفى بعد خمسة وتسعين والف في حلب الشهباء[2] وما في أول هذا المجلد من حرف الالف الى كلمة دروس بخط جديد من الكتاب المختصر للأستاذ السيد · ويدل عليه انه قال في حرف الألف · ابهاج في شرح ديباجة القاموس للفقير الحسيني العباسي النبهاني الحلبي · ويدل عليه أيضاً زيادات اسامي الكتب على اسامي كشف الظنون يعرفها من طالع هذين الكتابين (ثم قال) وكتاب اختصار الكشف للسيد الحسين العباسي موجود بتمامه بمكتبة يكي جامع باستنبول تحت عدد ٨١٥ وهو الذي سماه صاحبه السيد الحسين بالتذكار الجامع للآثار[3] ثم قال والذين أتعبوا انفسهم في تبييض مسودة المصنف لم يخرجوا عن عهدة هذا العمل الشاق ولم يقتدروا كما قال جار الله والسيد النبهاني · ومع ذلك تركوا كل الترك ما كتبه المصنف من الحواشي المفيدة والنقول من بعض الكتب[4] فنحن بحول الله وقوته قرأنا كل ما كتبه المصنف في شأن الكتب لغاية الجد ونهاية الجهد وضممنا اليه نقوله وحواشيه ·

ولكشف الظنون ذيول · وأول من ذيل عليه محمد عزتي افندي العريف بوشنه زاده المتوفى سنة ١٠٩٢ وبقي ذيله في التسويد · ثم ذيله عربه جيار شيخي ابراهيم افندي المتوفى سنة ١١٨٩ بجوار مصر اثناء عودته من الحج واحمد طاهر افندي الشهير بحينغراده المتوفى سنة ١٢١٧ وهذا الذيل يحتوي اسماء زهاء خمسة آلاف كتاب اسمه آثارلو · وممن ذيل عليه شيخ الإسلام عارف حكمت بك المتوفى

(١) النسخة المبيضة التي رآها جار الله ولي الدين افندي هي النسخة الموجودة في سراية طوپقبو في خزانة روان كوشكي تحت عدد ٢٠٥٩ أه من الأصل ·

(٢) له ترجمة في تاريخنا (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) ج ٦ ص ٤١٠ منقولة عن النفحة للمحبي لكنها ليست بشافية ·

(٣) اسناد هذا الكتاب في دفتر كتب هذه المكتبة الى محمد بن اسحق الشهير بابن النديم خطأ · اه من الاصل

(٤) ولذلك ترى النسخ الخطية التي استنسخت الأولى منها من تبييض هؤلاء الأفاضل خالية من هذه الحواشي والنقول وكذلك النسخ المطبوعة اه من الأصل ·

سنة ١٢٧٥ الى حرف الجيم[1] واجمع ما الف من الذيول عليه كتاب ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون تأليف البحاثة المرحوم اسمعيل باشا البغدادي المتقاعد من مديرية الشعبة الثانية من دائرة الضبطية باستنبول المتوفى سنة ١٣٣٩ وقد الف هذا الذيل بسعي متواصل منه في نحو ثلاثين سنة وزاد على الأصل مع النسخ المطبوعة ١٩/٠٠٠ · وله أيضاً كتاب هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين في مجلدين حاول فيه ان يجمع المؤلفين من صدر الاسلام باسمائهم وكناهم مع ذكر اسماء مؤلفاتهم ·

ولشيخنا العلامة المرحوم اسمعيل صائب سنجر مدير المكتبة العمومية بالآستانة واحد المدرسين بجامع بايزيد الثاني ذيل عليه · اهتمت الحكومة بطبع كشف الظنون على خط المصنف وتجريده مما زاد عليه من الكتب والرسائل المستقلة وطبع الذيول الثلاثة عليه فصرفت العناية على حصوله · وكان ذيل اسمعيل باشا محفوظاً عند أسرته فاشترته منها مع هدية العارفين له واشترت ذيل الأستاذ اسمعيل صائب سنجر المرحوم منه قبل موته بسنتين · وكان ذيل شيخ الإسلام عارف حكمت بك موجوداً عندها · فطبعنا ولله الحمد المجلد الأول من هذا الكتاب كما ترى باشتراك من شيخنا فقيد العلم والأدب اسمعيل صائب سنجر المرحوم في المقدمة لي ولزميلي المعلم باي رفعت بيكله الكليسلي ثم استأثر الله أستاذنا ونقله الى جوار رحمته على خط المؤلف ومازاد عليه متعلقاً لما في الأصل ميزناه بعلامات تشير اليها وسنطبع الذيول الثلاثة تترى ان شاء الله تعالى ·

طبعه أولاً العلامة Gustavus flugel بين عام ١٨٣٥ و ١٨٥٨ ميلادية في بلدة لايبزيغ بترجمته اللاتينية وطبع في آخر المجلد السادس منه ذيل حنيفزاده المسمى بآثارلو وطبع في المجلد السابع وهو آخر المجلدات فهرس كتب مدرسة الأزهر الكائنة بمصر ومدرسة ابي الذهب محمد بك الكائنة بها ومكتبة ردوس (هكذا

(١) لا ريب ان الذيول التي عناها العلامة اللكنوي فيما سبق هي هذه الذيول لأنه فرغ من تأليف كتابه الفوائد البهية في تراجم الحنفية سنة ١٢٩٢ وكانت وفاته سنة ١٣٠٤ اما ذيلا اسماعيل باشا والعلامة اسماعيل صائب فانهما الفا بعد وفاة اللكنوي ووفاة مؤلفيهما هو من عهد قريب كما سيأتي ·

ولعله رودوس) مع فهارس عدة مكتبات استنبول واطلعنا من المقدمة التي كتبها العلامة فلوجل في أول ترجمته على ان Petisd flacroix معلم العربية بالمدرسة الباريسية مترجم كشف الظنون الى الافرنسية . ثم طبع كشف الظنون بمصر في آخر أثناء تلك المدة التي طبعه فيها العلامة Flugel في لا يبزبغ . وهذه الطبعة أصح من طبعة مصر وطبعة آستانة وهي الأخيرة قبل طبعنا هذا طبعت على طبعة مصر تخطأ بخطائها وتسقم وتستقيم بها وتصح . وأشرنا الى تصحيفات طبعة لايبزيغ وأخطائها تحت الصحائف من طبعنا هذا وذكرنا عدد المجلد والصحائف والاسطر منها

ونختم هذه المقدمة بتقديم الشكر الخالص والثناء الوافي لوكيل المعارف بأي حسن عالي يوجهل الذي هو السبب الوحيد لطبع هذا الكتاب طبعة رابعة . وبذكر الاستاذ حسين عوني العربكيري الذي افادنا إفادة علمية .

أحد المدرسين في مدرسة الآداب من كلية استنبول

محمد شرف الدين بالغايا

استنبول قوجه راغب باشا كتبخانه سي

ترجمة كاتب چلبي مع اختصار

قال الناشر : لا شك ان كاتب چلبي وبعنوانه الآخر حاجي خليفة . ممن ازدان بهم الزمان وشرف بهم المكان واغفال ترجمته (من) صاحب خلاصة الأثر مع انه نابغة القرن الحادي عشر مما يقضي بالعجب ويستنكر . ولكن من حسن الحظ انه كتب بنفسه أوائل ترجمته في آخر القسم الأول من كتابه سلم الوصول الى طبقات الفحول[1] وهاك بنصه العربي .

وهو العبد الفقير الى رحمة ربه القدير مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المولد والمنشأ الحنفي المذهب الاشراقي المشرب (وبعد ان ذكر من ترجم نفسه في مؤلفاته قال) ولدت سنة ١٠١٧ وكان والدي عبد الله دخل الحرم السلطاني وخرج بالوظيفة المعتادة ملحقاً الى الزمن السلحدارية . ولما بلغ سني الى خمس او ست عين لي معلماً لتعليم القرآن والتجويد ثم ابتدأت قراءة التصريف والعوامل على الامام الياس خوجه

(١) نسخة المؤلف موجودة في مكتبة شهيدعلي باشا تحت رقم ١٨٧٧ وهي بخطه الجميل . اه من الاصل

وتعلمت الخط من الخطاط المعروف بيو كرى احمد چلبي ولما بلغ سني الى اربعة عشر أعطاني ابي من وظيفته كل يوم عشرة دراهم والحقني بزمرته وجعلني تلميذاً في القلم المعروف بمحاسبة اناطولي من أقلام الديوان . ثم سافرت سفرة بغداد مع والدي وقاسيت الشدائد في المحاصرة مدة تسعة أشهر من الحرب والقتال ولما رجعنا مأبوسين ودخلنا الموصل مات والدي سنة خمس وثلاثين والف ودفن في مقابر الجامع الكبير .

وكتب القسم الأخير من ترجمته في آخر آخر تأليفاته القيمة وهو كتاب ميزان الحق في اختيار الأحق وتعريبه ما يأتي . وبعد ان عاد من محاصرة ارزن الروم (ارض روم) الى الآستانة سنة ١٠٣٨ مع العساكر قصد جامع السلطان محمد الفاتح يوماً فرأى الشيخ محمد بن مصطفى الباليكسري يلقي الدرس فيه وكان عالماً طلق اللسان فاجتذبه سحر بيانه الى طلب العلم وانضم اليه وصية والده له بالطلب فجدد المقدمات وأعادها فحصل الملكة التامة في زمن يسير (وبعد ان عدد ما قرأ قال) وفي سنة ١٠٤٣ سافر مع الوزير الأعظم محمد باشا الى مشتا حلب وحج ابان ذلك وبعد ان حج وزار لحق بالجيش في ديار بكر ثم سافر مع السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٤ الى روان ورجع الى استنبول سنة ١٠٤٥ فحينئذ صمم العزم وأقبل إقبالاً تامًّا على العلم والمطالعة فشرع في إتمام المهمة التي كان ابتدأها في حلب وهي مهمة تدوين اسماء الكتب التي ألهمها الله اياه حتى اشتغل بها مدة إقامته بحلب . وكان يكتب اسماء الكتب التي يجدها عند الوارقين الكتبيين وفي خزانات الكتب بها . وكان ينقب عن الكتب ولا سيما كتب التاريخ والطبقات والوفيات في خزانات الكتب بالآستانة ويقتني المؤلفات وساعده في ذلك أموال ورثها من بعض قرابته سنة ١٠٤٧ حتى صرف لشراء الكتب نحو ثلثمائة الف عثماني ولم يشارك الجيش في الحروب بعد حرب روان مفضلاً الاقامة والاشتغال بالعلم على الرحيل مع الجيش .

(وبعد ان ذكر من لازمه بعد ذلك من العلماء وما قرأه عليهم قال) وكتب سنة ١٠٥١ تاريخ مائة وخمسين من ملوك الدول وسماه الفذلكة وأراد شيخ الاسلام يحيى افندي ان يقدمها الى السلطان ابراهيم الأول بعد تبييضها ولكنه ما احتفل

به وما يبيضه . وفي سنة ١٠٥٣ وسنة ١٠٥٤ اشتغل بالعلم والقاء الدروس على الطلبة ومطالعة الكتب والتعمق في الفنون وداوم على هذا الحال مدة عشر سنين لا ينام في بعض الليالي حرصاً على كتاب حتى يطلع الفجر . كان دأبه في العلم إرجاع الكثرة الى الوحدة المطلقة واحاطة الكليات وضبط الأصول وفي سنة ١٠٥٥ بمناسبة حرب جزيرة اقريطش اشتغل بعلم تخطيط الأرض ورسمها (الخرائط) وطالع الرسائل المتعلقة به . وفي هذه الأيام ترك الخدمة الرسمية وحاد عنها ووقع بينه وبين مقابله باشي خليفه مي نزاع بخس حقوقه الرسمية فانكب على القاء الدروس بالكلية وتأليف الكتب مدة ثلاث سنين وكان يدرس علم الصرف والمنطق والنحو والمعاني والفرائض والفقه والحكمة والكلام والطب والهيئة وشرح في تلك السنين كتاب محمديه لعلي قوشجي في الهيئة الى نحو نصفه والف تقويم التواريخ مجدولاً في شهرين[١] ارسله في سنة ١٠٥٨ لشيخ الاسلام عبد الرحيم افندي الى الوزير الأعظم فوجه محمد باشا . وفي سنة ١٠٦١ و ١٠٦٢ بيض المجلد الأول من كتابه سلم الوصول الى طبقات الفحول وعام ١٠٦٣ بيض كتابه تحفة الأخبار في الحكم والأمثال والاشعار الى حرف الجيم . ووضع أسامي الكتب والفنون التي رآها مدة عشرين سنة في كتب العلوم والتواريخ وطبقات العلماء والمكتبات وعند الكتبيين وسائر مظانها بترتيب الحروف في مواضعها . ولا يخفى على أحد ان من أهم العلوم علم أحوال الكتب فانه أول مرحلة من مراحل البحث والتنقيب ومن لا يعلم ما ألف من الكتب في أي موضوع كان يطول عليه أمد بحثه بدون ان يحصل منه على طائل . وعلم موضوعات العلوم من أنفع الوسائل وأجداها لان من يعرف الموضوع اجمالاً تحصل منه البصيرة وسماه بكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون والف فيه جهاننما وبين فيه الممالك التي بيد النصارى[٢] وترجم له من اللغة اللاتينية الشيخ محمد الاخلاصي الراهب الافرنسي الذي هداه الله تعالى الى الاسلام كتاب اطلس مينور سماه بلوامع النور وترجم التاريخ الافرنكي تاريخ ملوك النصارى وتاريخ قسطنطينية سماه برونق السلطنة

(١) منه نسخة في الاحمدية بحلب تحت رقم ١٢٤٠

(٢) منه نسخة مطبوعة قديماً في هذه المكتبة تحت رقم ١٢٣٢

والف في نظم الدولة رسالته المساة بدستور العمل لإصلاح الخلل وجمع في سنة ١٠٦٤ و ١٠٦٥ فتاوى ومسائل غريبة سماه برجم الرجيم بالسين والجيم . و كتب في سنة ١٠٦٦ كتابه المسمى بتحفة الكبار في أسفار البحار[1]

وله الإلهام المقدس من الفيض الأقدس في حكم فاقد وقت العشاء من الاقاليم وكتب سنة ١٠٦٧ التي توفي فيها آخر مؤلفاته وهو ميزان الحق في اختيار الأحق . وله مجموعة فيها فوائد فقهية وتاريخية وبعض التراجم وغيره وهي باللغة العربية موجودة بمكتبة نور عثمانية تحت عدد ٤٩٤٩ وعدد أوراقها ٢٠٢ ونصفها بياض

ذكر صاحب معيار الدول ومسبار الملل في آخر كتابه انه مات فجأة عن خمسين سنة رحمه الله رحمة واسعة . اه وفي آخر هذا المجلد (الأول من كشف الظنون) ٢٤ صحيفة باللغة التركية وبالحرف اللاتيني هي مقدمة للناشرين وترجمة المؤلف ويغلب على الظن ان هناك زيادات عما هنا . وأظن ان هذا المجلد لم يصل بعد الى مكتبة المجمع العلمي وآمل متى وصل ان يكتب عنه أحد الزملاء كلمة أخرى تزيدنا علماً بالمؤلف والمؤلَّف . وأرى تسهيلاً للمطالعين والباحثين ان هذا الكتاب بعد ان يتم طبعه مع ذيوله التي تقدم ذكرها ان يرتب على شكل آخر اختصاراً للوقت وللمراجعة بأن يذكر العلم وموضوعه وأبحاثه وتطوراته كالأصل ثم تذكر كتب هذا العلم مرتبة على الحروف وهكذا . وبذلك يختصر وقت طويل ويعلم مقدار ما الف في هذا الفن وتطوراته في كل عصر . وما أعظم هذه الفوائد والله الموفق

(حلب) محمد راغب الطباخ

---

(١) منه نسخة في هذه المكتبة تحت رقم ٢٣٣ وأظن أنها مما طبع قديماً .

آراء وأنباء

لا بدّ من هذه الكلمة

١ — الغريب المصنف

قرأت في هذه المجلة ، في ص ٥٣٢ من المجلد ١٦ هذه العبارة : « والغريب المصنف زعموا انه اجلّ كتبه . وقالوا ان كتابه « الأموال » وهو المطبوع الذي نجا من التلف من جميع كتبه ، هو أحسن ما صنف في الفقه وأجوده . . » اهـ . فقول أستاذي الأكبر علي (الغريب المصنف) زعموا انه أجل كتبه . . . وان كتابه « الأموال وهو المطبوع الذي نجا من التلف من جميع كتبه » يشعر بأن « الغريب المصنف) هو من مؤلفاته المفقودة . على اني اطمئنه ان (الغريب المصنف) غير مفقود ؟ وفي خزائننا البغدادية نسخة منه ، وفي خزائن الغير نسخ أخر ، وانا أذكر بعض ماأعرف منها :

في دار الكتب المصرية ثلاث نسخ :

نسخة رقمها ١٢١ لغة في خزانة تيمور باشا

« « ١٣٣ « « « « «

« « ٢ الشنقيطي

وكان كتب الي من باريس الأستاذ مصطفى جواد يقول :

« فتشت في فهرس دار الكتب الأهلية عن اسم الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام ، فلم أجد له ذكراً . وفي ليدن نسخة منه رقمها ١٢٥ ، وله في المانية (كتاب فضائل القرآن وأدبه) وهو من أجلاّء العلماء الكبار ، وكان اسحاق بن راوية — وهو هو — يقول : « ابو عبيد أعلم مني ومن الشافعي » وهذا أعظم مدح لعالم » اهـ .

ودونك الآن وصف هذا الكتاب وصفاً مجملاً على ما في نسختنا :

كتاب خلق الانسان وقع في ٥٩ صفحة — وكتاب النساء ووصل به الى ص ٧٦ — كتاب اللباس الى ص ٨٨ — كتاب الأطعمة الى ١٢٥ — كتاب الدور والارضين

الى ١٤٦ — كتاب السلاح الى ١٦٥ — كتاب الطير ١٧٦ — ثم تأتي فصول مختلفة في النبات والسحاب وما يتعلق بها الى ٢٨٦ — باب في أمثلة الاسماء على فعالة وفعولة وسائر الأوزان الى ص ٣١٧ — امثلة الأفعال الى ٣٥٨ — كتاب الإبل الى ٤١٨ — باب البهائم الى ٤٣٠ كتاب الوحش الى ٤٣٦ — كتاب السباع الى ٤٤٦ — باب التقدم في السير وسائر الأبواب الى آخر الكتاب وهو في ٦٨٣ صفحة — وآخر أبواب هذا التأليف الجليل : باب الحفيف ، وقبله باب المشورة والموتان ٠

وحجم الكتاب ٢٠ سنتيمتراً في عرض ١٧ ٠ وطول المكتوب من الصفحة ١٧ في ٩ ٠ وجميع عناوين الفصول والأبواب مكتوبة بالحمرة ٠ والكاغد حسن وكذلك الحبر ، والكتابة سهلة القراءة ، وليس اسم الناسخ في آخره ولا في أوله ، وهو غفل من التاريخ ٠ ونظن ان الكاتب هو محمود حمدي من الوراقين المصريين ٠ وقد كتبه في نحو سنة ١٣٣٠ للهجرة ، للسيد عبد الحميد البكري المصري ٠ وانما نقول هذا لاننا رأينا لهذا الوراق طائفة من الكتب منسوخة بيراعته ٠ وقد نسخ للسيد البكري المذكور عدة مصنفات للأقدمين ٠ فعسى ان يصدق حدسنا ٠

٢ً — رسم بعض الكلم

ذكر الاستاذ السيد مسلم الغنيمي في ١٦ : ٥٢٧ نص العبارة الواردة في (المطالع النصرية) : « المختار عند أهل العلم ان يكتب داود وطاوس ورؤس وفؤس ، بواو واحدة ، استخفافاً لكثرة الاستعمال » اهـ ٠ ثم زاد حضرته قوله هذا : « وهو الذي يراه الناظر في المعاجم وكتب التراجم » اهـ ٠

قلنا : ان البصراء من أهل الأحكام العربية والقواعد النحوية والمعاجم اللغوية ليسوا على هذا الرأي ٠ وقول نصر الهوريني ، صاحب المطالع النصرية : « المختار عند أهل العلم » دليل على ان الجميع غير متفقين ٠ فالحريري قال في درة الغواص ص ١٢٨ من طبعة الجوائب سنة ١٢٩٩ ما نصه : « والاختيار عند أرباب هذا العلم ، ان يكتب داود وطاوس وناوس بواو واحدة للتخفيف ٠ وكذلك يكتب مسؤل ومشؤم ومسؤم ، بواو واحدة للاستخفاف أيضاً ٠٠٠ فأما سؤول ويؤوس وشؤون

ورؤوس ومؤونة ومؤودة ، فالأحسن ان يكتبن بواوين ومنهم من كتبها بواو واحدة » اه . كلام الحريري .

وأما المحققون من أهل هذه الصناعة فقد ذهبوا غير هذا المذهب . قال في تاج العروس في مادة (ط و س) : « والطاؤوس (كذا) كتبها بهمزة على الواو الأولى ، يليها واو ثانية ساكنة) : طائر حسن م . همزته بدل من واو ، لقولهم : طواويس ... قال الصاغاني : والاختيار ان يكتب الطاوس علما ، بواو واحدة ، كداود » اه . فهذا كلام يدل دلالة واضحة على ان الاختيار ان تكتب بواوين اذا كان الطاووس نكرة ، وبواو واحدة ان كان علماً .

وأما سؤول وبؤوس وشؤون اشباهها فالأحسن ان تكتب بواوين : الأولى لوضع الهمزة عليها ، والهمزة هنا هي عين اللفظ ، ولا يجوز حذف عينه لئلا يعوّر ، والأعور مشوّه وليس هناك من يحب المشوّه أيا كان — والثانية هي واو الوزن ، ولا يجوز حذفها لكيلا يختل الوزن . وفي حديث ابن مسعود : لاوكس ولا شطط . وعلى هذا الرأي كان شهاب الدين الخفاجي في شرحه الدُرَّة . وكذلك شهاب الدين محمود الآلوسي (راجع كشف الطرة عن الغرة ، المطبوع في دمشق سنة ١٣٠١ ص ٤٦٨) ودونك نص كلامه : «وأما سؤول وبؤوس وشؤون ورؤوس ومؤونة ومؤودة فالأحسن ان تكتب بواوين ومنهم من كتبها بواحدة » اه .

وأما قول الأستاذ الغنيمي : « وهو الذي يراه الناظر في المعاجم وكتب التراجم » فنحن لا نراه على مايقول ، بل نرى رسم الواوات والهمزات مختلفاً فيه كل الاختلاف ... في جميع المطبوعات والمخطوطات . فاذا انعم النظر الباحث في ما خط وطبع لا يلفي نسختين من الكتاب الواحد للمؤلف الواحد ، متفقتين . والسبب : ان الناشر او الطابع او الناسخ لا يثبت ما يرى ، بل يرسم ما يراه هو . وهذا هو الوهم الكبير . وقد قرر مجمع فؤاد الاول للغة العربية قاعدة واحدة ، خفف بها عن عاتق الجميع ، وهي على ما أتذكر ، وكنت حاضراً : « اذا أردت رسم الهمزة الواقعة في قلب الكلمة ، لينها ، ثم ارسمها على الحرف العليل الذي لانت له والضمائر المتصلة بالافعال

والاسماء ، تصير اللفظة كالكلمة الواحدة ، فسأل وسئم ولؤم ، وشؤون ، ورؤوس ، ونشأوا ، وجرؤوا أو سئموا ، ويؤازر تكتب على الأحرف التي رأيتها لانها لانت لها . اما ان لم تلن لحرف فتكتب وحدها ، مثل : قراءة ومساءلة وتساءل . وأما رسم الهمزة في الاول والآخر فليس ثم من اختلاف فيه .

٣ — العرشي مؤلف كتاب بلوغ المرام

اني أشكر الشكر الجزيل الصادق ، الاستاذ المغربي على ما أثبته في هذه المجلة ١٦ : ٥٦٤ الى ٥٧١ ، ولا سيما ما حققه بخصوص المؤلف القاضي حسين العرشي . على ان ما كتبه الى صاحب الجلالة الإمام الأكبر يحيى حميد الدين ، أمير المؤمنين ، المتوكل على الله صاحب اليمن المالك سعيداً ، لا يتفق وما نقله حضرته عن جميل بك نوري . فقد كنت اهديت الى جلالته نسخة من كتابي فطالعه من أوله الى آخره ثم كتب اليّ بخط يده الكريمة ما هذا نقله بحروفه ، وقد كنت قد احتفظت به ، والآن اقدمه الى قراء هذه المجلة .

بسم الله الرحمن الرحيم

أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين

جناب العلامة اللغوي والفهامة الفطن الالمعي الأب انستاس ماري الكرملي المكرم

بعد الاحترام وتقدير ما تقومون به من الخدمة لجانب العلم نقول انه ورد الينا كتابكم كما وردته الهدية التي أشار اليها الكتاب وشكرناكم على احسانكم بطبع بلوغ المرام شرح مسك الختام كشكرنا اياكم على النسخه المهداة . وقد أضفتم بذلك الى ما لكم من الأيادي يداً طولى ومؤلفها هو القاضي العلامة حسين بن احمد العرشي[١] من قبيلة الاعروش[٢] احدى قبائل خولان العالية لم يتوف إلا بعد سنة الثلاثين من هذا القرن الرابع عشر كان عالماً فصيحاً خطيباً ناظماً ناثراً محلياً في

(١) ضبطت الكلمة ضبط قلم بفتح العين والراء وكسر الشين المعجمة وفي الآخر ياء النسبة المشددة

(٢) ضبطت الأعروش وزان اطروش اي بضم الهمزة واسكان العين المهملة وضم الراء يليها واو ساكنة وفي الآخر شين معجمة . ولم تذكر العرش ولا ان الاعروش قرية

ميدان الكمالات ومعدوداً من المتمين الى جنابنا وممن أعاننا في زمن احتدام الخصام بيننا وبين الاتراك . وفي الختام تفضلوا بقبول فائق الاحترام .

في ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨[١]

بغداد : الاب انستاس ماري الكرملي



في النقد اللغوي

مسائل ثلاث

لعل من السداد ألا يتعرض ناقد لنقد مسألة حتى يقتلها درساً وتمحيصاً ، ثم لا يصدر في نقده إلا عن أصول مسلمة واضحة ؛ وإلا كان قرآؤه منه في أمر مضطرب ، وأنكر اليوم ما كان قرر بالامس ، وكان متخبطاً في إنكاره وتقريره على السواء . والناس على حق في أن يطالبوا الناقد بنصيب من الفهم والوعي والتثبت أوفى مما يطلب من المتكلم ابتداءً .

كنا أخذنا على الأب المحترم انستاس الكرملي مسائل ثلاثاً أخطأ في منعها أشد الخطأ[٢] فطلع علينا بأجوبة في بعضها التراجع غير الصريح ، وفي بعضها محاولة دعم الخطأ بخطأ آخر . وها نحن أولاء نزيد هذه المسائل بياناً دون تعرض لما تخلل مقاله من جدليات لا طائل تحتها :

١ — فأما أولاهن فقد كان الكرملي منع ان يقال : « ذكرت (دولتا) المانية وايطالية ، أن في (شهري) شباط وآذار يعقد في (مدينتي) برلين ورومة مؤتمر يذكر فيه (قانونا) سنّتي كذا وكذا » الى ماأشبه هذا التعبير المولد الممقوت (كذا) اه[٣]

وعلل هذا المنع بقوله : « وأما اذا ثنيت المضاف فهذا معناه ان للمضاف المثنى مضافين اليه لامضافاً واحداً . فقولك كتابا الملك والأمير معناه ان للملك كتابين

(١) اي نهار الأحد الموافق ١٦ يولية سنة ١٩٣٩ م وقد صدر الكتاب عن صنعاء حاضرة اليمن فعسى ان يضم كل من يقتني كتاب المرشى هذه الفوائد الى النسخة التي تقع في يده ، لكي لا تفوته هذه الفائدة السانحة له . (٢) المجلد السابع عشر من هذه المجلة ص ٣٨١ (٣) ١٧ — ص ١١١

وللأمير كتابين .[1] هذا ما كان قرره . فنبهناه برفق في المجلد الثامن عشر (ص ٤٧٨) الى ان هذا المنع غير وارد ، وان الأمر في الإضافة أوسع مما توهم ، وأن قوله تعالى (إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) لا يعني ان لكل شخص عدة قلوب ، ونقلنا له النص والشاهد ؛ فلما انهارت قاعدته تراجع يقول : « ونحن لا ننكر هذا التركيب المولد ، إنما نرمي في كلامنا الى الأصح والأفصح » وحسن أن يرمى المرء الى ما يراه أصح وأفصح على شرط الا يعد الأمر الواحد مولداً ممقوتاً في مقالة وصحيحاً فصيحاً في مقالة . وسترى ان ترجيحه هذا لا يسلم له أيضاً . وأراد الأب استبعاد الآية (ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما) من ميدان البحث لقوة حجيتها فقال : (أما ملاحظته فيما يتعلق بهذه الآية : (إن تتوبا ..) فغير داخل[2] في موضوع بحثنا » اهـ مع أنها نص قاطع في صميم الموضوع لمن تبصّر .

ومن الخير ان ننقل هنا نصاً موجزاً في هذا الباب زيادة على ما كنا نقلناه :

« وقد صرح النحاة بأن كل مثنى في المعنى مضاف الى متضمنه يجوز فيه الجمع والافراد والتثنية ؛ والمختار الجمع نحو (فقد صغت قلوبكما) ويترجح الافراد على التثنية عند الناظم ، وعند غيره بالعكس وكلاهما مسموع (يعني يا حضرة الأب غير مولد ممقوت) كقوله :

حمامة بطن الواديين ترنمي سقاك من الغر الغوادي مطيرها

وكقوله: ومهمهين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين اهـ[3]

* * *

٢ — وأما المسألة الثانية فالتوكيد بالنفس قبل ذكر المؤكد كقول الأب : (في نفس هذا البحث) فنبهناه الى ان الصواب أن يقول : (في هذا البحث نفسه) لأن كلاً من (نفس وعين) اذا كانت للتوكيد المعنوي تلحق المؤكد ولا تسبقه ، وأشرنا الى ان مثل قول الأب هذا ، من رطانات الأعاجم التي طغت على الفصحى

(١) ص ١١٢ المجلد ١٧

(٢) كذا قال في م ١٨ ص ٤٧٦ وظاهر ان هذا خطأ والصواب ان يقول : فغير داخلة ... كما لا يخفى على المتأمل أدنى تأمل

(٣) الصبان على الاشموني ٣/٥٦ المطبعة المصرية سنة ١٣٦٩ هـ

من طريق الترجمة عن الفرنسية وأشباهها فالفرنجة تقول : (même chose) فزعم الأب ان العرب سبقوا الى هذا الاستعمال واستشهد بكلام عادي لعلماء نبتوا في عصور العجمة حين فسدت اللغة . فهل حضرته في حاجة الى من يذكره في هذه المجلة بقاعدة معروفة مسلمة عند من له أدنى اطلاع على علوم العربية : وهي ان أمثال سيبويه وابن منظور والفيروزبادي والزبيدي .. وغيرهم من علماء العربية يحتج بنقلهم لا باستعمالهم ؟؟ وبعد ، فليعلم حضرته أن كلاً من (نفس) و (عين) له معان خاصة غير التوكيد ، لذلك حتموا تأخيرهما عن المؤكد ، ليكون فرق بين قولهم (ذهبت عين زيد) و (ذهب زيد عينه) وان كان يطيب لك النقل عن الصبان فاقرأ :

« انهما [يعني كلا من نفس ، وعين] يستعملان في غير التوكيد كثيراً نحو : علمت ما في نفسك ، وعين زيد حسنة . بخلاف بقية الألفاظ فلم يكن لها من قوة الاستقلال ما للنفس والعين » الصبان على الاشموني ٣/٦٠ ثم قال :

« لا يلي العامل شيء من ألفاظ التوكيد وهو على حالته في التوكيد الا جميعاً من عامة الخ » ومعنى (على حالته في التوكيد) يا حضرة الأب كما في الحاشية « اي من إفادة التقوية ورفع الاحتمال . واحترز بذلك من نحو طابت نفس زيد ، وفقأت عين عمرو فان المراد بالنفس الروح ، وبالعين الباصرة ، فليسا (إذن) على حالها في التوكيد . » اهـ ٣/٦٣

أما الآية يا حضرة الأب (كتب على نفسه الرحمة) فليست (نفس) فيها للتوكيد كما لا يخفى فلا يصح إيرادها .

* * *

٣ — كان الأب الكرملي قرر في المجلد السابع عشر ص ١٠٩ : « ان الاسم المضاف عندهم دون المضاف اليه شرفاً وقدراً » فرددناه عن ذلك بشواهد تثبت بطلان قاعدته فقلنا (م ١٧ ص ٣٨٢) : « هذا غير مطرد ، ألا ترانا نقول ، إله الناس ، نبي الأمة ، أستاذ فلان وشيخه وأميره الخ والمضاف في كل ذلك اشرف من المضاف اليه وأجل قدراً » . فرجع هذه المرة والحمد لله فقال في الجواب : « فاتنا ان ننبه على ان

المضاف على ثلاثة أنواع : وهي إضافة تشريف وإضافة تعريف[1] الخ » ومن يقابل بين جملته هذه وجملته تلك يحمد الله معي ، أما شكر الذي رده الى الصواب فليس بالأمر المهم .

بقي ادعاء الأب ص ٤٧٨ أنه لم يقل حرفاً واحداً في خصوص مهما وأحكامها ، وهذا ادعاء صحيح ولم ينسب اليه ذلك أحد قط . ومع ذلك فقد وسعه ان يدعي ان الكلام موجه اليه ، والكلام بلسان عربي مبين .

ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والفهوم

* * *

أما بعد ، فحبذا لوساير الناقدون اللغويون روح العصر فهجروا الأقوال الضعيفة واللُغيَّات الرديئة مهما كان فيها من نصرة لأنفسهم وأهوائهم وأخطائهم ، إذاً لحفظوا على أنفسهم وعلى القراء وقتاً ثميناً يحسن ان ينفق في جهود تناصر اطراد القواعد وتخفيف الشذوذ . فاللغة متجهة هذا الاتجاه أحبوا أم كرهوا .

سعيد الأفغاني

المصطبة

في مجلة المجمع ج ٧ م ١٨ ص ٣١٤ (مصطبة او مسطبة) وقد ذكر الكاتب فيها أقوالاً كثيرة كلها غير صواب والصواب انها معربة عن (مهتابه) ومعناها بالفارسية الموضع الذي يجلس فيه في ضوء القمر .

محسن الامين الحسيني

---

(١) المجلد ١٨ ص ٤٧٦

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد التاسع عشر

الجزء الخامس والسادس ٢٢٣، ٢٢٤ المجلد التاسع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٤ جمادى الأولى وجمادى الآخرة سنة ١٣٦٣

الفصيح والمولد

في كلام أهل الغوطة

- ٦ -

(١٥) المياه ومجاريها ومستودعاتها وسدودها وما يتعلق بها

المسق محل يسقى منه، وفي المخصص أسقيته من نهري جدولاً جعلت له منه مسقى .. المسقاة والمِسقاة والسقاية موضع السقي، سقى الزرع يسقيه سقياً . البعل ما سقته السماء، والعِذْي (بالكسر وبفتح) الزرع لا يسقيه الا المطر غير مستعملة عندهم وهي الفصيحة . المسكرة من سِكر النهر، بالكسر ما يسد به . الكباشات او الكباش خشبات غلاظ تجعل في مجرى النهر ومن المجاز بنوا سوراً وثقوه بالكبوش . المزّاز مقسم المياه من مزّه مصه . الخرّار محل انحدار الماء من علٍ، أخذ من خرّ . حرَم النهر ملتقى نبيثة البئر أي ما يستخرج من ترابها وأطلقوه على ما جاور ضفة النهر من الأرض والضفة بالكسر جانب النهر وفي المختار ان حريم البئر وغيرها ما حولها من مرافقها وحقوقها . المقطع الموضع الذي يقطع فيه النهر، يقولون قطع الماء عن الأرض وقطع النهر . النجدة ما ينجد به صاحب الماء جاره من قسطه منه حتى يروي أرضه هكذا خرجتها . الجُرور جرية الماء بعد قطعها من المزّاز للسقيا . الماصية قطعة من الجدول تسيل منها بقايا المياه، ولعلها من مصّ الظرف قطرت منه فضلات السوائل العالقة به . المستنقع المنقع . الدوّار مجمع المياه في الجداول . الجبُّ الحوض . الطالع الذي تطلع منه المياه . المقسم . الباشورة

مقامم المياه وفي محيط المحيط الحائط الظاهر او ما يرى منه · المخاضة ما يخوض فيه الناس من المياه مشاةً وركبانا · خاض وخوّض · الساروط يلفظونه بالتاء بدل الطاء وهو الأخدود الذي تحدثه المياه في الأرض لشدة جريانها (سريانية) وتقدم فعل سورطت الأرض · المصرف محل تصريف المياه · القسطل (والقسطر أيضاً) أنابيب من خزف أو حديد لجر المياه · العَرابَة مجرى بني فوق جدول أو نهير لتسقى منه أرض عالية (مولدة) · العبّارة الجسر الذي يعبر عليه من عبر الوادي شاطئه وناصيته · انفجر الماء وتفجر سال · سحّ الماء سال من فوق الى أسفل · اندلق الماء انسفح وسفح الماء صبه · غطسه في الماء وغطّه · عام سبح يقولون هو يعوم على وجه الماء أي يطفو · نبع الماء تفجر وخرج من المنبع · غاض الماء غار ماع سال على وجه الأرض منبسطاً في هينته · العين ينبوع الماء · النهر الماء الجاري المتسع · الجدول النهر الصغير · الساقية أصغر من الجدول · الغدير قطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها · البركة مكان يجمع فيه الماء ج بُرَك · القناة التي تجري تحت الأرض يلفظونها «القناية» ج قنوات وقني · البئر ج آبار ويقولون نزح البئر ونزفها إذا استخرج ماءها كله · الميزاب (معربة) البالوعة والبلوعة والبلاعة · السدّ ما يجعل في وجه الماء · القنطرة ما يبنى على الماء للعبور عليه أو ما ارتفع من البنيان · الناعورة آلة من خشب تديرها المياه تنقلها من اسفل إلى أعلى · البكرة التي يُستقى عليها وفي المخصص خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل وفي جوفها محور تدور عليه · الشّرد ظَرْف من الجلد يجره حصان لاستخراج المياه (مولدة على الأرجح) الراوية يطلقونها على القربة التي ينقل فيها الماء للارواء · تحويل مجرى النهر · تعكير ماء النهر · عكر الماء وتعكرت والعكر الدردي اي العكر من كل شيء · الصهريج المكان يجمع فيه الماء · العَمْق (بالفتح واسكان الميم) قعر البئر بئر عميقة وما أبعد عَماقتها وعُمقها وأعمق البئر وعمقها · يقولون وأّف للماء اي أعدّ لها طريقها وهيأ سبيل جريتها ولا ما يمنع ان تكون من آلف يؤلف هيأ وجهز · ويطلقون شاوى المياه على القيم عليها الذي يمنع عنها الاعتداء او بقيها من تسربها الى غير أصحابها ويشتقون

منه فعلاً شوى الماء والشواية وهذا لم أعرف له أصلاً . تسلسل الماء جرى في جدور ومنه اشتقوا السلسول لمكان ينحدر منه الماء انحداراً . الحالول محل متسع تجري منه المياه في الشتاء . أروح الماء تغيرت رائحته . كرى النهر ويشتقون منه الكرّاية لمن يكرونه اي يخرجون منه ما تجمع فيه من الطين . شفّ النهر زاد ماؤه وشف يشف زاد ونقص وتحرك . الطوفان الماء الغالب يقولون طافت الأرض وطفتها اي سلطت عليها الماء . خابل للماء وضع لها ما يصدها عن الجهة التي لا يريد ان تسيل اليها (لم نجد لها وجهاً) . أنبوب الماء . سبَّل الماء جعله سبيلاً أي جعله في سبيل الله تعالى . المنكت المصب تصب فيه المياه الباقية من السواقي والجداول ولعلها من نكت كنانته نثرها اي أخرج ما فيها او انتكث من حاجة الى أخرى انصرف . العِدان بالكسر والتشديد الزمان، وهو وقت إعطاء كل صاحب حق من الماء قسطه، وعدنه تعديناً . وهم يفتحون عينه وفي القاموس عدان الشيء بالفتح والكسر زمانه وعهده وأوله وأفضله . الحوالة تحويل نهر الى نهر (قاموس) يستعملون فعلها فقط . البيبة مسيل الماء وفي القاموس البيب بالكسر المثعب وكوّة الحوض والمثعب مسيل المـاء .

(١٦) الأهوية والأمطار والأوقات وما ضارع ذلك

البرد . الزمهرير شدة البرد . الحرّ الحرارة . الباحور شدة الحر في تموز . النسيم الهواء اللطيف . الاعصار الزوبعة . النوء (يقولون النوّة والنوّ) . حمي النهار والتنور . هبت الريح هبوباً وهبيباً هاجت، وهبّ من نومه استيقظ . وعصفت الريح اشتدت فهي عاصفة ويوم عاصف تعصف فيه الريح . السَّموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار . الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد . السَّراب الذي تراه نصف النهار كأنه ماء . العَيَانة يطلقونها على المطر المتواتر أياماً وفي اللسان العين مطر لا يُقلع وقيل هو المطر يدوم خمسة أيام أو ستة او اكثر لا يُقلع . احتبس المطر . غاث الله البلاد أرسل عليهـا الغيث أي المطر . الغَدَق بالتحريك المطر الكبار القطر اغدق المطر يغدق إغداقاً فهو مغدق

ويقولون الماء يخدق · الصقيع الساقط من السماء بالليل كأنه ثلج · الجليد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد · ندفت السماء بمطر أرسلته ويقولون الثلج تندف · الرِّك (بالكسر والفتح) المطر الضعيف، يقولون الرّخ · الرّش القطر القليل · يقولون صحيت والصواب أصحت · الغبش ظلمة يخالطها بياض في أول الليل وآخره ج أغباش، يقولون الدنيا مُغَبَّشة أي الجو مظلم · أنار الصبح ونوّر أضاء ونوّرت المصباح أزهرته · عَنان السماء السحاب · شتا اليوم فهو شات اشتد برده، يطلقونه على هطول الأمطار · الضباب ج ضبابة وهو ندى كالغبار يغشى الأرض بالغدوات · الشّفق لما يرى من الحمرة في الجو قبيل الشمس وبعد الغروب · غامت السماء ويقولون غيمت · مطرت السماء وأمطرت فهي ماطرة · رعدت السماء وبرق البرق وبرقت السماء وأبرقت · جهجه الضوء لاح (سريانية) قَوْس قُزَح · خسوف القمر كسوف الشمس · درب التبانة · هجم البرد أسرع دخوله · هلّ الهلال · أفلت الشمس بزقت وبزغت وشرقت وأشرقت وغربت · الغمام · الغيث · الأفق · القطب · العصر · الفجر · الظهر · الطلوع طلوع الشمس المغيب مغيبها وغيابها · الضحوة الضحى · العشية · الظلام · الفيء الظل بعد الزوال · وتدور على ألسنة بعض المستنيرين الى اليوم · اسماء البروج : الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الاسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت، لكنهم لا يعينون مواقعها كما كان يعرفها القدماء، ويعرفون أيام العجوز وسعد الخبايا وأصله الأخبية وسعد بلع وسعد الذابح وسعد السعود، وبنات نعش ويعرفون الفجر الكاذب والفجر الصادق، والدب الأكبر والدب الأصغر، وينطقون بأسماء الشهور صحيحة إلا شهري أيار وآب فقد يطلقون عليها مايس وأغسطس كما هما عند الترك وكذلك اسماء الفصول الخريف الشتاء الربيع الصيف · يقولون غلة مسفوحة وصوابها مسفوعة جاءت من سفع ولفع اذا أحرق وجهه · السيل ج السيول يقولون سيل جارف · يقولون هذه سنة ايض تحريفاً لها عن غيض أي قليلة الأمطار والمياه · يقولون روّح انصرف مساء او من الزوال الى الليل وفي المصباح بكّر وكلاهما صحيح · ويقولون شرّق

أخذ ناحية الشرق وغرَّب أخذ ناحية الغرب وسكان شرق الغوطة يطلقون على من يريد غشيان الحاضرة غرَّب · الموسم الزمن الزمان اسم لقليل الوقت وجمعه أزمنة وأزمان · شَتْوي وشَتَوى يقال زرع شتوي · غاب الشفق · شعاع الشمس ما يرى من ضوئها عند ذرورها كالقضبان · قرص الشمس عين الشمس · الطقس (مولدة) يطلقونها على حالة الهواء والجو · المناخ (مولدة أيضاً) يطلقونها على هواء البلد والأرض · بخار الماء ما ارتفع منه كالدخان · يقولون هذه الأرض عذية أي طيبة بعيدة من الماء والوَخم واصلها عَذِية من عذا البلد يعذو طاب هواؤه · الهالة دارة القمر · عشية ، أمس ، البارحة ، الغد ، الدهر ، الزمان الطويل والأمد الممدود ، الصبح ، المغرب ، المشرق ، العشاء ، بين العشائين · الغَلَس · ميزان الحرارة · الساعة ساعات · الدقيقة الدقائق الثانية ثواني · الوقت · اليوم · النهار · خط الاستواء · النجوم واحدها النجم الكواكب واحدها كوكب · القمر ج الأقمار · تشمس تدفأ · تبرّد · دَنِق مات من شدة البرد (عامية) الشرد عند العامة المطر الذي ينسفه الريح من الخارج الى داخل البيت (محيط المحيط) · الشوب الحرّ (سريانية) يقولون هذا أوان المشمش اي وقته وموسمه · الزَّودة يطلقونها على السيول التي تزيد في مياه الأنهار وتحمل معها التراب والأوساخ فيحمر ماؤها ولا يسقون من ماء الزودة لضرره بالزروع والغراس · الغُرَّة رؤية الهلال · غمّ الهلال · الشق الصبح وشقّ الصبح طلع وشق الجو انشق عنه الغيم · مدت الشمس ارتفعت والمد في الأصل ارتفاع النهار · الدَّغش محركة الظلمة يقولون أتاني دغشة اي وقت الظلام · النَّفنف الهواء يقولون نَفنفت المطر أي امطرت رذاذاً · طال الليل قصر النهار اعتدل الليل والنهار

(١٧) المنازل والمساكن والطرق وأدوات البناء وما إلى ذلك

الإمام الصُّقع من الأرض والطريق والإمام الخيط الذي يقوم عليه البناء فيبنى بحذائه · العَرَصة ج عرَصات كل موضع واسع لا بناء فيه · البراح المتسع

من الأرض لا زرع بها ولا شجر • الخلاء المتوضأ والمكان لا شيء به • وسع المكان القوم اذا اتسع ووسع المكان اتسع وواسع ووسيع ووسعته بالتثقيل خلاف ضيقته • فضا المكان فهو فضاء • البيت يطلقونه على الغرفة أو المخدع كما يطلقونه على الدار • العلية البيت العالي جمعها علالي • الخص البيت من القصب أو البيت يسقف بخشبة كالأزج (والأزج كل بناء طويل) ج خصاص وخصوص ، والخص عندهم شبكة من خشب فيه ثقوب مربعة يجعل على النوافذ والشبابيك والكوى يرى من ورائه النور والمارة • الحاقة • القصر • السطوح واحدها سطح • المشرقة موضع القعود في الشمس (من الدار) • الدك ما استوى من الحيطان ج دكوك • السقاطة • الزاوية : ملتقى الحائطين في البيت والجمع الزوايا ويذكرون الزاوية القائمة و المسطحة والمنفرجة • المطمورة من طمر الحفيرة تحت الأرض أو ظرف من القصدير أو الفخار يخبأ فيه الولد دريهماته • الكوة الثقب في أعالي البيت • الدرج ج أدراج ما يرتقى فيه إلى السطح فإن كان من خشب فهو السلم وجمعه سلالم • الدرابزين (اعجمية) الروافد خشب السقف • العوارض واحدها عارضة • الأسطوانة • الخيمة كل بيت بني من عيدان الشجر • الخم بيت من قصب وفي القاموس حفرة في الأرض يجعل في أسفلها الرماد ثم توضع السخال فيها • المخدع البيت • الساباط سقيفة تحتها ممر نافذ والجمع سوابيط يطلقون عليه السيباط • قارعة الطريق أعلاه • الميدان (اعجمية) • الثغرة التغرة بالتاء بلهجتهم • البلاط • البنيان • الركيزة ج الركائز العتبة الداخلة • الدعامة عماد البيت • الأس أصل البناء كالأساس • العضادة (بكسر العين) جانب العتبة من الباب • الدكة بناء يسطح أعلاه للمقعد • سقفت البيت عملت له سقفاً • شك القوم بيوتهم جعلوها مصطفة متقاربة يقولون مشكوكة من الأول الى الآخر • سور المدينة : البناء المحيط بها • العشة بيت صغير يبنى بقضبان والعشة بالفتح كما في المخصص من الشجر الدقيقة الأغصان وقيل هي التي لا تواري ما وراءها • الخوخة : كوة تؤدي الضوء الى البيت ومخترق ما بين كل دارين ما عليه باب • التيغار الإجانة ، هو عندهم بناء عال من طين ذو حافات

يعصر فيه المشمش أو غيره ٠ المِطبخ الموضع الذي يطبخ فيه يفتحون ميمه وهو الأولى ٠ القبو المكان المعقود بعضه الى بعض وقبوت البناء رفعته الكنيف مكان التغوط يطلقون عليه بيت الماء والميضأة ٠ اللّبن ما يجعل من الطين ويبنى به واحدتها لبنة ٠ القَرْمد والقرميد عندهم الآجرّ والآجر لَبِن مشوي بالنار ٠ المربط الموضع الذي تربط فيه الدواب ٠ الزَّرب موضع الغنم ويقال له الزريبة أيضاً ٠ الجب خرزة البئر ٠ الدهليز (فارسية) ٠ الإصطبل موضع البهائم (قالوا ليس من كلام العرب ويستعملون آخور التركية) يحرفونها بياخور ٠ الجادة (فارسية) ٠ المصنع لما يجمع به ماء المطر وغيره ٠ الجُرن حجر منقور يتوضأ منه ٠ السقيفة كل بناء سُقّف به صُفَّة أو شبه صُفة مما يكون بارزاً ٠ الدّاكونة مخبأ وراء الغُرَف تحفظ فيه الثياب وغيرهـا ولعلها من دكن المتاع نضَّد بعضه على بعض ٠ الروشن والجناح خشب يخرج من حائط الدار الى الطريق ولا يصل الى جدار آخر يقابله فان وضعت به أعمدة من الطريق فهو الجناح والا فهو الروشن ٠ المِصْطبة مكان اجتماع الغرباء ج مصاطب وهي الدكان ايضاً من الدكة ٠ الساف والمدماك الصف من اللبن والحجارة ٠ البناء المعقود هو الذي جعلت له عقود فعطفت كالأبواب ، والعَقْد البناء المعقود ٠ الرَّزة حديدة يدخل فيها القفل ٠ في الطريق عطف اعوجاج ومَيل ومنه عندهم عَطْفة للحيّ الضيق الذي يخرج من الجادة ٠ جصَّص البناء طلاه بالجص والجصّ معرَّب ٠ سيجت عليه وسوَّجت اذا عملت عليه سياجاً ٠ طريق مُخْطِرة فيها خطر على الحياة ٠ نفذ الطريق عمَّ مسلكه لكل أحد فهو نافذ أي عام ٠ هدينه الى الطريق وللطريق ٠ الحارة ٠ الحيّ ٠ المنزل ٠ المحطة ٠ الجملون سقف محدَّب ٠ الرَّف ٠ الدَّرب ٠ الشاقول ٠ الفسقية ٠ الزُّقاق ٠ الرَّدم ٠ الصَّقالة ٠ السيبة ، وكلاهما أعجميُّ الأصل) المشنقة ٠ المخرج المدخل ٠ نقبت الحائط خرقته ٠ الزابوقة من البيت زاويته او شبه دَغَل (مكان خفي) في بيت يكون فيه زوايا معوجة ٠ الكوخ ٠ هدمت البناء اسقطته فانهدم ويستعملون الهدم والهدّ والرّدم ٠ بناء متخلخل متداعي الأركان ٠ ساحة الدار باحتها ج ساحات ٠ عتبة الدار ٠ السَّرْب الحفير تحت الأرض والقناة يُدخل منها

المساة الأرض • طين السطح طلاه بالطين • مال الحائط زال عن استوائه • هار الجرف تصدع ولم يسقط فاذا سقط فقد انهار • سمرت الباب وسمرته المسمار ما يسمر به • أطبقت الباب او صدته • ترست الباب وباب متروس • انفخت السقف انثقب والفخت ثقوب مستديرة في السقف • الأتون بالتشديد والعامة تخففه • القميم أتون الحمام وفي كتب اللغة بالنون القمين كأمير • حوّط كرمه بنى حوله حائطاً فهو محوّط • الطبقة • الطُرفة • المصراع • الحشوة • السرداب : بناء تحت الأرض للصيف (معرب) • الهباب الهباء والهباء الغبار او يشبه الدُّخان ودقاق التراب ساطعةً ومنثورة على وجه الأرض • المفرق (بكسر الراء وفتحها) مفرق الطريق ومفرقه الموضع الذي يتشعب منه طريق آخر • عُلو الدار ضد سُفلها (بالضم والكسر) البرّاني • الجوّاني • القرنة الطرف الشاخص من كل شيء يقال قرنة الجبل وقرنة النصل • الحير البستان او مجتمع الماء وحوض يسيب اليه مسيل ماء الامطار والمكان المطمئن ، ويقولون لها اليوم الحير بكسر الحاء وعندهم أرض يسمونها الحير •

(١٨) أدوات منزلية شتى

المصحف ، الربّعة (صندوق اجزاء المصحف) • الحرز : العوذة • الخريطة • الكرة • الدُرْج • المسطرة • الدفتر • المصلى • اللوح • الطباشير • الدواة (الدواية عندهم) • المحبرة آلة الحبر • الليقة • الماعون • السطل ج السطول • الهميان • المقطف • السَّفط • السلّة • العُلبة : قدح من خشب وقيل من جلد وخشب • الوعاء يحرفونه فيقولون الواعة ، والوعاء كل ظرف وعى شيئاً • العُكة آلة السمن أصغر من القربة • الخلية • الكوارة • الخزانة • المخلاة • الحقيبة • المكنسة • المنفاخ آلة النفخ • المروحة الآلة التي يتروح بها • والمرآة ما تراءيت فيه • السراج المسرجة محل وضع السراج • القنديل • الفانوس • السرير (يجمعونها على سرائر وجمعها سُرر وأسرّة) • المقطع • القطافة أداة من حديد لقطف الكلاء وجم الأغصان • المِسنّ حجر يُسنّ عليه السكين وشحذ السكين والشفرة والسيف والخنجر اذا حدّده بالمسن وغيره مما يخرج حده • المبرد آلة البرد • المنفاخ والمنفخ

ما ينفخ به ومادته نفخ · المهراس من هرس الشيء دقه · القُلة · الكوز · المكبس المدار · الدرّاجة · المجمرة · الوتد · المعجن · الطبق · الطست (الطشت) الكتاف حبل يُشدُّ به الوتر شرعة القوس ومُعلَّقها · الكَمَر المنطقة من الشعر (فارسية) فتيلة السراج ج فتائل وفتيلات هي الذبالة · الُحرّاق ما يحرق من الخرق ليورى فيه · الحقنة (آلة يحقن بها المريض) · القدح · الكرمي · الزُكرة الزق الصغير (للسمن والزيت وغيرهما) · الدّبة ظرف للبزر والزيت (والماء واللبن) يقولون له الدّبية ويجمعونها على دبابي · البطّة الدّبة او إناء كالقارورة · القُفّة الزنبيل والزبيل (فارسية) · القرطال ويقولون القرطل وعاء كالزنبيل وفي القاموس القرطلة كقرشبة عدل حمار كالقرطالة بالكسر واحدة القرطال وزاد في التاج عن أبي حنيفة قال في باب الكرم ووصف قرية بعظم العناقيد العنقود منه يملأ قرطلة ، قال ونسب الصعاني القرطلة الى العامة · المطهرة · الزير · المغسلة · الجرّة · القمع آلة تجعل في فم السقاء يصب فيها الزيت وغيره (المصباح) · المدق والمدقة · الابريق (فارسية) المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة يقدمون الزاي على الراء ويشددون الباء فيقولون مزربّة · المدخنة المجمرة الحلة القدر الكبير قال في التاج لأنها تحل الطعام · التنور · الكانون يخبز به والتنور كل مفجر ماء ، وكلاهما مستعمل عندهم قيل انها عبرية او آرامية ويقول الاسكافي ان التنور لفظة عربية والتاء فيها أصلية · الطابونة من طين النار دفنها لئلا تطفأ وذلك الموضع طابون وطابن والطابون فرن في الأرض · الفُرن · الدولاب (فارسية) · برج الحمام · القمقم (فارسية) ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس ، والقمقم عندهم ما يملأ ماء الورد لتطييب الوجوه في الحفلات الدينية · الدّولة شيء كالمزادة ضيقة الفم ، يستعملونها للقهوة · الُحقة وعاء من خشب ج حقاق وحقق يقولون حق زيت · الفخُّ المصيدة آلة الصيد ويخصونها بالفئران والجرذان · الجراب · الُجوالق · الشّوبق خشبة الخباز يرققون بها العجين ينطقون بها بالكاف بدل القاف · العدّاد · المذراة آلة الذراية ، تذرية الحنطة يحرفونها بالمدرى والمدراية والدراية · المحلج آلة حلج

الصوف · اللحـاف · الصُّندوق · · الجَرَس · الدَّبوس · الإبرة · المئبرة · المسلَّة · العجلة خشب يحمل عليها والجمع عجل · الحربة السيف · الترس · المشواة · الفخارة الجرَّة وهي إناء من طين مشوي ويطلقون عليها الشَّربة أيضاً الصراحية وعاء الماء وفي الأصل آنية الخمر · الشِّفرَة · الفنجان · الزنبرك · الهاوون · البركار · الصنج · البرواز · الكمنجة · الخرج وكلها فارسية · التحفة ما أتحفت به غيرك · الطرفة ما يستطرف اي يستملح · المِزهر · الصَّارة · المزمار · الزّمارة (الزميرة) الشبابة · الطبل · الطنبور · الدّف (آلة للضرب والدَّف لوح من خشب) · الوتر · الطاس · الكأس · القُراب · القالب · نصاب السكين · المطرقة · المعول · الطاقة للحبل ج طاقات · السختيان جلد الماعز المدبوغ (معربة) · البرّادة إناء يبرد الماء · المَلَّة الرّماد الحار والجمر كالملال يقولون اجعل هذا القِدر او الطبق على ملال النار (يكسرون ميمها) الرزمة ما شدّ في ثوب واحد · السداد السدادة ما يسد به القارورة الملعقة آلة معروفة والجمع المعالق · الشوكة · المدقة المدق · المصول محلّ تصويل الحنطة اي غسلها بالماء · المصفاة (المصفاية عندهم) · السَّوط · المقرعة · الدَّقر · الدبوس ج الدبابيس · النبوت ج نبابيت · الساطور المكبَّة غطاء من أغصان الصفصاف كبير تغطى به أواني الطعام · كبة الغزل ما كبب منه و كببت الإناء قلبته على رأسه الشقف الخزف أو مكسرها يقولون الشقفة الأثاث متاع البيت يقولون الأثات بثائين او الأساس بسينين · المقص · الموس · العكازة ج العكاكيز · الفراش · بسط الفراش · البساط السجادة · الطنفسة · الحصير الحصيرة · المخدة · المطرح · الرحل من رحل ومنها الراحلة والرحلة · الإطار · الدست إناء من نحاس يطبخ فيه ومن أمثالهم : لا يقرقع (يقعقع) في الدست الا اوشم (اشأم) · العظام · المِنصب وزان مقود شيء من حديد تنصب عليه القِدر القِدر التي يطبخ فيها ويقولون لها القِدرة وغرفت له من القدر غرفة ، والمغرفة الآلة التي يغرف بها · الطِنجير بكسر الطاء اناء من نحاس يطبخ فيه قريب من الطبق والجمع طناجر ويقولون تنجرة · السيخ حديدة مستطيلة تدخل فيها قطع اللحم لشيها في النار ولعلها

جاءت من ثاخت قوائمه أي دخلت وخرجت او من ساخ ذاب • القطرميز قلة كبيرة من الزجاج • المرطبان والمطربان واحد • الباطية إناء متسع معرب بادية[1] • الزبدية بالكسر صحفة من خزف والجمع الزبادي (التاج) • الإزميل • الطبق واحد الأطباق • الشاقول عصا محددة يستعملها البناء • الكركة آلة لاستقطار الزهور واسمها الأنبيق • الشاقوف المطرقة الكبيرة من شقف قطع الخشب وهي كالكركة غير أصلية • المِلقط • المِملحة (يفتحون ميمها) • المِقلى المقلاة (المقلاية) • المحمصة • الذهب، ذهبته فهو مذهب • الفضة فضضته فهو مفضض • النحاس نحسته فهو منحس • الرّصاص رصصته فهو مرصص • القصدير • التبييض تبييض الأواني النحاسية • الميناء • الفيروز • العقيق • القنينة • الكلس • القصرمل وهو الرماد المستخرج من القمين يمزج بالكلس فيكون منه ملاط يسمونه المونة • المِترس خشبة توضع خلف الباب • المِحجن كالصولجان يقولون لها المحجانة الرّباط ما تشد به الدابة وغيرها • النملية خزانة ذات شريط دقيق تقي المآكل من الذُّباب والهوامّ • الطبلية أشبه بالمائدة تعمل من ألواح خشب تكون أوطأ من الخوان وتجعل عليها الصحاف للأكل • الحنفية • المطرقة (الشاكوش والدقاق عندهم) وهي من الدخيل • الرّكوة التي للماء ج الركوات • السبيكة ج السبائك • السِّوار ج أسورة • السير الذي يُقد من الجلد والجمع السيور • المداس الذي يلبس بالرجل • القبقاب • الشبكة ج الشباك • الشَّرك حُبالة الصائد • الشُّبّاك ج الشبابيك • الشمع الذي يستصبح به • الشعلة من النار الواحدة الشُّعَل والشعلة واحدة المشاعل • الصِّفر بالكسر الخالي يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين • الراووق • صفائح الباب • الصنارة (بالكسر والتشديد) المغزل • الشوكة واحدة الشوك شوك الحائط جعل عليه الشوك • القدّاحة الحجر الذي يوري من قدح النار • الكانون والكانونة • الكوب كوز لا عروة له وجمعه أكواب • البَلاس ثوب من الشعر الغليظ (البلاسة عندهم) • الخَيش ثياب في نسجها رقة وخيوطها غِلاظ من مشاقة الكتان او من أغلظ العصب

(١) رسالة في الكلمات المعربة لابن كمال باشا نشرت في المجلد السابع من مجلة المقتبس •

(القاموس) • المَطرة القربة · الغليون ماسورة يجعل فيها الدخان للتدخين (مولدة) داماجانة (دمجانة) هي الباطية او الصراحية جاءت من الفرنسية Dame - janne • الربابة · الفوطة (البشكير) القفص • الزَّرد السلسلة · التخت (فارسية) وعاء يُصان فيه الثياب هكذا في اللغة وفي الاصطلاح التخت مقعد كبير من الخشب (فارسي) · تختروان (تركية) • بشتختانية من بشتخته خزانة تجعل أمام القاعد (فارسية) · المحارة محمل الحاج • الهودج • الكير زق الحداد والكور ما يبنيه من الطين للنارج أكيار • المرجوحة والأُرجوحة · الفاخورة معمل الفخار ومنه قولهم : لولا الكاسورة ما عمرت الفاخورة ويعنون بالكاسورة والكاسرة من البنات والنساء • القنينة • المنخل · الكربال : هواداة تهذيب الحنطة وتنقيتها والغربال ما ينخل به الحب ويقطع ومنه المغربل فاعله •

(يتبع) محمد كرد علي

———

حياة الألفاظ

جاء الاسلام وجاءت بمجيئه أشياء وأفكار لا بدّ لها من ألفاظ للدلالة عليها ، وقد كانت في اللغة يومئذ ألفاظ كثيرة الاّ أنها كانت في الجاهلية تصوّر أموراً خاصة ، غريبةً عن المعاني التي أحدثها الإسلام ، فما الحيلة ، هل تعجز اللغة عن الإفصاح عن الأفكار الحديثة ، أم ان اللغة كانت لا يعوزها شيء من المرونة ، بحيث يستطيع أهلها أن يتصرفوا فيها حتى يسدوا حاجاتهم .

نشأ الإسلام ونشأت معه أفكار الإيمان والصلاة والركوع والسجود والصيام والحج والزكاة والكفر والنفاق والفسق وأشباه هذه الكلمات التي سماها علماء اللغة : الألفاظ الإسلامية ، ولم تكن لهذه الألفاظ في الجاهلية المعاني التي يريدها الإسلام ، فما الذي صنعته اللغة حتى استطاعت ان تصور الأفكار التي خلقها الإسلام .

سلكت اللغة في نشأة الاسلام الى الدلالة على معانيه الحديثة مسلكين .

في مسلكها الأول كانت تنقل ألفاظاً عن مواضع الى مواضع على نحو ما أشار اليه علماء العربية مثل ابن فارس ونظرائه ، فمن الأفكار التي جاء بها الاسلام الكفر ، فالإسلام لم يخلق لفظ الكفر وانما حوّل معناه الجاهلي من وجه الى آخر ، فالكفر في الجاهلية كان الغطاء والستر ، فحوّله الإسلام من معناه في الأصل الى معنى شرعي وهو ضد الإيمان ، وما يقال في الكفر يقال في بعض الألفاظ الإسلامية ، ولا حاجة بي الى الاستقصاء في ذكرها ، وانما غايتي ضرب المثل لاغير .

والألفاظ التي نقلت عن مواضع الى مواضع في الإسلام كانت حيناً تنمو مادة معانيها وتتسع دائرة مدلولاتها ، فلم تمت معانيها القديمة دفعة واحدة ، فالإيمان مثلاً كان معناه في الجاهلية التصديق ثم أطلق في الإسلام على معنى شرعي معروف فلم يمت معنى الايمان الجاهلي وانما اتسعت هذه المادة ودلت على معنى حديث ، وحيناً كانت هذه الألفاظ تموت معانيها القديمة دفعة ، فلا تحفظ لها اللغة الاّ المعنى الحديث الذي أطلق عليها يوم نقلها عن موضع الى موضع ، من هذا القبيل الصلاة ، أصل

الصلاة في الجاهلية الدعاء ولكن الاسلام أطلق هذا اللفظ على معنى شرعي معروف ، فاذا قلنا : فلان يصلي ، فان الذهن يندفع من فوره الى المعنى الذي أدخله الاسلام على الصلاة ، ولا يخطر بالبال المعنى الذي كان للصلاة في الجاهلية ، وهو مجرّد الدعاء .

أما في المسلك الثاني فقد كانت اللغة في الإعراب عن الأفكار الحديثة تخلق ألفاظاً خلقاً بدلاً من ان تنقل ألفاظاً قديمة عن موضع الى موضع ، من هذا القبيل قولهم في صدر الإسلام لمن أدرك الاسلام من أهل الجاهلية : فلان مخضرم ، من خضرمت الشيء اذا قطعته ، فاللغة خلقت هذا اللفظ وخلقت له معنى خاصاً لم يكن له من قبل .

هذا ما يتعلق بميلاد الألفاظ ولكن الألفاظ تموت كما تولد ، فلننظر في موتها بعد أن نظرنا في ميلادها .

تموت الألفاظ لأن المعاني التي كانت تدل عليها قد ماتت ، فلا يبقى لهذه الألفاظ وجه ، فمن هذا الشكل ألفاظ يموت معنى واحد من معانيها وتبقى لها معانيها الثانية ، فالمرباع في اللغة ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية ، فهذا المعنى الذي كان للمرباع مات في الإسلام ، وبقيت لمادة المرباع المعاني الأُخر مثل المكان الذي ينبت نبته في أول الربيع وغير ذلك .

ومن هذا الشكل ألفاظ تموت معانيها كلها ، فتموت معها ، مثل الألفاظ التي تدل على أنواع من السلاح والثياب والآلات والمآكل والمشارب وأشباه هذه الأمور ، فكثيراً ما نرى مثلاً في مطالعاتنا لفظ القوهي ، وهي ثياب بيض ، ولكن من ذا الذي يعرف صفات هذه الثياب وأشكالها كلها ، فلفظ القوهي زال في عصرنا لزوال الشيء الذي يمثله ، وبقي هذا اللفظ محفوظاً في كتب اللغة او في مواطنه من كتب الأدب والتأريخ ، فمثل هذه الألفاظ لم يبق لها إلا قيمة تأريخية ، فكثير من الاسماء زالت مسمياتها فزالت بزوالها ، وقد يقع ان علماء الآثار يكشفون في بطون الأرض عن أشياء فيضعون لها أسماء من عندهم لأنهم يجهلون الأسماء التي كانت تطلق عليها في القديم .

وتموت الألفاظ أيضاً لأنها قامت مقامها ألفاظ تدل على أفكار أثبت ، انا نجد في الشعر الجاهلي ألفاظاً من هذا النوع ، كانوا يقولون : غدائرها مستشزرات ،

أي مرفوعات أو مرتفعات ، ولكن هذا اللفظ مات لأنه قام مقامه لفظ آخر عفى عليه ، ومن هذا القبيل لفظ الابتشاك الوارد في شعر المتنبيء ، فقد مات هذا اللفظ وقام مقامه لفظ آخر وهو الكذب ، والشواهد في هذا الباب كثيرة .

وكيف تموت الألفاظ في اللغة ، فالجواب عن هذا الأمر انها تستعمل في عصر من العصور كالعصر الجاهلي مثلاً ، ثم يأتي عصر آخر كعصر الاسلام،فيقل استعمالها فيه ، ثم يأتي عصر آخر ، كالعصر الأموي ، فلا يحفظها فيه الآفراد قلائل ، ثم يأتي عصر آخر كالعصر العباسي يذهب فيه الأفراد الذين كانوا يحفظونها وتذهب الألفاظ القديمة الميتة بذهابهم ، وتبقى محفوظة في كتب اللغة كما تحفظ الآثار القديمة في دور التحف .

وقد يقع ان ينشأ كتاب وشعراء فتدلهم أذواقهم على لفظ ميت ، فيستخرجونه من مدافنه ، ويقذفونه على أطراف أقلامهم ، فينتفض هذا اللفظ وتعود اليه حياته ، من هذا الضرب ألفاظ كثيرة كانت ميتة ثم أحياها فيعصرنا كبارالشعراء والكتاب .

فاللغة لا تثبت على حال من الأحوال ، فمرة تخلق الفاظاً لأفكار حديثة ، ومرة تنقل ألفاظاً عن مواضع الى مواضع ، فاما أن تضيق مادة معاني الألفاظ المنقولة واما ان تتسع آفاق هذه المعاني ، ثم يجيء وقت يزول فيه فكر من الأفكار ، فيزول بزواله اللفظ الذي يدل عليه ، أو يجيء وقت ينبش فيه لفظ ميت من مدفنه ، فهذه أمور تثبت لنا استعداد اللغة للحياة ، فهي لا تعرف الجمود ، وهي تتبع أطوار العصور وتتقلب فيها ، ومثلها في ذلك كمثل المخلوقات الحية في الطبيعة ، فكما ان هذه المخلوقات تولد فتعيش أو تموت ، فكذلك الألفاظ فانها تولد فتعيش أو تموت ، خاضعة في ميلادها وفي عيشتها وفي موتها لبعض القوانين التي تخضع لها المخلوقات في الطبيعة ، مثل قانون الانتخاب الطبيعي ، أو تنازع البقاء أو النشوء والتحول !

شفيق جبري

احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

— ٣ —

٤ — تجيلت الأجيال

الجيل الصنف من الناس كما في الصحاح وغيره من كتب اللغة والجيل القرن كما في المصباح والتاج ، وهذا المعنى له مولد ، وهو في كلام كثيرين من العلماء مثل إبي العلاء وابن حزم وابن تيمية وابن عربي وابن خلدون وغيرهم اشتق المولدون من (الجيل) فقال المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر (ج ١ ص ٦٢) :

« تجيلت الاجيال » وقد استجاد العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي هذه اللفظة فنتشها من (المروج) واستعملها في احدى مقالاته في الضياء (السنة ٧ ص ٣٥٧) فقال كما قال المسعودي (تجيلت الأجيال) واللفظة مولدة ، ولم ترد في معجم ، وقد رضيها ولم ينكرها في حين انه هو القائل في مجلته (الضياء السنة ٨ ص ٢٩٢) :

« ... وحجتهم في هذا الأخير ان ما نجده بين الواح المعجمات . ليس هو اللغة كلها وانه قد بقي شيء كثير يؤخذ من تضاعيف كتب الأدب والتاريخ وغيرها ، فاذا وجد ثمة من اللفظ ما لم يذكر في كتب اللغة لم يكن عدم ذكره دليلاً على انه ليس مما نطقت به العرب لجواز ان يكون مما سقط عن اصحاب المعجمات . وهي كما ترى من غريب الدعاوي بعد ما عُلم من حرص الذين جمعوا اللغة على الاحاطة بجميع الفاظها حتى استقرَوا لها أشعار العرب واستظهروا بها على إثبات ما نقلوه ولم يقنع بعضهم حتى رحل الى قبائل البادية ، وأقام بينهم زمناً يلتقط اللغة من افواههم ... »

وقول الشيخ هو — كما ترى — من غريب الأقوال بعد ما استيقن ان كتب اللغة لم تحوجميع اللغة ، وقد فاتها شيء كثير من كلام العرب بل اكثر من الكثير

هذا ديوان المفضليات وديوان الحماسة[١] ، وهما أشهر من الشمس ومن القمر فات المعجمات المطبوعة التي نعرفها كثير من الفاظهما

وقد علمنا ان عربانيا[٢] من الاوروبيين وضع معجماً خاصاً لكلمات في ديوان الفرزدق لم تقيدها كتب اللغة[٣]

وفي (ذيل أقرب الموارد) للعلامة الشيخ سعيد الشرتوني الفاظ كثيرة لم ترد في المعجمات جلبها من دواوين جمة ، منها ديوان الأخطل وكنت نشرت مقالة منذ مدة ، ذكرت فيها (التزمين) . وزمّنه : كتبه في ديوان الزمني ليعذر عن الجهاد ، وهذه اللفظة لم تجيء في معجم نعرفه ، وقد وردت مرتين في خبر في (ذيل الامالي) ص ٧٠ أرويه هنا : « . . . ابن زريق من بني لام عن ابيه قال : كان رجل منا يقال له عُرام بن المنذر قد أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز (رضي الله تعالى عنه) فدخل عليه [ليُزَمَّن] فقال له عمر : ما زمانتك ؟ فقال :

وو الله ما أدري أأدركت أمة ... على عهد ذي القرنين ام كنت أقدما

متى تنزعا عني القميص تبينـا ... جناجن لم يكسين لحماً ولا دما

فقال عمر : ويحكم ! دعوا هذا [وزمّنوه] فانه لا يدري متى ميلاده[٤] »

ولو وقى الدهر لنا (البارع) لأبي علي القالي ، وهو كتاب « يحتوي على مئة مجلد لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب[٥] » ووقى غيره من كتب اللغة

(١) قال التبريزي في شرح الحماسة : واشعارهم كثيرة والمختار منها ما اختاره أمراء الكلام وعلماء النظام ، ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة . وقال الزمخشري في الأساس : لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع ابو تمام ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل

(٢) في شرح أدب الكتاب لموهوب الجواليقي ص ١٦٨ : اذا نسبت رجلاً الى انه يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت رجل عرباني . ومثل ذلك في كتاب الف باء لأبي الحجاج البلوي [ج ١ ص ٧٢] واطلاق العرباني على عارف العربية من القوم خير عندي من المستشرق ، ولمجمعنا العلمي الرأي الأعلى

(٣) في مقالاتي [خليل مردم بك وكتابه في الشاعر الفرزدق] في الرسالة ذكرت بعض الفاظ لأبي فراس همام لم ترد في المعجمات . (٤) وروى هذا الخبر السجستاني في كتابه (أخبار الأوائل)

(٥) روى القول ياقوت في (ارشاد الأريب) في سيرة اسماعيل بن القاسم القالي ، وقائله هو الشيخ الامام ابو محمد العربي ، وكتاب (البارع) هذا لم يعثر الا على جزء واحد منه و نشره العرباني (فلتن) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية

لوجدنا تلك اللفظة وألوفاً من أمثالها فيه وفيها قال السيوطي في (المزهر) :

« ... وقد ذهب جل الكتب في الفتن الكائنة من التتار وغيرهم ، بحيث ان الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تجيء حمل جمل واحد ... »

ومن الإساءة الى العلماء المتقدمين واجتهادهم وعنائهم ومن الجور الجائر ان نلومهم اذ لم يستوعبوا في مصنفاتهم الفاظ العربية كاهن جمع ، فكل قد جمع ما استطاع جمعه او ما رأى إيراده في كتابه ، وفي معجم ما ليس في آخر ، وكافأ الله كل من خدم العربية في كثير أو قليل

هذه اللفظة المسكين (التعيس) التي خطأها الشيخ ابراهيم اليازجي وخطأ جمعها (التعساء) اذ لم يجدها في مثل اللسان والتاج (الضياء ١ ص ٣٢٤) قد وجدتها في جمهرة اللغة (ج ٢ ص ١٦) قال ابن دريد :

« التعس : العثر ، اتعسه الله اي كبه واعثره ، والرجل تاعس وتعس وتعيس : ووجدت اللفظة في (رسالة الغفران) لابي العلاء ص ٨٠ في هذا البيت من قصيدة »

حتى اذا صارت الى غيره عاد من الوجد بجد تعيس

وقد رأى الاستاذ أسعد خليل داغر الشيخ اليازجي قد غلطها فغلطها (تذكرة الكاتب ص ١٣١)

* * *

٥ — كيّف

لم يكن في العربية الأولى الا هذا الحرف (كيف) ثم قال المحدثون : كيّف وتكيّف وكيفية

جاء في (النهج) : ما وحّده من [كيّفه] ولا حقيقته أصاب من مثّله

وقال : وإنك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها [مكيفاً] ولا في رويات خواطرها محدوداً مصرفا

وفي التاج : « وقول المتكلمين في اشتقاق الفعل من كيف : كيفته فتكيف فانه قياس لا سماع فيه من العرب . ونص اللحياني : فأما قولهم : كيّف الشيء فكلام

مولد (قلت) : فعنى بالقياس هنا التوليد ، قال شيخنا [1] : او أنها مولدة ولكن اجروها على قياس كلام العرب »

قلت : نعم ، هي مولدة ، ولم تسمع من العرب الأول . والأمر كما قال شيخ الزبيدي . ومثل التكيف والكيفية الازل والازلية فانهما من لم يزل . وقد جاء في النهج :

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته . وفيه : ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد ابطل أزله

قال اللسان : وذكر بعض أهل العلم ان اصل هذه الكلمة قولهم للقديم ، لم يزل ، ثم نسب الى هذا فلم يستقم الا بالاختصار فقالوا : يزلي ، ثم ابدلت الياء الفاً لأنها أخف فقالوا : أزلي وفي الجمهرة والأساس ، والقاموس والتاج ، والمزهر وشفاء الغليل والكليات بحث في هذه اللفظة . ولقد مشى (الازل) في الدنيا غير عابىء بولولة المخطئين من بعض اللغويين

* * *

٦ — التطور

ذكرت الفعل (تطور) في مجلتنا هذه في الجزء (٩) من المجلد (١٣) وفي الرسالة ٣٤٧ السنة (٦) وأوردت عبارات في (الطبقات الكبرى) للسبكي ومقدمة ابن خلدون وكليات ابي البقاء و (البدر الطالع) للشوكاني جاء فيها (التطور) وفعله

(١) ذكره صاحب التاج في مقدمة كتابه قال : ومن أجمع ما كتب عليه [على القاموس] مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ وهو عمدتي في هذه الفن والمقلد جيدي العاطل بحلى تقديره المستحسن ، وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين

(قلت) لم يزل في الأقطار المغربية خير كثير ، جا نا بالأمس محمد بن الطيب هذا ، وطلع علينا في المشرق في هذا العصر الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي ، وقد كان الأستاذ الامام وحجة الاسلام يرجعان اليه في مشكلات لغوية ، وهو القائل في الميمية :

سيكفيني المفتى اذا اعتاص مشكل تمنع كالأروى على طودها العصم

فصم اللغـات كنت انزلهـا له اذا اعتاصت اروا ها على كل ذي فهم

وهي قصيدة طويلة أوردها في أول مؤلفه (الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية . . .)

ومما قلته في الرسالة : « الألفاظ العربية قسمان : قسم نبت في (الجزيرة) في الجاهلية وقسم نشأ فيها وفي غيرها من البلاد الاسلامية في وقت (الحضارة العربية) وكتب اللغة المعروفة بالمعجمات حرصت على تقييد القسم الأول ، والقسم الثاني (اي جل الكلمات العربية) انما هو في مؤلفات العلم والأدب والمصنفات الخاصة ، وهو ينتظر معجماً عاماً شاملاً ينتظمه »

ومما اذكره هنا طرفة ان الأستاذ اسعد خليل داغر لم يقبل (التطور) تذكرة الكاتب ص٦٢ وقبله بل قبل التطورات ٠٠٠ العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي الضياء السنة ٧ ص ٣٥٧ قال : « ٠٠٠ وبقي وراء ذلك من النوازل الكونية والحوادث العمرانية و[تطورات] الانسان في الصناعة والسكنى والمعاش وسائر أحوال المدنية مما استغرق مئات كثيرة من القرون — ما سُدل دونه حجاب الغيب ، وطوي بين تضاعيف الأيام » واليقين ان لو آنس الأستاذ داغر اللفظة في (الضياء) ما كان انتقد ٠٠٠

وهذه الكلمات المولدات السابقات الست اوردتها نموذجات ، ولو جبت اطول البحث لسردت فيه من أخواتها مئات بل اكثر من المئات

* * *

اختم هذه الأحاديث بقول من أقوالي في العربية

[إنها صنع الله ، إنها لغة القرآن ! إنها اللغة العربية ، إنها ذات التعاجيب ، وذات الأمداد في اللفظ والاسلوب ، وإنها الينبوع ذو الماء العد لاالضحضاح يتوارى بعد قليل ولا الثمد . وانها ذات المال الجور ، والعساكر من الوفر ، والمرء معطاء اذ المال دثر . وقد استنجد بها قومها يوم طلعت عليهم علوم الروم وآداب الفرس فطارت اليهم المنجدات زرافات زرافات . وهذه آثار النجدة قد طبقت الآفاق

أي علم من العلوم ناداها فما لبته ؟

أي فن من الفنون دعاها فخذلته ؟

أي مبحث من المباحث اللطيفة الدقيقة قال لها : يا عربية ، وضحيني ، بينيني ، نوريني فما وضحته وما نورته

في أي وقت نُدبت فما انتدبت وتقاعست ؟

في أي وقت استرفدت فتلكأت أو قرّطت يوماً على مسترفد] .

انها اللغة العربيـــة المضرية المعرّبة [1] المشتقة المتصرفة المتينة ذات القوة والسائرة مع الزمان

محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) المعربة التي تعرب الكلمة والقول والقائل وكم عربت العربية من الكلمات والمقالات والناس . ومن عربته ونطق بلسانها فهو من أبنائها . وان جاء مثل نور الدين وصلاح الدين قعد في العربية والدين مع الخلفاء الراشدين في مرتبة واحدة ، وان طلع كنظام الملك كاد يفضل المأمون وعبد الملك .

وفي كتاب (الوحي المحمدي) تأليف الامام حجة الاسلام (رحمه الله ورضي عنه) كلام اكتبه ليعقله كل عربي ويستظهره .

« لقد كان النبي (ﷺ) ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق الذي ينافي وحدتهم وجعلهم أمة واحدة ... وكان يخص بمقته وانكاره التفرق في الجنس النسبي او اللغة ، أما الأول فمشهور ، وأما الثاني فيجمعه مع الأول الشاهد الآتي . » ثم ذكر خبراً رواه الحافظ ابن عساكر جاء فيه :

« يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والأب واحد وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ثم قال الامام : « أرأيت لو ظل المسلمون على هذه التربية المحمدية أكان وقع بينهم من الشقاق والحروب باختلاف الجنس واللغة كل ماوقع وأدى بهم الى هذا الضعف العام ؟ »

اسماء نباتات مشهورة

— ٩ —

الذرة الصفراء · الذرة الشامية — Maïs و Zea maïs · لم يعرفها العرب ولم تذكر في معاجمهم ولا في كتبهم القديمة ، لأنها من أصل اميركي ، أي انها لم تعرف الا بعد كشف اميركة في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر للميلاد · وقد حملت حبوبها الى اشبيلية وزرعت فيها ، ثم انتشرت من الأندلس في أنحاء العالم القديم · أما الذرة في العربية فهي ما نسميه الذرة البيضاء والذرة البلدية أي انها نوع او أنواع من جنس Sorghum وجنس Holcus وجنس Andropogon وغيرها ·وا كثرها انتشاراً الذرة البيضاء المعروفة في الشام وهي Sorghum Doura وسماها آخرون Holcus Doura · واللفظة التي تدلّ على النوع من ذرة العربية ·

وكلمة Maïs الفرنسية من الإسبانية ، وهذه من لغة الأرْواك سكان هيتي الأصليين · وكان الفرنسيون يسمون هذا النبات قمح تركيا · وقد بين دوكندول في كتابه « اصل النباتات المزروعة » خطأ هذه التسمية ·

أما في البلاد الشرقية فالترك والعراقيون ينسبونه الى مصر ، والمصريون الى الشام ، والشاميون ينعتونه بالأصفر لتفريقه عن الذرة البيضاء · وكلّ ذلك يدل على انه ليس من نباتات الشرق الأصلية كما أشرت اليه ·

النَّفَل · والفِصفِصة · والحَنْدَقُوقى الخ — من النباتات التي يجد المدقق تشويشاً في تسميتها ثلاث نبتات تعلفها الحيوانات الدواجن وهي بالفرنسية Trèfle و Luzerne و Mélilot · فاذا راجع المرء معجماتنا يجد لها اسماء كثيرة دونما تفريق ، اي يجد انهم قد عرّفوا الواحد من هذه الاسماء بالثاني ، كما فعلوا في اسماء الصنوبريات ، أو عرفوها تعريفاً مشوشاً يصعب معه الاهتداء الى حقيقتها ولمّا كان من الضروري فصل بعضها عن بعض في التسمية ، ذكرت هنا الاسماء التي أثبتها في معجمي الذي اشرت اليه ·

لجنس Trèfle (Trifolium) هو النَفَل والشَّبْذَر والطريفلن · فالنفل في القاموس المحيط نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيب الرائحة تسمن عليه الخيل · وجاء في مفردات ابن البيطار انه القتّ البرّي الذي تأكله الخيل وتسمن عليه · وجعله صاحب «شرح اسماء العقّار» مرادفاً للحندقوقى · وفي كثير من انحاء الشام يطلقون النفل على ما يُحش للخيل في الربيع من أعشاب الفصيلة القرنية ومعظمها من الأجناس الثلاثة المبحوث عنها ·

أما لفظة الشبذر فهي من أصل فارسي تدلّ على أنواع من جنس Trèfle · وقد جعلها ابن ميمون مرادفة للبرسيم · وقال الفيروزابادي ان الشبذر شبيه بالرطبة الاّ انه اجلّ وأعظم ورقاً ·

وأما الطريفلن فهي من اليونانية تدلّ على هذا النبات وعلى نباتات أخرى لها ثلاث وريقات ·

ويتضح من ذلك ان النفل والشبذر والطريفلن أصلح ما يسمى به جنس Trifolium ومن المعلوم ان في هذا الجنس أنواعاً كثيرة منها النفل الأبيض والبنفسجي والنقلي والمدّمى والمسطح الخ · وأشهرها النفل الاسكندري T. Alexandrinum ومن اسمائه البرسيم والقُرْط وزراعته منتشرة في مصر لا في الشام ·

أما ما يزرعونه كثيراً في الشام فهو الفصفصة اي Luzerne وبلسان العلم Medicago والنوع الشائع منها يسمى L. cultivée (M. sativa) ويسمونه في الشام الفِصّة ، وفصيحها الفصفصة · وهي في مصر البرسيم الحجازي · ومن اسمائها التي لا خلاف عليها الرَطبة والقَضْب اذا كانت غضّة ، والقت اذا جفّت · وزريعة الفصفصة تسمى المَقْضَبة والمِقْضاب وهي بالفرنسية Luzernière ·

وبناء على ما ذكر تخصص الفاظ الحندقوق والحندقوقى والذُّرق واكليل الملك لجنس Mélilot أي (Melilotus)

البيقة والبيقيّة — لم يذكر ابن سيده في المخصص سوى لفظة البيقية · وكذا ابن البيطار في مفرداته · وحلاّها ابن سيده بما يلي : « حب أكبر من الجلبان

أخضر يؤكل مخبوزاً أو مطبوخاً وتعلفه البقر أيضاً » وأما الفيروزابادي فقد ذكر اللفظتين على ان كلاً منهما تدلّ على نبات بعينه . لكنه عندما ذكر تحلية البيقة (لا البيقية) لم يزد على ذكر جملة ابن سيده في تحلية البيقية حرفاً بحرف ، وهي الجملة التي ذكرتها . وعرّف الفيروزابادي البيقية بقوله : « نبات أطول من العدس ينبت في الحروث وقوته كقوته جيدة للمفاصل والقَبَل والفتق » .

ويتضح من ذلك ان الفيروزابادي نقل جملة ابن سيده في البيقية وحلى بها البيقة ، ثم جعل للبيقية تحلية أخرى ، وهو خلط واضح . ومهما يكن من أمر فالبيقة والبيقية هما اليوم في الشام كلمتان مترادفتان تدلاّن على النبات المسمى بالفرنسية Vesce وباللسان العلمي Vicia sativa وهو من أكثر نباتات العلف زراعة في المسقوي من الأرضين ولا سيما في الغوطة . وبوسعنا أن نطلق الكلمتين على جنس Vicia . ومن المعلوم ان له أنواعاً عديدة كالبيقية المزروعة وهي التي ذكرتها والبيقية البيضاء والمكتسية والكثيرة الثمر الخ .

التَبغ والتُنباك — التبغ بالفرنسية Tabac وباللسان العلمي Nicotiana tabacum وهو من أصل أميركي ، ولذلك لم يكن له اسم بالعربيه ، ولا بأي لغة من اللغات الأوربية قبل كشف أميركة . ولفظة Tabac الفرنسية من Tabaco الاسبانية ، وهذه من لغة قبائل « أرواك » في جزيرة هيتي . وقد أصبحت هذه الكلمة عالمية ، اي انها تستعمل في كل اللغات الأوربية الكبيرة . أما في لساننا فانها عربت بالتبغ وهي لفظة حسنة .

وذهب بعض الكتاب الى ان التبغ والطُبّاق واحد ، وهو خطأ فاحش . فالطباق لا يشبه التبغ بشيء من صفاته كما أوضحت في جزء نيسان « ابريل » سنة ١٩٣٠ من المقتطف وعدد ٨ شباط « فبراير » سنة ١٩٣٥ من جريدة الأهرام . والطباق يعرف في الشام بالطَيُّون وبعرق الطيون Inula viscosa . وينبت نباتاً طبيعياً في جبال لبنان وجبل الشيخ وحول المياه في السهول . ويستعملونه في تزبيب العنب لصد الزنابير . وأين هذا النبات من التبغ ؟

وليس للتبغ وتدخينه ذكر في المعاجم العربية الأصلية ولا في كتب الطب والنبات

والأدب القديمة . ولو كان الطباق هو التبغ لكان له في كتبهم شأن كبير .

ولا يتسع هذا البحث لذكر تاريخ التبغ وحمله من أميركة الى أوربة وآسية، واستعماله سعوطاً ودخاناً، وعلاقة الحكومات به فان ذلك يستغرق عدة صفحات .

اما التنباك Nicotiana فهو نوع قريب من التبغ، وهما كما ترى من جنس نباتي واحد . ولفظة التنباك كالتبغ من أصل اميركي قديم . اما النركيلة Marguilé التي يدخن بها التنباك ففصيحها نارجيلة اي ثمرة النارجيل وهو جوز الهند Cocos mucifera وقد سميت بهذا الاسم لانهم كثيراً ما كانوا يستعملون جوزة النارجيل بدلاً من القازوزة البلورية التي تملأ ماءً ويمرّ منها دخان التنباك . وأما الشيشة الشائعة في مصر فهي كلمة تركية يطلقها الترك على النارجيلة وعلى القنينة .

السوسن والزنبق — ما كان اجدادنا العرب يميزون في التسمية بين الجنس المسمى بالفرنسية Lis وبلسان العلم Lilium والجنس المسمى فيهما Iris وكانوا يسمون هذا الجنس الأخير سوسناً وإيرِساء وهو الاسمانجوني اي الذي بزرقة السماء . اما الجنس الأول اي Lis فاسمه عندهم السوسن الأبيض وسوسن أزاذ والأزاذ .

وأما الزنبق فهو في مفردات ابن البيطار دهن الجلّ « أي دهن الورد » المربب بالياسمين . وفي المخصص دهن الياسمين . وفي القاموس المحيط دهن الياسمين وورد . قلت لا أدري هل يعني الفيروزابادي للفظة « ورد » نوعاً من نبات الورد أم زهراً ما كما في التاج . ففي الحالة الثانية اعتقد ان هذا الزهر الذي يشير اليه هو ما نسميه الزنبق في الشام أي Lis .

وبعد، لا بدّ من اتخاذ لفظة لكلّ جنس، لذلك نقول ان السوسن تنظار الى Iris والزنبق الى Lis، وفاقاً لما هو معروف اليوم في معظم البلاد العربية . وقد ذكرت في معجمي ٢٦ نوعاً من السوسن و ١٥ نوعاً من الزنبق .

والسوسن لفظة سامية لها أشباه في الارمية والعبرية وغيرهما من اللغات السامية . وهي في المصرية القديمة تدلّ على النيلوفر الأزرق وعلى أنواع من الفصيلة السوسنية (عن مايرهوف) . وأما الزنبق والأزاذ فمن الفارسية .

الفُلّ — الفلّ عند المصريين والشاميين ذلك الزهر الأبيض الجميل الرائحة المسمى بالفرنسية Jasmin sambac و Jasmin d'arabie ومعناهـا ياسمين زنبقي وياسمين عَرَبة (اي جزيرة العرب) وبلسان العلم Jasminum sambac و Nyctanthes sambac وهو نبات مبذول في البيوت وحدائقها ·

أما الفلّ في مفردات ابن البيطار فهو «دواء هندي وهو ثمرة في قدر الفستق عليها قشر يشبه في لونه قشور الجلوز وفي داخله ثمرة دسمة نحو ما في داخل حبّ الصنوبر الكبار الخ» · ويتضح من هذا التعريف ان لفظة الفلّ في القديم كانت تدلّ على ثمر نبات غير النبات الذي نعرفه في أيامنا هذه · لكن النبات الذي منه ذلك الدواء الهندي لا يعرفه اليوم أحد ولا حاجة اليه في الطبّ على ما أعتقد · أما الياسمين الزنبقي فلا يجهله أحد · ولهذا وجب إقرار كلمة الفلّ لهذا النوع من الياسمين على حسب الاستعمال الحديث ·

الأقحوان والبَهار والبابونَج والكافوريّة — أطلقت العرب كلمة الأقحوان على بضعة أنواع من جنس Chrysanthemum ولاسيما على النوع المسمى C.parthenium وسموه الفرتانيون والكافورية وشجرة مريم وغيرها وأطلقوا كلمة البهار على أنواع من جنس Anthemis ولا سيما النوع المسمى A . arvensis أما كلمة البابونج فكانوا يطلقونها على النوع المسمى A . nobilis وهو بالفرنسية Camomille romaine وعلى أنواع من جنس Marticaria وأخص منها M. chamomilla

والذين لهم اطلاع على النباتات يعرفون ان جنس Pyrethrum قريب جداً من جنس Chrysanthemum وان النوع الذي كانت العرب تسميه أقحواناً جعله أحد علماء النبات من الجنس الأول وجعله عالم آخر من الجنس الثاني · والحقيقة ان الأجناس الأربعة التي مرّ ذكرها في هذا البحث هي متقاربة بصفاتها · ولم يكن العرب ولا اليونانيون يميزون بعضها عن بعض نباتياً ولهذا خلطوا بينها في التسمية ·

ويتضح من ذلك أننا امام اربعة أجناس نباتية يجب ان نفرد لكلّ منها اسماً يعرف به · فالجنس الأول هو بلسان العلم Chrysanthemum وهو جنس يشتمل

على أزهار مشهورة جداً تسمى أراولة في مصر وزهر الغريب في دمشق . وفيه عدة أنواع وعدد كبير من الأصناف فأصلح اسم يسمى به هو الأُقحوان .

والجنس الثاني اي Anthemis نسميه البهار . والثالث اي Matricaria نسميه البابونج . أما الرابع وهو Pyrethrum فنخصه بلفظة الكافورية .

البِطّيخ – تطلق كلمة البطيخ في كتب اللغة وفي المفردات الطبية وفي كتب الزراعة القديمة على ما نسميه اليوم البطيخ الأصفر اي Melon و Cucumis melo ، وعلى ضرب منه Variété chaté من أشكاله القثّاء والعجُور والمَقّوص وعبد اللاوي او عبدلي في مصر (نسبةً الى عبد الله بن طاهر الذي نقله اليها من خراسان) .

أما ما يسمى بالفرنسية Pastèque وباللسان العلمي Citrullus vulgaris فهو بالعربية الدُلاّع والخِرْبِز والحَبحَب . وسموه أيضاً بطيخاً لكنهم نعتوه بلونه او نسبوه الى البلاد التي تكثر بها زراعته . ففي كتاب شرح اسماء العقار الذي نشره الدكتور مايرهوف سمي البطيخ الفلسطيني والبطيخ الشامي والبطيخ الأخضر وفي مفردات ابن البيطار سمي البطيخ الهندي . وسماه الشيخ عبد الغني النابلسي البطيخ الهندي والرَّقي والأخضر . ومن اسمائه اليوم البطيخ الأخضر والأحمر جنوبي الشام ، والجَبَس شماليها ، والرقي في العراق نسبة الى الرقة على الفرات ، والدلاّع في الجزائر والبطيخ في مصر . ويلفظون البطيخ بفتح الباء في معظم البلاد العربية على حين ان باءها مكسورة في كتب اللغة . أما لفظة الجبس شمالي الشام فلم أر لها وجهاً . ولعلها تصحيف الزَّبَش التي ذكرها النويري في نهاية الأرب . والبطيخ هنالك معناه ما في كتب اللغة أي البطيخ الاصفر ليس غير خلافاً لمصر .

ولكلمة البطيخ شبيه في العبرية . وجاء في بعض المعاجم لأُصول الكلم الفرنسية ان كلمة Pastéque الفرنسية و Pateca البرتقالية و Albudeca الاسبانية كلها من أصل واحد وهو البطيخ العربية أو المعربة قديماً .

توت الأرض — بالفرنسية Fraisier واسم الجنس العلمي Fragaria . وله عدد من الأنواع تتحدر منها الأصناف التي تزرع . وذكر بعض النباتيين ان المنابت الطبيعية لتوت الأرض تقع في أوربة وفي الأجزاء الشمالية والوسطى من آسية وفي شمالي اميركة . وقال دوكندول ان اليونانيين والرومانيين لم يزرعوه ، وان زراعته لم تعرف في معظم أنحاء فرنسة قبل القرن السادس عشر من الميلاد .

ولم يزرعه أجدادنا على ما ارجح ، لأنه لم يرد له ذكر في المعاجم ولا في المفردات الطبية ولا في الكتب الزراعية القديمة ، ولهذا لم نعرف له اسماً عربياً فسميناه توت الأرض . وسماه غيرنا التوت الأرضي للشبه بين ثمرته والتوتة . وهو يعرف في الشام بالجلك وهي لفظة تركية . ويسمونه في مصر فراولة وأظنها من الايطالية .

للبحث تلو مصطفى الشهابي



ابن دحية الكلبي
وتاريخ الدولة العباسية
(النبراس في خلفاء بني العباس)

ابن دحية الكلبي وتاريخه

١ — التاريخ وتلقيه :

الشعوب أفراداً وجماعات قديماً وحديثاً قد أشغلتها الوقائع اليومية ، فلا تستطيع ان تكون عنها بنجوة ، وانما تسوق هذه الحوادث أحياناً الى تفسيرات متنوعة ... وهناك الاتجاهات والنزعات التاريخية مما هو مشهود دائماً فلا يكتفي المرء بما توحيه اليه نفسه آنياً ، فيحكم بما شاء حسب أهوائه وميوله ، بل يسترشد غالباً بما يؤهله لصحة الحل ، فيمضي نحو الأقرب للواقع ، ومن ثم يزاول طرقاً عديدة ، من أهمها لرجوع الى الوقائع السابقة والاهتداء بنورها ، وما تلهمه مما يتعلق بنا او يعود للآخرين ..

وأمثلة ذلك كثيرة كأن يقال ، (كذا فعل نابليون) ، أو (جنكيز) .. في الأمور الحربية أو الشئون السياسية . وهكذا نهج الإمام الغزالي في خطته العلمية أو الفلسفية .. فنعلم ان المرء في سيرته يجاري من سبقه ، ويتعقب ما حدث من أعمال ، أو صناعات ، أو علوم وآداب .. وبذا يستفيد من تجارب الغير ..

واذا كانت (الحياة الفردية) تراعي ما جرى ، فلا شك ان (الحياة الاجتماعية) أولى ان تستند الى الحالات القديمة العهد ، أو المشهودة الآن في الأمم من شرائع ، وعقائد ، وصنائع ، ونظم فتجعل (نفسيات الأقوام) وأعمالها في هذه الحياة نموذجاً ، وقدوة ، لتقوية الغرائز الضعيفة والاعتبار بالأعمال الخالدة فتنشط ، وتنبعث فيها الهمة فتثور من خمولها بل قد تنتفع من الشعوب المنحطة ، والحيوانات العجم بتقليد بعض أوصافها ، او التمرن على ما ترغب فيه منها .. وقد رأينا الكثيرين عدو الصلاح

في بعض الأقوام ناجماً من بعض السجايا والغرائز ، او ماتحلت به من الفضائل ..

ومن هذا نعلم ان الأمم في حاجة الى ما ينبهها من غفلتها ، او يوقظها من غفوتها ، ولا فرق بين أن تكون المنبهات فيما نراه من الحوادث اليومية ، أو الوقائع العظمى ، وتطورات الزمان ، او تجليات العقليات وانكشافها .. أو ان تكون من حوادثنا التي هي ألصق بنا وأقرب الى تفهمنا ، او انها أتتنا من الخارج كوقائع الأقوام والأمم في زماننا او في أمد انقضى .. والانتفاع ليس له وقت محدود ، او احداث خاصة ..

هذا معوّل الأمم ، والأفراد ، وعليه ترتكز الحضارة ، ويترتب نظام الأقوام والشعوب ، فينظم الفرد أو الأمة ماجرى ، وينسق ماعلم ، ويتألف من هذا كله (التاريخ) بضروبه وفروعه ، والأمة الصالحة هي التي تتكون لديها (مجموعات) منه صادقة صحيحة ، ترجع اليها ، وتعرض ، فيسهل الأخذ ، لتكون خير مرشد في نهج الحياة ، والا فلا يعقل ان يغالط المرء نفسه .. « افمن يمشي مكباً على وجهه أهدى ، ام من يمشي سوياً على صراط مستقيم » .

وهذه أشمل من ان تتعلق بالإنسان او بأرضه ، او بمواطن قد لا تكون لها صلة به ، بأن تتناول الكرة الأرضية ، والهيئة السماوية فتكون الاستفادة أعم ..

٢ — التاريخ في نظر ابن دحية :

وموضوع بحثي مؤرخ أندلسي مصري مرّ بالشام ، وورد العراق وهو (ابن دحية الكلبي) ، وكان هذا قد كتب تاريخاً للدولة العباسية دعاه (النبراس في دولة بني العباس) لزمان سبق ظهور المغول في بلاد الاسلام إلا اني أودّ قبل الدخول في التوضيح عن المؤلف وتاريخه ان اعين التلقي التاريخي في نظره ، قال :

« بالتاريخ تعرف المناقب والمفاخر ، ويدرك العلم الأول والآخر ، فكلّ علم من التاريخ يستنبط ، وحسبه ذا الفخر فقط .. فلولا التاريخ .. ما عرفت الرسل وأزمانهم .. وشرائعهم المخصوصة بكل منهم وأديانهم .. وفيه من التبحر بعلم الحديث والحديث المعل والصحيح ، والمواليد والوفيات ، والمحيا والممات ، ثم الفقه منه في الإتفاق ، والاختلاف يستشار ، والفصاحة فيه من الألسنة تستثار ، وأصحاب القياس عليه يبنون ،

واصحاب المقالات به يحتجون ، وثمار معرفة الناس منه تخترق ، ودرر امثال الحكماء منه تلتقط ، ومكارم الأخلاق ومعاليها منه تقتبس ، وأدب سياسة الملوك وحيل الحروب منه تلتمس ، وكل غريبة منه تعرف ، ومن بحره تغرف ، وكل أعجوبة منه تستظرف .. يدخل في كل مقام .. ويتجمل به في كل محفل وناد ، ففضيلته في العلوم صحيحة بينة ، وله على فضله شهود بينة .. » اه[1]

وفي هذا بيان واف لمعرفة مطالب التاريخ للعلوم وتطورها ، وللسياسة وضروبها ، وللحروب وزعازعها ، والحقوق وتكاملها ، والأخبار وصحتها والآداب وبيانها .. فلا مجال للتعليق .. وانما تصح الاستفادة منه في كل حين ، ولكل علم وفن وأدب وسياسة ودين ..

— ٣ —

ابن دحية الكلبي

١ — حياته :

هذا المؤرخ أندلسي ، عاش بمصر كثيراً ، وصار من مشاهير علمائها ، وهو مجد الدين ابو الخطاب عمر بن الشيخ الإمام أبي علي حسن بن علي سبط الامام أبي البسام الفاطمي المعروف بذي النسبين ، دحية والحسين .. وساق ابن خلكان نسبه مما وجده بخطه كما جاء في تاريخه النبراس أيضاً .

اشتهر المترجم في ثقافات متعددة ، عرف بالتاريخ ، كما ذاع صيته في الحديث ، وهو من النوابغ في الآداب والعلوم ، وأثره التاريخي أبقته الأيام فخراً لمصر والعراق ، وهو (النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس) دفعه الى تحريره أسفاره الى بغداد والى الأقطار الاسلامية الأخرى فكشف عن صفحة من تاريخ قطرنا ، ودل على العلاقة المكينة . وهكذا فعل عراقي ذهب الى مصر فكتب تاريخها أعني به الموفق عبداللطيف البغدادي المعروف بـ(ابن اللباد[2]) ..

---

(١) النبراس ص ٦ (٢) الموفق البغدادي توفي سنة ٦٢٩ هـ - ١٢٣١ م وله كتاب الافادة والاعتبار ، وتاريخ مصر الكبير . وهذا الأخير نقل منه الذهبي كثيراً في تاريخ المغول وكان معاصراً وترجمته في تاريخ [الوافي بالوفيات] .

والمعاصرون نقلوا منه نصوصاً عديدة كما تكلموا على المترجم، ونقدوه، وأبدو الكثير من أحواله .. إلا أنهم لم يتعرضوا لتاريخه (النبراس) ، والظاهر انه لم يقع لهم، او وقع ولم نعثر لهم على نقل منه ، او إيراد نص من نصوصه الا في وقت متأخر عنهم ، فبقي مطموراً في زوايا الاهمال مدة .. كتبه لولي العهد بمصر باحثاً عن الدولة العباسية في بغداد ، وكان قد عاد اليها بعد تجولات كثيرة في مختلف الأقطار ..

٢ – أقوال المؤرخين فيه :

لا أجد حاجة للتوغل في تاريخ ابن دحية من جميع الوجوه ، وقد علمنا تلقياته للتاريخ ، ولا ريب ان أثره هذا ينبئ عن قدرته العلمية ، وفيه تعرض لبيان اسماء بعض مؤلفاته خلال المباحث والتحليل النفسي يسوقنا قطعاً الى انه كان من فحول العلم والأدب وكفى ان نعين ما قاله بعض المؤرخين فيه لنتبين ما أحدثه من نفسيات متعاكسة ونقدم الا انه إذا لم يكن اعظم من ناقديه فلا يقل عنهم مكانة ، ولا نتبسط فيه كثيراً ، فكل احد يؤخذ من قوله ويرد .. الا اننا راعينا المطالب بقدر واقتصرنا على الصفوة ..

قال ابن خلكان : « كان من أعيان العلماء .. ومشاهير الفضلاء ، متقناً لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة ، وأيام العرب واشعارها واشتغل بطلب الحديث في اكثر بلاد الأندلس الاسلامية ولقي بها علماءها ومشائخها ، ثم رحل منها الى بر العدوة ، ودخل مراكش ، واجتمع بفضلائها ، ثم ارتحل الى افريقية ومنها الى الديار المصرية ، ثم الى الشام والشرق والعراق ، وسمع ببغداد من بعض اصحاب ابن الحصين ، وسمع بواسط من ابي الفتح محمد بن احمد ابن الميداني ، ودخل الى عراق العجم وخراسان وما والاها ، ومازندران .. كل ذلك في طلب الحديث ، والاجتماع بأئمته والأخذ عنهم ، وهو في تلك الحال يؤخذ عنه ، ويستفاد منه .

قدم مدينة اربل في سنة ٦٠٤ هـ — (١٢٠٧ م) ، وهو متوجه الى خراسان فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله مولعاً بعمل مولد النبي ﷺ ، عظيم الاحتفال به ، فعمل كتاباً سماه (التنوير في مولد السراج المنير) ،

وقرأه عليه بنفسه .. وختم الكتاب بقصيدة طويلة مدح بها الأمير كوكبري .

(ثم قال ابن خلكان): ان القصيدة تنسب الى الأسعد بن مماتي، ورآها في ديوانه، وكان قد توفي سنة ٦٠٦ هـ، وأنشدها ابن دحية في السنة المذكورة .. ثم قال:

«ولما عمل هذا الكتاب وقع له الملك المعظم المذكور الف دينار .. وكانت ولادته في مستهل ذي القعدة سنة ٥٤٤ هـ (١١٥٠ م)، وتوفي يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٥ م) بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم رحمه الله» اهـ.[١]

وفي ابن كثير: «الحافظ، شيخ الديار المصرية في الحديث، وهو أول من باشر مشيخة دار الحديث الكاملية بمصر، وتكلم الناس فيه بأنواع الكلام، ونسبه بعضهم الى وضع الحديث في قصر صلاة المغرب، وكنت أودّ ان اقف على اسناده لنعلم كيف رجاله، وقد اجمع العلماء — كما ذكره ابن المنذر وغيره — على ان المغرب لا يقصر، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه» اهـ[٢]

وفي أبي شامة ابيات حسنة في المترجم للشيخ السخاوي، وأطنب الذهبي في ترجمته ونقل عن معاصرين كثيرين انه كان كثير الوقيعة في الأئمة، وكان على كثرة علمه وفضائله معروفاً بالمجازفة والدعاوي العريضة، او انه يدعي اشياء لاحقيقة لها .. ومن هؤلاء من اختبر حفظه، او امتحن فهمه .. ولم يكتف الذهبي بما أورده من النقد المرّ حتى عدّه مدلساً ..[٣]

وقال سبط ابن الجوزي: «وفيها — سنة ٦٣٣ هـ توفي ابن دحية المغربي المحدث، وكنيته ابو الخطاب، كان في المحدثين مثل ابن عنين[٤] في الشعراء يثلب علماء المسلمين، ويقع في أئمة الدين، ويزيد في كلامه، فترك الناس الرواية عنه، وكذبوه، وكان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف حاله اعرض عنه، واخذ منه دار الحديث، واهانه .. وكان قدم دمشق، وسأل الوزير ابن شكر ان يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين، فاجتمعا وتناظرا، وجرى بينهما البحث في قول العرب لقيته

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٤٤ و ص ٩٥ (٢) البداية والنهاية: ابن كثير ج ١٣ ص ١٤٤

(٣) تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٠٥ (٤) ترجمته في ابن كثير ج ١٣ ص ١٣٧ قال كان هجاء وقل من سلم من الدماشقة من شعره، وله (مقراض الاعراض) ..

من وراء وراء ، فقال ابن دحية لا يقال وراء وراء بالرفع بل بالنصب فقال تاج الدين أخطأت بل الصحيح وراء بالرفع ، فسفه على شيخنا تاج الدين فقال له يا مدعي ! انت تكتب (وكتب ابن دحية) وابن دحية باجماع المحدثين ماأعقب فقد كذبت في نسبك.

قلت[1] والصحيح مع تاج الدين ، وقد ذكرها الجوهري فقال : وراء بمعنى خلف ، وقد يكون بمعنى قدام ، وهو من الأضداد ، وأنشد :

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء » اه[2]

وزاد العيني في عقد الجمان : « قال الأخفش يقال لقيته من وراء فترفعه على الغاية اذا كان غير مضاف بجعله اسماً ، وهو غير متمكن كقولك من قبل ومن بعد » اه ، والملحوظ ان هذه الزيادة من كلام العيني ، ولكنه لم يفصل بينها وبين قول السبط ، وقول اليونيني وفي هذا وامثاله يؤاخذ العيني بأنه ينقل ولا يبالي بتوجيه النص ، ومجرى العبارة ..

وترجم ابن دحية العلامة المقري في كتابه نفح الطيب مفصلاً وبين انه ظاهري المذهب فقال :

« وتكلم فيه جماعة فيما ذكره ابن النجار ، وقدره أجل مما ذكروه ... » اه[3] ، ولعل التحامل ناجم من انه ظاهري ، نخاف القوم على مكانتهم المذهبية ، فتعصبوا عليه.

وهنا أدت المناقشة العلمية الى مهاترة فتجاوزت حدها . وان الخلاف قد لا يقف احياناً عند المباحثة العلمية ، فيلجأ المرء الى العداء الشخصي فتتولد النفرة ، فيعد المناظر ان ذلك سوف يفقد مكانته ويضيع عليه منزلته ..

كتب ابن دحية كتاب (الصارم الهندي في الرد على الكندي) . الفه لما ان حضر هو والتاج الكندي عند الوزير بالوجه المذكور ولما بلغ ذلك الكندي عمل مصنفاً سماه (نتف اللحية من ابن دحية) .[4]

---

(١) القول هنا لقطب الدين اليونيني فانه لخص تاريخ مرآة الزمان وذيل عليه . وعند التلخيص فصل بين ما قال وبين المنقول بقوله (قلت) ، وهذا ما يدعنا نقطع بأن المطبوع في اميركا من مرآة الزمان هو ملخصه . (٢) مرآة الزمان ج ٨ ص ٦٦٢ سبط ابن الجوزي المطبوع في أميركا .
(٣) نفح الطيب ج ١ ص ٢٧٧ طبعة مصر سنة ١٢٧٧ ه (٤) كشف الظنون ج ٢ ص ٧٣ .

والموضوع لغوي ، ولم يكن الواجب ان يتجاوز حدود ما ورد في اللغة ، والاستدلال بالنصوص ، ولكن النفسيات في تهيجها وحرصها قد تشذ عن الغرض .

وفي معجم الأدباء نعته ياقوت بالمحدث الفاضل ، ونقل عن ابن عنين الشاعر المولع بالهجو قوله : دحية لم يعقب فلم تعتزى اليه بالبهتان والإفك

ماصح عند الناس شيء سوى أنك من كلب بلا شك(١)

٣ — قيمة النقد الموجه عليه :

لا نريد ان نزكي ، او ندافع ، وانما نشاهد غالب النقد الموجه عليه شخصياً ، ومجرداً . والسند في الحديث اليوم ، بل وفي عصر المترجم أيضاً زالت قيمته بما دون من كتب الحديث المتداولة ، والرجوع اليها سهل ، وفي متناول كل أحد ، كما ان نقد الرجال ثابت في آثار عديدة ، من المتيسر الحصول عليها ، وان الحافظة يطرأ عليها بعض الضعف من تراكم المعلومات والاضطراب في التذكر .. وهذا عيب محدود ، لا يؤاخذ عليه بهذه القسوة ، والنقد له ميزان في (الجرح والتعديل) والأمر — كما يظهر — ناشيء من منافسة دنيوية ، او اختلاف في الاتجاه .. وكان بعض انداده من المعاصرين يراعون التحزب والتعصب بكل قسوة وشدة .. هذا في حين ان صاحب نفح الطيب يذكر حادث اختباره . وظهور قدرته العلمية في الحديث .

والمؤرخون مجمعون على انه رجل عظيم ، يعد بين أكابر رجال العلم ، وأعاظم المؤلفين ، ومشاهير الأدباء والمحدثين .. وقد مضى الزمن الذي يقبل فيه القول من كل قائل بل يجب ان ينبه على جهات الغلط والنقص .. ومن راجع تاريخ الرجل وهو موضوع بحثنا علم انه لم يعدل في تاريخه عن بيان النص ، وإيراد مرجعه في مواطن تضطرب فيها الأوهام أو تلتبس الظنون .. والأمور النقلية لا يطلب منها اكثر من تصحيح النقل .

هذا . وما يشاهد في الكتاب من لسان أدبي وسجع في الغالب لا يزال يراعيه الكثيرون من الكتاب الى الآن ، إلا ان قدرة بيانه ، وقوة إفادته ، وتلاعبة في

(١) ارشاد الأريب ج ٧ ص ١٢٦ .

ضروب البلاغة وسيطرته على اللغة مما حبب الأسلوب ، وإن كان عصرنا ينبو منه ، فصار يؤخذ ، ولا ينفر منه ، فلم يتعثر به المؤلف ، ولا أخفى المعاني تحت ستار السجع ، فكأنها جاءته عفواً ، وأتته طوعاً ، بلا تعب ولا عناء ، ولا زيادة كلفة او تكلف ..

٤ — أفراد أسرته :

وهنا أعين ما وصل اليّ خبره من افراد أسرته فأقول :

١ — اخوه وهو ابو عمرو عثمان بن الحسن ، أسن من اخيه ابي الخطاب ، وكان حافظاً للغة العرب ، قيماً بها .. ولما عزل الكامل ابا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ، رتب مكانه اخاه المذكور ، ولم يزل الى ان توفي يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى سنة ٦٣٤ بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وله رسائل استعمل فيها حوشي اللغة[1] . وقال ابن كثير : « وكان ندر في صناعة الحديث ايضاً رحمه الله تعالى » اه[2]

٢ — شرف الدين ابوطاهر (ابوجعفر) محمد بن الحافظ ابي الخطاب عمر بن دحية المصري ، ولد سنة ٦١٠ ه (١٢١٣ م) وسمع اباه وجماعة وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية مدة ، وكان فاضلاً ، مات في ٢٠ شهر رمضان سنة ٦٦٧ ه (١٢٦٩ م) بالقاهرة ودفن بالقرافة ، قاله في عقد الجمان[3] . ومثله في ابن كثير . وجاء في سماع التاريخ انه سمعه من أبيه ، وكناه بأبي جعفر ..

٣ — محمد بن شرف الدين . وهذا جاء عنه في سند سماعه في التاريخ الموضوع البحث بما نصه : « بلغته قراءة على سيدي والدي بسماعه له من السيد والده رضي الله عنه وعنا في مجالس آخرها من شهر جمادى الآخرة سنة ٦٥٩ ه (١٢٦٠ م) وكتب محمد بن محمد بن دحية عفا الله عنه » اه .

ومن هذا كله نعلم بعض مشاهير الأسرة ..

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٥٤٦

(٢) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١٤٦ ونفح الطيب ج ١ ص ٣٧٣ .

(٣) عقد الجمان ج ١٩

— ٣ —

تاريخه

١ — النبراس في دولة بني العباس :

يدل على قدرته العلمية ، ومكانته الأدبية ، قال في مقدمته :

« ان المقام المولوي الأجلي السلطاني : الملكي الكاملي ، سلطان الاسلام والمسلمين ، ناصر الدنيا والدين ، عز الملوك والسلاطين ، ولي العهد .. ابا المظفر محمد بن مولانا السلطان الأعظم .. سيف الدنيا والدين خليل امير المؤمنين ابي بكر محمد بن السيد الأجل ملك الأمراء وابي الملوك العظماء .. نجم الدين ذي المروءة المرضية ، والسيرة الرضية ، ابي منصور أيوب بن شادي . سألني املاء كتاب في التاريخ يصغر جرمه ، ويكثر علمه .. الخ » اه[1]

وهنا يعين من قدم الكتاب الى جنابه ، ويبين منزلة المعروض الى حضرته . وأطال حتى قال :

« وقد كان تقدم لي في التاريخ تواليف كثيرة ومصنفات مأثورة وأثيرة فاقتصرت الآن على تاريخ خلفاء بني العباس ، أولي الأصل الشامخ والفرع الثابت الأساس ، ففيها كفاية ، وهي اللباب وغيرها نفاية ، فذكرها أجدى من كل مطلوب ، وأندى على النفوس والقلوب ، من قوم ينتمون الى أكرم المناصب والمناسب ، يحيون بالريحان يوم السباسب[2] ، فرفعت بأسمائهم المنابر ، وتوفرت على صفاتهم الأقلام والمحابر ، وكانوا بالإمامة أظهر البنين ، وقاربت مدة الخلافة فيهم خمسمائة من السنين ، فأتيت بالخبر من فصه ، وبالحديث على نصه ، انظم تارة وأنثر ، وامر هوناً في حديثهم ولا اعثر ، وذلك على الإيجاز والاختصار ، واصرف الى ذكر آبائهم دون أمهاتهم عنان الأفكار ، رغبة في ذكر الرجال عن النساء ، مع ان اكثرهن من الاماء ، فذكر الرجال اليوم بشرفهم في النجوى .. ادعوهم لآبائهم هو أقرب للتقوى .. » اه وهكذا مضى .. وفي هذا ما يغني عن وصف الكتاب .

(١) التاريخ نفسه ص ٣ .

(٢) يوم الشعانين ، عيد لملوك العجم يعرف بالنيروز والمهرجان . [هامش الأصل] .

٢ — الخليفة السفاح في تاريخ النبراس :

يوضح هذا ذكر اول خليفة ، فقد طال الجدل فيه بين أرباب الأقلام في هذه الأيام ، واليكم خبره قال :

« أول الخلفاء ابو العباس عبد الله بن الأمير السيد الشريف الامام العدل المحدث ابي عبد الله ابي ابراهيم محمد .. (واطنب في ذكر آبائه واجداده) الى ان قال :

« ولما عرضت الخلافة على ابن عباس رغب عنها فعوّضه الله في بنيه خيراً منها فلما كان يوم الجمعة الرابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢ من الهجرة خطب الخليفة الإمام امير المؤمنين ابو العباس السفاح ، بعد ما اشتفت من نفوس اعدائه صدور الصفاح ، وولغت في دمائهم ثعالب الرماح ، وتبلجت بتحويل الدولة الاموية الدولة العباسية تبلج الصباح ، وطهر الله ببني هاشم ضواحي البسيطة وسبلها ، وأقر الخلافة في بيت ابن عم نبيه محمد ﷺ وكانوا احق بها واهلها .

ولقب بالسفاح ، لكثرة ما سفح من دماء المبطلين لأنه يقال سفح الدمع انصبّ ، وسفحته ايضاً ، يتعدّى ولا يتعدى . قال الأديب ابو الخير الأنباري : والسفاح القادر على الكلام ، وصدق لعمري في هذا الكلام ، لأن اول خطبة خطبها وقام فيها ، أتى من الافصاح والبلاغة ما فيها ، وقد وضع في تسمية السفاح واخيه المنصور أحاديث موضوعة ، وجعلت الى رسول الله ﷺ مرفوعة ، اسندها الطبراني في معجمه ، وابو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة من تأليفه ولم يبيناها ولا اوضحا وضعها ووهاها ، واسندا في ذلك اولادهم وعقبهم واسماء بعضهم ولقبهم ، والأحاديث كلها تدور على كذابين وضاعين ، داخلين تحت الوعيد النبوي عند كافة أهل الدين ، وانما هم ممن باع الدين بالدنيا ، ووضع لأول الأمر ما يتقرب به عندهم ويبعد من الأخرى ، نعوذ بالله من شهوة تغلب على عمل ، وتؤدي الى وضع على رسول الله ﷺ في النقل .

وكان السفاح كريماً سخياً بالأموال ، حسن الأخلاق ، متألفاً للرجال ماضي العزيمة ، صعب الشكيمة ، ذا سطوة على الأعداء ، متواضعاً للأصحاب والأولياء ، زاد في أعطيات الناس ، وكان يأكل معهم الطعام .

بويع بالكوفة ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر وخطب قائماً ، وكانت بنو أمية تخطب قعوداً فناداه الناس يا ابن عم رسول الله أحييت سنة رسول الله ﷺ .. وكتب الخليفة الى عمه عبد الله بن علي يأمره بالمسير الى الى مروان بن محمد الجعدي .. وكان أحزم بني مروان ولكنه تولى الخلافة والامر مدبر عنهم ، فلم يستقر له حال ، ولا ثبت في مكان واحد لخروج بني عمه وغيرهم عليه ، فزحف مروان الى عسكر بني العباس ، فاقتتلوا فهزم مروان وفضّ جمعه ، واتبعه عبد الله بن علي حتى نزل نهر ابي فطرس من ارض فلسطين واجتمعت اليه بنو أمية حين نزل النهر فقتل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، وخرج صالح بن عبد الله بن عباس بعد مقتلهم في طلب مروان حتى لحقه بقرية من قرى الفيوم من ارض مصر يقال لها بوصير فقتله ، وكان الذي تولى قتله رجل على مقدمة صالح يقال له عامر بن اسماعيل من أهل خراسان ، ولم يمكن من نفسه ، ولم يزل يقاتل بسيفه الى ان سقط ميتاً . كذا قال ابن حزم في المرتبة الرابعة وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول . وقال ابن قتيبة في المعارف قتل في ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) وهو أولى بالصواب ، وله تسع وخمسون سنة . وقال ابن حزم تسع وستون سنة . قال احمد بن ابي يعقوب بن وهب بن واضح الكاتب في تاريخه : قتل في ذي الحجة سنة ١٣٢ هـ وهو ابن ٦٤ سنة وقيل ابن ٦٨ .. » اهـ الى آخر ما هنالك مما مضى به حتى انهى خلافته .. ولا يترك خلال المباحث لفظاً الا اوضح معناه ، ولا حديثاً الا عين سنده وما قيل فيه ، ولا مرجعاً تاريخياً الا ذكره .. ولا نقداً موجهاً على مؤرخ الا أورده .

٣ — الخليفة الناصر في النبراس :

وهنا أبين ما قاله في الخليفة الناصر لدين الله وبغداد أيام دخلها قال :

« ... أخذ الأمر حقاً وقوة ، وفتح البلاد طاعة وعنوة ، وطبقت دعوته جميع الآفاق ، وطلعت شمس كلمته باهرة الاشراق ، واوقع بوزراء السوء على الاطلاق ، وقام بما عليه من العهد والميثاق . (وقال) : وقد دخلت بغداد مراراً ، واستأذنت

سدة الخلافة الناصرية جعل الله الاقدار لها أنصاراً ، في الرواحة بهـا وبواسط القصب ، فأذن لي سراً وجهار ، فامتثلت الاذن وقطعت من كبار المؤلفات اسفارا ، واستضأت من علوم السنة بما يعد مع الصبح اشراقاً واسفارا .. (حتى قال) :

ولما رحلت في طلب العلم الى البلدان ، من بلاد بني عبد شمس الى بلاد عبد المدان ودخلت خراسان ، وعاينت ملك بني ساسان .. (وهكذا ذكر ما مرّ به من الممالك قال) وأخذت من طريق خوزستان الى طريق حلوان ، وقاسيت من الغربة اصناف الألوان ، ومررت على مدائن كسرى انوشروان ، وزرت بها قبر صاحب النبي ﷺ الزاهد العابد المعمر سلمان ، وأعملت منها السير والأغذاذ الى مدينة بغداذ ، فنظرت اليها معالم وربوعا ، وأقمت بها مرة عاماً ومرة اسبوعاً واسبوعا ، وانا ابدي في ندائهم واعيد ، والترب قد علا منازلهم والصعيد ، واسأل عن الخلفاء الماضين وانشد ، ولسان الحال يجاوبني وينشد :

يا سائل الدار عن اناس ليس لهم نحوها معـاد
مرّت كما مرت الليالي أين جديس واين عاد

وعدّد ما هنالك من أمم انقرضت فقالـ :

« بلغتنا والله وفاتهم ، ولم يبق الا ذكرهم وصفاتهم ، قبض ملك الموت أرواحهم قبضا ، ولم يترك لهم حراكاً ولا نبضا .. » اه

وبعد ان عدّد الطغاة ومن ملكوا الملك الواسع ، وأوضح عن ظلمهم قال في الخليفة الناصر :

« وزعم المؤرخون انه كان أيضاً يملأ القلوب رعباً ، ويسوم اصحابه قتلاً وصلباً ، مع الطمع في المال ، وعدم النظر في عقبى المآل ... » اه

ثم التجأ الى الله ، وسأله العفو عن الاساءة وطلب المغفرة .. رحمه الله .

هذا وكل التحريات في الآثار لم نظفر منها بطائل في وصف النبراس او نقده والكلام عليه الا ما ذكره العلامة المقري في نفح الطيب فقال :

« ما أحسن قول ابي الخطاب ابن دحية الحافظ بعد كلام ما صورته (ثم ذكر ما ذكرته في النص المبين أعلاه ، وقال) : وهو آخر كتابه النبراس في تاريخ بني العباس

وذكرته بطوله لمناسبة وقد سلكت هذا المنحى نظماً في خطبة هذا الكتاب ...» اه[1]
هذا ونسخته أغنتنا عن غيرها وفيها عن أقوال الآخرين ..

٤ — مراجع النبراس :

رجع المؤلف في كتابه النبراس الى كتب تاريخية عديدة ومهمة ، منها المتداول المعروف مثل المعارف لابن قتيبة ، وكتاب ابن واضح والمسعودي الا ان التواريخ الأُخرى لا تزال في طي الخفاء ، او مطمورة في زوايا الإهمال ، منها ما نحن في حاجة ماسة اليه ، والاطلاع على نصوصه للاستفادة منه ، والاستقاء من معينه ، واذا كنا عرفنا ان هذه الآثار لأكابر المؤرخين ، ونوابغ المؤلفين في عصور النهضة العربية ، وأيام التكامل الاسلامي علمنا انها تستحق كل عناية ورعاية ، بل تستدعي البحث الصحيح والتحري الصادق في الاهتمام بشأنها واحيائها .

واني اذكر ما هنالك من المؤرخين الذين ورد ذكرهم في النبراس :

١) ابن ابي خيثمة . وهو الامام ابو بكر احمد بن زهير بن ابي خيثمة النسائي البغدادي . توفي سنة ٢١٩ هـ — ٨٣٣ م قال في كشف الظنون وهو تاريخ كبير احسن فيه واجاد . وفي (تذكرة النوادر) من المخطوطات العربية ذكر النسخ الموجودة منه . ووالده زهير له كتاب العلم .

٢) الطرقي . وهو الحافظ موفق الدين ابو نصر احمد بن محمد . وله (كتاب بيان الفرقة الناجية) . وهذا الأثر لم تتداوله الأيدي ، ومؤلفه مذكور في معجم البلدان لياقوت في مادة (طَرْق) وعده من المتأخرين ، ولم يعين تاريخ وفاته .

٣) ابن حزم . نقل من كتبه (نقط العروس في غريب التواريخ) ، ومن (المرتبة الرابعة) . ونقط العروس عندي نسخة منه ، وهو تاريخ صغير ، بل رسالة ربما عدت الى وصفها . وترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٤٨٣ .

٤) ابو عبد الله بن ابي مريم . سعيد بن الحكم المعروف بـ (ابن ابي مريم) ، وله تاريخ مصر . توفي سنة ٢٢٤ هـ — ٨٣٨ م وترجمته في تهذيب التهذيب ج ٤ ص ١٧ و ٨٢ وجاء ذكره في معجم الأُدباء ج ٤ ص ٢٣٨ وفي فهرس ابن النديم .

(١) نفح الطيب ج ٣ ص ٦٢

ومن مؤلفاته (كتاب المآثر)، و (كتاب النسب)، و (كتاب نواقل العرب) .

٥) ابن خداع . وله (كتاب المعقبين) .

٦) الطرطوشي . ابو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ — ١١٢٦ م . وترجمته في نفح الطيب ج ١ ص ٣٦٨ ، وفي الشذرات ج ٤ ص ٦٢ وفي ابن خلكان ج ١ ص ٦٠٦ ومعجم الأدباء ج ٣ ص ٥٢٩ .

٧) ابو بكر احمد بن كامل القاضي . كان يعد من مجتهدي القضاة ، وهو ابو بكر احمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة ٣٥٠ هـ — ٩٦١ م ذكره في صحيفة ١٠٢ و ١٦٨ وقال: من ثقات علماء التاريخ . وجاءت ترجمته في الخطيب البغدادي ج ٤ ص ٣٥٧ وفي معجم الأدباء ج ٢ ص ١٦ ، كان من اصحاب الطبري ثم اختار لنفسه مذهباً ، ومؤلفاته منها كتاب التاريخ ، وأخبار القضاة .

٨) ابو القاسم الأصبهاني . وهو عالم أصبهان . اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي الأصبهاني . وله كتاب (سير السلف) من أجل الآثار منه نسخة في خزانة الأوقاف ببغداد كتبت سنة ٧٧٧ هـ ، وهي برقم ١٢٧٨ ونعت مؤلفها بالشيخ الإمام . ومنه نسخة في خزانة راغب باشا برقم ١٠١٧ كتبت سنة ٩٩٣ هـ ، وفي الكتاب ترجمة والده ابي جعفر محمد بن الفضل .

٩) العباس بن محمد . ذكره في صحيفة ١٦٤ ، وجاء الكلام عليه في الاعلان بالتوبيخ وبين انه أندلسي راجع ص ١٥٥ .

١٠) محمد بن عبد الملك الهمذاني . وله مؤلفات تاريخية منها (عنوان السير) ذكره ابن دحية ومنها الذيل على تاريخ ابي شجاع محمد بن الحسين الهمذاني المتوفى سنة ٥٠٩ هـ — ١١١٥ م ، وذيل على كتاب الوزراء للصولي ، وذيل على تاريخ الطبري .. وتوفي سنة ٥٢٦ هـ — ١٥٣١ م .

١١) المأموني او ابن المأمون . وهو الشريف ابو محمد هارون بن العباس بن المأمون ، وتوفي سنة ٥٧٣ هـ ١١٧٧ م ، وتاريخه أكمل به تاريخ أستاذه ابن الزاغوني المتوفى سنة ٥٢٧ هـ — ١١٣٢ م على السنين ، ألفه ومضى به الى قريب من وفاته .

١٢) ابو اسحق بن حبيب . وهو ابو اسحق ابراهيم بن حبيب بن الشهيد الأزدي مولاهم . وجاءت ترجمته في (تهذيب التهذيب) ج ١ ص ١١٣ ، ومن مؤلفاته التي نقل منها ابن دحية (تاريخ البصرة)،و(لوامع الأمور وحوادث الدهور) جاء ذكره في ص١٦٩ أيضاً . وفي هذا تصحيح لما جاء في كشف الظنون . توفي سنة ٢٠٣ هـ — ٨١٨ م .

١٣) ابن زولاق . وهو ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصري . وله (أخبار قضاة مصر) . وجاء ذكره في صفحات عديدة من النبراس ، وتعرّض له في كشف الظنون في تواريخ مصر ، وكذا في (الاعلان بالتوبيخ) . وتوفي سنة ٣٨٧ هـ — ٩٩٧ م . وترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ١٨٨ .

١٤) ابن الأعرابي . هو ابو الطيب محمد ابن اسحق بن يحيى ابن الأعرابي وله (كتاب الفاضل) .

١٥) الزبير بن بكار . وله أنساب قريش ، منه نسخة مخطوطة في خزانة راغب باشا في استانبول ، وجاء ذكره في نوادر المخطوطات ، وترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٢٦٥ ، وفي معجم الأدباء ج ٤ ص ٢١٨ . توفي سنة ٢٥٦ هـ — ٨٦٩ م .

١٦) الهيثم بن عدي . وهو طائي . نقل من تاريخه وقال : متهم بالكذب عند العلماء . ونبه على جرحه في صحيفة ٢٣٩ وله تواريخ عديدة ولعلّ المراد تاريخه على السنين ، وجاء ذكره في الاعلان بالتوبيخ ص ١٥٩ وترجمته في ابن خلكان ج ٢ ص ٣٠٢ ، وفي معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٦١ . توفي سنة ٢٠٦ هـ — ٨٢١ م .

وفي هذه المراجع ما يجلو صفحة عن جملة من مؤرخينا ، فاذا كان العظيمي اعتمد تواريخ مهمة ، فان ابن دحية عوّل على أخرى فتكوّن لنا منها مجموع كبير .

٥ — سماع الشيوخ :

جاء في صفحة من الكتاب خارجة عن أصله :

«سمع جميع هذا المجلد المشتمل على تاريخ خلفاء بني العباس على ممليه رضي الله عنه وأرضاه السادة العلماء :

منهم الفقيه الأجل الشريف العالم قوام الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمود بن محمد الحسيني الاسكندري .

والأمير الأجل الاسفهسلار ضياء الاسلام بهاء الدين الحبيب ابو الفوارس ابن الأمير الأجل العالم الأكمل الاسفهسلار عضد الدين ابي الحمائل مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكلبي .

والفقيه الأجل العالم سراج الدين ابو محمد عبد الوهاب ابن الفقيه الأجل القاضي ابي سليمان داود بن أمير الناس الصنهاجي .

والفقيه الأجل العدل شهاب الدين شبل بن أسد الشافعي .

والشيخ الأجل معين الدين ابو المعالي موسى بن الشيخ الفقيه الزاهد المقري النحوي ابي الحسن علي بن عمار الأنصاري ، وجماعة آخرين منهم من سمع كله ، ومنهم من سمع بعضه مذكورون في غير هذا الموضع . وذلك بقراءة كاتب الأصل والسماع العبد الفقير الى عفو الله ورحمته محمد بن علي بن محمد الأنصاري .

وأغفل ذكر الحافظ العالم النحوي الأصولي شمس الدين ابي محمد عبد الله بن الشيخ ابي الحجاج يوسف بن عبد الله الجذامي ، ويعرف بابن النمط ، قريب السيد الامام العالم الحسيب النسيب ذي النسبين الطاهرين ابن دحية والحسين رضي الله عنهما . فانه جمعه كله بقراءتي مراراً منها غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وهذه القراءة الأخيرة كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام أربعة عشر وستمائه .

والحمد لله وصلاته على محمد . » اه .

ومن هذا علمنا من كانت له رغبة في التاريخ ، فأخذ ، كما عرفنا كاتب الكتاب .

مؤلفاته الأخرى

وللمؤلف في التاريخ تواليف كثيرة ومصنفات مأثورة ، وأثيرة غير النبراس ولم نقف على شيء منها ، ومن مؤلفاته التي عرفناها :

١ — التنوير في مولد السراج المنير . كانت عندي نسخة منه في مجموعة ، فلم يتيسر لي العثور عليها عند كتابة هذه الكلمة وجاء ذكر النسخة في كشف الظنون وفي نفح الطيب ص ٣٧٧ .

٢ — كتاب العلم المشهور في فضائل الأيام والشهور . ذكره المؤلف خلال سطور تاريخه النبراس مراراً ، ونقل من المجلد السادس منه .

٣ — النبراس . وهو المعقود له هذا المقال .

٤ — الصارم الهندي في الرد على الكندي . وقد رد عليه الكندي[1] في رسالة سماها (نتف اللحية من ابن دحية) كما مر .

٥ — المستوفى من اسماء المصطفى . ذكره في كشف الظنون وقال : لخصه القاضي ناصر الدين ابن الملبق في كراسة كما ذكره السخاوي في القول البديع ، وأشار اليه أيضاً في الاعلان بالتوبيخ ص ٩٠ .

٦ — المعراج . ذكره في الاعلان أيضاً ص ٩١ .

٧ — كتاب سلسلة الذهب في نسب سيد العجم والعرب . ذكره في ص ٢٩ .

٨ — الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات . ذكره في نفح الطيب .

٩ — كتاب شرح اسماء النبي ﷺ .

١٠ — كتاب الاعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين . ذكره في نفح الطيب .

ولعل الأيام تكشف عن باقي آثاره ، فتبرز للوجود فنعلم درجة النقد الموجه عليه ، وقيمته العلمية أكثر والله ولي الأمر ..

(بغداد) عباس العزاوي



(١) الكندي ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن البغدادي ثم الدمشقي النحوي . ولد ببغداد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧ هـ . وترجمته في معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٢٢ .

رسالة الطرق

ـ ٣ ـ

حرف الخاء

الخَيْدَب : الطريق الواضح قال الشاعر :

يعدو الجوادُ بها في خلّ خيْدَبة كما يشق الى هُدّابه السَّرَق[1]

رواية اللسان يعدو بالعين المهملة وفي التاج يغدو بالغين المعجمة ويقال فلان على طريقة صالحة وخَيْدَبة وهي الطريقة

الخدّ — الطريق والأُخدود شرك الطريق جمعه اخاديد قال :

ركبن من فَلْج طريقاً ذا قُحم ضاحى الأخاديد اذا الليل أدلهم[2]

وفي المخصص . وتهذيب الألفاظ الأخدود كل ما انحفر في الأرض من الجواد وخدد الطريق شركه

الخدوع — كصبور الطريق الذي يبين مرة ويخفى أخرى قال الشاعر يصف طريقاً :

ومُستَكْرَه من دارس الدَّعس داثر اذا غفلت عنه العيون خدوع[3]

وكذلك الخادع . وطريق خادع وخَيْدَع كحيدر جائر مخالف للقصد لا يفطن له قال الطرماح يصف دار قوم :

خادعة المسلك ارصادها تمسي وُكوناً فوق آرامها[4]

وقال قدامة : الخيدع والخادع الغامض الجائر

(١) يعدو بالعين المهملة يحضر ويسرع ويغد بالغين المعجمة يذهب والجواد الفرس الرائع والسابق الجيد للذكر والأنثى والخل الطريق في الرمل وهُدّاب الثوب طرفه مما يلي طرته والسَّرَق شقاق الحرير أو اجوده جمع سَرَقة (٢) فَلْج بلد ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج . وفلج موضع بين البصرة وضَرِيَّة وقيل غير ذلك . قُحَم الطريق مصاعبه وهي ما صعب منها على السالك . جمع قُحْمة . ادلهم الليل كثف واسود . (٣) استكرهه كرهه والدارس العافي والداثر والدعس شدة الوطء والأثر غفلت عنه تركته أو سهوت عنه (٤) المسلك الطريق وارصاد جمع رصد وهو المرصد ووُكون جمع وَكْن عش الطائر في جبل أو جدار وقيل مأوى الطائر في غير عش والآرام جمع إرَم كعنب حجارة تجمع وتنصب علماً في المفازة يهتدى بها .

ويقال هذه خُدْعة من الطريق ومَخدَع ونَفَذ ونَسم ونَبَق وانباق كله بمعنى القُرْبة والخُصرة
ويقال طريق مَخرَت كمقعد : مستقيم بين وجمعه مخارت سمي مخرتاً لأن له منفذاً لا ينسد على من سلكه وسمي الدليل خِرّيتاً لأنه يدل على المخرت قال :

كم دون مية موماة يهال بها اذا تيممها الخِرّيت ذو الجَلد(١)

وقيل لشقه المفازة والخريت الماهر الذي يهتدي لأخرات المفاوز وهي طرقها الخفية ومضايقها ويقال خَرَتْنا الأرض اذا عرفناها ولم تخف علينا طرقها وهذه الطريق تَخرُت بك الى موضع كذا اي تقصد بك

خَرَجة الطريق بالخاء والراء والجيم وسطه كالجَرَجة بجيمين قال ابو زيد : جرجة وقال الاصمعي : خرجة وقال الرياشي : الصواب ما قاله الاصمعي

وقال ابن السكيت وقد ركب الخرجة اي الطريق وقد صحف بعض العلماء فقال الجرجة وقال ثعلب يقال الخَرَجة والجَرَجة جميعاً ومنه سمي جريج

ويقال اخرَوّط بهم الطريق والسفر اذا طال وامتد وطريق مُخرَوّط : ممتد

المَخرَف والمَخرَفة الطريق الواضح اللاحب جمعه مخارف وفي الحديث : « تركتكم على مثل مَخرَفة النَّعَم » في الخصص النعام اي على مثل طريقها التي تمهدها باخفافها وفي الحديث أيضاً : « عائد المريض على مَخرَفة الجنة حتى يرجع » قيل على منهاج واضح كالجادة التي كدتها النعم باخفافها حتى وضحت واستبانت . وبه فسر مخرفة النعم وفي فقه اللغة المَخرَف الطريق في الأشجار . ومنه الحديث عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع .

المُختَرَق المر . والاختراق المر في الأرض عرضاً على غير طريق ومخترق الرياح ممرها واخترق الدار أو دار فلان جعلها طريقاً لحاجته ومنه قولهم لا تخترق المسجد أي لا تجعله طريقاً . وهو مجاز

الخَرْم : ما خرم سيل أو طريق في قف أو رأس جبل واسم ذلك الموضع

(١) مَيّة اسم الأنثى من القرود وبها سميت المرأة وهي المرادة هنا والمَوْماة المفازة يُهال يخاف ويفزع تيممها قصدها والأصل تأممها والياء بدل من الهمزة والخِرّيت الدليل الحاذق بالدلالة كأنه ينظر في خُرْت الإبرة وقيل ما ذكر والجَلد القوة والشدة والصبر والصلابة .

اذا اتسع مَخرِم والجمع مخارم والمخارم الطرق في الغلظ وقيل في الجبال وأفواه الفجاج قال أبو ذؤيب :

به رُجُمات بينهن مخارم ٭ نُهوج كَلَبَّات الهجائن فِيح[1]

وفي حديث الهجرة مرّا بأوس الأسلمي فحملها على جمل وبعث معها دليلاً وقال اسلك بهما حيث تعلم من مخارم الطرق . جمع مَخرِم بكسر الراء وهو الطريق في الجبل أو الرمل وقيل هو منقطع أنف الجبل

ويقال خازمه الطريق اذا أخذ في طريق وأخذ الآخر في طريق حتى التقيا في مكان واحد قال الشاعر :

اذا هو نحاها عن القصد خازمت ٭ به الجور حتى تستقيم ضحى الغد[2]

يذكر ان ناقته اذا جار بها راكبها عن القصد ذهبت به خلاف الجور حتى تغلبه فتاخذ على القصد .

ويقال اختزنت الطريق اي اختصرته وأخذنا مخازن الطريق ومخاصرها اي أخذنا اقربها

خَصْر الرمل طريق بين أعلاه واسفله في الرمال خاصة وجمعه خصور قال ساعدة بن جؤية :

أضرّ به ضاح فَنَبْطا أسالة ٭ فَمرٌّ فأعلى حَوْزها فخُصورُها[3]

وأخذوا خَصر الرمل ومُخصَّره أسفله ومارقّ منه قال زهير :

أخذن خُصور الرمل ثم جَزَعنه

(١) رُجمات جمع رُجمة وهي الحجارة الضخام والهضاب . مخارم جمع مخرم . نُهوج جمع نهج الطريق الواضح البين كما سيأتي لبّات جمع لبّة وهي وسط الصدر والمنحر . والهجان من الابل البيض الكريم يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع وربما قالوا هجائن فيح جمع فيحاء أي واسعة (٢) نحاها أزالها والقصد استقامة الطريق والجَوْر الميل عن القصد وطريق جور جائر تستقيم تستوي وتعتدل والضحى من طلوع الشمس الى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس وقيل النهار كله والغَد اليوم الذي يأتي بعد يومك أصله غدْو فحذفت لامه بغير عوض وتدخل عليه ال للتعريف ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر وربما كني به عن الزمن الأخير (٣) أضرّ به دنا منه ولصق به والضمير للماء أي دنا الماء من ضاح وهو واد لهذيل ونبْط موضع وهو شعب من شعاب هذيل وأسالة ماء بالبادية ومر موضع وماءة لبني أسد والحوز موضع يحوزه الرجل يتخذ حواليه مسناة .

ومخاصر الطرق أقربها ويقال لها المختصرات أيضاً واختصر الطريق سلك أقربه وقيل أصل الاختصار في الطريق ثم استعمل في الكلام مجازاً . ومختصرات الطرق التي تقرب في وعورها واذا سلك الطريق الأبعد كان أسهل

والمخاصرة المخازمة خاصر الرجل أخاه اذا أخذ احدهما في طريق والآخر في غيره حتى يلتقيا في مكان وقيل على غير ميعاد . وخاصر أخاه مشى في جنبه

والمخاصرة ان يأخذ الرجل بيد الرجل قال عبد الرحمن بن حسان :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراء تمشي في مرمر مسنون[1]

أي اخذت بيدها . قيل الصحيح ان هذا البيت لأبي دَهْبَل الجمحي وقال : ابن الأثير المخاصرة ان يأخذ الرجل بيد آخر يتماشيان ويد كل منهما عند خصر صاحبه

ويقال اختضم الطريق اذا قطعه قال الشاعر في صفة ابل ضُمَّر :

ضوابع مثل قِسيّ القَضْب تختضم البيدَ بغير تعب[2]

ويقال أخطأ الطريق أي عدل عنه

الخطّ بالفتح الطريق قال سلامة بن جندل :

حتى تركنا وما تُثنى ظعائننا يأخذن بين سَواد الخط فاللوب[3]

والخُط بالضم الطريق يقال الزم هذا الخُط ولا تظلم عنه شيئاً روي بالفتح والضم وروي بالوجهين قول ابي صخر الهذلي :

---

(١) خاصرتها أخذت بيدها والقبة في الأصل البناء المستدير ولعل المراد بالخضراء دار الامارة التي بناها معاوية والمرمر الرخام ومسنون مملس وقوله تمشي في مرمر أي على مرمر . وهذا البيت من قصيدة قالها عبد الرحمن بن حسان في بنت معاوية وقيل قالها أبو دهبل فيها وقيل قالها في امرأة تزوجها من الشام وهي في لسان العرب في مر وسنن وخصر (٢) ضبعت الناقة اذا مدت أضباعها أي اعضادها في سيرها فهي ضابع والجمع ضوابع وضبعت الابل اذا هوت باخفافها الى العضد والقضب شجر تتخذ منه القسي ويقال انه من جنس النبع وقوله بغير تعب وجد تعب في التهذيب والتكملة مضبوطاً بسكون العين وعليه علامة صح ولعلها سكنت للضرورة . (٣) تثنى تصرف عن حاجتها والظعائن جمع ظعينة الجمل يركب ويظعن عليه . والمرأة في الهودج وعن ابن السكيت كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره واللوب جمع لابة وهي الحَرّة .

صدود القلاص الأدم في ليلة الدجى   عن الخط لم يسرب لها الخطّ سارب[١]

والخط بالوجهين الطريق الشارع . والطريق الخفيف السهل . وجمع الخط ُخطوط وقد جمعه العجاج على اخطاط في قوله :

وشمن في الغبار كالأخطاط[٢]

خُطُوات الشيطان طرقه وفي القرآن الكريم : «ولا تتبعوا خطوات الشيطان قيل هي طرقه اي لاتسلكوا الطريق التي يدعوكم اليها» وقال الزجاج طرقه وآثاره

المخالج في الحديث تنكّب المخالجُ عن وضح السبيل أي الطرق المتشعبة عن الطريق الأعظم الواضح

الَخليف كأمير الطرق جمعه خلف قال :

في ُخلُف تشبع من رمرامها[٣]

والَخليف الطريق في أصل الجبل أو وراءه . او في الجبل ايا كان . وفي تهذيب الألفاظ الطريق بين الجبلين . وقال الأصمعي هو الطريق وراء الجبل قال صخر الغي :

فلما جزمت به قِرْبتي   تيممت أطرقه او خليفا[٤]

والَمخلفة الطريق قال أبو ذؤيب :

تؤمل ان تلاقي أمَّ وهب   بمخلفـة اذا اجتمعت ثقيف

ويقال عليك المخلفة الوسطى اي الطريق الوسطى

الَخلّ كطلّ الطريق في الرمل يذكر ويؤنث يقال حية خل كما يقال أفعى صريمة قال:

---

(١) صدود اعراض وصرف والقِلاص جمع قَلوص الفتية من النوق والأُدم جمع ادماء والأُدمة في الإبل بياض وقيل لون مشرب بياضاً أو سواد والدجى سواد الليل مع غيم وان لا ترى نجماً ولا قمراً وقيل هو اذا البس كل شيء وليس هو من الظلمة . والدجى جمع دُجية وهي الظلمة وسرب يسرب من باب قعد ذهب ومضى وخرج وسربت الابل مضت في الأرض ظاهرة حيث شاءت .

(٢) شمن نظرن والغبار ما يبقى من التراب المثار وقيل الرَهج

(٣) الرَمرام حشيش الربيع وروى هذا البيت صاحب اللسان في رمم في ُخرُف تشبع ورواه كذلك من أبيات لأبي محمد الفقعسي في خرق . وُخرُق جمع خريق كقضيب المطمئن من الأرض وفيه نبات والخريق الذي توسط بين مستحاوين بالنبات والمستحاء أرض لا نبات فيها ونسبها في موضع آخر لأبي محمد الحذلمي

(٤) جزمت ملأت والقربة الوطب وقيل هي المخروزة من جانب واحد تيممت قصدت أطرقة جمع طريق

سألتك اذ خِباؤك فوق تلٍّ وانت تحله بالخل خَـلاً (١)

يريد بقوله بالخل الطريق في الرمل · وخلا الأخير الذي يصطبغ به · أي سألتك خلا اصطبغ به وأنت تحل خباءك في هذا الموضع من الرمل

والخل الطريق النافذ بين الرمال المتراكمة قـال :

أقبلتها الخل من شَوْران مُصعِدة إني لأزري عليها وهي تنطلق (٢)

وسمي خلا لأنه يتخلل أي ينفذ · وقيل الخل الطريق بين الرملتين وقيل هو طريق في الرمل اياكان قال :

من خلٍّ ضمر حين هابا ودجا (٣)

وجمعه أخل بضم الخاء وخلال بكسرها

والخلة الطريق وفي الحديث يخرج الدجال خلة بين الشام والعراق أي في سبيل وطريق بينهما · وقيل للطريق والسبيل خلة لأن السبيل خلّ ما بين البلدين أي أخذ مخيط ما بينهما ·

الخنيف كأمير الطريق وجمعه خُنُف ككتب قال ابن مقبل :

ولاحب كمَقَدّ المعن وعسه أيدي المراسيل في دَوْداته خُنُفا (٤)

الخانق مضيق في الوادي · وشعب ضيق في الجبل وأهل اليمن يسمون الزقاق خانقًا والمختنق المضيق ومختنق الشعب مضيقه

(١) الخباء ما يعمل من صوف أو وبر وقد يكون من شعر يكون على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت والتل الرابية وخلّ الشيء يخله خلاً ثقبه والخلال العود الذي يتخلل به جمعه أخلة والأخلة خشبات صغار يخل بها ما بين شقاق البيت وخل الكساء وغيره جمع أطرافه بخلال ومنه هذا البيت ·

(٢) يقال أقبل الابل الطريق أسلكها اياه وأقبله الشيء جعله قبالته شوران موضع لبني يربوع وواد في ديار بني سليم وجبل بين المدينة ومكة واصعد سار ومضى واصعد في الوادي انحدر واصعد سار الى الحجاز ونجد واليمن وزرى عليه من باب رمى عابه واستهزأ به وعاتبه وعنفه · تنطلق : تذهب ·

(٣) ضمْر رملة بعينها وودج موضع ورواه في اللسان من حبل ضمْر ·

(٤) لاحب طريق بين مقد بفتح الميم موضع القد أي الشق والقطع طولاً وبالكسر حديدة يقد بها الجلد · والمعن الجلد الأحمر يجعل على الأسفاط وعسه وطأه وسهله والمراسيل جمع مرسال الناقة السهلة السير أو السريعة السير والدوداة الأرجوحة أو آثارها والمراد هنا بدوداته آثاره جعلها مثل آثار ملاعب الصبيان ورواه في اللسان والتاج المراسل في روحاته خنفا والروحات جمع روحة المرة من الرواح

المَخْنَنَ : فُوّهة الطريق ، والمحجة البينة وقد قال بنو تميم لعائشة [ض] هل لك في الأحنف ، قالت لا ولكن كونوا على مَخْنَنه أي طريقته .

ويقال طريق خائف :فاعل بمعنى مفعول وطريق مَخوف ومُخيف تخافه الناس . ووجع مخوف ومُخيف يخيف من رآه . وخص يعقوب بالمخوف الطريق لأنه لا يخيف وإنما يخيف قاطع الطريق وخص بالمخيف الوجع أي يخيف من رآه وفي المخصص طريق مخافة أخافه اللصوص .

المَخيط كمقيل الممر والمسلك ومخيط الحية مزحفها وهو ممرها ومسلكها قال ذو الرمة :

وبينها مَلـقي زمام كأنه مخيط شجاع آخر الليل ثائر (١)

يتبع محمد سليم الجندي



(١) الزمام حبل يجعل في البرة أو في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود وقد يسمى المقود زماماً . والشجاع بضم الشين وكسرها الحية المذكر . ثائر : هائج .

ملاحظات على كتاب

نخب الذخائر في احوال الجواهر

للأب انستاس ماري الكرملي فضل كبير في خدمة لغة الضاد واظهار مآثر العرب بما يدبجه من المقالات الثمينة وبما ينشره من تآليفه وتآليف أسلافنا التي بقيت في زوايا النسيان . وآخر ما نشره من هذا القبيل (نخب الذخائر في أحوال الجواهر) لمحمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري المعروف بابن الاكفاني . فقد نشره مشكول النص مضيفاً اليه حواشي كثيرة مفيدة .

قرأت هذا الكتاب قراءة متبصر فاستفدت شيئاً غير قليل مما سرده في حواشيه من الإيضاحات المفيدة كاثباته ان السامور أو الشمّور هو السنباذج لا الألماس وبيانه مصدر كلمة المرقشيثا وكإتيانه بالاسماء الفرنسية المقابلة لاسماء الجواهر بالعربية وغير ذلك من الفوائد الجمة .

بيد اني عثرت في أثناء مطالعتي الكتاب على بعض أوهام طفيفة وعلى إيضاحات بدا لي انها غير مصيبة . فأردت ان أذكر ملاحظاتي عليها علها تنال التصويب من حضرة الناشر الجليل وما اقدمت على ذلك الا رغبةً مني في ان يخلو هذا الكتاب النفيس من كل شائبة في طبعة جديدة يوفق الي طبعها ان شاء الله :

وها اني ابدأ من أول الكتاب وأبدي ملاحظاتي على ماأجده في الصفحات متابعاً تسلسلها ، فأقول :

جاء في فهرس الفهارس في أول الكتاب قوله (فهرس رابع يحوي الالفاظ المتعلقة بالحيوان والطير والسمك) . وكان عليه ان يكتفي بكلمة الحيوان فانها تشمل الطير والسمك وغيرهما .

وفي ص ٢ قال في الحاشية ان Hyakinthos ضرب من الزهر اسمه بالفرنسية Jacinthe وبلسان العلم Iris germanica وأيضاً glabiolus communis و delphinium Ajacis . أتى بهذه الاسماء وقال (وهي زهرة بنفسجية اللون

او زرقاء) . والحقيقة هي ان الاسمين الأولين هما لنباتين مختلفين من الفصيلة السوسنية والثالث هو لنبات من الفصيلة الشقيقية . — وقال ان (الياقوت البهرماني هو escarboucle او rubicelle) أقول الصحيح هو الثاني . اما Escarboucle فهو اسم آخر للجوهر المسمى almandine كما جاء في لاروس القرن العشرين :

Escarboucle . Miner . Nom donné par les anciens au grena aluminoferreux ou almandine

وفي ص ٣ ، س ١ قال الشارح عن الياقوت الجلناري (لعله الياقوت الأصفر الشرقي اي topaze orientale). أقول لا محل للتردد فهو هو . — وفي س ١٣ من الصفحة عينها سمى الياقوت الأزرق saphir . وكان عليه أن يسميه saphir oriental لأن السفير اسم شامل لضروب كثيرة . — وفي س ١٨ و ١٩ جاء ذكر الياقوت الذكر والياقوت الأنثى . أقول يقابل هذين الاسمين بالفرنسية saphir mâle و s. femelle فكأنهما ترجما من العربية .

وجاء في ص ٤ ، س ١١ قوله (وحكى السيرافي : احمر ارجوان ، على المبالغة التي ذهب اليها السيرافي . واما ان يريد الارجوان الذي هو الأحمر مطلقاً) . أقول ان هذا كلام مضطرب غير مفهوم . والظاهر سقوط كلمات منه عند صف الحروف في المطبعة . ولم يشر الناشر الى هذا النقص في جدول التصحيحات .

وجاء في ص ٦ ، س ٦ كلمة (ما ذنبي) في المتن . وقبلها كما هي ولم يتعرض لها . ونقل في الحاشية قولاً للتيفاشي زعم هذا فيه (انه سأل بعض مشايخ الجوهريين في سبب تسمية هذا النوع بهذا الاسم فأجابه بأن هذا الحجر شديد الشبه بجيد الياقوت فاذا قوّم بدون قيمة الياقوت ، كأنه يقول بلسان حال جودته « ما ذنبي » حتى أقوّم بدون قيمة الياقوت) . اقول (ما ذنبي) كلمة قد حرفت تحريفاً شنيعاً من كلمة (ماذينج) وما جواب الجوهري حين سأله التيفاشي الا حديث خرافة . ذكر الماذينج ابو الريحان البيروني في كتابه (الجماهر في معرفة الجواهر) المطبوع في حيدر آباد الدكن (ص ٩١) وأورد للصنوبري هذا البيت :

الى لازوردٍ وفيروزجٍ وماذينج اللون امزجهِ

فورود الماذينج في هذا البيت شاهد عادل على صحة هذا الاسم · اذ لو وضعنا كلمة ماذبني مكانه لاختل وزن الشعر · ويظهر ان هذا التصحيف وقع من القديم حتى ان التيفاشي لم يهتد لصوابه ورتب الجوهري الذي سأله عنه تلك الخرافة ·

والآن ما هو اسم الماذينج بالفرنسية ؟لقد اسماه الأب في ص ١٧ grossulaire · لكن الماذينج شديد الحمرة و الـ grossulaire اخضر تشوبه صفرة كما جاء في لاروس · لا شك ان الأب مخطئ في تسميته · ان grossulaire هو البيجاذي الأخضر ، وأما الماذينج فهو almandine بالفرنسية ، ويسمى بها أيضاً escarboucle و grenat noble و g. oriental و g. syrien · واذا أمعنا النظر رأينا ان الماذينج والالماندين كلاهما مأخوذ من اسم بلدة (الباانده Alabanda) ، بلدة كانت في قاريا في بلاد آسيا الصغرى فتحها لابيانوس واخربها · وكان معدن هذا الجوهر عندها · فكلمة ماذينج كانت في الأصل على ما يظهر (الماندينه) · توهموا الألف واللام فيه حرف تعريف فحذفوهما كما حذفوهما من الألماس وقالوا ماس فصارت (ماندينه) وحذفوا النون الأولى للخفة فصارت (مادينه) · أما ابدال الذال بالدال في الاسماء الاعجمية والاتيان بالجيم (او القاف او الكاف) عوض الهاء في غالب الاسماء الاعجمية المنتهية بالهاء فهما مما اعتادت العربية فعله لدى التعريب · مثال قولهم (نموذج) في تعريف (نموده) الفارسية · ونرى ان الميم في الماذينج كانت في الأصل باء وقع الابدال فيها لقرب مخرج هذين الحرفين ، كما وقع هذا الابدال في كلمة الماندين الفرنسية راجع Alabanda almandine في لاروس القرن العشرين صحة ما ذهبت اليه ·

اعتاد الأب وضع اسماء اصناف الجواهر في المتن في رؤس السطور · لكنه سها عن الياقوت الأصفر الوارد في ص ٩ ، س ١٠ فصار في وسط السطر ·

وفي ص ١١ لما ذكر المؤلف الحجر النفيس المعروف (بعين الهر) قال « يريد اليوم جوهريو العراقيين بعين الهر ما يسمونه أيضاً (عين الشمس) وهو حجر كريم يتموج بريقه واسمه بالفرنسية opale » · وبعد أن ذكر ما قاله التيفاشي في وصف

عين الهر قال (وهذا الحجر بهذا المعنى يسمى بالفرنسية œil du chat) • فمن كلامه يفهم ان لا فرق عنده بين عين الهر والاوپال وان عند جوهريي العراقيين لا فرق بين عين الهر وعين الشمس والاوپال • والحقيقة ان هذه الأحجار النفيسة الثلاثة متقاربة وهي في الأصل من مادة الصوان (silex) ولكن لكل واحد منها وصافًا تميزه عن الآخر • ولهذا كان لها بالفرنسية اسماء مختلفة • أما الناشر فلم يذكر اذا سوى اسم عين الهر بالفرنسية ، ولم يذكر ما يقابل عين الشمس ولا ما يقابل الـ opale بالعربية • حتى ان قوله لعين الهر œil du chat خطأ صوابه œil de chat وبين الإملائين فرق دقيق لا يخفى على المطلع مثله على اسرار لغة الفرنسيين • فاملاؤه يفيد معنى عين حقيقية لهر مقصود بالذات • والاملاء الصحيح الذي ذكرته يفيد شيئًا يشبه عين هر ما • وعين الهر يسمى بالفرنسية أيضًا œil - de - tigre و asterie اما عين الشمس opale à flamme و op . noble و op . d'Orient • أما الاوپال العادي فلم أجد من ذكر له اسماً بالعربية • جاء في المخصص ج ٤ ، ص ٥٢ و ٥٣ ذكر بعض الحجارة الكريمة والخرز ، لكن ابن سيده لم يصفها وصفاً يمكن ان تعرف منه ماهيتهـا بالضبط • وربما كان الجزيز او الهبرة (بالفتح) او القبلة (بالتحريك) هي الاوپال • قال عن الجزيز (خرزة تسمى خرز الجزيز • وقال بعضهم سألت عنها بمكة فأرونيها وهي شبيهة بالجزع وليس به) • أما الهبرة والقبلة فلم يقل عنهما سوى انهما من خرز الاعراب التي يؤخذ بها النساء الرجالـــ • ولم أذكرهما الا لان لفظها يقرب من لفظة اوپال

وفي ص ١٤ ، س ١٧ (والبلخش بالفرنسية spinelle) أقول هذا غير صحيح • انما البلخش بالفرنسية rubis balais • وقد رجع حضرته عن تسميته تلك وسماه في فهرسه الحادي عشر كما سميته • أما spinelle فهو الياقوت الجلناري •

وفي ص ١٥ ، س ٤ قوله (ومنه « من البلخش » ما يشبه الياقوت البهرماني ويعرف بالنيازكي) • اقول ذكر هذا الحجر ابو الريحان البيروني (ص ٨٣) وسماه (النيازكي) وقال نسب الى انف جبل هناك يسمى نيازك لا اتصال له بشيء من ذكر النصل اه •

وفي هذا كفاية . وعلى هذا تكون حاشية الشارح أيضاً محتاجة الى تعديل .

وفي حاشية ص ١٥ سمى الشارح البوريطس وهو المرقشيثا pyrite blanche . اقول كلمة blanche هنا زائدة . لان المرقشيثااسم عام لأنواع المرقشيثا . فاذا كانت المرقشيثا بيضاء او صفراء او حمراء سميت مرقشيثا فضية او ذهبية او نحاسية (ر . ابن البيطار) . والاحسن تسمية المرقشيثا marcassite .

وفي ص١٧ و١٨ أتى في المتن والحاشية ذكر الماذني (الماذينج) وقد تكلمت فيه آنفاً.

وذكر في حاشية ص١٨ نوعاً من البيجاذي سماه القروي . اقول سماه البيروني غروي اوغرواني

وذكر في المتن ص ١٩ نوع من البيجاذي سمي (الاسبادشت) وفي حاشية ص ١٨ ذكر الشارح لهذه الكلمة صوراً اخرى لا أدري من أين اتى بها . فان كلمة اسبادشت لم ترد على ما أعلم في كتاب غير كتاب ابن الاكفاني الموضوع البحث . ولم يتعرض الشارح لشرح الكلمة ولا بين مصدرها . اقول تحقق لدي بعد التأمل والبحث ان الاسبادشت محرف عن (الاسبارست) براء مهملة وبسينين وهو المسمى بالفرنسية spessartine وهو نوع من البيجاذي يوجد في جبل (اسبامرت Spessart) وهو كتلة جبلية عند منعطف نهر الماين في المانيا . (ر . معجم لاروس) . اذاً فاسبارست سمي باسم هذا الجبل الذي يستخرج منه ، وقد وقع القلب في الراء والسين الثانية . مثله قولهم زبرجد وزبردج . وان شئت افظت بها بلا قلب فقلت (اسبامرت) وقد قال المؤلف (ومنه «من البيجاذي» ما يجلب من بذخشان ومنه ما يجلب من بلاد افرنجة ، ومنه صنف تشوبه صفرة خلوقية ويعرف بالاسبادشت) فذكر المؤلف جلب صنف من البيجاذي من بلاد الافرنجة ثم ذكره الاسبادشت (الاسبارست) لا يخلو من مناسبة عند المتأمل . والعرب لم تخص كلمة افرنجة بفرنسة الحالية بل كثيراً ما أرادت بها بلاد اوربة الغربية . كما تقول العامة في يومنا هذا افرنج وهي تريد سكان اوروبة .

وفي ص ٢٠ ، س ٤ ذكر لألوان الماس الأبيض والزيتي والأصفر والأحمر والاخضر والازرق والاسود . أقول للماس الاسود اسم خاص بالفرنسية هو carbonado .

وفي حاشية ص ٢٢ قال عن الاسرب انه الرصاص الأبيض يعني القصدير . اقول انما هو الرصاص الأسود .

وفي ص ٢٩ ، س ٩ قوله (والدليل على ذلك انه يوجد طبقاتٌ) برفع طبقات ، والصواب جرهـا على الحالية .

وفي ص ٣٠ جاء في المتن ذكر البحر الأخضر ، فقال الشارح في س ٢ (المراد بالبحر الاخضر هنا المحيط الاتلندي . ثم رجع وقال في س ٢٤ من الصفحة عينها (على ان المراد بالبحر الاخضر هنا خليج فارس) . اقول الذي اراده ابن الاكفاني هو خليج فارس . ثم ان الناشر قال : (الصواب ان يقال المحيط الاتلانتيكي او الاتلنتيك نسبة لجزيرة اتلنتيدة . اقول لماذا لم يوص بان يقال اتلنتيدي واوصانا باستعمال صيغة نسب افرنجية ؟

وفي ص ٣٢ ، س ١٢ نقل من القاموس تعريف كلمة غب بالضم فقال (وهو الضارب في البحر حتى يمعن في البر) غير ان عبارة القاموس (وهو الضارب من البحر ...)

وفي ص ٣٣ ، س ٣ ذكر اسم جزيرة اسقطري قديماً وهو (جزيرة ديسقوريدس) وقال انها (بالفرنسية île de Dioscorides) . اقول ان الفرنسيين يكتبون هذا الاسم اليوناني بلا s في الآخر . — وفي س ٥ ذكر من الحيوانات المؤذية في البحر الدَّوْل بالفتح وقال (قال صاحب التحفة النبهانية هو حيوان هلامي ، لا يهتدي في سيره الى جهة ، وانما تقذفه الأمواج على وجه البحر ، وهو بقدر الكف بل اصغر مدور ، له خيوط طوال نحو ذراع فأطول) وقال الناشر (ان غواصاً وصف له الدول فقال (... ابيض اللون ، لا يعرف رأسه من ذنبه ، كأنه قطعة شحم كبيرة مستديرة ... وهو لين المس ، يحرق بلمسه الانسان) . أقول الى هنا ينطبق هذا الوصف على الميدوزا méduse تماماً وهي التي سماها بعضهم بقنديل البحر ، وهي ليست من الحيوانات المؤذية ، غير انها توجب حرقة وقتية في يد من يمسكها . لكن الناشر انتقل من وصفهـا هذا الواضح الى وصف الاخطبوط واستنتج ان الدول هو الاخطبوط . وشتان بينهما .

يتبع (الموصل) الدكتور داود الچلبي الموصلي

العامي والفصيح

- ٣ -

جَرَدَ الجَرْدة — ويقولون جَرَدَ لون الثوب اذا حال صبغه وفي اللغة جَرَدَ وانجرَدَ الثوب انسحق ولان وهو من التجرُّد وهو التعري فكأنَّ الثوب قد تجرد من لونه حين حال صبغه وكذلك اذا انسحق فقد تجرَّد من جِدَّته والثوب الجَرْد عند العرب هو الخَلَق الذي ذهب زئبره ويقولون جَرَدَ على العمل اذا مَرن عليه وهو في اللغة جَرَنَ بالنون قال في اللسان وجَرن على العمل ومَرنَ ومَرَدَ بمعنى واحد يقال للرجل وللدابة وكل ما مَرَنَ فقد جَرَنَ وابدال العامة النون دالاً غير مستنكر وهو واقع في اللغة كما في قَفَنَّد وقفندد للعظيم الالواح من الناس وهما تتعاقبان أيضاً كما في مَرَنَ ومَرَدَ على العمل

ويقولون جرَّدت الدابة فهي مجرَّدة وذلك اذا أصابها ورم في عرقوبها والاسم التجريد وفي اللغة الجَرَد ورم في عرقوب الدابة قال ابن شميل : الجَرَد ورم في مؤخر عرقوب الفرس يعظم حتى يمنعه المشي والسعي وقال ابو منصور (الأزهري) ولم اسمعه لغيره وهو ثقة مأمون . اه.

والجَرْدة كانت معروفة بالشام يوم كان يسير المحمل مع ركب الحاج الشامي على ظهور الإبل فكانت ركباً يلاقي ركب الحاج الى منتصف الطريق ما بين مكة والشام عند مدائن صالح فيمده بالزاد والميرة ويرجع معه منضماً اليه كأنه منه وفي جملته واحسب انها سميت جَرْدة من قول العرب تجرد فلان بالحاج اذا تشبه به قال ابن الأثير في النهاية وفي حديث عمر رضي الله عنه تجردوا بالحاج وان لم تحرموا اي تشبهوا بالحاج وان لم تكونوا حجاجا وهكذا يكون أصحاب الجَرْدة من الشاميين متجردين اي متشبهين بالحاج في مسيرهم في الركب ودخولهم الشام معه وكما يدخل

والمجرود عند العامة حديدة يُجرَّد بها مشتار العسل ما يلصق بالشهد من دخر الخلايا وينزع بها الأقراص من الخلايا ثم عموا به كل ما تقطع به الحلوى وهو في الفصيح المنزعة والمِحْبض

جَرَم — ويقولون جَرَم القصاب الذبيحة اذا انتزع منها العظام واللحم المجروم هو الذي نُزع منه عظمه

والمعروف في اللغة جَلم الجزور يجلمها جلماً واجتلمها اذا اخذ ما على عظامها من اللحم كما في اللسان وغيره

والجَلم في أصل المعنى كالجرْم بمعنى القطع والجزّ والجلمان المقراضان والجَلم هو الذي يُجزُّ به الشعر والصوف والجلمان شفرتاه وهكذا يقال مثنى كالمقص والمقصين والمقراض والمقراضين وجَرَم الشاة وجَرَم صوفها كجلمها وجلم صوفها

فقول العامة جَرَم اللحم فصيح صحيح وان كان استعمال جَلم في نزع العظم من اللحم عند العرب أكثر

ويقولون لاغلاث البر والشعير ونحوها «الاجرام» وفي هذا القمح من الاجرام بالمائة خمسة مثلاً اي فيه زؤان ومدر على هذه النسبة ويسمونها الاجسام الغريبة

والاجرام جمع جِرْم بالكسر وهو في اللغة الجسد والبدن وهذا معنى الجسم أيضاً وقد عرف الجسم بالمنقسم بالأبعاد الثلاثة وجمعه اجسام ومن هذا قيل لاغلاث البُر الأجسام الغريبة والجِرم كالجسم فصحّ أن يقال لها الاجرام الغريبة ثم الاجرام من غير توصيف فاستعمالها على هذا لا يخرج عن حدود الفصاحة

والجَرْمُ في بلاد الشام يقال للماعونة التي تنقل محمول السفينة منها الى الشاطئ وهذا النقل يسمى عند أهل الساحل الشامي التجريم وكما تسمى الماعونة تسمى عند أهل اليمن النقيرة أيضاً وفي كتب اللغة الجَرْم زورق يمني جمعه جروم

جَرْمَش — ويقول العامليون جَرْمَش الجسمُ وهو مجرمش اذا خشُن وتقبض

واحسب انه من اجرنشم فهو مُجرَنشم وفي التاج واجرنشم اجتمع وتقبض وانشد ابن السكيت لابن الرقاع :

مجرذِمٍ لعايات تُنضيءُ به منه الرضاب ومنه المسيل المطل

والجَرْشم من الحيات الخشن الجلد ١٠ هـ . ومثل ذلك جاء في اللسان

جَعَكَ الثوب — ويقولون جَعك الثوبَ والثوب مجعوك وقد يزيدون لاماً فيقولون جعلكه وذلك اذا جمعه على غير ترتيب ولا نظام واستهان به فألان خشنته او لبسه ممتهنًا له فأذهب ملاسته وجدَّته

وفي اللغة دعك الثوب باللبس ألان خشنته ودعكه في التراب مرَّغه والاديم دعكاً دلكه وليَّنه

فالعامة أرادت بالجعك الدَّعك ولم تستعمله غالبًا في غير الثوب ونحوه وإبدال الدال بالجيم وارد في الفصيح كالأبد والابج واسجف الليل واسدف وقيل أنها إرمية تفيد السحق والرض والشق ولا حاجة الى هذا التعسف مع صحة ردها الى العربي الفصيح

الجفت — كلمة دخيلة ومعناها الزوج ضد الفرد وهو الشفع ضد الوتر والزكا ضد الخسا

ويعرف بالجفت عند العامة ضرب من السلاح الناري وهو بندقيتان مزدوجتان من بندقيات الرصاص لأنهما زوج متحد

ويعرف به مكيال للطعام دمشقي لانه مُدّان من أمداد حوران العزيزية ويزن نحواً من اربعين كِيلاً (كيلو غرام) ويطلق الجفت عند العامة على دقاق نوى الزيتون بعد ان يرض ويعتصر فما يبقى في البدّ من مرضوض النوى والقشر ونحوه بعد العصرة الأُولى يسمى الجفت وقد يعصر ثانية وقد اشتقوا منه فعلاً فقالوا لكل ما كان رطبًا من أصله ثم جفَّ بعصر او حرارة جَفَّت فهو مُجَفَّت

وعُرِف الجفت لمعنى غير هذه المعاني باسم الجفتة والجفتاي في المواكب السلطانية الأَيوبية وهو عبارة عن جنديين على فرسين أشهبين بحلل مزركشة يركبان أمام السلطان في أوقات مخصوصة ذكره صاحب صبح الأعشى ٤ = ٨ و٣ و١٢٧

جلَط وجَلَّط — ويقولون جَلط وجلَّط اذا كذب وأخذ في التجليط اذا شرع بالكذب

وهو كذلك في الفصيح وجاء عن ابن الاعرابي جَلَط يجلِطُ اذا كذب ونص اللسان . ومن كلام العرب الصحيح جَلَط الرجل يجلِط اذا كذب والجلاط المكاذبة .

ويقولون للقليل الحياء جلط وهو مُجلِّط وهو مُشلِّط أيضاً على البدل وفي اللغة الجلوط المرأة القليلة الحيـاء ونص العباب البعيدة من الحياء وقالوا انجلط الجرح والدمّل ونحوهما اذا تهرأ عنه الجلد واللحم وارتخى

وفي اللغة جَلط الجلد عن الظبية كشطه وجَلطَ رأسه حلقه وجاء في كلامهم تابٌ جَلطاء وهو من الإبل الرخوة الضعيفة فتكون انجلط للمطاوعة

الجمرة — ويقولون فلان جمرة اذا كان ذا قوة وبطش ومَنعة معتداً بنفسه لا يصطلى له بنار وفي اللغة أصل الجمرة النار المتقدة كما في القاموس وغيره والجمرة أيضاً القبيلة انضمت فصارت يداً واحدة لا تنضم الى أحدٍ ولا تحالف غيرها قال الليث : الجمرة كل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم ولا يحالفون أحداً تكون القبيلة نفسها جمرة تصبر لقراع القبائل كما صبرت عبس لقبائل قيس قال صاحب التاج وهكذا أورده الثعالبي في المضاف والمنسوب وعزاه للخليل وقال عمرو بن بحر يقال لعبس وضبة ونمير : جمرات العرب وانشد لأبي حيان[1] النميري :

لنا جمرات ليس في الأرض مثلها كرام وقد جُرِّبن كل التجارب
نمير وعبس يتـقى نفيانهـا وضبة قوم بأسهم غير كاذب

وعدَّ غيره بني الحرث بن كعب من جمرات العرب فالجمرات في العرب أربع طفئت بنو الحرث لمحالفتهم نهداً او لمحالفتهم مذحجاً ٠ وبنو عبس لانتقالهم الى بني عامر ابن صعصعة يوم جَبلة ٠ وبنو ضبّة لأنهم حالفوا الرباب وبقيت نمير لم تطفأ لأنها لم تحالف وفي ذلك يقول النميري يجيب جريراً :

نمير جمرة العرب الـتي لم تزل في الحرب تلتهب التهابا
واني اذ اسب بها كليبـاً فتحت عليهم للخسف بابا
ولولا ان يقال هجا نميراً ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب وكيف يشاتم الناس الكلابا

الجَمْش — ويطلقون في جبل عاملة على مايترامى به الناس بالأيدي في عراكهم من الحجارة بحجم الرمانة فما فوق اسم الجَمش وبعضهم يقول الدَمش بالدال وهي

(١) كذا في الاصل والصواب ابو حية النميري وهو مشهور (المجمع)

فيما أرى محرفة عن الدَبش وهو في اللغة أثاث البيت وسقط المتاع كما في القاموس والعامة نفسها تسمي رذال الحجارة التي لا تصلح لساف البناء (المدماك) الدَّبْش بسكون الباء

أو هو من الجِماش وزان كتاب وهو ما يجعل بين الطي والجال في البئر اذا طويت بالحجارة وهذا ما تسميه العامة بالدبشة والرَّكة ولا تخص به البئر بل تعم به كل ما كان من نحوه بئراً كانت او غيرها وانما يوضع في هذه الرَّكة رذال الحجارة ويقولون دَبَش الحائط يَدْبِشه دَبشاً اذا وضع وراء الساف من هذا الدَّبش ليقويه ويدعمه كما يوضع جِماش البئر

الجُوب — بالضم عند العامة البزُّ المخرَّق في تضاعيفه من سلع التجار او الذي هو غير بريء من العيب ويسمى المُجوَّب وتجوَّب الثوب صار جُوباً

وفي اللغة جابه يجوبه جَوْباً : خرقه وجاب النعل قدَّها وفي اللسان الجَوْب قطعك الشيء كما يجاب الجيب وكل مجوَّف وسطه فهو مُجوَّب والجيب في القميص والدرع طوقه وما ينفتح على النحر جمعه جيوب وأما الجيب أو الجيبة والجمع جِياب فهي ما يشق من جانب الثوب متصلاً بكيس صغير توضع فيه الأشياء الخفيفة الحمل

وقالت العامة جابه يجيبه جَيباً وجيباناً بمعنى جاء به حذفوا الهمزة من جاء ووصلوها بالجار والمجرور ومزجوهما كلمة واحدة جارية على تصريف جاب بمعنى قطع فقالوا جابه اي جاء به وفي الأمر جيب على قاعدتهم في ترك حرف العلة في الاجوف عند الأمر مثل قوُم وبيع في الأمر من قام وباع

الجورة - عند العامة : الجفرة المستديرة في الأرض غالباً غير مطوية الجوانب وهي في اللغة الجُفرة بالفاء فأبدلت العامة الفاء واواً لتقارب المخرج

والجفرة عند العرب سعة في الأرض مستديرة والحفرة العظيمة ج جُفر وجفار والجُفر خروق الدعائم التي تحفر لها تحت الأرض

او هي من الحُفرة على إبدال الحاء والفاء

جقم — ويقولون هذا الصبيُّ جقم وعنده جقامَة اي هو شديد النفس كثير الحركة واللعب لا ينقاد للمربي وأحسب انها مأخوذة من شكم بمعنى ذو شكيمة وفسر الأئمة الشكيمة بأنها الأنفة والانتصار من الظلم وهي الشمم أيضاً وقوة القلب وقالوا الشكم كتف الأسد وبه فسروا قول ابي صخر الهذلي :

جهم المحيا عبوس باسل شرس ورد قساقسة رئبالة شكم

وقال ابن السكيت انه لشديد الشكيمة اذا كان شديد النفس انفاً أبياً وفي النهاية في حديث عائشة رضي الله عنها تصف أباها : فما برحت شكيمته في ذات الله أي شدة نفسه وأصله من شكيمة اللجام فان قوتها تدل على قوة الفرس

وفي اللسان فلان ذو شكيمة اذا كان لا ينقاد قال عمرو بن شاس الاسدي يخاطب امرأته في ابنه عرار :

أرادت عَراراً بالهوان ومن يرد عَراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
وان عراراً ان يكن غير واضح فاني أحب الجون ذا المنكب العمم
وان عراراً ان يكن ذا شكيمة تعافيتها منه فما أملك الشمم

وأما إبدالهم الشين بالجيم فقد جاء عنهم مثله في نفس هذه المادة فالعامليون يقولون شكمه اذا ردّه عن الأمر بكلام خشن وبقوة وقهر وهو استعمال فصيح صحيح مستعار من قول العرب شكم الفرس اذا وضع الشكيمة في فيه ولكنهم في بعض نواحي جبل لبنان يقولون جقمه بالابدال بهذا المعنى نفسه

والجيم والشين يتعاقبان في الفصيح كما في الشاسيُّ والجاسيُّ لذي الصلابة

حدل محدلة — وتقول العامة حَدَل الطريق والسطح اذا أمرَّ عليه المحدَلة وهي عندهم اسطوانة ثقيلة من حجر مدمجة تُجرُّ على الأرض دحرجة جيئة وذهابا فتسويها بإمرارها عليها وتردسها بثقلها وجاء في اللغة المسلفة لهذا المعنى قال في اللسان ويقال للحجر الذي تسوّى به الأرض مِسلفة قال ابو عبيد وأحسبه حجراً مدمجاً يدحرج على الأرض لتستوي

وقال الأصمعي في حديث محمد بن الحنفية رحمه الله أرض الجنة مسلوفة انها

لغة اليمن والطائف والفعل منه سلف الأرض سوّاها بالمسلفة ولكن المجمع اللغوي في مصر أطلق المسلفة على الخشبة التي يجرها ثوران لتسوّي بعد حرثها وجعلها مرادفة للزحافة والمملقة وسمى المحدلة هذه بالمِرْدَس وخصها بالآلة البخارية التي تُدكُّ بها الحجارة وهذا الاطلاق من حيث الغاية صحيح لان تسوية الأرض من أوضح معاني المسلفة ولكنه لا ينطبق على وصف أبي عبيد للمسلفة بل انطباقه على معنى المحدلة وشكلها عند العامة أوضح

وأرى ان في حَدَل والمحدلة وجهاً غير ما ذكروه اذ قد جاء في القاموس وشرحه للزبيدي ما نصه : ودحدره دحدرة وقال الصاغاني أي دحرجه دحرجة فتدحدر تدحرج كتدهده ٠ اه ٠

فلا يبعد اذاً ان تكون العامة توسعت وأبدلت الراء لاماً وهذا الإبدال معروف في الفصيح كالنثلة والنثرة للدرع فصارت دحدله ثم حذفوا الدال الأولى بكثرة الاستعمال تخفيفاً وأعطوا حركتها للحاء فصارت حَدَله بمعنى دحرجه وهو المعنى المراد للعامي وقد سمعت كثيراً من العامة يقولون دَحدَل الشيء بمعنى دحرجه ثم اشتقوا للآلة المِحدَلة من حَدَل هذه

ورأيت بعض المعاصرين الباحثين في اللغة يرى ان المحدلة من المِحولة بالواو فصارت مع التمادي محدلة بالدال وجعل فصيحها المحالة وهي الدولاب والبكرة العظيمة ٠ اه ٠

وتقول العامة حَدَله بالأمر اذا عالجه فيه كثيراً بين أخذٍ وردٍّ وجيئة وذهاب وفي اللغة حادله محادلة اذا راوغه عن الأزهري ٠

النبطية احمد رضا



أقول في المقول

— ٦ —

٤٣ — وجاء في ص ٥٠٣ من الجزء الحادي عشر «وهو [البحتري] أكبر من شعراء عصره أي اكبر من المتنبي وأبي تمام» قلنا: لم يكن المتنبي من شعراء عصره فهو من شعراء القرن الثالث الهجري والمتنبي من شعراء القرن الرابع، وسؤال الناس أبا العلاء المعري عنهم لا يستوجب تعاصرهم، وجاء في ص ٥٠٦ منه «في كتاب العين لصاحبه الليث بن المظفر بن نصر بن سيّار وليس للخليل بن احمد كما توهمه قوم» . قلنا: هذا من إنكار الحقائق وقد نشرت مجلة المجمع العلمي لأحد الأُدباء مقالة أيد فيها نسبة العين الى الخليل بأسلوب حسن، قال ابوهلال العسكري: «أول من وضع اللغة على الحروف وأول من عمل العروض أبو عبد الرحمن خليل بن احمد ... أخبرنا ابو احمد عن الصولي قال سمعتُ احمد بن يحيى يقول: انما وقع الغلط في كتاب العين لان الخليل رسمه ولم يحشه ولو حشاه ما بقي فيه شيئاً»[1]

وقال سلمة بن مسلم العماني العوتبي الصحاري: «ومن فراهيد أهل عُمان قبل ابن دريد ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفرهودي وكان خرج الى البصرة وأقام بها فنسب اليها وهو صاحب كتاب العين الذي هو امام الكتب في اللغة، وما سبقه الى تأليف مثله أحد واليه يتحاكم أهل العلم والأدب في ما يختلفون فيه فيرضون به ويسلمون اليه وهو صاحب كتاب النحو واليه ينسب وهو أوّل من بوّبه وأوضحه ورتبه وشرحه وهو صاحب العروض والنقط والشكل والناس تبع له وله فضيلة السبق اليه والتقدُّم فيه»[2]، وقد جرى لكتاب الصحاح ما جرى لكتاب العين من إتمام تلميذ المؤلف له: أما كتاب العين فمن أخباره ما ذكره الوزير ابو القاسم

(١) كتاب الأوائل، مخط . رقمه ٥٩٨٦ ورقة ١٩٧ من دار الكتب الوطنية بباريس، ثم قال: «لأن الخليل لم يرَ مثله وقد حشا الكتاب قوم علماء الا أنه لم يؤخذ عنهم رواية وانما وجد بين الوراقين فاختل الكتاب لهذه الجهة» . (٢) سلمة بن مسلم العوتبي في كتابه «أنساب العرب» مخط . رقمه ٥٠١٩ ورقة ٢٧٧ من نسخة باريس .

المغربي في ذيل فهرست ابن النديم قال: « ذكر ابو عمر الزاهد قال أخبرني ابو محمد[1] الأنباري قال: قدمتُ الى بغداد ومحمد صغير وليس لي دار فبعث بي ثعلب الى قومٍ يقال لهم بنو بدر فأعطوني شيئاً لا يكفيني وذكروا كتاب العين فقلتُ: عندي كتاب العين، فقالوا: بكم تبيعه؟ فقلت بخمسين ديناراً. فقالوا لي: قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل. قلت: فان لم يقل إنه للخليل بكم تأخذونه؟ قالوا: بعشرين ديناراً. فأتيت أبا العباس ثعلباً من فوري. فقلت له: ياسيدي هب لي خمسين ديناراً. فقال لي أنت مجنون وهذا تأكيد. فقلت: لستُ أريد من مالك. وحدثته الحديث. قال: أفأ كذب؟ قلتُ: حاشاك ولكن أنت أخبرتنا انّ الخليل فرغ من باب العين ثم مات، فاذا حضرنا بين يديك للحكومة ضع يدك على مالاتشك فيه. فقال: تريد ان انجش[2] لك؟ قلت: نعم. قال: هاتهم. فبكروا وحضرت، فأخرجوا الكتاب وناولوه وقالوا: هذا للخليل أم لا؟ ففتح حتى توسط باب العين وقال: هذا كلام الخليل (ثلاثاً). فأخذت خمسين ديناراً »[3] فيجب علينا الانتهاء إلى أخبار ثقات الملة الاسلامية والوقوف عندها والركون اليها: وقال احد النقلة: « وكان الليث بن المظفر صاحب الخليل بن احمد أحد من أخذ عن ابي عبد الله القاسم بن معن المسعودي الكوفي، النحو واللغة وروى عنه وأدخل في كتاب الخليل من علم القوم شيئاً كثيراً فأفسد الكتاب بذلك »[4]. قلنا: فيجب أن نكون من القائلين بمذهب الواقع فلا نُرسل الكلام على عواهنه، فالكتاب للخليل وطرأ عليه فساد من تلامذته وهذا لا يمنع أن يكون هو صاحبه، والظاهر ان الذي جرّأهم على إطلاق القول ما ورد عن الأزهري اللغوي، قال: « وممن ألف وجمع من الخراسانيين في زماننا هذا فصحف، وأكثر فغير رجلان أحدهما يسمى احمد بن محمد البشتي فانه الف كتاباً سماه التكملة اراد انه كمل كتاب العين المنسوب الى الخليل بن احمد بكتابه[5] » والإنسان لم يخلُ قط من حسد الا الذين

(١) يعني القاسم بن محمد بن بشار الأنباري. (٢) أي أمدح الشيء المباع مواطئاً لك.

(٣) معجم الأدباء « ج ٦ ص ١٩٧ ». (٤) المرجع المذكور [ص ٢٠٠].

(٥) المرجع المذكور [ج ٢ ص ٦٥].

أخلص الله طينهم فجعل منهم أنبياء وأولياء . وعلمنا من اخبار ابي زيد حنين بن اسحاق العبادي الطبيب انه دخل البصرة ولزم الخليل بن احمد حتى برع في اللسان العربي وادخل كتاب العين بغداد[١] »

وقال الأنباري في ترجمة الخليل : « وضبط اللغة وأملى كتاب العين على الليث ابن المظفر[٢] » وقال ابو سعيد السيرافي : « وحصن اشعار العرب بالعروض وعمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذي به يتهيأ ضبط اللغة[٣] » . وقال ابن خلكان : « قال حمزة بن الحسن الاصبهاني في حق الخليل بن احمد في كتابه الذي سماه (التنبيه على حدوث التصحيف) ... ومن تأسيسه كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة ... قال ابن خلكان : واكثر العلماء العارفين باللغة يقولون إن كتاب العين في اللغة المنسوب الى الخليل ليس تصنيفه وانما كان قد شرع فيه ورتب أوائله وسماه بالعين ثم توفي فأكمله تلامذته : النضر بن شميل ومن في طبقته كمؤرج السدومي ونصر بن علي الجهضمي (كذا) وغيرهم فما جاء عملهم مناسباً لما وضعه الخليل في الأول فأخرجوا الذي وضعه الخليل منه وعملوا أيضاً الأول فلهذا وقع فيه خلل كثير يبعد وقوع الخليل[٤] في مثله » قلنا : وهذا الخبر ينقض قول من قال إنه كتاب الليث بن المظفر ، ثم إن استبعاد الخطأ على عالم لا يمنع من وقوعه في الخطأ ، وأي كتاب لغوي تركه الخليل حتى يقايس به العين فيعلم ان هذا لا يكون من الخليل ؟ !

وقال الحافظ المزّي المتوفى سنة «٧٤٢» ه : «الخليل بن احمد الأزدي الفراهيدي ويقال الباهلي ابو عبد الرحمن البصري صاحب العروض وصاحب كتاب العين في اللغة ... وقال ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي في أخبار النحويين[٥] ... » وذكر قوله الذي قدمنا الإشارة الى مضمونه وقال الصفدي : « الخليل بن احمد

(١) القفطي في تاريخ الحكماء [ص ١١٨] من طبعة مصر (٢) نزهة الألباء ص ٣٠ من طبعة مصر . (٣) أبو سعيد السيرافي في [أخبار النحويين البصريين ص ٣٨] . (٤) الوفيات [١ : ١٩١] من طبعة العجم . (٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (مخط) . رقمه ٢٠٨٩ ورقة ٩٦ من دار الكتب الوطنية باريس .

ابن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي ... وقد فتح عليه بالعروض فوضعه «كذا»[1] وصنف كتاب العين في اللغة ... قال حمزة الاصفهاني ... وقال حمزة أيضاً في كتاب الموازنة بين العربية والعجمية : وللعرب فضل على غيرهم من الأمم بما اتفق لعلماء لغتهم من تقييد الفاظهم في بطون الكتب وعلماء الفرس تدّعي مشاركتهم في هذه الفضيلة ويزعمون ان لغتهم كانت منتشرة ذاهبة في الضياع على غير نظام الى ان ظهر مجمعها بعد انتشارها فيلسوف دولة الإسلام الخليل بن احمد الفرهودي ومن الفرس كان أصله ، الثالثة ما منحهم في لغتهم من حصرها إياها في الكتاب الذي سماه العين فبدأ فيه بسياقة مخارج الحروف ...[2]» وقال ابن جماعة الكناني: «هو الامام الجليل المشهور مستنبط علم العروض ... ويقال : ان الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة وان أبا زيد الأنصاري كان يحفظ ثلثي اللغة وكان الخليل يحفظ نصف اللغة وكان أبو مالك عمرو بن كركرة يحفظ اللغة كلها[3]» قلنا : وهذه الأقوال ليست بذوات بال، ولا نود الاطالة بذكر مانقله السيوطي في طبقات النحاة والمزهر فذلك معلوم

٤٤ — وورد في ص ٥٠٦ أيضاً في الحاشية «السيبجي ... نسبة الى سيبج ... ومن الغريب ان اللغويين قالوا في جمع سيبجي سبابجة بيائين موحدتين ... فجميع دواوين اللغة واهمة في ذكرهم بصورة سبابجه والصواب سيابجة أي بياء مثناة تحتية بعد السين» اهـ . كان على الناقد ان ينقل تصريحاً منهم بأن الجمع سبابجة لاسيابجة ، والا فهو محمول على خطأ النسخ أو الطبع ، ففي صحاح الجوهري من طبعة بلاد العجم ما هذا نصه «والسيابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحُراس السجن والهاء للعجمة والنسب قال يزيد بن مفرغ الحميري :

وطماطيم من سيابيج خُزر يلبسوني مع الصباح القيودا»

وقد جاء بالياء آخر الحروف ، وقال رضي الدين الاستراباذي في جمع المنسوب والأعجمي : «وقد اجتمع العجمة والنسبة في برابرة جمع بربري وسيابجة جمع سيبجي

---

(١) المشهور تأنيث العروض (٢) صلاح الدين الصفدي في [الوافي بالوفيات مخط. رقمه ٢٠٦٤ ورقة ٢٥] من دار الكتب المذكورة (٣) عز الدين بن جماعة في [التعليقة] في تراجم أدباء الشعراء والمنشدين ، مخط رقمه ٣٣٤٦ ورقة ٩١ من نسخة باريس .

على وزن ديلمي وهم قوم من الهند يبذرقون[1] المراكب في البحر وقد يقال سابج بألف كخاتم [2] ، ثم ان السيابجة « وردت في تاريخ الطبري قال في حوادث سنة «٣٦»ﻫ ما نصه «فخشي بعض الزُط والسيابجة ان يكون جاء لغير ماجاء له فنحياه . فبعثا الى عثمان [بن حنيف] : هذه واحدة[3] » . وورد في أخبار حرب الجمل قولهم : « وأخذوا السيابجة وهم سبعون رجلاً فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فقالت ... وأرسلت عائشة الى الزبير ان اقتل السيابجة فانه قد بلغني الذي صنعوا بك ... » وكان الناقل قد قال : « فتقدم عثمان [بن حنيف] ليصلي بهم فأخره اصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاءت السيابجة وهم الشرط حرس بيت المال فأخرجوا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم اصحاب الزبير ... » قال ابن أبي الحديد بعد ذلك : « قلت : السيابجة لفظة معربة ذكرها الجوهري في كتاب الصحاح ... [4] » ثم إن كلام الناقد مخالف لما ذكره في موضع آخر ، قال : « ... فيقال زبجيٌ وسيبجيٌ وجمعوا هذه فقالوا السيابجة اي بسين وياء مثناة بنقطتين من تحت فألف فباء بواحدة تحتية وجيم وهاء ، فغلط بعضهم فقالوا : السبابجة أي بباءين ... والبعض الآخر السبائجة بهمزة قبل الجيم[5] » فهذا هذا — كما تراه — وذلك ذلك — كما رأيته — . وذكرهم السيابجة في باب « سبج » لا دليل فيه على باء الجمع لانهم يذكرون « الديلمي » في دلم و « الصيرفي » في صرف ، والسيبجي ملحق بهما .

٤٥ — وجاء في ص ٥٠٨ ما صورته « هذا فضلاً على انه فاته ألفاظ ومواد ... » قلنا : كنا نظن ان استعمال « فضلاً عن » هذا الاستعمال من كلام العرب الصحيح وكنا نحن نقوله مع القائلين ، فاذا هو من الغلط والاسقاط في القول ، وأظهر شرط في استعماله ان يتقدم في جملته فعل او شبه فعل من المصدر والمشتقات ، قال الفيومي في المصباح : « وقولهم لا يملك درهماً فضلاً عن دينار . وشبهه معناه : لا يملك درهماً

(١) البذرقة هي مايسمونه اليوم [مواكبة المراكب وحراستها] . (٢) شرح الشافية [ج ٢ ص ١٨٦] . (٣) سنة ٣٦ ص ١٧٨ من طبعة مصر . (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد [مج ٢ ص ٥٠٠ — ٥٠١] . (٥) أغلاط اللغويين الأقدمين [ص ١٦٢] .

ولا ديناراً وعدم[1] ملكه للدينار أولى بالانتفاء وكأنه قال : لا يملك درهماً فكيف يملك ديناراً ? وانتصابه على المصدر والتقدير : فقد ملك درهم فقداً يفضل عن فقد ملك دينار . قال قطب الدين الشيرازي في شرح المفتاح : اعلم ان فضلاً يستعمل في موضع يستبعد فيه الأدنى ويُراد به استحالة ما فوقه ولهذا يقع بين كلامين متغايري المعنى واكثر استعماله ان يجيء بعد نفي . وقال شيخنا ابوحيان الاندلسي نزيل مصر المحروسة — أبقاه الله تعالى — : ولم اظفر بنص علي ان مثل هذا التركيب من كلام العرب . وبسط القول في هذه المسألة وهو قريب مما تقدم » اه . قلنا : قال الشريف هبة الله بن الشجري : بيت سأل عنه ابوالرضا بن صدقة مكاتبة من الموصل وهو: ووحشية لسنا نرى من يصدها عن الفتك فضلاً ان نرى من يصيدها

... قال : علام انتصب «فضلاً» وما معناه ? فأجبت بأن انتصابه على المصدر ... فاذ كان من يكفها عن الفتك معدوماً فكيف يكون من يقدرُ على صيدها موجوداً [2] » اه ومما ورد من فصيح كلامهم وبارع حكمهم « نعم لو اجتمع أهل السماوات والأرض على إحصائها ما وفوا به فضلاً عن القيام بشكرها[3] » وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي لعمرو بن بانة المغني : « ما أحسنت قط ان تأخذ فضلاً عن ان تغني ولا قمت باداء غناء فضلاً عن ان تميز بين المحسنين[4] » ومن أمثلة المثبت قول ابي هلال العسكري : « ليفهمها الغبيّ فضلاً عن اللقن الذكي[5] »

لقد بان ان أصل هذا التعبير للنفي الجزئي المستوجب للنفي الكلي ثم استعير للإثبات ، ولا يجوز ان يقال: هذا فضلاً عن انه ... » والصواب « هذا فضل على انه ... » أي « هذا زيادة على أنه ... » ويقال لهذا المعنى « ثم إنه ... » و« نضيف الى ذلك انه ... » و « مضافاً الى انه ... » و «بله انه ... » و «ودَع ما أنه ... »

(١) قوله [وعدم ملكه] من العبارات المولدة المستعارة من المتكلمين والمناطقة مع اتساع في استعمالها لأنه لا بد للعدم ان يسبقه وجود حتى يسمى [عدماً] وهذا ها هنا لم يسبقه ملك أراد [وأن لا يملك ديناراً ...] بأن الناصبة . (٢) أمالي ابن الشجري [ج ٢ص٢ ٣١ — ٣] (٣) شرح نهج البلاغة [مج ٤ ص ٥٣٠] . (٤) الأغاني (ج ٥ ص ٣٩٦) طبعة دار الكتب (٥) جمهرة أشعار العرب [ص ٣] .

و « دع أنه ٠٠٠ » و « تزيد على ذلك انه ٠٠٠ » وفي بعض هذا مندوحة عن الخطأ ٠

٤٦ — وجاء في ص ٥٠٨ من الجزء اسماء الذين ذكروا« الاشتيام» من اللغويين ، ولم يرد بينها اسم الجواليقي ، فانه قال : « قال الليث : السيبجي[1] والجمع السيابجة : قوم من السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية وهو رأس الملاّحين وقال غيره : السيابجة قوم من السند ٠٠٠[2] » فقال الطابع : « في اللسان : والاشتيام : رئيس الركاب ٠ ولم أعرف اصل هذا الحرف أعربيّ أم معرّب ولم ينصوا على شيء فيه ولعله — إن كان خاصاً برئيس الملاحين — أن يكون مشتقاً من الشتم لكثرته في هذه الطائفة ورؤسائها[2] » اه وفي القول فكاهة لاعلم ، وصورة « الشتم » أعني الشين والتاء والميم أبعد عن « الاشتيام » منها عن « الاستيام » التي تصلح لعبارات البحارة والتجارة ٠ وقد خفتَ صوت« الاشتيام »لشيوع « الربان » و « الناخذة » بين البحارة ٠

٤٧ — وورد في ص ٥٢٥ ما نصه « وحدثني صديق لأبي وعمي أيام وفد الى كور الأهواز في فتنة الزنج فلما قدمت البصرة قدمها مع أبي فأنزلنا ابو خليفة داره وأكرمنا ٠٠٠ » وجاء في الحاشية « ويظهر من الحكاية ان المحدث هو الأيزجيّ ولعل الجملة ناقصة والصواب : وحدثني قال كان ابو خليفة صديقاً ٠٠٠ » قلنا : نقصان الجملة ظاهر مبين ، لأن ابا خليفة المذكور هو الفضل بن الحباب الجمحيّ القاضي الأديب المشهور وقد توفي بالبصرة سنة [٣٠٥] ه والظاهر ان العلامة مرغليوث كان يعرف وجه الصواب من الكتاب لا بقوة اللبّ ، فقد قال ياقوت الحموي : قال التنوخي : وحدثني [ابو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الايزجي] قال : كان ابو خليفة القاضي صديقاً لأبي وعمي أيام وفد الى كور الأهواز في فتنة الزنج ، فلما قدمت البصرة قدمتها مع أبي فأنزلنا ابو خليفة داره[3] ٠٠٠ » واذ وجدنا مرجعاً ثانياً وأصلاً آخر للحكاية أمكن كل أديب مدقق ان يصحح نسخته ٠

---

(١) جاء في الأصل المسترجع (سيبجي) رهو وهم (٢) الجواليقي في المعرب [ص ١٨٣] وتراجع ص ١٩٦ منه ٠ (٣) معجم الأدباء ج ٦ ص ١٣٨ من طبعة مرغليوث الأولى ٠

٤٨ — وجاء في ص ٥٥٥ «الأمر بسيط جداً» أراد القائل بالبسيط «اليسير والهين والسهل» وما رادفهما، وليس ذلك بفصيح، ولئن جاز استعمال «البسيط» ضداً للمركب في علم الطبيعيات والكيمياء والصوت انه غير مقبول عند الفصحاء لان الأمر البسيط من البساطة وهي السعة، فالأمر البسيط ان دل على معنى أدبي فانما يدل على «أمر واسع» كما يقال «دعوى عريضة»، وكذلك قولهم: «هذا أبسط من ذلك» يدل على عكس ما أرادوا، لأنهم أرادوا «أهون وايسر واقل ساذجية» ومعناه الصحيح «أوسع واكثر فيحاً واتساعا»، ونحن اذا أثبتنا صحة قولنا بشتى[1] تعابير الفصحاء ثبت للأديب حق تنبيهنا، قال الفيروزأبادي في مقدمة القاموس: «وكنت برهة من الدهر التمس كتاباً جامعاً بسيطاً، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً» واشتقوا منه اسم تفضيل هو «أبسط» اي اوسع، قال ابن خلكان في شرح مقصورة ابن دريد وشروحها: «ومن أجود شروحها وابسطها شرح الفقيه ابي علي محمد بن احمد بن هشام بن ابراهيم اللخمي السبتي[2]»، وقال الفراء: للأدباء وطلاب العلم: «إني مملٍ كتاب معانٍ أتمّ شرحاً وأبسط قولاً من الذي أمليت[3]» وقال عبد القادر البغدادي: «وروى يعقوب بن السكيت في شرح ديوان طرفة، القصة بأبسط من هذا قال: إن طرفة ...[4]» وبالبسيط سُمي كتاب حجة الاسلام أبي حامد الغزالي، بسط به نهاية المطلب في فروع الفقه الشافعي لإمام الحرمين عبد الملك الجويني.

٤٩ — وورد في ص ٥٥٤ كلام على «فند الشمع» وكان أحد الاساتذة الأعلام يرى انّ «الفند» الذي للشمع شبيه بأغصان تغرس ليلاً في المجالس فيجنى منها نور بدل الثمار يطرد الحنادس». وهذا قول مقبول جميل وعلة التسمية مبينة راهنة، ألا ترى انهم سموا «الفانوس» باسمه للتشبيه و «ثريا» الشموع كذلك، وقالوا: «زهر الشمع» قال ابن شاكر الكتبي في ترجمة ابن عز القضاة اسماعيل

(١) أعلمني تلميذ من تلامذتي أن (مثقفاً) ببغداد منعه من إضافة (شتى) فقلت له: لا تحرّج على اللغو بعد أن تسمع قول الراعي الشاعر العظيم شاعر بني أمية:

جمعوا قوىً مما تضمّ رحالهم شتى النجار ترى بهن وصولا

(٢) الوفيات (٢ : ٧٤) من طبعة العجم. (٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٤ ص ١٥٠.

(٤) خزانة الأدب ج (٢ ص ١٨٣) طبعة دار الصور.

ابن علي بن محمد ما هذا نصه «وقال يصف زهر شموع :

وزهر شموع ان مددت بنانها لتمحو سطور الليل نابت عن البدر
وفيهن كافورية خلت أنهـا عمود صباح فوقه كوكب الفجر
وصفراء شاحباً شاب رأسه (؟) فأدمعها تجري على ضيعة العمر
وخضراء يبدو وقدها فوق قدها كنرجسة تزهى على الغصن النضر
ولا غرو ان تحكي الأزاهير حسنها أليس جناها النحل قدماً من الزهر[1]

فالتسمية بزهر الشمع نشأت من اجتماع كافورية وصفراء وخضراء . فلماذا لا يسمى «فند شمع» ؟ ! أما قول الناقد : الفند معروفة بهذا المعنى الى يومنا هذا في العراق كله من شماليه الى جنوبيه ومن شرقيه الى جنوبيه[2] (كذا) ، ففيه تسامح وتجوّز لأنه معروف في البيع والديارات وعند من يتأله فيها او يختلف اليها ، ثم جاء في ص ٥٥٦ من الجزء كلام عالم مشهور فأثبت ان كلمة «الفند» شاعت في بلاد الشام قبل القرن السابع للهجرة لأن الأمير سيف الدين المشد المشهور بين الشعراء والأمراء استعملها في شعره ، وكان لهذا الاثبات أثر محمود في معرفة الكلمة وحجة مبينة لقدمها ، فجزى الله - تعالى - محيي العربية والثقافة الاسلامية أحسن جزاء .

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد



(١) ابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات ج ١ ص ١٦) من طبعة بولاق .
(٢) أراد (غربيّه) .

مخطوطات و مطبوعات

ثمار المقاصد في ذكر المساجد

ليوسف بن عبد الهادي – نظر فيه الاستاذ محمد أسعد طلس

وهو في ١٨٤ ص وعدد صفحاته مع الذيل والفهارس ٣٣٢

طبع في بيروت سنة ١٩٤٣

وهو الجزء الثالث من مجموعة النصوص الشرقية التي ينشرها المعهد الفرنسي في دمشق

قدم الأستاذ الناشر بحثاً مستفيضاً في ترجمة ابن عبد الهادي وتآليفه الكثيرة المنوعة الموضوعات وعلق على الكتاب الأصلي تعليقات مفيدة تفسر غامضه وتشرح مقاصده وذيل عليه ذيلاً طويلاً عرض فيه لوصف ٣٠٨ مساجد وجوامع حديثة على الأكثر زارها بنفسه ونقل ما نقش عليها من الكتابات والرقم فجاء اصل الكتاب وفرعه مستوفى في موضوعه يحس فيه المطالع اثر البحث والدرس

وقد وقعت في الكتاب الأصلي وفرعه بعض أغلاط لا يكاد يسلم منها كتاب قديم يراد إحياؤه منقولاً من مسودة مخطوطة : ومن ذلك (ص ٨٠) المدرسة الفليجية ص القليجية (٨٩) قاسارية – قيسارية (٩٧) الحريزانيين – الخريزاتيين (١٠١) للخطى الأول – للنمط الأول (١١٠) قوله ان قرية داعية في الغوطة لا تزال موجودة عامرة غير صواب فان القرية دثرت ولم يبق الا اسم النهر المنسوب اليها وهو « الداعياني » وضمت ارض داعية الى أرض حمورية (١٢٠) المعدين – المعدلين . (١٢٥) القبة المحدودية – أظنها المهدوية (١٢٨) الزوادي – الزواوي (١٣٥) سكاء لا تعد من قرى الغوطة (١٣٩) القاسمية من قرى المرج وكذلك الصالحية والفضالية (١٣٧) حرستا المنظرة – القنطرة (١١٣) الزرابلية صحيح لا الزلابية والزربول هو المداس الغليظ فليحرر (١٥٠) الحله(؟) الماء – حلة الماء (٢٠٤) معين الدين اتز – اتسز

وقد قدمه الى القراء صديقنا الأستاذ خليل مردم بك وانا أشكر الأستاذ الناشر على عنايته بهذا السفر وأرجو ان يوفق الى إخراج أمثاله كما اشكره لتفضله بتقديم سفره النافع الي .

محمد كرد علي

المجتمع ومشاكله

لجروف ساموبل داو استاذ علم الاجتماع بجامعة دنفر (اميركا)

{ نقله الى العربية الأستاذ أحمد رمزي بوزارة المعارف العمومية بمصر }
{ وطبع بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٩٣٨ ص ٤٨٨ من القطع الكبير }

احسنت وزارة المعارف المصرية بنشر هذا الكتاب المطول في الاجتماع ففيه اشياء تكاد تكون مبتكرة لم يخض عبابها الكتّاب من قبل وقد أبان فيه الغرض من تأليفه فتوسع في الكلام على علم الاجتماع وعلى الهجرة ومشكلة الجنس والأسرة والفقر والجريمة وألمّ بتطور الأوضاع والقواعد العامة التي بنيت عليها النظرية الاجتماعية . ومن أهم ابحاثه تطور الأسرة والمنزل والدين والأخلاق والتربية والضبط الاجتماعي والتنظيم والفقر والجريمة والفسق ومعالجة ذوي العاهات . « ولقد حاول المؤلف ان يدل على ان الامريكيين يتناولون هذه المشاكل بما يجب لها من الاستنارة وعلو التقدير وانه لهذا السبب ينظر الى المجتمع الحاضر نظرة تفاؤل ورجاء » . والترجمة العربية حسنة في ذاتها الا انه كان على المترجم ان يعلق على هنات وقعت للمؤلف عند كلامه على الإسلام شأن معظم المؤلفين في الغرب عن لم يدرسوه في مصادره الموثوق بصحتها ولا وقفوا على ما كتبه بعض علماء المشرقيات الذين لم يستهوهم الغرض في الحكم على الإسلام . مثال ذلك قوله (ص ٢٦٣) : « والمعروف عن محمد (عليه السلام) ، انه ساح كثيراً فكان له من هذا عون على الاتصال بهذين الدينين (المسيحية واليهودية) وكذلك تهيأت له أسباب التفكير والدرس ايام كان يرعى الغنم في البادية) (؟) والثابت ان الرسول لم يرحل كثيراً كما أراد أعداء الاسلام ان يتقولوا عليه فهو لم يتعد حدود تيماء في تنقله ولا وصل أرض الشام ولا ارض اليمن كما زعم بعضهم ، حاولوا ان يتقولوا عليه في رحلاته لينتهوا من هذه المخرقة الى انه اخذ عن الرهبان وغيرهم من يهود . وقوله (ص ٢٧٦) (لما اتصل الإسلام بالفلسفة الاغريقية في الشام وآسيا الصغرى كان لا بد من تفسير القرآن على القواعد الاغريقية) وهذه أيضاً من الغلطات الظاهرة ولم نفهم كيف فسروا القرآن على القواعد الاغريقية . الى غير ذلك مما سقط فيه المؤلف لجهله بتاريخ العرب والاسلام .

م . ك

مجموع رسائل الجاحظ

نشر الاستاذان : باول كراوس ومحمد طه الحاجري أربع رسائل للجاحظ وهي : رسالة المعاد والمعاش وكتاب كتمان السر وحفظ اللسان ورسالة في الجد والهزل ورسالة فصل ما بين العداوة والحسد .

وقد أشارا في المقدمة الى شيء من خصائص الجاحظ مثل صدق تصويره للنزعات الانسانية وبراعة اشتشفافه لخفايا النفوس وحركات القلوب وقدرته على عرض التيارات العقلية في عصره وذكرا يسيراً من صفات الرسائل التي نشراها فقد قالا : ان هذه الرسائل أبلغ في الدلالة على صاحبها من الكتب المطولة لأنها معينة الموضوع محدودة الغرض ليس فيها شيء من الاستطراد فكل رسالة منها وحدة قائمة بذاتها ، توفر الكاتب عليها ووجه فنه الى غايتها فمضى فيها نشيطاً ، موفور القوة ، لا تأخذ طبعه فترة يضعف فيها فيتكلف ويتصنع ، ولا يناله ملل يرهقه ويقف به فيلتمس ما يبعث نشاطه ، فيغير سبيله .

ذكر الأستاذان المصادر المحفوظة التي اعتمدا عليها ، واصطلحا على بعض إشارات لمعرفة القراءات المختلفة تفادياً من الأرقام الكثيرة التي تشتت الخاطر في متابعة القراءة ، واقتصدا في عبارات التعليق اعراضاً عن الكلمات الكثيرة التي تعتبر نوعاً من الفضول .

لا يزداد الانسان اطلاعاً على آثار الجاحظ الا ازداد تعظيماً لهذا العقل العجيب ، والفهم الثاقب ، والدراية الواسعة والمعرفة الدقيقة فقد تصفح أخلاق الناس وتدبر أعمالهم وتأمل حركاتهم فعرف مقادير هذا كله وعلم قيمه ، فعلمه ابن التجربة فكثيراً ما نجد في كلامه هذه العبارة وأشباهها : والذي جرّبناه ووجدناه ان كذا .. وكذا ... وانه الرجل الذي خبر الدنيا وامتحن الجماعات وتغلغل الى القلوب واتصل بالنفوس فأحاط بدفائنها وظفر بأسرارها وكشف عن غوامضها فلا يغفل عن شيء من معاملات الناس وطبائعهم فاذا رسم لنا الحكمة فى بعض رسائله ودلنا على سبيل الحياة وذكر لنا كيف ينبغي للانسان ان يعامل الانسان في هذه الدنيا فانما يفعل هذا كله عن خبرة تامة وتجربة صادقة فمن أخذ بقوله وانتفع بحكمته عاش في هذه الحياة

على نحو ما قال : رخيّ البال ، قليل الهم ، كثير الصديق ، قليل العدو ، سليم الدين ، نقي العرض ، محمود الفعال جميل الأحدوثة في الحياة وبعد الوفاة !

اما فنه فلا يتسع هذا المقام لأن أقول فيه أكثر من قولي الآتي : فقد ملك اللغة بجذافيرها فصرّفها كيف شاء وانى شاء ! .

شفيق جبري

تاريخ غزة

تأليف : عارف العارف

عاش الأستاذ عارف العارف قائم مقام غزة ردحاً من الزمن في هذه المدينة القديمة ، تيسر له في خلاله أن يطلع على أشياء كثيرة من أخلاق أهلها ومن فوارقها الاجتماعية وعواملها الاقتصادية وحوادثها التأريخية ، فجمع كل ما أمكنه الاطلاع عليه فى هذا الباب ثم محصه وصنفه ودوّنه في كتاب : تأريخ غزة ، ليقف عليه كل قطر عربي حتى تنشأ الألفة بين مجامع أقطار العرب .

بحث في تأريخه عن مكانة غزة في التأريخ ثم تكلم على بناة غزة الأقدمين وعلى غزة في مختلف عهودها ، من أول عهد عرفت فيه الى يومنا هذا ، ثم وصف أخلاق أهلها وطبائعهم وملابسهم وأزياءهم وأعيادهم ومواسمهم وجوامعهم ومساجدهم والكتاب يشتمل على صور كثيرة .

لغة الكتاب سهلة ليس فيها شيء من التعقيد ، وأفكاره واضحة ليس فيها شيء من الظلمة ، والكتاب فيه غير قليل من التحقيق ، ففي كلام صاحبه على المصريين الذين سكنوا غزة في القديم اشارة الى تشابه المصريين وأهل غزة في كثير من الأمور ، في اللباس واللهجة والعادات والأفراح والمآتم وتقاطيع الوجوه والأبنية والمآكل وغير ذلك .

والذي قدر له ان يعيش في غزة وضواحيها وان يشاهد بعينيه ما شاهده مؤلف الكتاب يتبين له صدق مشاهدة الأستاذ عارف العارف وتحقيقه فتكاد تكون غزة جزءاً متمماً لمصر أو بقعة منها .

فالتأريخ الذي يظهر عليه أثر التحقيق اما بالمشاهدة أو بمثلها تصبح له قيمة غير قليلة وتأريخ غزة من هذا القبيل .

ش . ج

معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية

تأليف الأمير مصطفى الشهابي

تفتقر اللغة العربية الى المعاجم العلمية افتقارها الى المؤلفات التي تبحث في هذه العلوم، لا بل ان افتقارها الى هذه المعاجم يفوق حاجتها الى المؤلفات العلمية ذاتها لأن الاختصاصيين في مختلف العلوم طبية كانت أو زراعية او هندسية او حقوقية او ما سوى ذلك قد اصبحوا بفضل النهضة التي ذرّ قرنها في البلاد العربية كثيرين، ولأن تعلم اللغة العربية قد أصبح عاماً فزالت تلك العجمة من الألسن والأقلام واستوت اللغة في السدة الرفيعة التي تستحقها بين أبنائها. غير انه لا تعلم العلوم ولا التضلع من اللغة بكافيين لوضع المؤلفات العلمية لأن المؤلف اذا ملك ناحية العلم الذي يكتب فيه وهانت عليه اللغة التي يستخدمها للإفصاح عن أفكاره قامت في وجهه عقبة لا يسهل تذليلها هي عقبة المصطلحات العلمية ولست اغالي اذا قلت ان اللغة العربية ستصبح من أغنى اللغات بمؤلفات أبنائها اذا ما ذللت هذه العقبة الكؤود ووضعت المعاجم العلمية للمؤلفين.

ولا يخفى ان اللغة العربية بعد نهضتها في العهدين الأموي والعباسي نامت عن العلم نوماً عميقاً غير ان العلم لم ينم معها بل سار يخطو الجبابرة الى الأمام فتكونت بينها وبينه هوة سحيقة لا يستطيع ملأها غير الأفذاذ من أبنائها واستحدثت ألوف المصطلحات في علوم شتى لم يكن لها اي أثر في الحضارة العربية الغابرة فاذا عربت هذه المصطلحات عمت الفوضى اللغة وطغت عليها العجمة واذا ترجمت صعبت ترجمتها على من لم يكن واقفاً على أسرار اللغة والعلم معاً.

ذكرت هذه الكلمة المقتضبة لأبين ما للمعاجم العلمية من الشأن في نهضتنا الحاضرة فهي الأس الذي يبنى عليه كيانها. ومتى عرفنا ان المعاجم التي وضعت حتى الآن لا تفي بالمراد أدركنا الخدمة الجلى التي اسداها العلامة الأمير مصطفى الشهابي بوضع هذا المعجم الزراعي الى لغته وبني قومه.

قلت ان هذه المعاجم العلمية قليلة والبعض منها محشو اغلاطاً لا يصح الاعتماد

عليه وان خير عمل تقوم به البلاد العربية مشتركة هو وضع معجم جامع لمصطلحات العلوم إجمالاً وهذا ما يسعى اليه مجمع فؤاد الأول للغة العربية غير ان العمل الذي يقوم به ضيق النطاق والنتيجة التي سيفضي اليها عمله ضئيلة لا تجنى ثمارها الا بعد عشرات السنوات لان هذا المجمع مع احترامنا لأعضائه الأفذاذ الذين يتألف منهم عقده يضع ما يضع • غير مراعٍ ما قام به سواه في مختلف البلدان العربية وغير مسترشد أحياناً بآراء الاختصاصيين فيأتي بعض أوضاعه مبايناً لما وُضع له •

أما المعجم الذي نتكلم عنه فهو من خير المعاجم ان لم نقل أفضلها لان مؤلفه قد ملك ناحية العلم واللغة معاً فجدير بنا ان نثق بما وضع وان نكبر ما صنع كيف لا وهو عضو المجمع العلمي العربي بدمشق وخريج مدرسة غرينيون الزراعية في فرنسة وقد تولى مديرية الزراعة فمديرية أملاك الدولة في الجمهورية السورية مدة خمس عشرة سنة فكان درسه الوافي واختباره الطويل كافيين للاطلاع على مدلولات الألفاظ التي يضع مصطلحاتها في اللغة العربية •

يقع هذا المعجم في ٦٥٦ صفحة زد عليها الفهرس الهجائي المتقن باللغة العربية الذي ذيل به هذا المؤلف والواقع في ٩٩ صفحة أخرى •

وقد رجع المؤلف العلامة الى مصادر عديدة تعد بالعشرات في صدر هذا المصنف منها ما هو علمي ليقتبس منه المعنى الأصلي لا سيما النباتات العلمية ومنها ما هو لغوي لوضع المصطلحات العربية الموافقة لتلك الأوضاع المستحدثة فكان عمله من أشق الأعمال وأضناها ومن الأمور التي لا يقوم بها الفرد الا من وثق بنفسه وكان متحلياً بالجلد والصبر • ومتى عرفنا ان هذا العمل قد استغرق زهاء عشرين سنة ادركنا عظمته واكبرنا همة مؤلفه التي لا تعرف الكلل •

أما الطريقة التي انتهجها المؤلف في وضع المصطلحات فاننا نلخصها مما جاء في مقدمة كتابه بما يلي : فكلما كان يعثر في المعاجم العربية او الكتب الزراعية العربية القديمة الموثوق بها على كلمة عربية او مولدة يوافق معناها أو يقارب معنى الكلمة الفرنسية او العلمية كان يرجح تلك الكلمة العربية او المولدة قديماً على غيرها من الكلمات •

أما النباتات التي لم يعرفها علماء العرب فلم يعربها المؤلف كما صنع البعض من مؤلفي المعاجم بل وضع لها مصطلحات عربية توافق معانيها ولم يعرب منها سوى اسماء النباتات المسماة باسماء النباتيين الذين كشفوها . ولم يرجع في وضع اسماء الحشرات الزراعية الى الطريقة التي اتبعها في وضع اسماء النباتات الزراعية اي الى أصول الاسماء العلمية لتلك الحشرات الا نادراً بل اكتفى بإضافة اسم الحشرة الى النبات الذي تستولي عليه فقال مثلاً سوسة الفول وذبابة البرتقال وخنفساء الحنطة والخ .. وهذه الطريقة وان لم تكن علمية متبعة في تسمية كثير من الحشرات باللغات الأوربية .

اما اسماء الأجسام الكيمياوية فقد عرّبها جرياً على خطة معظم العلماء لأنه رأى من المتعذر ترجمة الأدوات العديدة التي تضاف الى أول الاسم الفرنسي أو الى آخره فنقلب مدلوله مادة جديدة فقال كبريتاة وحامض خليك والخ .. واذا جاربنا المؤلف في رأيه لما في وضع المعجم الكيمياوي باللغة العربية من الصعوبة بل لأن هذا المعجم بحسب رأينا هو أكبر عقبة سيواجهها اللغويون والكيمياويون الذين سيعهد اليهم القيام بهذه المهمة ، فاننا لا نجاريه في تعريب ما سهل منها ريثما تجمع الآراء على سن القواعد التي ستتبع في وضع هذه المصطلحات فلا نقول حامض خليك (الصفحة ٣٠) وحامض ليمونيك (الصفحة ١٦٨) بل حمض الخل وحمض الليمون لأن الحمض كما جاء في اللسان كل نبت في طعمه حموضة .... وانه لشديد الحمض والحموضة . ولا يخفى ان كلمة (acide) هي اسم للحموضة لا صفة عادة حامضة فاذا قيل حمض الخل او الليمون قصد منه تلك الخاصة الكائنة فيه لا ان الخل حامض او الليمون حامض فلا يجوز استعمال لفظ (الحامض) الذي يدل على الصفة بالعربية في ترجمة (acide) بل يجب ان تترجم بكلمة حمض أما الكسوع الملحقة في أواخر تلك الأسماء لتجعلها صفة للحمض فلنا عنها غنى باستعمال التركيب الاضافي فنقول حمض الخل وحمض الليمون لا حامض خليك وحامض ليمونيك .

ولم يحجم المؤلف عن ذكر عدد من الأفعال المشتقة والاسماء المنحوتة حديثاً

وان كان بعض فقهاء اللغة يعدون الاشتقاق والنحت سماعيين وهذا ما يشكر عليه كل الشكر فلو عاش هؤلاء العلماء في أيامنا واطلعوا على العلوم الحديثة وما تستلزمه من الأوضاع لجروا في هذا المضمار شوطاً بعيداً .

هذا ما نقوله اجمالاً في هذا المعجم الفريد الذي سدّ به مؤلفه العلامة فجوة كبيرة في جسم اللغة العلمية شاكرين له عمله الجبار وخدمته الجلى لبني قومه التي لا تضاهيها خدمة وسائلين غيره من العلماء في مختلف العلوم ان يحذوا حذوه ليكمل هذا العقد الذي تحن اللغة العربية منذ زمن طويل الى تحلية جيدها به والسلام .

مرشد خاطر

إعلام شرعيّ
صادر عن محكمة حمص الشرعية من قبل القاضي (محمد الأهدلي)
خمسون صفحة بالقطع الكامل

كان الشيخ محمد (المعروف بالكافي) المغربي التونسي المقيم بدمشق أصدر نشرة زعم فيها ألا مصحف ولا قرآن إلا مصحف الإمام عثمان بن عفان (رض) ونهى ان يطبع طابع على رسم حافظ عثمان الشهير لأن رسمه — في زعمه — إلحاد في كتاب الله تعالى ، ولأنه « وقع فيه خلل بترك كلمات من كتاب الله تعالى تنوف على مائتي الف كلمة ، وبزيادة كلمات بدل الكلمات المتروكة ، وبزيادة أحرف تقرب من ذلك العدد » وكلمات القرآن كلها (٧٧٤٣٩) كلمة كما يعلمها الحفاظ ، فهي أقل من نصف ما ادعى تركه أو زيادته بكثير ، فنعوذ بالله من سوء المنقلب . ثم حكم بكفر من يطبع مصحفاً أو جزءاً منه على نحو رسم مصحف حافظ عثمان . قال : «وتبين منه زوجه إذا كان متزوجاً ، وتحبط جميع أعماله» ولا يخفى ان مزاعم الكافي هذه لم يسبقه مسلم اليها ، بل لم يجرؤ إنسان غيره عليها ، وهي تدعو الى فتن كقطع الليل المظلم (منها) محاولة تجريد المسلمين من القرآن ، وهو عندهم منبع الفضائل والعرفان ، وأساس الحضارة والعمران ، (ومنها) أن المصحف الإمام مكتوب بخط كوفي من غير نقط ولا ضبط فلو فرض وجوده فمن ذا يستطيع ان يعلم او يتعلم منه غير افراد قليلين من بين مئات الملايين (ومنها) تكفير من

نقطه او ضبطه أو رسم ولو بعض حروفه رمما يحفظه من وقوع اللحن والتحريف من عصر الصحابة إلى الآن (ومنها) الحكم على الأزواج بالبينونة ، والأولاد بالفساد ، فهو يمزق الأسرة الاسلامية في كل مكان شر ممزق . وقد انبرى له الأستاذ الجليل الشيخ محمد جميل الشطي المفتي الحنبلي بدمشق وفند مزاعمه كلها برسالة مصدقة من شيخ قراء الشام الأستاذ الشيخ محمد سليم الحلواني .

ولكن وياللأسف قد وقع من بعدُ ما كان متوقعاً ، فقد ادعت زوج الأستاذ الشيخ محمد نديم الوفائي إمام جامع النخلة في حمص ومدرسه وخطيبه لدى قاضي حمص الشرعي الأستاذ الشيخ محمد الأهدلي بأن زوجها يتلو القرآن في مصحف حافظ عثمان ، وأنها آنست منه العزم على طبعه ، فطلبت الحكم بمنعه ، او التفريق بموجب حكم الكافي وشرعه !! وأقامت وكيلاً على ذلك ، فقرر الحاكم الاستفتاء من اصحاب الفضيلة مفتي الشام وبيروت وطرابلس وحمص وحماة واللاذقية وحلب ودير الزور ، ثم مفتي الديار المصرية والديار العراقية والديار الفلسطينية وقد وردت أجوبة المفتين الكرام من بلدان الشام ساحلها وداخلها — عدا جواب حمص — ونشرت في (الإعلام) هي وجواب المفتي الحنبلي بنصها ، وهي جميعها صريحة في رد ما يقول هذا الطاعن في الأمة وقرآنها ، ثم كان الحكم العادل للقاضي الفاضل الأهدلي ، فاستغرق ما كتبه أربعين صفحة بالقطع الكبير (ص ١٠ — ٥٠) حلل فيه الموضوع تحليلاً ، وفصل فيه الحكم تفصيلاً . مهد في أوله بذكر أصناف الهادمين للإسلام ، قديماً وحديثاً ، ونقل مآتيهم ومخازيهم من كتبهم المشتهرة . ثم عقد فصولاً في ردّ ما جاء به الكافي جملةً جملةً ، فنزه القرآن عن مطاعنه ، وبرأ الأمة من تكفيره ، وبحث في تاريخ القرآن بحثاً مدققاً ، وفي فن الرسم من أقدم العصور إلى عصر الرسالة المحمدية وما بعدها ، وأنه صناعة ، لا وحي من السماء .

ومن راجع هذا (الإعلام الشرعي) وجد فيه من الفوائد الشيء الكثير ، ورأى ان هذا القاضي الحر المستقل من الواقفين على حكمة التشريع وروح الزمن ، وقد صدقت محكمة التمييز الشرعية الجليلة هذا الحكم وجاء قرارها مؤيداً لحكم القاضي الأمين ، وفتاوي المفتين .

ملاحظة : هناك آيات كريمة وأغلاط قليلة لم تصحح في جدول الخطإ والصواب فمنها في ص ٣٢ لاينطق عن الهوى التلاوة « وما ينطق » وفي ص ٣٣ بلغ : « بَلِّغ » وفي ص ٤٠ ما يريد ان يجعل عليكم من حرج ولكن ليطهركم » : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم » وفي ص ٤٢ قل هذا سبيلي « قل هذه سبيلي » ومن غير الآيات : ص ٤١ ابن القيم الجوزية : « ابن قيم الجوزية » وفي ص ٤٣ الثقاة : « الثقات » ، إماماً أعظما : « أعظم » .

محمد بهجة البيطار

Arabic Papyri in the Egyptian Library . by A . Grohmann .

(أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية)

ثلاثة اجزاء بقطع كبير طبعت في مطبعة دار الكتب المصرية . ظهر الأول منها سنة ١٩٣٤ في ٢٧٧ صفحةو (٣٠) صورة . والثاني سنة ١٩٣٦ في ٢٥٩ صفحةو (٢٤) صورة والثالث سنة ١٩٣٨ في ٢٣٣ صفحة و (٢٤) صورة . وقدنقل المؤلف بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن الجزء الأول منها الى العربية في سنة ١٩٣٤ فجاء في ٢٤٩ صفحة و (٢٠) صورة .

جمع المؤلف فيها طائفة قيمة من اوراق البردي العربية والقبطية واليونانية المحفوظة في دار الكتب المصرية مما عثر عليه في الديار المصرية . وهي مجموعة وثائق تكشف عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية ونظام الإدارة في مصر الإسلامية في القرن الأول حتى القرن الرابع . وتشتمل هذه المجموعة على وثائق فقهية وكتاب عتق وعقود زواج وتوزيع ميراث وعقود بيع وايجار وصكوك دين وهبة . وجوازسفر وفريضة الجزية وبعض مراسلات قرة بن شريك احد ولاة مصر في صدر الاسلام . وهذه الوثائق هي أصدق صورة عن إنشاء الدواوين الرسمية في ذاك العصر والمصطلحات الادارية .

وقد عثرنا على بعض اغلاط يسيرة مطبعية وغير مطبعية منها ما جاء في الجزء الأول صفحة (٦٨) من مرض وعره وصوابه من مرض وغيره و ص (٧٤) حل ثناؤه

وصوابه جل ثناؤه (كما في لوحة ٤١ ص ٨٦ س ٥) و ص (١٨٦) لا شرط فيعه وصوابه لا شرط فيه . وقد وقعت هذه الأغلاط في النسخة المصرية أيضاً .

وجاء في الجزء الثاني صفحة (٥) او ستحق بميراث وصوابه او مستحق بميراث و ص (١٦٧) يمنه و كرمه وصوابه بمنه و كرمه . وذكر في اللوحة الخامسة رقم(٧٦)وصوابه (٨٠)

وجاء في الجزء الثالث صفحة (٨) باعث به وصوابه باعث به وص (١٦) حال الأجل وصوابه حان الأجل .

وهذا الكتاب هو حسنة من حسنات المستشرقين الذين خدموا تاريخنا ولغتنا . ونرجو ان تنقل بقية اجزائه الى العربية لتعم فائدته ابناء العرب . وقد جمع هذا الكتاب بين جلالة الموضوع وحسن الطباعة ونفاسة الورق فجاء خير مثال للكتاب الكامل الذي يرتاح اليه البصر والبصيرة .

جعفر الحسني

الطيران

يحسن بنا قبل تقديم هذا الكتاب ان نتعرض للظروف التي رافقت ظهوره . فقد أراد نادي الطيران السوري ، ان يدعو الى الطيران وان يرغب الناشئة فيه ، لما له وسيكون من أثر بليغ في حاضرنا ومستقبلنا القريب ، فنظم سلسلة من المحاضرات تتناول الأسس العلمية للطيران والملاحة الجوية وعهد إلى الأستاذ أنطون الجناوي بالقاء القسم الأكبر من هذه المحاضرات التي لاقت نجاحاً كبيراً دعا إلى طبعها في الكتاب الذي نحن بصدده اليوم .

كما يحسن التذكير بأن بحث الطيارة وطيرانها ومحركها ليس بالهين البسيط ، وهو ليس بالموضوع المنفرد المحدود بل يجمع بين أبحاث القوى والتوازن والحركة والمكائن والمحركات والقدرة على أشكالها ولا بد للوقوف على دخائله ولشرح أسسه من احاطة قوية بمختلف علوم الرياضة والمادة تتضافر على خلق هذه الآلة الطائرة التي — على قول أحدهم — «جعلت الانسان قريباً من الآلهة» .

وبعد هذه المقدمة نقول : لقد وفق الاستاذ الجناوي في مؤلفه فجاء الكتاب جامعاً للقضايا الرئيسية في الطيران ومحركاته معروضة عرضاً يقربها من افهام العدد الأكبر من القراء الذين لا يحضرهم الزاد العلمي المتين دون أن يرجع بهم إلى العويص من المعادلات الرياضية أو العسير من المفاهيم الفنية .

ويشعر المتأمل في سطور الكتاب كيف أن خريج الصوربون ومعهد الكهرباء العالي يعالج قضايا الطيران بالثقة والبساطة والسهولة التي طالما عالج بها أستاذ العلوم في التجهيز أمام طلابه مسائل الرياضة والفيزياء .

يتناول الكتاب في الباب الأول وصف الأعضاء الرئيسية في الطيارة ثم مقاومة الهواء لجسم ما وللطيارة ولجناحها ثم استقرار الطيارة .

ويبحث الباب الثاني في محرك الطيران مبتدأ بذكرى آلياته ثم بعلاقات الحوادث الميكانيكية بالحرورية فالمحرك الانفجاري فمحرك ديزل بنوعيه وينتهي بطرق تسجيل الخطوط البيانية ومقياس الاستطاعة .

والكتاب غني بالأشكال وبتفق ما جاء فيه من أرقام وأمثلة ومقارنات مع حالة الطيران إلى عهد قريب . ويأتي في آخر الكتاب ذكر للمراجع وبيان للمصطلحات الفنية المستعملة وما يقابلها في الافرنسية .

وعلى ذكر المصطلحات الفنية لقد واجه المؤلف صعوبة يلاقيها كل مؤلف في موضوع عملي حديث : ذلك أن الكثير من المصطلحات الفنية الأعجمية لم يتوفر مايقابلها في العربية اما لأنه لم يتفق على ما يقابلها أو لم يفكر فيها . وقد وضع المؤلف عدداً من المصطلحات العلمية ، لولاخيفتنا من أن ينهج كل مؤلف هذا المنهج فيصبح للمقصود الفني الواحد التعابير الكثيرة ولولا حرصنا على التوحيد قبل كل شيء ، لجارينا المؤلف في أكثرها ، على أن بعضها مدعاة للنظر : فليست كلمة منكوس مما ينطبق على المعنى الفني المقصود من Réversible ولا كلمة غاية الشوط من Point mort وهكذا ...

وأخيراً أتت لغة هذا الكتاب العلمي قوية وإن لم تخل من بعض الهنات التي نخالها مطبعية مثل قوله مضغوط بدلاً من مضغوطاً في الصفحة ١٠٢ وقوله حركتان بدلاً من حركتين في الصفحة ١٣٣ وهكذا ...

جمال الفرا

المثل الأعلى في الحضارة العربية

رسالة تقع في (٥٠) صفحة للأستاذ الدكتور يحيى الهاشمي من أساتذة التجهيز في حلب ، وقد ألقاها محاضرات في دار الأرقم بحلب ثم أخرجها رسالة تحمل إلى أبناء الأمة لمعًا من صور الحضارة العربية في عصور الرقي والازدهار . وجدير بالخلف أن يعرف ما كان عليه السلف من سعي وسبق في شتى الشؤون المؤدية إلى الرفعة والعلاء فيكون له من ذلك حافز إلى الاعتزاز بقومه ونفسه والاستفادة لحاضره وآتيه من أمسه .

وقد أسدى الدكتور الهاشمي برسالته هذه يداً إلى طلابه وأبناء بلاده وإلى الجدود إذ كشف النقاب عن ألواح ونواح شريفة من علياء ابتنوها وحضارة أثلوها ، وبحث في الدين والفلسفة والتصوف والأدب والفن والاجتماع والعلوم الايجابية ، ولم يفته أن يشير إلى الحالة الراهنة للعرب ونهضتهم المتحفزة ، وختم رسالته القيمة هذه بقوله : « والطريقة المثلى في نظري ان نؤلف بين ذاتيتنا ونهضة الغرب الحاضرة ، لأن اتباع منهج لا يمت إلى روحيتنا بصلة سوف يخنق قابليتنا الشخصية ، ولا يعوّض عما أتلف بشيء ذي حياة ، فالتأثير الخارجي غير المدعم بقابلية باطنية لا فائدة منه ، بل على العكس يكون ضرره اعظم من نفعه . . نريد ان نقتبس من آثار السلف ولكننا نريد ان نشق طريق المجد بأنفسنا » .

هذا ؛ والرسالة في جملتها حسنة الأسلوب ، جيدة التنسيق والتبويب ، ولا يعيبها وجود بعض الخطيئات فيها ، مما هو من سهو الجمع او غفلة الطبع . ونلاحظ ان الوصف (بالمثل الأعلى) يرجح ان لا يكون لغير الله ، على حدّ ماورد في القرآن على وجه الحصر في قوله تعالى : (وله المثل الأعلى في السموات والأرض) ، وقوله : (ولله المثل الأعلى) وفي الكشّاف : سورة الروم : « وله المثل الأعلى اي الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله » ؛ وكذلك في مجمع البيان : « ما يختص به عزّ اسمه من الصفات العُلى التي لا يشاركه فيها سواه والأسماء الحسنى التي تفيد التعظيم » .

ويمكن ان يقال بدلاً من ذلك : (المثل السامي) ، او (العالي) او (البالغ) ، او ما اشبه مما يجزيء في ترجمة لفظة (Idéal) الفرنسية .

« اديب التقي »

حماة

من وحي الواقع والخيال

كرّاسة صغيرة بقلم السيد عبد الرحمن عياش المحامي تضمنت إلمامة انتقادية للمجتمع الحموي كما يتراءى للكاتب . وقد بحثت نواحي اجتماعية جدير بحملة الأقلام في جميع الأقطار العربية ان يعالجوها بتجرد وإخلاص . وشؤون البلاد الاجتماعية محتاجة إلى البحث الحر ، ومعرفة الداء من شأنها ان تقود إلى معرفة الدواء . وقد ورد في الكرّاسة بعض خطيئات منها :

١ — قوله ص ٣ : (جرى العاصي الجبار كالأفعوان السائم) ، ووصف (السائم) يغلب على المواشي .

٢ — قوله ص ٨ : (كلما تقدم الزمن بحضارته كلما مشت المدنية) ، وص ٤ : (وكلما انحدر من الجبل كلما ارتفعت) والصواب حذف (كلما) الثانية في الفقرتين .

٣ — قوله ص ٩ : (فتميز الأشجار عن بعضها) ، والصواب (فتميز بعض الأشجار عن بعض) .

ا . ت



المجلة الأسيوية

عدد تشرين الأول ١٩٤٣ السنة الثامنة والخمسون — لندن

إن المجلة الأسيوية The Asiatic review التي نقدم احد اعدادهـا الأخيرة وهو عدد تشرين الأول ١٩٤٣ تصدرها جمعية الهند الشرقية في لندن منذ عام ١٨٨٦ اما الجمعية نفسها فقد أسست في عام ١٨٦٦ للاهتمام بشؤون سكان الهند . يحتوي هذا العدد الذي بين أيدينا على قسمين اولها عبارة عن بيان اعمال الجمعية في عامها السادس والسبعين وفيه نص التقرير السنوي وضبط الجلسة السنوية والخطب التي القيت والرسائل التي تليت فيها والمناقشة التي دارت حولها .

واما القسم الثاني فانه يحتوي المقالات المختلفة المتعلقة بالشرق الأقصى والأوسط بوجه عام وبالهند بوجه خاص . والمقالات مفيدة في ابحاثها وعددها ست عشرة منها مقالة عن الدول الهندية المستقلة بالنسبة للوطن الهندي ، ومنها مقالة عن اللاجئين البولونيين في الهند ، واخرى عن الأسطول الهولاندي الملكي والحرب في الشرق الأقصى ، ومنها مقالات عن التنظيم الاقتصادي في الهند ، والسياسة الدينية في اليابان ، والمواصلات في سيبيريا .

اما كاتبو المقالات فهم من الشخصيات الانكليزية والهندية والهولاندية المعروفة بينهم السير حسن سهروردي مستشار وزارة الهند في لندن وقد كتب عن فضل ايران على الثقافة ومقاله مبني على خطبة القاها في مأدبة لتكريم وزير إيران المفوض في لندن وقد ذكر فيه توزع الشعوب الآرية من إيران واوضح اثر الحضارة الايرانية بمختلف نواحيها في جميع الشعوب التي اجتاحت إيران او حكمتها .

وعدد صفحات هذا العدد تسعون صفحة وتنتهي بمراجعات للكتب الواردة على ادارة المجلة وبفهارس المواضيع التي عالجتها المجلة في عامي ١٩٤٢ — ١٩٤٣ .

جورج حداد



نشرة معهد الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن

القسم الاول من المجلد الحادي عشر ١٩٤٣ لندن

تحتوي هذه النشرة (Bulletin) على عشرة ابحاث متفاوتة في اهميتها وتفصيلها انما كلها تتعلق بتاريخ بلاد الشرق الأقصى والأوسط وبلغاتها ، وتقع في ٢٤٢ صفحة . وتستغرق بعض الأبحاث ما يزيد على الأربعين صفحة كالبحث المفصل الدقيق الذي كتبه السيد حسن تقي زاده (وزير ايران المفوض في لندن) عن ملوك الاسرة الساسانية الأولين وتواريخهم بينما لا تتعدى بعض الأبحاث سبع صفحات كالتحقيقات في بعض كلمات إيرانية التي اوردها و . ه بايلي Bailey . ومن الأبحاث اللغوية في هذا العدد بحث عن لغة السوراشتران الهندية الآرية في جنوبي الهند في منطقة

مدراس بقلم راندل Randle وبحث آخر في اللغات الدراويدية بقلم باروBurrow . ومن الدراسات في هذا العدد ما يتعلق بالمذهب المانوي ومؤسسه كالدراسة التي كتبها هينيغ عن كتاب الجبابرة فبحث فيها عن المصادر التي استقى منها ماني مواد كتابه ، وترجمة الترانيم المانوية كما وردت في مخطوط صيني في المتحف البريطاني وقد ترجمها تسوي‌شي Tsuichi. ثم هنالك دراسة مستفيضة للاستاذ مينورسكي Minorsky عن الكوران وهم قوم يعتبرون من فروع الأكراد ولكن الباحث يعتبرهم مختلفين عنهم لأسباب لغوية جنسية ويسكنون الجبال الواقعة شمالي طريق بغداد — كرمنشاه . وهنالك دراسة عن قطعة نقود هندية قديمة من القرن الثاني ق . م ودراسة أخرى عن مؤلف مجموعة اخبار دولة آيوشيا في سيام . ومن الأبحاث الهامة بحث للاستاذ غايلز Giles عن المخطوطات الصينية المؤرخة في مجموعة شتاين ويتناول فيه مخطوطات القرن العاشر . وفي نهاية العدد مراجعات لمختلف الكتب والمجلات التي وردت على معهد الدراسات الشرقية .

ج . ح



التقرير السنوي للجمعية التاريخية الاميركية لعام ١٩٤٠

مطبعة حكومة الولايات المتحدة بواشنطن

تلقت ادارة المجمع العلمي عدداً من التقارير السنوية والمنشورات التي أصدرتها الجمعية التاريخية الاميركية بين سنوات ١٩٣٦ و ١٩٤١ . وقد اسست هذه الجمعية واسمها بالضبط (The American historicol association) في عام ١٨٨٩ بقصد تنشيط الدراسات التاريخية في اميركا وجمع المخطوطات والوثائق المتعلقه بالتاريخ الاميركي . وهي لا تقتصر على الباحثين والمربين فحسب وانما تضم كل من يهتم بدراسة التاريخ في اميركا وقد بلغ عدد اعضائها ثلاثة آلاف وخمسمائة عضو . وتصدر عن الجمعية مطبوعات مختلفة منها التقرير السنوي الذي يحوي بيان أعمال الجمعية ومنها المجموعات الثمينة للوثائق في ميدان التاريخ الاميركي وهذه المطبوعات التي تبلغ أحياناً عدة مجلدات تطبعها حكومة الولايات المتحدة وتوزعها على الاعضاء وتنشر الجمعية «المجلة التاريخية الاميركية» كل ثلاثة أشهر وهي مجلة الأبحاث التاريخية

المعروفة في اميركا . كذلك تتعاون مع المجلس الوطني للدراسات الاجتماعية في نشر مجلة «التربية الاجتماعية» التي تبحث في مشاكل تعليم التاريخ في المدارس .

وللجمعية وقفيات تساعدها على القيام بأبحاثها فتستعمل ريع احدى هذه الوقفيات لنشر أبحاث تاريخية متفرقة، وريع وقفية أخرى قدرها مائة الف دولار لنشر «الكتابات والمواد المتعلقة بالتاريخ الاميركي» . وللجمعية لجان مختلفة لترقية تعليم التاريخ في المدارس ولمساعدة المدارس البعيدة عن المراكز الثقافية الكبرى في تأليف مجموعات للكتب النادرة عن اميركا؛ وهي تقوم بجمع المخطوطات التاريخية وحفظها في مجموعات عامة وخاصة، وهي تنظم وتدبر الاذاعات التاريخية، ولها اتصالات بالجمعيات التاريخية المحلية في مختلف الأماكن ويتم لها ذلك الاتصال في مؤتمر سنوي عام تنشر اعماله في التقرير السنوي . وللجمعية فرع في منطقة ساحل المحيط الهادي للاعضاء الذين يعيشون في أقصى غربي الولايات المتحدة، وتمنح هذه الجمعية اربع جوائز سنوية مقدار كل منها نحو مائتي دولار لمن يكتب احسن الابحاث التي تعينها في مواضيع اميركية وأوربية .

والتقرير السنوي الذي بين يدينا (لعام ١٩٤٠ يحوي — عدا دستور الجمعية واهدافها ونشاطها وجوائزها ومطبوعاتها — ذكر لجانها المختلفة وجلسات المؤتمر السنوي وما دار فيها من ابحاث ومناقشات، وجلسات الفرع الغربي للجمعية وأعمال المؤتمر المتعلق بتاريخ اميركا اللاتينية، وتقريراً عن مؤتمر الجمعيات التاريخية المختلفة الذي حضره ممثلو نحو خمسين جمعية محلية . وسنكتب عن سائر التقارير والمنشورات السنوية التي ارسلتها ادارة هذه الجمعية .

ج . ح

آراء وانباء

(موءتمر مجمع فوءاد الأول)

عُقد مجمع فؤاد الأول للغة العربية في وقته المعتاد . واستمرت جلساته من منتصف يناير حتى أخريات فبراير . وهذه أولى دوراته بعد ان أعطي اسم (مؤتمر) . ولم يشهده من الأعضاء غير المصريين سوى خمسة : وهم ممثلو سورية والعراق وتونس وانكلترا . وزيد في مدته (اربعة الأسابيع) اسبوعان بقرار من وزارة المعارف . وكانت قراراته في الأوضاع هذه المرة قليلة بحيث اقتصر فيها على النظر في مصطلحات القانون المدني وعلى طائفة مما يجري على ألسنة الجمهور في لغته اليومية . والسبب في ذلك طول مناقشات اعضاء المؤتمر في اقتراحات عرضت عليهم كانت غاية في الخطورة :

(الاقتراح الأول) وضع معجم للقرآن يرجع اليه في بيان معنى اللفظ القرآني وتحديد المراد منه يوم نزول الوحي ثم بيان ما اذا كان باقياً على حاله او اصبح له معنى او معان أخر وما اذا كان للعلوم الحديثة او الاسفار المقدسة قول يتفق مع تلك المعاني القرآنية — كل ذلك على وجه الاختصار ومن دون ان يؤدي البحث فيه الى مناقشة آراء في تفسير الكلمات تخرج المعجم عن ان يكون معجماً لغوياً .

(الاقتراح الثاني) في اصلاح متن اللغة العربية وقواعدها :

(ا) فيهمل ما كثر وتراكم من مفردات اللغة كالحوشي الغريب والمترادف وكلمات الأضداد .

(ب) ينبغي اعتبار الأفعال المزيدة قياسية لا سماعية فنقول مثلاً (خابرته) اشتقاقاً من الخبر وان لم يُجز ذلك علماء اللغة

(ج) تنظيم قواعد التذكير والتأنيث فنقول مثلاً (كاعبة)و(ناهدة)اطراداً لقاعدة ان (التاء) تفيد التأنيث .

(د) اذا استعمل البلغاء المعاصرون كلمة جاز لنا استعمالها وان لم تكن قاموسية حملاً للدخيل على الأصيل .

(هـ) التخفف من ابواب الافعال الثلاثية الستة : فنقتصر منها على الباب الثاني وهو باب (ضرب يضرب) فنستعمل منه كل فعل غُمَّ علينا بابه . اما الأفعال المشهورة الابواب : كنصر وذهب . واكل وشرب . فتبقى في ابوابها .

وأخيراً النظر في قواعد تعدّي الفعل ولزومه . وقواعد الأعداد . واختلاف مصادر الثلاثي المشتتة . وجموع التكسير المضطربة . وليكن مردّ ذلك جميعه الى تجويز (الاجتهاد في اللغة) بناءً على ان اللغة ملك للمتكلمين بها تقدموا في زمنهم او تأخروا .

هذه هي خلاصة اقتراحات الاصلاح في اللغة العربية . وبديهي انها لم تسلم كلها لصاحبها كما انها لم تردّ كلها وقد قامت حولها مناقشات عنيفة كادت تؤدي الى سحب الاقتراح بجملته .

(الاقتراح الثالث) استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية الموروثة والتي كتبت بها اسفار ثقافتنا الاسلامية قديمها وحديثها على اختلاف ضروبها . وتنوع اشكالها

وهذا الاقتراح تذمر منه الاعضاء وعظم وقعه في نفوسهم لهول امره وفظاعة نتائجه . فقاوموه اشد مقاومة ، وكاد يكون رفضهم له بالإجماع لولا ان كان بجانبه اقتراح آخر يرمي إلى استبقاء حروفنا العربية القديمة وتسهيل تعليم قراءتها وكتابتها بواسطة إلحاق علامات للحركات متصلة بها حين يخطها الكاتب او يطبعها الطابع — فأصدر المجمع قراره بعرض هذه الاقتراحات على المجامع اللغوية والجماعات العلمية ورجال الاختصاص في علم الخط وفن الطباعة في سائر الاقطار العربية . وبعد ذلك يرى المجمع رأيه . ويصدر حكمه .

المغربي

الصلحي لا الشيعي

في مجلة المجمع م ١٩ ج ٣ و ٤ ص ١٥٨ كلام للدكتور مصطفى جواد يذكر فيه اباعلي محمد بن الحسن بن جمهور العمي الكاتب الصلحي البصري .

قال فيه : اما لقب الصلحي الوارد مع العمي فلم أعرف حقيقته ولعله الشيعي اهـ

(واقول) بل صوابه الصلحي نسبة الى فم الصلح بكسر الصاد او ضمها نهر بواسط عليه عدة قرى والنسبة اليه الصلحي وقد نسب اليه جماعة بهذه النسبة ذكر بعضهم ياقوت في معجم البلدان وكذلك ذكر هذه النسبة السمعاني في الانساب .

محسن الامين الحسيني

تاريخ ابن قنينوا
أو
خلاصة الذهب المسبوك

كان قد كتب السيد كوركيس عواد كلمة في مجلة المجمع العلمي عن مؤلف (خلاصة الذهب المسبوك) نقلها من الدرر الكامنة [1]، تدل على رغبة في البحث عن هذا الأثر، فوددت ان اوضح ما وصل إليّ خبره فأقول:

كنت قد ذكرت ترجمة المؤلف في تاريخ العراق نقلاً عن الدرر الكامنة وعن عقد الجمان [2]. ثم عثرت بعد ذلك على نسخ من هذا التاريخ ومطالب عن مؤلفه أذكرها كما يلي:

١ — من هذا التاريخ نسخة في الخزانة الزكية جاء ذكرها في المقتبس ج ٧ ص ٦٠٠ لسنة ١٣٣٠ هـ — ١٩١٢ م، جاء فيها:

«من مخطوطات هذه الخزانة قطعة من تاريخ الدولة الأموية من خلافة الوليد بن عبد الملك الى انقراض الدولة العباسية، وهي على رأي صاحب الخزانة أوفى تاريخ معروف لهاتين الدولتين، ويظهر أن المؤلف كتب كتابه في مصر عقب انقراض الدولة العباسية مباشرة لأنه يشير إلى شيخه وأستاذه ابن الأنجب الساعي» اهـ. ولم يعين اسم المؤلف، ولا اسم الكتاب، الا ان وصفه منطبق على المطبوع، فلا يتردد فيه.

٢ — منه نسخة أيضاً في خزانة كوپريلي باستانبول رقم ١٠٧٨ بعنوان (الدر الثمين) وتاريخها في ٢١ شهر رمضان سنة ٧١٢ هـ — ١٣١٧ م، وهذه اصل النسخ وأصحها كما تعين من تاريخها ومن نقص أولها المتفق الا انه نسبها الى بدر الدين محمد بن شهبة الدمشقي وفي هذا العنوان والاسم نظر. فالاوراق الاولى ساقطة فسمي بهذا الاسم اعتباطاً: ولم يلتفت صاحب الفهرس في كوپريلي الى ما جاء في نهاية النسخة. فقد أورد كاتبها أنها من تأليف الصدر الصاحب المعظم مولى ملوك الصدور والأماثل فخر

(١) ج ١٨ ص ٥٥٠ من مجلة المجمع العلمي العربي (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ص ٤٥٠ طبعة سنة ١٩٣٥ م.

الأواخر والأوائل بدر الدين عبد الرحمن ويعرف بـ(ابن قنينوا) الإربلي ... وفي هذه النعوت ما يعين مكانة مؤلفها ، وضبط لفظه ، ويوضح مافي الدرر الكامنة ، وعقد الجمان ، ويبطل النسبة الى ابن قاضي شهبة والتسمية بالدر الثمين او (خلاصة الذهب المسبوك) ، فان الأوراق الساقطة ذهب معها اسم الكتاب ، ولم يفطن طابعه إلا إلى اسم مؤلفه منقولاً من آخر ما كتب وكان في حياة مصنفه .

فان ابن قاضي شهبة لم يكن آنئذ في الوجود كتب سنة ٧١٢ هـ وتوفي ابن قاضي شهبة سنة ٨٥١ هـ ، فلا يأتلف التاريخ والاسم ، ولم نعثر على نسخة كاملة تعين اسمه ، ونسخة كوپريلي أصح ، ومعاصرة للمؤلف والنسخة المطبوعة مملوءة بالأغلاط .

٣ — التمسنا ترجمة هذا المؤرخ في مظان أخرى غير الدرر الكامنة وعقد الجمان ، فوجدناها في المنهل الصافي لابن تغري بردي . وفي هذا الأخير تفصيل ، نعته بنحو ما مر من النعوت وقال كان فقيهاً ديناً ، نحوياً ، مدح الملوك ، وله النظم اللائق ونقل بعض أبياته . توفي في إربل سنة ٧١٧ هـ عن ٧٩ سنة .

هذا . وان المترجم لم يهمل شأنه ، ولا ترك أثره بل كان محل التفات كبير ، ونظر صائب ، وعذر أرباب المعاجم واضح في أنهم لم يطلعوا على اسم تاريخه ليدونوا عنه . والظاهر أن النقص في أوله كان قد طرأ قبل طاشكبري وكاتب چلبي ، ولعل التتبع يجلو عنه ، فنكون قد علمنا عن مؤرخ عناه أمر الخلافة الاسلامية وكتب عنها الى آخر عهدها .

بغداد : عباس العزاوي

تصحيح

جاء في مقال (العظيمي وتاريخه) صفحة ٢٠٣ سطر ١٥ من مجلة المجمع الغراء ((وقد ترجمه)) ، وصوابها ((وفي ترجمة)) .

ع . ع

فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد التاسع عشر

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٤ شهر رجب وشعبان سنة ١٣٦٣

الفصيح والمولد

في كلام أهل الغوطة

- ٧ -

(١٩) أدوات الزينة والأثاث والملبس والخياطة

الحرير . الصوف . الكتان . الوبر . القصب ثياب من كتان ناعمة . كفّ الثوب خاطه الخياطة الثانية . لفقت الثوب ضممت احدى الشقتين الى الأخرى . غبنت الثوب اذا ثنيته ثم خطته ومنه الغَبْنة . شللت الثوب خطته خياطة خفيفة . خبن الثوب ودروزه (معربة) . تلفع الرجل بثوبه تلحف به . الملاءة (الملاية عندهم) . الإزار . الحبرة ج الحبر . رتيت الثوب ولعله من رتاه شده . التف بثوبه وتلفف اشتمل . رفوت الثوب اذا جعلت مكان القطع خرقة واسمها رتوة . فتقت الثوب نقضت خياطته فتقته تفتيقاً فانفتق . لقط الثوب رقعه ورفاه . الأشنان (فارسية) (الشنان عندهم) . الصابون (فارسية) . الصبغ . الطيب تطيب . العطر تعطر . المسك تطيب بالمسك . تلوث الثوب ولوثه بالطين لطخه . البرنُس الجبة . القفطان . العباءة . الصدرة . الحشوة . الظهارة البطانة . المضرّبة (المضربية) . العروة ج عُرى . زيق القميص ما أحاط بالعنق . القماط الخرقة التي يُشدّ بها الصبي في مهده وقمّطه شدّه بالقماط . الكوفية . العقال . العمامة (يطلقون عليها اللفة ويستعملون الفعل تعمم كما يقولون لفّ لفة . الطرحة نوع من قناع النساء والطرحة في القاموس

الطيلسان · القبعة كقبرة خرقة كالبرنس (قاموس) وهم يقولون قبوعة لما يقي الرأس من الشمس والمطر · الشروال بالكسر والشين لغة في السروال ويستعملون أيضاً البنطلون (الأعجمية) في المخصص التكة رباط السراويل وجمعها تكك قال ابن دريد أحسبها دخيلاً وقد استتك بها والهميان شداد السراويل احسبه فارسياً معرباً · المدك كمصك لغة في المتك لما يربط به السراويل (التاج) المِلقط مايلقط به ومنه مِلقط الشعر · جهاز العروس · فرش البيت · السَّحنة لين البشرة والهيئة واللون · دعك الثوب باللبس ألان خشنته وفي التراب مرّغه والأديم دلكه اي مرّسه ودعكه · انجرد الثوب انسحق وجرده قشره وجرّده · زغبر الثوب وزئبره ما يعلوه اذا كان جديداً · التخريص والتخريصة بكسرهما بنيقة الثوب معرّب تيريز · العصابة · القناع · البرقع · الخمار · العصبة · القشوة في كتب اللغة هي قفة من خوص لعطر المرأة وقطنها ج قشوات وقشاء ، والقشوة عندهم صندوق صغير ذو أدراج تجعل فيه المرأة ما يصلح ولدها من المراهم والذّرور والمساحيق والقطن · المخدّة ج مخادّ · قصرت الثوب قصراً بيضته والقصارة الصناعة والفاعل قصّار · لبس الزُّواق لبس لباساً حسناً للعيد ونحوه · زوّقت الشيء حسنته · حوّرت الثياب بيضتها · خططت المرأة وجهها جعلت فيه خطوطاً واخذوا منه الخطوط لمسحوق يلون وجوههن به حفت المرأة وجهها زينته بأخذ شعره وكذلك نتفت ، نتفه فهو منتوف وقصه فهو مقصوص · الخف ج خفاف · السوار · الطوق البخنق الطوق عندهم وفي القاموس البخنق كجندب وعصفر خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن والدهن من الغبار · المنديل (المحرمة عندهم) القيطان ما ينسج من الحرير والصوف · التاسومة الخلخال (فارسية) الخمار (فارسية) الخزانة ج خزائن ما تودع فيه الثياب · الزر الذي يعلق في العروة والعرى التي تعلق فيها الازرار · ثوب مرحرح واسع منبسط من شيء رحرح ورحاح ورحراح · النعل الحذاء وتطلق على التاسومة · المسواك استاك وساك · ندف القطن وحلجه · الوزرة (بكسر الواو وهم يفتحونها) كساء صغير والجمع وزرات · الخضاب خضب لحيته · المكحلة اداة يوضع فيها الكحل وكحلت الرجل جعلت

الكحل في عينه وهو مكحول · والفاعل كحال · الميل الذي يكحل به البصر · الطرّة الغرّة · السالف ج السوالف · الضفيرة ج الضفائر · ضفر الشعر · شعر معكوف ممشوط مضفور · الفرشاة · الوشم أن يغرز الجلد بابرة ثم يحشى بكحل أو نيل فيزرّق أثره ويخضر (النهاية) · فلان مهندم أي مصلح (فارسية) الزّي (المودة بالدارجة) بطن الثوب جعل له بطانة طرّش الثوب وسخه (سريانية) ·حفّ شاربه ورأسه احفاه · شعر حليق ، لحيته حليق ولا يقال حليقة وهم لا يقولونها · حنأ رأسه بالحناء يقولون حنا رأسه بالحناء · الخرز الواحدة خرزة · الابزيم المشد · الحزام · الزنار تزنر · الشال · ربطة الساق · ربطة العنق · الجوارب (الجرابات) · الستارة والجمع الستائر · الصبغة ما يصبغ به وجمع الصبغ اصباغ · الكسوة كسوته ثوباً فاكتسى · اللثام ملثم ملثمة · مرّخ جسده بالدهن ومرّخه · الليفة والليف ، وليفه غسله بالليف · الشاش الشاشية · النضارة · الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة والقبول · يقولون هي مبرشمة بالذهب اي مزوقة به والمبرشم الملوّن · المزوّق المزين والزواق · سيف مُحلى · أُلحلي · المجوهرات · الخاتم · الحلق · طوق لؤلؤ (لولو)المشلح الثوب الذي يلبس الشلحة عندهم · المشط ما يمتشط به ومشطت الشعر سرّحته ومشطته ومنه الماشطة التي تحسن المشط يستدعونها في الأعراس لتزيين العروس كما يعهد النساء اليوم الى من تقص شعورهن وتمشطها وتكويها ويسمونها القصاصة · وكن الى عهد قريب يقصدن امرأة تنقش لهن أيديهن وارجلهن بالحناء و « الغشوس »ويسمينها النقاشة تلوّن الجلد وتنقشه بأشكال تقول السيدة لصاحبتها هذا يلبق لك وأنت ابقة وهو من لبق به الثوب لاق واللبقة الحسنة الدلّ واللبسة · رجل رشيق ظريف · الجخّ التحول يعطونها معنى الظهور والتزين · البذخ الكبر يطلقونها في مكان الإسراف · التجمل ·فلان عليه مسحة من الجمال اي ظاهر منه · الخضاب · الاستحمام · الغندرة التزين واستجادة الثياب وفي التاج الغُندور كزنبور الغلام الناعم الحسن الثياب والعامة تفتحه ·

(٢٠) المكاييل والموازين والمقاييس

المثقال . الأُوقية ج اواق . الأُقة ج الأُقق . الرطل . الكيلو . الليتر . المتر . (أعجمية) . القيراط . الدرهم . الجفت (تركية بمعنى زَوْج) او مدٌّ مزدوج او مدان . القنطار . المكيال . الكيل من اكتـال ومنها الكيلة أيضاً والكيال . طف المكيال امتلأ الدَّورق مكيال للشراب وأراه فارسياً معرَّباً (المختار) . القبان ، القباني ، القبانة (القبونة عندهم) . اُلمدّ . الصاع . المَسحة . التبنية . القسطاس . القاموع مجموعة من جُرُز القنب يسند بعضها الى بعض على شكل هرمي ، وما رأيت له تخريجاً مقبولاً . الشَّقلة هي قدر ما يرفع الإنسان من الأرض قيل انها سريانية والشقل الأَخذ وقيل الوزن يقولون راز الشقلة اي اختبر ثقلها ووزنها او رفعهـا لينظر ثقلها من خفتها . وشيء رزين ثقيل . الغرارة شبه العدل والجمع غرائر وتطلق علي مقدار من الحبوب قد يكون ثمانين مداً المشال (بفتح الميم) ما تقوى الدابة على حمله من الأثقال من شال الحجر وشال به رفعه فانشال . الميزان ج موازين ، وزن الشيء فهو وازن والوزّان صانعه وشال الميزان اذا اخفت احدى كفتيه فارتفعت ونقيضه طبش وليس لهذا الفعل ذكر في المعاجم . صنجة الميزان (معرب) الرَّشم وضع طابع على صُوبة الغلة وفي القاموس رشم كتب كرشم الطعام ختمه قال الجوهري والروشم اللوح الذي تختم به البيادر بالسين والشين جميعاً . الصوبة ما يجمع من الحبوب يحرفونها فيقولون صُبة والصوبة الكدسة من الحنطة والتمر وغيرهما . ضِعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله . العيار المقدار المعلوم عيرت الكيل او الوزن مثل عايرت . السحتوت يريدون به الشيء القليل وفي الأُمهات السحتوت القليل من الدسم او الثوب الخلق . النمط . الصنف النوع وتصنيف الشيء جعله أصنافاً وتمييز بعضها عن بعض . الوتيرة الطريقـة . مزته فصلته عن غيره . الشبر كيل الثوب بالشبر والذّرع كيله بالذراع يقولون فلان يقص ويشبر من عقله . وكان الباع والذراع من جملة المقاييس . الوسق حمل البعير وسقه حمّله . ثقل فهو ثقيل وللأثقال الأحمال الثقيلة . خفّ فهو خفيف . قاسه بغيره وعليه

يقيسه قيساً وقياساً واقتاسه قدّره على مثاله فانقاس والمقدار مقياس (قاموس) . القدُّ القدْر ج قدود الطول · العرض · المستطيل · العمق · السعة · المدى مدّ البصر · المديد : الممدود · طول الإنسان ومد يديه · الُخطوة (بضم الخاء وفتحها) ما بين القدمين ، والقدم من جملة ما يقيسون به الأرض كالخطوة · ويستعملون اسم الفرسخ والميل والكيلومتر وليس لهم أرض متسعة حتى تقاس بهذه المقاييس الكبيرة · والفدّان من الأرض في مصطلحهم مائتان وأربعون قصبة وطول القصبة تسعة وأربعون ذراعاً · التربيع جعل الشيء مربعاً · التخميس جعله ذا خمسة أركان · النقصان اسم للقدر الذاهب من المنقوص · نصف القوم أخذ نصفهم · نصّف الشيء جعله نصفين وناصفه قاسمه على النصف · الدُزّينة من الفرنسية Douzaine أي اثنا عشر والدستة من الفارسية وهي الحزمة والقبضة يقولون دستة معالق ودستة فناجين

(٢١) الألفاظ الإسلامية[1]

الايمان العقيدة الدين الديان المؤمن المسلم الاسلام الكافر المنافق الفاسق · الحمد الزكاة · الصلاة صلاة الجماعة · القضاء والقدر · منكر ونكير · المهاجرون والأنصار · يأجوج ومأجوج · ليلة القدر · القنوت قنت · السجود سجد · الركوع ركع · المضمضة الاستنشاق الطهارة الاستنجاء الاستبراء الاستجمار الاغتسال الجنابة الجنب نصاب الزكاة · النية الأذان التبليغ التراويح · الوتر · الابتهال التضرع · كتب الله الصيام أوجبه · كفّره نسبه الى الكفر او قال له كفرت ، وكفر الله الذنب محاه ، ومنه الكفارة لأنها تكفر عن الذنب وكفر عن يمينه اذا فعل الكفارة · نكل عن اليمين امتنع منها · الاثم آثم · العبادة العبادات المعاملات النواهي الزواجر التسبيح الاستغفار الغفران التذكير التهليل التوحيد التكبير تكبيرة الاحرام · الحرام الحلال الاتكال التسليم التشريق · الكتاب السنة الواجب الفرض المستحب النافلة الصدقة ج الصدقات · صدقة الفطر · عيد الفطر

---

(١) يلاحظ ان من هذه الألفاظ ما عرف في الجاهلية بمعنى غير المعنى الذى صار لها في الاسلام ومنها ما وضع في الاسلام لمعنى خاص ·

عيد الأضحى • عاشوراء الحقيقة الشريعة الشرع الطريقة المذهب • المسح • الوضوء أقام الصلاة الإقامة • الافطار الامساك • الباطل • الحق المباح • المندوب • اسماء الله الحسنى • المكروه • نواقض الوضوء مبطلات الصلاة • التيمم • الختان الحيض الطهر الاستحاضة • استقبال القبلة • التشهد • ترتيب الأركان • صلاة التطوع صلاة كسوف الشمس صلاة خسوف القمر • قضـاء الصلاة • الامام المأموم • سجدة التلاوة سجدة الشكر سجود السهو • صلاة العصر • قضاء الفوائت • صلاة الجنازة • الهبة • الصداق • المهر • النكاح • الطلاق • الخلع • العتق العدّة • النفقة المرأة • الناشز • الحضانة • التهجد • التزهد • الدّية • دار الاسلام • دار الحرب • اهل الحرب اهل الذمة • الذمي الذميون • الجالية العشر العشور الخراج الجزية • الامامة الخلافة • اهل الحل والعقد • الجهاد • الفيء الغنيمة حد الزنى حد الخمر • المظالم التحبيس الوقف التحكير التسبيل • الوسيلة التوسل الشفاعة الشفيع شفع • جامد • مجتهد • الغيبة • النميمـة • القذف الرجم القطيعة الاعتكاف • القيامة • الحشر • النشر • النشور البعث • الصراط • المعجزة • الكرامة • الوحي • الغيب عالم الغيب والشهادة • علاّم الغيوب ، النذر ، ليلة القدر ، البراق ، السحت الحرام العرش الكرمي الباقيات الصالحات ، عمل صالح ، جلّ جلاله ، جلال الله • الجامع المسجد المصلى ، استجاب الله دعاءه • تجاوز الله عنه عفا ، راقب الله تعالى خافه ، المجاورة الاعتكاف في المسجد ، المحلل في النكاح الذي يتزوج المطلقة ثلاثاً حتى تحل للزوج الاول ، المتعة ان تتزوج امرأة تتمتع بها أياماً ثم تخلي سبيلها ، المستحب المكروه ، الترتيل ، الربا ، الرحمن الرحيم القرآن ، الفرقان ، حيّ على الصلاة ، اسباغ الوضوء إتمامـه ، شعائر الله ، اعمال الحج ، حدود الله وكل ما جعل عَلماً لطاعة الله تعالى ، الشفع ضد الوتر ، الشهيد الشاهد التشهد ، الثواب العقاب ، اللوح المحفوظ ، المناسك الحج العمرة (قال الزجاج معنى العمرة في العمل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة مأخوذة من الاعتمار وهي الزيارة) ، الداران الدنيا والأُخرى او دار الدنيا والدار الآخرة ، حق اليقين ، الالحاد ، التعطيل ، الزندقة ، البقاء ، الخلود ، التنزيل ،

التثليث ، حمس وتحمس تشدد وتصلب في دينه ، ضلّ الضلالة ، اهتدى الهداية ، سبحل ، حوقل ، روح القدس ، العزائم الرُّقى ، اولو العزم من الرسل الذين عزموا على امر الله فيما عهد اليهم (القاموس) من الأنبياء اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية

(٢٢) اسماء وأفعال مختلفات

فَقُر وافتقر قلّ ماله • فهو قليل • القلة الفقر • عسّ ومنه العسس للحارس • القوّال المغني وهو في اصطلاحهم الرجل الذي ينظم الشعر العامي ويتغنى به والقوّال في الشام كالزجال في مصر • أقام بالموضع اتخذه وطناً فهو مقيم • عاقه وعوّقه منعه • قهره غلبه • كبة من الغزل وخصلة من الشعر • الجيفة (الميتة) الشِق والشّق انفراج في شيء • الضريح اللحد لحده دفنه • اعوج الشيء اعوجاجاً اذا انحنى من ذاته فهو فهو معوج • العيال أهل البيت ومن يمونه الانسان والواحد عَيِّل مثل جياد وجيِّد كثر الشيء وكثرته راكثرته واستكثرته عددته كثيراً • كرب فهو مكروب أي مهموم والاسم الكربة • كرّر الشيء أعاده مراراً والاسم التكرير • كسرته فانكسر وكسّرته فانكسر وكسرته تكسيراً فتكسر والكسير القطعة من الشيء المكسورة ويقولون لها الكسارة ، والكسرة من الخبز • موت احمر يوم أسود بخت اسود • عدو أزرق • مقته أبغضه أشد البغض • انبهته من نومه ونبهته • أجت النار وأضرمتها ألهبتها ونار جاحمة وهج النار سطوع لهبها وكل ما سطع فقد وهج • هجت النار اشتد استعارها • شبت النار اوقدتها ويقولون ولع النار ولم ادر له أصلاً • البصيص لمعان النور ومنها البصة لقطعة من النار تلمع من بص لمع وبرق • الشرر والشرارة ما يتطاير من النار ، الوقيد الوقود ، لوّحه احماه ، الضوء الضياء ضاءت النار اضاءت لمع الشيء لمعاناً اضاء ، لسان النار شعلتها ، غاب الشيء بَعد فهو غائب والجمع غُيب وغُياب ، فاح المسك اذا انتشرت ريحه ، بلي الميت أفنته الارض بلاه الله بخير أو شر يبلوه بلواً وابلاه بالألف وابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه والاسم بلاء ، نقفه بظفره ضربه ، عضضت اللقمة وبها وعليها امسكتها بالأسنان ، عطب هلك ومنه العطب وسريع العطب ، الدلك السحق ، البيطار العطار ، السمسار السقاء الجمال

الجمال الدّلاّل ، الصراف ، جبروت جبار ، العفريت الداهية وتعفرت اذا صار كالعفاريت ، شيطن وتشيطن اذا فعل فعل الشيطان ، الجن ، الانس ، النحس ، السعد السعادة ، الشقاء الشقاوة ، بينهما مناقرة ونقار مراجعة في الكلام ، نكشه ، خنقه اذا عصر حلقه حتى يموت ، رجل خيّر ذو خير ، الدبغ المدبغة الدباغة الدباغ ، الصُنان الرائحة الكريهة او رائحة الابط خاصة . زحزحه فتزحزح باعده . الزوج الفرد اسم لعبة عندهم وكذلك الكجة وكجّ بها لعب . الرمص ما تجمع في زوايا العين من مادة . وصلت اليه اصل وصولاً ، ووصل الخبر بلغ . تولد الشيء عن غيره نشأ عنه . هش لان واسترخى فهو هش . وسخت الثوب وتوسخت يده تلطخت بالوسخ وهو ما يعلق الثوب وغيره من قلة التعهد . نظف الشيء نقي من الوسخ . لبدت الشيء تلبيداً الزقت بعضه ببعض حتى صار كاللبد ، اللبادة . لحقته أدركته . لصق الشيء بغيره مثل لزق . ألهاني الشيء شغلني . عرّجت عنه اذا عدلت عنه وتركته . القبر ج القبور ، المقبرة ج المقابر . صعد نزل . صففت الشيء فهو مصفوف . صقل السيف جلاه ، اضمحل ذهب وامحى . سحبه على الأرض جرّه . حاد عن الشيء والطريق يحيد اذا عدل يقولون حِدْ عنه او حوّد عنه اي اتركه . الجلة (مثلثة الجيم) البعر او البعرة او التي لم تكسر . حميت الحديد فهي حامية اذا اشتد حرها . أقفلت الباب وسكرته رددته . العشى العشاء بالكسر ج اعشية طعام العشى . معك ، مرت ملّس شطف - السندان كور الحداد . المغتسل للموتى المغسلة لغسل الثياب والاصواف . كبّ الإناء كفأه . قش الدار كنسها . حلّ الحبل . خطف الأكل . خُرافات يفتحون خاءها وهي مضمومة . الخيال الحلم ج أحلام . شمت الشماتة وفي أمثالهم : « كبر البيدر ولا شماتة العدى » الحجيرة الحجر الحجارة التحجير . ذكره وذكّره . اليأس ، البطش ، اللبط ، الرش ، الريش . كشر عن أسنانه ابدى . خاب ومنه خيبة الله عليه . الخام الجلد لم يدبغ او لم يبالغ في دبغه . الرّجم القبر . تاه في الأرض ذهب متحيراً ، الانحدار . جفّ ثوبه . المخزوم المحروم . الدبر مخففاً الظهر . السواد الشخص . الشبح الشخص . السخن الحار سخن يسخن سخونة وتسخين الماء وماء مُسخن . سوّف التسويف . الشؤم مشؤم ومشوم . الشاعر الشعر فلان

بيشعر يقول الشعر · الصئبان بيض القملة (الصيبان عندهم) الشوط الطلق · المشيئة الارادة · صان الشيء صياناً وصيانة فهو مصون ولا تقل مصان · المصاب مفعول من أصابته مصيبة والمصيبة واحدة المصائب · صدف الدرة غشاؤها الواحدة الصدفة · المتصدق الذي يعطي الصدقه تصدق عليه · الصلب والصليب الشديد · استقله عده قليلاً · كدّه أتعبه · النقيصة العيب · انقطع الحبل قطع الشيء وتقطع · العود من الخشب واحد العيدان · التعويق التعوّق · التثبيط ثبطه · قحل الشيء يبس فهو قاحل · استظل بالشجرة استذرى بها · فيأت الشجرة تفيئة صارت ذات فيء وتفيأت انا في فيئها وتفيأت الظلال تقلبت · كل هذا مستعمل ولكن بدون همز · ضمن كتابي اي في باطنه · طرق طارق إذا جاء ليلاً · انطمس امحى واندرس · طم دفن وسوّى · الطوبة الضمير · الطيش النزق والخفة · الطفيف القليل · العتيق المزمن · العثُّ واحدتها العثة · السوسة التي تلحس الصوف · عجيب عجائب العجوبة تعجب منه واعجبني · عج عجيجاً العجاج الغبار والدخان والعجاجة وعجت الريح عججت البيت دخاناً فتعجج · عفره في التراب مرّغــه ، العقبة واحدة عقبات الجبال ، قوّم الغصن اجعلهمستقيماً · الكآبة الانكسار من الحزن · عروة القميص والكوز · عراه واعتراه غشيه · اعراه وعرّاه فتعرى · نقش الشوكة من رجله وانتقشها نتشها استخرجها يقولونها بالكاف نكش · هدّته المصيبة اوهنت ركنه · الروّاس بياع الرؤوس · الترّاس صانع الترسة واحدها ترس · القزاز صانع القز أي الحرير · القصاراللبان النحاس المبيض الدهان النقاش الطيان · رحل عن مكانه حاص حوله حام · قش وقشش اكل من ههنا وهنا والشيء جمعه يقولون فلان بقشقش الباقي من الطعام · الفادر القطعة من كل شيء يقولون الفادار · استفرد فلاناً انفرد به · مُغط مده يستطيله والمغط من شيء لين كالمصران فامتغط وامغط (قاموس) · تأله يعطونها معنى تعاظم وتأله تعبد وتنسك · نفس فرّج والنفس يقولون كذا نفس اي شخص · وشيء نفيس يتنافس فيه ويُرغب · طاس يطيس كثر يقولون الحبُّ طيس واللبن طيس اي كثير · اللخن قبح الكلام يشتقون منه فعلاً ويقولون يلخن لفلان بالكلام اي يكلمه كلاماً قبيحاً مورياً له · تأفف · التشبث التعلق ·

ومن تحريفاتهم القريبة المأخذ الفطر ضرب من الكمأة فتال يلفظونه بالكسر وهو الفُطُر بضمتين · ويقولون الأصيل للقصيل الحشيش المقصول او مجزوز الزرع وهو مقبل نامٍ كما حرفوا اسم عربيل فقالوا عربين بالنون · والمنيحة فقالوا المليحة وعين ثرما فقالوا عين ترما · وجعفيل فقالوا جعفير وقد مرّ ؛ وبرتقال فقالوا البرتقان · ويقولون شرشر بوله ، وأصلها شلشل فرّق · اللِثة يقولون اللثة يشددونها وهي مخففه · نفث الدم يلفظونها بالسين نفس · وحرفوا الظرف فقالوا الضرف لهذا الوعاء من الجلد الذي تجعل فيه السوائل ومن أمثالهم : «هلي يصير له لبن الضرف يغرف غرف» يقولون نبت دبلان وزهر دبلان بالدال وهي بالذال ذبلان او ذابل · نوّز قلل يقولون نوّس الضوء اي قلل من اضاءته · غثت نفسه غثياناً اضطربت حتى تكاد تتقيأ من خلط الى فم المعدة ، يقولون غتيت روحي بالتاء · يقولون فلان ينتظر فلاناً على عترة (بالتاء) محرفة عن عثرة والعثرة المرة من العثار · درّع في السباحة أي اتسع وهي بالذال ذرّع · يقولون عبيت الشيء اي وضعته في الوعاء والأصل فيها عبأت أعبؤه · بحثر فرّق يوردونها بالتاء بدل الفاء · بؤبؤ العين (البوبو في نطقهم) · الناطور حافظ الكرم وغيره قيل انه من السريانية ولا ما يمنع مجيئه من العربية ناظور بالظاء والناظورة والمناظر والمنظرة حرفوها الى منطرة كما حرفوا الظهر الى ضهر والظل الى ضل وخط الثلث الى السلس · وقلب الظاء طاء او ضاداً والذال دالاً والفاء سيناً او تاء والقاف ألفاً كثير في لهجتهم

ومما سرى الى كلامهم الفاظ تركية استعملوها مع الألفاظ العربية القديمة ومنها ما حرفوه عن أصله ومنها ما نطقوا به صحيحاً مثل البوق استعملوا معها بوري · الجيش وقالوا اردو وحرفوها فقالوا العرضي · واستعملوا مع الراية والعلم بايراق وسنجاق وبنديرة · وأطلقوا لفظ مخفر على القره‌قول والمستشفى على الخسته خانه او البيمارستان · والمصرف على البنك · والشكنة على القشلة او القشلاق والبريد على البوستة · والمحضر على الجورنال او التقرير · والحلوان على البخشيش · والبويا على الصباغ او الدهان · والمعسكر أو المخيّم على القراركاه · والبازار على السوق · والطوب على المدفع · والسنكة على الحربة ·

محمد كرد علي

العربية اللاتينية

قرأت اقتراح صاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا وهو يدور على رسم الكتابة العربية بالحروف اللاتينية ، واذا كنت أكتم في هذا المقال شعوري بعد قراءة هذا الاقتراح فاني غير كاتم خواطر خطرت ببالي بعد مطالعتي اياه .

إني أدرس الفرنسية من أربعين سنة ، ولم أفطن الى المصاعب التي تشتمل عليها هذه اللغة الآ بعد قراءة الاقتراح ، لقد كنت أتملى سهل اللغة الفرنسية وأغفل عن وعرها ، أما الآن فقد فطنت الى ناحية واحدة من هذا الوعر ، قلت في نفسي : هل تخلو الفرنسية من مصاعب ، وهل فكر رجالها في قلب وجهها حتى يذللوا هذه المصاعب .

رجعت الى مقال احتفظت به في جملة دفاتري ، نشر هذا المقال من ست سنين في صدر صحيفة من أمهات صحف باريز وهي « ماريان » عنوان هذا المقال : إصلاح الإملاء .

من ست سنين فكر بعض الفرنسين في إصلاح قواعد الإملاء ، وفي أواخر القرن الماضي ظهر مثل هذا التفكير ، ولكنهم في تلك السنين أهملوا « الأكادمية » ولم يشركوها في الإصلاح وقد اكتفوا بأخذ رأيها بعد الفراغ من العمل .

لم يقعوا من ست سنين في هذا الخطأ فقد اشتركت « الأكادمية » في موضوع اصلاح الاملاء .

كل هذا غير ذي بال ، وانما المهم في الأمر ان الفرنسيين يشعرون بأن لغتهم تشتمل على مصاعب ، من ألفاظهم لفظة : dompter ومن معانى هذه المادة : غلب واستولى وأخضع ، تكتب هذه اللفظة بصورة وتلفظ بصورة ، فاذا لفظوها استغنوا عن حرف منها وهو : p فلم يلفظوه ، فقد قالوا : ماذا يصنع هذا الحرف في اللفظة ، ولماذا لا نطرحه ، ومن هذا القبيل لفظة poids ومعناها : الوزن ، فهي مثل اختها السابقة ، انها تشتمل على حرف يكتب ولا يلفظ وهو : d ، فقد قالوا : ماذا يصنع هذا الحرف في اللفظة ، ثم توسعوا في هذا الموضوع فقالوا : لماذا لا نحذف

حرف : x وهو علامة بعض الجموع ونجعل بدلاً منه حرف : s ، وعلى هذا الشكل تكتب لفظة : Chevaux ومعناها : الحصن، على الصور الآتية : Chevaus ، ثم قالوا لماذا نكتب : Charrette وهي عجلة من العجل ولكن لا يجرها الثور برائين ونكتب : Chariot وهي نوع آخر من العجل براء واحدة ، ولماذا نكتب : il appelle ومعناها : يدعو ، بلامين ونكتب : il épèle ومعناها : يهجّي ، بلام واحدةٍ ، ولماذا نلفظ : portions على صورتين مختلفتين في العبارة الآتية Nous portions des portions ، في اللفظة الأولى تلفظ التاء على وضعها ، وفي اللفظة الثانية تقلب التاء سيناً .

والشواهد على هذه المصاعب كثيرة ، ولقد كنت أقرأ الفرنسية من أربعين سنة ولم تقع في خلدي هذه المصاعب أما الآن فلا أكاد أمر بسطر واحدٍ من دون ان أجد فيه ملاحظات شتى ، اني أمرُّ بألفاظ مشحونة أواخرها بحروف تكتب ولا تلفظ مثل : délicieux أو soucieux ومثل : sans فهذه الحروف x و s لا تلفظ فيها ، ثم أمر بألفاظ يتشابه لفظها وتختلف كتابتها فهذه لفظة : cent ومعناها : مائة، ولفظة : sang ومعناها:دم ولفظة: je sens ومعناها: أشعر وأشباه هذه الألفاظ .

فكيف كان عمل رجال اللغة الفرنسية لما عرض عليهم مثل هذا الاصلاح .

في اللغة الفرنسية لفظة : scintillation ومعناها : اللمعان ، من جملة حروف هذه اللفظة في أوائلها حرف s و c فاذا أصلحت قواعد املائها وجب عليهم الاستغناء عن الحرف الأول وهو : s ثم من جملة حروفها اللامان قبل أواخرها ، ففي قواعد الإصلاح تسقط من اللامين لام واحدة فتصبح كتابة هذه اللفظة على الشكل الآتي cintilation ، قال « برونتير » والذين درسوا الأدب الفرنسي يعرفون منزلة هذا الرجل: اذا كتبوا cintilation ولم يكتبوا : scintillation ذهب لمعان النجوم .

ومن هذا النمط كلمة لشاعرهم « هوغو » في اللغة الفرنسية لفظة من الألفاظ تدل على نوع من الزهر وهي : asphodèle فاذا اصلحت قاعدة املائها كتبت على الشكل الآتي : asfodèle فقال « هوغو » لو كتبت هذه اللفظة على الشكل الثاني لذهبت رائحتها الطيبة !

المهم في هذا كله ان نعرف كيف قوبل مشروع إصلاح الإملاء من قبل الفرنسيين ، فقد شعر القوم بأن لغتهم تصبح فوضى بعد هذا الإصلاح وقالوا : كيف تصبح معاجم لغتنا القديمة اذا تمّ الإصلاح الحديث !

ويظهر انهم أحبوا ان يلهوا بفكرة مثل هذه الفكرة ثم أحسوا بعواقب هذا اللهو فكفوا عنه ، فاللغة الفرنسية على جلالة قدرها لا تخلو من كثير من المصاعب ، سواء أكانت هذه المصاعب في قواعد املائها أم في تصريف بعض أفعالها الشاذة أم في غير ذلك ، ولكن رجالها رأوا ان احتمال هذه المصاعب خير من ان تصبح لغتهم فوضى وخير من ان تقطع صلة الحاضر بالماضي فأغلقوا باب الإصلاح .

أغلق هذا الباب فى باريز وفتح باب مثله أو أوسع منه في القاهرة ، انه باب يؤدي الى ضياع أمة بحذافيرها ، ما ذا بقي للعرب من جليل فتوحاتهم وعظيم سلطانهم ، لم يبق لهم من هذا كله الا لغتهم وحدها ، فاذا مسخ وجه هذه اللغة مسخ ماضي العرب بأجمعه !

قد يكون فى هذا الكلام شيء من العاطفة وقد تكون العاطفة في أمور الاصلاح نابية ، لا محل لها ، والمنطق وحده انما هو الحكم ، فلنرجع الى المنطق ، فماذا يكون مصير طائفة من الحروف العربية فى الرسم الجديد ، ماذا يكون مصير الصاد والضاد والقاف وغيرها ونحن نعلم ان كثيراً من أجراس الحروف يضاهي على نحو ما قرّره ابن جني أصوات الأفعال التي عُبر بها عنها ، فهم يقولون : قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف ، ولكن صاحب الاقتراح يقول : سنرمم هذه الحروف بإشارة خاصة ، سنترك هذه الحروف على وضعها ، فاذا رضينا بهذا المزج المشوّه فكيف نصنع بقواعد التجويد ، كيف نستطيع إعطاء كل حرف حقه من مخرج وصفة، فاذا كتبنا : ماله أخلده بالحروف اللاتينية فهل تساعدنا هذه الحروف على ان نمد هاء الضمير باللاتينية مدّنا لها بالعربية ، لا شك في ان الحروف اللاتينية تقضي على أصول التجويد .

لقد اعترض صاحب الاقتراح على اشتمال بعض الأفعال على جملة مصادر أو اشتمال أصل واحد من الاسماء على تسعة اسماء ، مثل انثى الأسد .

من مصادر بات : بيت وبيات وبيتوتة ومبات ومبيت ، ولكن قوانين تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي وغيرها تعمل في اللغة عملها في الطبيعة ، فهي تميت ما يجب موته ، وتستبقي ما يجب بقاؤه ، وما أظن ان الكاتب في هذا العصر يلجأ الى استعمال بيتوتة او بيت او بيات وبفر من استعمال مبيت ، فالطبيعة تستبقي من هذه المصادر ما يسهل لفظه ، اما المصادر المهملة فانها تدفن في كتب اللغة ولا يبحث عنها الا علماء اللغة وحدهم وليس من الضروري ان يكون كل كاتب عالم لغة .

وكذلك القول في اسماء انثى الأسد ، فأي كاتب في هذا العصر يستعمل لبأة أو لباءة ويطرح ما شاع من هذه الأسماء مثل لبوة أو لبؤة ، فقوانين الطبيعة تحيي من هذه الأسماء اسماً أو اسمين وتبقي الاسماء الباقية في بطون كتب اللغة .

ولقد فعلت مثل هذا الفعل في كثير من مواد اللغة ، فلم يبق في كتاباتنا للأسد أو للسيف تلك الاسماء التي كانت لها في الماضي ، وإنما بقيت لها الاسماء السهلة .

هذه مصاعب تذللها الأيام ، لأن قوانين الطبيعة تجري أحكامها على اللغة جريانها على المخلوقات وانا اعتقد ان السهولة التي يتوخاها صاحب الاقتراح قد نصل اليها من طريق اصلاح أساليب التعليم في المدارس ، ولو قابلنا بين أصول تدريس اللغة في المدارس من ثلاثين او اربعين سنة وبين أصول تدريسها في هذه الأيام لرأينا فرقاً واضحاً بين هذه الأصول ، وشيء قليل من تجويد هذه الاصول يذهب بكثير من المصاعب في الآتي ، اما ان تخلو لغة من اللغات الحية من قليل او من كثير من المصاعب فهذا أمر متعذر ، ولم يجرؤ أهل هذه اللغات على قلب لغتهم رأساً على عقب تذليلاً لهذه المصاعب .

شفيق جبري

المبادئ وتطورها في الأفراد والجماعات (*)

(١) سبب اختيار الموضوع

ان الموضوع الذي سأحاضركم عنه قد يبدو مبهماً وغريباً وقد يبدو بديهياً لكنه غير محدود التعريف ومع هذا فهو من المباحث النفسية الاجتماعية التي يجب الاكثار منها والبحث عنها ليستقر مدلولها في قلوبنا وتستحوذ أهدافها على مشاعرنا فنعمل اعمالنا ونحن ندري ما نريد ونعرف الدوافع التي تدفعنا ونحن نعلم لماذا نسير وهذا منتهى العلم الذي يحتم عليك وعلي وعلى كل ساع للحياة وخدمة الأمة ان يحيط به ويلم بعناصره وقد اخترت البحث عن المبادئ وتطورها في الأفراد والجماعات لاعتقادي ان قيمة الأفراد والأمم والجماعات هي بمباديهم وان مقياس تلك القيمة هو بالمقدار الذي تفعله تلك المبادئ في حياتهم الخاصة والعامة وفي تفكيرهم وجهدهم العملي .

وقبل إقامة الدليل أرى من الواجب تحديد معنى المبدأ بحيث لا يبقى مجال للاختلاف في مفهوم هذه الكلمة الحديثة ليصح الدخول الى صميم الموضوع والانتهاء منه الى نتيجة هي الغاية من المحاضرة .

(٢) ما هو المبـــدأ

اعتاد المعلمون ان يبحثوا عن مبادئ علم الحساب ويعنون بذلك البحث عن الأعمال الأربعة لأنها الأساس او الطريق المؤدي الى معرفة بقية ما يحويه علم الحساب او الأوليات من علم الحساب التي لا بدّ منها .

ويذكرون أيضاً مبادئ علم الجغرافيا ويعنون بها البحث عن كروية الأرض وعن تقسيمها وعن تقسيم الزمن وعن تقسيم الأرض الى بحار ويابسة وعن تقسيم اليابسة الى قارات وسهول وجبال وأودية وأنهر وبحيرات الخ وعن تقسيم البحار الى اوقيانوسات وجزر وخلجان ومداخل وغير ذلك وتحديد معنى كل منها ليسهل

(*) محاضرة ألقاها معالي وزير العدلية الدكتور عبد الرحمن الكيالي في المجمع العلمي يوم الجمعة في ١٨ شباط سنة ١٩٤٤ .

على طلاب هذا العلم معرفة ما يحويه من معارف أخرى . ويقول الناس : (فلان من اصحاب المبادئ) اي من اصحاب الأخلاق الثابتة . واعتدنا ان يخاطب بعضنا بعضاً قائلين و (انا من مبدئي كذا وكذا) ونريد من عقيدتي كذا وكذا . وان نسأل مخاطبنا (ما هو مبدؤك في الحياة) اي ما هي غايتك منها . ونقرأ في الكتب (ومن المبادئ الكونية [النظام] فلولا النظام لاختلت الأكوان) وهذا يعني انه من القوانين الكونية الثابتة . ونقول (ان المبدأ الاجتماعي الخالد ان تعيش وتترك لغيرك مجالاً ان يعيش) . ومن المبادئ الطبيعية (ان لا فراغ في الوجود) . ومما اتفقت عليه الأديان واصبح مبدأ عاماً لكافتها في حسن التعامل وضمانة العدل قول التوراة (كيلوا للناس بالصاع الذي يكال لكم) . وقول الانجيل (عاملوا الناس كما تحبون ان يعاملوكم) وقول الحديث الشريف (لا يكمل ايمان أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه) وهذا يشير الى دستور التعامل بين العباد وفيه منتهى الانصاف والعدل وغاية ما تصبو اليه الانسانية .

وهنالك مبادئ لا تعد ولا تحصى تتعلق بالأخلاق والسياسة والدين والاجتماع والعلوم والتجارة وبقية الأمور أقرها العرف وجرى عليها الاصطلاح وحققها العالم واتخذها الناس مقياساً لأعمالهم وحقائق بديهية في أقوالهم ومحاكاتهم وطرقاً قويمة لعلاقاتهم وتجاربهم .

(٣) فما هو المقصود من المبدأ

ان المفهوم من قولنا (مبدأ) يختلف باختلاف المناسبة فيكون معناه تارة الاساس وتارة الطريق وتارة العقيدة وأخرى القانون او العادة لأن الكلمة لها مدلولات شتى في كل اللغات ومعاني متعددة لدى مختلف الطبقات . ففي العربية تشتق الكلمة من البدء ومعناه الأولية او المباشرة ثم صار معناها (الاصل) فمبدأ القول أوله ومبدأ الشيء أصله كقولنا (مبدأ الوجود) اي اوله ومبدأ العادة اي اصلها ثم تطورت الكلمة فغدت تفيد الطريق المعين او الأسلوب المتبع او الاساس المتخذ ففلان له (مبدأ في الأكل) اي له (عادة) وفلان من مبدأه (سوء الظن) في الناس أي

(من خطته) وزيد (ذو مبدأ مستقيم) اي لا يكذب ولا يتحول عما يقول او يفعل (ومبدأي يأمرني ان أفعل كذا وكذا) اي واجبي · ومبدأ التجارة (ان لا تبيع في الصعود ولا تشتري في النزول) اي الاصل ان تتريث حتى يستقر السوق على حال · ومن المبادئ الديموقراطية (ان يكون الشعب مصدر السلطات) اي من شروطها · وقولنا هذا مخالف للمبادئ الدستورية أي للأسس التي بني عليها الدستور كالحرية التي يجب ان لا يحرم منها وطني ضمن حدود القانون وكصيانة النفس وصيانة الأموال والحقوق فهي من الأسس التي اعتبرها الدستور واعتبرها القانون واعتبرتها الدولة من الحقوق العامة لأنها مفيدة وضرورية وضامنة للمصلحة الاجتماعية وبدونها لا يقوم استقلال ولا يدوم سلطان · ومن مبادئ التوكل ان (الأسعار والاعمار بيد الله) اي من شروطه · والذي يتحصل من مجموع ما تقدم من الافادات والاصطلاحات (ان المبدأ هو ما يقرره الفرد او الجماعة او يتواضع الناس عليه بسائق الغريزة او بسائق الفكر للحصول على غاية معينة يرجى منها الفائدة ودوام الحال بما فيه نجاح العمل واطمئنان النفس) · وقد يكون المبدأ خيالياً فلا ترجى منه نتيجة معقولة وقد يكون منطقياً ولا يصح عملياً · وقد يكون معقولاً وواقعياً فيصح من كل الوجوه ·

قلت ان المبدأ قد يكون خيالياً أو وهمياً ولعلكم تعجبون من ذلك ولكن عجبكم يزول متى علمتم ان اصحاب الدوافع المرضية او اصحاب الشذوذات المرضية يملكون مبادئ تسير حياتهم وهي زعمية أو خيالية وليس لها نتيجة منطقية ولا فائدة اجتماعية · خذوا مبدأ المعري في عدم الزواج وفي ترك اللحوم أليس هذا غير منطقي ومخالفاً لسنن الحياة وسنن الطبيعة خذوا مبدأ التقشف واهمال الجسم وترك الحياة أليس هذا شذوذاً ووهماً بأنه يرضي الإله · وهل له نتيجة انشائية او نتيجة منطقية سوى التعطيل والتعطيل ليس من سنن الطبيعة ولا من سنن الحياة

لا شك ان لكل من تارك اللحم تقشفاً ورحمة بالحيوان ، ولتارك الزواج رهبنة فيه او خوفاً من الجناية على الأبناء ، مبدأ يعللان به عملها الذي هو وقر في النفس سببه الوهم والاعتقاد الفاسد الناتج عن فرضيات توحي بها الشذوذات المرضية

او الدوافع النفسية المكبوتة (على رأي رجال علم النفس وعلم الأمراض العقلية) وليس من المبادئ التي يقرها العقل او يسلم بها العلم ولذا قلت ان المبدأ قد يكون وهمياً او خيالياً وأتيت بهذا المثال الذي له أمثلة أخرى تعرفونها متى رجعتم لدراسة المبادئ التي يدعيها الناس ·

(٤) تقسيم المبادئ

ينقسم المبدأ الى قسمين الأول (خاص) وهو ما يختص به الفرد لنفسه ويختطه لذاته بعد درس او تلقين او تجربة · والثاني (عام) وهو ما يختص به المجموع او الجماعات بعد درس او تلقين او تجربة كمبدأ الدين ، ومبدأ الحكم ، ومبدأ الكساء ، ومبدأ القانون ، ومبدأ القضاء ، ومبدأ المعاشرة ، وغير ذلك مما له علاقة مباشرة بالأمة او المجموع من الناس ·

(٥) خواص المبادئ والمؤثرات لها

والمبادئ سواء أكانت فردية أي خاصة ، او عمومية اي شاملة ، ليست وراثية ولا ولادية بل هي نتيجة التجارب والاكتساب ولذا كان لكل فرد أو لكل جماعة او لكل أمة مبادئ يتمايزون بها ويعملون بها وحيث ان المبادئ من طبيعة الانسان فهي تتبدل وتتغير وتتطور كلما ارتقى الفكر وزادت الاختبارات والتجارب واتسع العلم وارتقت المدنية التي هي الوسيلة لتهذيب طبيعة الانسان وتعديل سلوكه ·

ولعلاقتها بحياة الانسان وضروراته الاجتماعية تكون في نشأتها لا شعورية ثم تغدو عاطفية ثم تتطور فتكون شعورية تحت وعي الذهن وسطوة الإرادة ·

ومن المشاهد ان مفعول المبادئ قد يكون آنياً وقد لا يظهر الا بعد حين وقد نلمس نتائجها بسهولة لأنها تسيطر علينا وقد لا نشعر بتأثيرها بسهولة لأنها لا تسيطر علينا ولكنها في كل حال لها مفعولها المستمر وقوتها الدائمة متى كانت صالحة لتوجيه الأعمال ومحكومة لضوابط العقل ·

والذي يغلب على الأفراد والجماعات ان مبادئهم تتجلى عليها اللاشعورية ولهذا تتصف بالبطء والتقليد والمحاكاة وسرعة التقلب والعكس بالعكس متى تسلطت عليها قوى الذهن ·

(٦) تأثير المبادئ في الفرد والجماعة

وحيث علمنا بأن المبادئ تلازم الانسان وهو حي فلا بد ان يشملها قانون الحياة فتتبع المؤثرات المحيطة اي مؤثرات البيئة وتأثيرات الزمن والتربية والعلم فتتطور طرداً اذا كانت صالحة وعكساً اذا لم تكن صالحة والصالح ما صحت أساساته وضمن العمل نجاحه وكان في حيز الإمكان والواقع والعقل وملائمة الزمن .

ان دراسات تأثيرات المبادئ تعني في الحقيقة دراسة الفكر البشري وأعماله في الفرد والجماعة وفي عبارة أخرى درس المدنية والعلم والعمران .

ومما لا يحتاج الى دليل قولنا ان الحروب والمنازعات والثورات والانقلابات والأنظمة والشرائع والآداب والعادات حتى الفنون والأخلاق والمعاملات هي محصول المبادئ ونتيجة فعلها المباشر أو غير المباشر . والحقيقة ان فعل المبادئ لا يظهر إلا متى اختمرت عناصرها وخرجت صورها من حيز التصور الى حيز الفعل ونزلت من أعالي الواعية الى مقر الباطنة حيث تنمو وتتكون منها دوافع الحركة والعاطفة وعندها كما يقول غوستاف لوبون (تصير المبادئ جزءاً من الخلق ويكون لها التأثير في الحياة لأن خلق الانسان يحتاج في تركيبه الى تراكم طبقات من الأفكار اللاشعورية) والبرهان انها اذا استحوذت على ضمير الأكثرية وتملكت عواطفهم ومشاعرهم وأفكارهم تسوقهم الى العمل دون وعي لكن بلذة ونعيم .

أضع امامكم هذه الحقيقة وأسألكم التمعن فيها . انها المفتاح لفهم الحادثات التي مرّ ذكرها والسر لاستشهاد المتدينين في سبيل عقائدهم الدينية والعلة لافراط المتهوسين في تنفيذ دوافعهم ورغائبهم والسبب لانكباب المفكرين والعلماء على مباحثهم ومكتشفاتهم والداعية للفنانين على الجهد والتحمل لخلق بدائعهم ونفائس مصنوعاتهم والباعث لشجاعة ووطنية المدافعين عن أوطانهم وحريتهم والدافع للغوغاء على تخريباتهم ومظاهراتهم دون وعي او حساب للعواقب .

(٧) تطور المبادئ وكيفية حصولها

ان عوامل التطور لا تخلو من أحد الاسباب الآتية (الحاجة ، المحيط ، رقي الفكر

الزمن ، الاستعداد) وللايضاح أسرد عليكم بعض الأمثلة · خذوا مبدأ الطعام · انه كان ويجب ان يبقى لتأمين ما يحتاجه الجسم من مواد تحفظ نموه وتعطيه الوقود اللازم لاستهلاك الحرارة الضائعة في كل حركة تجريها عضلاته وأعضاؤه وذلك بما يتناوله الانسان من لحوم الحيوان ومن خضروات الطبيعة وفواكهها ·

ولكن هل يبقى مبدأ الطعام على ما ذكر وهل اختصر على ما تتطلبه الحاجة من طبخ وتهيئة وما يتطلبه المحيط من اعداد للأواني والمائدة وما تتطلبه العادة من أدوات وغرف وزخرفة وزينة وما يقضي به رقي الفكر والحضارة من حديث ومجاملة وصحبة ·أ

كلا · ففعل التغذيـة وقل الطعام تطور مبدؤه وأصبح يحمل عناصر أخرى ذوقية واجتماعية وعلمية لا بد منها بسبب تأثير العوامل المار ذكرها · وخذوا مبدأ الكساء فقد كان يرمي للوقاية ثم دخلت فيه دواعي الزينة ثم دواعي الترف وهو اليوم على ما ترونه يتطور بحسب تطور المدنية والمحيط والحاجة وخذوا مثالاً ثالثاً (الحب) ان الحب مظهر من مظاهر العطفية اقتضته الحياة لتأمين النسل بايجادها الميل عند البلوغ نحو الجنس الآخر · انه طبيعي في كل انسان وعدم وجوده او التحسس به دليل الانحراف عن الحالة السليمة · تصوروا كيف كان عند الانسان الأول ولا يزال عند الذين يشابهونه وكيف هو الآن عند من يتقيد بحدود الآداب والقانون ويعلم من أهدافه ما يوحيه العلم والدين والتهذيب فالمبدأ في الحالة الأولى كان قضاء شهوة واستمتاع رغبة شأن البهائم ثم تحول الى لهو وتلذذ ثم تحول الى الفة وتبادل عاطفة لتأمين غاية وهو ما ترمي اليه الحالة الثانية ونصفه اليوم بارتقاء الاعتبارات الاجتماعية والمدارك البشرية بأنه غاية سامية للترابط ودوام النسل وبقاء الألفة والاجتماع · فالحب في نظر الحياة ضروري ، لأن الغريزة الجنسية تبعثه في العواطف ، والحب في نظر المدنية ضروري ، لأنه مدار الالفة والارتباط · والحب في نظر العلم والفن ضروري لانه مبعث الخيال والشعر والالهام والابداع وفي نظر « فرويد » سبب الاجتماع والأدب والفنون والقوانين والأديان يقول الصوفي العظيم ابن العربي :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي   اذا لم يكن ديني الى دينه داني

فأصبح قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
ومعبد أوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

واليكم المثال الرابع وهو المهم خذوا مبدأ الدين ماذا كان وماذا آل اليه . قلت الدين بعد الحب لأنه نشأ ونما بنشأته ونموه . ما هو المبدأ الأول له . كان مظهراً لغريزة الاستطلاع والشك والحيرة يدعو اليه الخوف والهرب من قوى الطبيعة ثم تطور فصار مظهراً للرجاء والأمل والاستسلام لها ثم تطور الى الخضوع والاحتفاء بقوى الحيوان والانسان أمل دفع الضرر وجلب النفع ثم تقدم فغدى وسيلة لاستمتاع القوى بما لا يستطيع الضعيف الوصول اليه فاكتنفته الخرافات والأوهام والشعوذات وسترته الرموز والطقوس ولما استنار الفكر الانساني بتقدم الحضارة اتجه للتحري عن مصادر القوة وخواص الحياة والمادة فتحول من الخوف والمبادئ اللاشعورية وبدأ بعبادة القوة والفضائل المتجلية في شخصية الأجداد والآباء والابطال والملوك والرؤساء وما يمثلها من الاصنام والاشخاص التي تعبر عن الفكرة أو الرغبة القائمة في نفس المؤمنين وفي التطور السادس اتجه الى التحري عن كيفية الاتصال بالقوى المطلقة فلم يجد الفكر الانساني ما يرضي رغباته ولا شعوريته غير القول بالألوهية التي عددها ثم ثناها ثم ثلثها ثم وحدها وجعلها مجردة ووصفها بما فرضه فيها (وهي معكس مما فيه) من صفات وكمالات وراح يتحرى معرفة الحقيقة فتسائل عن مكانها وماهيتها وأعمالها وعلاقاتها ومصدرها ونهايتها ومضى عليه اكثر من عشرة آلاف سنة وهو مجد في بحثه وفي استقصاآته واستنتاجاته ولما يصل للمعرفة التي هي الحقيقة بعينها ولن يصل اليها وجل ماسينتهي اليه الاقرار بالقول (بطل الإله ان يكون إلهاً اذا قام الدليل المادي على وجوده) لان العقل الذي لم نستطع إدراك ماهيته يعجز عن ادراك ماهية الموجود الأول الذي كل ما نستطيع ان نعلم عنه بمدراكنا وحواسنا هو مظاهره الوجودية في نظام الكائنات وجمال المخلوقات وابداع المصورات فللموجود موجد لان هنالك نظاماً وجمالاً وابداعاً نلمس أثرها ونشعر بوجودها في كل الأشياء

وعليه (فالدين) ان ندرك الصلة بين الانسان وخالقه ونفهم المظاهر الإلهية بأكملها واعمها وما سواه فأعمال ووسائل وأمور تتعلق بدنيا يحبها الانسان ويريدها لنفسه ويختلف عليها وعلى كيفياتها ومراميها لجهله . وبعد أرأيتم كيفية تطور المبادئ وأثرها واسبابها .

واليكم المثال الأخير وهو مبدأ العلم . ما هو العلم ؟ العلم هو تصنيف المعرفة وما هي المعرفة ؟ هي حصول صورة الشيء في الذهن اي حقيقتها . فالعلم اذاً تصنيف الحقائق التي يتصورها الفكر على ما هي عليه ولكن ما نسميه العلم اي مجموعة الحقائق كانت تحيطه الأوهام والخرافات وكانت الحقائق مبعثرة دون تمحيص وتمييز . ولما بدأ البشر بتدوين تجاربهم ومعارفهم خطى العلم خطوة نحو التحرر والتجرد . ثم زادت المعارف وتطورت المدنية وارتقى الفكر باحثاً وناقداً فكانت الفلسفة وكان الجدل ثم أزيلت ستائر الوهم والخرافات عن معالم العلم فظهرت الحقائق مجردة عارية ونفذ الفكر الانساني الى مجاهل الحادثات والعلل والأسباب والنتائج . ولما جاء القرن التاسع عشر وتحكم النقد وتحكمت التجربة فيما وصل الى الهيئة الاجتماعية من معارف الأقدمين وآثارهم وما نتجه العقل الحاضر من اكتشافات بعد ما تحرر وانطلق بهم في جميع ميادين البحث ، ظهرت الحقائق وزالت معظم الأوهام والنظريات وتأسس مبدأ العلم (على الاستقراء والمشاهد والتجربة والاستنتاج والقياس الصحيح) وكان أشهر من خدموا مبدأ العلم وأبرزوه مجرداً فلاسفة اليونان الأقدمين وعلماؤهم واطباؤهم امثال ابيقراط وفيثاغوروس وغالينوس وسقراط وافلاطون ومن عاصرهم ثم علماء العرب وفلاسفتهم وأطباؤهم أمثال الرازي وابن الرشد وابن سينا والفارابي وابن جابر وابن البيطار والبيروني وغيرهم ثم جاء من بعدهم علماء الغرب امثال ده كارت وكانت وسبنسر وآدم سمث وغاليلي ولابلاك ونيوتون وداروين وماكسويل وجتنر وفارادي وواغنر وكليفن وطومسون ووات واديسون وبيكون وبنتام وتهلد وروسكين ورنان وروسو وولتر وسبينوزا ونخت وكارليل وباستور وژون لوك ومونتيسكيوا وهيكل وفرويد وانشتين وسواهم من الفلاسفة والعلماء والمخترعين والمكتشفين والأدباء فاتجه مبدأ العلم الى بحث الحقيقة مجردة ومعرفة الطبيعة وما فيها من سنن وقوانين فكانت

المدنية وكانت النهضة الحديثة • وقبلاً سخر الناس من نظريات (دارون) في العلم الطبيعي وسخروا من كولومبوس ومن براهينه وضحكوا من (هارفه) (وژنهر) كما ضحكوا من (افلاطون وسقراط) وكما اضطهدوا الزمخشري والسهروردي وابن تيمية ولكن المبادئ العلمية لم تبال بسخريتهم وضحكهم واضطادهم فسار العلم في طريق النضوج وتحقق مبدأه الأعلى في التحري عن الحقيقة والتعبير عن الحق والحقيقة وانتهى العلم الى ما نحن عليه •

أما تأثيرات هذه الأطوار وما انتهت اليه فاليكم بعضها : ١ — انتقال السلطات من أيدي الملوك والرؤساء الى أيدي الشعب ٢ — حرية الفكر والعمل والضمير ضمن حدود المبادئ والقوانين ٣ — انتظام الوحدات الاجتماعية وترابطها ٤ — انقطاع النزاع الديني والاضطهاد بسبب العقيدة والمبدأ ٥ — نزوح العادات والآداب والاعتبارات والتقاليد نحو الديموقراطيــة والأهداف السامية للاجتماعية البشرية ٦ — انتشار الاشتراكية ٧ — زوال الفوارق الطبقية ٨ — زيوع العلم والتربية بين الأفراد ٩ — استقرار المبادئ العلمية والوطنية والقومية ١٠ — تقوي المبادئ التعاونية والغيرية الدولية ١١ — توسع الروابط الاقتصادية بين الأمم ١٢ — اتجاه المدنية للاجتماعية السياسية ١٣ — رفاهية الانسان ضمن الرفاهية العامة • هذا ما يمكن تعداده باختصار • وحيث وصلنا الى هذا الحد من التعريف والايضاح فاني سوف انتهي بكم الى النتيجة ولا أزيدكم شواهد ولا تفصيلاً ولا تطويلاً فقد اردت ايقاظ الفكر والانتباه ولكم من صحافتكم وعلمكم وتجاربكم مايضيء لكم سبل البحث والتوسع •

(٨) النتيجة : الوجدان الفردي والوجدان الاجتماعي

وبعد ما هي النتيجة من وجود المبادئ وتطورها •

ان المبادئ تنتهي في نشوء المثل العليا في الأفراد وتكوين الوجدان الاجتماعي في الامم والجماعات •

ما هو الوجدان ؟ هل هو حقيقة • أم تسمية لمظهر غير محدود •

ان الوجدان ليس عضواً آلياً ولا مركزاً عصبياً ولا قوة مادية بل مظهر

الضابط النفساني القائم في العقل الواعي وفي ذاتية الفرد والمجتمع الانساني . نسميه الضمير ونسميه النفس الذكية ونسميه الذات العلوية وهي اسماء اختلفت في اللفظ واتحدت بالمعنى والمقصود منه ما يأمر باتباع المبادئ وما نشأ عنها من مثل عليا فينظمها وينظم الدوافع الباطنية ويضبط عملها ويعدلها فان سلم العقل من شهوات الدوافع وانفعالاتها ارشد الذات الى الحق والخير وإدراك الصواب مستمداً قوته من التربية الصحيحة والتعاليم الصالحة والمبادئ المفيدة وينتفي وجوده او يعتل ويضعف فعله عند ماتصاب الذات بسوء الوراثة والتربية وبسوء التغذية والنمو وبالأحداث المهيجة وبالمخدرات والمكيفيات وبالأمراض الانتانية والتناسلية وغير ذلك من العوامل التي تتولد وتقوى معها الدوافع المرضية وتساعد الاستحواذ على إخضاع الإرادة والعواطف وتسخير الحي الى غير ما يأمر به الوجدان وترمي اليه المبادئ والمثل العليا . هذا هو التعليل العلمي لما يقع في عالم النفس ونحس به ونشعر بفعله ونلمس تأثيره فينا ولهذا يحق لنا الإيمان بوجوده ويحق لي ان أطلب منكم إن تراجعو أنفسكم وتفحصوا ذاتيتكم وتحاسبوا وجدانكم ومثلكم ممن يحملون المثل العليا ويتبعون المبادئ المثلى ولهم وجدان يدركون لذة الحياة وآلامها فمن لايعرف نفسه لا يعرف غيره ومن لا يفقه غيره لا يحب العالم ومن لا يحب العالم يكره التعاون مع الناس . فهل اتصفنا بالاجتماعية وادعينا الانسانية وقبلنا الحياة المدنية لنعذب ضميرنا ونجهل أنفسنا وغيرنا .

لاحظوا أيها السادة ان النفس متى خلت من الوجدان استحوذت عليها الأنانية والمطامع وهي علة ماتقاسيه الانسانية وما يقاسيه العالم . وهل هذه الحروب وهذه المخاصمات سواء بين الأفراد او بين الأمم الا نتيجة ضعف الوجدان وفقد الضابط النفساني .

اجل . ان المطامع البشرية ليس لها حدود وهي شر ما تبتلي بها الأمم لأنها سبب العراك والتنازع فهل نستطيع درأ مضارها وتخفيف ويلاتها بدون الوجدان الاجتماعي . وهل من قوة تستطيع مقاومة الاستبداد بغير انتصار الديموقراطية . وهل من معالجة نستطيع بها إزالة الرأسمالية بغير التعاونية العالمية وكيف نتخلص من الانعزالية والفردية بغير الترابط الدولي والتعاون الاقتصادي وكل ذلك من

عمل الوجدان الاجتماعي الذي هو ظهير الغيرية ومظهر من وعي البشرية ·

لذلك وحيث انكم على اختلاف ثقافتكم واختلاف مهنكم ووجهات نظركم في الحياة مدعوون لاختيار المثل العليا واختيار المبادئ لتساهموا في بناء الإنسانية وفي تثبيت السيادة والاستقلال القائم على حرية الفكر والضمير وحماية الحق والحياة فان مساهمتكم في تأييد مبدأ الغيرية يعد نصرة للتطورات التي ننتظرها من العالم المقبل ·

واذا سألتموني ما هي الغيرية أجبتكم بدستور واحد (ان تحب لغيرك ما تحبه لنفسك وان تعامل أخاك كما تحب ان يعاملك ، وان تعيش وتترك غيرك ان يعيش ، وان تحسن للعالم كما أحسن العالم اليك) فهل تجدون في تعاليم الانبياء وتعاليم المصلحين وفي تصريحات دعاة الحرية ونصرة الأمم الضعيفة والقائلين بمقاومة الاستبداد والتحكم في الشعوب مبدءاً اسمى وأصدق مما قلت · ولما كان القضاء نتيجة للغيرية وكان من مبدأه مقاومة الأنانية فانه يعمل دائماً لنصرة الحق وإحقاق العدل وبيان الحقيقة واقامة الحدود ومنع التعدي فان قصر فيما اليه وضع انتهى الى نصرة الأنانيه التي تدعو اليها الغرائز ولا يدعو اليها الوجدان العاقل · ولكن من يسمح للقضاء ان يخرج عن مبدئه ·

ان اعتناق المبدأ والدعوة له يجب ان يقترنا بالتضحية والاخلاص قولاً وفعلا ومتى كان ذلك استدام تأثيرهما في النفس وأصبح وجودهما جزءاً من عناصرها وقوة لضبطها وتنظيمها وللبرهان تصوروا ان خمسة عشر الف من الاسبارطابين غلبوا مائة وخمسين الف من الفرس على رأسهم « دارا » لأن الأولين أخلصوا لمبادئهم وضحوا في سبيل وطنهم فأنقذوه وتصوروا ان قرطاجنياً واحداً بقسم اليمين لينتقمن لأبيه فيهاجم روما ويفتحها بجيشه لأنه ثبت على المبدأ وضحى في سبيله وتصوروا يتيماً فقيراً يقرر هداية قومه وانقاذهم من استعباد الفاتحين ودعوتهم للاتحاد والأخوة وللوحدانية المطلقة ونبذ الجاهلية ثم يبين لهم طريق العمل والهداية ويحملهم بعبقريته وبطولته وبلاغته الى الايمان بما دعى ونشر ما بلغ ويصبر على أذاهم ويحتمل جورهم

ومقاومتهم ويثبت على مبادئه السامية وتعاليمه العالية حتى اهتدوا وآمنوا فتبعوه ونصروه ثم حملوا مشعل هدايته الى العالم ففتحوا الممالك ودوخوا الأمم وهم أقلية في عددها وعدتها لكنهم لتمسكهم بالمثل العليا ولإخلاصهم الى الرسالة التي بشروا بها كانوا أكثر قوة وأمضى عزيمة وهكذا أثبتوا ان المبادئ والمثل العليا هي التي تؤسس الممالك وتنمي الحضارات وترتقي بالمدنية .

ومما لا شك فيه ان الانقلاب الذي سيحدث بعد ظفر الحلفاء سيثبت للعالم بأن الوجدان الاجتماعي سينتزع من الأمم المنتصرة المطامع واذا تحقق مانشرته الدول الديموقراطية في عهدها الأطلانطيكي من المبادئ التي ستكون دستوراً لكيفية التعاون وحل المضلات التي ابتلت بها الشعوب بإقامة الجمعية الأممية وإنشاء دستور ومحكمة لها وجيش ويكون قوة لتنفيذ مقرراتها فانه يكون البرهان على صحة ما وصفناه وتكون الحجة القاطعة لكل شك وريبة قد يخالجان نفوس الجاحدين لقيمة المبادئ وتأثيرها ولوجود الوجدان الاجتماعي وحقيقته وختاماً اننا ليوم الحق لمنتظرون ولنصرة حماة الحق لداعون .

عبد الرحمن الكيالي



فضل العرب على علم الحيوان

تصدير

يعرف علماء مُضَر وسواهم ، ان الافرنج اقتبسوا من العرب ألفاظاً جمة ، واغلبها منتزع من الكيمياء ، والفلك ، والنبات ، والطب ، والحساب ؛ ولم يذكروا من الحيوان إلا شيئاً نزراً . مع ان الحقيقة ان ما استعاروه من أسماء الحيوان ، وكان أول من وضعها من تقدمنا من السلف ، أكثر بكثير مما انحلوه لأنفسهم من سائر العلوم والفنون والصنائع .

وهذه الاسامي انتقلت الى أبناء الغرب ، من غير ان ينتبه هؤلاء الى انها من لغتنا . والسبب ان الافرنج لم يتلقوها رأساً عن السلف الصالح ، بل على أيدي أهالي بلادٍ بعيدة عن جزيرة العرب ، كأهالي افريقية ، وأميركة ، والهند ، وجزر المحيط الهادئ ، وسكان ذابح الى غيرها ، مما لا يمكن حصره .

أما كيف اقتبسها أولئك الأعاجم من العرب ، فان السرّ لم يبق غامضاً كما كان بالأمس . فقد اتضح لكبار الباحثين ، ان العرب وصلوا في سابق العهد الى ديار أميركة ، ومجاهل افريقية ، وأقاصي آسية ، لأنهم وجدوا آثاراً عادية ، هي من بقايا أبنيتهم وتمدنهم وثقافتهم بحيث لم يبق شك ولا ريب في هذا الأمر .

أما كيف وصلوا الى تلك الأرجاء النائية ، فهذا مما لم يتفقوا على تأويله . فمن قائل ان بني عدنان كانوا يبرحون منازلهم في أيام الشتاء او الربيع ، ويصلون الى أقاصي الشمال من آسية ، حيث مضيق بهرنك Détroit de Behring في فصل جموده ، فيتمكن كل انسان من عبوره سيراً على الأقدام الى اميركة أو على الدواب ، او على عجلات هي في منتهى البساطة والوضع (كذا) .

وأما الى افريقية ، فكان انتقال السلف الى ارجائها المتسعة ، من أقدم الازمنة ، لاتصال جزيرتهم بذلك البرّ المشابه لبلادهم في كثير من الأمور ، وهناك أدلة عقلية ونقلية ، لا تحصى ، تدل على صحة هذا القول .

وقد أصاب البصراء بعلم العجماوات ان أسامي لا تحصى، لا يعرف اصلها، فيجتزئون بقولهم: هذا الاسم وجد بهذه الصورة في لغة أهالي تلك الربوع.

ونحن لا نشك في ان الأندلسيين الذين رحلوا الى أميركة بعد وجودها، كان أكثرهم يحسنون لغتنا، فكان يسهل عليهم وضع الأسامي لتلك الخلائق، من ذوات الأربع، والطير، والسمك، والدويبات وان كان من سبقهم الى تلك الأنحاء، سبقوهم أيضاً الى وضع ألفاظ أخر.

ولما جاء اليها أبناء أوربة، وما كان لهم اطلاع على لغة أبناء مُضر، اعتبروا تلك الأوضاع من مصطلح الأهالي أرباب تلك الاصقاع، ولم يجهدوا انفسهم في معرفة أصل واضعها. أما الخبير البصير بلسان العرب، فيشعر حالاً بأصلها في أول سماعه لها، وبعيدها اليها، بدون أدنى كلفة.

ونحن نذكر هنا بعض تلك الألفاظ، وهي اسماء حيوانات، منها في افريقية، ومنها في اميركة، ومنها في آسية، وقد يكون بينها، ما وُضع حكاية لصوتها، ومنها لمزية فيها، ومنها وصفاً لها على ما خُيل اليهم، ونحن لا نتبع نظاماً ما، بل نوردها على ما تحضرنا، ويسهل بعد هذا إيرادها على حروف المعجم، او على ترتيب فصائلها وأجناسها وأنواعها وضروبها، تبعاً لاصول العلماء المعروفة اليوم، فنقول:

١ — الزبراء أو الحمار العَتّابي(١)

الزبراء مؤنث الأزبر، وهو المخطَّط والمكتوب والمزبور، على ما يحصل من مراجعة لسان العرب في هذه المواد الثلاث وهي طويلة مملة.

وقد ورد الافعل بمعنى الفاعل والمفعول والمبالغة ومنه قولهم: الله أكبر والله أعلم، للمبالغة، بمعنى كبير عليم. — وقالوا: الأخطّ بمعنى الحسن البديع

(١) العتّابي هنا بمعنى المخطط والمُسيَّح، وهو على وزن جبّاري نسبة الى محلة العتابيين من محالّ بغداد في عهد العباسيين، وكان يصنع فيها ثياب مخططة بيض وصفر فاقعة ومشبعة، ومن العتابيّ اشتق الفرنسيون كلمتهم Tabis بهذا المعنى وقد حذفوا من كلمتنا العين والتاء الأولى. وسماه الانكليز Tabby فزادوها تشويهاً فحذفوا ما حذفه الفرنسيون أي الهجاء الأول من الكلمة وعوّضوا عنه بتضعيف الباء الموحدة التحتية.

الحسن . وقالوا : رجل أقلّ ، اي فقير وله بقية - وقالوا : الاسم الاعظم . وقالوا : أقلّ رجل يقول ذلك إلا زيد ، اي ما رجل يقوله إلا زيد .

فهذه ونظائرها وهي لا تحصى لكثرتها ، تدل على ان صيغة أفعل قد تأتي بمعنى غير معنى المفاضلة . فالأزبر هنا معناه الكثير الزبور أي الخطوط . ومؤنثه الزبراء . والحيوان المعروف بالزبراء هو حمار معروف بكثرة ما عليه من الخطوط ، كأن فناناً ماهراً خطها بيده بمهارة عجيبة لا يماثلها مهارة . وقد رأيت واحداً من هذا الحيوان في حَيْر[1] القاهرة ، في سنة ١٩٣٤ وكنت مع الدكتور أندراوس شخاشيري صديقي الحميم .

أما سبب تأنيث اللفظ ، وان كان يراد به الذكر ، فلأن هناك حرفاً محذوفاً هو « دابة » فيكون أصل الوضع : « الدابة الزبراء » وبالفرنسية Zèbre وبالانكليزية Zebra . والدابة في لغتنا تقع على الذكر والمؤنث . فالزبراء إذن ، لفظة مؤنثة ، تقع على الحيوان الذكر والأنثى . أما الافرنج فلم يعرفوا أصل هذا اللفظ ، بل قالوا : هي لفظة وضعها أهل تلك البلاد لحيوانهم هذا ، من غير ان يعينوا القوم الذي نطق به ، ولا حقيقة لغتهم . أما بعد هذا ، وبعد ان وقفت على هذه التفاصيل ، فلا يجوز لك ان تتابع تلك الآراء الدالة على الجهل بل تعطي لكل ذي حق حقه .

ومن مترادفات الزبراء : الحمار العتابي ، وحمار الزرد والحمار الوحشيّ المخطط . ولا جرم ان أحسنها واصدقها مدلولاً على صاحبها : ماذكرناه لاتفاق جميع اللغات على تسميتها .

وأما التفاصيل المتعلقة بهذه العجماء ، فنتركها للعلماء الذين يعنون بها ، اختصاراً للموضوع .

٢ — المُرابِط والأُرْجل

المرابط ، اسم فاعل من رابط يرابط مرابطة ، وهو طائر يعرف عند الفرنسيين بمَرابوط Marabout وعند الانكليز مَرابو Marabou او Marabu واسمه العلمي Leptoptilos crumenifer ومعناه : الطائر اللطيف الريش ذو الجراب . ومنه ضرب

(١) المراد بالحير (بحاء مهملة مفتوحة ، يليها ياء مثناة تحتية ساكنة ، وفي الآخر راء) ما يسميه بعضهم اليوم حديقة الحيوانات ترجمة للانكليزية Zoo ، أو للفرنسية Jardin Zoologique والحير معروفة في كتب التاريخ من عهد العباسيين .

آخر يسميه العلماء L. dubius ، أي المرابط الطّواف ، ويسمى أيضاً بلسانهم L. argala أي المرابط الأرْجل . أي الطويل أو العظيم الساقين . فقولهم الأرْجل ، واضح انه من العربية بلا أدنى شك .

اما سبب تسميته بالمرابط على ما يقوله علماء الغرب فلأن معنى المرابط عند العرب كمعنى الربيط وهو الراهب الزاهد والحكيم الذي نزه نفسه عن الدنيا . وعرف هذا الطائر بذلك لأنه يقف ملازماً مكانه ساعاتٍ طوالاً ولا يغادره الا عند الضرورة القصوى ، لانه من الشاهرجات المولعة بأكل الضفادع والحيات ولا سيما تلك التي تعيش في الماء . والمرابط والربيط بمعنى هذا الطائر لم يردا في كتب السلف ولم يقيدوه في معاجمهم ، ولا أتوا على ذكره في كتب الحيوان ، لأنهم لم يعنوا عناية صادقة بعلم المواليد ، ولا سيما ما كان منها خاصاً بالحيوان في اقسامه الثلاثة

اما ان المرابط كان معروفاً عندهم فما لا ريب فيه ، اذ كيف نقله الغربيون عن السلف ، والسلف لم يعرفه ؟ واما انه من لساننا ، فهو من المؤكدات ، اذ يقرّ بأصله العدناني جميع لغويهم على اختلاف قومياتهم .

والذي أعرفه انا بنفسي ، اني مررت في شهر تشرين الاوّل (اكتوبر) من سنة ١٨٩٤ ، ببطائح البصرة وما جاورها ، وكان هناك من أنواع الطير ما يدهش كل انسان ، ومنها تلك الطيور ما كان يسبح ومنها ما كان يطير فوق مياهها ، ومنها ما كان واقفاً على شواطئها . فسألت واحداً كان هناك : ما هذا الطائر الطويل الساقين ذو الخريطة على صدره ؟ — قال : هذا المرابط . — قلت : ولِمَ تسميه بهذا الاسم ؟ — قال : لانه يرابط في موطنه ولا يغادره الا في النادر .

وسألت آخر : ما تسمي هذا الطائر ؟ — قال : هذا اسمه المربوط . — قلت : ولماذا تسميه مربوطاً ؟ قال : لأنك تراه واقفاً في مكانه بدون حراك ، كأنه مربوط برباط لا يدعه الافلات من مُقامه .

وسألت آخر عن اسمه . فقال : اسمه ابو قِرْبة . قلت : ولماذا ؟ — قال : لأنك ترى على صدره ما يشبه القربة . ولو سألت رابعاً وخامساً وسادساً ، لسمعت منهم اسماء أخر غريبة عجيبة ، مما يدل على ان مفردات اللغة كثيرة لا تحصى وغير مقيدة

في الدواوين ، وان اسماء الذوات والأعيان تختلف باختلاف البلاد والعباد والقبائل ، بل باختلاف الأفراد الذين ينطقون بها ، وبمختلف الأزمان . فلعل بعض تلك الألفاظ قديمة الوضع ، وبعضها حديثة ، وأخر من وضع المتكلم نفسه ، لانه لا يريد ان يظهر نفسه جاهلاً ، فتستصغره عينك وتحتقره على ما يبدو له .

وأهل السودان يسمونه (أبوسعن) والسعن ، بضم السين ، يشبه الدلو في بعض مستعملاتها ، فهو كقول بعض العراقيين (أبو قِربة) .

٣ً — الأَرْجَس والتُلَجَة

التُلَجة ، وزان ضُحكة ، ضرب من القِردان السامة يتعرّض للانسان والحيوان ، والكلمة مشتقة من الولوج بمعنى الدخول ، لانه قد يدخل في مواطن من الانسان لا يحسن ذكرها . — والأَرْجس ، افعل بمعنى فاعل او فعيل للمبالغة واللفظ مشتق من رَجِس الرجل يَرْجَس ، كعلم يعلم ، ورَجُس يَرْجُس ككرم يكرم ، اذا عمل عملاً قبيحاً . وانما سماه العرب (ارجس) لكثرة أذيته للانسان والحيوان . وهو كثير الوجود في ديار فارس ، ومنه اسمه العلمي الأرجس الفارسي Argas Persicus . وأما الاميركيون فيسمونه تَلَجَة ، بالتحريك اي Talaje . واسمه العلمي الارجس التلجة A. talaje .

وقد ذهب علماء اللغة من الغربيين ان الكلمة مأخوذة من لغة أهل اميركة الوسطى ، من غير ان يذكروا اسم تلك اللغة ولا اسم القوم الذي وضعها ، أما أصلها العربي فظاهر كل الظهور .

٤ً — القَروض

هذا اسم جنس من القوارض اللبونة ، وهو يشمل سناجيب صغيرة مبثوثة في افريقية وآسية واسمه بالفرنسية Xérus وهو واضح الأصل العربي ، ولم أهتد الى اسمه العلمي .

٥ً — العوّام

العوّام وبالانكليزية Yuen ضرب من القِردة ، موطنه سيام وجنوبي الصين وجزيرة هائنان ، ولا يعيش إلا متسلقاً الأشجار ، وله ذراعان طويلتان جداً ، ولون الذكر

أسمر مشبع ، او أسيمر ، وله جمة ثخينة وشعره اسود حالك . ومن المألوف انه يرى على رأسه نكتة بيضاء تداني جبهته . وأما لون الانثى ، فأبيض أصيفر ، مع نكتة مظلمة على صدرها ونكتة أخرى فوق قمة رأسها .

ومن مزية هذا القرد انه يعوم في الغابات ، أي يطوف فيها فهو لا يترك شجرة إلا من بعد ان يمسك بأخرى ولهذا سماه العلماء Hylobates pileatus أي الطوّاف والعوّام في الغابات ذو الفليلة .

٦ — الواضحيّ

الواضحي ، وبالانكليزية Wapiti وبلسان العلم Cervus canadensis اي الأيل الكنديّ ، هو ضرب من الأيل ، موطنه الأصلي كندة (بالتحريك) من ديار اميركة الشمالية ، وهو يشبه حاقّ الشبه الظبي الاحمر الاوربي . وقد يزيد حجمه قليلاً على حجم أخيه الاوربي ولقد ارتأى بعضهم ان هذا الأيّل ضرب من الظبي الأحمر ، وذهب آخرون الى انه نوع منه .

وهو مشهور بقرنين كبيرين متشعبين . ويظن لغويو الاميركيين ان اسمه من لغة الإيركوة ، وهم من أهل كندة الاصليين وينزلون الارض الواقعة بين البحيرتين ارلة Erlê وانتاريو Ontario . والذي عندنا ان هذا الاسم مأخوذ من صفة لونه وهو (الواضح) مكسوعاً بياء النسبة فقد قال لغويونا : الواضح : الابيض من الإبل غير شديد البياض والابل هنا للتمثيل لا للتخصيص ، فقد يكون هذا اللون المذكور لبعض ضروب الأيائل كما هو الأمر هنا .

٧ — اليَعْفور

في الصين ، ضرب من الظباء يسميه الانكليز Elaphure والعلماء Elaphurus Davidianus أي اليعفور الداوديّ وقد ذهب فقهاء اللغه من أبناء بريطانية الكبرى ان اصل اللفظ من الهلنية Elaphos اي إيّل والذي عندنا نحن ان الكلمة من اليعفور ، وهو واضح . فقد قال لغويونا القُدَامى : اليَعْفور ، بالفتح وبالضم : ظبي بلون التراب ، او عام . وقال بعضهم : اليعافير (التي هي جمع اليعفور) : تيوس الظباء . واليعفور

مأخوذ من العفرة وهو لون الأعفر ، وبياض ليس بالخالص . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة ، والذي في سَرَبه حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض .

وعلوّ اليعفور نحو أربع اقدام عند كتفيه ، وله قُرَينان ثَعلان[1] خاصان به .

٨ — الحفث السامّ

الحفث السام هو المسمى بالانكليزية Elaps وهو أفعى سامة تُرى في العالمين : القديم والحديث . وقد قيدنا هنا بالسامّ ، لأن الحفث لا يكون ساماً البتة . والظاهر ان الكلمة لما وُضعت لهذه الأفعى ، كان يقال : الحفث السام فلما اشتهر بين الناس ، واستثقلوا اسمين لمسمى واحد ، حذفوا السام ، واحتفظوا بالحفث . والانكليز يجهلون أصل هذا الحرف . ولا يؤوّل الا بما ذكرناه .

٩ — الضِناك

الضناك ، بكسر الأول ، وبالانكليزية Dingo كلب وحشي يُرى في استرالية ، ويُظن انه نقل اليها منذ الأزمنة الواغلة في القدم ، وهو مُوثق الخلق شديده ويشبه رأسه رأس الذئب أو ابن آوى ، وله ذيل وافر الشعر ، ولونه أسمر أحيمر ويذهب جماعات لطلب رزقه ، وعلماء الحيوانات من الانكليز والاستراليين لا يعرفون معدن الكلمة ، ونظنها من لغتنا من قولهم : الضِناك : الموثق الخلق ، الشديده .

يتبع (بغداد) **الاب انستاس ماري الكرملي**

---

(١) القرين الثعل : قرن صغير ينمو عند تقدم الايل في السن وينمو أيضاً في قرن الظبي الاعفر ومعز الجبل ونظائرها . والثعل في لغتنا ، ويقال بالفتح والضم، زيادة في أطباء الناقة، والبقرة ، والشاة والسن الزائدة خلف الأسنان ، ودخول سن تحت أخرى في اختلاف من المنبت وهذا يوافق القُرَين الذي ذكرناه واسمه بالفرنسية andouiller وبالانكليزية antler .

كتاب فضائل بغداد

لِيَزْدَجِرْد بن مَهْمَنْدار الفارسيّ

١ – تمهيد

قيل في صفة بغداد قديمًا ، انها أمّ الدنيا ، وسيدة البلاد ، وجنّة الأرض ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الظرائف واللطائف . ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها : سعةً وكبراً وعمارة ، وكثرة مياهٍ ، وصحة هواء ، ولأنه سكنها من أصناف الناس ، وأهل الأمصار والكور ، وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية ، وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم ، فليس من أهل بلد الا ولهم فيها محلة ومتجر ومتصرّف ، فاجتمع بها ما ليس في مدينةٍ في الدنيا . ثم يجري في حافتيها النهران الأعظمان : دجلة والفرات ، فيأتيها التجارات والمير براً وبحراً بأيسر السعي ، حتى تكامل بها كلّ متجر يحمل من المشرق والمغرب ، فانه يُحمل اليها من الهند والسند والصين والتُّبت والترك والدَّيلم والخزَر والحبشة ، وسائر البلدان ، حتى يكون بها من تجارات البلدان أكثر مما في تلك البلدان التي خرجت التجارات منها ، ويكون مع ذلك أوجد وأمكن ، حتى كأنما سيقت اليها خيرات الأرض ، وجُمعت فيها ذخائر الدنيا ، وتكاملت بها بركات العالَم (٢) .

قال دهقان بغداد لأبي جعفر المنصور حينما خرج يرتاد موضعاً يبني فيه مدينة : « الذي أراه يا أمير المؤمنين ان تنزل في نفس بغداد ، فانك تصير بين أربعة طساسيج : طسوجان في الجانب الغربيّ ، وطسوجان في الجانب الشرقيّ ، فاللذان في الغربي : قطربُّل وبادوريا ، واللذان في الشرقيّ نهر بوق وكلواذى . فان تأخر عمارة طسوج

(١) كتاب رسوم دار الخلافة تأليف هلال بن المحسن الصابيء ، أعددناه للنشر منذ زمن ، بعد أن حققناه وعلقنا عليه وألحقنا به ملاحق منوّعة نشرنا عدداً منها في بعض المجلات .

(٢) البلدان لليعقوبي (ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ، طبعة دي غويه)

منها ، كان الآخر عامراً . — وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة ، ودجلة تجيئك بالميرة من القرب ، وفي الفرات من الشام والجزيرة ومصر وتلك البلدان . وتُحمل اليك طرائف الهند والسند والصين والبصرة وواسط في دجلة ، وتجيئك ميرة أرمينية وأذربيجان وما يتصل بها في تامرّا وتجيئك ميرة الموصل وديار بكر وربيعة . وانت بين أنهار ، لا يصل اليك عدوُّك إلا على جسرٍ أو قنطرةٍ . فاذا قطعت الجسر والقنطرة لم يصل اليك عدوُّك ، وأنت قريب من البرّ والبحر والجبل . فأعجب المنصور هذا القول وشرع في البناء . ووجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط فأحضروا [1]

وبغداد الى كلّ ذلك تقع في الاقليم الرابع ؛ وهو الاقليم الأوسط الذي يعتدل فيه الهواء في جميع الأزمان والفصول ، فطاب الثرى ، وعذُب الماء ، وزكت الاشجار ، وطابت الثمار ، وأخصبت الزروع ، وكثرت الخيرات ، وقَرُب مستنبط معينها . وباعتدال الهواء وطيب الثرى ، وعذوبة الماء : حَسنت أخلاق أهلها ، ونَضرَت وجوههم ، وانفتقت أذهانهم ، حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والأدب والنظر والتمييز والتجارات والصناعات والمكاسب والحذق بكلّ مناظرة ، وإحكام كل مهنة ، وإتقان كلّ صناعة . فليس عالم أعلم من عالمهم ، ولا أروى من راويتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ، ولا أعرب من نحويهم ، ولا أصح من قارئهم ، ولا أمهر من متطببهم ، ولا أحذق من مغنيهم ، ولا ألطف من صانعهم ، ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أبين من منطيقهم ، ولا أعبد من عابدهم ، ولا أورع من زاهدهم ، ولا أفقه من حاكمهم ، ولا أخطب من خطيبهم ، ولا أشعر من شاعرهم ، ولا أفتك من ماجنهم [2] .

فليت شعري ، بلد تلك صفاته وخيراته ، وهذه محاسنه وفضائله ، ألا يكون فتنة الشعراء والكتاب .

قال الشاعر : [3]

بغداد يا دار الملوك ومُجتني صنوف المنى يا مستقر المنابر

---

(١) معجم البلدان [١ : ٦٨٠ — ٦٨١ ؛ طبعة وستفلد] (٢) البلدان لليعقوبي ص ٢٣٤ — ٢٣٥] (٣) معجم البلدان [١ : ٦٨٦]

ويا جنة الدنيا ويا مجتنى الغنى ومُنبسط الآمال عند المتاجر

أما المؤرخون و كتبة التراجم، فقد غالوا في عنايتهم ببغداد، وفاقوا الشعراء والأدباء بكثرة ما صنفوه من الكتب والرسائل في أخبارها وتراجم رجالها وعمرانها وما جرى فيها من الحوادث الكبار والوقائع العظام والانقلابات العجيبة. وذيل بعضهم على كتب بعض، فتعدّت الأربعين مؤلفاً، منها ما هو في غير مجلد. والذي سلم منها نسخ كاملة او أجزاء من اثنين وعشرين كتاباً، نذكر منها:

كتاب بغداد: لأبي الفضل احمد بن أبي طاهر المعروف بـ(طيفور) (المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة). وهو أقدم تاريخ وضع لمدينة بغداد.

تاريخ بغداد مدينة السلام: للحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ).

تذييل تاريخ بغداد: لأبي سعد السمعاني (٥٦٢ هـ).

ذَيل تاريخ مدينة السلام بغداد: لأبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي الواسطي (٦٣٧ هـ). جعله ذيلاً على تاريخ بغداد لأبي سعد السمعاني، الذي ذيل به تاريخ بغداد للخطيب.

ذيل تاريخ بغداد ويسمى أيضاً التاريخ المجدّد: للحافظ محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي (٦٤٣ هـ)، وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد للخطيب.

تراجم علماء بغداد: لأبي الخير نجم الدين سعيد بن عبد الله الدِهليّ (٧٤٩ هـ)

* * *

ويا لهفي على الكتب الأخرى التي ضاعت ولم يصل الينا منها غير اسمائها، أو فقرات منها متناثرة في كتب الأدب والتاريخ والبلدان وغيرها. أو فصل نقله مؤرخ أو بلدانيّ الى مصنفه. كما صنع هلال بن المحسن الصابئ (المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة) إذْ استلّ فصلاً خطيراً من كتاب «فضائل بغداد العراق» تصنيف يَزْدَجِرْد بن مهمندار الفارسيّ، تناول فيه يَزْدَجِرْد حمامات بغداد أيام بني العباس وما قيل فيها من اقوال ومبالغات. وها نحن أولاء ننشره فيما يلي من هذا المقال.

* * *

٢ — مَن ذكر كتاب « فضائل بغداد » وصاحبه (يَزْدَجِرْد الفارسيّ)

أقدم نبأ وقفنا عليه بشأن هذا الكتاب وصاحبه ، ما حكاه القاضي ابو علي المحسن التنوخي (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) . قال:[١] تجارينا عند القاضي أبي الحسن محمد ابن صالح بن علي الهاشمي بن أم شيبان في سنة ستين وثلثمائة ، عِظم بغداد و كثرة أهلها في أيام المقتدر ، وما كان فيها من الأبنية والشوارع والدروب ، و كبر البلد و كثرة أهله في سائر انواع الناس . وذكرتُ انا كتاباً رأيته ؛ لرجل يعرف بيزْدَجِرْد بن مهبندان الكسرويّ ، كان على عهد المقتدر ، بحضرة ابي محمد المهلبي كان سلّم إليّ والى جماعة ممن حضر ، كراريس منه لننسخه وننفذه الى الأمير ركن الدولة ، لأنه التمس في وصف بغداد وإحصاء ما فيها من الحمامات ؛ وانها كانت عشرة آلاف ، وكثير من الكتاب يبلغها ، وعدد من يحتوي عليه البلد من الناس والسفن والملاحين ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الحنطة والشعير والأقوات ، وانه حصل ما يصل الى أصحاب المعابر فيه من الثلاجين في كل يوم : اربعون الفاً ، او ثلاثون الفاً . — وذكر غيري كتاباً الفه احمد بن الطيب في مثل هذا ، فقال لي القاضي ابو الحسن : اما ذاك فعظيم لانعلمه[٢] ، وقد شاهدنا منه ما لا يستبعد معه ان يكون كما أخبر يَزْدَجِرْد واحمد بن الطيب ، إلا انا لم نحصه فنقطع العلم به ... »

وممن ذكره أيضاً ابن النديم (المتوفى نحو سنة ٣٨٥ هـ) . قال : « يزدجرد بن مهبدان الكسرويّ : في أيام المعتضد . وله من الكتب : كتاب فضائل بغداد وصفتها ، كتاب الدلائل على التوحيد من كلام الفلاسفة[٣] » .

أما الحاج خليفة فقد ذكره غير مرّة . قال في مادة « تاريخ » : (وصنف أبو سهل يزدجرد بن مهاندار الكسرويّ كتاباً حسناً في صفة بغداد ، وعدد سككها

(١) نشوار المحاضرة [١ : ٦٤ — ٦٥] (٢) في كشف الظنون [٤:٤٤٧ ، طبعة فلوجل] = [٢ : ١٩٨ ، طبع استانبول] ما هذا نصه : « فضائل بغداد وأخبارها : لأبي العباس احمد بن محمد السرخسيّ الطبيب ، مات سنة ٢٨٦ » . ونعتقد ان هذا الكتاب ، هو الذي عناه التنوخي ها هنا .

(٣) الفهرست (ص ١٢٨ ، طبعة فلوجل) = [ص ١٨٥ ، طبع مصر]

وحماماتها ، وما يحتاج اليه في كل يوم من الأقوات والأموال ، ذكره الصفدي[١] » ثم عاد ثانية فذكر اسمه فقط بـ « فضائل بغداد[٢] »

* * *

٣ — لفظة « مهمندار »

وردت هذه الكلمة على غير شكل ، منها : « مهبندان[٣] » و « مهنبداد[٤] » و « مهنبدان[٥] » و « مهاندار[٦] » و « مهمندار[٧] » .

وعندنا انّ أصحّ الروايات هي الشكل الأخير ؛ أي « مهمندار » . والكلمة فارسية الأصل تعني وظيفة قديمة ، عرّفها القلقشندي[٨] بقوله : « المهمندار : هو الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان ، وينزلهم دار الضيافة ، ويتحدث في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيين ؛ أحدهما (مَهمن) بفتح الميمين ومعناه الضيف ، والثاني (دار)[٩] ومعناه : مُمسك . ويكون معناه (مُمسك الضيف) . والمراد المتصدّي لأمره » اهـ .

* * *

٤ — فصلٌ من كتاب « فضائل بغداد العراق »

قال هلال بن المحسن الصابئ[١٠] في عرض كلامه على أحوال دار الخلافة العزيزة : « فأما بغداد في أيام العمارة ، فانه وقع في يدي كتاب يذكر مافي ايام

(١) كشف الظنون [٢: ١٢٠ — ١٢١ ، فلوجل] = [١: ٢٢٢ ، استانبول]= [١: ٢٨٨، طبعة وزارة المعارف التركية سنة ١٩٤١]. (٢) كشف الظنون [٢: ١٦٥، فلوجل]=[١: ٢٣٩، استانبول] = [١: ٣٢٤ : طبعة وزارة المعارف التركية] . (٣) نشوار المحاضرة [١ : ٦٥] (٤) كشف الظنون [١: ٢٨٨، وزارة المعارف التركيه] (٥) الفهرست لابن النديم [ص ١٢٨، فلوجل] = [ص ١٨٥ ، مصر] (٦) كشف الظنون (٢: ١٢٠، فلوجل] (٧) صبح الأعشى [٥: ٤٥٩] ، وكشف الظنون [١ : ٢٢٢ ، استانبول] (٨) صبح الأعشى [٥ : ٤٥٩]

(٩) قال القلقشندي في معنى (دار) : [صبح الأعشى ٥: ٤٥٧] : هي لفظة فارسية معناها (مُمسك) ، فاعل من الإمساك . وكثير من كتاب الزمان أو أكثرهم ، بل كلهم يظنون انّ لفظ (دار) في ذلك عربي بمعنى (المحلة) ، كدار السلطان أو الأمير ونحو ذلك . (١٠) رسوم دار الخلافة [ص ١٩ ، المخطوط]

المعتضد بالله صلوات الله عليه وذلك بعد فتنة الأمين رحمة الله عليه ، التي احرقت وهدمت صدراً كبيراً منها ، وأثرت الآثار القبيحة[1] فيها ترجمته :

كتاب فضائل بغداد العراق ، تأليف يزدجرد بن مهمندار الفارسي ، لأمير المؤمنين المعتضد بالله ، صلوات الله عليه . قال فيه :

« قد أكثر الناس في بغداد العراق إكثاراً ، لم يعطونا فيه دليلاً ولا أفادونا به محصولاً ، واقتصروا على ان يقولوا ، بلدٌ لا يُشبه البلدان ، ولا كان مثله في قديم الأزمان[2] . فإن من أقل ما فيه ، انه يشتمل على مائتي الف حمام[3] ؟ الى

(١) حلّ ببغداد غير نكبة ، وكان من أقساها وأشدها فتكاً وتخريباً : فتنة الأمين ، حين حاصر بغداد طاهر بن الحسين صاحب جيش المأمون فقد ساءت حال الناس ، ووثب على أهل الصلاح : الدعار والشطّار فعز الفاجر ، وذل المؤمن ، واشتد القتال حتى خربت الديار ، وعفت الآثار ، وغلت الاسعار ، وانتهبت الأموال ، وقتل الأخ أخاه ، والابن أباه . هؤلاء محمدية وهؤلاء مأمونية . وعمات النيران والنفط والمنجنيقات والعرّادات في كل جهة وسكة ومنزل ، فقتل بها المقبل والمدبر . فكثر الخراب والهدم حتى درست محاسن بغداد جنة الدنيا ، واشتدّ الأمر ، وتنقل الناس من موضع الى موضع ، فعم الخوف . ففي ذلك يقول عمرو بن عبد الملك العتري الورّاق (الطبري ٣ : ٨٧١ ، ٩٣٩ — ٩٤٠) ، ومروج الذهب [٦ : ٤٥٦] :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ... ألم تكوني زماناً قرّة العين
ألم يكن فيك أقوام لهم شرفٌ ... بالصالحات وبالمعروف يلقوني
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم ... وكان قربهم زيناً من الزين
صاح الزمان بهم بالبين فانقرضوا ... فما الذي فجعتني لوعة البين
يا من يُخرّب بغداداً ليعمرها ... أهلكت نفسك ما بين الطريقين

(٢) قال الخطيب البغدادي [المقدمة الخططية لتاريخ بغداد ص ٧٦ — ٧٧ ، طبع باريس] : « لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها ، وفخامة أمرها ، وكثرة علمائها وأعلامها ، وتميز خواصها وعوامها ، وعظم أقطارها ، وسعة اطرارها ، وكثرة دورها ومنازلها ، ودروبها وشوارعها ، ومحالها وأسواقها ، وسككها وأزقتها ، ومساجدها ، وحماماتها ، وطرقها ، وخاناتها ، وطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبرد ظلالها وأفيائها ، واعتدال صيفها وشتائها ، وصحة ربيعها وخريفها ، وزيادة ما حصر من عدة سكانها . وأكثر ما كانت عمارة وأهلاً في أيام الرشيد إذ الدنيا قارة المضاجع ، دارة المراضع ، خصيبة المراتع ، موردة المشارع ، ثم حدثت بها الفتن ، وتتابعت على أهلها المحن ، فخرب عمرانها ، وانتقل قطانها ، إلا أنها كانت قبل وقتنا والسابق لعصرنا على ما بها من الاختلال والتناقص في جميع الأحوال ، مباينة لجميع الأمصار ومخالفة لسائر الديار » . (٣) عقدنا فصلاً قائماً بذاته في هذا الشأن ، أسميناه : [حمامات بغداد في العصر العباسي] لم ينشر بعد .

الضعف ، ومن المساجد[1] والطرازات[2] كذلك الى ما هو متضاعف . فاذا أخذوا ، أو اكثرهم بإيراد الحجة ، وإقامة الدّلالة ، لم يأتوا بقول محصل ، وبرهان معوّل ، ونحن نفتتح القولَ باتباع أعدل الأحكام ، وأقرب الأمور الى الافهام ، ولا نقول كالذي قالوه في عدد الحمامات ، واعتقدوه في المنازل والمساجد والطرازات ؛ اشفاقاً من هجنة الاسراف على السامعين ، فانا اذا وجدنا كثيراً من الخاصة والعامة مذعنين بعدّة الحمامات . وانها مائتا الف حمام ، دون ما فوقها من الزيادات . ثم قال آخرون : بل هي مائة وثلاثون الف حمام ، كما قالوا مائة وعشرون [الف] ، وبه قال الشاه بن ميكال ، وطاهر بن محمد الطاهريّ . ثم قالوا من قبل ومن بعد بما زاد على المائة [الف] وبما انتقص منها ؛ قرّرنا اختلافهم على حدٍ نرجوه عدلاً متوسطاً ، وحكماً متقبلاً ، واقتصرنا من عدد الحمامات على ستين الف حمام ؛ استظهاراً ، وجعلنا العلة في ذلك ان نأخذ وسط ما ذكروه من أعدادها ، وما وجدنا الخاصة ، وأكثرهم يدعيه في اعتقادها ، وهو مائة وعشرون الف حمام ، فاقتصرنا على النصف من المائة والعشرين ، لئلا يقبح في التقدير او تضيق عن قبوله الصدور . ثم نظرنا في قدر ما يحتاج اليه كلّ حمام من القوّام[3] الذين لا قوام له إلا بهم ؛ فوجدنا الحمام محتاجاً الى ستة نفرٍ هم : صاحب الصندوق ، والقيم ، والوقاد ، والزّبال ، والمزين ، والحجام ، وربما أطاف بالحمام ضعف هذا العدد ، ولكنا ركبنا سنن[4] الاستظهار في معنانا هذا ، فاذا

(١) نقل الخطيب البغدادي (المقدمة الخطية ص ٧٤ — ٧٥) من قول أبي بكر محمد بن يحيى النديم «ان عدد الحمامات كان في ذلك الوقت ستين الف حمام ، ..... وذكر انه يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد . يكون ذلك ثلثمائة الف مسجد ، وتقديرذلك أن يكون أقل ما يكون في كل مسجد خمسة أنفس ، يكون ذلك الف الف وخمسمائة الف انسان .....» .

قلنا : معنى ذلك ان ما تضمه مساجد بغداد من الأنفس يوم ذاك ، بلغ مليوناً ونصف المليون من الأنفس ، وهذا غاية في المبالغة والبعد عن الحقيقة . (٢) الطرازات جمع طِراز «وهو الموضع الذي تُنسج فيه الثياب الجيدة . وهو معرّب» . راجع تاج العروس [٤ : ٦٨] . (٣) القوّام جمع قيم . والقيم على الأمر متوليه . (٤) السنن : الطريقة . يُقال استقام فلان على سَنن واحد أي على طريقة واحدة .

فرضنا عدة الحمامات ستين الف حمام ، فقد حصل عدد ما فيها من القوّام والمزينين والحجامين : ثلثمائة وستين الف انسان . ثم فرضنا بهذا التقريب لكل حمام مائتي منزل قياساً على ما حصل من المنازل على عدة الحمامات بمدينة أمير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه ، وهو لكل حمام اربعمائة منزل ؛ واستظهاراً بأخذ النصف من ذاك ، فاجتمع من عدد المنازل على هذه الفريضة : اثنا عشر الف الف منزل[1] ثم وجدنا قد يجتمع في المنزل الواحد عشرون نفساً ، وفي غيره نفسان او ثلاثة ، وما هو أقل من ذلك واكثر ، فاحتجنا الى ان نفرض عدداً متوسطاً يعتدل به الأمر ، ويزول معه الشك ، فنقصنا من العشرين نصفها ، وزدنا على الثلاثة ضعفها ، وجمعنا ما بقينا ، وزدنا ، فكان : ستة عشر ، وأخذنا النصف فكان : ثمـانية نفر بين رجالٍ ونساء وأكابر وأصاغر . فاجتمع لنا من عدد من تضمه هذه المنازل ستة وتسعون الف الف انسان[2] » . انتهى كلام يزدجرد بن مهمندار الفارمي[3] .

* * *

وعلق هلال الصابئ على كلام يزدجرد بن مهمندار ما يلي[4] : « ثم ركّب مصنف هذا الكتاب من هذه القاعدة قياساً ، فما يريده هذا العدد من الناس من أصناف المأكول ، والمستعمل ، واللباس . وحكى في عرض ما أورده ان عبيد الله الطاهري ، حدّثه ان اسحاق بن ابراهيم المصعبي ، أخبره انه رُفع اليه ان قدر ثمن ما يباع من الباقلي المطبوخ في كل يوم في احد جانبي بغداد ستون الف دينار . وحق ذاك ان يكون في الجانبين جميعاً مائة وعشرين الف دينار[5] ، الى غير هذا مما أورده وفصله ، واستقصى القول فيه ولخصه » .

---

(١) أي ١٢ مليون منزل ! (٢) أي ٩٦ مليون نسمة عدد سكان بغداد ! يا لهول المبالغة !

(٣) رسوم دار الخلافة (ص ١٩ — ٢٣ ؛ المخطوط) (٤) رسوم دار الخلافة (ص ٢٣ — ٢٦ ؛ المخطوط) .

(٥) نظير هذا ما حكاه القاضي المحسن التنوخي (نشوار المحاضرة ١ : ٦٥ — ٦٦) . قال : « ... ولكن بالأمس في سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، لماضمن محمد بن احمد المعروف بترة ، بادوريا عمّرها وتناهى في ذلك ، فأحصينا وحصلنا ما زرع فيها من جربان الخس في هذه السنة وقدرنا بكلواذا وقطربل وقرب بغداد مما يحمل اليها من الخس على تقريب ، فكان الجميع الفي جريب ، وجدنا كل جريب خس يزرع فيه ستة أبواب ، يقلع من كل باب من الأصول كذا وكذا ، ولم أحفظه =

ومن بعد هذا أضاف هلال الصابئ الى ذلك قوله : «وانما أوردنا هذه الجملة من أمر بغداد مع خروجها عن الغرض الذي قصدناه . لئلا يستكثر في دار الخلافة ما ذكرناه . وحدّثني ابراهيم بن هلال جدّي : ان الحمامات أحصيت في أيام معز الدولة ، فكانت سبعة عشر الف حمام ، وانهم عجبوا من انتهائها الى هذه العدّة ، مع كونها في أيام المقتدر بالله صلوات الله عليه : سبعة وعشرين الف حمام . واقد عُدّت في أيام عضد الدولة فكانت : خمسة آلاف و كسراً . وفي ايام بهاء الدولة وسنة اثنتين وثمانين وثلثمائة فكانت : الفاً وخمسمائة حمام ونيفاً . وهي الآن مائة ونيف وخمسون حماماً . ولقد كنتُ أعجب من الحكايات المختلفة في ذلك ، وما كان يُقال قديماً فيه ؛ حتى قام عندي برهان منه ؛ وهو انه قد اتخذ بباب المراتب[1] المعمور في ثلاثين داراً مسكونة بعد ما أهله غيب عنه : خمسة عشر حماماً . فاذا كان ذلك في هذه الدور القليلة والعدّة من الخواص القريبة ؛ فما كانت عدّة خواصّ الناس في

= يكون بجريب كذا وكذا أصلاً ، وسعر الخس اذ ذاك على أوسط الأسعار : كل عشرين خسة بدرهم واحد ، فحصل لنا ان ارتفاع الجريب على أوسط الريع والسعر : ثلثمائة وخمسون درهماً ، قيمتها خمسة وعشرون ديناراً ، يكون لألفي جريب : خمسون الف دينار ، وكل ذلك يؤكل ببغداد . — فما ظنك ببلد يؤكل في فصل من فصول السنة صنف واحد من صنوف البقل بخمسين الف دينار . ثم قال لي القاضي (ونقلها الخطيب البغدادي الى مقدمته ، ص ٧٧) . أخبرني رجل يبيع سويق الحمص دون غيره من الأسوقة ، أسماه وأنسبته ، انه أحصى ما يتخذ في سوقه من سويق الحمص في كل سنة ، وكان مبلغه مائة واربعين كرّاً (يكون حصاً مائتين وثمانين كراً) ، وانه يخرج في كل سنة منهم حتى لايبقى منه شيء ، فاذا حال الحول طحنوا مثل ذلك . هذا وسويق الحمص غير طيب ، وانما تأكله الضعفاء والمتجملون شهرين أو ثلاثة من السنة عند عدم الفواكه ، وأضعافهم مراراً من الناس من لا يأكل ذلك أصلاً . . . .»

(١) باب المراتب أحد أبواب دار الخلافة ببغداد ، كثير الورود التاريخي في معاجم البلدان وكتب التاريخ . قال فيه ابن عبد الحق الحنبلي (المتوفى سنة ٧٣٩ ﻫ) : (مراصد الاطلاع في اسماء الأمكنة والبقاع ١ : ١١٣ — ١١٤ طبع الفرنج) : « كان من أجل أبوابها وأشرفها ، له حاجب عظيم القدر ، نافذ الامر . داخله محلة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف ذوو البيوتات القديمة ، وكانت الدور بها غالية لها قيمة . ثم باد أهلها وانتقلوا عنها . فأما الآن فلم يبق لها قيمة ، وأرادوا أهلها بيعها فلم تشتر منهم ، فنقضوها وباعوا أنقاضها» .

أيام المعتضد بالله رحمة الله عليه ، من الوزراء والكتاب والحواشي والأصحاب والأمراء والقوّاد والأشراف والقضاة والشهود والتناء والتجار وأولي المروّات والأحوال الوافرات ، لتنقص عن خمسين الف إنسان ، إذا استظهرنا بالاقتصار على ذلك ، ولا تخلو دار كلّ واحد منهم من حمام على التقليل ، وإلا ففي دور كثير منهم الحمامات ، واذا اثبت هذا القول ، اطردت به تلك الدعوى ، ووجب ان يكون قول المكثر أغلب من قول المقتصر . ومعلوم أيضاً ان بلداً كانت على نهره الذي يخترقه ، أعني دجلة ثلاثة جسورة ، لا يستبعد كون ساكنيه العدة المذكورة[1] » اهـ

(بغداد) ميخائيل عوّاد



(١) رسوم دار الخلافة (ص ٢٤ — ٢٦ ، المخطوط) .

رسالة الطرق

— د —

حرف الدال المهملة

الدَّبة الطريق قال :

طها هِذْرِيانٌ قلَّ تغميضُ عينه   على دُبَّة مثل الخنيف المرعبل[1]

ودُبَّة الرجل طريقه الذي يدب عليه

دُرُوء الطريق كسوره وأخاقيقه . وطريق ذو دروء أي ذو كسور وحدَب وجِرَفة جمع دَرْء والدَرْء العوج في العصا ونحوها مما تصعب اقامته

الدَّرْب : المدخل بين جبلين والجمع دروب وليس اصله عربياً والعرب تستعمله في معنى الباب فيقال لباب السكة درب وللمدخل الضيق درب لأنه كالباب لما يفضى اليه هكذا قال في المصباح

وفي اللسان الدرب باب السكة الواسع أو الواسعة والجمع دِراب وأنشد سيبويه :

مثل الكلاب تهر عند درابها   ورِمت لهازمها منَ الخِزباز[2]

شبههم بالكلاب النابحة عند الدروب وروى هذا البيت تهر حول درابها . ورواه الأخفش تهر عند جرائها والصواب ما ذكرناه .

وكل مدخل الى بلاد الروم درب من دروبها وقيل هو بفتح الراء للنافذ منه وبالسكون لغير النافذ . وأصل الدرب المضيق في الجبال ومنه قولهم ادرب القوم اذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم

الدَرَج : المحاجّ والطريق وجمعه أدراج قال :

يَلُف غُفْل البيد بالأدراج[3]

---

(١) طها : ذهب . ورجل هِذْرِيان خفيف الكلام والخدمة . والخنيف ثوب من الكتان أبيض والمرعبل المقطع (٢) هر الكلب صوت دون النباح من قلة صبره على البرد وهر نبح وكشر عن نابه ورمت : انتفخت ونتأت واللهازم جمع لِهزِمة بكسر الأول والثالث وهي عظم ناتئ في اللحي تحت الأذن وهما لهزمتان . وقيل هي لحمة في أصل الحنك والخِزْباز لغة في الخازباز وهي قرحة تأخذ في الحلق (٣) يلف يجمع ويخلط . وغفل البيد ما لا علم فيه .

معناه انه جيش عظيم يخلط هذا بهـذا ويعني الطريق ورجع درجه وأدراجه أي رجع في طريقه الذي جاء فيه ورجع درجه اذا رجع في الأمر الذي كان ترك . ويقال للرجل اذا طلب شيئاً فلم يقدر عليه رجع على إدراجه ورجع درجه الأول . ورجع على حافرته وإدراجه بكسر الهمزة اذا رجع في طريقه الأول . وفلان على دَرَج كذا أي على سبيله . ودَرَج السيل ومَدْرَجه منحدره وطريقه في معاطف الأودية ويقال للطريق الذي يدرج فيه الغلام والريح وغيرهما مَدْرَج ومَدْرَجة ودَرَج أي ممر ومذهب

ومَدرَجة الطريق معظمه وسننه وقارعته قال :

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم   يتسابقون الى قرى الضيفان (١)

وهذا الأمر مدرجة لهذا اي متوصل به اليه ومدارج الأكمة طرق معترضة فيها والمدارج الثنايا الغلاظ بين الجبال واحدتها مدرجة وهي المواضع التي يدرج فيها اي يمشى قال عبدالله ذوالبجادين المزني يخاطب ناقة النبي ﷺ وهو يقودها به وكان دليله

تعرضي مدارجاً وسومي   تعرض الجوزاء للنجوم   هذا ابوالقاسم فاستقيمي (٢)

والمَدْرَجة المذهب والمسلك قال ساعدة بن جؤية يصف سيفاً :

ترى إثره في صفحتيه كأنه   مَدارج شِبْثان لهن هَميم (٣)

وفي نظام الغريب المَدْرج والمدرجة الطريق

دَرَر الطريق قصده ومتنه ويقال هو على درر الطريق اي على مدرجته وفي الصحاح على قصده وهما على درر واحد أي على قصد واحد

الدَّرْس بالفتح الطريق الخفي كأنه درس أثره حتى خفي وطريق مدروس

---

(١) ضربوا نصبوا والخيام جمع خَيم لغة في الخيمة وهي بيت تبنيه العرب من أربعة أعواد ثم يسقف بالثمام والقرى ما يقدم للضيف والضيفان جمع ضيف . (٢) سمي ذا البجادين لأنه حين أراد المسير الى النبي ﷺ قطعت له أمه بجاداً باثنين فاتزر بواحد وارتدى بآخره تعرضي خذي يمنة ويسرة وتنكبي المدارج وهي الثنايا الغلاظ تعرض الجوزاء لأن الجوزاء تمر على جنب معارضة وليست بمستقيمة في السماء شبهها بالجوزاء لأنها تمر معترضة في السماء غير مستقيمة الكواكب في الصورة وسومي من السوم وهو سرعة المرّ مع قصد الصوب في السير وأبو القاسم النبي ﷺ . (٣) أراد بأثره فرنده الذي تراه العين كأنه أرجل النمل وشِبثان جمع شَبث دابة كثيرة الأرجل من أحناش الأرض وهميم دبيب

كثر طارقوه حتى ذللوه ومَدرسة النَعَم طريقها وهو مجاز

الدَّيْسَق : الطريق المستطيل

الدُّعْبوب كعصفور : الطريق المذلل الموطوء الواضح الذي يسلكه الناس قالت جنوب الهذلية :

وكل قوم وان عزُّوا وان كثروا يوماً طريقهم في الشر دُعْبوب [١]

قال الفراء وكذلك الذي يطؤه كل أحد . وفي التاج الطريق المذلل المسلوك الواضح لمن سلك قال ابو خراش :

في ذات رَيْدٍ كزَلْق الزُّخ مشرفة طريقها سَرب بالناس دعبوب [٢]

وفي تهذيب الألفاظ طريق دعبوب اذا كان كثير السابلة كثير الآثار

دَعَست الإبل الطريق تدعَسه دَعْساً وطئته وطأ شديداً وطريق دِعْس ومِدْعاس ومَدْعوس دعسته القوائم ووطئته وكثرت فيه الآثار والمِدْعس والمدعاس كمنبر ومفتاح الطريق الذي لينته المارة قال رؤبة يصف حميراً وردت الماء :

في رسم آثار ومِدْعاس دَعِق يَرِدْن تحت الأثل سيَّاح الدَسَق [٣]

والدَعْس الأثر البين في الطريق

وفي تهذيب الألفاظ طريق دَعس ومدعوس اذا كثرت به الآثار قال مالك بن حريم الهمداني :

فمن يأتنا يوماً يَقصُّ طريقنا يجد أثراً دَعْساً وسخلاً مُوَضَّعا [٤]

دَعَق الطريق كمنع : وطئه وطأ شديداً وطريق دَعق وعث موطوء كثير الآثار مصدر بمعنى مفعول وطريق مدعوق مثله وقد دُعِق يُدعق دَعقاً اذا كثر عليه الوطء قال :

(١) عزّوا العز في الأصل القوة والشدة والغلبة والرفعة ويأتي بمعنى القلة (٢) الرَيد حرف من حروف الجبل وقوله كزلق الزخ هكذا في اللسان ولم يتضح لي معناه مشرفة عالية مرتفعة ولعله كذلق الزج وذلق كل شيء حده (٣) أي مر هذه الحمير في رسم قد أثرت فيه حوافرها والأثل شجر يشبه الطرفاء وقيل نوع منها ، وكان منبر النبي ﷺ من أثل الغابة والسياح الذي يسيح على وجه الأرض والدسق البياض يريد أن الماء أبيض . (٤) يقص يتبع والسخل جمع سخلة ويريدبها هنا أولاد الإبل والخيل والموضع المتفرق يريد أنهم يسيرون كثيراً فتضع الحوامل حملها في موضع بعد موضع وليست في موضع واحد

يَرْكبن ثِني لاحب مدعوق نائي القراديد من البثوق[1]

وطريق دَعِق ككتف مثله قال رؤبة :

في رسم آثار ومِدْعاس دَعِق

وطريق دَعْك : مدعوق ويقال تنح عن دُعكة الطريق وعن ضَحَكه وضحاكه وعن حَنانه وجَدبته وسليقته .

ويقال طريق دَعْكم : اي سهل كذا قال في جواهر الألفاظ

دُعميّ الطريق معظمه او وسطه قال الراجز يصف إبلاً :

وصدَرت تبتـدر الثّنيا تركب من دُعميّها دُعميّا[2]

دُعميها : وسطها . دعميًا : أي طريقًا موطوءاً

ويقال طريق يدفع إلى طريق كذا اي ينتهي ومنه غشيتنا سحابة فدفعناهـا الى بني فلان اي انصرفت عنا اليهم ودفع فلان الى فلان : انتهى

الدّلثع كجعفر الطريق السهل وقيل هو أسهل طريق يكون في سهل أو حزن لا حطوط فيه ولا هبوط .

المَدْلَج والمَدْلَجة بفتح اولها الموضع الذي يذهب ويجيئ فيه الدالج وهو من يأخذ الدلو ويمشي بها من رأس البئر الى الحوض ليفرغها فيه قال عنترة :

كأن رماحهم أشطان بئر لها في كل مَدْلَجة خُدود[3]

الدّلوع كصبور الطريق

الدّليع كأمير الطريق الواسع وقيل السهل في مكان حزن لا صعود فيه ولا هبوط والجمع دلائع

الدّولع كجوهر الدليع وقيل هو الطريق الضحاك

(١) ثني جانب نائي هكذا رواه في اللسان ورواه نابي والنائي البعيد والنابي المرتفع والمتجافي المتباعد والقراديد جمع قُرْدودة والمراد بها هنا الموضع النائي وسطه والبثوق هكذا ورد في اللسان ورواه في قردد من البؤوق والبثوق جمع بثق كحرْف وحِمل منبعث الماء والبؤوق مصدر باقتهم الداهية بَوْقاً وبؤوقاً أصابتهم (٢) صدرت رجعت تبتدر تسرع وتعاجل والثني" موضع بالجزيرة وماء يقرب من ادم قرب ذي قار به قلب وآبار (٣) اشطان جمع شطَن الحبل الطويل والخدود جمع خَد الحفرة

ويقال طريق دَلفق كجعفر ودِلفاق كقرطاس أي مهيع

الدَّلِيلة : المحجة البيضاء وهي الدلّي وفي التاج الدُلّى كرُبى المحجة الواضحة دالّه على الطريق سدده اليه فاندل ودللت بهذا الطريق عرفته وأدللت بالطريق

الدَّلنثع كسفرجل الطريق الواضح

وطريق دَلَنّع كعملّس سهل والجمع دلانع

ويقال طريق دَهثم أي سهل

وطريق دهجم سهل وطريق دَهمج سهل كذا في جواهر الألفاظ

ديّث الطريق وطّأه وطريق مُديَّث أي مذلل وقيل اذا سلك حتى وضح واستبان

داص عن الطريق يديص عدل عنه

الذال

ويقال هذه ناقة تُذارع بُعد الطريق أي تمد باعها وذراعها لتقطعه وهي تذارع الفلاة وتذرَعها اذا أسرعت فيها كأنها تقيسها

وطريق مُذْكِر مخوف صعب ضبطه في التاج كمحسن وضبط بالشكل في اللسان مُذَكِّر

ويقال اركبوا ذِلّ الطريق أي وسطه

وذِلّ الطريق ما وطئ منه وسهل وطريق ذليل من طرق ذُلل ومنه قوله تعالى « فاسلكي سبل ربك ذُللا » اذا جعلت ذللا صفة للسبل وطريق مُذَلَّل اذا كان موطوءاً سهلاً

الذِّنابة بالكسر من الطريق وجهه قال أبو الجراح لرجل : إنك لم تُرشَد ذِنابة الطريق يعني وجهه وفي الحديث : « من مات على ذُنابى طريق فهو من أهله » يعني على قصد طريق . وأصل الذنابى منبت الذنب وتذنب الطريق أخذه كأنه أخذ ذنابته أو جاءه من ذنبه .

الراء المهملة

الرَّتب : الصخر المتقارب في الطريق وبعضها ارفع من بعض مثل الدرج واحده رتبة كذا في تهذيب الألفاظ وفي اللسان الرَّتب الصخور المتقاربة وبعضها أرفع من بعض واحدتها رَتَبة والمراتب مضايق الأودية في حزونة .

المَرَاتج : الطرق الضيقة لا واحد لها يقال زَلّوا عن المناهج فوقعوا في المراتج هكذا استعمل ولم يذكروا له مفرداً · وسِكّة رِتج بالكسر لا منفذ لها ·

الرَّتم محركة المحجة وبقال طريق رجيل اذا كان غليظاً وعراً في الجبل

وطريق رَحْب : واسع وفي حديث ابن زمل على طريق رحب اي واسع

الرَّدْب الطريق الذي لا ينفذ وقيل انه مقلوب درب وليس بثبت

الرُّشْد والرَّشد والرَّشاد نقيض الضلال رَشد اذا اصاب وجه الأمر والطريق وأرشد الضال هداه الطريق واذا أرشدك انسان الطريق فقل لا يَعمَ عليك الرُّشد والمراشد مقاصد الطرق · والطريق الأرشد نحو الأقصد وفي القرآن الكريم : «يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد» اي اهدكم سبيل القصد سبيل الله ·

المَرْصد كمقعد والمِرصاد كمفتاح والمرْتصد : الطريق وفي القرآن الكريم : «واقعدوا لهم كل مَرْصد» قيل معناه كل طريق · وقال عدي :

وان المنايا للرجال بمرْصد

وفي القرآن أيضاً : «وان ربك لبالمرصاد» اي بالطريق الذي ممرك عليه[1] · وفلان يَرْصد فلاناً : يقعد له على طريقه · والرَّصيد : الحية ترصد المارة على الطريق لتلسع والرَّصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث ·

ويقال طريق رغيب اي واسع مجاز والجمع رُغب بضمتين قال الحطيئة يصف طريقاً :

مستهلِك الورد كالأُستيّ قد جعلت أيدي المطي به عادية رُغبا[2]

الرِّفاض الطرق المتفرقة أخاديدها قال رؤبة :

يقطع أجوازَ الفلا انقضاضي بالعيس فوق الشرَك الرِّفاض[3]

(١) وفي فقه اللغة المرصاد الطريق الواضح وقد نطق به القرآن (٢) مستهلك الورد يجهد من سلكه والأُستي بضم الهمزة السدى وعادية قديمة · رغبا واسعة وروى ركبا جمع ركوب أي مذلل شبه شرك الطريق بسدى الثوب (٣) أصل القطع الفصل بين الأجزاء ومنه قطع الوادي اذا جازه وقطع الماء شقه واجواز جمع جَوز وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهي المفازة والقفر من الأرض سميت فلاة لأنها فليت عن كل خير اي فطمت وعزلت وقيل هي التي لا ماء بها ولا أنيس وأصل الانقضاض الهوي من علو يقال انقض النجم اذا هوى وانقض البازي هوى في طيرانه ليسقط على شيء والعيس جمع أعيس وعيساء وهو الابل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة والشرك جمع شركة معظم الطريق أو وسطه

وهي أخاديد الجادة المتفرقة وقيل هي المرفضة المتفرقة يمينًا وشمالاً وقال قدامة : الروافض الطرقات المتفرقة ·

أُلمرقدُ الطريق الواضح وعن الأصمعي الُمرقد مخففًا وفي المخصص وعن الأصمعي المَرقد بفتح الميم ولا ادري كيف هو وفي تهذيب الألفاظ وطريق مرقد وهو البين الواضح

ويقال طريق رَكوب: أي مركوب مذلل والجمع رُكب وقد تقدم في قول الحطيئة على رواية والركوب الطريق التي بها آثار وركبتُ أثره وطريقه إذا تبعته ملتحقًا به ·

المَركل كمقعد الطريق لأنه يضرب بالرجل كأنه مأخوذ من الركل وهو ضرب الفرس بالرجل ليعدو · والمركل حيث تصيبه رجلك من الدابة

مُرتَكم الطريق بفتح الكاف جادته ومحجته يقال سلك جادته ومرتكمه اي محجته ·

وارمقّ الطريق امتدّ وطال قال رؤبة :

عَرفتُ من ضرب الحرير عِتقًا فيه اذا السهبُ بهن ارمقّا[1]

وطريق رهاء واسع

الرِبع والرَبع الطريق المنفرج عن الجبل وفي الصحاح الطريق ولم يقيد ومنه قول المسيب بن علس يذكر ظعنًا :

في الآل يخفضها ويرفعها ربع يلوح كأنه سَحَل[2]

شبه الطريق بثوب أبيض · وقيل الربع والربع كل طريق سلك أو لم يسلك قال :

كظهر الترس ليس بهن ربع[3]

وقيل الطريق المنفرج في الجبال خاصة وقال ابن السكيت والربع مثل النجد وطريق رائغ مائل وهو مجاز وفي حديث الأحنف فعدلت الى رائغة من روائغ المدينة اي طريق يعدل ويميل عن الطريق الأعظم ·

(يتبع) محمد سليم الجندي

(١) الحرير كأمير فحل من فحول الخيل معروف وهو جد الفرس الذي يصفه رؤبة وضربه نسله والعتق الكرم والسهب الفلاة أو المستوى من الأرض في سهولة وقيل غير ذلك (٢) الآل السراب وقيل الآل الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها والسراب الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء جار يلوح ويبدو ويظهر والسحل الثوب الأبيض من الكرسف شبه الطريق الثوب أبيض وقيل هذا البيت: ولقد أرى ظعناً ابينها تُحدى كأنّ زهاءها الأثل والزهاء كغراب الشخص واحده كجمعه (٣) الترس ما يتوق به ·

دراسات عن مقدمة ابن خلدون[1]

تأليف السيد ساطع الحصري . الجزء الثاني ، بيروت ، مطبعة الكشاف
عدد صفحاته ٢١٥ ، من القطع الوسط .

يشتمل هذا الكتاب على اكثر المباحث التي أشار اليها المؤلف في الجزء الأول من دراساته ، كالتطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات ، والمذاهب الأساسية في علم الاجتماع ، والدولة وتطوراتها ، والحروب ، والنفس الانسانية ، والتربية والتعليم ، والتفكير والايمان ، والتشبيهات المادية ، ونقد كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين

وقد سلك مؤلفه فيه طريقة النقد والتحليل التي ذكر أسسها في الجزء الأول. فأشار الى آراء ابن خلدون في ترتيب المخلوقات ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، وتبدل الأحوال في الأمم بتبدل الأعصار والأيام ، واختلاف الأطوار باختلاف الأحوال ، ورسوخ الصنائع في الأمصار برسوخ العمران ، كما نبه الى رأيه في الدولة وعمرها وأطوارها واتساع نطاقها ، والحروب وأسبابها ، وغاياتها وانواعها ، وطرقها ومذاهبها ، وأسباب الغلب والظفر ، وقيادة الأساطيل ، وشارات الملك والسلطان . وقد أشار أيضاً الى آراء ابن خلدون في النفس الانسانية وقواها ، وذكر نزعته الروحية ومراتب الفكر الانساني ، وبين ان في المقدمة آراء نفسية طريفة كقول ابن خلدون بأثر اليد في تكون الفكر ، وبحثه عن الملكات وأثرها في حياة الانسان العقلية والعملية . وربما كانت نظرية الملكات هذه اعظم آراء ابن خلدون النفسية قيمة ، وأشدها اتصالاً بمذهبه الاجتماعي . فقد بين فيها ان الافعال لا بد من عود آثارها الى النفس ، وان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وان قوة الملكة انما تنمو بتغذيتها ، وان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت وكأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ، وان الانسان ابن عوائده

---

(١) راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول والثاني من المجلد التاسع عشر ، كانون الثاني وشباط ١٩٤٤)

ومألوفه ، لا ابن طبيعته ومزاجه ، وان تكون السجايا والطبائع انما هو من المألوفات «والعوائد» ، وان العوائد تقلب طباع الانسان الى مألوفها ، وان القريحة مثل الضرع تزيد بالامتراء ، وتجف بالترك والإهمال .

فهذه الآراء تدل كلها على استناد ابن خلدون الى الأسس النفسية في تعليل الظواهر الاجتماعية . وقد استقصى المؤلف جميع هذه الآراء واستوعبها ، وجمع أشتاتها من ابواب المقدمة بطريقة علمية صحيحة . وربما كان الفصل الذي عقده لبيان آراء ابن خلدون في التربية والتعليم احسن فصول كتابه دلالة على أسلوبه الفني ، فقد بين لنا فيه ان صاحب المقدمة كان يؤمن بتأثير العلم في التربية ، ويعتقد ان العلم والتعليم عمل اجتماعي ، لانه صناعة من جملة «الصنائع» يتلقاها الآخر عن الأول . وهذا شبيه برأي (دوركهايم) الذي عرف التربية بقوله : هي تأثير الجيل الراشد في الجيل الناشئ .

وقد ذكر المؤلف رأي ابن خلدون في تعليم العلوم ووجه الصواب فيه وطريق افادته ، وأشار الى طريقة التدريج ، ومراعاة مدارك المتعلمين وقوة عقلهم واستعدادهم لقبول ما يرد عليهم حتى ينتهوا الى آخر الفن ، ولزوم التكرار لتحصيل الملكات ، وضرورة تفرغ العقل الى مسألة واحدة من مسائل العلم ، واقتصاره عليها قبل الانتقال الى غيرها ، كما أشار الى بعض الحقائق التاريخية المجهولة ، عن أصول التعليم في عصر ابن خلدون كحرية التدريس واشراف الدولة عليه في حدود «الحسبة» ومذاهب الأقطار الاسلامية في تعليم الولدان الى غير ذلك من المباحث القيمة التي أجاد الأستاذ في استقصائها وعرضها وتحليلها ونقدها ، فكانت خير ما كتب حتى الآن باللغة العربية عن آراء ابن خلدون في التربية والتعليم .

وقد رغب المؤلف في بيان منزلة ابن خلدون في تاريخ الفكر البشري ، فساقته هذه الرغبة الى المقارنة بينه وبين العلماء المتأخرين ، فوازن في الجزء الأول بينه وبين فيكو ومونتسكيو وسبنسر وتارد ، كما قارن في الجزء الثاني بينه وبين داروين وكارل ماركس ودوركهايم وبرغسون وغيرهم . وكنا نود لو قارن المؤلف بين ابن خلدون وغيره من فلاسفة العرب الذين سبقوه . فان الطريقة التاريخية

تقتضي ان ينسب الفيلسوف الى زمانه ، وان يبحث عن المسائل التي اقتبسها من غيره ، وان تبين منزلته في تاريخ العلوم والأفكار ، لا بالنسبة الى من جاء بعده فحسب بل بالنسبة الى من تقدمه أيضاً . وقد فطن الأُستاذ الحصري الى هذا الأمر فقال عند الكلام عن آراء ابن خلدون في النفس الانسانية ان نظريته : « لا تخرج — من حيث الأساس — عن نطاق الآراء الشائعة بين مفكري الاسلام في عهد ابن خلدون . ومن المعلوم انها تنحدر عن نظرية ارسطو في النفس » (ص — ٨٣) . وكان قد فرق في الكتاب الأول « بين مباحث المقدمة الأساسية التي تحوم حول علم العمران وأسس التاريخ وبين المباحث الاستطرادية التي تأتي تمهيداً للأبحاث الأصلية او إتماماً لها » ونبه الى ان عمل ابن خلدون في هذه المباحث الأخيرة لا يتعدى حدود النقل والجمع والعرض والتلخيص والترجيح والتسجيل . وحبذا لو اسهب المؤلف في هذا التحقيق التاريخي ودلنا على النبع الذي استقى منه ابن خلدون مباحثه . فان من ينعم النظر في المقدمة يجد فيها كثيراً من آراء الفارابي وابن سينا واخوان الصفا والغزالي وابن الطفيل وغيرهم . انظر مثلاً الى رأي ابن خلدون في النبوة ، فهو مأخوذ من نظرية الفارابي وابن سينا . وانظر أيضاً الى رأي ابن خلدون في التطور واتصال الأكوان بالأكوان واستحالتها بعضها الى بعض فهو مقتبس من كتاب اخوان الصفا . (راجع كتاب اخوان الصفا ، الرسالة السابعة من الجسمانيات الطبيعيات ، ص ١٤٥ وما يليها) . وقد سبق الغزالي ابن خلدون الى الكلام عن الحال والعلم ونسبية الادراكات وتحديد نطاق العقل (راجع المنقذ من الضلال ، ص — ٧١ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨) ، كما سبقه ابن الطفيل الى عمل اليد وأثرها في تكوين الفكر ومقاومة الانسان للقوي من الوحوش واستعماله الآلات من أغصان الشجر وغيرها ، واستغنائه عما أراده من السلاح الطبيعي . ولسنا الآن بعرض استقصاء هذه الآراء ، الا اننا ننبه الى ان الطريقة التاريخية تستلزم الالتفات الى الماضي والبحث عن منشأ الآراء وتكوينها وتأثيرها بعضها في بعض . ولو فعل الاستاذ « ابوخلدون » ذلك لأضاف الى تحليله العميق تحقيقاً تاريخياً مفيداً .

وقد انهى المؤلف دراساته هذه بنقد كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين ، فانتصر لابن خلدون وبين ان الدكتور طه حسين لم يتعمق في درس المقدمة درساً حيادياً ، كما انه لم يلاحظ تطورات علم الاجتماع ملاحظة شاملة .

فنحن نشكر للأستاذ الحصري أدبه وفضله ، ونرجو ان يسلك علماؤنا طريقته العلمية في إحياء تراثنا القومي .

ولا بد لنا في النهاية من الإشارة الى ان الجزء الثاني من هذه الدراسات قد اشتمل على بعض الهنات النحوية نذكر منها على سبيل المثال قول المؤلف :

ان في مقدمة ابن خلدون آثار بارزة (ص — ١٦)

والسبب في ذلك هوان أهل الملة متفقين (ص — ٣٩)

ان لكل شيخ منهج خاص (ص — ١٢٠)

ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران صنفين (ص — ١٢١)

ان التكاليف الشرعية نوعين (ص — ١٦٩)

فهذه الهنات كما ترى ، من نوع واحد . وهناك أيضاً انواع أخرى لغوية ومطبعية لا يتسع المجال لذكرها فنرجو ان يوفق الأستاذ الى إعادة طبع كتابه ، وان يتعهد كتابه بشيء من العناية ، فان كتاباً تضمن هذا التحليل العميق لا يجوز ان يشتمل على مثل هذه الهنات .

جميل صليبا



ملاحظـات على كتاب

نخب الذخائر في احوال الجواهر

- ٢ -

وفي ص ٣٥ ، س ٧ (ويختلف اللؤلؤ أيضاً من شكله) . أقول الأصح (في شكله) . وفي س ١٤ (وان أفضل الجواهر المفردة « القارة » (بالقاف) وهي المستديرة الشكل في جميع جهاتها) . أقول لم أجد القارة في الكتب التي لدي ، وأرجح انها « الفارّة) بالفاء . لأنها تتدحرج بسهولة تامة اذا سقطت وتذهب بعيداً كأنها تفر . وبعد كتابة ما تقدم عثرت على كلام لأبي الريحان في كتابه الجماهر هذا نصه (ولرطوبة اللؤلؤ وجه وان بعد وهو ان سائر الجواهر اذا وقعت على الأرض استقرت واللؤلؤ يتدحرج بأدنى ميل في وجهها وكذلك ينفلت من بين الأصابع لقلة تمكنها منه فكأن انفلاته على هيئة عجم التفاح والكمثرى اذا رطبا وضغطا بالاصبعين حتى يرتمي مسافة كثيرة) (ص ١٢١) . ثم إني وجدته يقول في فهرسته العاشر (ص ١٧٨) ان اسم اللؤلؤ المدحرج الفار (بالفاء) . فلعله رجع عما قاله هنا . أو اتى ذلك من خطأ صفاف الحروف .

وفي ص ٣٦ ، س ١ جاء ذكر العيون وهو اللؤلؤ المدحرج فكتبها الناشر العَيون بفتح العين ، وقال في الحاشية (لعل الأصل العُيون جمع عين) . فكتابتها بالفتح ثم استعماله كلمة لعل دليل على تردده وعدم البت فيها . فلإزالة هذا التردد أقول : جاء في كتاب الجماهر ص ١٢٥ ما نصه : (فمن أنواع اللؤلؤ المدحرج ، ويعرف بالعيون ، ولا يوحّد فيقال عين ، كما لا تجمع العين في الذهب فيقال له عيون) . وفي الصفحة عينها في س ٦ (ويختلف اللؤلؤ أيضاً من لونه) . والأصح في لونه . وجاء فيها في س ٨ (واللؤلؤ مربع التغيير) أقول مربع التغير أصح . وفي هذه الصفحة ذكر لأنواع اللآلي ، وهي : العيون وهو المدحرج ، والنجم ، والزيتوني ، والغلامي ، والفلكي ، والفوفلي ، واللوزي ، والشعيري ، والمضرّس ، ولم يذكر

الشارح ما يقابلها بالفرنسية ٠ وجدت أنا ما يقابل بعضها من معجم لاروس الكبير ٠ فالمدحرج rond ، والعيون perles qui ont un bel œil ، والنجم perle vierge ou parangon ، والغلامي p. en poire ، والمضرس p. mamelonnée ٠ أما الزيتوني والفلكي والفوفلي واللوزي والشعيري فلم أجد لها اسماء ، انما يعبرون عنها بذكر المشبه به بعد قولهم : en forme de فيقولون اللوءلوء الزيتوني مثلاً p. en forme d'olive ٠ وأما من جهة ألوان اللوءلوء فالنقي البياض blanche pure ، والرصاصي plombée ، والعاجي ivoirine ٠

وقال الناشر في ص ٣٩ س ١٦ ان اسم صغار اللؤلؤ بالفرنسية petites perles ٠ أقول يعبر الفرنسيون عن صغار اللؤلؤ بـ semences de perles ٠ وفي س ١٨ قال عن الكلف (داء في الجلد وأغلب ما يكون في الوجه كأنه السمسم) ٠ أقول هذا التعريف ، (وكان الأجدر ان يقول فيه كأنه العدس) يصدق على البرش lentigo ٠ أما الكلف فاسمه chloasma ٠ ويقرب من البرش النمش واسمه بالفرنسية éphélide ٠ قال ابن سينا في القانون ج ٣ ، ص ٢٧٩ (ما هو الى الحمرة يكون نمشاً وما هو الى السواد يكون برشاً واللطخي منه يسمى كلفاً) ٠ فالكلف لا يكون كالسمسم ولا كالعدس انما يكون لطخاً واسعة غير منتظمة الشكل كالذي يظهر على وجوه الحبالى وجباههن ٠

وفي ص ٤٠ استعمل المحشي الكيلغرام للتعبير عن السعة اي الكيل ٠

وفي ص ٤١ ، س ٢ ضبط البيروني بفتح الباء ، وهكذا ضبطها حيثما وردت ٠ والصواب كسرها ، وسبب تسمية أبي الريحان بالبيروني ، ومعناه البراني ، مسطور في معجم الأدباء ج ١٧ ، ص ١٨٠ ٠ ولكن ناشر هذا المعجم أخطأ فضبط براني بفتح الباء لجهله الفارسية ٠ ان بيرون مكسورة الباء — وفي الحاشية في س ١٨ فما بعده تشويش في العبارة وتكرار في ذكر اسم المدينة التي طبع فيها كتاب التيفاشي ، وكلمة (وطبع) توهم ان الكتاب طبع ثلاث مرات ٠

وفي ص ٤٢ ، س ٧ عبر عن النورة غير المطفأة بنورة ملتهبة ، ولم يسمها أحد بهذا

الاسم . انما قالوا نورة غير مطفأة ، ونورة حية ، وكلس حي كما جاء في القاموس ج ٢ ص ١٨٥

وفي ص ٤٥ ، س ٦ قال الناشر (واسم التنكار بالألمانية والانكليزية والفرنسية tinkal) - أقول لقد وهم هنا . ان spalt شيء آخر غير التنكار . يقال للتنكار في الألسن المذكورة tinkal . - وتكلم في هذه الصفحة والصفحة ٤٦ و ٤٧ على الملح الأندراني وزعم انه منسوب الى الاندرين قرية قرب حلب ، وهي التي ذكرها عمرو بن كلثوم في معلقته بقوله (ولا تبقي خمور الأندرينا) وقال انه الملح المعدني وإن الملح الذرآني هو الملح البحري . أقول كنا نقبل من حضرته ان الأندراني منسوب الى الأندرين لو أتانا بنص من كتب الأقدمين يفهم منه ان هذا النوع من الملح كان له معدن في الأندرين ولو كان لديه دليل على ذلك لما تأخر عن الاتيان به . وأقول إن الأطباء والصيادلة والكيمائيين لا يبحثون عن كلمة مهجورة مطمورة في المعاجم لأجل أداء صفة البياض في الملح أو في غير الملح ما زالت في اللغة كلمة الأبيض . فقد قالوا للملح الابيض أبيض ، وللملح الاسود أسود ، وللاحمر أحمر من غير تكلف ولا عناء . كما جاء في مفردات ابن البيطار في مادة ملح وفي سائر كتب الطب والمفردات . ولقد أصاب الأب نفسه حين قال في حاشية ص ٥١ ، س ١٤ عند ذكر الذباب المعروف بالأخيضر : (وهذا دليل آخر على ان أهل الصنائع يكرهون الفصيح الغريب ويفضلون عليه الصحيح المألوف من الكلام ولو كان طويل العبارة) اهـ . أما عن الذرآني فلم أجد أحداً من المؤلفين القدماء استعمل هذه الكلمة بل استعملوا تارة اندراني وطوراً داراني . فذرآني ما هي إلا من اختراع اللغويين اصحاب المعاجم . والظاهر ان اندران وداران كانا معدنين مختلفين كان يستخرج منها الملح المعدني . فسموا ما استخرج من اندران اندراني ، وما استخرج من داران داراني . على اني لم أجد الى الآن من ذكر مواقع هذين المعدنين . غير ان في مكتبتي نسخة مخطوطة من كتاب ما لا يسع الطبيب جهله أتى فيها بالهامش وبقلم الناسخ وحبره بازاء الملح الاندراني ما نصه (التحقيق انه منسوب الى اندران وهو موضع بنواحي نيشابور)

وفي ص ٤٨ س ٤ كلمة (تنوت) بالمثناة الفوقية ؛ والصواب (تنوث) بالمثلثة .
وفي س ٧ (يرغبون لما كان مشبع الخضرة) . والأصح يرغبون فيما .
وفي ص ٤٩ ، س ٤ (ومعدنه [معدن الزمرذ] بسفح جبل في شندة من أرض البجاة بصعيد مصر الأعلى) قال الشارح في الحاشية (لم تضبط شندة في الكتاب ولم أجدها في القاموس) . أقول في معجم البلدان (شَنودة) بالفتح ثم الضم وسكون الواو ودال مهملة وربما قيل شبوذة كور من كور مصر الجنوبية اهـ . فلعل شندة هي شنودة هذه .

وقال في ص ٥٣ ، س ٢١ (ان الزبرجد اسمه بالفرنسية beryl أو béril) . أقول ان الـ béryl هو الزمرذ المصري . أما الزبرجد فاسمه péridot : ومن أنواعه الـ chrysolite وهو الزبرجد الأخضر مفتوح اللون الوارد ذكره في ص ٥٤ س ١٥ نقلاً عن التيفاشي . ومن أنواعه أيضاً الـ olivine أو péridot granulaire وهو الزبرجد الزيتوني .

وفي ص ٥٥ ، يجب وضع (او) بين lapis و lazulite لأنهما اسمان مترادفان للازورد . ويسمى اللازورد بالفرنسية outremer naturel ايضاً . وكان يقال له قديماً lazivrard ، وهذا اللفظ أقرب الى اسمه العربي (ر . لاروس الكبير) .
وفي ص ٥٧ ، س ٥ (ان يعين) . صوابه (ان يعني) .
وفي ص ٥٨ ، س ١ (شيرقام) بالقاف . صوابه (شيرفام) بالفاء . فان فام ، ووام ، وبام ، وبام أربع كواسع فارسية تفيد معنى اللون والشبه . اذن لا تبقى حاجة للقول في الحاشية (٥) (نظنها تصحيف شيربام) . — وفي س ١٩ قال (والمراد بالأرضية هنا ما يقابله بالفرنسية fond d'un vase) . أقول هذا صحيح بحق الأرضية الواردة في س ١٤ ، أما بحق الأرضية الواردة في س ١٥ فلا . لأن المقصد من الأرضية الثانية المواد الارضية اي الترابية . — وفي الحاشية (٤) ذكر (البوسحاقي) او (البسحاقي) . أقول وردت هذه الكلمة في جماهر البيروني بصورة (بوسحاقي) وفي معجم برهان قاطع المترجم الى التركية (ابوسحاقي) .

وفي ص ٦٣ س ٩ جعل الشارح béryl و aigue - marine مترادفين . قلت آنفاً ان beryl هو الزمرذ المصري . وأقول اما aigue - marinc هو الزمرذ الريحاني كما يفهم من فحوى عبارات لاروس . — وفي س ١٨ قال الناشران المسطار من الرومية mustum وقد عرفوه بأنه الخمر الحامض . أقول جاء في معجم Sommer اللاتيني الفرنسي عن mustum انه الـ moût عصير العنب (الخمر الذي لم يتخمر بعد) ، الخمر الحلو ١٠ هـ وشتان بين الحامض والحلو . اني لا أشك في ان المسطار معربة (من مشت افشار) الفارسية ومعناه المعصور باليد ، من مشت بالضم ثم السكون وهو الكف والجمع ، وافشار من (افشاردن) العصر . والمعصور باليد أدنى من السلاف او السلافة وهي العصير الذي يسيل من تلقاء نفسه من غير عصير . ويؤيد قولي هذا المعجم المسمى (تبيان نافع در ترجمة برهان قاطع) ، فانه بعد ان ذكر في مادة (مشت افشار) ان خسرو پرويز كان له مائتا مثقال ذهباً ليناً كالشمع كان يعصره بيده ويصوره صوراً شتى قال ما نصه بالتركية (وانواعنده اقدم يتشمش اوزم شرابنه ده دينور ، ارباب صفا اصطلاحنده شراب جهودي تعبير ايدرلر ، واهل شام مسطار ديرلر) . ترجمته : (ويقال « مشت افشار » للخمر المتخذ من عنب نضج قبل سائر أنواع العنب ، ويعبر عنه أرباب الصفاء (شرابو الخمر) بالخمر اليهودي ، وأهل الشام يسمونه المسطار) . وجاء في كتاب الجماهر لأبي الريحان البيروني ص ٢٣٥ ما نصه (والمستفار) هو الشراب المعصور بالأرجل للعوام) .

وفي ص ٦٨ قال في الحاشية عن (المشوق) : وهذه اللفظة لم نجدها في دواوين اللغة التي بأيدينا . انما وردت في محيط المحيط في مادة الجس) . أقول وردت في مفردات ابن البيطار أيضاً .

وفي ص ٧٠ س ١ (وربما شابه حمرة خفية) أرجح ان خفية كانت في الأصل خفيفة سقطت منها الفاء الثانية سهواً من الناسخ أو من المرتب . وقد جاء تعبير (حمرة خفيفة) في ص ٧٧ ، س ٧ في الكتاب عينه .

وفي ص ٧١ ، س ١٣ نسب الناشر الدهنج الكركي الى الكرك التي هي قرية

بلحف جبل لبنان · وقد أبان الأستاذ روكس زائد العزيزي ان الكرك المذكورة هنا هي الكرك التي في شرقي الأردن ·

وفي ص ٧٢ ، س ١٢ قال الشارح (وانا لم أجد بمعنى اليشب : اليشف ، ولا اليصب ، ولا اليصف) · أقول ذكر ابن البيطار اليشف في مفرداته ·

وفي ص ٧٣ ، جاء ذكر واديين احدهما يسمى (قاش) والآخر (واقاش) · أقول الذي في كتاب الجماهر (فاش) بالفاء و (قرافاش) اي فاش الأسود · — وفي س ١٠ ذكر gagatès (الجاجة) ولم يذكرها في الفهرس الحادي عشر ·

وفي ص ٧٥ في القسم الأسفل من الحاشية وهم ناشيء من عدم التمييز بين (باد) بالباء الموحدة ومعناه الريح بالفارسية وبين (پاد) بباء فارسية مثلثة وتؤدي معنى الحفظ · فيكون معنى (پادزهر) الحافظ من السم ·

هنا ينتهي كتاب ابن الاكفاني وتنتهي حواشي الأب المحترم عليه · وفي الملحقات التي ألحقها الأب بالكتاب بعض هنات هينات ، اقتصر كلامي على اثنتين منها · أولاها ترجمة الخماهان بالـ hématite (ص ٨٩) · بيد ان الـ hématite هو الشاذنة · أما الخماهان فيبين من تعريفه انه أحد انواع فلزات الحديد غير الشادنة · وأرجح كونه الفلز المسمى بالفرنسية fer chromé و chromoferrite و chromite و sidérochrome · فقد جاء في كتاب تركي لدي عن هذا الفلز ان منظره راتينجي معدني وان لونه أسود كالزفت · — وثانيها ارادته ترجمة mica بالريق بكسر الراء · أقول ما الريق التي سمعها الناشر من أفواه الناس الا الـ (ريك) وهو الرمل بالفارسية لا غير ·

وعثرت في الكتاب على نحو ست عشرة غلطة مطبعية لم يذكره الناشر في جدول تصحيحاته · أضرب صفحًا عن ذكرها ·

وبعد فليس ما أوردته في مقالتي هذه إلا كنقطة ازاء بحر الفوئد الجمة والطرائف النفيسة التي أتى بها صديقي الأستاذ العلامة الكرملي في شروحه الكتاب النخب جزاه الله خير الجزاء ·

والآن اتماماً للفائدة أكتب الجدول الآتي بأسماء الجواهر وغيرها بالفرنسية والعربية واصله فهرس الناشر الحادي عشر الوارد في آخر الكتاب · عدلته حسب تصحيحاتي وأضفت اليه ما لم يذكره ·

وهذه الرموز الواردة في الجدول : (اب) ابن البيطار ، كتاب جامع مفردات الأدوية والأغذية · (ب) البيروني ، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر · (ت) تاج العروس · (تر) تركي · (تي) التيفاشي ، كتابه ازهار الأفكار في جواهر الأحجار · (ط) داود الانطاكي ، تذكرة أولي الألباب · (فا) فارسي · (م) المخصص لابن سيدة · (ن) نخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن الاكفاني وزيادات وحواشي الأب عليه ·

Agate	عقيق
Aigue — marine	زمرذ ريحاني
Aimant	مِغناطيس ، مِغنطيس
Albâtre	هَيصم (ن ٩٦) ، مرمر أبيض ، حجر المرمر ، البسطريط
Almandine	ماذبنج
Améthyste	جمز ، جمست ، جمشت ، معشوق (اب)
— oriental	ياقوت بنفسجي
Amiante	مخاط الشيطان ، غزل السعالى (ب ٢٠٠)
Arménite	حجر ارمني
Asbeste	حجر القتيلة
Astérie	عين الهر
Baroque	لؤلؤ غير مدحرج
Battiture	توبالـــ (اب)
Béryl , béril	زمرذ مصري
Bézoard	باذِزَهر ، بازَهر
Borax	بورق ، فا · بوره ، بورق أرمني ، بورق الصاغة ، ملح الصاغة

Bort	الماس منحني الوجوه
Calcédoine , Chalcédoine	خلقيدوني ، مرو خلقيدوني ، تر . بلغمي طاش
Carbonado	الماس اسود
Carboncle = almandine	
Chrysolite	زبرجد اخضر مفتوح اللون (تي)
Corail	مرجان ، قورل ، بُسَّذ ، حجر شجري (اب)
Corindon	ياقوت
— blanc	— أبيض
— bleu	— أزرق
— ferrifère = émeri	
— jaune	— أصفر شرقي (ن ٣)
Corindon rose	ياقوت وردي
— vert = émeraude oriental	
— violet = améthyste oriental	
Cornaline	عقيق احمر يَنَع (ن ٨٦)
Cristal de roche	بلور ، مها ، حومة ، در النجف
Diamant	الماس ، ماس
Emeraude	زمرذ ، زمرد
— oriental	— مشبع الخضرة
Emeri	سنباذج ، سامور ، شُمور (ن ٩٨) حجر المسن (ط)
Escarboucle = almandine	
Fer chromé , Chromoferrite	خماهان ؟
Gagatès	حجر غاغاطيس (ا ب) ، جاجة ، جاج (ن٩٠) ، سبج ، فا . شبه ، سكنج (اب) ، كهربا سوداء
Gemme = pierre précieuse	

بيجاذي (بيجادى ، بجــاذي ، بجادي ، بيجــاذق ، بزادي ، فا . بيجاده ، بيجاد) ، بَنَفْش (١٧٥) ، حجر سيلان — Grenat

Crenat noble , g. oriental , g. syrien = almandine

Grossulaire — بيجاذي اخضر

Hématite — شاذنة ، شاذنج ، حجر الدم حجر الطور (اب)

Hyacinthe — ياقوت اكهب

Jade — يشْم (ن ٧٢)

Jais , jayet = gagates

Jaspe — يشب ، يشف (اب) ، يصب (تي)

Lapidaire — جوهري ج جوهريون

Lapis , lapis — lazuli , lazulite — لازورد ، عوهق (ن ٥٥ و ٥٦)

Lave — لابة ، حَرَّة

Sydite , quartz , lydien = pierre be touche

Malachite — دَهْنَج (اب)

Marcassite — مرْقشيثا

Mica — بَلَق (ن ١٠١)

Obsidiane , obsidienne — زجاج بركاني

Odontolithe — فَيروزج لجنجي (ن ١٨٦)

œil - de - chat , œil - de - tigre = astérie

Olivine — زبرجد زيتوني

Onyx — جَزْع (جوهريوا الغرب يخصون بهذا الاسم الجزع الغروي)

Opale — جَزيز ؟ هَبرة ؟ (م) قَبَلة . قَبْلة ؟ (ن)

— à flamme , O. noble O. d'orient — عين الشمس

Outremer naturel = lapis

Parangon — نجم ، خوش آب (ن)

Peridot	زبرجد ، زبردج
— granulaire = olivine	
Perle	لؤلؤة ، تومة ، جمانة ، جوهرة ، خضلة
— en forme de poire	لؤلؤ غلامي
— (grosse)	دُرّة ، قديس
— (non percée)	خريدة ، بكر
— (percée)	لؤلؤة مثقوبة
— (ronde)	فارّة ، لؤلؤة مدحرجة
Phtanite = lydite	
Pierre d'azur = lapis	
— nephretique = jade	
— precieuse , p. fine	جوهر ، ج جواهر
— de touche	حجر المحك ، يشب اسود
Pyrite	بوريطس ، مرقشيثا (ا ب) ، حجر النار
Pyrope	بيجاذي ناري
Quartz	مرو
— hyalin = cristal de roche	
Rubace = rubicelle	ياقوت بهرماني
Rubis	— احمر
— balais	بلخش ، فا ، لال ، لعل
— blanc = corindon blanc	
— oriental	ياقوت ارجواني
— spinelle	— رماني
Saphir	سفير (ن ٩٣)

Saphir blanc = rubis blanc

— femelle — ياقوت انثى (تي)

— mâle — — ذكر — نيلي (تي)

— occidental — بلور ازرق

— oriental = corindon bleu

Sardonyx sardoine anyx , sardoine rubané — جَزع بَقْراني

Sel gemme — ملح أندراني ، ملح داراني ، ملح معدني (اب)

— marin — — بحري

Semences de perles — مرجان ، شَذْر ، ضِشبان ، صغار اللؤلؤ

Sidérochrome = fer chromé

Silex — صُوّان

— volcanique = obsidiane

Spessartime — اسبارست (ن ١٩) اسبامسرت

Spinelle — ياقوت جُلّناري

Tinkal, tincal — تنكار ، لحّام الذهب ، لزّاق الذهب (اب)

Topaze — ياقوت أصفر وعند جوهري الغرب كل جوهر اصفر

— oriental = corindon jaune

Turquoise — فيروزج ، فيروز . فا . پيروزه

T · nouvelle roche — فيروزج لجنجي (ن ١٨٨)

— vieille roche — — بسحاقي ، بوسحاقي (ن ١٨٨)

Zircon — زَرْقون ، زرجون (فا . معرب)

(الموصل) الدكتور داود الچلبي الموصلي

مخطوطات ومطبوعات

اللؤلؤ المنثور

في تاريخ العلوم والآداب السريانية

للبطريرك افرام برصوم طبع في مطبعة السلامة بحمص سنة ١٩٤٣ ص ٥٦٠

هو تاريخ الف وثمانمائة سنة للسريان وبحث آدابهم ولغتهم ومواطن اللغة السريانية وأبنائها وخزائن كتبها وخطها وصرفها ونحوها ومعاجمها وبلاغتها وشعرها وشعرائها وضوابطهـا وشروح العهدين وتآليفها المنحولة ونصف المنحولة والطقوس والموسيقى الكنسية وكل ماله اتصال بالأمور الدينية والتاريخية والاجتماعية بهذه الطائفة، والفقه الكنسي والشرع المدني والكتب النسكية والتاريخية وسير الشهداء والقديسين وقصصهم والفلسفة ومصنفاتها وأثرها عندهم والطب وأطبائهم وسائر العلوم وذكر من كان مشاراً اليه بمعرفتها منهم وما ترجموه من التصانيف الأعجمية ثم تراجم علماء السريان وأدبائهم ورجال الدين من رجالهم وهي ٢٩١ ترجمة منها المطول ومنهـا دون ذلك . مشفوعاً كل ذلك بفهارس عظيمة تسهل للمراجع الظفر بما يريد اقتباسه من هذا السفر النفيس في دقائق قليلة وقد سلخ رصيفنـا العلامة البطريرك افرام برصوم ثلاثين حجة في تأليفه ورجع الى كل ما يخطر بالبال من خزائن السريان في الشام والجزيرة وغيرهما من أقطار الشرق وعاد على خزائن الغرب فنبش فيها ما أهمه ورد على بعض علماء المشرقيات الذين لم يحسنوا الكتابة على السريانيين ولم ينصفوهم على ما تقضي به أمانة العلم . والكتاب لا تستغني عنه خزانة لمن تهمه هذه الأبحاث خصوصاً والسريانية أخت العربية الشقيقة وتاريخ السريان ممتزج بتاريخ العرب والسريان من أعظم من نقلوا الى العربيـة علوم القدماء وكانت لهم المنزلة السامية في قصور الخلفاء في دمشق وبغداد وغيرهما من عواصم الاسلام فنهنئ صديقنا المؤلف على ما وفق اليه من وضع هـذا السفر الممتع فانه فتح السبيل للباحثين وأطلعهم على ما كان اكثرهم يجهلونه في هذا الشأن جزاه الله خيراً .

محمد كرد علي

(لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب)

كتاب مخطوط في التصوف ذهب أوله وآخره لكن يظهر ان الذاهب من الأول والآخر شيء يسير . وهو تأليف القاضي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٩٤ الفه في معنى المحبة عند الأصوليين وحدودها على السنة المحققين كما في كشف الظنون والمراد بهم الصوفية الا انه ابدل جوامع بجميع . والموجود في الكتاب (مرة) قال القاضي ابو المعالي (وأخرى) قال القاضي ابو المعالي شيدلة (وثالثة) قال ابو المعالي عزيزي . وفي آخر الجزء الأول منه ماصورته :تم الجزء الأول من كتاب شيدلة بحمد الله وعونه الخ ويتلوه ان شاء الله تعالى في أول الجزء الثاني فصل وقال ابوبكر دلف الخ والمؤلف ذكره السبكي في طبقات الشافعية وقال كان فقيهاً فاضلاً فصيحاً أصولياً متكلماً صوفياً من أهل جيلان . ومن نوادره انه كان جيلانياً أشعري العقيدة وولي قضاء بغداد اه وذكره ابن خلكان. ورسم في الطبقات المطبوعة شيلد وهو تصحيف مطبعي . ثم ان الموجود في الكتاب شيدلة بالدال المهملة ولكن ذكره في القاموس بالذال المعجمة فقال : وشيذلة لقب عزيزي بن عبد الملك الفقيه الشافعي . وفي تاج العروس : شيذلة كحيدرة ترجمه السبكي في الطبقات غير انه ضبطه بالدال المهملة اه . والكتاب مرتب على عشرة أبواب هكذا :

فأولها باب في أحوال المحبين وصفات اسرار ضمائر المتيمين

وثانيها باب في فصول المحبة ومعانيها وأقوال المحققين واختلافهم فيها

وثالثها باب في ذكر الأخبار في أحوال المحبين حال الاختيار والاضطرار

ورابعها باب في معنى المحبة عند الأصوليين وحدودها على السنة المحققين

وخامسها باب في اشتقاق المحبة عند العرب العرباء وعلى أصول اللغويين والأدباء

وسادسها باب في اسامي المحبة وصفاتها واختلاف اصحابها في طبقاتها

وسابعها باب في حقيقة المحبة عند الواجدين بعبارات العاملين المدققين

وثامنها باب في شروط المحبة واركانها وأدلتها من كتاب الله وبرهانها

وتاسعها باب في اختلاف المحبة وأساسها وبيان ازمانها في سائر اجناسها

وعاشرها باب في الاعتذار الى ذوي الألباب من التقصير الواقع في تصنيف هذا الكتاب

ودل كلامه على ان له كتاباً آخر في التصوف حيث قال : وتجنبت ذكر أشعار وحكايات اودعتها في كتابي الموسوم بسة العشاق وروضة المشتاق ليعتمد عليها لباب القلب الشريد عن عذاب العشق الشديد

ولا بأس بنقل شيء من أقواله في بعض الأبواب ليكون نموذجاً لبقية ما في الكتاب ويعرف به مناحي الصوفية وطريقتهم ففي الباب الأول منه ما صورته : قال القاضي ابو المعالي غفر الله له : اعلم ان اكرم القلوب والطفها . وأشرف الأسرار وأعطفها . قلب اؤتمن بخزائن الغيوب . وسر استودع فيه معالم المحبوب . فجعل العين رائده . والهوى قائده . والعقل مؤدبه . والعلم مهذبه . والقناعة كنزه . والمعرفة حرزه . واللفظ مشيره . واللحظ سفيره . والأنس نديمه . والقرب نسيمه . والرجاء جنانه . والخوف نيرانه . والشوق رايته . والصبر بضاعته . والحلم صناعته . والفكر وزيره . والذكر سميره . والمكاشفة غزله . والمشاهدة شفاه . فظاهره أظرف الظواهر . وضميره أشرف الضمائر . وخلقه احسن الأخلاق . ونسيمه اطيب الأعراق . فأكرامهم من الكرم . وأمتهم اظرف الأمم

ان أهل الهوى لأكرم خلق بذلوا أنفساً وماتوا كراما
اكملوا الخلق والتخلق والخلـــق وحازوا من الأمور الجساما
اكرموا اللكريم (كذا) في الحب حقاً وكذا يكرم الكريم الكراما

وهو يقول في الكتاب : سمعت الشيخ اباعبد الله الدامغاني . ويقول في مقام آخر : قال شيخنا الإمام الحسين بن احمد الدامغاني ويقول فيه أيضاً قـال الإمام الأستاذ ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ويقول فيه قالـــ الأستاذ ابو علي الدقاق . وينقل أقوالاً لمشايخ الصوفية . مثل ابي بكر دلف وقيل جحدر وقيل جعفر بن يونس . والشبلي الأشروسني ثم السامري ثم البغدادي . ورابعة العدوية . وبهلول . وعليان . وابي يزيد البسطامي . وذو النون المصري . ومعروف الكرخي . وابي سهل احمد بن سليمان . وغلام رابعة العدوية . وابي الخير الأقطع . وابي بكر محمد بن علي الكناني البغدادي ثم المكي المعروف بسراج الحرم . وسمنون .

وابواسحق ابراهيم بن احمد بن اسماعيل الخواص · والحسين بن منصور الحلاج · وابي الحسن محمد بن اسماعيل السامري ثم البغدادي المعروف بخمير الشام · وسالم او سلام غلام ذي النون المصري · وبشر الحافي · ومالك بن دينار · وسهل بن عبد الله التستري · وحاتم الأصم · ومسكينة الطفاوية وغيرهم كثير يعسر استقصاؤهم وانما نقلنا المشهورين منهم ويستشهد بأشعار كثيرة في الغزل والعرفان مما ينشده الصوفية ويتواجدون عند سماعه ويصيحون

والتصوف ظهر في الإسلام من عهد بعيد · وفي أخبار المأمون انه جيء اليه برجل من الصوفية نسبت اليه السرقة · والتصوف ان خرج عن الزهد في الدنيا واتباع تقوى الله كان من تسويل الشيطان والله الهادي · **محسن الأمين الحسيني**

فصل المقـــال

وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال

غرض ابن رشد من رسالته هذه الفحص على جهة النظر الشرعي هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق مباح بالشرع أم محظور أم مأمور به اما على جهة الندب واما على جهة الوجوب · شرع في تعيين فعل الفلسفة ، فهذا الفعل ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع ثم بين ان الشرع دعا الى اعتبار الموجودات بالعقل واستدلّ بالآيات الكثيرة على ذلك ثم عين فعل الاعتبار فهو استنباط المجهول من المعلوم وأثبت ان الشرع قد حثّ على معرفة الموجودات بالقياس العقلي ·

وقد نقل هذه الرسالة الى اللغة الفرنسية الدكتور في الأدب « ليون غوتيه » استاذ التاريخ والفلسفة الاسلامية في معهد الأدب في الجزائر وأضاف اليها صفحات سماها : ضميمة لمسألة العلم القديم التي ذكرها ابو الوليد في فصل المقال ·

صدّر الأستاذ « غوتيه » ترجمته بالكلام على حياة ابن رشد وعلى مؤلفاته وعلى فلسفته ثم نقل فصل المقال الى الفرنسية وترجمته غاية في سهولة الكلام ووضوحه اذ لم يفته شيء من اصطلاحات الفلسفة وتعبيراتها · **شفيق جبري**

دمشق مدينة السحر والشعر

محمد كرد علي

وهب الله تعالى لأستاذنا الرئيس أدوات الشعر بمجامعها وهي خيال مصقول وحس رقيق، وبيان ناطق، ولكنه أحب ان ينصرف عن الشعر الى الموضوعات التي تستلزم اختمار العقل واتساع الفكر ونضج النظر، انصرف عن الشعر الى التأريخ والاجتماع واضرابها، غير ان أدوات الشعر ظلت ملازمةً له فتمكن من ان يفرغ هذه الموضوعات الجليلة التي انفرد بها في قالب يأخذ بمجامع القلب، وآخر كتاب من كتبه الدالة على خصب الفكر وجودة الإنتاج كتابه : دمشق، مدينة السحر والشعر، ولم يسم دمشق هذا الاسم عبثاً، فقد غلب على كتابه سحرها واستفاض فيه شعرها، فكان لغوطتها الغناء الأثر الأبلغ في تصفية خياله وكان لطبيعتها الخضراء السلطان الأعظم في تنقية ذهنه وذوقه، وقد عرف هذا الذهن وهذا الذوق سبيل الضياء والهدى، فاستضاء صاحبها بكلام أئمة البيان في العرب وفي مقدمتهم ابن المقفع ثم عكف على رجال الافرنجة فأخذ عنهم فضل الحكم والتمييز، فجمعت مؤلفاته الرائعة من حيث البيان. ومن حيث النظر بين كلام ابن المقفع ونظرائه وبين حكم ابن خلدون وغستاف لوبون وأشباههما.

ومن تصدى للتأريخ والاجتماع بأساليب مقتبسة عن هذه الطبقة من الخالدين كان جديراً ان يجوّد وان يحسن وان يخلد، وخاصة فان أستاذنا الرئيس قرأ كثيراً وفكر طويلاً فهضم ما قرأ حتى استوى فكره وفسح نظره وسهل كلامه فاذا خلدت كتبه فانها تخلد لهذه الخصائص : استواء الفكر وفسحة النظر وسهولة الكلام .

وما علينا بعد هذه المقدمة الا ان نفتح معاشر الدمشقيين كتاب دمشق، فنتمتع من سحرها، ونتملى شعرها، ففيه صورتها الخالدة، فيه طبيعتها اللينة وسياستها المختلفة وعمرانها الفتان وجملة من آثار ما أوحته الى الشعراء والكتاب وفيه صورة أخلاق أهلها وخصائصهم وآثار حياتهم في الفن والأدب والصناعة والخلاصة فيه سحرها وشعرها على وجه مختصر وقد تجلى هذا السحر وهذا الشعر في فصل : غوطة دمشق ولما قلت في صدر الكلام ان أستاذنا الرئيس شاعر لم أجازف بقولي فان الكلام على غوطة دمشق ملآن من السحر والشعر، ومن محاسن أستاذنا العلامة استعانته بأسلوبه الشعري في هذا الباب حتى أصبح بيانه ناطقاً كأنه روح ولحم ودم، مدّ الله في حياته ونفعنا بفضله .

ش . ج

الهلال الذهبي (١٩٤٢)

رفع الاستاذان أميل وشكري زيدان الى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول «هلالهما الذهبي» وهو عنوان مجهود خمسين سنة في خدمة العلم والأدب وقد صدّر الأستاذان كتابهما بكلمات حضرة صاحب الجلالة ملك مصر وحضرة أصحاب السمو الأمير عبد الإله الوصي على عرش العراق، والأمير عبد الله أمير شرق الأردن والأمير عمر طوسون وفخامة رئيس الجمهورية السورية .

يشتمل الكتاب على صور كثيرين من أفراد البيت العلوي المالك في مصر وصور أكابر رجال الأدب والفكر والاقتصاد والسياسة وصور بعض آثار مصر في الفن والعمران .

أما موضوعات الكتاب فانها مختلفة، فقد بحث اصحابها عن الحياة السياسية والجيش المصري والنهضة النسائية والحياة الاقتصادية والتقدم الصناعي والتطور الزراعي وأمثال هذه المباحث التي كتبها أكابر رجال مصر كالدكتور بهي الدين بركات باشا والفريق احمد حمدي سيف النصر باشا والدكتور حافظ عفيفي باشا واسماعيل صدقي باشا وغيرهم، وهذه المباحث كلها تصف تطور مصر في خمسين سنة .

وقد تضمن «الهلال الذهبي» غير هذه الفصول فصولاً عربية وغربية في الماضي والمستقبل كتبها أكابر رجال الفكر والأدب أشباه الأستاذ العلاّمة محمد كردعلي بك والاستاذ محمد رضا الشبيبي بك والأستاذ عبد القادر المازني وغيرهم .

واشتمل أيضاً هذا الكتاب النفيس على مقالات في الهلال ودار الهلال في خمسين سنة كتبها أفاضل الكتاب كالأستاذ احمد امين بك والدكتور طه حسين بك وحسين هيكل باشا وانطون الجميل بك وفي آخر «الهلال الذهبي» مقتطفات مما قاله أكابر الشعراء والكتاب في تأبين مؤسس الهلال .

واذا كنت استطيع ان أجد صفة جامعة لهذا الكتاب فإني لا أجد الآ الكلمة الآتية : يكاد يكون «الهلال الذهبي» آية في الدلالة على ما وصلت اليه صناعة الطباعة في الشرق من حيث الجودة في كل شيء : في الطبع والتصوير والورق والذوق وإتقان الموضوع .

ش . ج

نظام عقد المعاهدات

كتيب يقع في سبعين صفحة . وضعه الأستاذ محمد عبد المنعم مصطفى : الأمين الثاني المتولي قسم عصبة الأمم والمعاهدات بوزارة الخارجية المصرية : «بحث فيه نظام عقد المعاهدات وتنفيذها وتفسيرها طبقاً لأحكام القانون المصري مع الاشارة الى القانون المقارن »

مهّد المؤلف لكتابه بمقدمة ألمّ فيها بما للمعاهدات من شأن ، وناقش بعض الآراء التي سبق لبعض كتاب السياسة والاجتماع ان ارتأوها ، وخلص من ذلك الى تعريف المعاهدة ، وعدّد مرادفاتها من : اتفاق، ووفاق ، وميثاق ، وتصريح ، ومحضر ، وتبادل مذكرات . ولاحظ ان هذه الاسماء المختلفة لا تقابلها معان محددة المدى واضحة المقاصد ، فكل منها جائز استعماله ، وإطلاقه على أي نوع من أنواع الاتفاقات بين الدول

وأشار الى نظام عقد المعاهدات في مصر ، قبل دستور سنة ١٩٢٣ ، وكيف استخلصت مصر من الدولة العثمانية — حقها في عقد المعاهدات الدولية شيئاً فشيئاً .

وقسم الدول — من حيث اساليبها في عقد المعاهدات — ست طوائف — وتكلم على أسلوب كل منهن . وتعرض للنظام التقليدي في عقد المعاهدات ، وللاتفاقات التي تعقد تحت رعاية عصبة الأمم ، وللمعاهدات السرية ، ثم لما يكون بعد ذلك من تصديق المعاهدات وتبليغها وتنفيذها ، ومذاهب بعض الدول في ذلك

وحدد بعض الألفاظ التي يخيّل الى بعضهم انها متماثلة المدلول مترادفة المعنى . فبين الفوارق الدقيقة بينها . وأنهى كلامه في ما قد تحتاج اليه المعاهدات من توضيح وتفسير ، والى من يرجع الأمر في ذلك

فنلفت الى هذا الكتاب المفيد أنظار رجال السياسة والقانون . ونشكر للمؤلف فضله وجهده .

عارف النكدي

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثاني عشر

(تذكرة للقارئ) الأجزاء الخمسة الأولى من كتاب نهاية الأرب كانت نشرت تصحيحاتها في مجلد السنة السادسة من مجلة مجمعنا العلمي . وتصحيح الجزء السادس نشر في مجلة السنة السابعة . وتصحيح الجزء السابع نشر في مجلد السنة التاسعة . وتصحيح الثامن نشر في مجلد السنة (١٢) وتصحيح الأجزاء : التاسع والعاشر والحادي عشر نشر في مجلد السنة (١٣)

وها نحن أولاء اليوم ننشر تصحيحات الجزء الثاني عشر . والأغلاط التي عثرنا عليها في هذا الجزء قليلة وقد يكون معظمها مما يسمونه خطأ مطبعياً . ومع هذا فسنثبت هذه الأغلاط لتكون كاللحام يصل بين طرفي سلسلة التصحيحات التي خدمنا بها هذا الكتاب النفيس منذ أول صدوره ونشرناها تترى كما ذكرنا

ص ٦٣ س ٨ قوله : (ويؤخذ من السُك الأصفر الطوامير مثقال) السُكُّ طيب ذكره المؤلف ووصف أنواعه . و (الطوامير) جمع طومار وهو الصحيفة . وفي اصطلاح كتاب الدواوين قديماً هي صحائف ذات شكل خاص تطوى طياً خاصاً . قال كعب بن زهير في وصف ناقته من شعر (طُمِّرت تطميراً) أي كأنها طويت طيَّ الطوامير . فكلمة الطوامير إذن لا تصلح أن تكون صفةً أو بدلاً من كلمة (السُك) فلعل صوابها (الطواميريّ) بياء النسبة . ويكون معنى نسبة السك الى الطوامير ان ذلك السك مما يحفظ في الطوامير لا في أوعية او ظروف أُخرى ، أو المعنى ان لون السُك الأصفر فاتح أو قاتم كلون الطوامير

وقد تتبعنا ما قاله المؤلف في طريقة اتخاذ السُك فلم نجد ما يساعدنا على معرفة المراد من وصفه بالطواميري

ص ٩٠ س ٥ قوله : (طبيخ البان بالأفاويه مع الماء أقوى له) الصواب ان يكون (طبخ) بصيغة المصدر إذ أن سياق الكلام والإخبار بقوله : (أقوى) يقتضيان هذا

ص ١٢١ س ٢ قوله : (ثم دُقَّه بشيءٍ من ماء التمر) الضمير في (دقّه) يرجع الى الآس الذي دُقّ دقاً جريشاً ثم عجن بماء التمر إلى ان قال : (ثم دقه الخ) ولا يخفى ان قوله : (دقّه) بالقاف المشدّدة محرف أو مصحف وصوابه (دُفهُ بالفاء)

الساكنة أمر من فعل داف يدوف . قال في (الأساس): (دافَ المسك بالعنبر خلطه به . وداف الزعفران أو الدواء خلطه بالماء ليبتلّ) ولا ريب في ان ماء التمر لا يتصور ان يدقّ به شيء من الأشياء وانما يداف به ويخلط . وفعل (الدوف) استعمله المؤلف في غير ماموضع . ففي ص ١٣٢ س ٥ (وُيداَفان بالطلاء الريحاني) وفي ص ١٣٥ س ١٠ (الزعفران والمسك المدافين بدهن البلسان)

ص ١٢٨ س ١٠ قوله : (وصعده على هبال الماء) ضمير (صعَّده) يرجع الى المسك المدوف بماء الورد و (التصعيد) كما في القاموس وشرحه الإذابة ومنه قيل خل مصعَّد . ويقال شراب مصعَّد إذا عولج بالنار حتى يحوّل عما هو عليه طعماً ولوناً اه . وهبال الماء بخاره الساخن الصاعد عنه وهو على النار . وهي كلمة عامية كانت شائعة على ما يظهر في عهد المؤلف كما لا تزال شائعة فى بلادنا الشامية غير انا نلفظها نحن الشوام (هبلة) لا (هبال) على ان (هبال) قد تكون جمعاً لهبلة فإن (فعلة) تجمع على (فعال) قياساً نحو قصعة وقصاع . واليسوعيون في معجمهم العربي الفرنسي فسّروا الهبلة بقولهم Vapeur d'un liquide ثم وضعوا أمامها العلامة التي تدل على ان الكلمة ليست فصيحة وانما هي مستعملة في اللغة العامية . وأذكر ان بعض العارفين باللغات السّامية عدّ كلمة (الهبلة) في جملة الكلمات الباقية في العامية الشامية من اللغة السريانية ولا يخفى ان مؤلف (نهاية الأرب) يتسامح في استعمال الكلمات الدخيلة الجارية في لهجة عوام زمانه : فهو يقول (شوابير) ويريد بها القطع أو الفتائل المجعولة على طول الشبر . ويقول (الريم) ويريد به الزبد أو الرغوة التي تعلو المائعات وهي تغلى على النار فتلتقط وترمى . والكلمتان عاميتان شائعتان في مصر والشام إلى زماننا هذا . فلا حاجة إذن الى جعل (الهبال) الواردة في كلام المؤلف محرفة عن كلمة (الهباء) بالهمزة وهو ما ارتفع من الغبار وان المراد بالهباء حينئذ البخار الساخن مجازاً

ص ١٤٤ س ٣ قوله : (ويغلى بزيت مغسول) لعل الأفصح في استعمال هذا الفعل هنا أن يقال (ُيقلى) بالقاف لا (ُيغلى) بالغين : فان ما يطبخ بالزيوت والأدهان من دون إضافة ماء يستعمل فيه فعل قلاه يقلوه وآلته (المقلاة) واذا طبخ الطعام بالماء مع زيت أو دهن أو من دونهما ثم بقبق قيل ان الطعام يغلي غلياناً ، وان

الطاهي أغلاه وطبخه لا قلاه وحمصه • على ان الغليان في عبارة المؤلف قد يكون له معنى ولكنا نستبعد ان يكون مراداً للمؤلف فهو في الراجح من تصحيف النساخ

ص ١٦٠ س ١٠ ذكر المؤلف عقاقير سُحقت ونُخلت وعُجنت بعسل ، ثم قال : (وتُبسط على جامٍ وتقطع وتستعمل) ثم قال في ص ١٦١ س ٦ (ويبسط على جام الخ) واستعمال الجام في الموضعين صحيح فصيح فلا حاجة الى تصحيح الجام بكلمة (الرخام) وان كان بسط الأدوية والطيوب على رخام كثير الوقوع ، غير ان بسطها على الجام أقرب تصوراً وتعقلاً • وبيانه ان للجام معاني ثلاثة تختلف باختلاف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية فالجام في العربية معناه الإناء من فضة ، وقال علماء اللغة انه بهذا المعنى عربي فصيح • والجام في التركية الزجاج كزجاج الشبابيك والمرايا • والجام في الفارسية القدح الذي يشرب به الشراب في الأكثر وغير الشراب في الأقل

ولا يمكن ان يكون المراد من (الجام) في عبارة المؤلف هذا المعنى الفارسي أي القدح ، وانما الممكن ان يكون المراد الإناء من فضة (بالمعنى العربي) أو لوح الزجاج (بالمعنى التركي) ، فان بسط المقاقير ومعالجة تركيبها عليه كثير الشيوع وشد ما رأيناه في الصيدليات • ولا سيما اذا لاحظنا ان طائفة من علماء اللغة قالوا ان (الجام) هو (الفاثور) وفسروا الفاثور بالطست يكون من رخام أو فضة • وخص الأزهري فقال : ان أهل الشام يتخذونه من رخام • فاذا كان الجام قد يتخذ من رخام فلا حاجة إلى تصحيحه بالرخام • والفاثور أيضًا قد يكون بمعنى قرص الشمس وقد سموا قرصها بالفاثور على التشبيه • وهذا يدل على ان الفاثور الذي يسمى الجام لا يكون له حروف قائمة حواليه حتى قال في (الروض الأنف) : (الفاثور سبيكة الفضة) والسبيكة لا حروف لها كما لا يخفى • ويؤيد هذا ما جاء في كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) من ان (فاثور) معرب (پتر) وهو كل ما صفح من ذهب وفضة ونحاس • ثم نقلوه الى الآنية المعدنية التي لها شكل الصفائح كالخوان والطست وقرص الشمس ، ثم شبهوا به صدر الحسان وخاصة صدر بثينة الذي قال فيه جميل :

سبتني بعيني جؤذر وسط ربرب   وصدر كفاثور اللجين وجيد

وبالجملة فان استعمال المؤلف لكلمة (جام) بمعنى الإناء او الزجاج صحيح ولا حاجة الى تصحيحه بالرخام وان كان استعمال الرخام في هذا المقام ممكناً

ص ١٦٩ س ٦ قوله : (ويؤخذ ماء الصلق المعتصر) الفصيح في (السلق) وهو الخضرة المعروفة ان يكون بالسين كما ورد في معاجم اللغة · لكن لما كان المؤلف يتسامح في استعمال الكلمات العامية كما قلنا وكان (الصلق) بالصاد مما ينطق به عامة زمانه كما ينطق به عامة زماننا - لما كان كذلك حسُن الابقاء على (الصلق) الواردة في عبارة المؤلف بالصاد ولا حاجة الى تصحيحها بالسين ، وهذا كما أبقينا على كلمة (ملو) بالواو وهي عامية مكان (ملء) بالهمزة في عبارة المؤلف (ص ١٤٠ س ٥) وهي قوله : (ويكون العصير أقل من ملو القارورة) وقد أحسن المصحح الفاضل صنعاً في قوله : [أبقينا (ملو) على حاله حرصاً على استعمال المؤلف] وكذلك نبقي كلمة (الصلق) بالصاد على حالها حرصاً على استعماله : فان في هذا الإبقاء على الكلمات العامية الواردة في عبارات علمائنا وكتابنا الأقدمين — غرضاً له قيمته في معرفة تطور الألفاظ وتاريخ اللهجات كما لا يخفى

ص ١٦٢ الى ١٧٧ وصف المؤلف خلال هذه الصفحات أدوية مركبة من عقاقير لتنمية (القوة الجنسية) وقد ذكر في عنوان ثلاث (وصفات) منها انها (تسخّن الكلى) بالخاء وفي ثلاث وصفات أخرى أنها (تسمّن الكلى) بالميم ، فاذا كانت كلتا الكلمتين صحيحتين غير محرفتين كان ذلك من أسرار الطب القديم ، وإلا فإن طبيباً من فضلاء أطبائنا قال : « بعد ان اطلع على نصوص الكتاب » ان إحدى الكلمتين [تسخن وتسمن] محرفة عن الأخرى وان الصواب في ظني هي [تسخن] بالخاء دون [تسمن] بالميم ، واستدل على ذلك بأن المؤلف وصف هذه العقاقير بأنها [كثيرة الحرارة] ، ولا ريب أن كثرة حرارتها تحدث حرارة في البدن عامة وفي الكُلية خاصة ، قال : وهذا ما وقع لي مذ كنت في السودان فقد دعاني شيوخها الى وليمة أكثروا في طعامها من الفلفل الحار فأدى ذلك الى حصول التهاب ونزيف دموي في كليتي · فلا جرم ان يكون المؤلف في وصفاته انما أراد ان العقاقير تسخّن وتحدث حرارة لا تسمّن الكلية وتضخمها · وفوق كل ذي علم عليم ·

المغربي

عروج أبي العلاء

هو قصيدة كبيرة أو قصائد سبع صنعها في اللغة الأرمنية الشاعر الأرمني اويديك اسحاقيان المقيم اليوم في مدينة أروان من ارمينية . ويريد الشاعر بالعروج تلك الاعراضة التي اعرضها أبو العلاء عن متع الحياة وملاذها في عزلته ومحبسيه وما قام عليه الكثير من فلسفته من الرفق بالحيوان والكف عن نتاجه وتفضيل الموت على الحياة وحنينه المستمر الى أمه الأرض . فمثله راكباً جملاً مستقبلاً به الصحراء منصرفاً عن البشر وضوضاء اجتماعهم الى حيث يرمي من فجاج المفاوز ويقرع من أفئدة البيد وأكباد المهامة ما يصير منه الى النجاة كل النجاة من شر الانسان والتلوث بأوضاره منتهياً به الى حيث يذوب في أديم الشمس مهوى أمله ومنزع نفسه الأخير. مخاطباً جمله مرة ومناجياً الطبيعة أخرى ملتفتاً الى الناس ثالثة يوسعهم كما عوّدهم ذماً وهجواً مقرعاً إياهم بأكثر ما جال في فكره من علم وفلسفة وخبرة بالحياة وحقائق الحياة ونقد أحوال الإنسان : يرسل ذلك قوارع لواذع مما يرى أكثره في لزومياته . وقد نقلها الى العربية الأديب الأستاذ السيد محمد خير الدين الأسدي الحلبي شعراً منثوراً في سبعة مقاطيع دعاها سوراً وأخرجها في رسالة جاءت في عشرين صفحة غير ترجمة الشاعر المصدّر بها العروج بقطع دون قطع هذه المجلة .

ومما قاله المترجم انها ترجمت قبل نقلها الى العربية الى معظم لغات العالم المتمدن كالروسية والألمانية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية واليونانية والتركية والاسبيرانتو وغيرها ومن ذلك اثنتا عشرة ترجمة الى مختلف اللهجات الروسية .

وأشد ما يلفت نظر القارئ في العروج حرص المترجم بل لهجه ووسواسه في طلب الوقوع على ما يبدو فيه زئبر الجدّة وخشونة الحداثة من الألفاظ والجمل والتراكيب مما لم تبتذله أقلام الكاتبين ، وانه لحرص مبارك ووسواس نافع خليق بأن يشيع في الكتاب ويكثر في المترجمين لما في ذلك من عرض ثروة اللغة وقوة ما اشتملت عليه من بيان مما شاء القضاء أن يبقى حتى اليوم مطوياً في أطباق جرائيم اللغة ومناجم معجماتها .

وحري بالذكر أن كثيراً من أبيات العروج جاء سهلاً سلساً سليماً من الوكة بريئاً من التعقيد لا وهن يشينه ولا قلق يذهب بجماله وطبيعي (لا طبعي) ان هذا الكثير ما كان ليدل على نفسه ويتميز لولا ما الى جنبه مما يباينه ويجري في غير مجراه وعورة أو ضعفاً وحاجة الى الأحكام ويؤذن بعض الإيذان ان الأستاذ المترجم لا يزال يروض من العربية بعض الاعراض وانه في طريق التلغب عليه منته الى ما يريد من إقبالها ومواتاتها على ما يثير من حفيظتها بإقباله على غيرها ولعل من آثار تلك الحفيظة ما انتشر في كل من الترجمتين ترجمة الشاعر وترجمة عروجه من هنوات لا نجد بدأ من التنبيه على جمهرتها وسوادها وان لهج ببعضها الناقدون منذ دهر معرضين عما سوى ذلك مما يسهل الخطب فيه ويحتمل ، فمن ذلك قوله : (وما كاد يشدو بشيء من الدراسة) والذي تقوله العرب في هذا شدا فلان شيئاً من المعرفة او العلم او الدراسة بغير باء وانما يؤتى بالباء مع الشدو بمعنى التغني والترنم فيقال شدا بكذا أي تغنى وما نخاله يريد التضمين فيجعل الباء كما في قولهم أخذت الشيء وبالشيء لأن ذلك بعيد هنا . ومنه قوله (مواطنوه) ولم تقل العرب واطنه وان قالت جاوره وعاصره وليست المفاعلة قياسية وان كان ثمة من يدعو الى قياسيتها فهي دعوة مخففة سينفيها التحقيق في جوهر طبيعة المفاعلة من العربية .

ومنه (فيجليها بأنغام علوية) بمعنى يعرضها والصواب يجلوها بالواو وليس في اليائي من هذا الا جلي الفضة وغيرها بإزالة الصدأ عنها وليس جلو المعاني والأفكار في أنغام الشعر من إزالة الصدأ في شيء .

ومنه (الغواة) جمع غاو للمغري بالشيء اللاهج به حباً وفتنة وقد صوب بعضهم استبدالها بالهواة الجائزة قياساً الممتنعة سماعاً اذ المنقول فيها الهوون ومفرده هو .

ومنه (حنايا) جمع حنو لأحد أضلاع الصدر والصواب أحناء الا ان يكون المترجم قد هجم عليها قياساً على حنايا جمع حنية نعتاً للقوس فهي حينئذ صحيحة لأنها ما كانت نعتاً للقوس الا لانحنائها وكذلك العظم فواحدته حنية .

ومنه (النجمة) مؤنث نجم السماء وذلك ان العرب أطلقت النجم على كل ما يطلع ويظهر من كوكب او نبات غير ذي ساق ثم تجوزت فأرادت منه الشجر والنبات كل ذلك من باب التسمية بالمصدر بمعنى الناجم أي الظاهر ولكنها ما لبثت ان نست أو تناست فأدخلت التاء على ما في الأرض فقالت: النجمة الكلمة والشجرة ونبتة صغيرة ولم تقل قط النجمة مؤنثاً للكوكب لانه مفرد لا كشجرة وشجر وثمرة وثمر ٠

ومنه (المريرة) بمعنى المرة مؤنث المر ضد الحلو وهو لحن استفاض على أقلام الكتاب اليوم بعد ان شاع في كوكبة من الشعراء قديمًا والظن أنه من لحن القرن الرابع أو الثالث ولعل أول من وقع فيه ممن بلغنا الشريف الرضي في ديوانه وأبو فراس الحمداني في قوله :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

ومنه (تقذف على العالم أكوام الشرور) وقذف متعد بغير الجار إلا ان يعتذر بتضمين تقذف معنى تلقي ولا ضرورة شعرية هنا يحتمل معها ذلك وهو عذر ضيق الساحة قلق المضطرب ٠

ومنه (نفس حرة طلقة لا تعنو الى شوكة او حد او شريعة) والذي تقوله العرب عنا له لا اليه اي خضع وإقامة الى مكان اللام قبيح حتى في ضرائر الشعر ٠

ومنه (الحكومات) مكان الدول ٠

ومنه مجيء (بلى) أخت نعم بعد ليس غير ناقضة لها ولا مخالفاً متلوها ما بعد ليس ولا مقرونة ليس بالاستفهام الانكاري المسمى عندهم بالتقريري وهو قوله (ليس أحط من الانسان الشرس وليس اكره منه الا الانسان ٠ بلى ان قلبي عامر بالحب ٠ يحب الذئب وابن آوى أما الانسان فلا أطيق حبه أبداً) والصواب هنا نعم او أجل بدل بلى ٠

ومنه (تنفس الصعداء مردداً واحنيناه) والعرب انما تقول هذا عند الحسرة والالم في غمرة الحزن أو أوائله لا عند انفراج الكرب أو مواشكة زواله ولا حين ابتداء انكشافه ٠

ومنه (الأجيال) بمعنى القرون والحقب والأزمان او أهلها ولا تعرف العرب ذلك وانما الجيل عندها الأمة والشعب كالفرس والترك والروم ولا حجة باستدراك الزبيدي في تاج العروس على القاموس فهي من عامياته ونعساته او دساته (وما أكثر هذا منه) تناولها عنه محيط المحيط فأقرب الموارد فالبستان وقبله المنجد والمعتمد ثم فاكهة البستان ، وان كلمة يتضافر على نشرها سبعة معجمات هي ملء أيدي الكاتبين والمتأدبين أولها التاج وآخرها المنجد لصعب ان يرجع الناس عنها الا بعد لأي وجهد ·

ومنه (لعلع في أجواز الفضاء صوت هاتف) بمعنى صوّت عالياً ولعل خدعة المترجم بها رؤيته اي العلع إياها في أقرب الموارد فهي من حسنات أقرب الموارد فقط على غير عادته في لحناته التي تعود أخذها عن أستاذه البستاني في محيط المحيط الا هذه فمن مخترعاته لم يقلد بها أستاذه ولا غيره والعجب ان صاحب البستان تركها وقفاً على أقرب الموارد ونجله المنجد ·

ومنه (ساهمت) بمعنى شاركت وصوابها تفسيرها وإنما ساهمت في كلام العرب بمعنى قارعت فهي قريبة بمعناها مردودة بلزومها وهي المتعدية ·

وعلى الجملة فان كثيراً من آي العروج قد وقع من الترجمة عما في نفس أبي العلاء موقعاً يكاد يظنه القارئ مكتوباً بلفظ أبي العلاء وان كان بعض آخر يشكو ما يشكو من البعد عن تفكير أبي العلاء وعروبته وكبريائه فبدا مصبوغاً بألوان تصلح ان تكون أنماطاً من العقل غير العربي وان كان شرقياً في معظم مظهره ·

ومما كان يحسن بالأستاذ المترجم ولكنه لم يفعل هو ان يذكر لنا مأخذ صاحب العروج عن أبي العلاء أمما ترجم له خاصة أم مما كتبه عند أدباء الفرنجة وعلمائهم أم ماذا ؟

وذماء القول ان ترجمة العروج الى العربية حسنة يجب ان تسجل في جملة ما يحسن به المحسنون من أبناء العربية الى العربية والعروبة ·

محمد البزم



Souvenir de S^t Paul

تصنيف الأب نصر الله ص٦٢ وثلاث لوحات مصورة · طبع في حريصا ١٩٤٤ ·

دمشق حافلة بذكرياتها التاريخية والدينية · ولكل من أحيائها القديمة اسطورته · ولكل من مساجدها وكنائسها قصته · تتكيف جميعها مع الزمن · ويتصرف بها الراوي بحسب اهوائه أو مداراة عصره وارضاء مستمعه · وهكذا تتضارب الروايات وتتعدد الأحاديث · فتضيع معها الحقيقة · فلا عجب والحالة هذه ان ضل الباحث في درسه وثنته وعورة المسلك عن عزمه · ورجعت به من حيث ابتدأ · ينشد الحقيقة فلا يهتدي اليها ·

وقد أراد المؤلف ان يوضح لنا صفحة غامضة من صفحات دمشق الدينية الخالدة · متتبعاً آثار بولس الرسول فيها · فذهب يبحث عن المكان الذي تجلى فيه يسوع المسيح لشاول · فسلبه بصره وفتح بصيرته · فآمن بولس الرسول بالنصرانية وكان من أكبر مضطهدي ابنائها واستشهد في سبيلها وكان قبل اليوم يعمل سيفه في رقاب أنصارها وكان بولس قصد دمشق ليفتك في اتباع النصرانية فهرب منها وهو أحد رسلها ·

تبدو لنا هذه القصة لأول وهلة من الأبحاث السهلة لأنها من الحوادث التاريخية المسلم بها · التي لا يمكن ان يعتورها تعقيد ولا تضليل · ولكن سرعان ما يظهر لنا خطأ استرسالنا · اذ نجد في كل صفحة من صفحات هذا الكتيب أثر وعورة المسلك وتشعبه حتى استعصت على المؤلف الحقيقة التي ينشدها رغم ما بذله من جهد ومهارة في جمع كل ما قيل وما نقل في هذا الشأن واستجوابه غوامضها ومع هذا كله فقد امتنعت عنه الحقيقة من حيث كان يرجو ان يظفر بها · وهكذا قدم المؤلف للقارئ مجموعة روايات وتركه وحده بين مفترق الطرق يلتمس السبيل ولا هادي له ·

وهكذا ستبقى كوكب وداريا وغيرهما من الأمكنة تتنازع فيما بينها شرف اهتداء بولس الرسول على أرضها وتدعي هذه المعجزة لنفسها الى ان تظهر نور الحقيقة الى من لا يكتم سرها ·

جعفر الحسني

Miniatures persanes turqus et indiennes .

تصنيف غستون فييت • عدد صفحاته (١٨٣) وفيه (٧٠) لوحة تشتمل على (١٨٣) صورة • طبع في القاهرة سنة ١٩٤٣

أفرد المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة المجلد (٤٧) من مجلته وخصه بهذا البحث • وقد وصف فيه الأستاذ فييت الصور الفارسية والتركية والهندية التي جمعها معالي شريف صبري باشا لنفسه • ويدل الوصف على نفاسة هذه المجموعة وسلامة ذوق مقتنيها • وهي بحق — كما يقول المؤلف — تاريخ مقتضب لفن التصوير في ايران وبلاد الهند • وقد أحسن المؤلف باطلاع العالم على هذه المجموعة القيمة التي يفتقر العلم الى معرفتها لدراسة التصوير وتطوره عند الأمم الشرقية • وقد اسدى الاستاذ فييت بعمله هذا خدمة علمية جليلة وأضاف مأثرة جديدة الى جهوده العلمية لاسيما وقد جمع في هذا الكتاب بين حسن الانتقاء وامانة الاداء • كما هو معهود به في جميع أبحاثه ومؤلفاته •

وقد صدر المؤلف كتابه هذا ببيان شامل للمصادر المبعثرة التي تبحث عن فن التصوير عند الفرس مما زاد في فائدة كتابه •

وقد ترجم المؤلف في الصفحة (٤٢) صورة رقم (١٦) اسم الدراج بـ (coq de bruyère) وصوابه (francolin) • كما أننا نرى في مشهد الصورة رقم (٤٦) ص (٨٦) ما يشير الى أبي يزيد البسطامي والفرس التي عرج عليها الى السماء كما يزعم مريدوه •

ج • ع

التعليمات للوزراء الانكليز المفوضين في الولايات المتحدة ١٧٩١ — ١٨١٢

Instructions to British ministers to the United states 1791 - 1812

عدد الصفحات ٤٠٣ • طبعة حكومة الولايات المتحدة — وشنطن ١٩٤١

نشر هذا الكتاب « برنارد مايو » أحد أساتذة جامعة فرجينيا مكلفاً من قبل الجمعية التاريخية الأميركية التي تعنى بنشر الوثائق والمراجع المختلفة المتعلقة بتاريخ الولايات المتحدة • والكتاب يحوي تعليمات الحكومة الانكليزية لوزرائها المفوضين في الولايات المتحدة منذ بدء تأسيس علاقات دبلوماسية بين الدولتين في ١٧٩١ حتى عام ١٨١٢ حين حصلت الحرب المعروفة بحرب الاستقلال الثانية بينهما • وقد

مثل انكلترا في هذه المدة ستة وزراء مفوضين ، ومرسل خاص ، وثلاثة ملحقي مفوضية . والدور الذي تتعلق به هذه التعليمات والمراسلات دور هام من وجهين : أولها لانه عصر تضطرم فيه نيران الثورة الافرنسية وحروبها وبأثرها حروب نابوليون الدولية ونزاعه الطويل مع الدولة الانكليزية فتكون الولايات المتحدة دولة محايدة تحاول ضمان حريتها وحقوقها في وسط القوانين المتضادة التي تصدرها الدول المحاربة وثانيها ان هذا العصر يشهد نشوء هذه الجمهورية الأميركية التي استقلت عن انكلترا سنة ١٧٨٣ بموجب معاهدة فرساي وأخذت تنشئ معها علاقات دبلوماسية . والغريب ان انكلترا لم تبدأ علاقات سياسية مع الولايات المتحدة التي استقلت عنها الا في ١٧٩١ أي بعد ثماني سنوات من توقيع معاهدة الاستقلال ، ولم تسرع في تعيين أول وزير مفوض لها الا حين هدد مجلس الأمة الأميركي (الكونغرس) بتطبيق تشريع خاص ضد التجارة الانكليزية . واننا لنرى من خلال هذه التعليمات كيف كانت العلاقات في هذه الفترة بين الدولتين تسودها الريبة وسوء التفاهم ووجهات النظر المتضادة الى ان أدت أخيراً الى ما يسميه الأميركان بحرب الاستقلال الثانية سنة ١٨١٢ . والوثائق التي بين يدينا تشرح وجهة النظر الانكليزية الرسمية ولكننا نتبين منها ان المشكلة الكبرى في ذلك العصر المضطرب بالحروب هي مشكلة حقوق وواجبات الدول المحايدة ويشاهد فيها ذلك النزاع بين الأوامر الانكليزية والأميركية المتعلقة بالتجارة والملاحة وتلك المحاولات التي تبذلها الولايات المتحدة لضمان حقوقها المحايدة والوطنية قبل اللجوء الى الحرب .

وقد بذل الناشر جهوداً قيمة في نشر هذه التعليمات واخراجها الى النور ولاقى عناء كبيراً في الحصول على الوثائق الأساسية والتأكد من صحتها دون تحريف أو زيادة أو نقص كما انه لم يقصر في وضع الشروح اللازمة في الهوامش لايضاح الوثائق وما يذكر فيها من اسماء . وقد رتب التعليمات حسب سني صدورها من وزواة الخارجية الانكليزية ورقم الوثائق المتعلقة بكل من هذه السنوات . وكان بوسعه أن يزيد في قيمة عمله فيضع كلمة في بدء كل وثيقة أو مراسلة عن خلاصة موضوعها من جهة ويضع جدولاً في نهاية الكتاب عن مختلف الوثائق وعن المواضيع التي تعالجها باختصار .

ج . ح

Writings on American history 1937 - 1938

منشورات عن التاريخ الأميركي في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨

عدد الصفحات ٨٦٩ مطبعة حكومة الولايات المتحدة — وشنطن ١٩٤٢

يحتوي هذا المجلد الضخم عناوين جميع الكتب والمقالات التي كتبت في تاريخ الولايات المتحدة واسماء مؤلفيها في سنتي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ · وهو من جملة المطبوعات التي تنشرها الجمعية التاريخية الأميركية في كل عام · وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها اطلاع كتاب التاريخ على جميع ما يكتب في التاريخ الأميركي فأخذت تنشر في كل سنة كتاباً يحوي مواضيع الكتب والمقالات المنشورة عنه في مختلف البلدان · والكتاب الذي بين يدينا يضم ٦٧٢٢ عنواناً للكتب والمقالات المنشورة في السنتين المذكورتين مرتبة مواضيعها بحسب محتوياتها فمنها ما يتعلق بالتاريخ السياسي — وهذا بدوره مرتب حسب أدوار التاريخ وعصوره — ومنها مايتعلق بالتاريخ الموضعي (أي بتاريخ الولايات المختلفة) ومنها ما يتعلق بالتراجم وبالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والديني والأدبي والفني · وفي نهاية الكتاب فهرس ضخم يضم ١٣٠ صفحة بأسماء المؤلفين والكتب والمقالات التي ورد ذكرها في الكتاب وفي مختلف أقسامه · والكتب والمقالات هذه تقتصر على الولايات المتحدة وممتلكاتها ولا تشمل سائر البلاد الأميركية الا ما كان منها متعلقاً بتاريخ الولايات المتحدة · وقد اعد الكتاب بما يضمه بن عناوين وفهارس في مكتبة الكونغرس (مجلس الأمة) في وشنطن وقامت على اعداده السيدة « كريس كاردنر كريفن » رئيسة قسم المنسوخات الاجنبية التابع لفرع المخطوطات في تلك المكتبة · واعداد مثل هذا الكتاب مشروع مفيد للغاية لما يعطيه للمؤرخين الذين يعملون في حقل معين من اطلاع على جميع ما يكتب وينشر في حقل اختصاصهم ولما فيه من اهتمام بتاريخ البلاد التي يكتب عنها فضلاً عن انه سجل للمراجع التي لا بد للمؤرخ من معرفتها ·

جورج حداد

آراء وانباء

حلية الأولياء وصفة الصفوة

وصل الى يدي كتاب « صفة الصفوة » لمؤلفه أبي الفرج المشهور بابن الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧ ﻫ وهو مختصر « حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ ﻫ ، فبينا أنا أجيل النظر في مقدمته اذا بي أمام الأسباب التي دعت باالفرج الى اختصار « الحلية » وهي عشرة فلما وصلت الى السبب السادس واذا به يقول : « السجع البارد في الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصاً في ذكر حدود التصوف » .

وهنا رَجعتْ بي الذاكرة الى نقدٍ لاذع وجهه رئيس المجمع المحترم الى طابعَي « الحلية » في مقال نشره بالجزء الخامس من المجلد السادس عشر من هذه المجلة بعنوان « المطبوعات العربية » . والى القارئ بعض ما جاء في ذلك النقد بالنص : « لو عرض طابعا كتاب «حلية الأولياء» للحافظ ابي نعيم الأصفهاني المتوفى سنه ٤٣٠ على عالم بالكتب والمؤلفين قبل ان يتكلفا طبع كتاب عظيم مثل هذا ... لقال لهما ان هذا الأصل الذي طبعتما عنه وقع في الغالب الى يد أحد الجهلة فأضاف الى كل ترجمة من عنده سخافات ما أنزل الله بها من سلطان ، وكتابه قد شهد له الثقات بالجودة ، وهذه الاضافات تقدح في جودته لو كانت من المؤلف وقرأها من شهد للكتاب بالإجادة ، وها كم مثالاً من مئات الأمثلة من هذه الزيادات التي شوهت الأصل ، وجعلت الكتاب على ما فيه من الفوائد جعبة ترهات ورقاعات من ذلك (ص ١٠ ج ١) وهم (اي المتصوفة) المصونون عن مرامقه حقارة الدنيا بعين الاغترار ، المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار (٢٨—١) بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال ، وحفظ عنه حميد الأفعال ، وعصم من الفتور والاكسال ، وفضل الله له العهود والحبال ، ولم يقطعه سآمة ولا ملال . ونحن نقول : ان هذه العبارات المفككة المرتبكة تنادي بلسان الحال والمقال ، انها من اسخف ما دونته الأجيال ، في تراجم الرجال ، وانها املاء دجّال لا يخاف الله بحال . » اﻫ

وبعد الوقوف على كلمة ابن الجوزي يتبين ان العاهة التي ذكرها الرئيس الجليل قد وُلدت مع الحلية وأن النساخ براء من عهدتها فان قال قائل انه من المحقل ان هذه العاهة صدرت من أقلام النساخ في المدة التي مرت بين عصر ابي نعيم وعصر ابن الجوزي وهي تزيد على القرن ونصف القرن . قلنا : ان هذا الاحتمال بعيد جداً اذ لا يعقل ان يعتمد حافظ ثبت نقادة مثل ابن الجوزي على نسخة من الحلية مصابة بالتخليط والزيادات ولا سيما بعد العلم بأن اهل ذلك العصر كانوا لا يعتمدون على كتاب الا اذا ضبطوا السند بينهم وبين مؤلفه على أصح الوجوه واصدقها . وابن الجوزي من اثبات الرواة فلا يصح ان يقال انه اعتمد في اختصاره الحلية على نسخة ممسوخة لم يتصل سندها بمؤلفها .

هذا وقد ذكر ابن الجوزي العاهة الثامنة من العاهات التي أصيبت بها الحلية وهي : « انه (اي ابا نعيم) حكى في كتابه عن بعض المذكورين كلاماً أطال به لا طائل فيه تارة لا يكون في ذلك الكلام معنى صحيح ... وتارة يكون ذلك الكلام غير اللائق بالكتاب وهذا خلل في صناعة التصنيف وانما ينبغي للمصنف ان ينقي فيتوقى ولا يكون كحاطب ليل فالنطاف العذاب تروي لا البحر » .

وعلى الجملة فان العاهات العشر التي ذكرها ابن الجوزي في مقدمة كتابه « صفة الصفوة » والتي أهابت به الى تنقيح كتاب « الحلية » واختصاره — لا تزال ماثلة في هذا الكتاب الذي أخرجه طابعاه للناس في هذا الزمان . فالنساخ بريئون من عهدة تلكم الهنات والطابعان بريئان كذلك ، فلم يبق أمامنا إلا ان نظن ان المؤلف تساهل بعض الشيء في بعض نواحي كتابه . وهو على جلالة قدره بين الحفّاظ لم يشتهر عنه انه من أئمة البيان وأمراء الكلام . واذا شهد الثقات لكتابه بالجودة فانما كانوا يعنون كثرة ما حواه من الأخبار وجليل ما رواه من الآثار فحسب ، لا حسن التبويب وجمال الترتيب ودقة التهذيب وأكبر شاهد على ماذهبنا اليه النقدات التي ذكرها ابن الجوزي وهو من أوثق النَقَدة وأبعدهم عن المحاباة على ان ابا نعيم لم يسلم من بعض المغامز التي غمزه بها أهل عصره قال تلميذه الخطيب البغدادي : « رأيت لأبي نعيم أشياء يتساهل فيها »

وقال ابن حجر في لسان الميزان (ج ١ ص ٢٠١) :

كلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع ماأحب حكايته ولا أقبل قول كل منهما في الآخر بل هما عندي مقبولان لاأعلم لهما ذنباً أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها . » اه

وكتاب « صفة الصفوة » المذكور من أجلّ الكتب في بابه وقد رتبه مؤلفه ترتيباً خاصاً وهذبه تهذيباً تاماً فذكر باباً في فضل الأولياء والصالحين واردفه بذكر النبي عليه الصلاة والسلام وشرح أحواله وآدابه ثم ذكر المشتهرين من اصحابه بالعلم المقترن بالزهد والتعبد ثم ذكر المصطفيات من الصحابيات ثم ذكر التابعين ومن بعدهم على طبقاتهم في بلدانهم . قال : « ولما لم يكن بدّ من مركز يكون كنقطة للدائرة رأيت ان مركزنا وهو بغداد أولى من غيره الا انه لما لم يمكن تقديمها على المدينة ومكة لشرفهما بدأت بالمدينة لأنها دار الهجرة ثم ثنيت بمكة ثم ذكرت الطائف لقربها من مكة ثم اليمن وعدت الى مركزنا بغداد فذكرت المصطفين منها ثم انحدرت الى المدائن ونزلت الى واسط ثم الى البصرة ... » الخ

وهكذا سار في بلاد المشرق من بلد الى بلد حتى عاد الى بغداد ومنها انتقل الى طبقات أهل الشام وبيت المقدس وأهل مصر والمغرب الجبليين منهم والجزريين . والكتاب في أربعة أجزاء يبلغ مجموع صفحاتها ١٣٣٠ وهو غزير المادة كثير الفوائد لا يوازنه (على ما أظن) كتاب في بابه وحسبك انه من آثار ابن الجوزي الذي عُرف بطول الباع في التأليف وسعة الاطلاع على العلوم الشرعية والفنون الادبيه .

(بغداد) طه الراوي



المراجع في نقود الإسلام

L. A. Mayer : Bibliography of Moslem Numismatics , (India Excepted) . London , 1939 ; 116 P.

لعلماء المشرقيات ، دروس وبحوث واسعة أفرغوها في ميادين الحضارة الاسلامية ، ومن بينها تآليفهم في السكة والنقود وهو ما يُسمى بعلم النُّمِّيات . فقد نشروا في ذلك من الكتب والرسائل والمقالات ، ما لو جُمع الى بعضه لقام منه خزانة حافلة ، دوّنها أولئك الباحثون بلغاتٍ عديدة ، ونشروها في مواطن مختلفة من بلدان الشرق والغرب .

ولما كان الإلمام بعناوين هاتيك المنشورات لا يتيسر لكل أحد ، نظراً الى تناثرها في المجلات المختلفة ، والى عدم وجود ثبت يُرجع اليه في مثل هذه الحال ؛ شعر العلامة المستشرق البروفسور ماير بهذه الصعوبة التي تجابه الكثيرين ، فعمد الى تذليلها بما وسعه علمه وذكاؤه ، ذلك انه سرد بطريقة علمية ، كل ما وقف عليه من المدونات الباحثة في نقود الإسلام . ومعنى هذا ، انه حاول استقصاء كل ما نُشر من كتب ورسائل قائمة بذاتها في هذا الموضوع المترامي الأطراف ، وراجع مجلات الاستشراق باختلاف لغاتها وتباين أوقات صدورها ، واستخلص من مطاويها كنوزاً أودعها هذا السفر الذي اتبع في تصنيفه سياقة اسماء المؤلفين على حروف المعجم . وهي طريقة قويمة في أغلب الأحيان .

ولذلك كله ، جاء تصنيف الأستاذ ماير ، من أجل ما وُضع في هذا الباب ، بل أجدرها بالعناية والتقدير .

أما البحوث في نقود الإسلام المضروبة في بلدان الهند ، فلم تدخل في نطاق الكتاب . ولو فعل المؤلف ذلك ، لأدى به الأمر الى مجاهل وعرة لا يسهل الخروج منها .

وقد لفت نظرنا ، ان المؤلف لم يُعنَ العناية الكافية بذكر المراجع العربية للنقود . ولعل له عذراً في اطراح طائفة منها ، كالتصانيف القديمة الضائعة في زمننا[1] ، وغير ذلك مما تراءى له ضآلة قدره . أما إهماله لها جملةً أو قريباً من ذلك فما قد يؤاخذ عليه . ونحن نذكر فيما يلي شيئاً مما فاته ، كنا قيدناه أثناء المطالعة ، مقتصرين في ذلك على ما طُبع منها قبل سنة ١٩٣٩ أي قبل صدور هذا الكتاب ، ليكون ما نستدركه عليه من شرطه . ولعلّ المؤلف الفاضل يضيفها اليه في طبعته المقبلة ان شاء الله .

---

(١) من هذه التصانيف ما لو كان بيدنا اليوم ، لأفادنا أعظم الفائدة في درس حال النقود في صدر الإسلام ، نذكر منها :

(أ) — كتاب التصرّف والنقد والسكة : لوكيع القاضي . ذكره ابن النديم في الفهرست .
(ب) — كتاب ضرب الدراهم والصرف : للمدائني (الفهرست)
(ج) — كتاب ضرب الدنانير والدراهم : للواقدي (الفهرست)
(د) — كتاب الدرهم والدينار : لأبي هلال العسكري (كشف الظنون)

* قصة الدراهم وسبب ضربها ومبدؤه في الإسلام (راجع: كتاب الأموال لابي عبيد القاسم بن سلاّم، المتوفى سنة ٢٢٤ هـ. ص ٥٢٤ — ٥٢٥ طبعة محمد حامد الفقي. القاهرة ١٣٥٣ هـ).

* أمر النقود (فتوح البلدان للبلاذري، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ص ٤٦٥ — ٤٧٠ طبعة دي غويه في ليدن سنة ١٨٦٦).

* الدراهم وأول من ضربها في الإسلام (الأحكام السلطانية للماوردي، المتوفى سنة ٤٥٠ هـ. ص ١٣٨ — ١٤٠ القاهرة ١٩٠٩).

* الدراهم والدنانير والنقد (الأحكام السلطانية لأبي يعلى محمد بن الحسين الفرّاء الحنبلي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ. ص ١٥٨ — ١٦٨ طبعة البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٨ بتحقيق محمد حامد الفقي).

* السكة (مقدّمة ابن خلدون، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ؛ ٢: ٤٧ — ٥٣ طبعة كاترمير في باريس سنة ١٨٥٨ = ص ٢١٧ — ٢٢٠ من طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ = ص ٢٦١ — ٢٦٤ من طبعة بيروت الثالثة سنة ١٩٠٠).

* الدنانير والدراهم والفلوس المسكوكة مما يُضرب بالديار المصرية أو يأتي اليها من المسكوك من غيرها من الممالك (صبح الأعشى للقلقشندي، المتوفى سنة ٨٢١ هـ؛ ٣ [القاهرة ١٩١٤] ص ٤٤٠ — ٤٤٤). وراجع فيه أيضاً: * ما يتحصل من دار الضرب بالقاهرة (٣ : ٤٦٥ — ٤٦٨)؛ * والمعاملات (١ : ٤٢٤ — ٤٢٥).

* دار الضرب (خطط المقريزي، المتوفى سنة ٨٤٥ هـ؛ ٢ : ٢٥٠ — ٢٥١، ٣١٢ — ٣١٣ مطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ).

* ذكر معاملة مصر (حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ؛ ٢ : ١٧٠ — ١٧١، المطبعة الشرفية بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ).

* كُشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية: لمنصور بن بعرة الذهبي الكاملي. منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية (انظر فهرست المكتبة الخديوية ٥ : ٣٩٠)، أتمّ تأليفه في الثاني عشر من ذى القعدة سنة ١١٣٥ هـ [=١٧٢٣ م]. قال في أوله: «اني قد جمعتُ في هذا الكتاب من أسرار عمل الدينار والدرهم بدار الضرب مالا غناء عنها لمتوليها». وقد رتبه على سبعة عشر باباً.

* الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة : لعلي باشامبارك ، المتوفى سنة ١٣١١ هـ (الجزء العشرون ، بولاق ١٣٠٦ هـ ، ١٧٠ ص . في هذا الجزء بيان الدراهم والدنانير وشكل النقود وهيئاتها وما يتبع ذلك قديماً وحديثاً) .

* النقود الأموية والعباسية التي في المدرسة الكلية [الأميركية ببيروت] : لهارفي پورتر (المقتطف ٨ [١٨٨٣] ص ٨٩ — ٩٥) .

* نقود القرامطة (المقتطف ٢٣ [١٨٩٩] ص ٤٧٥ — ٤٧٦) .

* استعمال النقود [في الشعر العربي] : لأمين ظاهر خير الله (المقتطف ٢٨ [١٩٠٣] ص ١٧ — ١٨) .

* نقود الأمويين (المقتطف ٣٥ [١٩٠٩] ص ٧٠٦) .

* نقود إسلامية مصوَّرة (المقتطف ٣٥ [١٩٠٩] ص ١١٢٣ — ١١٢٤) .

* نقود الخلفاء الراشدين (تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ١ [الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١١] ص ١١٢) . وراجع فيه أيضاً : * النقود بمصر (٢ : ٣٦) ، * ونقود الدراويش بالسودان (٢ : ٣٢١) ، * والنقود المصرية الجديدة (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) .

* النقود العربية القديمة : ليوسف اليان سركيس (المقتطف ٤٩ [١٩١٦] ص ٥٦ — ٦٥ ، ١٣٢ — ١٣٧) .

* السكة أو النقود (تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي زيدان ١ [الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٩] ص ١١٨ — ١٢٤) .

* نقد إسلامي مصوَّر (المشرق ١٨ [١٩٢٠] ص ٧٩٩) .

* ابن بطوطة والصين ونقود الكاغد (المقتطف ٢٣ [١٩٢٣] ص ٤١٣ — ٤١٤) .

* أحمد باشا تيمور يُهدي مجموعة من نقود الذهب والفضة والنحاس والزجاج الى المجمع العلمي العربي بدمشق لمحمد كرد علي [مجلة المجمع العلمي العربي ٤ [١٩٢٤] ص ٢٤٠ — ٢٤٢) .

* النقود في الجاهلية وصدر الاسلام : لامين سعيد (المقتطف ٦٤ [١٩٢٤] ص ٤٠١ — ٤٠٧)

* المسكوكات العربية وصاحب السعادة أحمد زكي باشا : ليوسف اليان سركيس (المقتطف ٦٩ [١٩٢٦] ص ٨١ — ٨٣ و (مجلة المجمع العلمي العربي) بدمشق ٦ [١٩٢٦] ص ٢٧٨ — ٢٧٩) .

* المسكوكات العربية في أوربة (تاريخ غزوات العرب في فرنسة وسويسرة وايطالية وجزائر البحر المتوسط: للأمير شكيب أرسلان· القاهرة ١٣٥٢ هـ؛ ص ٢٦٩ — ٢٧١)

* الصليب في النقود الإسلامية (الصليب في الإسلام: لحبيب زيات · حريصا — لبنان ١٩٣٥؛ ص ٦٦ — ٦٩)

* العُملة في مدينة الحيرة (الحيرة، المدينة والمملكة العربية: ليوسف غنيمة · بغداد ١٩٣٦؛ ص ٩٣ — ٩٤، ٢٨١) ·

* الدينار (كنوز الفاطميين: للدكتور زكي محمد حسن · القاهرة ١٩٣٧؛ ص ٤٢)·

هذا أهم ما وقفنا عليه في المراجع العربية القديمة والحديثة · ونذكر من المراجع الفرنجية بوجهٍ خاص، الفقرات الواردة في «دائرة المعارف الإسلامية»، وهي : مادة * «دينار» و * «درهم» و * «فلس» كتبها جميعاً المستشرق زنباور (T. v. Zambaur) ؛ ومادة * «دانق» للمستشرق هيوار (Cl. Huart) ؛ ومادة * «سكة» و * «طويلة[1]» للمستشرق ألآن (J . Allan) وما جاء في أوصاف بعض الرحالين للطويلة، وفي مقدمتهم :

— Palgrave (W. G.) : Toweeleh (in : « Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia , in 1862 — 63 » . London , 1866; pp . 179 - 180) .

— Cheesman (Major R. E.) : Tawila (in : «Unknown Arabia». London, 1926 ; pp. 102 - 103) .

هذا الى بحوث أخرى حريّة بالاعتبار، منها :

— Migeon (Gaston) : les Monnaies (en : [Manuel d'Art Musulman]; Tome I, Paris , 1927 ; pp. 399 - 407) .

— Miles (G.C.) : The Coinage of the Kakwayhid Dynasty (in : «Iraq», V, 1938 ; pp . 89 104) .

—Minost [E.]:Au Sujet du [Traité des Monnaies Musulmanes] de Maqrisi [Bull. Inst. Ég . ; xlx , 1937 ; pp. 45 - 61] .

— Prieto y Vives [Antonio] : Tesero de Monadas Nnsulmanas

(١) الطويلة: ضربٌ من النقود، كان متخذاً في بعض الانحاء من شرقي جزيرة العرب كالاحساء والقطيف وغيرهما ·

encontrado en Badajaz (in: Al Andalus, II, 1934 ; pp . 299 - 327].
— Prieto y Vives (Antonio) : Miscellànea Mumismatica (Al - Andalus, III, 1935; pp. 127 - 133

في هذا البحث الكلام على دنانير خلفاء قرطبة ، ودنانير بني مدرار في سجلماسة .
ان هذه المستدركات كلها ، تكاد لا تذكر اذا ما قيست بالثروة العلمية الطائلة التي أمدّنا بها المؤلف الفاضل ، في تصنيفه هذا الذي لايسع كلّ من يُعنى بتاريخ الإسلام وآثاره إلاّ أن يُثني عليه الثناء العاطر .

كوركيس عواد



حول مقالة الحسبة للفاضل كوركيس عوّاد

المنشورة في الجزئين ٩ و ١٠ من المجلد ١٨

قال في الكلام على نصاب الاحتساب لعمر بن محمد بن عوض السنامي انه قد أحصى منه عشرين نسخة متفرقة في كثير من خزائن الكتب . وانا نزيده خمس نسخ أخرى .

١ — في المكتبة الأحمدية بحلب رقمها ٦١٠ محررة سنة ١١٠٣ ﻫ كتب في آخرها انه بلغ مقابلة من أوله وآخره والحمد لله

٢— في مكتبة التكية المولوية بحلب وهذه لم أنظرها لعدم تنظيم هذه المكتبة وعدم فتحها

٣ — في مكتبة جامع السلطان اويس في الموصل محررة سنة ١٠٩٥

٤ — في المكتبة الحسينية محررة سنة ١٠٩٥ أيضاً

٥ في المدرسة المحمدية محررة سنة ١٠٥١

وهذه النسخ الثلاث ذكرها الدكتور داود چلبي في كتابه مخطوطات الموصل

واني أيضاً بحثت كثيراً على ترجمة المؤلف في مظانها فلم أقف لها على أثر ولعله مترجم في الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٥ ونسخة من هذه الطبقات في الخالدية بالقدس وهو جدير بالنشر .

(حلب) محمد راغب الطباخ



تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم

طالع علينا الجزء التاسع والعاشر من المجلد الثامن عشر من مجلة المجمع العلمي العربي وفي الصفحة (٤٠٦) منه مقال عنوانه: (مقامات ابن حمويه الجويني) بقلم حضرة الأب انستاس ماري الكرملي وصف بها النسخة واقتبس منها بعض الفصول وشرح الغريب منها . ولما كنت قد استحصلت على نسخة من هذا الكتاب في عام ٩٤١ وكتبت رسالة أرّخت بها المؤلف وعرّفته وحققت الرسالة وشرحت غريبها رأيت من الواجب ان اكتب هذا المقال خدمة للحقيقة والتاريخ راجياً من الأب المحترم ان يرشدنا الى النقص وان يسدل ستار العفو عما يجد فيه من الخطأ .

ان لهذه الرسالة نسخة واحدة أصلية محفوظة في مكتبة مدرسة يحيى الجليلي بالموصل تحت عنوان: «ديوان ابن حمويه» .

وبعد وصول النسخة اليّ ظهر لي ان هناك نسخة خطية أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية ويتعذر الآن الوصول اليها .

ان اسم هذه الرسالة لم يكن «ديوان ابن حمويه» كما ذكر في النسخة العراقية ولا (مقامات ابن حمويه الجويني) كما ذكر الأب انستاس وانما اسمها الصحيح هو «تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم» وهذا ثابت بالترجمة المختصرة التي أوردها جرجي زيدان في كتابه: «آداب اللغة العربية» وبما ورد في كشف الظنون من انه مجموعة أشعار وأخبار في الغزل والأدب واللذات [1] .

أما المؤلف فهو الصاحب ابو المظفر فخر الدين الأمير يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ ابن الحسن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الجويني [2] بن علي بن رزم بن بونان ولد بدمشق سنة ٥٨٠ هجرية على عهد السلطان صلاح الدين وتوفي شهيداً في حرب المنصورة يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة سنة ٦٤٧ وكان عمره سبعاً وستين سنة . وأما أمه فهي ابنة القاضي محيي الدين ابي حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن عصرون [3] .

(١) كشف الظنون ط ثانية ج ١ ص ٣٢٦ (٢) جوين: اسم كورة بين بسطام ونيسابور يسميها اهالي خراسان [كويان] وهي من مدن ايران . (٣) معجم البلدان، النجوم الزاهرة، السلوك، شذرات الذهب

مرت حياة المؤلف فخر الدين في عهد الدولة الأيوبية وقد عاصر الملك الكامل أبا المعالي ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر أيوب المولود سنة ٥٧٦ والمتوفى بدمشق سنة ٦٣٥ وولاه هذا مشيخة الشيوخ بعد وفاة أبيه صدر الدين وذلك سنة ٦١٧ هجرية لما كان عليه المؤلف من الفضل والعلم والأدب .

وفي سنة ٦٢٨ هـ سافر الملك الكامل محمد الى الاسكندرية وبقي الأمير فخر الدين المؤلف بالقاهرة وصنف له هذه الرسالة وقدمها اليه بعد رجوعه .

الفات نظر

وإني بهذا ألفت نظر الأستاذ الأب انستاس ماري الكرملي الى الرجوع الى ماورد في حاشية مقاله في شرح الألفاظ الغريبة لتصحيح بعض الأخطاء مثال ذلك شرحه لفظة « زملكش » بأنها محرفة وأصلها « زملق » التي ترى معناها في المعاجم والكلمة بذيئة . ومعناها لا يستقيم مع معاني بقية الألفاظ الواردة في هذا الفصل والتي هي عبارة عن تعداد أرباب المهن والصناعات والصحيح ان لفظة (زملكش) مركبة من كلمتين الاولى عربية وهي (زمل المحرفة من كلمة (زامل) وهي الدابة من الإبل وغيرها يحمل عليها والثانية فارسية وهي كلمة (كش) أي ساحب ومعنى مجموع الكلمتين ساحب الحمار (الحمّار) .

ومنها الفصل الذي أورده في شرح (لفظة سائس) وعدم اثباته بأصل معناها وهو (السائس) من ساس الدواب وقام عليها وراضها .

ومنها ما زاده من لفظة « بهتان » فهي زيادة لا لزوم لها اذ السجع مستقيم هو هكذا (وغطارفة همدان) وشهود الزيف وقضاء اسوان .

وكذلك تبديله لفظة (قزوين) بلفظة (قزوان) مدعياً ان السجع لا يكون حالة اذ السجع صحيح وهو (وفتاك قزوين واشراف اذربيجان) .

لم يصحح لفظة (جزائر) بلفظة « جزار » وهي التي تستقيم مع المعنى ومنها تكلف الأستاذ في شرح لفظة « نكاريش » ولو اكتفى بقوله ان معناها (الملتجين) أي أصحاب الحي لكفى .

(بغداد) ابراهيم الواعظ

وصية بكتب

أوصى المرحوم السيد طاهر ابو حرب بخزانة كتبـه لدار الكتب الظاهرية وقد نفذ الورثة وصيته وأودعت الكتب خزائن الظاهرية وعددها (٨٠٣) مجلدات منها (١٨) مجلداً مخطوطاً أهمهـا :

١ — مجموع فيه ارجوزة ابن سينا في الطب وأخري في تدبير الصحة وثالثة في التشريح

٢ — الصحاح العجمية وهو قاموس فارسي عربي

٣ — كتاب العمل بالاسطرلاب لعلي بن عيسى الاسطرلابي

بارك الله في ذوي الخير ورحم الذين يخلدون اسمهم بما ينفع الناس ويحيي الأثر ٠



جلسة الختـام

يعقد المجمع العلمي العربي في ٢٩ حزيران سنة ١٩٤٤ جلسة الختام وهي جلسة علنية يقرأ فيها الرئيس البيان السنوي العام ويلم فيه بأعمال المجمع في سنته العلمية من تشرين الأول الى حزيران وما قام به من الأمور التي يعني بها ٠ ويؤبن المتوفين من الأعضاء ، ويعلن اسماء الفائزين بجوائز المجمع ويوزع الجوائز عليهم ٠ ثم يقرأ الأستاذ عبد القادر المغربي بحثاً لغوياً أعده لهذه الجلسة خاصة ٠

ويعطل المجمع عقد جلساته والقـاء محاضراته مدة أشهر الصيف الثلاثة (تموز وآب وايلول) ويستأنف أعماله في تشرين الأول ان شاء الله ٠



الصفحة — فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد التاسع عشر

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

مجلة المجمع العلمي العربي

إيلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٤ شهر رمضان وشوال سنة ١٣٦٣

هل وفت العربية بغرضها

إذا تدبرنا الفاظ الكتاب والسنة وألفاظ الشعراء والخطباء وأمعنا النظر في بنية الكلام العربي منظومه ومنثوره ، منذ كانت اللغة العربية لغة شعر وخطب إلى أن غدت لغة شريعة وأدب إلى أن درجت لسان علم وسياسة ، ثم نظرنا فيما أبانت عنه هذه الألفاظ وما تركب منها من اغراض ساذجة او مركبة – إذا تدبرنا كل هذا يعرض لنا سؤال يستلزم جواباً ، وهو هل وفت العربية بما نفي به لغة عظيمة خلال هذه القرون الطويلة ، ام عصت على القيام بالغرض المطلوب لما تم لها عهد الجاهلية ويقدر بمئة وخمسين سنة ، وقد خرجت من جزيرة العرب إلى الأقطار التي رحبت بالاسلام .

وعرفنا من سير هذه اللغة وسيرتها أنها كانت في جاهليتها وعالميتها سواء ، تؤدي المقاصد وتوفي على الغاية ، كانت كذلك وهي بمعزل عن العالم وكذلك صارت لما عرضت لها معان اقتضتها وضع الفاظ ومدلولات واصطدمت يوم امتزجت بالاجانب ومرت إليها لوثات اغلاطهم وأساليبهم ولهجاتهم كما مرت اليها طرق تفكيرهم واللهج بأساليبهم بالجدل والمناقشة .

العربية ما خارت قواها يوم أريدت على نقل علوم اليونان والفرس وغيرهم ، بل زادت قوة عندما ضمت الى متنها كلمات وكلاماً ما عرفها أبداً ابن الجاهلية ولا ابن الصدر الأول ، تبنت كل ما دخل عليها وما انكرته فعاد كأنه أصيل فيها غير دخيل عليها . وطريقتها أن تشتق من أصلها ما استطاعت اشتقاقه فتضع له لفظاً يقارب ما تقصد إليه من معنى ، وما لم تجد له في بحرها الطامي مقابلاً من الالفاظ تنحته او تشذبه حتى تقربه من ذوقها ، فاذا أعجزها كل أولئك اقتبست اللفظ كله

وان خالفت بعض حروفه حروفها ، وبعد باسلوبه قليلاً من أسلوبها . وهذا من بعض الأدلة على أنها مستعدة للتجدد غير جامدة ولا راكدة .

مضت اللغة على هذا النحو تقوى بانتشار العلم وتضعف بضعف اهلها ، والضعف ينالها من زهد أبنائها في العلوم والتجانف عن دراسة الآداب دراسة تبحر . ولقد كاد يذهب من يشخص أعراض أمراضها زمان التراجع إلى أنها من اللغات الميتة المحكوم عليها بالانقراض فلا تلبث أن تكذب ظنون أعدائها وتعود فتهب هبة جديدة ملؤها صحة ونشاط . ويرجع الفضل في ابلالها من اعتلالها أبداً لاحتفاظها بكتابها الكريم ثم لاستمساكها بآثار المجودين من بلغاء السلف .

قضت هذه اللغة في الاسلام نحو نصف حياتها في استعمال الاسجاع والجناسات فأوشكت أن تضيع رشاقتها بهذه البدعة في نسج كلامها ، وما زالت تهوي فتفسد ملكتها وتخرج عن طبيعتها حتى قيض لها آخر القرن الماضي من نشلها من سقطتها وعاد بها سيرتها الأولى من ترك التكلف والرجوع إلى الطبع . ورحنا نشهد كتابتها أشبه بكتابة القرن الرابع ، ونرى شعراءها ينحون مناحي شعراء الحضارة في العصر العباسي الأول والثاني ، ومن قرأ مقالة مما تنشره الصحف والمجلات او فصلاً من تأليف حديث صدر من قلم رجل درس العربية دراسة نظامية أو قصيدة من قصائد المعاصرين يدرك بأدنى تأمل كيف أخذ الكتاب والشعراء يحسنون رصف الكلام البليغ ويقدّرون الألفاظ بقدر المعاني ، وكانوا إلى عهد قريب يصفون الألفاظ صفاً لا ينم عن ذوق ويكثرون من المترادفات ليتألف معهم السجع والازدواج وتستقيم القافية والوزن . أي ان اللغة آضت في النصف الثاني من القرن الأخير ورأس مالها الفاظ لا يعرف مالكوها كيف يتصرفون فيها . والألفاظ مهما تنوّق في اختيارها لا تبرز في قالب مقبول الا بجودة التركيب ، فالبلاغة في التركيب والفصاحة في تخير الألفاظ . ومهما حاول الكاتب احسان القوالب لا يكون الا إلى التفاهة إذا كان المعنى في ذاته مبتذلاً مطروقاً . والمعاني كما قال العارفون صوغ العقل واللفظ صوغ اللسان .

وحاول في هذا العصر بعض المتحذلقين الذين لم يعنوا بدرس أدب هذه اللغة ان (يفرنجوا) ألفاظها وتراكيبها ، فعمدوا الى استعمال كل ساقط من اللفظ والتراكيب يعبرون عن أفكار لا تستسيغها أذواقنا ، يريدون بهذه البدعة ان يستروا نقصهم بدعواهم أن كتابتهم عصرية وشعرهم عصري وانهم يحببون اللغة الى أهلها بهذا الأسلوب الذي ادعوا له الرشاقة وما هو الا السماجة بعينها ، وكيف لعمري تصح دعواهم وهم ما درسوا الأدب العربي ولا الأدب الافرنجي يملون مالا محصل له ويضيفون جملاً لو سألتهم تفسيرها لعجزوا وجمجموا ٠

حاولت غير مرة أن انفذ الى روح هذا الأدب العصري الذي حمله إلينا المفسدون فلا وربك ما تفهمته ، ولا تذوقته ، ورجعت بعد العناء وبيدي شعر غث بارد تجرد عن الشاعرية وخرج احياناً عن الأوزان العربية ، لا موضوع له ولا مغزى ، وانقلبت بنثر لا ماء له ولا رواء خال من كل جزالة ،معقد غامض لا يصدر مثله الا عمن يهذي ٠ هذا أدب هؤلاء القوم الذي صدعوا به الرؤوس وعتبوا على دهرهم أن كان المقبلون عليه أقل من القليل ٠ ولقد قرأنا أدب الافرنج فأعجبنا به واستفدنا منه وقرأنا طائفة من أدب الأمم الأخرى منقولاً الى لغة الافرنج فهدينا به الى اشياء كثيرة اما هذا الأدب العصري فعصرناه عصراً متيناً فما رأينا له بلة ولا طلاوة ، وحرنا وقد ازعجتنا دعوى ادعيائه وصلفهم في أي رف ندحسه وفي اي كوة ندسه ٠

انهم يحاولون ان يأتونا بلغة يبتدعونها على هواهم ويرغموننا على ان نشايعهم بأنها لغة عربية ، والفصحى يخالف روحها ذلك ويأباه ، العربية ترذل من يعقها ويزعم انه بار بها ، العربية خلقت كما قال العلامة رنان كاملة من اول نشأتها خلافاً لأكثر اللغات التي كان للايام يد في تكملها ، تكيفها حاجة الناطقين بها ويعمل الزمن في تنميتها ٠ وقد جرت لغتنا منذ عرفت على نظام واحد وجاءت تامة بصيغها ومبانيها تتجدد بالمعاني التي تدخل عليها والألفاظ التي تستدعيها تلك المعاني ٠

ولقد رأينا ادب العرب في الأندلس والغرب كأدبهم في فارس والشرق لا تفاوت

بينهما في القواعد والروابط والألفاظ والتراكيب اللهم الا ان كانت هناك مسحة اتت من بعض صور المعاني المنبعثة من علم المؤلف او الكاتب او الشاعر ومصطلحات اقليمه وعادات اهله . وهذا لأن المصادر التي يستقي منهـا اهل الخافقين واحدة وما حدثت نفس احد ابناء اللغة ان يخرج عنها قيد انملة وان يخرق اجماع العارفين الذي تسلسل أكثر من خمسة عشر قرناً . ولو لم تصب العربية بمصيبـة التكلف والاسجاع لكانت صور الأداء في القرون التي سبقت الاسلام كصورها في القرون التالية إلى يوم الناس هذا . كانت الألفاظ إذا لوحظ فيها الابتذال في بعض العصور بضعف ملكة الأدب يقوم أناس يرجعونها الى محجتها المرسومـة ويحيون من معالمها ما تعود به اشد رصانة ويبعثون من شواردها وفصحها ما اماته الجهل وقلة العناية .

نعم كانت اللغة إذا مرضت حيناً من الزمن لا تلبث ان تبرأ بظهور أساة من البلغاء يكشفون أسرار فقهها ويقومون منآد الألسن والاقلام ويتوفرون على « التوسع في علم اللغة خاصة » لتكثر الألفاظ عند « من يطلب الترسل وقرض الشعر وعمل الخطب » « وليعرف العلويّ من الكلام فيستعمله والعامي فيتقيه ويجتنبه »

وجاء عصر منع الفقهاء في بعض الأقطار العربية قراءة التفسير زاعمين ان بقراءة تفسير القرآن يموت السلطان وما يموت في الواقع إلا الجهل ، وما حاول العابثون بذلك الا ابقاء الناس في عماية والتزلف من السلاطين . ويستحيل على من لم يحفظ القرآن ويتدبر معانيه وينظر في أحكامه ان يحرز منزلة في البلاغة وعلوم الشرع ، وهذه العلوم لا يتقنها من ليس له حظ من الكلام العربي وهل القرآن الا كتاب ادب العرب كما هو كتاب شريعتهم ؟ وفرق بين فقه يدونه فقيه يكون على شيء من تذوق البيان ، وفقه يكتبه فقيه ليس من البلاغة على عِرق ، وهكذا الحال في سائر العلوم . ولو كتبت جميع علوم الاسلام بلغة بليغة ما استلزم تحصيلها الأعوام الطويلة .

وما خلد ما كتبه نصارى العرب وغيرهم من ارباب النحل الذين ظهروا في عصر الاسلام الذهبي اي في القرن الثالث والرابع من الهجرة الا لأنهم كانوا يدرسون

القرآن على انه المصدر الأول في إحكام اللغة العربية ، ولا نمثل إلا بأبي اسحق الصابي وحنين بن اسحق ويحيى بن عدي ممن كتبوا تآليفهم مؤمنين ببلاغة القرآن وان لم يؤمنوا به ايمان المؤمنين من اهله ·

وبعد ان دخل الفساد على اللغة اواخر القرن الأول للاختلاط بالأعاجم غدا اهل اللسان يتعلمون لسانهم في الكتب ويتخرجون بجها بذة اساتذته تخرجاً لمنابذة العامية والابقاء على الفصحى · ومن قعدت به الهمة عن اختيار الجيد من المفردات والجيد من المركبات فهو العي كل العي ، وان قضى اعواماً في درس الصرف والنحو والبيان والبديع ·

ما اللغة الا مفردات وقوالب لا دساتير وتعليلات ، وكم من حافظ للقواعد عاجز عن البيان العجز كله ، وما نخال الجاحظ وابن المقفع حفظا من مطولات النحوما حفظه بعض علماء النحو وما كان الأحمد ان احمد بن يوسف الكاتب واحمد بن يوسف المعروف بابن الداية كابن المعتز والعسكري في معرفة الجناس وزخارف البديع ، وثقوا ان ابا تمام والبحتري والمتنبي ما عرفوا علم العروض كما عرفه اقل العروضيين ، وان القاضي علي بن عبد العزيز وتلميذه عبد القاهر الجرجاني ابدعا ببيانهما مالم يبدع بعضه من وضعوا قواعد هذا الفن · ولو حصر اهل البلاغة قرائحهم في الحدود الضيقة التي حددها البيانيون لما ارضوا أنفسهم ولا ارضوا الأدب ، ولرجع هذا اللسان القهقرى فأجدب بعد الخصب ، وشحب بعد النضرة · لا جرم ان اللغة كانت تضعف اذا ظن الأمناء عليها ان حفظ القواعد وحدها مما يقيها عوارض الانحلال

كانت اللغة وافية بحاجة أهلها إذا كان المنتدبون لتغذية عقول بنيها على جانب من المحافظة على الرسم الذي وضعه البلغاء يجهدون جهدهم في تنمية ثروتها من الألفاظ والمعاني ، مراعين حالة جسمها وروحها ، وجسمها الفاظها وروحها معانيها · واذا كان معظم اللغات الأوربية يشتق من اللاتينية واليونانية ما يعوزه من الألفاظ الجديدة فان العربية تستقي من مادتها الثرة التي لا يكاد ينضب معينها على الدهر ·

والى هذا ما كانت العربية لغة بداوة حتى يوم كانت لا تعرف غير الجزيرة

موطناً ، بل خصت على اختلاف الأزمان بدقة التصوير ووجازة التعبير فبرزت لغة حضارة تقبل اصناف المعاني بقدر ما يتسع له صدرها وتشتد اليه حاجتها . ولو كانت العربية لغة بادية جافية جاسية ماوقفنا في المعلقات السبع وغيرها من الشعر الجاهلي على اخيلة عجيبة ، وحكم بارعة ، ومعان لاتصدر الا عن مجتمع يتسامى ببلاغته ويزهى بأدبه . وفي معلقة زهير بن ابي سُلمى مثال ظاهر يؤيد هذه الدعوى وهل يتأتى ان يقول مثل هذا الشعر الا رجل شاهد ما شاهد فوصف ما وقعت عينه عليه ؟

وهذا ما يحدونا على ان نؤكد انه لاعيب في اللغة بل العيب في الدارسين لتخلفهم عن اعطائها استحقاقهامن التعهد كما يبذل طلاب اللغات الاجنبية جهداً فائقاً لاتقانها . ورأينا في القديم أهل فارس وخوارزم يبرزون في تمثل آداب العرب حتى كادوا يبذون اصحاب هذا اللسان أنفسهم ، وجاء منهم بلغاء عزّ نظيرهم في العرب الاقحاح . وأتى الترك بعد الفرس فكانوا عنهم جدّ مقصرين ، يصرف مشايخهم اعمارهم في دراسة العربية ولا يفصحون بها . وما عرفنا منهم على طول أيامهم وهي ستمائة سنة كاتباً جزلاً ولا شاعراً فحلاً بلغة العرب ، على حين يعد بلغاء الأعاجم بالمئات ، والسبب في هذا النقص فساد طريقة التعليم عندهم على ما نظن .

وا كثر ما خلفه الترك من آثارهم بالعربية يدور على التفسير والفقه والكلام والتاريخ والنحو والصرف والبيان وبعضه لا يخلو من العجمة ويوشك ألا يتفهمه الناظر فيه إلا بعناء وجهد . وكل من طالت عشرته لكتبهم يدخل الضيم على بيانه العربي ولو كان عربياً بحتاً . نعم كان معظم من تعلموا العربية من قدماء الأتراك لا يحسنون النطق بها ولا يقوون على سبك جملة مقبولة خلافاً للأعاجم من علماء المشرقيات اليوم فان في وسع المتوسط من المستعربين منهم ان يكتب جملة مفهومة وينطق بها على وجه الصحة وربما كان في فهم النصوص بمكان لا يقل عن ابناء عدنان وقحطان .

ولقد رأينا الهنود والأفغانيين يتقنون العربية ويكتبونها برشاقة تكاد توازي رشاقة البلغاء من ابنائها الخلص ويعترفون ضمناً ان اللغة الأوردية والأفغانية ولغة الملايو لا تتسع لما يتسع له صدر العربية ، ولذلك كانوا يعتمدون على اللسان

العربي في التأليف ، وندر في الفرس من كتبوا تآليفهم بالفارسية وكانوا يفاخرون بوضع تآليفهم بالعربية ، ولولا أن رنت في العالم نغمة القوميات في القرن الماضي فحاول اهل كل جنس ان ينشروا لسان بلدهم عادين ذلك من الوطنية ، لرأيت الفرس والهنود والأفغان والأتراك والجاويين والصينيين وغيرهم يكتبون الى اليوم تآليفهم بالعربية خصوصاً وبعض لغات الأعاجم ليست من الألسن المكتوبة كالطاغستانية والجركسية والسودانية والكردية والبربرية ويحاول دعاة قوميتها مع هذا أن يضعوا لها الآن معاجم وقواعد لتصبح لغة مكتوبة كما هي لغة محكية [1]

ومنذ القرن الرابع قال ابو هلال العسكري ولا نعرف اليوم علماً جاهلياً ولا اسلامياً الا وأهله عربيون ومتعربون يكتبون باللفظ العربي والخط العربي . وقال ابو الريحان البيروني : والهجو بالعربية احب اليّ من المدح بالفارسية وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل الى الفارسي كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به اذ لا تصلح هذه اللغة (اي الفارسية) الا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . وقال في مناسبة أخرى : والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم فازدادت وحلت في الأفئدة وسرت محاسن اللغة فيها في الشرايين والأوردة .

روى حمزة الأصفهاني في التنبيه على حدوث التصحيف عن علماء الآزادمردية اي الأحرار انهم ألفوا جميع لغات الأمم في الكمية على ما كانوا ناطقين بها وعلى الجبلة في بدء التكوين لا تتولد فيها الزيادات وانهم وجدوا العربية على الضد من سائر لغات الامم لما يتولد فيها مرة بعد اخرى وان المولد لها قرائح الشعراء الذين هم أمراء الكلام بالضرورات التي تمر بهم في المضايق التي يدفعون إليها عند حصر المعاني الكبيرة في بيوت ضيقة المساحة . فان كان هؤلاء الأحرار يقصدون بقولهم هذا غمز اللغة العربية من طرف خفي ويعدون من ضعفها ان يضع لها الشعراء الفاظاً

(١) راجع في كتابي « الاسلام والحضارة العربية » الفصل الذي عقدته لذكر مواطن العربية وأثرها في اللغات الشرقية والعربية

جديدة فهو عند العارفين كمال لها ، ذلك لأن التوليد والاشتقاق والتعريب في اللغة دليل حياتها لا موتها وقوتها لا ضعفها .

والغالب ان احرار فارس نسوا يوم رموا العربية بهذه السبة ان لغتهم في القرون الاولى للاسلام كانت جافة لخلوها من الألفاظ العربية فاضطرهم نقصها الى ان فتحوا بابها على مصراعيه لقبول الالفاظ العربية ، فأصبح القدر الذي دخل الفارسية من العربية اكثر من الألفاظ الفارسية الأصيلة فيها . وهكذا الحال في لغة الترك ولغة الاوردو والملايو وغيرها من لغات الشرق . فلا قبول هذه اللغات ألوفاً من الألفاظ العربية مما يعد نقصاً فيها ولا سراية الدخيل والمولد الى لغتنا مما يحسب عليها . وقد قال ابو حيان التوحيدي ان اللغة جارية على التوسع كما هي جارية على التضيق ومن ناحية التضيق فزع الى التحديد والتشديد ومن ناحية التوسع جري على الاقتدار والاختيار .

لاجرم ان العربية من أوسع اللغات وفيها من الخصائص التي يقل ان تشاركها فيها لغة شرقية ، وفي تعلمها تنافس المسلمون على تباين عناصرهم وعصورهم مأخوذين بسحر القرآن على ما أخذ به بلغاء العرب العرباء .

محمد كرد علي



اللغة العربية وسكان الأندلس (1)

في القرون الوسطى

La langue arabe et les habitants de l'Andalousie au Moyen âge

ان جزيرة الأندلس في القرون الوسطى وخصوصاً في القرن الخامس تنقسم الى قسمين الأندلس النصرانية والأندلس الاسلامية .

فالأندلس النصرانية عبارة عن قطعة مستطيلة تمتدّ في شمال الجزيرة وتشتمل على بعض مقاطعات ككاطالونيا ونابرّة أي بلاد البشكونش وجليقية . وأما الأندلس الاسلامية فهي تشتمل على بقية الجزيرة أي على اكثر من أربعة اخماس من الجزيرة . وهي تظهر لنا من جهة السياسة على حالة بلاد الفرس في زمان دولة الأرساسيين بعد انحلال امبراطورية الأكمينيين . ولقد كانت بلاد فارس في تلك الأيام منقسمة الى دويلات متعددة يسميها المؤرخون « طوائف » وقد قال ابو الفداء في « كامله » ان عددها يبلغ تسعين طائفة . ويحكم فيها ملوك لا يرتبطون بالسلطة المركزية إلا بعلائق ضئيلة . فقياساً على ما كان عليه بلاد الفرس سمى المؤرخون « ملوك الطوائف » أولئك الملوك الذين استقلوا استقلالاً في جزيرة الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية بقرطبة في ابتداء القرن الخامس .

فتكوّنت حينئذٍ نحوُ عشرين دويلة يحكم فيها ملوكٌ أصلهم عرب او برابرة او صقالبة . فالمسلمون العرب يحكمون في قرطبة واشبيلية ، وفي لاردة وسرقسطة ؛ والمسلمون البرابرة في غرناطة ومالطة ورُندة ومورور وقرمونة وطليطلة وبطليوس والسهلة ؛ والمسلمون الصقالبة في المرية ودانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة .

هذه هي الحالة السياسية في جزيرة الأندلس في القرن الخامس . وان ملوك الطوائف ليست لهم الا قوة نسبية يحاربون بعضهم بعضاً من غير أغراض معينة ، شأن أغلب الملوك الذين يستولون على الحكم ويقسمونه بينهم حسب الفرص والمصادمات بعد انحطاط السلطة المركزية وانحلال قوّتها .

(1) محاضرة ألقاها المستشرق الفرنسي الأستاذ بيريس بالمجمع العلمي العربي في ١٢ مايس سنة ١٩٦٦

ليس غرضنا عرض الاسباب التي أفضت بالخلافة الى تلك الحالة ، ولكن يهمنا درس الحركة الثقافية في ذلك الزمان زمان ملوك الطوائف بالأندلس . نعم تزدهر في بلاطات أولئك الملوك مها كان أصلهم حياة أدبية عقلية عربية محضة . وأن شهرة الأديب تهمهم أكثر من سمعة قائد الجيش . فكل ملك من ملوك الطوائف غايته القصوى ان يعتبر بلاطه مجلساً بل مجمعاً يجمع أفحل الشعراء وأبلغ الكتاب ويجدر بنا ان نضيف وأكبر مفكري الجزيرة . وفي الواقع لم يرَ قط في الأندلس الاسلامية أكثرُ أدباء من ملوك ووزراء وغيرهم . فلا يحصى عددهم ولا توصف مزاياهم . فناهيك من شاهد « قلائد العقيان » للفتح بن خاقان و « البديع في وصف الربيع » لأبي الوليد الحميري ولا سيما « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن بسام الشنتريني و « الحلة السيراء » لابن الأبار .

وهناك أمر جدير بالاعتبار وهو ان الشعوب التي تسكن الأندلس مختلفة جداً من مسلمين – وفيهم عرب وبرابرة وصقالبة – الى نصارى ويهود ولكن الثقافة واحدة وهي عربية محضة . فجميع العناصر مولعة باللغة العربية . فهذا يجب علينا معالجته بالتفصيل فنقول :

ان العرب الغزاة في أول الفتح أصلهم ، في الأغلب ، من مدينة النبي ﷺ . فيهم أنصار ومهاجرون ، انضم بعضهم طوعاً في الجيوش الزاحفة الى أفريقية فالاندلس ، وانخرط بعضهم في أثناء الحوادث التي وقعت بالحجاز والشام وخصوصاً بعد معركتين مشهورتين وقعة الحرّة في شمال المدينة ووقعة مرج راهط في الشام . في هذه الوقعة الأخيرة تقاتلت قبيلتان مضادّتان : بنو قيس من معد ، وبنو كلب من اليمن . وتغلبت بنو كلب على بني قيس ومنذ تلك الوقعة أضمرت بنو قيس لبني كلب إحناً حملتهم على فتن مستمرّة . وهاجر عددٌ كثير منهم الى الأندلس على حسب نجاحهم في الشرق أو إخفاقهم فيه .

في أثناء تلك الحوادث دخلت الأندلس فرقة عظيمة من اليمانيين المقيمين بالشام وذلك انّ الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعثهم الى إفريقية لإطفاء فتنة نشبت

نارها هناك . فوصلوا الى سبتة (Ceuta) وهي فرضة بقرب زقاق جبل طارق . وبعد حوادث لا حاجة لنا الى ذكرها أبحرت الجنود اليمانيون بنداء والي الاندلس عبد الملك ونزلت بالساحل الأندلسي .

وحينئذ طارت من جديد فتنٌ بين المعديين واليمانيين الى ان انتصرت جنود اليمانيين . فاستوطنت النواحي الجنوبية التي استقرّت فيها فيما بعد .

فأقام جند دمشق بالبيرة أي غرناطة وناحيتها ، وجند الاردن بريّه أي مالقة ومقاطعتها ، وجند فلسطين بمدينة شذونية والجزيرة الخضراء ، وجند حمص بإشبيلية ولبلة ، وجند قنسرين بجيان .

وأما جند مصر فاستوطن باجه وتدمير اي عمل مرسية . وهنا يحسن بنا استطراد من ذلك الحين شاع على ألسنة الناس إطلاقُ كلمة دمشق على غرناطة وحمص على اشبيلية . وقد قال ابن سعيد المغربيّ في المُغرب : « يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحسب والجلالة العربيات لمحافظتهن على المعاني العربية » . وقال الشقنديّ في رسالته : « غرناطة دمشق بلاد الأندلس ، ومسرح الأبصار ومطمح الأنفس ... ولم تخلُ من أشراف اماثل وعلماء اكابر وشعراء أفاضل » .

ولما فرّ عبد الرحمن الأموي الملقب بالداخل من الشرق بعد استيلاء العباسيين على الأمر ووصل الى الاندلس وفاوض المعديين واليمانيين ، أخفق مع الاولين واتفق مع اليمانيين الذين صاروا أنصاره الوفيين وأعانوه على تأسيس أمره بالاندلس .

وفي ايام ملوك الطوائف اضمحلت تماماً الإحن والضغائن بين هؤلاء وأولائك ولكن بقيت مميزاتهم الأخلاقية عند أعقابهم . فان المعديين يمتازون بغيرتهم وحماستهم على الذّود عن حوض الدين ولهم نخوةٌ ما مع كرم الشيم وسخائها .

وأما اليمانيون فقد اضاعوا طباعهم الحربية فصاروا ليني الجانب ذوي تسامح وأظهروا عاطفة ما الى العناصر غير العربية .

واما ما يخص بالآداب فان الفرق بينهم غير واضح ، فعقلهم وإحساسهم استويا بتأثير إقليم وبيئةٍ مخالفين لجزيرة العرب ولا سيما بفضلِ حياة جديدة بين أهال قد أثّروا فيهم بمخالطتهم إياهم . إذاً اصل مسلمي الاندلس من اعرق قبائل العرب

وأشرفها ولكن هناك عرب آخرون اصلهم غير هولائك . فلما استتب الأمر للأمويين ورسخت اقدامهم في ارض الأندلس وازدهرت خلافتهم حتى ذاع صيتها الى الشرق ، قدم الأندلس عددٌ كثيرٌ من الشرقيين . والقت المراكبُ مراسيها بالمرية ودانية وبلنسية وقد اقلعت من مرافئ مصر والشام . فمنهم تجار وصناع ومنهم شعراء وأدباء ومغنون . وقليل جداً من كان يكرُّ راجعاً الى وطنه لما بُذِل لهم من حفاوة في الاستقبال ومراتب ومناصب ، وهدايا وعطايا . وذلك كله يحملهم الى استيطان بلاد الأندلس وربما تلحق بهم أسرهم بعد مدّة .

وعلى هذا الطريق ازداد شيئاً فشيئاً عدد العرب في الأندلس وقويت عوائدهم وأخلاقهم ونزعاتهم بفضل أولئك المهاجرين من الشرق الى الغرب . وقد خصص المقّريّ في كتابه القيم المعنون « بنفح الطيب » باباً طويلاً لأهمّ الرّاحلين الوافدين على الأندلس وهو الباب السادس ولا شكّ انه من امتع ابواب الكتاب . من جملة الداخلين ابو عليّ القالي وصاعد اللغويّ .

وهنا يسأل سائل : اين ينزل الشرقيون ؟ فلا ريب ان جنوب الجزيرة التي يطلق عليها كلمة L'Andalousie خاصة هي الكعبة التي تشد اليها الرحال فتجلب جميع الوافدين الى الأندلس لان مدينتيها قرطبة واشبيلية من اكبر وازهر مدن الدنيا وابهى امصارها . وهنا يوجد بنو عباد وبنو جهور من ملوك الطوائف . وبظواهر قرطبة قبيلة عربية اسمها بنو بَلي قد حفظت عوائدها الخاصة كما كانت في جزيرة العرب ولغتها الفصيحة على احسن حال ، هذا ما يفيدنا به ابن حزم الظاهري في كتاب « جمهرة انساب العرب » .

ومن جهة الغرب في مقاطعة شِلب توجد قبائل يمانية وفي المرية بنو تُجيب من كندة . وفي عمل بلنسية أعقاب الأنصار من أوس وخزرج . وفي جريقة حصن مسمى بحصن الأشراف يُعزى اليهم . وبنو فهر في شاطبة وبلنسية ودانية . وبنو معافر مشهورون ايضاً ببلنسية منهم القاضي ابن الجحاف الذي ورد ذكره مع السيد كمبيادور (Le Cid Campeador) . وبنو واجب لهم عدد لا يُهان ببلنسية وجزيرة

شقرودانية واربولة وألش . وبنو قضاعة في أندة . ونذكر أخيراً قبائل العرب في ناحية سرقسطة منها بنوتجيب .

وبديهي ان أولئك العرب أتوا بلغتهم الفصحى وهي لغة الحكومة الرسمية وحدها . وعلى رجال الحكومة ان يتكلموا ويكتبوا بهـا ، وعلى الوزراء والكتاب ان يمهروا الى الغاية في الكتابة والكلام بها .

لا حاجة لنا الى سرد لخولة الشعراء وبلغاء الكتاب في القرن الخامس . فكتاب الفتح بن خاقان المحلى بعنوان « قلائد العقيان » حافل بأساميهم ونخب آثارهم فللباحث عنهم ان يراجعه .

واما البرابرة فأصلهم من شمال افريقية . وهم كثيرون في الجيوش التي فتحت الأندلس واخترقت جبال البيرينيه Pyrénées وتوغلت في اعماق فرنسا حتى بلغوا مقاطعة لاتورين (La Touraine) من جهة الغرب وطلعوا الى عين نهر لاسون (La Saône) من جهة الشرق ودخلوا جبال لا سافوة (Savoie) وبلاد سويسرا (Suisse) وشمال إيطاليا .

وقد ظلت الحرب سجالاً بين المسلمين والنصارى فرجعت الجيوش الى جبال البيرينيه واستقرت بعضها بلاردة وسرقسطة وليون واسطورقة تشن الغارات على النصارى ، واستوطنت بعضها ناحيتي بطيلوس وطليطلة وأسست بها مملكتين نرى لزاماً ان نخصص لها كلاماً إجمالياً .

فطليطلة عاصمة مملكة يحكم فيها أسرة ذي النون التي كان جدها يسمى طوريل من قبيلة هوادة القاطنة الى الآن بشمال إفريقية . وافراد تلك الأسرة الملكية يتعاطون العلوم الرياضية فرصاد طليطلة مشهور في أيامها وفيما بعدها . وروى لنا المؤرخون الثقات ان القادر أخير ملوك طليطلة لما ألزم الى مغادرة عاصمته سوّلت له نفسه ان يحمل معه آلة واحدة يقدرها تقديراً بالغاً وهي أسطرلاب . ومع هذا ذاع صيت ملوك طليطلة بثروتهم وبذخ ملكهم ولا سيما فيما يخص الإعذارات اي الولائم والمأدبات التي تقام بمناسبة الختان . وضرب المثل بالإعذار الذنوني لما فيه من البهاء والأبهة .

واما بطليوس فهي عاصمةُ مملكة بني الأفطس الذين اصلهم ايضاً من شمال افريقية ، من قبيلة مكناسة . ولقد تعرّبوا لغةً وأخلاقاً منذ استقرّوا بالأندلس . فلا نرى اقنع دليلٍ من ان نذكر ملكاً من ملوكهم وهو المظفر . وكان مولعاً بالأدب ، فصيح اللسان ، قوي العارضة . وطالع كتباً جمة في اللغة والنحو والشعر والنوادر والأخبار وايام العرب ، وانتخب منها جوهرها ووضع منها كتاباً جامعاً لكل الآداب الجميلة ، سمي باسمه فقالوا له « المظفريّ » وهو في الحقيقة عبارةٌ عن دائرة معارف ، موضوعها الأدب والتاريخ في خمسين جزءاً . وقد ضاع لسوء الحظ ولم يبق منه الا فقرات متفرقة في كتب شتى .

وابنُ المظفر : المتوكل ، كان أديباً متفنناً ، له لباقةٌ في صناعة الشعر والنثر .

هنا يجدر بنا ان نتساءل : ماذا صار لهؤلاء البرابرة في آخير القرن الخامس وفي اثناء القرن السادس اي في عهد المرابطين والموحدين ، بعد فتح النصارى لطليطلة وبطليوس . لا شك ان اكثر السكان المسلمين هاجروا الى الجنوب واستقروا في مقاطعات غرناطة ومالقة وشمال افريقية . واما الباقي منهم وهم الأقل فلم يبرحوا قراهم وضياعهم واعتنقوا النصرانية كرْهاً . ولعل المراقاطوس (Maragatos) الذين يسكنون الى يومنا هذا في الجنوب الغربي من مدينة اسطورقة (Astorga) في بقعة مقفرة لا طائل للاقامة فيها هم نسل المسلمين القاطنين هناك في القرن الخامس . وهؤلاء المراقاطوس قد حفظوا لباسهم الخصوصي الذي لا فرق بينه وبين البرابرة الموجودين الآن في ديار مرّاكش . وزيادة على ذلك فانهم يحلقون رأسهم الا انهم يتركون خصلةً قصيرة من الشعر تتدلى على القفا ، شأن اغلب المراكشيين في يومنا هذا . وهم وان نسوا لغتهم الأصلية فلا يتكلمون بعدُ اللغة الاسبانية المحضة . فالأرجح انهم من اعقاب اجداد مسلمين ينتمي تأريخهم الى القرن الخامس .

فيما عدا مملكتيْ طليطلة وبطليوس فمملكتا السهلة وغرناطة جديرتان بالذكر . فالسهلة واقعة وسط ممالك سرقسطة وطليطلة وبلنسية ودانية . يحكم فيها ملك ضعيف الشأن مع انه ماهر في السياسة ، وربما اقتحم قطره جيرانه المعتدون

عليه لسبب ما ، وبينهم السيد الكبياهور ولكنه يرى من طالع سعده ان يعيش سالماً مطمئناً في زُمرة فتيان يتذّوقون الشعر وما يتعلق به ٠

واما مملكة الجنوب فتشتمل على ناحيتي غرناطة ومالقة ويحكم فيها أميران : حبوسُ وباديسُ بن حبوسُ ٠ واصلها من شمال افريقية ، لا يهمها الا الحرب ٠ وبديهي ان لا يقدر الشعر حقّ قدره ، وينفر الادباء والشعراء من بلاطها الى ان خلفها الأمير عبد الله وحينئذ صارت غرناطة مركز حركة فكرية على رأسها الأمير نفسه ٠

بقي لنا ان نذكر عنصراً قليل العدد ولكنه عظيم الشأن والنفوذ ، ألا وهو العنصر الصقليّ فأول والٍ بل خليفة أمويّ استخدم الصقالبة في الأندلس هو عبد الرحمن الناصر فقاموا في اول الأمر بخدمات منزلية ثم ارتقت حالهم حتى قاموا بوظائف مهمة في القصر الملكي او خارجه ولعبوا دوراً سياسياً في أخير القرن الرابع وابتداء القرن الخامس ٠ وزاد عددهم الخلفاء بعد عبد الرحمن الناصر واستند عليهم المنصورُ بن ابي عامر في سياسته وعهد اليهم بخطط سيفية كانت او قلمية ٠

وهنا قد يسأل سائل : من اين جاء هؤلاء الصقالبة ٠ فلقد تخالفت الآراء في أصلهم ولا ريب انهم في اول الأمر صقالبة ، بحصر المعنى اي اصلهم من بلاد « السلاف » بشرق أوربا فيما يُعبر عنه الآن بـ « روسيا » على المعنى العام ٠ وكانت الشعوب الجرمانية تُغير على تلك النواحي فتسترقّ الرجال والنساء والبنين ، وتبيعهم الى سكان الأندلس ٠ ثم بعد مدة أُطلق اسم الصقلبي على كل أجنبي أبيض الوجه استخدم في حرم الأمراء او في الجند ٠ وقد قال ابن حوقل الذي سافر الى الأندلس في القرن الرابع : « ان بلد الصقالبة طويل فسيح والخليج الآخذ من البحر المحيط بنواحي ياجوج وماجوج يشقّ بلدهم ويستمرّ مغرّباً الى نواحي اطرابزندة ثم الى القسطنطينية ويقطع ناحيتهم بنصفين : فنصف بلدهم بالطول يسبيه الخراسانيون والنصف الشمالي يسبيه الأندلسيون من جهة جليقية وافرنجة وانكبردة وقلورية » ٠

وكان أربابهم اذا لاحظوا فيهم استعداداً خاصاً للأدب والثقافة ، ربوهم تربية توافق مواهبهم وعلموهم العلوم النقلية كأنهم من أولادهم ٠ وآل الأمر الى

ان بعض الصقالبة أثرَوْا بوظائفهم العالية واقتنوا بدورهم خدماً كثيراً وابتاعوا كتباً مختلفة الفنون وملأوا بها مكاتب عظيمة . وصاروا هم من جملة الأدباء والمفكرين . وقد كثر عددهم حتى ألف أحد منهم اسمه حبيب في ايام الحكم بن عبد الرحمن الناصر كتاباً يجمع فيه اشعارهم ليبرهن ان الصقالبة لهم استعدادات طبيعية كسائر العرب للنظم والنثر ، وعنوانه : « كتاب الاستظهار والمغالبة على من أنكر فضائل الصقالبة » ، وقد عاث فيه الزمانْ ولم يُبقِ له أثراً بعد عيانْ .

هذا ما يخصّ بالأدب . واما من حيث السياسة فان الصقالبة قد استقلوا بشرق الأندلس وأسسوا مملكةً في دانية وجزيرتي ميورقة ومنورقة . وحاول بعضهم ان ينشئ دويلة في بلنسية ، غير انه لم يلبث ان تغلب عليه بنو هود من سرقسطة وبنو عامر اولاد المنصور بن ابي عامر .

معلوم ان المسلمين من عرب وبرابرة وصقالبة ، لا يكوّنون وحدهم سكان الأندلس . فبجانبهم أهل الكتاب من نصارى ويهود . ويحسن بنا ان نعرض لحالتهم الاجتماعية والادبية على وجه إجمالي لنقتنع بأنهم على غير ما نظنه باديء بدء .

قد أُطلق على النصارى الأندلسيين اسم « مُزاراب » (Mozarabes) وهو مشتقّ من « استعرب » كأنهم استعربوا بمخالطتهم العرب وسنرى ان ذلك صحيح بدلالة مؤرخيهم أنفسهم . انهم يعيشون كسائر أهل الذمة تحت إدارتهم المدنية الخاصة . فواليهم اسمه القوندي (Condé) يعينه الخليفة . وقد اشتهر القوندي سرفاندو (Servando) بقرطبة والقوندي تودّو (Toddo) بقلمرية (Coïmbre) ويحكم القوندي بين النصارى بالمرافعة الثانوية والسنسور (Censor) هو الذي يحكم بالمرافعة الابتدائية . واما الدفنسور (Defensor.) اي المحامي فيقيم بقرطبة ويحامي عن أهل دينه قدّام الخليفة . واما الجنايات والجنح والمخالفات التي تقع بينهم وبين المسلمين فترفع لدى المحاكم الاسلامية .

وكان المزاراب يجتمعون في حارات وأحياء على حدة ولكنهم يخالطون المسلمين كل يوم ويعاملونهم في الشؤون المعاشية ويلقفون لغتهم كما هو بديهي ،

ويتعرّبون بل يستعربون بلا ريب ويختارون اللباس العربي ويفضلونه على اللباس النصراني ويتخذون لأنفسهم كنىً وأسامي وألقاباً عربية ٠

وعندنا وثيقة تقرّر ان النصاري المزاراب قد تعمقوا في التعرّب وذلك منذ القرن الثاني ٠ فان نصرانياً اسمه ألفارو (Alvaro) من قرطبة متوفى في منتصف القرن الثاني للهجرة يصرّح بكل صراحة في كتابه المعنون بـ « الدليل اللامع » (Indiculus luminosus) الذي كتبه باللاطينية ، ما يلي : « ان اخواني في الدين يولعون بمطالعة القصائد والروايات العربية ويدرسون مؤلفات الفقهاء والفلاسفة المسلمين ، لا لشأن الردّ عليهم بل ليضطلعوا بالنطق العربي الفصيح وبالكتابة البليغة ٠ وأين نجد اليوم نصرانياً كفئاً بقراءة النفائس للكتب المقدسة ؟ من فيهم يدرس الأناجيل وكتب الأنبياء والحواريين ؟ يا للأسف ! جميع فتيان النصارى الذين يمتازون بنبوغهم لا يعرفون الا اللغة والآداب العربية ويطالعون ويدرسون برغبة زائدة الكتب العربية ويملأون بالنفقات الباهظة مكتبات عظيمة ويعلنون في كل مكان ان هذه الآداب عجيبة كل الإعجاب ٠ غير انهم اذا ذكرت لهم الكتب النصرانية جاوبوك ان تلك الكتب غير جديرة باهتمامهم ٠ ان النصارى أهملوا لغتهم حتى نسوها تماماً ٠ وفي الف منهم تجدُ بالكدّ والمشقة واحداً يعرف ان يحرّر رسالة الى صديق على ما يقتضيه القواعد النحوية ٠ وبالعكس اذا فتشت من يكتب بالعربية وجدتَ عدداً جمّاً منهم يعبرون بهذه اللغة بأحسن رشاقة ورأيت انهم ينظمون قصائد أفضل ، من حيث الصناعة ، من اشعار العرب أنفسهم » ٠

لقد صحّ ما قال الكاتب اللاطينيّ الفارو (Alvaro) ٠ فان النصارى بعد طول احتكاكهم بالعرب ولما رأوا في المسلمين من التسامح وعلوّ الهمة قد بلغوا الى درجة انهم يتكلمون بل يفكرون في العربية ويعرضون عن اللاطينية التي صارت غير مألوفة لهم ٠

ان الفارو المذكور أعلاه قد ألمّ بثلاث لغات : اللاطينية والعربية والعبرية ٠ وقبله اشتهر نصراني آخر اسمه جوان الأشبيلي (Juan Hispalense) وهو سعيد

المطران الذي ورد ذكره في الكتب العربية فألف تفسيرا بالعربية على «التوراة» وترجم الأناجيل من اللاطينية الى العربية ٠

وهنا يحسن بنا ان نلفت الأنظار الى مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية بمدريد، فيه مجموعة من القوانين والقرارات البابا وية ينتمي تاريخه الى القرن الثالث الهجري في ختامه اشعار عربية على حسب القواعد العروضية الصحيحة ٠ وصاحبها خوري اسمه فسنتي (Vicenté) وتضيف الى ذلك ان إهداء الكتاب الى المطران عبد الملك (كذا) محرّر بالنظم الفصيح ٠

وفي أيام عبد الرحمن الناصر يضع المطران ريسموندو (Recemundo) المسمى ربيع بن زياد عند العرب، تقويماً بالعربية يترجم فيما بعدُ ولعلّ المترجم هو جيرار دي كريمون (Gérard de Crémone) المشهور ٠

وفي القرن الخامس قلّ جداً عدد النصارى المزاراب بالأندلس ولقد أسلم اكثرهم وابدلوا اسامي عربية من اساميهم النصرانية وقلما نجد ألقاباً نصرانية تدلُّ على اصلهم ٠ فصيرتهم البوتقة العربية رجالاً عربيين لسانا وعاطفة ٠

اما اليهود فهم أهل كتاب كالنصارى ٠ تمتعوا من ابتداء الفتح العربيّ بحرّية وتسامح يخالفان تماماً السياسة القوطية التي شعارها الظلم والاعتداء ٠ وبفضل هذا التسامح وهذه الحرية تحسنت حالة اليهود مادياً ومعنوياً ولا سيما بقرطبة في ايام عبد الرحمن الناصر ٠ فلا يعنينا ما قد حققوا في ميدان التجارة والصناعة بل غرضنا ان نبسط علائق الحركة الفكرية اليهودية بالثقافة العربية ٠ فنقول اختصاراً :

ان يهود الأندلس الى منتصف القرن الرابع، من حيث ثقافتهم، تابعون للأكاديمية البابلية الشرقية التي مركزها بسوار (Sora) ٠ ولكنهم في هذا الزمان شاءت المقادير ان تعينهم على تأسيس مدرسة يهودية بقرطبة ٠ وذلك ان عدّة احبار من اليهود ركبوا البحر المتوسط فأسرهم أمير الاسطول الأندلسي بأمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ٠ وأتى بهم الى قرطبة ٠ ففدت الأمة اليهودية القرطبية اثنين منهم رغبةً منها في إبقائهما بالعاصمة الأندلسية ٠ وهكذا وجدتْ مدرسة قرطبة اليهودية حبرين علامتين لإدارتها واستئناف الدروس التلمودية بها ٠ ومن حسن

الحظ أتيح لها ان وجدت محامياً متنوراً مثقفاً في نفس النطاسي النحرير حسداي ابن شبروط الذي تخصص بخدمة الخليفتين : عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم . وقد استعمل نفوذه وأمواله لتحسين حالة اليهود وإزهار الآداب اليهودية وإعطاء المكاتب الأندلسية جميع الكتب التي نُشرت بالشرق . وحينئذ تكاثر عدد اليهود وعمروا مدينة خاصة وهي لوسينة (Lucena) بقربة من غرناطة . واحترفوا بالتجارة والأدب والديبلوماسية واتخذوا بقرطبة بعض مشخصات العرب مثل لباسهم ولغتهم وأخلاقهم .

ولكن خلافاً لما ننتظره لم يتسع نطاق اللغة العبرية لأن الثقافة اليهودية في تلك الأيام مدينة للغة العربية من حيث المبنى او بعبارة أوضح : فالمعنى يهوديّ والمبنى عربيّ . وإليكم بعض الأمثال فيما يخصّ القرن الخامس .

هـذا ابن جناح النحوي المؤسس الحقيقي للنحو العبري : كتابه الرئيسي « التنقيح » مكتوب بالعربية .

وهذا ابن جبرون الذي يسميه العرب : ابا أيوب سلمان بن يحيى . فكتابه في الفلسفة المعنون بـ « عين الحياة » محرر بالعربية متأثر جلياً بالنظرية الفلسفية لابن مسرة القرطبي المتوفى سنة ٣١٩ = ٩٣١ وصلة فكر ابن جبرون بالعرب واضحة كل الوضوح حتى في أقصر مؤلفاته التي حرّرها كلها بالعربية ، منها كتاب في النحو يتأسف فيه — كما سبقه في ذلك الفارو القرطبيّ — على إهمال إخوانه للغة العبرية ويعبر عن اليهود السرقسطيين بـ « الأمة العمياء » ويؤنب بعضهم لأنهم يتكلمون بالإدومي (iduméen) بالعجمية الأندلسية ، وبعضهم لانهم يستعملون الكيدار (kédar) اي اللغة العربية ومنها منتخباته التي جمع فيهـا ما اقتبس من الفلاسفة اليونانيين والحكماء العربيين من أمثال وحكم ، وكلها مكتوبة بالعربية .

وهذا باهية بن باكودا المعاصر لابن جبرون وكتابه « واجبات القلوب » الذي يظهر فيه تأثير المذهب الأخلاقي للغزالي هو أيضاً محرّر بالعربية .

ثم هذا موسى بن عزري الشاعر الغرناطي الذي عرض في كتابه : « قلادة الجواهر » للحبّ وبنت الحان واللهو على غرار العرب وبالعربية . وكثيراً ما نعثر في

أشعاره على المحسنات العربية مثل التجنيس والمطابقة وكتابة : « المحاورات والمذكرات · عبارة عن رسالة يعالج فيها صناعتي الشعر والنثر ويبسط فيها تاريخ الأدب الشعري اليهودي بالأندلس مع المقارنه بين الشعر الاسرائيلي والشعر العربي · وكل ذلك باللغة العربية الفصحى ·

واليكم دليلاً آخر وهو يهودا هالوي النظامي الطليطلي · يكتب بأسلوب عربي أنيق واشعاره حافلة بأبهى الأوصاف الطبيعية · ومؤلفه الرئيسي هو « كتاب الخزري » الذي هو عبارة عن قصة فلسفية بالعربية موضوعها اعتناق ملك الخزر للدين الاسرائيلي في القرن السابع للمسيح · وقد صارت فيما بعد مثالاً حذا حذوه بعض المؤلفين النصرانيين باسبانيا اكبرهم رامون لول (Ramon Lull) ·

وبعد فقد طال سرد حججنا على انتشار اللغة العربية وآدابها بين اليهود الاندلسيين ، وفي الاطالة ملالة ، ولكن نطلب من فضلكم ان تسمحوا لنا بأن ندلي بدليل أخير ألا وهو ابن ميمون الذي عاش في القرن السادس · كتب رسالته في « الردة » (Apostasie) بالعربيـة ، وبالعربية أيضاً كتب كتـابه المعنون بـ « التبيين » (Elucidation) ورسالته في « التعزية » (Consolatide) على الامم الاسرائيلية اليمنية ، وكتاب « القوانين » (Lois) ولا سيما « مرشد الضالين » (Guide des Egarés) الذي هو حقيقة موسوعة فقهية فلسفية للملة اليهودية يحاول فيها ان يوافق بين العقل والإيمان ·

هذا وبجانب هؤلاء اليهود الذين بقوا على دين اجدادهم ، مع ميلهم الى الثقافة العربية ، يحسن بنا ان نذكر اليهود الذين اسلموا اسلاماً خالصاً واشتهروا بالأدب العربي · وهم الذين ينعتون بصفة الإسلامي غالباً وفي بعض الأحيان : باليهودي او الاسرائيلي · واسم ابن سهل الاسرائيلي الشاعر في الموشحات مشهور في القرن السابع ·

واما في القرن الخامس الذي نحن بصدده فنجد خمسة أدباء يجدر بنا ذكرهم وهو ابن سدراي وابن القروي وسموئيل بن نغريلة ويوسف بن نغريلة وابن حسداي ·

ابن سداري المكنى بابي بكر هو وزير ملك السهلة : عبد الملك بن رزين · وقال في شأنه صاحب « نفح الطيب » (ط · لندن ج ٣ ص ٣٧٧) :

«كان للملك المذكور وزير من أعاجيب الدهر وهو الكاتب ابو بكر بن صدراي وذكره الحجازي في المسهب وقال: إن له شعراً أرق من نسيم السحر، واندى من الطلّ على الزهر» .

وأما ابن القرويّ فهو حسبما وردفي «الذخيرة» لابن بسام (مخطوط ج ٣ و ١٧٣ ظ) الملك من ملوك الطوائف لم يذكر اسمه . وله كاتب مسلم : ابو الحسين بن الجدّ، وبين الوزير وكاتبه نوادر تدلّ على تضلعها من اللغة العربية .

والمثل الأمثل لإجادة الاسرائيليين في الآداب العربية هو سموئيل بن نغريلة . وقد أجمع الأدباء الأندلسيون على ان ابي نغريلة هذا وزير ملوك غرناطة قد ألمّ بدقائق اللغة العربية وخصائصها واعترفوا به كاتباً عبقرياً . وعلاوة على ذلك كان سخي النفس جزيل العطايا للشعراء والأدباء، ويحمد فيه فطنته وذكاؤه .

وأما ابنه يوسف بن نغريله فكان مجيداً، كأبيه في النظم والنثر العربيين ولكن لا يعرف كأبيه يجلب القلوب اليه بإحسانه ودعته فأثار فتنة قضت عليه .

وبقي لنا ذكر ابن حسداي وزير ملكي سرقسطة المقتدر والمستعين . وله الحظوى الكبرى عندهما وكان لا يغادرهما أبداً لحاجتها اليه ويرافقها في سفرهما ويشاركهما النزهات بالزوارق على نهر الإبره (Ebre) . فهو النديم الأديب الذي يلهي صاحبيه بأشعار مرتجلة ونكت ظريفة . ومن اكبر الدليل على تقدير المستعين له ما حكاه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان انه لما احتفل بزفاف بنته الى الوزير ابي بكر بن عبد العزيز عهد الى ابن حسداي بتحرير الرسائل لدعوة الاعيان والاكابر الى العرس .

مما أسلفنا نستدلّ جلياً ان اللغة العربية هي المثل الأعلى للغة الأدبية في القرن الخامس . فان جميع الشعوب والعناصر في الأندلس تستعملها برغبة أكيدة لا منازع فيها . فبديهيّ ان المسلمين يتكلمون بها ويكتبون بها ويعبرون دأباً عما يخالج انفسهم نظماً ونثراً . فاللغة من مقوّمات الناس في كل زمان ومكان . وأما ما يخص بالأندلسيين غير المسلمين من نصارى ويهود فغريب باديْ بدء استعمالهم اللغة العربية .

فان للنصارى المزاراب اللغة اللاطينية ولليهود اللغة العبرية وهاتان اللغتان أدبيتان كاللغة العربية . ولا يمكننا الا ان نتساءل اي سبب يحملهم الى دراسة اللغة العربية وتفضيلها على غيرها .

هل هي الفائدة او المصلحة الشخصية ؟ فلا شك ان المصلحة الشخصية من أهم الأسباب النفسية التي تدعو الإنسان الى الحركة والعمل . وان الوظائف المهمة والمناصب العالية لا تعهد، على ما يظهر في القرن الخامس ، الا الى من يضطلعون بالعربية ويجيدون تحرير رسالة بالنثر الفني ويرتجلون الأبيات المفعمة بالإشارات التاريخية والتلميحات الأدبية ويؤلفون بديهة من غير روية تهنيئة او دعوة وينظمون ، اذا سنحت الفرصة ، مدحاً للتقريظ أو رثاء للتعزية . وان تعطى المناصب العليا المسلمين فالخطط الثانوية تُوَزَّع على كل السكان مهما كان دينهم، لا يُراعى في ذلك إلاّ الأهلية والكفاءة . وهذا أوضح دليل على سيرة العرب الفاتحين مع الأهالي المفتوحين قوامها التسامح العام .

وهنا يسأل سائل : لماذا النصارى واليهود لايصرون على استعمال لغتهم الأدبية الخاصة ودراستها ولهم الحرّية في إقامة شعائر دينهم بلغتهم — في حدود أمر عمر بن الخطاب المختص بالذميين — ولهم الاذن من قِبل الخليفة أو الملك في انعقاد « كونسيلات » أي مؤتمرات دينية يناظرون فيها باللغة اللاطينية أو العبرية مسائل تتعلق بشؤونهم الشخصية ؟ إذاً المصلحة ليست وحدها سبب اهتمامهم باللغة العربية واستعمالهم إياها في تناول مواضيع نظرية معنوية كانت أو فلسفية .

يجب علينا أن نلتمس سبباً آخر لا يمتّ الى المصلحة بصلة وهو ان اللغة العربية في القرن الخامس تظهر للشعوب جمعاء القاطنة بالأندلس اللغة الوحيدة التي تشفي غلة الشاعر أو الفيلسوف — بثروتها ومرونتها ، نعم اللغة الوحيدة التي تقدر ، باتساع نطاق مفرداتها وتفنن تراكيبها النحوية ، وجزالة ألفاظها من أصيلة ودخيلة ، على ان تعبر عن أدقّ العواطف وأعلى الأفكار وذلك لأن لغة العرب، لغة قريش والقبائل العريقة في العروبة ، قد بلغت ، في القرن الخامس ، الى كمال لا تتجاوزه فيما بعد .

ان الشعر في القرون الثلاثة الأُوَل قد غير ومرَّن تراث العصر الجاهلي وأفسح مجال الشعر الذي ازدهر في صدر الاسلام . فتحضر بعد ان كان بدوياً ، وبتأثير المدنية الحضرية والأخلاق المتمدنة والحياة النعيمة التي ذاعت في البلاطات الملكية بدمشق ولا سيما ببغداد ، قد تر شيئاً فشيئاً ما بقي فيه من خشونة وواقعية . وانسجم ايقاعه وتناسق تقطيعه . وعلاوة على ذلك تفنن في أغراضه كأنه لا يقبل ما قد فرض عليه من بيان ضيق وبديع حرج . وزعم على ان يصور عواطف وأحوالاً نفسية ونزعات كادت تجهل في الجاهلية وفي صدر الإسلام . وبكلمة واحدة صار إنسانياً أكثر وأدق .

وقبل كلّ شيء فانه لفت أنظاره الى الطبيعة فهو في رسمها وتصويرها لا يكتفي بجمع خطوط وأدهان مادية محضة تكوّن شبه لوحة يابسة غير كاملة لا تظهر فيها حياة ولا يبرز فيها الا ألوان منفردة لا تخلو على كل حال من رشاقة ما . وانه يحاول ان يرسم إطاراً حيث تأتلف الأدهان بعضها ببعض وتقوى بعضها إشارة الى المهمّ الممتاز وتعين كل العناصر على تكوين لوحة تخفق الحياة فيها ويجد الانسان فيها محله الطبيعي

وتحول الشعر في المبنى والمعنى ناتج من عمل الشعراء الذين يشرفون على التاريخ الأدبي كأنهم نجوم زُهر تلمع نوراً وتسطع شرراً وهم :

بشارُ بن بُرد العبقريّ الازيّ العقلية ، وأبو نواس ، فرلين (Verlaine) صدر العصر العباسيّ ، ومسلم بن الوليد ، الملقب بصريع الغواني ، وابو العتاهية ، شاعر الزهد التشاؤمي ، وابو تمام والبحتري وابن الرومي ، هؤلاء الثلاثة الذين جدّدوا الأغراض القديمة ، وابن المعتز ، الرّسام الأنيق الدقيق للطبيعة ، وابو الطيب المتنبي ، أمير الشعراء ، فيكتور هوغو القرن الرابع ، وابن هانئ الأندلسي العبقري المتوفى في عنفوان قدرته ، ولا سيا «ابو العلاء المعرّي» الشاعر البصير الحكيم الأكبر المعاصر للقرن الذي نحن بصدده .

هذا شأن الشعر في القرن الخامس .

وأما النثر فهو على وجهٍ عام تأسيس القرون الثلاثة الأُول فوجوده في الجاهلية مشكوك فيه . ويحاول ان يتكوَّن في صدر الإسلام لأنه لغة الخطب أكثر منه لغة الرسائل والكتب . ثم يشعر بقدرته في زمان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع اللذين يستاهلان ان يُعتبرا مؤسسيه الحقيقيين . ثم يجيء ابن قتيبة ويُمرِّنه مع انه يُبقي له صبغته العربية الخالصة . وأما الجاحظ فيفسح المجالَ للنثر في ميادين شتى ويعالج به مواضيع متفننة . وفي زمان المأمون ومن تبعه من الخلفاء العباسيين يمتصُّ النثر في الترجمات من اليونانية ماءً ينميه وينعشه ليعده على إثمار خصب ويبلغه الى مقداره المنطقيّ الكلاميّ ويصيره آلة كاملة لتعبير أدق الأفكار بواسطة المتكلمين والفلاسفة وأمراء البيان .

وفي القرن الخامس نفسه يعرف الشعراء والكتاب الأندلسيون كاتبين معتبرين في الشرق ألا وهما الغزاليّ والحريريّ . فالغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هو حجة الإسلام صاحب المؤلفات العريقة في المعاني الفلسفية الدقيقة ، والحريري المتوفى سنة ٥١٥ (خمس عشرة وخمسمائة) هو صاحب المقامات ذات الأُسلوب الفائق الخلاّب .

إذن ماذا يعوز الشعوب الأندلسية ولديها أكمل آلة للتعبير عن أفكارها الجدّية أو الهزلية ؟ فقد برهنا انها تُكثر من استعمالها على احسن حال . فاللغة العربية تظهر لغة شبه عالمية تبشر فيما يخص الأندلس بازدهار الأدب والفلسفة والتاريخ في القرن السادس مع ابن باجة وابن طفيل وابن رشد وفي القرن الثامن مع لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون .

هنري پيريس

فضل العرب على علم الحيوان

-٢-

١٠ — الأُخَيْضِر

الأُخيضر ، بصيغة التصغير هو المسمى بالانكليزية Eider وهو ضربٌ من بط البحر من جنس صوماتريه Somateria وموطنه الربوع الشمالية من اوربة واميركة وهو مشهور بريشه اللين الناعم الذي يكسوه . واسمه أيضاً البط الأُخيضر . والأُخيضر الأميركي S. dresseri والأُخيضر الملكي S. spectabilis والأُخيضر ذو النظارات Arctonella Fiseheri هي أصائل هذا النوع .

وقد أرجع لغويو الانكليز الأيدَر Eider الى لغات السكان الذين في شمالي اوربة كالاسكندناوية ، والاسلندية ، والسويدية ، والدانيمركية ؛ أما نحن فنظن انها من الأُخيضر تصغير الأخضر وقد سمي به بعض الأشياء ، والأخضر عند العرب يطلق على الأسود أيضاً . وسُمي بذلك لان الريش الأسود الذي يعلوه هو أقل من الريش الأبيض .

ولان البحر يوصف بالخضرة ، وهذا البط يلازم البحر ، لا يكاد يفارقه إلا في النادر ، فالأيدر تصحيف الأُخيضر وتخفيفها ، على رأينا

١١ — الأُرْقش

اصل هذه الكلمة ، انه كان عند اليونانيين امير صاحب مدينة اسمها (ارقش) من مدن بلاد اليونان ، وكان له مئة عين — على ما يرويه رواة أساطيرهم — وكان خمسون من هذه العيون لا تغمض البتة ؛ فأوعزت اليه يونون ، زوج يوبيتر (يوبيتر او يهوباتر هو المشتري) ان يحرس (يو) ، ابنة ايناخس التي مسخها يوبيتر عجلة ، فتمكن مركوريوس (عُطارد) من تنويمها حاقّ التنويم ، على صوت مزماره ، ثم قطع رأسها . فبثت يونون عيونها على ذنب الطاووس . فاشتهر الارقش عند الأقدمين ، من يونان ورومان ، وكذلك عند الكتبة المحدثين من أبناء

الغرب ، بمعنى الرقيب المكروه المزعج . وهو الذي يرمز اليه العربُ بالُجعل ، فانهم يقولون : « سَدِكَ به جُعلُ » اي لزم الرقيب صاحبه لزوماً مكروهاً مزعجاً .

اما اليوم فيريد العلماء بالارقش طائرين[1] : الأول : فراشة مرقشة حينما تكون أسروعاً[2] وفراشةً . والثاني : طائر مجاور للتدرج ، وهو مرقش مبرقش ، ويكون مسكنه شرقي الهند، والنوع المشهور يسمى عند العارفين بالعجاوات Argus gigantues اي الارقش الكبير ، ويتاز الذكر منه بريش طويل بديع مرقش في جناحيه وذنبه ، والنوع الثاني يسمى بلغة العلم A. Gryi وهو الارقش البرنويّ

والظاهر ان فقهاء لغتنا عرفوا أسروع الفراشة وسموها الرقشاء بتقدير دويبة . قال ابن مكرّم : « الرقشاء دويبة تكون في العشب : دودة منقوشة مليحة ، شبيهة بالُحطوط » اه : فهذا وصف أسروع الفراشة . قلنا : ويبقى اسمها عليها وان انسلخت فراشاً . فاتفق وصف العرب مع وصف بني الغرب اتفاقاً عجيباً لكن العرب سبقوا الافرنج في هذا بمئات من السنين .

وأما الطائر فانه لم يعرفه العرب لبعده عن ديارهم ولو عرفوه لسموه أيضاً ارقش

١٢ — الفسَّاء او الُمنقي والنوريّ

الفسَّاء هو الظربان الاوربي والاميركي . واسمه بالفرنسية والانكليزية Vison وهو يطرد عدوه بان يخرج ريحاً منتنة ولم يهتد الباحثون عن الحيوان الغربيون الى أصل هذا الحرف مع ان هذا الأصل واضح لكل من له أدنى إلمام بلغتنا . واسمه العلمي Putorius vison أي الظربان الفسَّاء ومن اسمائه الانكليزية Minx وهو من العربية (ُمنق) لانه ُينقي المكان إنقاء اي يطهره من اعدائه بالوسيلة التي أشرنا اليها ، ومن اسمائه في اللغة المذكورة Nurik وهو من العربية (نوريّ) واحد النور ، لهذا الجيل المشهور بالمهانة ، والذل ، والقذارة . فالفساء سمي بذلك لقذارته ووسخه ، فهو بين العجاوات كالنور بين اجيال الناس على اختلاف قومياتهم .

(١) الطائر عند العرب كل ما يطير ، فالذباب ، والنحل ، والزنابير ، كلها طيور . (راجع المخصص في كتاب الطير) . وكذلك الوزى les oiseaux طيور (راجع لسان العرب في وزي)

(٢) الاسروع هو الفراشة حينما تكون دودة وبالفرنسية chenille وبالانكليزية caterpilar

ويتخذ من هذه الدابة فراء نفيسة ·

١٣ — الصافّ

الصافّ (بتشديد الآخر) وبالانكليزية Sappho نوع من أنواع عديدة من الطيور الصغار المتلألئة الألوان المعروفة بالذبابيات لضآلتها ، وموطنها اميركة الجنوبية · وهي من جنس الصافّات البديعة الاصباغ واللامعاتها ، والمتباعد انفراج الذنب ، وتسمى أيضاً النارية الذنب ، وهي تصفّ في طيرانها ومنها اسمها · وأما الافرنج فانهم لم يتفقوا على سبب تسميتها بهذا اللفظ ·

١٤ — الشعشاع

الشعشاع في اللغة : الطويل واللبق والخفيف والحسن ويراد به هنا ضرب من بقر وحش الهند أو ظبائها يسمى بالانكليزية Sasin وباللاتينية العلمية مامعناه الظبي البادزهري antilope bezoartica والظبي العنز الأيلي A. cervicarpa وهو مشهور برشاقته وحسنه وخفة حركته وجماله الفتان، وله قرنان طويلان ملويان ومتباعد الواحد عن الآخر·

١٥ — الصعصع

الصعصع وزان هدهد وجعفر : طائر ابرش يأخذ الجنادب · وهو ضرب من الزرازير اسود الرأس والمنق والجناحين وما بقي منه « أبرش » أي احمر وردي وهو الذي يسميه العراقيون السمرمر وبعضهم يقول سمرمَد (أي براء في الآخر وبدال أيضاً) وله عدة اسماء أُخر في العربية واسمه بالفرنسية Etourneau rose وباللاتينية Pastor roseus وبالانكليزية Rose coloured starling وانما ذكرته هنا لأن بعضهم وَهِم وظن انه المسمى بالانكليزية Sora وهو غلط شنيع ·

١٦ — العنقاء

ليس الكلام هنا على عنقاء مغرب ، انما الكلام على طائر طويل العنق ، والعنقاء في لغتنا مؤنث الأعنق وهو الطويل الجيد · و عرف بهذا الاسم الخالي من كل صفة ، او اضافة ، او قيد ، طائر أنواعه المعروفة أربعة · والعنقاء بالانكليزية anhinga

و Snake bird اي طير الحية لشبه عنقه بالثعبان بالطول والتلوي ، وهو من طيور الماء من السباحات Plotus ، وله بعض الصلة بالبجع وغراب الماء ، الا انه يمتاز عنها بطول العنق ، ودقته ، وسرعة ليه ، وبمنقار حادّ .

والعنقاء الاميركية هي المعروفة عند أهل هذا العلم باسم Plotus anhinga أو Anhinga وتسكن في جنوبي البلاد المتحدة من أميركة والديار الاستوائية من تلك الأرجاء . ومن اسمائها الانكليزية Darter اي الوثابة و Water turkey اي الغرغر المائي . والنوع الآسوي يسمى A. melanogaster اي العنقاء الأسود البطن ، وموطنه جنوبي آسية وشرقيها ، وشرقي الهند . وهناك نوعان آخران يأويان الى كل من افريقية واسترالية .

١٧ — أبو الصون

ابو الصون هو حيوان من ذوات الأجربة ، وسمي كذلك لوجود صَوْن (أي ما يُصان فيه الشيء) عند أسفل بطن الأنثى تصون فيه أولادها .

واسمه باللغات الغربية Opossum وقالوا : هذه الكلمة من لغة هندية أميركية و يزيدوا على هذا القدر ، مع ان الأصل العربي المُضري العدناني واضح لكل ذي عينين ولا شبهة فيه . وهو حيوان من ذوات الأجربة من الجنس المسمى عند علمائهم Didelphys و Chironectes أي ذوات الرحمين والمقذافية اليد .

والنوع المشهور هو الذي يعيش في البلاد المتحدة من ديار أميركة ، واسمه العلمي Chironectes variegatus اي المقذافي اليد المرقش ، وأصابع رجليه ملتحمة كأرجل البط . ولهذا النوع اسم ثان بالانكليزي هو yapock (يابوك) وهو تصحيف (يافوخ) العربية ، لظهور يافوخه ظهوراً بيناً أكثر من سائر الحيوانات ، ولاسيما حين يسبح .

١٨ — الفساء والظربان والضرِط

مرَّ الكلام على الفساء في الطريدة[1] التي رقمها ١٢ وقلنا ان الافرنج اشتقوا

(١) الطريدة في فن الرسم والكتابة نبذة من الكلام المنثور محصورة بين بدئها برأس سطر وختامها عند بدء نبذة أخرى وتسمى أيضاً دبرة ومشارة وبالفرنسية Paragraphe .

منه Vison والآن نقول ان الانكليز يسمون جنساً من الظربان Zoril، وهو تصحيف واضح للفظ العربي(ضرط) قال بعض لغويينا : « الضرط : دابه بين الكلب والسنور . قيل : اذا صيح بها ، وقع عليها الضراط من الجبن » والأمر يجري فيه دون ان يصاح به . وهو بين الكلب والسنور يكون في افريقية ويصاد لفروه .

وأما الظربان العربية ، فان علماءنا اللغويين لم يذكروا لها أصلاً يوجه اشتقاق هذا الاسم . وعندنا انه مشتق من الظرب بمعنى الضرط على ما هو معهود في هذا الحيوان

١٩ — الشريجة

الشريجة حيوان من ذوات الأجربة واسمه الافرنجي Sarigue . ويقول العلماء الغربيون ان أصلها من البرازيلية لكنهم لا يفسرونها تفسيراً يوجه استعمالها لهذه الدويبة والذي عندنا انها من العربية (شريجة) ومعناها : « الجوالق كالخرج ، ينسج من خوص النخل . تحمل فيه الخضر ونحوها . وجديلة من القصب تتخذ للحمام » وبتوسع في معناها فتطلق على كل ما أشبه هذه الأداة من أي مادة اتخذت . ويراد بها هنا دابة كأبي الصون Opossum ، تكون في جنوبي أميركة . واسمها العلمي Didel phus opossum أي ابو الصون ذات الرحمين ، وعلى وجهها اربع نكت بيض ، وللأنثى شيء كالخرج عند أسفل بطنها تضع فيه أولادها .

٢٠ — الشعشاعي

الشعشاعي غير الشعشاع وان كان كلاهما من بقر الوحش اي الظباء . واسم الشعشاعي العلمي (اي اللاتيني) Alcelaphus lunata اي الايل الهلالي القرن واسمه بالانكليزية ساسابي Sassabye وهو يشبه التيثل الا أن قرنيه معوجان اعوجاجاً مألوفاً كالهلال .وموطنه افريقية .

٢١ — العلق

العلق حيوان لبون مجتر من ذوات الأخفاف ، موطنه الارجاء الشمالية من أوربة واميركة ، وهو كالأيل لكنه عظيم الجثة وله قرنان متشعبان كثيرا الشعب

والأفنان ، وهو — اذا دخل غابة او ايكة ، لا يستطيع ان يسير فيهـا لاشتباك قرنيه بها ، لأنها يعلقان بها . ومنه اسمه بالعربية . والكلمة لا وجود لها في معاجمنا العربية لان الاشتقاق يثبتها ولأن الأقدمين ما كانوا يثبتون في دواوينهم اللغوية ما يتعلق بعلم المواليد الا في الندرة .

اما اسمه باليونانية فهو Alka أو Alkè اي كالعربية بلا أدنى فرق وباللاتينية Alces او Alcis وبالفرنسية Elan ولغويوهم يقولون انهـا من لغة قديمة لا يعرفون معناها . فالعربية تفسرها تفسيراً بديعاً .

٢٢ — الزِبعرى

الزِبَعْرى بكسر الزاي وفتح الباء الموحدة التحتية وسكون العين المهملة يليها راء فياء مهملة ، على ما ذكره اللغويون : « انثى التماسيح ، او دابة ، قيل : تحمل بقرنها الفيل » اهـ .

إنما ذكرناه لان بعضهم ظنّ انه الزبراء Zèbre أو الحمار العتابي . وهذا وهم فظيع ، لأن العتابي أو الزبراء لا يأوي الى المياه ، ولانه ليس له قرن ليحمل به الفيل . والذي نراه نحن ان الزبعرى هو من اسماء الكركدن لانه من القوازب كالتماسيح والكركدنات وله قرن واحد ، كما ينقل عن الزعرى انه يحمل بقرنه الفيل . ولا عجب .

٢٣ — الزَباد

من المعلوم ان الزباد ، كسحاب ، مادة دهنية حيوانية عطرة تكون في نافجة تكون في أعلى مخرج حيوان سمي بهذا الاسم عينه[1] . وكأنهم قالوا في بدء الأمر : دابة الزباد أو سنور الزباد ، او ذو الزباد ، او نحو ذلك ، ثم اجتزأوا بالمضاف اليه ، محتفظين به . ونبذوا عنهم المضاف ، من باب الخفة في الكلام ، كما وقع لهم مثل ذلك في كثير من تعابيرهم . وقد نقل الفرنسيون الى لغتهم هذه الكلمة بقولهم

(١) ذهب بعضهم الى ان (الزباد) هو اسم الحيوان ، الذي تكون فيه نافجة الدهن العطر . والذي عندنا أنه بالعكس ، لان الزباد مشتقة من أحرف (الزُبد) لما بين اللفظين من المشابهة والمجانسة وفي المادة نفسها ، فكلاهما دهن حيواني : الواحد عطر والآخر غير عطر .

Civette وهي تدل على المادة الدهنية وعلى الدويبة أيضاً · أما الانكليز فسموا Civet او Civet cat أي سنور الزباد · وسماه العلماء Viverra civetta ·

وخصَّ الانكليز والفرنسيون هذا الاسم بالزباد الذي يعيش في شمالي افريقية وشمالي آسية · واصطلح كل من الانكليز والفرنسيين اصطلاحاً يقارب هذا الرسم اي Zibeth وخصوه بالزباد الذي يوجد في الهند وجنوبي الصين وشرقي الهند وسموه باللغة العلمية Viverra zibetha ومن اسمائه عند الانكليز indian cat أو Asiatic

أما نحن فيجب علينا ان نسمي الأول الزباد الافريقي والثاني الزباد الآسوي او الهندي لتمييز الواحد عن الآخر ·

وانما ذكرنا هذه المصطلحات للمطالع ليتبين له كيف ان العلماء نقلوا اللفظ الواحد العربي الى لغتهم بصورتين مختلفتين ، ومثل ذلك عملوا في اصطلاحهم العلمي لكي لا يقع الوهم في الأوضاع العلمية اه ·

وقد سبقهم الى مثل هذا العمل العرب ، فانهم كثيراً ما ميزوا كلمة عن كلمة بتغيير احدى الحركات ، او بابدال حرف من أحرف الكلمة منعاً لكل خلط أو خبط ، وتمييزاً لمعنى عن معنىً بمبنىً عن مبنىً ·

فقد قالوا مثلاً : تلاءم الشيء الفاسد تلاؤماً ، وتلاحم تلاحماً : اذا تلاءم بعد ان كان متبايناً — وقالوا : المُلحِم بضم الميم وكسر الحاء : مطعم اللحم · والملحَم بفتح الحاء من يُطعم اللحم ويرزق منه — وقالوا العلاقة ، بفتح العين ما تعلق به الرجل من صناعة ومال وزوجة وولد· وبالكسر في السوط ونحوه ، وبعبارة أُخرى : العلاقة بالفتح في المعاني ، والعلاقة بالكسر في الأمور المحسوسة كعلاقة السوط والقدر ونحوهما :

وفي اللغة العدنانية من هذه النظائر ما لا يعدُّ ولا يحصى ، وهناك المثلثات ، وهي التي تختلف حركاتها بين الضم والفتح والكسر ، ولكل حركة معنى يختلف عن معنى اللفظ الآخر · وهذا بحث لا ينزف ماء بئره · فاجتزأنا بهذا البرض عن العدّ ·

(بغداد) الاب انستاس ماري الكرملي

القرآن

بحث علمي تاريخي اثري

١ — ما هو القرآن

القرآن عَلمٌ للكتاب الذي يقدّسه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . ويتبركون به ويتبعون سننه وفرائضه . ويعتقدون اعتقاداً راسخاً انه أُنزل على النبيّ العربيّ محمد بن عبد الله وأنه آخر الكتب السماوية نزولاً [1] و « انه لقرآن كريم . في كتابٍ مكنون . لا يمسه إلا المطهرون . تنزيلٌ من ربّ العالمين » [2] .

سُمي القرآن من القراءة . وسمي « كتاباً » و « فرقاناً » على ما ورد في سورة آل عمران : « نزّل عليك الكتاب بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل . من قبلُ هدًى للناس وأنزل الفرقان » [3] .

ولما بويع عثمان بن عفان (٢٣ — ٣٥ هـ) ثالث الخلفاء الراشدين بلغه ان المسلمين اختلفوا في قراءة القرآن قدرَ اختلافهم في لهجاتهم . فلم يَرَ الا ان يجمع آياته ويضبطها بلغة قريش التي نزل بها القرآن . ثم كتب أربع نسخٍ منه بعث الى كلّ مصرٍ من الأمصار الاسلامية بنسخةٍ . وأمر الناس ان ينقلوا عنها مصاحفهم وأوعز بإحراق كلّ ما خالفها من المصاحف .

ولم يتسمح المسلمون في نقل القرآن الى لغات البلاد التي دوّخوها أو الى غيرها من اللغات بل تمسكوا تمسكاً متيناً بعقيدتهم المستندة الى ما ورد غير مرّة في الكتاب كقوله : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » [4] . وكقوله : « قرآناً عربياً غير ذي عِوَج » [5] .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدي : مجلد ٧ صفحة ٦٦٦ (٢) القرآن : سورة الواقعة ٧٧ — ٨٠ (٣) القرآن : سورة آل عمران ٣ — ٤ (٤) القرآن : سورة يوسف ٢ (٥) القرآن : سورة الزمر ٢٨

٢ – توحيد القرآن لشتات الأُمة العربية

جاء القرآن والعرب فِرَقٌ متنابذة وشِيَعٌ متحاقدة تكفر كلٌّ منها سائر الفرق وتناهضها وتُضمر لها السوء والشرّ وناهيك ان العرب ظلوا مئات الأعوام على حالٍ واحدة من الخشونة والبداوة لايتحولون عنها ولا يسأمون منها . فكانوا ممزّقين طرائق ومفرّقين حزائق في أجدب المفاوز بل في أبعدها عن النظام والعمران والثقافة . وكانوا مختلفين في مواطنهم ولهجاتهم وعاداتهم لاتضمهم رابطة سياسية ولا جامعة دينية أو قومية .

ما كاد يظهر الاسلام حتى أحدث القرآن في أنصاره وأتباعه انقلاباً غريباً عجيباً لم يكونوا يتوقعونه على الاطلاق . فبعد ما كانوا متسكعين في دياجير الجهل منقسمين الى قبائل وبطون لايعرفون من الشؤون الاجتماعية شيئاً دأبهم الغزو والنهب والقتل وأخذ الثأر أصبحوا بقوة القرآن أُمة متوحدة في لغتها ودينها وشريعتها وسياستها .

ومن المدهش أنّ الأمة العربية التي كانت قبل الاسلام ذليلةً ضئيلة تحوّلت بعدَهُ من الضعف والخمول الى العزّ والبسطة والسلطان . فنهضت نهضة الرئبال واستجمعت قواها حتى تألفت منها دولةٌ منيعة بطشت بدول ذلك العصر كدولة الفرس والرومان واليونان . ولم تلبث ان أحاطت بشعوب تلك الدول تدعوهم الى واحدةٍ من ثلاث : الاسلام او الجزية او الحرب [1] . ولا غرو فان هذه النهضة السريعة حيرت العالم طرّاً وعدّها القوم حادثاً من أعجب حوادث التاريخ .

من المقرّر الثابت أن للقرآن فضلاً كبيراً في تأليف شتات العرب وتوحيدهم مع الأُمم المغلوبة المتباينة في لغتها ودينها وجنسها ووطنها . فكوّن من مجموعها عنصراً جديداً مستقلاً هو العنصر العربي . ومن المقرر الثابت أيضاً انه لولا القرآن لما انتشرت اللغة العربية الفصحى في الخافقين . ولولا القرآن لما أقبل أُلوف الأُلوف من البشر على قراءة تلك اللغة وعلى كتابتها ودرسها والتعامل بها . ولولا القرآن – نعم لولا القرآن – لظلّ أهل كلّ بلدٍ من البلدان التي دوّخها العرب ينطقون بلهجةٍ يستعجمها إهلُ البلد الآخر .

(١) دائرة معارف القرن العشرين مجلد ٧ صفحة ٦٨١

فالقرآن عزّز الجامعة العربية وصان عنصرها وضمن سلامتها على توالي الأزمان . ذلك لان الدين الاسلامي فرض على كل مسلم ان يدرسه ويحفظه ويجوّد قراءته قبل أيّ علم من العلوم البشرية . هكذا حُفظ التفاهم بالعربية بين الشعوب الاسلامية وغيرها من الشعوب في الحجاز واليمن والعراق وحضرموت ومصر وفلسطين وسوريا ولبنان وما بين النهرين . وفي طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الأقصى وزنجبار والسودان وهلمّ جراً .

وما ان تقهقرت الدول العربية وتقهقرت معها الحضارة الاسلامية القديمة حتى خُشي ان تندثر لغة تلك الدول وتندمج في لغة الشعوب المغلوبة على أمرها . غير ان اللغة العربية استعصت على نكبات الدهر ورسخت رسوخ الجبال الرواسي خلافاً لما انتاب لغات الأقوام الذين اندمجوا في العرب بعد الاسلام كالروم والسريان والاقباط والانباط والصابئة واليهود وغيرهم .

٣ — تأثير القرآن في المسلمين العرب وغير العرب

من روائع تأثير القران ان أئمة المسلمين من غير العرب يرتلونه بلغته العربية ويحافظون على تجويده ويشرحونه لأبناء لغاتهم في أنأى الأمصار . واذا أنعمنا الفكرة في أولئك المسلمين غير العرب ألفينا عددهم يناهز مائتي مليون نسمة وهم منتشرون في أغلب الأقطار شرقاً وغرباً . أعني تركيا وايران وكردستان وكرجستان وافغانستان وبلوخستان . وفي روسيا والبلقان والهند وجاوة والصين واليابان والحبشة وقلب افريقيا وبعض انحاء اوربا واميركا واستراليا .

تلك مزية تفرّد بها القرآن دون سواه من الكتب المنزلة . فالتوراة مثلاً لا يقرأها بلغتها العبرية الا احبار اليهود ونفرٌ ممن تفرّغوا لدرسها . وأما سائر اليهود فان كلاً منهم لا يقرأ التوراة الا بلغة سكان البلاد التي يعيش فيها . وقس عليهم كلّ المسيحيين في انحاء العالم بأسره . فانهم يقرأون الكتاب المقدّس مترجماً الى اللغة الجارية بالاستعمال لدي كلّ شعب او كل ملة منهم . فلا يقرأه بلغاته الاصلية اعني العبرية والسريانية واليونانية الا العلماء فقط وفئة من نصارى الشرق الأدنى وفريق من نصارى الملبار في الهند الانكليزية .

يتضح مما بسطناه ان القرآن هو المصحف الذي جمع كلمة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ولغاتهم وأوطانهم . وأحدث انتشاره تأثيراً كبيراً في أخلاق الشعوب التي دانت بالاسلام وفي عقولهم وآرائهم وميولهم . فأدمجوه في كلّ شأن من شؤونهم دينية ودنيوية . واتخذوه مصدراً لقضائهم ودعامةً لمنازعهم السياسية وسائر أمورهم حتى طعامهم وشرابهم وكسوتهم وعيشتهم المنزلية واعمالهم التجارية .

وتتجلى الصبغة الدينية القرآنية في مؤلفي الاسلام ومؤلفاتهم ولئن كتبوا في مواضيع لا صلة لها بالدين . تشهد على ذلك مصنفاتهم في الفلاحة والفلك والهندسة والجبر والكيمياء والطبّ والفلسفة والتاريخ حتى الصرف والنحو .

وخلاصة القول انّ للقرآن في لغته العربية البحتة تأثيراً عميقاً جداً ، وقد حرص المسلمون بقوّة القرآن وما برحوا يحرصون على سُننه وفرائضه ونوافله في كلياتها وجزئياتها . واعتنوا غاية الاعتناء بضبط سوره وآياته وأجزائه وأحزابه والفاظه وحروفه ونقاطه وحركاته وسكناته . وتوافروا على استقصاء حقائقه ومجازاته وتصاريحه وكناياته ودقائقه ونكاته .

٤ — اجماع الخلفاء والملوك والمسلمين كافةً على تعظيم القرآن

أجمع المسلمون قاطبةً منذ فجر الاسلام على إجلال القرآن . وبالغوا في تكريمه وعنوا بصيانته عنايةً ليس بعدها عناية . فدوّنوه على صفائح من ذهب وفضة وعاج وآبنس . وطرّزوه بأسلاكٍ من قصبٍ على حرير أو قطيفة أو ديباج او ارجوان . ونقشوا آياته على أعمدة المعابد والقصور وعلى جدران المكتبات والدواوين . وعلى الأمتعة والآنية والأسلحة والرايات . وتفننوا في كتابته بأشكال الأقلام والخطوط وأنواع المداد والكاغد وألوان النقوش والزخارف . وعلقوه على صدورهم تيمنًا يتقون به كوارث الدهر ويتعوّذون به من هجمات العدوّ . واتخذوا له قماطر فاخرة وأصونةً نفيسة . واستصنعوا لحفظه من التلف والدثور خزائن بديعة . ووضعوه في محاريب الجوامع ورفعوه على كراسيّ رُصعت بحجارة كريمة وجواهر يتيمة .

وتنافس المسلمون في إجادة كتابة القرآن تنافُسَ غيرهم من الشعوب في فن التصوير . ومرّ بنا ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان كتب أربعة مصاحف بعث بها

الى الآفاق . واقتفى أثره الحجاج بن يوسف الثقفي فكتب نسخاً من المصحف أهداها الى عواصم المملكة[1] . وتعهد الرحالة ابن بطوطة المقصورة العظمى التي يؤمها إمام الشافعية في قِبلة المسجد الأُموي . فشاهد في ركنها الشرقي ازاء المحراب خزانة كبيرة يزينها المصحف الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان الى الشام . ولم تكن تُفتح تلك الخزانة الا كل يوم جمعة بعد الصلاة فيزدحم الناس على لثمه اي ازدحام[2] .

وحوى مِنبر جامع قرطبة بالأندلس مصحفاً من مصاحف الخليفة عثمان . وقد وُشح بحلة ذهبية رُصعت بالدر والياقوت وغُشي بالديباج . ورُكز هذا المصحف على كرمي من العود الرطب مطعم بمسامير من ذهب[3] . وفي السنة ٥٥٢ للهجرة نُقل المصحف من قرطبة الى مراكش بمجالي التكريم والتعظيم . وظلّ في حوزة السلاطين الموحدين حتى قُتل السعيد عليُّ بن ادريس عام ٦٤٥ للهجرة . وكان هذا السلطان قد نقله معه الى تلمسان فنهب المصحف هناك . ثم عثر عليه ملوك بني عبد الواد وظلوا محتفظين به ريثما افتتح إفريقية السلطان ابو الحسن المريني . فاستولى على المصحف وحمله معه في رحلاته وفتوحاته تيمناً . واتفق انه لما قفل بحراً عام ٧٥٠ للهجرة من تونس الى المغرب هاجت عاصفة شديدة أغرقت المراكب بمن فيها من نفوس وما فيها من نفائس . وأخصها وأنفسها مصحف الخليفة عثمان فكان ذلك آخر العهد به[4] .

واشتملت خزائن كتب المسجد الأقصى بالقدس الشريف على أصف مصحف أثري كتبه بالخط الكوفي محمد بن الحسن بن الحسين ابن بنت رسول الله .

وضمت خزانة كتب النجف الأشرف عند ضريح الإمام علي بن أبي طالب نسخة من القرآن خطها ابنه الحسين[5] . وفي السنة ١٩٤٠ سعى السرداد طاهر زين الدين أحد أغنياء المسلمين في الهند لتجديد هذا الضريح ، فاستصنع له خشباً من الآبنس رُصع بخمسين رطلاً من الذهب الابريز وخمسة عشر رطلاً من الفضة الخالصة .

(١) الروزنامة التونسية : سنة ١٣٢١ هـ صفحة ١٤٠ (٢) رحلة ابن بطوطة : جزء ١ صفحة ٥٢
(٣) نفح الطيب : للمقري : مجلد ١ صفحة ٢٥٦ (٤) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى : تأليف احمد بن خالد الناصري : جزء ١ صفحة ١٥٠ (٥) مجلة المقتبس في دمشق : مجلد ٧ صفحة ٩٢٤

وجعل ارتفاعه احدى عشرة قدماً وقطره عشرين قدماً • وبلغ ما أنفقه هذا عليه السردار السخي اثنين واربعين مليوناً من الجنيهات الاسترليفية [١] •

واعتاد ابراهيم بن يمين الدولة سلطان بخارا ان يبعث كل عام الى مكة المكرمة بنسخة من القرآن يكتبها بخط يده • وذكر المقري ان ابا الحسن المريني سلطان افريقية نسخ بيده ثلاثة مصاحف أتحف بها المساجد الثلاثة التي تُشدّ الرحال اليها في مكة المكرمة والمدينة المنوّرة والقدس الشريف • وسطر المريني نفسه الختمات الشريفة بقلمه المجيد المُجدي [٢] • ثم اشترى عقارات بالشام قيمتها عشرة آلاف دينار حبسها على الفقراء وعلى خزنة المصاحف [٣] •

وقرأنا وصفاً لقرآنٍ مستبدعٍ خطه بيده السلطان ابو الحسن المريني المشار اليه وحبسه على الحرم الشريف • وفيه ان هذا السلطان كلف القراء ليضبطوه وأمر الورّاقين ان ينمقوه ويذهبوه • واستصنع له صِواناً ظريفاً من الآبنس والعاج والصندل دبجه بصفائح ذهبية مرصعة بالجواهر والياقوت • وجعل ذلك المصحف في قمطر من جلدٍ فاخر وُشي بخطوط ذهبية وغُلف بوشاحٍ ارجواني [٤] •

وشاهدنا نحن في دار الكتب المصرية مصحفاً قديم العهد قرأنا في آخره انه « بخط الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين ابن الخليفة علي رضي الله عنهم » واطلعنا في تلك الدار عينها على مصحف كُتب برسم « الجايتو » سلطان المغول (٧٠٣ — ٧١٦ هـ) [٥] • في مطلع القرن الثامن للهجرة •

ومن نفائس دار الكتب المصرية أيضاً مصحف محمد بك ابي الذهب والي مصر وأحد زعماء المماليك في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة • كان هذا المصحف محفوظاً في جامع ابي الذهب ازاء الجامع الازهر بالقاهرة ثم ضاع واحتجب عن الأبصار • وفي السنة سبع وستين وثمانمائة بعد الالف ارتحل الخديوي اسمعيل (١٨٦٣ — ١٨٧٩) الى باريس فعثر على هذا المصحف النفيس في متحف اللوفر • واتفق مع أولي الأمر

(١) جريدة البشير : مجلد ٧٠ عدد ٦٠٥٩ سنة ١٩٤٠ (٢) نفح الطيب : مجلد ٢ صفحة ٥٤٧
(٣) تاريخ ابي الفداء : جزء ٤ صفحة ١٤٩ (٤) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى : جزء ١ صفحة ٦٢ — ٦٣ (٥) نبذة عن دار الكتب المصرية لسنة ١٩٣٩ صفحة ٣٦

الفرنسيين على إعادته الى مركزه في مصر • وقد نُسخ المصحف المشار اليه بخط مغربي ويعد آية من الآيات بجمال فنه ودقة صنعه وجودة حبره وقرطاسه •

وامتاز غياث الدين ملك الغورية بخطه الظريف فنسخ مصاحف جمة حبسها على المدارس التي شيدها[1] • وكان السلطان علاء الدين يكتب المصاحف بخطه الحسن ويقفها على المساجد[2] •

وهناك مصاحف أثرية عديدة محفوظة بكل تعظيم واجلال في صروح السلاطين والأمراء وأقطاب المسلمين لا يتسع الوقت لوصفها • وحسبنا الاشارة الى ما احتوته من تلك المصاحف النادرة قصورُ خلفاء بني عثمان وملوك ايران وافغانستان وخزائن نظام حيدر آباد في الهند • نضيف اليها مكتبات الأئمة وهواة الكتب وغلاة الآثار في مختلف الأصقاع والأمصار •

٥ — نسّاخ القرآن ومنمّقوه

روى التاريخ اسماء رهط عظيم من الخطاطين اشتهروا بنسخ المصاحف في العصور الخالية • بينهم سلاطين وخلفاء وأمراء ووزراء وأئمة طبق الآفاق صيتهم • فما عدا من ألمعنا بأسمائهم يطيب لنا ان نذكر سلطان المغرب ابن عبد الحق الذي نسخ ثلاثة مصاحف على رقّ غزال • ولم يزل احدها محفوظاً في خزائن المسجد الأقصى بالقدس الشريف • وهو مجلد طبقاً للفن المراكشي ومكنوز في صندوقة مرصعة بالميناء على الطراز الأندلسي •

واشتهر عن السلطان ناصر الدين ملك الهند والسند المعروف بصلاحه وتقواه انه كان ينسخ المصاحف ويبيعها ويقتات بأثمانها[3] • واثبت ابن بطوطة انه وقف على مصحف محكم الكتابة نسخة السلطان المشار اليه بخطه المتقن[4] •

وتفرّد بنسخ المصاحف علي بن محمد بن مقلة (٣٢٨ هـ) وزير الخليفة العباسي المقتدر

---

(١) تاريخ أبي الفداء جزء ٣ صفحة ١٠٤ (٢) أخبار الدول لابي العباس القرماني: صفحة ٢٨٣

(٣) يذكرنا هذا الخبر بما رواه التاريخ عن ثئوديوس الكبير ملك الروم [٣٧٩ — ٣٩٥ م] انه كان في أثناء الفراغ من شؤون المملكة يكبّ في غرفته على نساخة الكتب ثم يبيعها وينفق اثمانها على معيشته الخاصة • (٤) رحلة ابن بطوطة : جزء ٢ صفحة ٣١

بالله . فقد وجدوا له بخطه الرائع مائة مصحف في مكتبة ابي نصر شابور (٣٢٦ — ٤١٠ هـ) ابن اردشير في الكرخ ببغداد[١] . وفاق ابن مقلة في نسخ المصاحف ابو عبد الله الناسخ . وقد طالعنا عنه في « تاج العروس » انه كتب بخطه الف مصحف . ونسج على منوالها كثير من قدماء الخطاطين كأبي عمر بن قدامة (٥٢٨ — ٦٠٨ هـ) الذي نسخ الكتب الوافرة ولا سيما المصاحف .

وامتاز بنسخ المصاحف وزخرفتها الشيخ محمد نعسان الوردي الحموي في القرن الثالث عشر للهجرة . وأثبت لنا ابن حفيده ان عدد ما نسخه منها أربى على مائة مصحف وجاراه في ذلك ابنه الشيخ مصطفى نعسان وقد أحرز شهرةً واسعةً في تنميق المصاحف ونساخة المصنفات القديمة .

ولم يكُ حظ النساء الخطاطات بأقل من حظ الرجال الخطاطين في تحبير المصاحف . فقد طالعنا في كتاب « مرآة الأدوار » أن الخطاطة « بادشاه خاتون » نسخت من المصاحف الشريفة ما لا نظير له .

وذكر ابن فياض في تاريخه : « انه كان بالربض الشرقي في قرطبة بالأندلس مائة وسبعون امرأة يكتبن كلهن المصاحف بالخط الكوفي » . فاذا كان ذلك كذلك في ربض واحدٍ فكم كان من النساء الكاتبات في جميع أرباض قرطبة التي بلغ عددها ثمانية وعشرين رَبَضاً[٢] .

ويشاهد زائر مكتبة القيروان الشهيرة في زماننا مصاحف قرآنية مزدانة بالزخارف مطعمةً بالذهب نمقها انامل فتياتٍ مسلماتٍ في العصور الغابرة . وكانت تلك الفتيات يتنافسن في تجويد الكتابة وتزويقها ويختمن كل مصحف بهذه العبارة : « هذا من صُنع وقلم فلانة بنت فلان قدمته هدية لخطيبها فلان بمناسبة الاحتفال بزواجها »[٣] . الى غير ذلك من نوادر منمقي المصاحف ومحبريها رجالاً ونساءً .

(يتبع) فيليب دي طرازي

---

(١) معجم البلدان لياقوت الرومي : جزء ٢ صفحة ٢٦٢ والتاريخ الكامل لابن الأثير : جزء ١٠ صفحة ٣

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مجلد ٢ سنة ١٩٢٢ صفحة ٢٦٥ (٣) المكتبات العربية في المملكة التونسية : مخطوطة بقلم البشير الفورتي : صفحة ١١ وهي في خزانة كتبنا .

قلعة شقيف ارنون

هي احدى قلاع جبل عاملة وحصونها الكثيرة التي درس جلها ولم يبق ماثلاً منها مصابراً عبر الدهر ومَثلات الأيام غير قليل يحدث عن ماضيه القديم الحافل بحوادث الغزاة والفاتحين من مختلف الأُمم والشعوب

أما الباقي من هذا القليل ومنه قلعة تبنين على عشرين كيلو متراً من شرقي صور وسواها من بقايا القلاع والحصون فلا نتعرض للبحث عنه وموضوع كلامنا قلعة شقيف ارتون من امنع قلاع البلاد الشامية واكثرها بعد قلعة بعلبك تداولا في كلمات المؤرخين القدماء والمتأخرين ولا تزال لها بقية تنبئ عن عظمتها تملأ العين ايناقاً وابداعاً والقلب اكباراً وإعجاباً

أما جبل عاملة القائمة هذه القلعة الحصينة في القسم الشمالي منه الذي يفصله عن القسم الجنوبي نهر الليطاني المعروف عند جغرافيي العرب بنهر ليطا والمتاخم لشمالي فلسطين منتهى حدوده الجنوبية ونهر الاولى (الفراديس) منتهى حده الشمالي وما بينهما شرقاً وغرباً

فقد كان الى عهد اليعقوبي المتوفى ما بعد التسعين بعد المائتين من الهجرة يعد من جند دمشق ومن كوره فقد جاء في كتابه (البلدان) .. وجبل الجليل (وهو احد اسماء جبل عاملة) وأهلها قوم من عاملة ومن بعض اقسامه صور وقدس كانا يعدان من جند الاردن والقسم الجنوبي من هذا الجبل هو من الجليل العليا وافتتحه مع الكور التي افتتحت من كور الشام ابو عبيدة بن الجراح الصحابي الجليل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة للهجرة . ومن كور دمشق صيدا وهي من جبل عامل وقد ذكرها اليعقوبي ولبنان بعد ذكر كورة جبل عاملة وفي ذلك ما يشعر انها كانت عملاً مستقلاً

طول قلعة الشقيف وعرضها حسب سمت لندن غرينوش

هي عن هاجرة لندن غرينوش في طول شرقي ٤٥ ث ٢٨ ، ٣٥ د وعرض شمالي ٢٢ ، ٣٣

قياس ارتفاعها عن سطح البحر

اختلف في قياس ارتفاعها من ٦٧٠ متراً الى ٧٠٠ متر والقياس الأول هو قياس السائح كيران الفرنسي وبعض المصورات

موقعهـا

واقعة على هضبة مرتفعة يصعد اليها من قرية ارنون على بعد عشر دقائق منها غرباً شمالياً وهي من النبطية قاعدة الشقيف واحدى حواضر جبل عاملة على بعـد سبعة كيلو مترات والنبطية واقعة في الجنوب عن صيدا على بعد ثلاثين كيلو متراً وتحت القلعة الى الشرق وادي الليطاني العميق والجانب الشرقي من تلك الهضبة قائم على خط يكاد يكون مستوياً بعيد المهوى يرتفع عن الليطاني ١٥٠٠ قدم وارتفاع قمة الهضبة عن سطح البحر ٢٢٠٥ أقدام وهي اعلى جميع الهضاب والتلال المجاورة له ماعدا جبل الريحان وجبال هونين

ما كتبه عنها علماء تقويم البلدان

في معجم البلدان لياقوت الحموي : شقيف ارنون بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وفاء وبعد الراء نون ساكنة ثم واو ساكنة ونون أخرى والشقيف كالكهف أضيف الى ارنون اسم رجل اما رومي واما افرنجي وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل ·· وقـال في المشترك : وهو اسم رجل أضيف اليه ويعرف أيضاً بالشقيف الكبير وهو حصن بين دمشق والساحل بعضه مغارة منحوتة في الصخر وبعضه سور · وهو في غاية الحصانة · وعلى القرب منه شقيف آخر يعرف شقيف تيرون بكسر التاء المثناة الى ان قال : وهي قلعة من جهة الأردن على مسافة يوم من صفد في سمت الشمال ·· قال في مسالك الأبصار وليست من بلاد صفد على انه قد عدها في العمل العاشر من اعمال صفد احدى قواعد المملكة الشامية كما نقل ذلك عنه القلقشندي في صبحه · وقال القلقشندي عند ذكره لجبال الشام ومنها جبل عاملة وهو جبل ممتد في شرقي

ساحل بحر الروم وجنوبيه حتى يقرب من مدينة صور وعليه شقيف ارنون نزله بنو عاملة بن سبأ من عرب اليمن عند تفرقهم بسيل العرم فعرف بهم

اسماؤها

اذا كانت كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى فقد حازت قلعة الشقيف هذا الشرف بكثرة اسمائها فهي عند جغرافيي العرب تعرف بحصن ارنون • وشقيف ارنون • والشقيف الكبير • وقلعة الشقيف • والشقيف ويسميها الفرنج بلفورت او بوفرت ومعناهما الحصن الجميل

بناتها وتاريخ بنائها

أما بناتها وتاريخ بنائها فمختلف فيهما اختلافاً عظيماً وكل من كتب عنهما من المؤرخين فيكاد يكون مستندهم محض الظن والاستنتاج شأنهم في كل ما كتبوا عنه من آثار القدماء في هذه الديار وغيرها كقلعة بعلبك وتدمر وسواهما مما لم يسجل بانوه زمن بنائه ومن بناه او انهم سجلوهما وعفى من خلفها اثرهما على ان ذلك لم يكن سبباً لاحجام المولعين بالبحث عن المقارنة والاستنتاج للوصول الى ما تطمئن اليه النفس من امثال هذا البحث

والباحث عن تاريخ قلعة الشقيف وعن بناتها الأولين لا يطمئن الى قول من يذهب الى ان بناتها من الصليبيين وان كان مما لا ينازع فيه ان لهم فيها بعض المنشئات او انهم بنوا جديدهم على قديمها الذي لم يندرس ولو كان الصليبيون بناتها وهم في عهد استفحال التدوين لكليات الأحداث وجزئياتها من العرب ان اغفل الصليبيون تدوين تاريخها لما كان أغفله مؤرخو العرب

أما القول بأن بانيها ارنلد وان إسم ارنون مقطع من اسمه فهو مما لا وزن له بعد ان كان اسم ارنون مما ورد في الكتاب المقدس وهو اسم نهر او ماء يخرج من جبل جلعاد قرب قطرانة وكان يفصل بين ارض موآب وارض الاموريين ويعرف أيضاً باسم الموجب ويروي الامامية حديثاً مرسلاً نقله الشيخ محمد الحر العاملي من اعيان علماء المائة الحادية عشرة للهجرة في كتابه "أمل الآمل حين وصف

جعفر بن محمد الصادق قوماً من الشيعة وسئل عن مكان وجودهم قال : بلدة بالشام : قيل يابن رسول الله ان اعمال الشام متسعة قال : بلدة بأعمال الشقيف ارنون وبيوت وربوع تعرف بسواحل البحر واوطئة الجبال وهذا الامام توفي سنة ١٤٨ للهجرة قبل الغزوات الصليبية بـ (٣٥٠) سنة ونيف

ومثل هذا القول في البطلان قول ياقوت سمي شقيف ارنون باسم رجل اما رومي واما افرنجي وان اسم ارنون سرياني او عبراني ولم يطلق هذا الاسم على رجل بل أطلق على نهر وعلى مسميات اخرى ولعل الاسرائيليين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على هذه القلعة او على موقعها يوم وقعت في سهم اشير من الاسباط

يقول كيران أما مؤسسها الأول فهو مجهول لنا ٠ وأما ما بناه الصليبيون فيختلف في شكله عما بناه غيرهم ولهذا لا يصعب تمييزه ٠ ولا ريب في ان بناءها كان قبل أيام الصليبيين بمدة مديدة الا اننا لم نقف على ذكر لها في التاريخ قبل القرن الثاني عشر للميلاد ٠ ولا يبعد انه كان بعد تملك الرومانيين او البزيطيين سورية وربما كان قبل تلك الأيام أيضاً وقد ذكرها مؤرخو الحروب الصليبية الفرنسيون مراراً باسم بلفرت او بوفرت الا انهم لم يتعرضوا لذكر تاريخ بنائها ولو كانوا هم البانين لها لما سكتوا عنه ٠ ولا يعلم بالتحقيق الذين بنوها أنصارى هم أم مسلمون ٠ ورجح المقتطف ان بناتها الاولين من الرومان بعد الميلاد ويزعم بعضهم انها من بناء الصليبيين وان فيها بناء فينيقياً قديماً

اما دعوى ان بناتها من الصليبيين فيكفي في دفعها مضافاً الى ما سردناه من الأقوال وما استنتجناه من النتائج انهم لم يؤرخوا ذلك ولا ادعوه ويرجع قديم بنائها على الراجح وعلى اختلاف كيفية البناء في العهد الصليبي عن كيفية البناء انها اما من بناء الاسرائيليين ويؤيده التسمية بارنون وبوقوع مكانها في سهم اشير من الأسباط واما من بناء الفينيقيين وقد كانت في حكمهم وفي البلاد التي غلبوا عليها واما من بناء الرومانيين او البيزنطيين وكلاهما قد امتلك بلاد الشام وهي قسم من أقسامها

التعريف بقلعة الشقيف ووصف ابنيتها ومناظرها

لم نرَ بين مؤرخي العرب وجغرافييهم من وصف هذه القلعة الشماء وصفاً ممتعاً معرفاً بعظمتها وجل ما كتبوه ما سبق ذكره آنفاً وهو لم يعرض فيه الى التعريف بأبنيتها الفخمة وأوضاعها الهندسية المحكمة وما اشتملت عليه من فن عقود الأبنية أحد الفنون التي كان للعرب بها فضل المعرفة واذا عرفت ان من مرافقي السلطان صلاح الدين الأيوبي أمثال القاضي الفاضل وهو كاتب ذلك العصر والعماد الاصفهاني وهو من أئمة الانشاء والبلاغة فيه وابن شداد وهو الثقة العدل وعرفت انهم كانوا يحصون عليه انفاسه ولم يغادروا صغيرة ولا كبيرة من اعماله وحروبه ولا حديثاً من أحاديثه الا رووه فكيف احجموا عن وصف هذه القلعة والاشادة بمحاسنها والتنويه بعظمتها التي تستثير كامن القرائح وتدع العي بليغاً والمفحم شاعراً وما كان من جاء بعدهم الا طابعاً على غرارهم ولعل السر في هذا الاحجام منع الغالبين عليها كتاب زمانهم من ذلك لما فيه من دلالة العدو على عوراتها وما يمد له من التمكين من منازلتها ومحاصرتها ومهما يكن من أمر هذا الاحجام والسكوت فانا لم نجد لها وصفاً من سياح الفرنج الذين كثر غشيانهم البلاد من عهد الأمير فخر الدين حتى ولا من فولتاي الذي زار هذه الديار في عهد احمد باشا الجزار وكتب عنها رحلة مطولة جامعة ولعلها كانت في تلك الحقبة وهي في حكم امرائها العامليين الاقطاعيين وهم لم يمكنوا له من زيارتها وهي تجمع اسرار قوتهم الحربية وهم واعداؤهم الكثيرون من رجالات الدولة والأمراء المجاورين في نضال مستمر وان ما كتب عنها لا يمتد العهد به على ما هو المظنون الى ما يجاوز اواسط القرن التاسع عشر الميلادي وهو العهد الذي زار فيه بلاد الشام السائح الفرنسي كيران ولعله هو أول من كتب في وصفها والتعريف بها وهذا تعريب ما كتبه بشيء من التصرف

لهذه القلعة مدخل من الجنوب وشكلها مثلث الزوايا وقياسها ١٦٠ متراً طولاً و ١٠٠ عرضاً تقريباً تحيط بجوانبها آبار محفورة في الصخر ويحميها من الشرق مجرى نهر كبير يسمى نهر الليطاني ينحدر على عدة امتار من حضيضها وفي الجنوب المنفصل

عنها حوض للماء محفور في الصخر وفي الغرب منها صهاريج كلها محفورة في الصخر الصلد مسقوفة بعقود حجرية وفي الشمال منها حوض بعضه منحوت من الصخر وبعضه مبني وجدرانها المحيطة بها منحدرة وفي الداخل من القلعة آبار وأحواض كثيرة كان يجتمع فيها من مياه المطر ما يسد اعواز المحاصرين وهو يبطل ما يتناقله بعضهم من ان في القلعة الى نهر الليطاني نفقاً كان ينقل منه ماء النهر الى القلعة

وهي قسمان قسم منخفض تحده من الشرق هضبة الليطاني وقسم مرتفع مبني على قمة الهضبة على صفحة من الصخر ولا تزال قائمة فيها ابراج من القدم تميل ميلاً عمودياً . وفي القلعة ابهاء (صالات) وحوانيت وغرف متصلة متلاصقة يفصل بينها ممر ضيق مسقف بعقود . وفيها طبقتان ببناء مختلف يستدل منه على قدمها والمتهدم منها نحو ثلاثة ارباعها والقسم المرتفع الممتد الى الجهة الغربية تظهر فيه من الجهة الجنوبية بقايا برجين جميلين مستديرين مبنيين بحجارة كبيرة قائمين على حائط منحدر مبني بحجارة صقيلة يصعب تسلقها . والجهة الغربية عبارة عن جدار عال متناه في الغلظ وركائزه السفلى قائمة على قاعدة من الصخر الطبيعي وهي منضدة من حجارة ضخمة غالبها منحوت واما السافات (المداميك) العليا فهي أصغر من السفلى مما يستدل منه انها حديثة البناء وفيها درج محفور في الصخر متصل بعضه ببعض

وفي دائرة المعارف للبستاني . . وفي الطريق من ارنون الى القلعة بركة كبيرة متينة البناء واقعة على سفح التل وبالقرب منها آثار قرية كانت تابعة للقلعة يحيط بها سور وبرجان مستديران والى الجنوب الغربي منها فسحة من الأرض مستوية يظن انها كانت ميداناً للعساكر (وتسمى الى اليوم الميدان)

ومدخل القلعة الكبير هو من الجهة الجنوبية ولم تزل هناك آثار حوض جميل متصل بالخندق المحفور في حجر صلب في الجهة الغربية وجانب القلعة الجنوبي وليس لباقي جهاتها خندق لان استحالة الوصول اليها من جهة أخرى أغنتها عن ذلك . ثم ان قنة التل ضيقة جداً حتى ان القلعة اعرض منها وكان يدخل اليها على جسر متنقل في جنوبيها . وهناك آثار ابنية يظن انها كانت اصطبلات أقامها الصليبيون .

وبالقرب من الزاوية الشرقية ابنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها

والقلعة مستطيلة وضيقة جداً بحسب الارض التي بنيت عليها فلا مناسبة بين طولها وعرضها . وأما حجارتها فكلها مربعة الزوايا الا انها ليست بكبيرة كالحجارة في القدس وبعلبك ولا محكمة النحت نظيرها الا انها تشبهها مشابهة عامة ووسط وجهها الخارجي خشن غير منحوت وهي الين من حجارة القدس ولذلك قد أثر فيها الهواء مع تمادي الزمان

وفي القلعة عدة ابراج مربعة بارزة . والى الجهة الجنوبية الغربية منها برج مستدير اساسانه مستديرة مائلة ولذلك كله منظر جميل وكان الى شرقي البرج المذكور باب صغير بقنطرة مستديرة من حجارة محكمة النحت ذات نقوش ظريفة وجدران القلعة متينة ومرتفعة وارتفاعها عن الخندق من ٦٠ الى ٨٠ قدماً . وطولها نحو ٨٠٠ قدم وعرضها مختلف لا يتجاوز معظمه ٣٠٠ قدم وكتب عنها بيدكر ووصفها بما لا يزيد على ما ذكر ومع ما في هذا الوصف من الدقة فانه لم يصل الى ما اشتملت عليه من الاسرار ولم يتناول الا ما استطاع الباحث ان يصل اليه ويشاهده وأما ما وراء ذلك فهو مطوي بما فيها من الاحافير التي لم تكشف بعد في ظلمات التراب المتراكم وقد قامت بها في هذه الايام بعض اعمال التنقيب والحفر والاصلاح مما يحمد أثره ولكن لم نقف على ما ظفر به المنقبون مما يلقي الضوء على تاريخها القديم المظلم

بين الاعمال والولايات والنيابات

كانت هذه القلعة تتبع في الادارة سياسة المتغلب على البلاد المجاورة لها من الداخل والساحل فكانت مرة عملاً لبانياس قاعدة وادي التيم واخرى عملاً للقدس . وتارة لصيدا . وطوراً لصفد . وآناً مركزاً لأعمال عظيمة وأحياناً قاعدة لمملكة تنسب اليها (المملكة الشقيفية) وآونة ولاية . وحيناً نيابة . أو محافظة . وقد مرّ انها كانت الى عهد اليعقوبي من اجناد دمشق وكانت تتسع وتضيق رقعة ما يدخل في عملها تبعاً لمقتضيات ادارة الغالب

بين التعمير والتدمير

لم يتعرض مؤرخو العرب لذكر هذه القلعة قبل الحروب الصليبية وفيها قبل عام ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م ولكن وليم اسقف صور ذكرها قبل هذا التاريخ بعشر سنين . وبعض مؤرخي الفرنج وهو كيران رجع بها الى أبعد من هذا التاريخ حيث قال : انها وقعت في قبضة فولك ملك القدس عام ١١٣٩ م ٥٣٩ هـ وعدم ذكرها في غير هذه الحقب لا يدل على انها لم تكن قائمة عامرة في اول امتلاك الصليبيين لها بامتلاك احدى القواعد التي كانت تابعة لها كصيداء وصفد وبانياس وغيرها ولا يستدل من ذلك على انها كانت مستغنية عن الترميم وزيادة التحصين فلا جرم ان ايدي الصليبيين امتدت اليها بعد ان وقعت في قبضتهم بإعادة المتهدم وتجديد الداثر وقام لهم من البناء الجديد ما يتميز عن بنائها الروماني القديم وعن بناء العرب فإن الجهة الغربية كلها مع الزاوية الشمالية والجنوبية الغربية قد بنيت قبل الصليبيين بمدة مستطيلة ومعظم القلعة الآن هو من القسم المذكور وليس فيه من بناء القرون المتوسطة الا آثار قليلة والظاهر ان الصليبيين بنوا اكثر الجهة الشرقية منها ويرى في الوسط كنيسة لاتينية ذات سقف مؤلف من قناطر متقاطعة وبابها الصغير يدخل منه الى الدار الداخلية . وهناك آثار أبنية متصلة بأعلى القلعة كان يدخل منها اليها وهي كسائر قلاع القرون الوسطى في بلاد الشام من بناء كثير من المتغلبين وأهم ابنيتها في العهد الروماني ومعظمها من بناء العرب وفيها معبد أومصلى من القرون الوسطى من الجهة الشرقية

افرغ ارناط (ارنلد) همه في تحصينها اثناء الهدنة التي عقدها وصلاح الدين يوم جاءها محاصراً وسلط عليها أحجار المنجنيق من اعالي الهضبة الشرقية المشرفة عليها من ضفة الليطاني الشرقية .. يقول العماد الاصفهاني في الفتح القسي بعد ان ذكر اجتماع ارناط بصلاح الدين وأعطاه مهلة لتسليمها مدة ثلاثة اشهر .. فشرع ارناط في ازالة حصنه . وازالة وهنه . وترميم مستهدمه . وتتميم مستحكمه . وتوفير غلاله . وتوفية رجاله وفي سنة ١٢٦٠ م ٦٣٧ هـ بنى الفرسان الهيكليون القصر الجديد فيها

على ما يظن وهو الذي ترى انقاضه على بعد بضع مئات الامتار في الجهة الجنوبية .
وقد بقيت بيد الرهبنة الهيكليين الى عام ١٢٦٨ م ٦٦٧ هـ حيث استولى عليها بيبرس بعد حصار شديد ثم رممت واقيم فيها عساكر للمحافظة .. قال كيران استولى بيبرس على محل بلفور وموقعه بين الحصن والقلعة الجديد ويفهم من هذا ان اسم بلفور خاص بهذا المحل او بقرية بناها الفرنسيون بقرب القلعة .. وفي فوات الوفيات لابن شاكر وكانت الشقيف قلعتين متجاورتين فجمع بيبرس بينهما وبنى بها جامعاً وحماماً وديار نيابة وبرج الظاهرية الذي كان مقابلاً للقلعة والمعروف اسمه وموقعه الى اليوم هو نسبة الى لقبه (الظاهر) اما لأنه أحدث بناءه او لأنه اعاد متهدمه

طوى المؤرخون صفحة تعميرها وتدميرها الى أوائل القرن السابع عشر الميلادي والحادي عشر الهجري وهو القرن الذي نبه فيه امر الأمير فخر الدين المعني وشملت امارته قسماً كبيراً من البلاد الشامية ساحلها وجبلها ممتداً من بلاد صفد جنوبا الى انطاكية شمالاً واستولى على كثير من القلاع والحصون من ضواحي دمشق وتصرف في ثلاثين حصناً كانت قلعة الشقيف في جملتها وذلك قبل ان يوغر صدر الدولة العثمانية عليه ولما تنكر له رجالها اهتم في اعداد العدة للمناضلة وتحصين القلاع والحصون فرمم من بينها هذه القلعة وشحنها بالرجال وآلات الحصار والدفاع وامتنعت على المحاصرين فلم ينالوا منها نيلاً الى ان تقلبت الأحوال بالمعني وكثر مقاوموه من الولاة العثمانيين ومن الوطنيين الاقطاعيين وأحزابهم مما اضطره للخروج من البلاد فقضت مشيئة بعض رجال الدولة بتهديم هذه القلعة وسواها عام ١٠٢٥ هـ ١٦١٦ م

ثم وقعت هذه القلعة بيد الصعبيين حكام مقاطعة الشقيف فأقام بها منهم احمد منصور واحمد فارس فعمرا القلعة وأحدثا فيها بوابة وظلت في يد الصعبيين الى عام ١١٩٥ هـ ١٧٨٠ حيث انتهى الأمر ببسط الجزار حكمه على بلاد جبل عاملة بعد مقتل ناصيف النصار من آل الصغير وكبير حكام جبل عاملة وحرص الحرص كله على تهديم قلاعه ومن بينها هذه القلعة أما بعد التهديم فلم تطل غير أعاليها وبعض ابراجها وأما ما تحتها من الأبنية فلم تكن لتنال او تستطال ويقال ان

الجزار نقل بابها الحديدي الى عكاء والشيخ حسن بن فارس الصعبي نقل الى قرية البابلية من اعمال الشوم قسماً من احجارها الملونة زين بها بعض المباني التي احدثها فيها

تداولهـــا بين المتغلبين

انتقلت من الصليبيين الى السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٥ هـ ١١٨٩ م. ومن اسماعيل ملك دمشق تسلمها مع صفد الفرنسيون سنة ١٢٦٠م ٦٣٧ هـ على ان يكونوا عوناً له على ابن اخيه الملك الصالح ايوب • وفي هذه السنة اشتراها رهبنة الهيكليين وصيدا من بوليانس حاكم صيدا وظلت في أيديهم الى سنة ١٢٦٨م ٦٦٧ هـ وهو العام الذي فيه استولى بيبرس عليها بعد حصار شديد ثم تعاقبت عليها أيدي ملوك مصر والشام ولم تفقد شيئاً من حصانتها من عهد بيبرس الى عام ١٤٠٠م ٨٠٣ هـ واستمرت الى هذا الحين متماسكة ممتنعة وكانت ملجأ حصيناً للفارين من بلاد الشام يوم جاءها تيمورلنك غازياً • ثم انتهت الى يد الأمير فخر الدين المعني ثم الى حكام البلاد العاملية ثم الى احمد باشا الجزار نهاية محزنة شوهت جمالهـا وحجبت هلالها وأخيراً وفي هذا العهد الى الجمهورية اللبنانية ولعلهـا تحرص عليها وتجلو محاسنها المحجوبة تحت المتردم من ابنيتها من ركام الأحجار والتراب وتبرزها صفحة لامعة متعة انظار السائحين والزائرين يقرأون فيها ما كان لها من عمران زاخر ومجد تالد وحوادث جسام تعاقبت عليها قروناً متطاولة لا يستطاع تحديدها •

سليمان ظاهر

قبر معاوية بن ابي سفيان

تضاربت الأقوال وتعددت الروايات منذ القديم حتى يومنا هذا عن مكان قبر معاوية بن أبي سفيان منهم من جعله في الحائط القبلي من جامع دمشق في دار الإمارة الخضراء • وهو القبر المنسوب اليه في محلة معاوية بجوار قصر آل العظم من جهته الشرقية • ويزعم غيرهم انه في محلة النقاشات جنوب شرقي الجامع الأموي في الزاوية المعروفة بزاوية السنود • ويرجح آخرون انه في أقصى جنوب تربة الباب الصغير حيث هنالك قبر يزار ويتبرك به يعرف بقبر معاوية • ولم نعثر في مظهر هذه القبور على ما يستدل منه على صحة نسبتها او قدمها مما يرجح معه زعم على آخر • وجميع هذه القبور هي حديثة العهد صنعت من تراب وشيد عليها بيوت جديدة بسيطة الا قبر محلة النقاشات فقد شيد عليه قبة لطيفة أيوبية وهنالك من لا يسلم بواحدة من هذه المزاعم ويعتقد تلفيقها ويحكم بفسادها لأن دولة بني العباس قد نبشت قبور بني أمية ثم حرث مكانها وزرع نحواً من مائة عام[1] • فعفت بذلك آثارها وضاعت معها معالمها •

ولكل من هذه المزاعم أنصار يبرهنون عليها بنصوص تاريخية لا غبار عليها لو قبلت على علاتها • وهكذا نجد أنفسنا أمام وثائق وآراء متضاربة متباينة • يصعب معها الأخذ برأي دون سواه اذا لم يدعم مما يؤيد رجحانه •

ان واجب الباحث المدقق ان يرتاب بصحة أصدق الروايات اذا لم تتعدد مصادرها ورواتها • كما انه ليس له ان يهمل بلا تحقيق رواية او يستخف بها مهما بدت ضعيفة أو سخيفة • وليس لأحد ان يؤيد زعماً أو ينفيه ما لم يضع شتى الروايات في ميزان النقد والتمحيص فيأخذ ما رجحت كفته • وهكذا اهتدى المؤرخون والباحثون للحقائق وأصابوا لباب التاريخ الصحيح • وفازوا باستجواب الحوادث التاريخية مع ما فيها من شوائب وتضليل • فحلوا عقدها واوضحوا غوامضها • ان حوادث التاريخ سلسلة

(١) تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ٢٢٦ • تاريخ الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٦١

حلقات مرتبطة بعضها ببعض غير مستقلة · لها مقدماتها ولها نتائجها · وكل حادث لأيستوفي هذا الشرط جاز لنا الحكم بفساده والطعن في صحته · وقد سلكت على هذا النحو في هذا البحث ملتمساً بعث الحقيقة من بين نصوص موثوقة ومزاعم واهية · عساي ان اوفق بفضل ما جمعته من الوثائق المبعثرة وبإرشاد زملائي الأعلام للوصول الى حقيقة تطمئن لها النفوس وتضع حداً لتبلبل الآراء في هذا الشأن

أجمع المؤرخون ان وفاة معاوية كانت بدمشق ودفن فيها · منهم من عين موضع قبره ومنهم من أغفله وأما النصوص القائلة بدفنه في الدار الخضراء فهي الآتية :

ا — قال المسعودي (المتوفى عام ٣٤٥) : توفي معاوية بدمشق سنة ٦٠ وله ثمانون سنة · ودفن بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير · وقبره مشهور في تلك المقبرة · وقيل بل في الدار المعروفة بدمشق بالخضراء الى هذا الوقت في قبلة المسجد الجامع ···· وان الذي في مقبرة باب الصغير قبره هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية[١] ·

وقد أضعف الشق الأول من هذا النص الشق الثاني ونفاه · ويتبين منه انه لم يشتهر وقتئذ سوى قبره الكائن في مقبرة الباب الصغير ·

ب — وذكر ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١) ما نصه :

وأما معاوية فمختلف في قبره · فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة (القراء) السبع · والأصح ان قبره خارج باب الصغير[٢] ·

وهذا نص واضح لا يحتمل التأويل ·

ج — ونقل ابن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤) الرواية الآتية :

« ولا خلاف انه (أي معاوية) توفي بدمشق ······ ثم دفن فقيل بدار الأمارة وهي الخضراء · وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور[٣] » · ويرجح أيضاً هذا النص دفنه في مقابر باب الصغير ·

د — ونقل ابن قاضي شهبة (المتوفى عام ٨٥١) ما نصه :

« واختلف في قبر معاوية فيقـال خلف حائط المسجد موضع القراء السبع ·

(١) التنبية والاشراف ص ٢٦١ · (٢) التاريخ الكبير المجلد الاول ص ٣٦٥ ·
(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣

والأصح ان قبره خارج باب الصغير والله أعلم » . وهذه العبارة قد نقلت عن ابن عساكر بتحريف طفيف .

هـ — وذكر الحافظ بن طولون (المتوفى سنة ٩٥٣) ما نصه :

« في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة الخضراء قبر معاوية وهو الذي تسميه العامة قبر هود عليه السلام[1] » . وهذا نص متأخر والوحيد الذي انفرد بهذا الزعم .

و — وأورد ابن الحوراني (من أعيان المئة العاشرة) العبارة الآتية :

ومنهم معاوية الذي [دفن] خارج باب الصغير فانه ابو ليلى معاوية الذي تولى نحو أربعين يوماً[1] » . وهذه رواية ضعيفة لا يعرف مصدرها .

ز — وزعم محمود العدوي [من أعيان القرن الثاني عشر] : ان القبر الذي بباب الصغير ويقال له قبر معاوية انما هو قبر معاوية بن يزيد بن معاوية هذا وليس معاوية ابن ابي سفيان . « ويقال ان معاوية بن أبي سفيان مدفون في حائط جامع دمشق خوفاً عليه من الخوارج » . وهذا نص متأخر لا يصح الأخذ به .

ويظهر من النصوص المتقدمة ضعف الرواية القائلة بدفن معاوية في دار الامارة الخضراء . وانما أوردها ثقاة المؤرخين كرواية ثانوية أبطلوها ونفوها .

وأما القبر المنسوب لمعاوية المعروف في محلة النقاشات فلم أهتد الى أي نص يشير اليه . وعليه يمكننا الحكم بفساد هذه الرواية الموضوعة . ولعل وجود هذه التربة المجهولة على مقربة من دار الخضراء حمل بعض الناس على نسبتها الى معاوية لا سيما وقد وجدوا في قدم عهد هذه التربه وحسن مظهرها ما يتفق مع مكانة معاوية من أي تربة أخرى غيرها في جوارها .

وأما روايات دفنه في مقبرة الباب الصغير فكثيرة وافرة ومن عصور مختلفة نورد أهمها:

١ — قال المسعودي [المتوفى عام ٣٤٥] ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق بباب الصغير وقبره يزار في هذا الوقت وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة وعليه بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس[2] » .

(١) الاشارات الى أماكن الزيارات لابن الحوراني ص ١٠ (٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٥٣

٢ — وقال أيضاً ما نصه : « دفن [أي معاوية] بدمشق في الموضع المعروف بباب الصغير وقبره مشهور في تلك المقبرة [١] » . ويؤكد النصان شهرة القبر في ذاك العصر بأنه في الباب الصغير .

٣ — وذكر مؤرخ دمشق الحافظ ابن عساكر [المتوفى عام ٥٧١] العبارة الآتية : « قال ابن الاكفاني أراني الشيخ ابو محمد عبد العزيز بن احمد الكتاني [المتوفى سنة ٤٦٦] قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير وهم معاوية بن أبي سفيان . وفضالة بن عبيد .. وغيرهم وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة وابو الدرداء خارج الحظيرة وأم الدرداء خلفها » . وذكر أيضاً ما نصه : « قال يزيد بن احمد السلمي دفن في مقبرة الباب الصغير من الصحابة والمعروف منهم معاوية . الى ان قال : وأما معاوية فمختلف في قبره فيقال ان قبره خلف حائط المسجد موضع دراسة [القراء] السبع والأصح ان قبره خارج الباب الصغير [٢] » . وجميعها نصوص واضحة نيرة يؤكد فيها ابن عساكر دفن معاوية في باب الصغير .

٤ — وذكر ابن كثير [المتوفى سنة ٧٤٤] ما نصه : « صلى عليه [اي على معاوية] الضحاك بن قيس بعد صلاة الظهر بمسجد دمشق ثم دفن فقيل بدار الامارة وهي الخضراء وقيل بمقابر باب الصغير وعليه الجمهور والله أعلم » . الى ان قال عن رجوع يزيد بن معاوية من حوارين حينما بلغه وفاة والده . « فانتهى [أي يزيد] الى باب توما . فظن الناس انه يدخل منه الى المدينة فأجازه مع السور حتى انتهى الى باب الشرقي فقيل يدخل منه لانه باب خالد . فجازه حتى أتى باب الصغير فعرف الناس انه قاصد قبر أبيه فلما وصل الى باب الصغير ترجل عند القبر ثم دخل فصلى على أبيه بعد ما دفن ثم انفتل . فلما خرج من المقبرة أتي بمراكب الخلافة فركب [٣] » .

٥ — وذكر ابن الحوراني [من أعيان القرن العاشر] ما نصه : « منهم [أي من دفن من الصحابة في باب الصغير] معاوية بن صخر بن ابي سفيان الأموي ...... مات بدمشق ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار ومبني عليه [٤] » .

(١) التنبيه والاشراف ص ٢٦١ (٢) التاريخ الكبير «طبع دمشق» ج ١ ص ٢٦٤ — ٢٦٥
(٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ١٤٣ (٤) الاشارات الى أماكن الزيارات ص ١٠

٦ — وذكر ابن عبد الرزاق الدمشقي [المتوفى سنة ١١٣٨] ما يأتي : « مات معاوية بدمشق على الأصح ودفن بمقبرة باب الصغير وقبره معروف يزار مبني عليه قبة[1] » .

٧ — وذكر مثل ذلك أيضاً البصروي[2]

٨ — وقال احمد العدوي الشهير بالمنيني [المتوفى سنة ١١٧٢] عندما عدد قبور الصحابة في دمشق . « منهم الصحابي الجليل سيدنا معاوية بن أبي سفيان الأموي ..... في مقبرة الباب الصغير . وفي جانب ضريحه من جهة القبلة قبر الصحابي الجليل ابي الدرداء عويمر الخزرجي ..... وزوجته التابعية ام الدرداء الصغرى قبرها الى جانب قبره وعلى رأس قبره حجر مكتوب عليه اسمه . وكان قبره وقبر زوجته ام الدرداء مكشوفين فبنى عليهما السيد محمد المرادي بناء يحيط بهما له باب يفتح للزيارة[3] » .

ان جميع النصوص التي أوردناها هي متسلسلة من القرن الرابع حتى يومنا هذا وتؤكد ان معاوية بن أبي سفيان قد دفن في مقبرة الباب الصغير ولكنها لم تعين الناحية التي دفن فيها ولذلك يتعذر معها تجديد قبره في مقبرة مترامية الأطراف . غير ان ابن عساكر قد خفف عنا العناء وحدد موضع القبر بقوله : داخل الحظيرة مما يلي القبلة . فسهل علينا بذلك البحث وهدانا السبيل القويم . وينطبق هذا التحديد على مكان القبر المنسوب اليوم الى معاوية الواقع في أقصى جنوب مقبرة الباب الصغير أي مما يلي القبلة كما قال ابن عساكر . وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان نشر مقالاً بهذا الموضوع في مجلة مجمعنا العلمي عام ١٩٣٧ ننقل عنه نص الكتابات الموجودة على هذا القبر . الكتابة الأولى هي بخط نسخي من أواخر عهد المماليك نصها : (هذا قبر خال المؤمنين معاوية بن ابي سفيان كاتب الوحي ورديف رسول الله ﷺ) . والكتابة الثانية من العهد العثماني وهي : « هذا مرقد سيدنا معاوية رضي الله عنه . جدد هذا المقام صاحب الخيرات أدنوي الحاج محمد باشا محافظ الشام سنة ١١١٥[4] » .

لا يعدم المرء باباً للطعن في هذه النصوص وهذه الوثائق لما في بعضها من غموض

(١) حدائق الأنعام في فضائل الشام (٢) تحفة الأنام في فضائل الشام (٣) الاعلام في فضائل الشام (٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٥ ص ٤٩٦

وابهام وحداثة عهد . ولكن هنالك وثائق أخرى تزيل الشبهات ويتعذر معها الاشكال والتأويل لما لها من قيمة علمية وقوة استدلال محكمة . فقد عثرنا في تراجم طائفة من الصحابة والتابعين والعلماء والأمراء على انهم دفنوا في عصور مختلفة في مقبرة باب الصغير في جوار معاوية منهم ابو الدرداء وأم الدرداء والوليد بن عبد الملك وابو الفتح المقدسي المتوفى سنة ٤٩٠ واحمد بن السلطان نور الدين زنكي المتوفى عام ٥٤٧ والحافظ بن عساكر صاحب تاريخ دمشق المتوفى سنة ٥٧١ وشمس الدين الصرخدي المتوفى سنة ٧٩٢ وابن رجب المتوفى سنة ٧٩٥ وشهاب الدين احمد النابلسي المتوفى ٩٠٧ وابراهيم الناجي شيخ المحدثين بدمشق . وقد عثرنا صدفة في جوار قبر معاوية على ثلاثة من هذه القبور كانت شواهدها مردومة على عمق أمتار . الأولى منها هي شاهدة قبر ابي الدرداء . ظهرت عام ١٩٣٨ على نحو [٢٠] متراً للجنوب الغربي من قبر معاوية . كتب عليها بخط كوفي من القرن الرابع ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله محمد رسول الله . هذا قبر أبي الدرداء صاحب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنه . » وعثر بجوارها على الثانية وهي شاهدة أم الدرداء . وكتابتها من نوع الأولى ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر أم الدرداء أحد اصحاب [كذا] رسول الله صلى الله عليه وسلم . رضي الله عنها » .

وقد سبق للأستاذ عز الدين التنوخي ان عثر عام ١٩٣٧ لصيق حائط بيت قبر معاوية الجنوبي على قبر عليه شاهدة حديثة العهد كتب عليها اسم ابي الفتح المقدسي وقد اعتمد عليها في مقاله ليثبت بها صحة نسبة هذا القبر الى معاوية . ولكن كتابة هذه الشاهدة الحديثة كانت علة الضعف فيها ولا يمكن للباحث ان يجزم بصحتها . وقد أبت الصدف الا أن تؤيد ما ذهب اليه الأستاذ عز الدين التنوخي . لأنه قد عثرنا بعد أشهر من نشر مقاله على قبر ابي الفتح المقدسي الحقيقي وذلك على نحو [١٥] متراً شرق قبر معاوية وظهر معه على عمق أمتار شاهدة قبره كتب عليها بخط كوفي ما نصه : « بسم الله الرحمن الرحيم . لا إله الا الله . عد للقاء الله . محمد رسول الله . هذا قبر الفقيه الزاهد الامام ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي الشافعي . رحمه الله .

توفي في الحرم سنة تسعين واربعمائة » . وكل ما في هذه الشاهدة يدل على انها شاهدة قبره الأصلية التي عملت عند وفاته . والشواهد الثلاث هي مودوعة الآن في دار الآثار بدمشق .

ويتبين لنا مما تقدم ان مكان قبر معاوية قد اشتهر منذ أقدم عصور التدوين الاسلامي بأنه كان في باب الصغير . (قد عرفه المسعودي في سنة ٣٣٢ ووصفه بأنه عليه « بيت مبني يفتح كل يوم اثنين وخميس » ولو كان أمر تجديد هذا القبر بعد درسه قريب العهد من المسعودي لما أغفل ذكره . وأثبتت النصوص بأن العامة بقيت تكرم قبر باب الصغير وتزوره منذ ذاك العصر الى يومنا هذا . وهكذا حفظ العوام ما غاب عن الخاصة . ولا عجب بذلك لأن العامة خزائن تحوي الغث والثمين . كم من حقائق تاريخية واجتماعية ولغوية وعلمية تداولتها السنة العامة قروناً واجيالاً قبل ان يؤمن بها الباحثون وقبل ان يهتدوا الى صحة مصادرها . والعرب اسبق الأمم باعتماد الروايات والأخذ بها . حتى بالغوا في أهميتها وجعلوا الاسناد من أهم أسس تدوين علومهم الدينية والتاريخية .

وأما القول ان عبد الله بن علي العباسي قد نبش قبور بني أمية وأحرق عظامهم بالنار فهذه رواية لا يحسن قبولها الا بتحفظ كبير لأنها قابلة النقد والتفنيد . وان ذكرها من القدماء المقدسي[1] وياقوت الحموي[2] وابن الأثير[3] وابن العبري[4] وابو الفداء[5] وابن خلدون[6] وابن المارونى[7] وغيرهم[8] . وان جاز لنا التسليم بصحة هذا الحادث فذلك لا ينفي الحقيقة التي توصلنا اليها . لأن وقوع هذا الحادث لا يمكن ان يغيب عن الأذهان ذكرى قبر معاوية لا سيما في مدينة كدمشق اشتهرت في كل أدوارها بتشيعها لبني أمية ووفائها لعهدهم . والأجدر بهذا الحادث ان صح وقوعه ان يقوى في نفوس مستنكريه الحرص على عدم ضياع هذا القبر . لتبقى ذكراه

(١) مروج الذهب جلد ٢ ص ٢١٣ (٢) معجم البلدان [طبع ليبزغ] جلد ٢ ص ٢٩٣ .
(٣) تاريخ الكامل ج ٥ ص ١٦١ (٤) مختصر الدول ص ٢٠٧ (٥) المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ٢١٢ (٦) كتاب العبر ج ٣ ص ١٣٣ (٧) تتمة المختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٩٢ (٨) روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر لابن الشحنة المطبوع على هامش الجزء [١١] من تاريخ الكامل لابن الأثير ص ١٥٣ .

عالقة في أذهانهم ماثلة لأعينهم . فيتناقلوا خبره جيل بعد جيل الى ان سنحت لهم الفرصة فجددوا فيها قبر معاوية على النحو الذي وصفه لنا المسعودي عام ٣٣٢

ومما لا ريب فيه انه كان لبني أمية تربة خاصة بهم وهي التي درسها العباسيون وحرثت وزرعت بعد ذلك نحواً من مئة سنة كما ذكره ياقوت الحموي . وأعتقد ان مساحة هذه التربة كانت ضيقة جداً ولا تتجاوز مساحتها (١٠٠٠) متر مربع أي ما يساوي مساحة باحة المدرسة العادلية . وهذه المساحة واسعة بالنسبة لقلة عدد خلفاء بني أمية وعدد من دفن منهم فيها . والمعروف ان نصفهم اي سبعة منهم ماتوا ودفنوا بعيدين عن دمشق . ولو أضفنا الى ذلك ما اشتهر عنهم من قلة الذرية وقصر عهد ملكهم لأصبنا الحقيقة في استنتاجنا هذا . وقد بلغ عدد خلفاء بني أمية اربع عشرة خليفة وحكموا ثلاثاً وتسعين سنة فقط مع انه قد طال حكم الفاطميين مائتين وثمانية وستين سنة وعددهم يساوي عدد خلفاء بني أمية . ولذلك لا يمكن ان يغيب عن الأذهان في مثل هذه التربة الضيقة آثار قبر مشهور كقبر معاوية مهما تعمد اعدائه في محوى آثاره .

ان الذي حملني على هذا البحث هو استنكار الناس الحالة التي عليها اليوم قبر معاوية وإهمال أمره حتى أصبح حقيقة عرضة للضياع والاضمحلال . ولذلك ارجو من مجمعنا العلمي ان ارتاح لما توصلت اليه في بحثي هذا وسلم بصحة نسبة هذا القبر الى معاوية ان يعمل لصيانة هذا القبر ويدعو الأمة حكومةً وشعباً للمساهمة في تجديد قبر معاوية وتشييد ضريح يليق بمكانة هذا الرجل العظيم كاتب وحي رسول الله ومؤسس أعظم دولة عربية عرفها التاريخ .

وبعد تقديم هذا البحث الى الطبع . تفضل الاستاذ الشيخ راغب افندي الطباخ وأرشدني الى نص عثر عليه في تاريخ القرماني ص ٢٦٢ نقلاً عن نجوم الزاهرة وهو : « ان احمد بن طولون قدم دمشق في سنة ٢٧٠ وعمر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل وجعل فيها القراء » . وأما عبارة النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٤٧ فهي : « وفيها (أي سنة ٢٧٠) بنى احمد بن طولون على قبر معاوية بن أبي سفيان أربعة أروقة . ورتب عند القبر أناساً يقرؤن القرآن ويوقدون الشموع عند القبر » .

جعفر الحسني

دار الحديث السكرية

يهم أنصار الامام تقي الدين احمد بن تيمية بالبحث عن المدرسة التي كان يقطنها ويدرس فيها بعد أبيه . واذا رجعنا الى كتب التاريخ والتراجم والطبقات لانجد ذكر هذه المدرسة يتردد إلا نادراً في حين أننا نجد لغيرهـا من دور الحديث والمدارس عشرات المرات من الذكر . وهذا يدلنا على خمول اسم هذه المدرسة وعدم وجود شأن لها وان سبب انتشار ذكرها – قليلاً – هو سكنى الامام تقي الدين احمد وأبيه عبد الحليم بن تيمية فيها ومع ذلك فالذين ورخوا مدارس دمشق كانت معلوماتهم ضئيلة عنها .

فالنعيمي في تنبيه الطالب والعلموي والبقاعي في مختصريهما للتنبيه يقولون انه كان بها خانقاه ، ويتفق النعيمي والعلموي على أن الذين درسوا فيها هم عبد الحليم بن تيمية ثم ابنه احمد شيخ الاسلام ، ثم الحافظ الذهبي ثم صدر الدين سليمان بن عبد الحكم المالكي ويتفقون جميعاً على أنهم لم يطلعوا على ترجمة واقفهـا . ومعنى هذا أن تاريخ انشائها مجهول لديهم .

موقعها

يذهب بعض الباحثين في عصرنا الى أنها واقعة في سوق السكرية وانها هي المسجد المسمى اليوم بمسجد السادات الكائن في سوق مدحت باشا لأن قبليه يتصل بسوق السكرية أما سوق السكرية فهو السوق الذي فيه باب جامع السنانية الشمالي . وهذا الرأي لا يستند الى نص تاريخي وغاية ما فيه التشابه في التسمية في حين ان دار الحديث السكرية منسوبة لشرف الدين بن سكر أحد الأمراء ، وسوق السكرية عرف بذلك لاختصاص باعة السكر به منذ خمسين عاماً والفرق بين النسبتين ظاهر

موقعها الحقيقي

ان المدرسة الخيضرية (المشهورة في عصرنا بالخضيرية) تعين لنا موقع دار الحديث السكرية وموقع القصاعين تماماً . فالنعيمي والعلموي والبقاعي متفقون على ان دار

الحديث السكرية بالقصاعين وان المدرسة الخيضرية هي شمالي دار الحديث بالقصاعين أيضاً واذ لم يكن لنا بالقصاعين دار حديث غير السكرية تعين ان تكون هي المرادة وتعين ان تكون واقعة قبلي الخيضرية . واذا رجعنا الى تاريخ ابن عساكر نراه يشير الى انه كان في مكانها مسجد فهو حينما يعدد المساجد التي قبلي دمشق يقول : مسجد في درب القصاعين سفل عن يسار الداخل . ولو ذهب الانسان اليوم الى القصاعين (حارة الخضيرية) لوجد على يسار الداخل اليها مسجداً هو (الخيضيرية) واذا كانت (الخيضيرية) بنيت عام (٨٧٨) شمالي السكرية اتضح لنا ان السكرية هي مكان المسجد الذي أشار اليه ابن عساكر . ولدينا وثيقة أخرى تثبت ان السكرية قامت مكان مسجد قديم . فعند أحد أصدقائنا نسخة من مختصر تنبيه الطالب للعلموي بخط الشيخ رمضان العطيفي المترجم في تاريخ المحبي كتب على هامشها ما يلي : ان السكرية جددت في أيام الظاهر بيبرس وقد وقفها زكي الدين احمد بن طلائع على الامير شرف الدين بن سكر ثم من بعده مسجداً ودار حديث ووقف عليها اوقافاً وافية على شيخ امام بها من أي المذاهب ، ومؤذن وستة نفر يستمعون الحديث على الشيخ وذلك في شهر جمادى الاولى سنة (٦٧٤) ومن الغريب ان يكتب هذا النص على هامش مختصر تنبيه الطالب ولا يطلع عليه النعيمي ولا من اختصر كتابه . ولم يشر الى هذا النص ابن كثير في تاريخه مع كثرة تتبعه لأمثال هذا البحث . والراجح ان هذا النص صحيح وان لم نعرف مصدره الأول . ومهما يكن فانه يرشدنا الى الزمن الذي تحول فيه المسجد الذي ذكره ابن عساكر الى دار حديث مادام هذا النص يقول عنها : انها جددت

ولدينا وثيقة ثالثة وهي رسالة خطية ضمن مجموع رقم (١٢٨) من مجاميع دار الكتب الظاهرية بدمشق واسمها (السكرية في السكرية) لمؤلف مجهول وخلاصة الرسالة هي : انه في سنة (٧٨٥) اي بعد تجديد بنائها أيام الملك الظاهر بـ [١١١] سنة كان المدرس فيها والناظر عليها الحافظ عبد الرحمن بن رجب

الحنبلي [1] فجاء شمس الدين محمد بن عبد الكريم التدمري من أكابر تجار دمشق وأعيانهم ومن محبي الشيخ تقي الدين بن تيمية الفقيه الحنبلي وكانت داره مجاورة لدار الحديث السكرية التي تداعى بعض بنائها والبعض الآخر كان بحالة رثة يستدعي الهدم والتجديد — وطلب من قاضي القضاة الحنبلي شمس الدين المشهور بابن التقي المقدسي [2] الكشف عن هذه المدرسة والاذن له بهدمها وتوسيعها وعمارتها من جديد فجاء اليها القاضي المذكور ومعه المعمارية المهندسون : المعلم محمد بن العطار معمار الجامع الاموي ، وابن الفارقي ، وابن الزلباني وشاهدوا اشراف بعض الاماكن على الانهدام، واحتياجه الى الفك فأمر القاضي بكتابة محضر بصورة الحال

والظاهر ان ابن التدمري بعد ان جدد بناء هذه المدرسة ووسعها اراد ان يصير ناظراً عليها، فمنعه من ذلك الناظر الأصلي وهو ابن رجب الحنبلي ولم يستطع ابن التدمري أخذ حكم من القضاة بنصب نفسه ناظراً عليها فالتجأ الى مؤلف هذه الرسالة — المجهول اسمه لدينا — فألفها له ليثبت ان الحق مع ابن التدمري . ويصف في هذه الرسالة عمارة المدرسة وهيأتها القديمة والحديثة بما لا يخرج عن محضر القاضي ، ويناقش مناقشات فقهية دقيقة . ويأتي بنصوص كثيرة مختلفة تتعلق بأحكام الوقف وأحكام هدم المساجد وعمارتها مما يدل على طول باع مؤلفها

ونحن نثبت هنا المحضر الذي شهد به المهندسون وصدق عليه القاضي لما له من القيمة القضائية والتاريخية . فهو وثيقة تاريخية عن محاضر القضاة وأصولها في ذلك العصر يتضمن أشياء غير قليلة عن هيئة المدرسة قبل عمارتها . ويصفها وصفاً دقيقاً بعد العمارة كأن الانسان يشاهدها . ويتضمن أيضاً أشياء تاريخية مما يتعلق بدمشق وبعض اصطلاحات معمارية واسمائها في ذلك العصر وهذه صورة المحضر :

(١) لم يذكر النعيمي ولا متابعوه عن ابن رجب شيئاً في المدرسة السكرية وهذا مما فاتهم . وابن رجب من أشهر أعلام القرن الثامن ومؤلفيهم ومن أشهر مصنفاته طبقات الحنابلة التي ذيل بها على طبقات ابن ابي يعلى . ويذكر ابن العماد انه كان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين توفي سنة (٧٩٥)

(٢) هو القاضي شمس الدين محمد بن تقي الدين عبدالله بن محمد بن محمود بن احمد بن عفان المرداوي الحنبلي ناب في القضاء ثم استقل به وتوفي في رمضان سنة (٧٨٩)

وقف بالاذن العالي القضائي السامي من يضع شهادته أو يوضع عنه من المعارية والمهندسين أولي الخبرة بالعمائر على جميع المدرسة بمحلة القصاعين بدمشق المعروفة قديماً بدار الحديث السكرية المشهورة بشيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية التي حدها كذا[1] فوجدوا هذه المدرسة ضيقة حرجة على المصلين والمنتفعين بها من أهلها وغيرهم ووجدوا بابها مربعاً واطياً ينزل اليها منه في أربع درجات . وعتبته العليا نازلة واطية جداً لا يدخل الداخل منه الا مطأطئاً رأسه بحيث يحصل للداخل مشقة . ووجدوا ايوان هذه المدرسة القبلي صغيراً يضيق بالمصلين والمحراب لطيف جداً لا يسع الامام واذا تأخر الامام عنه ساوى المأمومين في الصف[2] . ووجدوا جدران هذه المدرسة من القبلة والشرق وسقوفها مشعثة محتاجة الى تجديد عمارة وفك واعادة ووجدوا أرض هذه المدرسة نازلة عن الطريق بمقدار ذراع ونصف بغير حاجة ولا ضرورة الى نزولها لأن ماءها عال عليها ، وفي هبوطها ونزولها ضرر عليها وعلى أهلها والمصلين بها وخصوصاً على جدرانها لنداوة الأرض ، ووجدوا هذه المدرسة لا طهارة لها يومئذ ينتفع بها أهلها ولا المصلون بها ، ووجدوا على ظهر هذه المدرسة حجرتين عتيقتين حرانيتين[3] مفمنين على المدرسة مضرتين بها محتاجتين الى فك وتجديد عمارة . والى جانب هذه المدرسة من الشرق قاعة مختصة بملك الفقير الى الله شمس الدين محمد بن التدمري وعلى هذه القاعة حجرة فاذا فك جميع عمار هذه المدرسة سفلاً وعلواً وأضيفت القاعة المختصة بابن التدمري الى هذه المدرسة توسعة لها وعمل ايوان هذه المدرسة شرقاً وغرباً سبعة اذرع ، وعرضاً : قبلة وشاما اربعة أذرع ونصف ، وعمل الحائط القبلي الى نهايته بحجارة صفر وبيت سيمي مثل وجه الحائط القبلي وفي كل واحد من جانبي هذا الايوان الشرقي والغربي بيت وجهه نسبة الحائط القبلي نصيف (نظيف) وفتح في كل بيت منها ضوايات الى الطريق . وعمل ظهر الحائط القبلي بحجارة بيض وعمل علو المحراب في الحائط القبلي قمريات

(١) هكذا في الأصل لم يذكر حدودها (٢) يؤخذ من هذه العبارة ان الايوان المذكور لايتسع الاالصف واحد من المصلين (٣) مهملة في الأصل فيحتمل قراءتها خرابتين ويحتمل حرّانيتين نسبة لحران اما لكونها على طراز بناء حران أو نسبة الى الحرانيين الذين نزلوها : ابن تيمية وأبيه

ينجر منها الضوء الى الايوان المذكور . وعمل تجاه هذا الايوان القبلي ايوان شامي يحاكيه في ارتفاعه وطوله شرقاً بغرب ، ويكون عرضه قبلة بشام ذراعين . وعمل في كل واحد من جانبيها الشرقي والغربي صِفَةٌ صُفَّة وعمل لكل واحد من الايوانين القبلي والشامي والصفتين الشرقية والغربية جبهات حجارة سود وحمر مجلية . ولكل واحد من الايوانين والصفتين قنطرة حجارة حمر وصفر وسود وأبيض بيت سيمي . وفك الرخام الذي بوسط هذه المدرسة وعمل مكانه بلاط احمر مجلي . وعملت البركة بحجارة حمر مجلية ودبشت أرض هذه المدرسة وارتفعت حتى تقارب أرض الطريق وتساوي الطريق اذا بلطت وتتساوى ارض المدرسة والطريق ويزول الاحتياج الى الدرج . ونقل باب المدرسة من مكانه الذي هو الآن في جهة الشام مكان باب المطلع الى ظهرها الموجود يومئذ وعمل مربعاً عالياً متسعاً يدخل منه الى المدرسة بغير كلفة ولا حرج وعمل شباك غربي يطل الى الطريق من الصُفّة الغربية ارتفاعه ثلاثة أذرع وعرضه ذراع ونصف كل هذه الأذرع بالذراع القاسمي . وعمل لهذه المدرسة طهارة شرقية يتطرق اليها من باب فيما بين الايوان الشامي والصفة الشرقية مقابل باب المجاز يدخل منه في دهليز من وراء الصفة الشرقية يكون في هذه الطهارة بيتان ويجري الماء اليها من ماء القاعة المذكورة المختصة بملك شمس الدين ابن التدمري ، ومن فائض بركة المدرسة وعمل على ظهر هذه المدرسة بعد اضافة القاعة المذكورة اليها حجرتان احداهما كبرى شامية بمطبخ ومرتفق كاملة المنافع ، والأخرى قبلية بمنافع ومرافق ويبقى بقية ظهر المدرسة كشفاً من الجهات الأربع لانتفاع أهل المدرسة وتكثير الضوء من العراقية ، ووجدوا أيضاً لهذه المدرسة جناحين بارزين قبلةً وغرباً ببرمقتيات ومرسل بروز الجناح القبلي في شرقه ذراع واحد وفي غربه ذراع ونصف . وبروز الجناح الغربي البرمقتيات ذراع ونصف والمرسل ذراع ويشهدون مع ذلك ان الفقير الى الله شمس الدين بن التدمري اذا تبرع بالقاعة المذكورة المختصة بملكه وأضافها الى هذه المدرسة وعمل هذا العمل المذكور على الوجه المذكور والصفة المشروحة من ماله متبرعاً به ابتغاء وجه الله ومرضاته ورجاء لثوابه كان في ذلك حظ ومصلحة له وللمدرسة ولأهلها والمصلين

بها والمنتفعين بها وكان لشمس الدين ابن التدمري الأجر الجزيل هذه صورة ما وجدوا وذلك في شهر المحرم سنة خمس وثمانين وسبعمائة . وخط المعاربة :

وقفت على ذلك والأمر كما شرح له
كتبه محمد بن محمد العطار معمار الجامع الاموي
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقف على ذلك وشهد بمضمونه
المعلم احمد بن محمد بن عبد الرحمن
الزلباني وكتب عنه باذنه
خط القاضي : شهد عندي بذلك

وقفت على ذلك وشهدت بمضمونه
كتبه احمد بن عثمان الرقي معمار الجامع
خط القاضي : شهد عندي بذلك

صورة خط القاضي في الهامش توقيعاً للمسجل

أشهد بثبوت ما قامت به البينة فيه والاذن للخواجا شمس الدين المسمى فيه في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح فيه مع العلم بالخلاف . كاتب المحضر المذكور هو الشيخ تقي الدين بن عبد الله بن عبد الرحمن الحنبلي امام المدرسة السلامية بدمشق وهو المسجل على القاضي ومقتضاه : اشهدني قاضي القضاة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام تقي الدين عبد الله المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق انه ثبت عنده مضمون المحضر المذكور بشهادة المعاربة الذين اعلم على اسمائهم ثبوتاً شرعياً وانه اذن للخواجا شمس الدين محمد بن التدمري في عمل ذلك بعد التزامه بتكميل ذلك وعمله على الوجه المشروح مع علمه بالخلاف بين العلماء فيما فيه الخلاف من ذلك في صفر سنة خمس وثمانين وسبع مائة

هذا نص ما وجدناه في الكتاب الخطي المسمى بالسكرية في السكرية اثبتناه لما فيه من طرافة تاريخية فهو يمثل لنا دار الحديث السكرية خير تمثيل قبل تجديد بنائها وبعده ، ويحفظ لنا ألفاظاً عديدة كانت مستعملة في ذلك العصر كالقمرية والضوّاية والعراقية وبيت سيمى للقرية الشهيرة ببسيما ودبش الأرض والبرمقيات ، ويصور لنا السكرية مدرسة ضيقة صغيرة قبل تجديدها وبعده ومن مجموع صفاتها نستطيع ان نقول انها تشبه من جهات عديدة دار القران الخيضرية خصوصاً مساحتها وايوانيها القبلي والشمالي ومدخلها . وبعد فلم يبق للسكرية أثر في عصرنا وأصبحت داراً من الدور وموقعها قبلي جامع الخضيرية قرب باب الجابية كما تقدم

محمد احمد دهمان

مخطوطات ومطبوعات

الإمتاع والمؤانسة

تأليف أبي حيان التوحيدي صححه وضبطه وحققه الأستاذان احمدامين بك واحمد الزين

طبع في القاهرة سنة ١٩٤٤ في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الجزء الثالث ص ٢٣٠ عدا الفهارس

صدر هذا الجزء وهو الأخير من كتاب الإمتاع والمؤانسة (راجع الكلام على الأول والثاني في م ١٦ ص ٣٦٣ وم ١٧ ص ٥٤٤ من هذه المجلة) وفي هذا الجزء كطريديه كل ممتع من أحاديث ابي حيان مع الوزير ابن العارض في الاربعين ليلة التي سامره بهـا . ومن أهم ما في هذا الجزء ما نقله المسامر من وصف أحد البلغاء للتجار وقوله لا يوجد الأدب الا عند الخاصة والسلطان ومدبريه وأما اصحاب الأسواق فانا لا نعدم من أحدهم خلقاً ذمياً الى آخر ما قال فيهم [ص ٦١] وقول الوزير له : ان كان هذا الواصف عنى العامة بهذا القول فقد دخل في وصفه الخاصة أيضاً فوالله ما اسمع ولا أرى هذه الاخلاق الا شائعة في أصناف الناس من الجند والكتاب والتناء [الأعيان] والصالحين وأهل العلم لقد حال الزمان الى أمر لا يأتي عليه النعت ولا تستوعبه الأخبار وما عجبي الا من الزيادة على مرّ الساعات .

ومن أجمل ما فيه قول الوزير [ص٨٥] «انه ضاق صدره بالغيظ» لما يبلغه عن العامة من خوضها في حديث الأمراء وسيرتهم وتتبع أسرارهم وانه همَّ في الوقت بعد الوقت بقطع السنةٍ وأيدٍ وأرجلٍ وتنكيلٍ شديدٍ لعلّ ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة ويقطع هذه العادة . وقول أبي حيان ان عنده جوابين فيهما بعض الغلظة وقال ان الحق مر ومن توخى الحق احتمل مرارته فأراده الوزير على ايرادهما وقال : ليس يُنتفع بالدواء الا بالصبر على بشاعته وصدود الطبع عن كراهته فكان الجواب الأول مقتبساً من كلام شيخه ابي سليمان المنطقي وفيه تحليل سر خوض الناس في أمور الحكام وخلاصة الجواب الثاني ما رواه جماعة من الصوفية قصدوا الى جماعة

من الزهاد في أيام الفتنة بخراسان وسؤال هؤلاء لأول ساعة عن الأخبار وما كان من الفتنة واستغرابهم ان يهتم أمثالهم لمثل هذه الأمور الدنيوية ، وكشف ابي الحسن العامري الفيلسوف لهم سر ذلك لما سألوه حلّ هذا الاشكال وكل ذلك ببيان عجيب يفهم منه روح ذاك العصر .

ومما حمله هذا الجزء فصل ممتع في الإرادة والاختيار والنفس تتشربه النفوس مهما كانت بعيدة عن معاناته لأنه كتب بذوق متناه . وسأل الوزير ليلة : من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افترقوا هذا الافتراق وتباينوا هذا التباين وخرجوا الى التكفير والتفسيق واباحة الدم والمال ورد الشهادة واطلاق اللسان بالجرح والقذع والتهاجر والتقاطع . فكان الجواب : ان المذاهب فروع الأديان والأديان أصول المذاهب فاذا ساغ الاختلاف في الاديان وهي الأصول فلم لا يسوغ في المذاهب وهي الفروع . فقال : ولاسواء الأديان اختلفت بالأنبياء وهم أرباب الصدق والوحي الموثوق به والآيات الدالة على الصدق وليس كذلك المذاهب . فقيل : هـذا صحيح ولا دافع له ولكن لما كانت المذاهب نتائج الآراء والآراء ثمرات العقول والعقول منائح الله للعباد وهذه مختلفة بالصفاء والكدر والكمال والنقص وبالقلة والكثرة وبالخفاء والوضوح وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والافتراق وان كانت منوطة بالنبوة . وبعد فما دام الناس على فطر كثيرة ، وعادات حسنة وقبيحة ، ومناشئ محمودة ومذمومة ، وملاحظات قريبة وبعيدة ، فلا بد من الاختلاف في كل ما يُختار ويجتنب ولا يجوز في الحكمة ان يقع الاختلاف فيما جرى مجرى المذاهب والأديان ، الا ترى ان الاتفاق لم يحصل في تفضيل أمة على أمة ولا في تفضيل بلد على بلد ولا في تقديم رجل على رجل ، ولو لم يكن في هذا الأمر الا التعصب واللجاج والهوى والمحك والذهاب مع السابق الى النفس والموافق للمزاج والخفيف على الطباع والمالك للقلب لكان كافياً بالغاً بالانسان كل مبلغ . وشيخنا ابو سليمان يقول كثيراً ان الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم وليس فيه « لم » و « لا » و « كيف » الا بقدر ما يؤكد أصله ويشد ازره وينفي عارض السوء عنه لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك

ويقدح في الفرع بالتهمة . قال وهذا لا يخص ديناً دون دين ولا مقالة دون مقالة ولا نحلة دون نحلة بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ونفى الطباع وقلب الأصل وعكس الأمر وهذا غير مستطاع ولا ممكن .

ومما كتب به التوحيدي الى الوزير وهو ما يستدل منه انه كان سفير خير قوله يجب على كل من آتاه الله رأياً ثاقباً ونصحاً حاضراً وتنبهاً نافعاً ان يخدمك متحرياً لرسوخ دعائم المملكة بسياستك وريادتك قاضياً بذلك حق الله عليه في تقويتك وحياطتك . واني أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة — ولعلها دون العشرة — يؤثرون لقاءك والوصول اليك لما تجن صدورهم من النصائح النافعة والبلاغات المجدية والدلالات المفيدة ويرون انهم اذا أهلوا لذلك فقد قضوا حقك وأدوا ما وجب عليهم من حرمتك وبلغوا بذلك مرادهم من تفضلك واصطناعك وتقديمك وتكريمك والحجاب قد حال بينهم وبينك ولكل منهم وسيلة شافعة وخدمة للخيرات جامعة منهم — وهو أهل الوفاء — ذوو كفاية وأمانة ونباهة ولباقة ومنهم من يصلح للعمل الجليل ولرتق الفتق العظيم ، ومنهم من يمتع اذا نادم ويشكر اذا اصطنع ويبذل المجهود اذا رفع ومنهم من ينظم الدر اذا مدح ويضحك الثغر اذا مزح ومنهم من قعد به الدهر لسنه العالية وجلابيبه البالية فهو موضع الاجر المذخور وناطق بالشكر المنظوم والمنثور ومنهم طائفة أخرى قد عكفوا في بيوتهم على ما يعنيهم من أحوال أنفسهم في تزجية عيشهم وعمارة آخرتهم وهم مع ذلك من وراء خصاصة مرة ومؤن غليظة وحاجات متوالية ولهم العلم والحكمة والبيان والتجربة ولو وثقوا بأنهم اذا عرضوا انفسهم عليك وجهزوا ما معهم من الأدب والفضل اليك حظوا منك واعتزوا بك لحضروا بابك وجشموا المشقة اليك لكن اليأس قد غلب عليهم وضعفت منتهم وعكس أملهم ورأوا ان سف التراب أخف من الوقوف على الأبواب اذا دنوا منها دفعوا عنها فلو لحظت هؤلاء كلهم بفضلك وادنيتهم بسعة ذرعك و كرم خيمك وأصغيت الى مقالتهم بسمعك وقابلتهم بملء عينك كان في ذلك بقاء للنعمة عليك

وصيت فاش بذكرك وثواب مؤجل في صحيفتك وثناء معجل عند قريبك وبعيدك والأيام معروفة بالتقلب والليالي ماخضة بما يتعجب منه ذو اللب والمجدود من جُدَّ في جده اعني من كان جده في الدنيا موصولاً بحظه من الآخرة ولأن يوكل العاقل بالاعتبار بغيره خير من أن يوكل غيره بالاعتبار به . ايها الوزير اصطناع الرجال صناعة قائمة برأسها قل من بني بربطها أو يتأتى لها او يعرف حلاوتها وهي غير الكتابة التي تتعلق بالبلاغة والحساب .

وفي هذا الجزء كثير من درر الأقدمين خليقة بأن يتنافس في اقتنائها وينظر فيها الدارسون نظر تأمل وتفكير ونكرر ثناء للأستاذين الناشرين وللجنة التأليف والترجمة والنشر التي أخرجت الكتاب في هذا الوقت الصعب على أحسن ما يجب نشره للناس ورجاؤنا ان توفق الى نشر أمثاله خدمة للآداب وإحياء لآثار أجدادنا

محمد كرد علي

ابن الرومي : حياته من شعره

عباس محمود العقاد

لم يقص الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : ابن الرومي ، قصة هذا الشاعر ولا سرد أخباره على نحو ما تُقص القصص وتسرد الأخبار عادةً ، مجرَّدة من عناصر الحياة ، وانما صوَّر الأستاذ العقاد شاعره ابن الرومي تصويراً ، والصورة اذا لم تكن ناطقة كانت غير بارعة ، ولكن الأستاذ العقاد جمع لصورته عناصرها كلها ، فلم يفته شيء من خطوطها وألوانها ، ولا من ظواهرها وبواطنها حتى أصبحت صورته كأنها جسم حي وكأنها روح ناطقة .

شرع الأستاذ في وصف عصر ابن الرومي ، فوصفه وصفاً أقل ما يقال فيه ان القارئ يحس بأنه من أهل ذلك العصر يشهد آثار الغضب والفتك والدسائس في الدولة ، ويلمس آثار الترف واللهو في المجتمع ، وعلى الجملة فإن العصر الذي عاش فيه ابن الرومي انما هو عصر سلب وغيلة واغتنام فرص وانتهاب لذات وشك وتشعب ، ولكن من محاسن ذلك العصر صلاحه لعبقرية شاعر مثل ابن الرومي لأنه عصر حيّ حافل بأشتات الحياة وألوان الاحساس .

ولم يقتصر الأستاذ العقاد على مجرّد وصف العصر الذي عاش فيه ابن الرومي وانما وضح الصلة بين الشاعر وبين عصره فلم يكن ابن الرومي غريباً عما كان يجري في عصره من سفك دم أو من ذوق لذة وغير ذلك وانما كان شعره في بعض المواطن مرآة ثورة أو لذّة .

وعلى هذا النحو من التوضيح والتفصيل سار الأستاذ العقاد في اتمام صورة ابن الرومي ، فما كان يخرج من فصل عصره حتى يدخل في فصل أخباره وما كان يخرج من فصل أخباره حتى يدخل في فصل حياته وكل همه في هذه الفصول ان تكون صورة ابن الرومي كاملة غير مشوّهة ، ناطقةً غير جامدة ، مشرقة غير كامدة واذا أعوزه شيء من الخطوط والألوان استعان بشعر ابن الرومي نفسه فاستخرج منه ما يعينه على استكمال الصورة حتى لا تحتاج الى شيء من الوضوح والإشراق بحيث انك لا تقرأ كتاب : ابن الرومي ، الاّ وجدت فيه وحدة تامة بين شعره وحياته ، وهذا ما حرص عليه الأستاذ العقاد في كتابه كله ، لقد حرص على بيان الطبيعة الفنية في ابن الرومي ، وهي التي تجعل من الشاعر جزءاً من حياته ، فابن الرومي وفنه كانا شيئاً واحداً ، كان ابن الرومي شاعراً ولو لم يكن شاعراً لما استطاع ان يكون مثلاً فيلسوفاً أو وزيراً أو غير ذلك .

ولم يكن اهتمام الأستاذ العقاد بالفصول التي تصور عبقرية ابن الرومي أو فلسفته أو صناعته أقلّ من اهتمامه بالفصول التي تصور حياته المادية ، لقد كانت صورة ابن الرومي كاملة من الناحيتين : من ناحية الحياة المادية ومن ناحية الحياة الفنية ، لم يهمل الأستاذ العقاد شيئاً مما يوضح عبادة ابن الرومي للحياة أو حياته مع الطبيعة أو التقاطه للصور والأشكال او تشخيصه للمعاني او تقديمه الجمال على الخير او نظرته الى الدنيا نظرته الى المعرض المنصوب للتملي والمتعة الى غير ذلك من خصائص عبقرية ابن الرومي وهي خصائص العبقرية اليونانية على وجه عام .

وهكذا كانت براعة الأستاذ العقاد في وصف فلسفة ابن الرومي وصناعته .

وأظن ان كتاب : ابن الرومي انما هو عنوان قدرة الأستاذ العقاد ، ولا أرى بي حاجة الى زيادة في القول .

شفيق جبري

سعد زغلول

عباس محمود العقــاد

من محاسن حظ الأستاذ عباس محمود العقاد ان يكون موضوع كتابه رجلاً مثل سعد زغلول ، ومن محاسن حظ سعد زغلول ان يكون المخلد لذكراه كاتباً مثل الأستاذ العقاد ، لقد كانت حيــاة سعد وقدرة الأستاذ العقاد متلازمتين ، اذ ليس من الأمر اليسير الكلام على الزعامات السياسية في بلاد مثل بلادنا حيث نجد للزعامات مقاييس غريبة لا نجد أشباهها في البلاد التي تعرف معنى الزعامات وتعرف ما تقتضيه هذه الزعامات من الصفات العقلية فضلاً عن الصفات الخلقية ٠

لقد تقرن في الشرق الزعامات السياسية بالذي أسميه : الوطنية ، ولكن الوطنية في الشرق لها معنى خاص بالنظر الى وضعه السياسي ، فالوطنية في الشرق تعظم أو تصغر على قدر بعد صاحبها عن الأجنبي أو قربه منه ، وعلى قدر التحريض عليه أو الترغيب فيه ، غير ان السياسة تتغير في كل فرصة ، فقد يكون المحرّض وطنياً ثم يصير تحريضه على الأجنبي الى الترغيب فيه فيظل وطنياً ، أما الوطنية بمعناهــا المألوف في بلاد العالم وأريد بها الحنو على بقاع الوطن والتغني بمحاسن هذه البقاع فهذا شيء لم نألفه بعد ٠

من أجل هذا كله أرى الكلام على الزعامات السياسية دقيق المذهب ، لأن السياسة زائلة أو متحولة ، فهي لا تثبت على وجه واحد ففي كل يوم لها وجه خاص وتخليد صاحبها في كتاب أمر غير هين ، فقد يكون الزعيم السياسي في يوم من الأيام وطنياً من الطراز الأول ثم يأتي يوم آخر يجردونه فيه اما من وطنيته كلها واما من بعضها ، لقد كان كليمنصو في الحرب الماضية رجل فرنسة ومنقذها ، ولما انقضت الحرب لم تعرف فرنسة له قدره ٠

أما سعد زغلول فلم تقتصر عظمته على صفاته السياسية أو الوطنية وحدهــا ، وانما كانت هذه العظمة مقرونة بخصائص خلقية وعقلية ثابتة تجعل من صاحبها رجلاً عظيماً لا تزول عظمته بزوال الأحوال السياسية التي لازمتها ، الا ان الحكمة كل

الحكمة في الاهتداء الى هذه الخصائص واستخراج أسرارها من مكامنها والوصول الى كل ناحية من نواحيها ، ولقد تيسر للأستاذ العقاد ان يخالط سعداً وان يتصفح أخلاقه ويدقق في نتائج فكره وحسه وشعوره ويسمع أحاديثه في مجالسه ويبلغ الى مواطن القوة فيه سواء أكانت هذه القوة في خلقه أم في عقله أم في منطقه ، ولقد دوّن هذا كله بعد شيء من الشرح والتعليل ، وفي شيء من الكلام السهل ، فإذا كان كتابه عظيماً فهذه العظمة ناشئة عن مرين ، لقد أوحى سعد الى الأستاذ العقاد معاني جليلة من شخصيته فعرف الأستاذ العقاد كيف يبسطها وكيف يوضحها حتى يكون الكتاب المشتمل عليها كتاباً مذكوراً في عالم الأدب

ش . ج

تذكار جيتي

عباس محمود العقـاد

إذا رأى بعض الأدباء غموضاً أو تعقيداً في طائفة من كتابات الاستاذ العقاد فإنهم لا يرون في كتابه : تذكار جيتي الا سهولة في التعبير ووضوحاً في الفكر وقوة فى التركيب ، فقد ظهر الأستاذ العقاد في كتابه هذا في حقيقة مظهره ، بعد عن الآفاق الفلسفية او الاجتماعية التي قد يصعب تصويرها في بعض الأحيان دون ان تظهر على هذا التصوير آثار الغموض والتعقيد ، وذلك اما لأن مزاج المصور غريب عن المزاج الفلسفي المعقد واما لأن هذا المصور لم يهضم المعاني الفلسفية او الاجتماعية الحديثة ، فقد أوتي الأستاذ العقاد في كتابه : تذكار جيتي نصيباً غير قليل من صفاء الذهن وصفاء الأسلوب معاً .

واذا لم يتيسر التبسط في الكلام على محتويات هذا الكتاب في مثل هذا المقام ، فقد تتيسر الاشارة الى هذه المحتويات ، فقد تكلم الأستاذ على «جيتي» من حيث

جمعه لثورات المانية كلها فقد كان «جيتي» سليل الكنيسة الثائرة على الطبيعة والقلعة الثائرة على الكنيسة، والمدينة الثائرة على القلعة، والفرد الثائر على المدنية، ثم حلل النفس الألمانية تحليلاً مختصراً فقد اجتمعت في هذه النفس عناصر شتى: التدين والفلسفة والسحر والموسيقى والأناشيد والأحلام، ثم أتى على تأريخ الحرية الفنية في المانية، ثم تكلم على المؤثرات الغربية في «جيتي» ولم يقتصر على تأثير الغرب وحده فأشار الى تأثير الشرق في «جيتي» فقد اتصلت به عناصر شرقية وأثرت فيه بعض التأثير، فللعربية بعض الفضل في تثقيفه وتغذية خياله لأن آداب العرب وصلت الى الألمان قبل «جيتي» عن طريقين: عن طريق الترجمة من العربية الى الألمانية وعن طريق الآثار التي ترجمت عن الانجليزية والاسبانية والفرنسية وكانت فيها مسحة واضحة من الآداب العربية، وديوان «جيتي»، واسمه: الديوان الشرقي أكبر دليل على عمل الأدب العربي فيه فقد نسج فيه على منوال الشرقيين والعرب في الغزل والوصف والحنين.

وبعد ان فرغ الأستاذ العقاد من هذه المباحث وصف حياة «جيتي» فقد عاش «جيتي» حياته كلها في ربيع ناضر من نسج الفن والطبيعة على السواء، وأفاض في حياته في مباحث شتى: في الشعر والشريعة والسحر والتصوير والموسيقى والطب والمعادن والنبات.

وليت المجال يتسع لتلخيص ما ذكره الأستاذ العقاد من آثار المرأة في حياة «جيتي» أو ماوصفه من مؤلفاته مثل: «آلام ڤرتر» أو «فوست» أو «ويلهلم ميستر» أو الديوان الشرقي أو غيرها أو ماصوره من عبقريته وشخصيته وعقيدته وآرائه وتقديره.

وقد ختم الاستاذ العقاد رسالته بانتخاب طائفة من كلام «جيتي».

فكتاب: تذكار جيتي في مقدمة كتب الأستاذ العقاد التي تكشف لنا عن حقيقة أسلوبه.

ش. ج

الحكم المطلق في القرن العشرين

عباس محمود العقاد

حدثنا الأستاذ عباس محمود العقاد في رسالته : الحكم المطلق في القرن العشرين ، بنعمة الديمقراطية وتمثيل الشعب ، فقد دافع عن الديمقراطية وحذّر المستبدين من عزل الشعوب عن الحكم وحذّر الكتاب المسرفين في نقد الديمقراطية من عواقب نقدهم لأنه اذا بطل الايمان بها فلن يخلفها نظام أصلح منها ، وقد نجد الأستاذ في خلال كلامه على زعامة مصطفى كمال يدعو الى الزعات ولكنه يدعو الى الزعامات التي تنهض بالأمم فوق ضعف الحرص وفوق ضعف الشهوات الباطلة والعروض الزائلة .

كل هذا لا اعتراض عليه فقد كان دفاع الأستاذ العقاد عن الديمقراطية دفاع المؤمن بها ، فهي لم تفشل في نظره وهي ستكون أساساً للحكم في المستقبل تبنى عليه قواعد الحكومات واذا قيل ان الجماهير يخدعها الزعماء وتؤخذ بالمظاهر وتستمال الى العقائد التي تبث فيها بالايحاء والتكرار فهذه الأطوار لم تكن ملغاة في العصور الماضية ولا كان شأنها ضعيفاً في تصريف الأمم وقيادة الحكومات .

الا اني أرى ان مماثلة عيوب الحكومات الشعبية في الحاضر لعيوب الحكومات المستبدة في الماضي لا تنفي نقائص الحكومات الشعبية فإذا كانت الحكومات المستبدة فاسدة في الماضي فلا عذر للحكومات الشعبية في ان تكون فاسدة في الحاضر ، لا شك في ان النظام الديمقراطي أرفع ما وصل اليه عقل البشر من أشكال الحكم ولكن هل نتعمق قليلاً في الكشف عما يؤدي اليه هذا النظام في بعض الأمم ، أفلا نجد ان الحياة النيابية فيه تحرم في كثير من الأحيان البلاد التي يستفيض فيها عبقرية غير قليل من العلماء والفلاسفة والأدباء ومن هم من هذه الطبقات المستنيرة فلا يشتركون في حكم الأمة ولا يرجع الى رأيهم في سياستها وذلك لأنهم بعيدون عن الميادين الانتخابية فلا يخوضون مسالكها الوعرة اما من باب الحرص على كرامتهم لأنهم يترفعون عن هذه الأحقاد الحزبية التي تتأجج نيرانها في أثناء الانتخاب واما من باب النفرة من المظاهر الخداعة فإن علمهم المبني على الحقيقة وحدها

قد نزههم عن استعمال الأساليب المبنية على شيء آخر غير الحقيقة مما يستعمل في غضون الانتخابات فان اللجوء الى الفاظ أصبحت مشهورة في الحياة النيابية يلجأ اليها أصحابها في الميادين الانتخابية للظفر بنياباتهم ثم تنقضي معارك الانتخاب واذا بهذه الألفاظ تتلاشى ولا حقيقة من ورائها ، أقول ان اللجوء اليها مما يترفع عنه العلماء والفلاسفة والأدباء فلا يرفع لهم صوت في المجالس النيابية ولا يكون لآرائهم السديدة تأثير ، فاذا كانت للحياة النيابية في النظام الديمقراطي نقائص فهذه أمور من جملة نقائصه .

ثم اذا قابلنا بين الحكومات المستبدة وبين الحكومات الشعبية وجدنا ان الروح فيها واحدة ، ففي الحكومات المستبدة يتسلط فرد من أفراد الأمة على ضمائرها وعقائدها وغير ذلك فيصرّفها كيف شاء وفي الحكومات الشعبية يتسلط حزب من الأحزاب على الأمة تسلط الفرد فيصرّفها كيف شاء وكثيراً ما نجد في مجلس نيابي خمسمائة أو ستمائة نائب ولكن الذين يقودون هؤلاء النواب أربعة أو خمسة ولما كانت القضايا في المجالس النيابية لا تحل الا بأكثر الأصوات فلا يصعب على خمسة نواب ان يجروا المجلس كله الى مشيئتهم وإرادتهم بالبلاغة أو بتأثير آخر ، فأين يصبح حق الشعب ، وأين يصبح حق تمثيله ، فإذا بحثنا عن الديمقراطية فمن الواجب علينا أن نشير الى هذه النقائص فيها ، فلم يكن حكم الفرد فاسداً بطبيعته ففي تاريخنا عصور كان الخليفة فيها مرجع كل شيء في الدولة وكانت هذه العصور أنضر ما عرفه التأريخ في العدل والإنصاف ، وكذلك نعرف عصوراً قد تكون حديثة نجد الشعب فيها مصدر الحكم في الدولة ثم نجد في هذا الحكم من سوء التصرف والسياسة والإدارة والخروج على القوانين والأحقاد وغير ذلك مما لا نجده في عصور حكم الفرد فالحكومات المستبدة لم تكن فاسدة بطبيعتها وانما نشأ فسادها عن فساد الذين كانوا مصدر الحكم فيها ، ولا ينبغي ان يستنبط من هذا القول تفضيل الحكومات المستبدة على الحكومات الشعبية التي أصبحت أفضل شكل من أشكال الحكم في هذا العصر ، وانما الذي أريد ان أقوله انما هو الإشارة الى نقائص الحكومات الشعبية فاذا ذهبت هذه النقائص وأشباهها كانت الحكومات الشعبية الغاية المثلى في الحكم .

ش . ج

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثالث عشر

ص ٣ س ٣ قوله : [وتفوهت بأخبار من نبغ من أهلها] أي أهل كل دولة من دول التاريخ ، ومعنى [تفوهت] نطقت . ولا يقال في مثل هذا المقام [نطقت] وإنما يقال [نوّهت] ففي كتب اللغة : نوّه فلان بفلان إذا رفع ذكره ومدحه وعظّمه . وهذا هو المراد هنا . فإن المؤلف يمدح النابغين من كل دولة ويشيد بذكرهم .

ص ٣ س ٩ قوله : [ولم أعرج في الآخر إلا بالإشارة إليها] فعل التعريج يتعدى بعلى لا بالباء . ففي التاج [التعريج على الشيء الإقامة عليه ، وفي الحديث : فلم أعرج أي لم أقم ولم أحتبس] فالمعنى في عبارة المؤلف إنني لم أحبس قلمي على شيء إلا على الاشارة اليها ، ولم نجدهم ذكروا ان فعل التعريج يتعدى بالباء ، ولعل تعديتها بها هنا من ذهول المؤلف لا من خطأ الناسخ

ص ١١ س ٢١ قوله : [ففتحها] صوابه [ففتحها] إذ أن الضمير يرجع إلى العينين ، وهو خطأ مطبعي

ص ٢٥ س ١٤ لما أخذ الله الميثاق على ذرية آدم وهم في ظهره كان أول من أجاب وخرج سيدنا محمد ﷺ قال المؤلف : [ونادى الى ذات اليمين وهو يقول : أنا أول من يشهد لك بالتوحيد الخ] فقوله [ونادى الى ذات اليمين] صوابه : [وأوى الى ذات اليمين] أي مال ولجأ إلى الجهة اليمنى فتبوأها صلى الله عليه وسلم ونزل بها ، ومنه قوله تعالى: [إذ أوى الفتية الى الكهف] [أرأيت إذ أوينا الى الصخرة] وفي انحيازه صلى الله عليه وسلم الى جهة اليمين إشارة الى أنه من أهل الميمنة السعداء لا من أهل المشأمة الأشقياء

ص ٢٩ س ١٤ لما أخرج آدم وحواء من الجنة اضطرا الى قضاء الحاجة فبكيا [ثم أمرهما الملك ان يمسحا بالمدر ، ثم يغتسلا بالماء] يعني انه علمها آداب الاستنجاء في الإسلام ، كما علمها الوضوء فتوضآ وضوء الإسلام . وآداب الاستنجاء كما قال الفقهاء هي الجمع بين المسح والغسل بالماء . فقوله [ثم يغتسلا بالماء] صوابه [ثم يغسلا] أي محل النجو بالماء بعد ان يكونا مسحاه بالمدر أي التراب

ص ٦١ س ١ قوله : [وان شئت بقاء سبع نوايات من تمر] يسأل الملك لقمان إذا كان يريد ان يبقى في الحياة الدنيا بقاء سبع نويات تمر . والنويات جمع نواة فقوله [نوايات] بألف بعد الواو خطأ والصواب حذف الألف

ص ٦٧ س ١١ قوله : [فقال فتىً منهم حَدَث السن] خطأ صوابه [حديث السن] وعبارة المصباح [يقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حدث بفتحتين] أي من دون إضافة حدث الى السن

ص ٩١ س ٦ : وأمرَ الله الرياح الأربع [فقممت ما كان لأهل الرسّ من متاع الخ] هذا حين أراد الله إهلاكهم بسبب عصيانهم . وفعل الريح في كسح ما كان على وجه الأرض من متاع وفتات يسمى كنساً وقمّاً لا ضمّاً ، فصواب [فضمَّت] : [فقممَت] ، يقال : قمّ البيت قمّاً كنسه . والقُمامة : الكناسة

ص ٩٣ س ٢ : كان أهل الرسّ يعبدون شجرة صنوبر يقال لها [ساب درحب] وقوله [درحب] كتبت بحاء مهملة وباء موحدة . وصوابه [درخت] بخاء معجمة وتاء مثناة في الآخر ، وهي كلمة فارسية معناها الشجر ،ومنه الشجر المسمى [ازدرخت]، وأصله بالفارسية [آزاد درخت] ويحرفه عوام الشام الى [زنزلخت] و [زلزلخت] واسمه بالعربية [قيقب] و [قيقبان] ومما يحسن ذكره ان شجرة الصنوبر التي يعبدها أهل الرس ويسمونها [ساب درخت] كلمة [ساب] فيها تذكرنا بكلمة sapin الفرنسية التي معناها شجرة الصنوبر . فهل هذه من تلك يا تُرى ؟

ص ٩٣ س ٢ : [كان يافث غرس شجرة الصنوبر المذكورة على شفير عين يقال لها [دوسات] . وكلمة [دوسات] كتبت بسين مهملة وتاء مثناة في الآخر . وصوابها [دوشاب] بشين معجمة وباء موحدة . قال الخفاجي في كتابه « شفاء الغليل » . [الدوشاب نبيذ التمر معرب] . وذكرت كلمة الدوشاب في شعر لابن المعتز ، وكذا في شعر لابن الرومي ، وفسرها شارح ديوانه بالنبيذ الأسود . وقال السمعاني الدوشاب هو الدبس بالعربية . ا هـ قول الخفاجي : وسألت إيرانياً من سكان دمشق عن [الدوشاب] في لغتهم ، فقال هو الشيرا . ولا يخفى ان [الشيرا] لفظة تركية معناها عصير العنب

الذي اعتصر حديثاً فأصبح حامضاً ولم يصل إلى درجة الإسكار ، وهو المسمى بالعربية [مسطار] بضم الميم أو كسرها . وقد اختلفوا في أصل مسطار حتى قال بعضهم إنها رومية تلقفها أهل الشام من سكان سوريا الأصليين . والحاصل ان [الدوشاب] شراب يتخذ من عصير العنب سميت به عين الماء التي غرس يافث عليها شجرة الصنوبر المسماة [شاب درخت]

ص ٩٦ س ١٩ : [وهو الذي أنشأ كوثا ربا من أرض العراق] . قوله [كوثا] كذا بالألف ، وصوابه [كوثى] بالياء المقصورة لأن [كوثى ربا] ليس كلمة واحدة بل هما كلمتان : [كوثى] مضافة الى [ربا] قال صاحب كتاب « مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع » : (وكوثى بالعراق في موضعين [كوثى الطريق] و [كوثى ربا] وبها مشهد ابراهيم الخليل عليه السلام ، وهما قريتان الخ . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة في آخرها . وفي القاموس وشرحه [وكوثى] بلدة بالعراق وتسمى [كوثى الطريق] و [كوثا ربا] من ناحية بابل بأرض العراق أيضاً وفيها ولد الخليل وطرح في النار) اه . وقد كتبت [كوثى] بالياء المقصورة كما ذكرت . فالواجب تصحيحها في هذه الصفحة وص ٩٨ و ص ١١١ وكل صفحة سواها

ص ١٠٥ س ١٨ : [وبينما ابراهيم قاعداً] كذا بالنصب وصوابه [قاعد] بالرفع على الخبرية كما ورد مرفوعاً في أول ص ١٦٩ إذ قال ثمه : [فبينما هو مشتغلٌ بالذكر]

ص ١٠٨ س ١٠ : [وأدخل - أي ابراهيم الخليل - المضيق تحت الأرض] صوابه : [المطبق] . قال في مستدرك التاج : [المطبق كمحسن سجن تحت الأرض] ويؤيد هذا ما جاء في الصفحة نفسها س ١٥ : [وكان ابراهيم يسلّي أهل السجن]

ص ١١٣ س ١ : [فأمر بالتنور فأسجر فطُرح ابراهيم فيه] قوله : [فأسجر] مصدره الإسجار . ولم أعثر عليه في كتب اللغة وإنما هو ثلاثي سجره سجراً ، ومن التفعيل سجّره تسجيراً . ولا دخل للناسخ في هذا الخطأ بل السهو فيه من المؤلف في غالب الظن

ص ١١٥ في السطر الرابع وسطور أُخرى تلته ورد اسم [سارة] زوجة ابراهيم الخليل مشدّد الراء ، ولعل الصواب تخفيفها ، لأنها كلمة عبرانية معناها [أميرة] كما

في قاموس الكتاب المقدس ٠ وقد نبهت دائرة المعارف البستانية الى تخفيف راء [سارة] مذ كتبتها بالحروف اللاتينية هكذا (Sarah) (Sara) وتخفيفها هو الشائع على الألسنة في بلاد المشرق حتى ان معاجم اللغة العربية لم تشر في مادة [سرور] الى أن [سارة] زوجة الخليل مشددة الراء حتى يكون عربيًا بل سكتت عن ذلك ٠ ولعل في سكوتها ما يشعر بأن اسم [سارة] ليس من مادة السرور العربية ٠ وعندي ان هذا هو الصواب إذ لا يعقل ان [ماحور] العبراني والد سارة يسميها باسم عربي في معناه عربي في اشتقاقه ، اللهم إلا اذا ادعى مدع بأن اسم [سارة] المخفف نقله العرب الى لغتهم ثم عربوه وأفرغوه في قوالبها فشددوا راءه ٠ وروى صاحب القاموس عن اللحياني [امرأة سرّة وسارّة تسرّك] وسمعت فتى يذكر أختًا له فسماها [سارّة] وشدد الراء فقلت : ولماذا شددت الراء والناس يلفظونها مخففة قال : إن جدي هو الذي سماها وأوصى ألا يلفظ اسمها إلا مشدداً قلت : لا كلام إذن وكأن جدك يعتقد ان اسم [سارة] عربي مادةً واشتقاقًا ٠ أما إذا كنا نتحدث عن السيدة [سارة] العبرانية فيحسن ان نلفظ اسمها مخففًا كما سماها أبوها [ماحور] ٠

ص ١٢٥ س ٢٠ [ثم خرجت امرأة لوط وبيدها سراج كأنها تُشعل] ضبط فعل [تشعل] بالعين المهملة المفتوحة على البناء للمجهول من فعل شَعل النار وأشعلها اذا ألهبها ٠ ولا معنى لذلك هنا ، ولعل صوابه [تشغل] بالغين المعجمة من الشغل والاشتغال ، والمعنى ان امرأة لوط لما علمت بضيوف زوجها من الملائكة وهم على شكل غلمان حسان ، خرجت في الليل وبيدها السراج توهم زوجها الذي استكتمها الخبر انها مشغولة بأمور المنزل كتفقد خادم أو علف دابة وبذلك تسنى لها أن تخلص إلى فساق قومها فتخبرهم بخبر الضيوف ٠ على انه يصح ان تكون [تشعل] من إشعال النار لكن يكون صوابه [تشعله] بضمير النصب والبناء للمعلوم أي توهم زوجها انها تريد ان تشعل السراج وتوقده لتستضيء في خدمة بيتها ثم انسلت الى فساق قومها

ص ١٢٧ س ٧ قوله : [حتى بلغ بها الى البحر] صوابه [بلغ بها البحر] من دون حرف الجر لأن فعل البلوغ يتعدى بنفسه ، والقول بأنه مضمن معنى الوصول تكلف

لعدم ما يدعو اليه من نكت البلاغة التي تزيد في ايضاح المعنى أو تأكيده أو تورث الكلام حسناً أو غير ذلك من الاعتبارات التي يراعيها البلغاء عادة في التضمين وإلا كان خطلاً

ص ١٣٢ س ١٠ [غيابت الجب] كذا بتاء طويلة أو مجرورة وصوابه [غيابة] بتاء مربوطة كما هي قاعدتها . نعم إنها تكتب في المصحف الشريف [غيابت] اتباعاً للرسم المأثور

ص ١٣٩ س ٧ [وقيل ان النساء خلون به ليعدّلنه لها] يعني ان نسوة المدينة لما بلغهن خبر جفوة يوسف لزليخا امرأة العزيز خلون به ليعدلنه ، وقد ضبط فعل [يعدلنه] بالدال المهملة المشددة من فعل عدّله اذا أقامه وسوّاه . فالنسوة بذلن جهدهن في تعديل يوسف وتقويمه لأجل امرأة العزيز ولأجل ان يواتيها على ما تريد منه ، ولكن ليس المقام مقام تربية ولا تقويم غلام اعوجت أخلاقه والتوت طباعه ، وإنما المقام مقام حب وجفاء ، ونسوة أقمن أنفسهن وسطاء أو شفعاء . فالأصوب والأليق بالمقام ان تكون [يعذلنه] بالذال المعجمة من العذل الثلاثي [أو التعذيل المزيد على الثلاثي للمبالغة] على معنى ان النسوة خلون بيوسف وأخذن في عذله ولومه على ما كان من جفوته لسيدته وإعراضه عنها وقد فعلن ذلك خدمة لها وفي سبيل مصلحتها

ص ١٥٤ س ١٤ قوله : [تبناك] صوابه [أتيناك] وهو خطأ مطبعي

ص ١٨١ س ١٥ أم موسى دخلت على آسية امرأة فرعون فلم تعرفها آسية [لأن أم موسى دخلت عليها في حلبة المراضع] [حلبة] كذا بالباء الموحدة ، والحلبة خيل السباق ولا معنى لها هنا وصوابه [حلية المراضع] بالياء المثناة قال في المصباح الحلية الصفة وقال في الأساس : عرفته بحليته أي بهيأته . فآسية لم تعرف أم موسى لأنها دخلت عليها بصفة مرضعة وعلى هيئة المراضع وهو أيضاً خطأ مطبعي

ص ٢١٣ س ٨ : أفواج الملائكة كانت تمر على موسى فكان منهم فوج [لهم نحيب بالتسبيح والتقديس] النحيب البكاء أو اشده اي انهم كانوا يبكون بسبب تسبيحهم لله - وهو ظاهر ، ولكن الأظهر منه بل الأشبه في هذا المقام ان تكون [نحيب] مصحفة عن [نحيت] بتاء مثناة في آخرها وهو اللهث وشدة تتابع النفس

أي ان هذا الفريق من الملائكة من شدة ما لجوا في التسبيح وألحوا جعلوا يلهثون حتى كاد يلحقهم البهر وهو انقطاع النفس

ص ٢٢٠ س ٨ : في صفة أمة محمد ﷺ أنهم [يُصفون في صلاتهم صفوفاً كصفوف الملائكة] وقد ضُبط فعل [يُصفون] بضم ياء المضارعة مجهولاً أي انهم قد صفهم صافٌ . والأفصح ان يضبط معلوماً يقال في الفصيح صفهم فصفوا اي اصطفوا فهو لازم متعد . ومن اللازم قوله تعالى في وصف الملائكة أيضاً [والصافات صفاً] اي أقسم بجماعات الملائكة المصطفة في مراتبها لعبادة ربها . وفعل الصف اذا أسند الى من يصطف بنفسه استعمل معلوماً يقال : صف الجند وصفت الملائكة والا استعمل مجهولاً : صُفت النمارق [ونمارق مصفوفة] صُفت السرر [على سُرُر مصفوفة]

ص ٢٢٠ س ٩ في صفة أمة محمد أيضاً : [لا يدخل النار منهم أحد إلا من الحساب مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر] . قوله [إلا من الحساب] محرَّف ، وصوابه [إلا مَرَّ الحُسبان] والحسبان جمع حسبانة ضرب من السهام صغار قصار كالمسالّ . يعني ان أمة محمد لا يدخلون النار إلا مروراً كمرور السهام . ومرور السهم ومروقه يضرب مثلاً لسرعة النفاذ . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : [يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية] وزاد هذا المعنى وضوحاً قوله بعده : [مثلما يرمى الحجر من وراء الشجر] فلا جرم ان الحجر إذ ذاك يمر خلال غصون الشجر بسرعة ثم يخلص الى الجهة المقابلة من دون ان يمكث في الشجرة أو يعلق عليه شيء منها . وهكذا أمة محمد تمر في النار على هذا النحو . وكتبت [مثل ما] هكذا مفصولة . ولعل الصواب ان تكتب متصلة كما كتبناها آنفاً

ص ٢٤٢ س ٢ : [فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول] قوله [فحملوه] لعل صوابه [فحملوهما] أي حملوا كلا من الخضر وموسى وان كانوا لم يعرفوا إلا الخضر . ويشهد لما قلنا قوله بعد : [فلما ركبا في السفينة] بألف التثنية أي الخضر وموسى

ص ٢٥٨ س ١٢ [لولا بنو اسرائيل لم يخثر الطعام ولم يخبث اللحم] قوله : [يخثر] بالثاء المثلثة أي يغلظ بعد ان كان مائعاً . ولا يستقيم المعنى عليه هنا وإنما

صوابه [يخنز] بنون وزاي : خنز اللحم والجوز والتمر فسد وأنتن ، أي ان الطعام أصبح معرضاً للفساد والنتن بسبب عصيان اليهود لأوامر الله تعالى . ويدل على صحة ما قلنا قوله بعده : [ولم يخبث اللحم] فإن خبثه يمنع من أكله . وأصبح المقام يتطلب ان يلحق الطعام آفة تمنع من أكله أيضاً وتلك الآفة هي خنوزه ونتنه أما خثوره أي غلظه واشتداده فلا يمنع أكله . على ان الطعام لا ينسب اليه الخثور وإنما الخثور للبن: يقال خثر اللبن خثراً وخثوراً وخثراناً غلظ واشتد بعد ان كان رقيقاً مائعاً

ص ٢٥٩ س ٢٠ [تقول العرب فوموا لنا أي اختبزوا] ضبط فعل [فوموا] بالتخفيف أي بضم الفاء والميم ثلاثياً على وزن قوموا . وصوابه [فوّموا] بتشديد الواو من التفعيل كما ضبط كذلك في اللسان والتاج قالا : [يقولون فوّموا لنا بالتشديد يريدون اختبزوا]

ص ٢٧٠ س ١٠ و ص ١٥ س ١٦ زمرى بن شلوم تزوج كستي بن صعور مرغماً لشريعة التوراة . فغضب موسى وأصيب بنو اسرائيل من جراء ذلك بالطاعون . فدخل فنحاص العيزار القبة على العروسين وطعنهما بحربته الحديد الثقيلة فانتظمهما وخرج بهما الى القوم رافعاً حربته ، قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى لحيته فرفع الطاعون ، قال : ومن أجل ذلك يعطي اليهود ذرية فنحاص من كل ذبيحة الخاصرة والذراع واللحية . أقول : لا يخفى ان اللحية هي الشعر النابت على الذقن أي عظم الحنك . والشعر المذكور لا يمكن ان يكون نقطة ارتكاز لحربة من حديد تحمل جثتين بشريتين ، بل ان عظم الحنك نفسه لا يصلح لذلك ، وإنما صوابه : وأسند الحربة الى « لبته » وكذا في السطرين الآخرين « اللبة » مكان « اللحية » ولبته مكان لحيته واللبة أعلى الصدر حيث تقع القلادة أو نقول هي الزوْر وهو ما ارتفع من الصدر الى الكتفين . وما زلنا في المواسم ومواكب المحمل نرى حملة الأعلام والرايات الكبرى لا يستطيعون حملها ما لم يسندوها الى لباتهم أي اعلا صدورهم لا إلى لحاهم ولا الى ذقونهم ، على ان الذبائح التي يُعطى منها أولاد فنحاص لا يُعقل أن يعطوا منها مع الخاصرة والذراع شعر اللحية ، ولا لحى للذبائح ينتفع بشعرها وإنما يعطون لباتها وأزوارها

ص ٢٧٠ : في آخر هذه الصفحة يحكي خبر [بلعام] وقد قدم على بني اسرائيل راكباً أتانه قال [فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان وقد وقفت فضربها بلعام الخ] معنى [قامت به] وقفت به قال صاحب القاموس [قامت الدابة وقفت عن السير] فقوله : [وقد وقفت] بعد قوله : [قامت به] مستغنى عنه إذ يصبح المعنى به [وقفت به الأتان وقد وقفت] وهو تكرار . فلعل قوله : [وقد وقفت] مما كتب على الهامش تفسيراً لقوله : [قامت به فألحقها الناسخ بها في المتن أو هي مما جاء في صلب المتن تفسيراً لقامت ، ويكون أصل الجملة هكذا [قامت به الأتان أي وقفت] فحرف الناسخ كلمة [أي] التفسيرية الى كلمة [وقد] التحقيقية فأصبح تركيباً ظاهر البطلان

ص ٢٧١ س ٥ : [قال موسى يارب بما سمعت دعاء بلعام علي فاسمع دعائي عليه] قوله [بما سمعت] لعل صوابه [كما سمعت] أي اسمع دعائي كما سمعت دعاءه ، وإلا فإن [بما] لا يصح معها معنى الكلام إلا على تخريج بعيد ظاهر التكلف

المغربي

آراء وانباء

البيان السنوي العام[1]

سادتي الأفاضل

بهذه الجلسة تنتهي جلسات المجمع في السنة المجمعية التي تبتدئ في تشرين الاول ١٩٤٣ وتنتهي في حزيران ١٩٤٤ . وقد عقد المجمع في هذه المدة ثماني جلسات عادية عامة ، بحث فيها بعض المباحث اللغوية والأدبية والتاريخية . وقرر بعد المناقشة ما عرض عليه من أمور علمية وادارية ومالية سيأتي بيانها . وثابر على اصدار مجلته في مواعيدها ، والقاء محاضراته العامة على الرجال والنساء . مع العناية بدور الكتب الملحقة به وغير الملحقة به ، والعمل على نشر الثقافة العربية بعقد الاسواق الأدبية والمعارض الفنية ونشر المخطوطات ، وتقدير المؤلفين وتشجيعهم بمنحهم جوائز او شراء عدد من مؤلفاتهم . مع اصلاح داره القديمة الأثرية متحرياً تجديد ما درس من معالمها واعادتها سيرتها الأولى في عدة نواح من مرافقها على قدر المستطاع وما تحمله الطاقة في مثل هذا الزمن المحفوف بالمصاعب ، الحرب في أواخر سنتها الخامسة . واستقبل عدداً غير قليل من العلماء والمستشرقين والوجهاء والرؤساء الذين مروا بهذه المدينة وهاداهم بعض منشوراته ، وحاضر بعضهم فيه أو شهد بعض جلساته

الأعمال العلمية

المجلة — يطرد صدور المجلة في مواعيدها منذ اعادة تنظيم المجمع سنة ١٩٤١ بعد ان توقفت فترة من الزمن . وقد صدر منها الى الآن ثمانية عشر مجلداً واكثر اجزاء المجلد التاسع عشر ، وفيها من البحوث والمقالات والدراسات ما يعتبر حجة وثقة وقل ان تجد مجلة في العالم العربي يعتمد الباحثون عليها ويتخذونها من المصادر المعتبرة كمجلة المجمع ، فالمؤلفون المعاصرون ودوائر المعارف الحديثة تشير اليها في مصادرها ، ولا تكاد تجد مجلة فازت بمثل هذه الثقة . وهي سائرة نحو الكمال بهمة أعضائها العاملين والمراسلين ومن يراسلها من أهل العلم والأدب .

(١) قرأه معالي الرئيس في جلسة الختام التي عقدها المجمع في ٢٩ حزيران سنة ١٩٤٤

المحاضرات – التي في المجمع من تشرين الثاني ١٩٤٣ الى أيار ١٩٤٤ ثلاثون محاضرة عامة اربع وعشرون منها للرجال وست للنساء في مواضيع متعددة لغوية وعلمية وأدبية واجتماعية وطبية وحقوقية وتاريخية وفلسفية ، قام بها عدد من اعضاء المجمع وغيرهم من أهل العلم والأدب . ولئن لم تكن كل المحاضرات على مستوى واحد فان الجهد الشخصي فيها ظاهر واضح وبعضها جيد بالغ . وقد كانت الردهة تغص بالمستمعين في كثير من المحاضرات ، وعددهم في كل المحاضرات غير قليل ، وقد كانوا يحسنون الاستماع وعلامات الاهتمام بادية على وجوههم . أما محاضرات النساء فقد كان السيدات يقمن على كل شؤونها فالمحاضرة والمستمعات منهن لا دخل للرجال بشيء من ذلك . على ان الشيء الوحيد الذي استدرك على المجمع في هذا الشأن كثرة عدد المحاضرات فقد كانت تبلغ في بعض الأشهر ست محاضرات اربع للرجال واثنتان للنساء . ولعل المجمع يقرر شيئاً في هذا الشأن في الموسم القادم فيحط من عدد المحاضرات ويرفع من قيمتها من حيث الامعان في البحث والإجادة في العرض .

نشر المخطوطات – سبق للمجمع ان نشر في مجلته وعلى حدة بعض المخطوطات النادرة كنشوار المحاضرة للقاضي التنوخي الجزأين الثاني والثامن ، وقانون البلاغة لابن حيدر البغدادي ، وديوان الوليد بن يزيد ، وبحر العوام فيما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي ، والمنتقى من اخبار الأصمعي للإمام الربعي ، والتبصرة بالتجارة للجاحظ ، وتكملة اصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي وغيرها . وهو يشتغل الآن بتحقيق أربعة كتب واعدادها للنشر وهي تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي وانا أقوم بتحقيقه . وديوان ابن عنين شاعر الشام في الدولة الأيوبية يقوم بتحقيقه الأستاذ خليل مردم بك ، ورسالة الملائكة للمعري وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع منها من قبل هو المقدمة ، يقوم بتحقيقها والتعليق عليها الأستاذ سليم الجندي ونرجو ان يتم طبعها في مهرجان المعري بعد ثلاثة أشهر . والرسالة الجامعة للمجريطي يقوم بتحقيقها الدكتور جميل صليبا وهي تتمة لرسائل اخوان الصفا او فذلكة لها .

الجوائز — للمجمع ثلاث جوائز سنوية يمنحها ثلاثة ممن جودوا من المؤلفين أو المترجمين السوريين تقديراً للعلم والأدب ورفعاً لشأنهما . وقد منح المجمع في هذه السنة الأمير مصطفى الشهابي احدى الجوائز لإجادته في معجم الألفاظ الزراعية ومنح الدكتور أسعد طلس احدى الجوائز لإجادته في نشر كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد ليوسف بن عبد الهادي وتحقيقه والتعليق عليه وتأليف ذيل له . والمجمع يرجو ان تكون جوائزه من بواعث المسابقة في مضمار التأليف والترجمة .

مهرجان المعري — اجتماع أهل العلم والأدب على اختلاف الأقطار والأجناس في مؤتمرات العلم وأسواق الأدب من أعظم البواعث على رفع مستوى الثقافه وبخاصة اذا كان السبب الاحتفال بذكرى احد النوابغ العظام . وقد رأى المجمع ان يقيم مهرجاناً عظيماً في ٢٥ ايلول سنة ١٩٤٤ يدعو اليه عدداً من اعضائه المراسلين في جميع الأقطار ممن يمكن ان تبلغه الدعوة ليشتركوا مع إخوانهم الأعضاء العاملين في الإشادة بذكرى النابغة العظيم ابي العلاء المعري لمرور الف سنة على مولده وسيستمر المهرجان أسبوعاً يتبارى فيه كبار الأدباء والباحثين والشعراء في دراسة هذا الرجل الانساني الكبير وما وصل الينا من آثاره ، ومبلغ أثره في الثقافة والأدب والأخلاق . وستكون أيام المهرجان موزعة بين دمشق وحمص وحماة والمعرة وحلب واللاذقية وبلودان . ولا شك في ان مجموعة ما سيقال وينشد في هذا المهرجان سيكون احسن مجموعة عن المعري ابداعاً وتحريراً . اضف الى ذلك بهجة اجتماع اقطاب العلم والأدب في الأقطار العربية وغيرها في صعيد واحد لتكريم الأدب العربي في شخص ابي العلاء وتخليد ذكراه . والفضل الأعظم في تحقيق هذه الفكرة النبيلة يعود الى فخامة رئيس الجمهورية الذي رحب بها واعارها اكبر قسط من الرعاية والعناية وأمر بأن يساهم في شرفها عدد من المحافظات الشامية . ولوزارة المعارف عمل صالح في تقديم مشروع المهرجان المالي وكفالته .

معرض الكتاب العربي — وقد رأى المجمع ان يعقد معرضاً للكتاب العربي مدة المهرجان تعرض فيه نفائس المخطوطات والوثائق وما امتازت به المخطوطات العربية

من الفن البارع في الزينة والزركشة والتذهيب والتلوين . ويشترك في عرض هذا النوع من الكتب دار الكتب الظاهرية وبعض أرباب خزائن الكتب الخاصة . والمجمع آخذ في تهيئة أسباب هذا المعرض ويرجو ان يتوفر لديه العدد الكافي من كتب اصحاب الخزائن الخاصة على سبيل الاعارة ليجمع بين الفائدة والاعجاب والمتعة .

دور الكتب — يرتبط بالمجمع ثلاث دور للكتب . خزانة كتبه الخاصة ودار الكتب الظاهرية في دمشق ودار الكتب الوطنية في حلب . اما خزانة المجمع فهي خاصة به مقصود في جمعها أمهات الكتب والمراجع الموثوق بها والمصادر المعتبرة في العربية والافرنسية والانكليزية وفيها من الكتب العربية المطبوعة في أوربا مجموعة قيمة فضلاً عن نسخ من نوادر المخطوطات مأخوذة بالتصوير الشمسي . وعلى هذا السبيل تختار كتبها التي يبلغ عددها (٣٨٨٦) مجلداً منها (٨١) مجلداً فوتوغرافياً و (١٨٥٤) مجلداً عربياً و (١٩٥١) مجلداً افرنجياً . وقد دخل اليها سنة ١٩٤٣ ثلاثمائة وثمانون مجلداً منها (٢٧٠) مجلداً عربياً و (١٠٧) مجلدات افرنجية .

وأما دار الكتب الظاهرية فهي عامة لجميع المطالعين ولما استلمها المجمع كانت أشبه بدور الكتب الخاصة او اشبه بغرفة أثرية لأنها كانت عبارة عن (٢٠٤٨) مخطوطاً لا يجوز ان تتداولها ايدي المطالعين و (١٠١٨) مطبوعاً مخزونة كلها في غرفة واحدة وباقي البناء كان مدرسة ابتدائية فعمل المجمع على نقل المدرسة وجعل البناء كله خاصاً بالمكتبة وما زال المجمع يزيد في عدد كتبها المخطوطة والمطبوعة على سبيل الشراء والاستهداء حتى بلغ عدد ما فيها من الكتب في أوائل هذه السنة نحواً من ستة وثلاثين الف مجلد . ونسبة زيادتها في السنة الماضية وهذه السنة تفوق جميع النسب في السنين الخالية فقد دخل اليها في سنة ١٩٤٣ (٢٥٥٩) مجلداً منها (٣٦٣) مخطوطاً والفضل في ذلك راجع الى التوسيع عليها في مخصصات شراء الكتب والى ما يهدى اليها من أهل البر والفضل نخص بالذكر منهم بني الطنطاوي وبني المنير والسيد طاهر ابو حرب فقد أهدوا اليها عدداً وافراً من المخطوطات والمطبوعات . وأهدت هي في هذه السنة الى مكتبة اللاذقية (٥٨٢) مجلداً ورسالة والى مكتبة كفر تخاريم (٢٧٤) مجلداً ورسالة والى مكتبة السويداء (٨٥) مجلداً ورسالة .

دار الكتب الوطنية في حلب — قدم المجمع في ٢٣ شباط ١٩٤٤ الى وزارة المعارف تقريراً مفصلاً عن هذه الديار وما تحتاجه من الاصلاح بعد ان اخلتها مصلحة الدفاع السلبي ومصلحة الخرائط الانكليزية . نظم هذا التقرير محافظ دار الكتب الظاهرية الذي أوفده المجمع الى حلب لهذه الغاية وخلاصته ان الدار المذكورة بحاجة الى اصلاح وترميم وخزائن ومفروشات وزيادة ثلاثة موظفين وقدر لذلك مبلغ (٢٧٠٠٠) ليرة سورية .

الأعضاء الراحلون

فجع المجمع في السنة الماضية وهذه السنة بعدد من أعضائه الأجلاء وهم :

الأستاذ بدر الدين النعساني (حلب) — العالم الأديب النقادة طلب العلم في الأزهر وطالت في طلب العلم والاشتغال به رحلته ، والف وهو شاب في مقتبل العمر كتاب التعليم والارشاد وهو من أحسن ما الف في اصلاح التعليم في الأزهر . ثم توفر على تحقيق كتب العلم والأدب وتصحيحها واعدادها للنشر فحقق منها عدداً عظيما جداً وكلها تحمل اسمه في صدرها . وزار الأقطار الاسلامية في الشرق والغرب ودرس أحوالها واطلع على شؤونها فازدادت معارفه واتسعت خبرته . واشتغل بالصحافة في مصر والشام والحجاز ثم انصرف الى تعليم الأدب العربي في مدارس حلب وكان في كل ما عالجه من الأعمال من المتقنين المجلين .

الشيخ سليمان الأحمد (اللاذقية) — شيخ العلويين وإمامهم جمع الى سعة العلم كرم الأخلاق واستقامة الأحوال وكان مرشداً ناصحاً يعمل على جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ويضم بالعلم والاخلاص ما فرقته يد الجهل والمكيدة ومنزلته في علوم العربية وآدابها منزلة رفيعة .

الأستاذ رشيد بقدونس (دمشق) — تخرج بالمدرسة الحربية وكان من ضباط الجيش العثماني ولكن الصفة العلمية غلبت عليه . درس الافرنسية واليونانية والفارسية وأجاد العربية والتركية وكان ذا صبر على التحقيق طويل الأناة شارك في وضع مصطلحات الجيش العربي في عهد الملك فيصل وكتب أبحاثاً في اللغة والخط العربي والف في التاريخ ودرس العربية والتاريخ في مدارس دمشق .

الأمير عمر طوسون (مصر) — الأمير العالم صاحب الاعمال المبرورة والايادي البيض على العلم والثقافة جمع الى كرم المحتد سعة العلم وكرم الأخلاق وعمل الخير ولم تصرفه كثرة اعماله عن الاشتغال بالعلم والتأليف بل كان من اكثر العلماء إنتاجاً ومؤلفاته تبلغ أربعين كتاباً .

الأستاذ متفوخ — المستشرق الألماني عني بتاريخ العرب قبل الإسلام وبخاصة عرب اليمن وتاريخهم وأحوالهم ونشر شيئاً كثيراً من الكتابات اليمنية . وعني أيضاً بحال الإسلام في (طوغو) و (الكامرون) . ونشر كتاب تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الاصفهاني .

الأستاذ . د . ب . مكدونلد (اميركا) — كان عالماً بالعربية والعبرية والسريانية والعلوم الاسلامية وهو من أوسع المستشرقين معرفة بالدين الاسلامي وقد الف فيه عدة كتب . ومحاضراته ومقالاته عن الثقافة الاسلامية في أكثر نواحيها كثيرة جداً وكان له عناية عظيمة بكتاب الف ليلة وليلة ومجموعة النسخ التي لديه من هذا الكتاب لا تضاهيها مجموعة في العالم .

وكل هؤلاء من أعلام العلماء وأصحاب الايادي البيض على العلم والأدب وقد جلت رزيئة المجمع بفقدهم رحمهم الله وأثابهم خير الجزاء واحسن عزاء المجمع عنهم .

الأعضاء الجدد — انتخب المجمع الأستاذ عباس العزاوي (بغداد) والدكتور داود چلبي (الموصل) والأستاذ جب (لندن) أعضاء مراسلين وجدد انتخاب الاستاذ عارف النكدي عضواً عاملاً وكلهم من خيرة العلماء مشهود لهم بسعة الاطلاع ومواصلة العمل .

موازنة المجمع العلمي وداري الكتب الظاهرية والحلبية — كانت اعانة الحكومة للمجمع العلمي العربي في عام ١٩٤٣ مقدرة بمبلغ (٦٧١٣٠) ليرة سورية وقد تحققت في نهاية العام المذكور بمبلغ (٧١٥٠٣/٥٤) ليرة سورية وهذه الزيادة حصلت من اعانة المندوبية وقدرها (٧٥٠) ليرة سورية ومن مبلغ (٣٣٠٠) ليرة سورية منحة الحكومة للموظفين بموجب القانون رقم (٨) المؤرخ في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٤٣ . وقد صرف هذا المبلغ حسب فصول الموازنة وموادها على الشكل الآتي (٣٦٩٨٦/٨٨)

ليرة سورية للرواتب و (٢٤٩٧٦/٢٤) ليرة سورية للنفقات وقد تحقق في نهاية العام المذكور وفر مقداره (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية . وفي عام ١٩٤٤ أعطت الحكومة المجمع العلمي اعانة قدرها (٨٠٠٠٠) ليرة سورية اي بزيادة مبلغ قدره (١٢٨٧٠) ليرة سورية عن العام الماضي أضيف اليها الوفر المتحقق في عام ١٩٤٣ وهو (٩٥٤٠/٤٢) ليرة سورية وواردات المجلة المقدرة بمبلغ (٣٠٠) ليرة سورية وبذلك صار المبلغ الاجمالي لموازنة عام ١٩٤٤ (٨٩٨٤٠) ليرة سورية ستصرف حسب الموازنة على الشكل الآتي : (٤٣٨٧٦) ليرة سورية للرواتب و (٤٥٩٦٤) ليرة سورية للنفقات .

وأريد ان أسجل شكر المجمع للرئيسين الجليلين رئيس المجلس النيابي ورئيس الحكومة على موقفهما النبيل عند مناقشة موازنته وللنواب المحترمين الذين أبدوهما في هذا الشأن .

أعمال الاصلاح والترميم في المجمع — هذه المدرسة العادلية الكبرى المتخذة داراً للمجمع من أجلّ مدارس دمشق وأفخمها وأحفلها تاريخاً بالعلم والعلماء ، تسلسل فيها نشر العلم ولاح فيهــا مصابيح من أعلام هذه الأمة كابن خلكان وابن مالك وابن خلدون وغيرهم ، ولم يكد يخبو ضوء العلم في جوها . والمجمع حريص على حياطتها وترميمها واصلاح ما تشعث منها واماطة الأذى عن معالمها واعادة ما عفا من رسومها شيئاً بعد شيء مع الزمن وعلى قدر الطاقة ، وما قام به المجمع من هذه الأعمال منذ اتخذها داراً له ماثل للعيان في كل طرف وناحية وزاوية فيها وآخر ما عزم عليه تبليط صحنها الفسيح وإعادة بركة الماء في وسطه على الشكل الذي كانت عليه ليالي كان ابن خلكان يطوف حولها مترنماً بأنشودته العذبة اللطيفة . ولدار الآثار ومهندسها الفاضل المسيو آمي سعي مشكور في هذا العمل فهو الذي أحكم خطة العمل ولاءم بين الحاضر والماضي وجعل الجديد صورة عن القديم . كل ذلك من غير ان يرزأ المجمع بيت المال بشيء ، بل قتر على نفسه واقتطع من صلب موازنته ما يقتضيه هذا العمل من النفقات المقدرة بـ (١٦٥٠٠) ليرة سورية وآثر التقتير على نفسه حياطة لهذا المعهد الكريم وتجملاً بإظهار ما خفي من محاسنه .

هذا بيان ما قدر للمجمع ان يقوم به في هذه السنة فان كان فيه شيء يستحق الحمد فبفضلكم ومؤازرتكم أيها العلماء الأجلاء وأريد ان أخص بالشكر صديقي معالي العلامة السيد خليل مردم بك أمين السر العام على توفره على أعمال المجمع ودؤوبه على ما فيه مصلحته وأتقدم بالثناء على اللجنة الادارية التي اضطلعت بما عهد به اليها من عملها وعمل غيرها على أحسن وجه مثابرةً على العمل واتقاناً له وحسن تصرف فيه وانا لنرجو ان يكون عملنا في المستقبل أعظم منه في الماضي والحاضر ان شاء الله ٠



على ذكر «الفند»

اطلعت في الآونه الأخيرة ، على ما دار حول «الفند» من آراء مختلفة نشرها أصحابها في هذه المجلة ٠

ولعل الخطب في «فند» وفي أمثال «فند» أكانت عربية أم لم تكنها ؟ أيسر من ان يتسع لما اتسع له هذا البحث ، وأنا اعود اليه مرة أخرى ، فأضيف هذه الكلمة الى كلماتهم ٠ فليست اللفظة بمنطوية على معنى جليل نحرص عليه ، وما هي متضمنة تعبيراً دقيقاً نحتاج اليه ، فنطيل فيها الكلام ، لندعي نجرها ، ونحتكر نحرها

غير ان الذي يدعو الى معالجة مثل هذه الموضوعات والعودة اليها حيناً بعد حين ، ليست قيمة الكلمة نفسها ، ولكنه هذا الحرص الملح ، يظهره كثير من الكتاب العرب ، في كثير من الأحيان ، ليجدوا للفظة العربية البحتة — مخرجاً يخرجونها به من لغتنا العربية ، ليدخلوها في لغة اجنبية وما أدري لهذا سبباً ، الا ان يكون من قبيل رد الفعل لما كان عليه قومنا من قبل ، من ان ادعاء الالفاظ واستلحاقها ، بحيث كادوا لا يتركون لفظة اتصلت بهم — ولو كانت في بعض الأحيان علماً على بلد أو شخص — وقد زعموها عربية ، فحاكوا لها صيغة ، واصطنعوا لها اشتقاقاً ؛ منتحلين في ذلك اسخف السبب ، متكلفين اضعف النسب ٠ يفعلون ذلك في الأكثر تعصباً للغتهم ، واعتزازاً بها [1]

(١) ومن مضحكات هذه التأويلات ما وقفت عليه في شرح التاج وأنا أراجع مادة «فند» قال وجاؤوا من كل فند ، (بالكسر) أي من كل فن ٠ قلت: ومنها اشتقاق لفظ الافندي لصاحب الفنون زادوا ألفاً عند كثرة الاستعمال ، ان كانت عربية ، وقيل رومية معناه السيد العظيم الجزء ٢ ص٥٥٥

واليوم عاد الأمر معكوساً ، فها هو الان يقف أحدنا من كلمة من الكلمات العربية ، موقف المتردد في فهمها المتسائل عنها ، حتى يدخل الريب من عروبة الكلمة في قلبه ، ثم لا يلبث هذا الريب ان ينقلب في نفسه أو في نفوس الساخرين يقيناً .

تردد أستاذنا المغربي في لفظة « فند » العامية . فكان مما قاله فيها : « والفند عدة شمعات تباع في غلافها المتخذ من الورق الثخين الأزرق . ويقال أحياناً دزينة شمع ، فكان (فند شمع) .. ثم قال : « وسألت اخواننا أهل دمشق عما اذا كانوا يستعملونها في لهجتهم اليومية فقالوا : انهم لا يعرفونها ، ولا سمعوا بها » .. ورجع الى الفرائد الدرية فاذا معنى هذه اللفظة « شمعة وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان أكثر استعمالها بين عامة لبنان » وتساءل الأستاذ بعد ذلك عما اذا كانت هذه اللفظة فارسية أم عربية ؟ فرجح عروبتها « وجوّز لنا ان نتبناها ، وندعيها حتى تقوم لغة اخرى فتستلحقها »

هذا كل ما قاله الأستاذ في فارسية هذه اللفظة ، وزاد على ذلك ان قال : وأخيراً رجعت الى الحاج علي الكبير الشيرازي وهو شيخ معمر من النزلاء الايرانيين بدمشق .. فقال انه لا يعرفها » ..

وقول الأستاذ هذا ، لا يخرج عن انه سانحة من سوانح الفكر ، لا يثبت لهذه الكلمة في غير العربية شيئاً ، غير ان هذا الشك الضعيف ، مالبث ان أصبح يقيناً لا يقبل الريب

فقد جاء الدكتور الكواكبي بعد ذلك يعقب على كلمة الأستاذ مؤكداً فارسية « الفند » تأكيداً جازماً ، ويقطع بأن أصلها « بند » بالباء الموحدة ومعناها : الربطة ، الرباط ، السلسلة ، القيد[1] . وان استبدال العرب الفاء بالباء الموحدة أو المثلثة التحتية أمر لا يحتاج الى تدليل . وان الفند من أصل فارسي لا ريب فيه » .

وقد ردّ الأستاذ الكرملي على الدكتور الكواكبي نافياً فارسية « الفند » مثبتاً عروبتها ، بما لا نحتاج معه ان نزيد عليه غير هاتين الملاحظتين :

---

(١) أنكر الأب الكرملي على الدكتور الكواكبي ان يكون للبند هذه المعاني واكتفى بأن قال : ومعنى البند عندهم (أي الفرس) الحيلة ، أو الاسلوب الدقيق في الحيص الى معاني معروفة في الفارسية ومعروفة في معاجمهم ونحن لا نعرف الفارسية الا ان المعاني التي ضمنها العرب : خاصتهم وعامتهم للفظ البند وأشرنا الى بعضها في هذا المقال تؤيد رأي الدكتور . الا اذا كان عند الأب العلامة ، أو أحد علماء الفرس ، ما ينفي هذه المعاني التي عددها الدكتور وذكرنا نحن ما فرّعه العرب عنها .

العرب يبدلون الفاء بالباء المشددة (أي المثلثة) بالباء المخففة (أي الموحدة)

٢ — « البند » الفارسية أخذها العرب بلفظها فقالوا : « البند » في العلم الكبير — وقالوا في لغة القانون : « قلعة بند » بمعنى « سيف القلعة » أو « قيد القلعة » وذلك بأن يوضع المحكوم عليه في قلعة ، أو في مكان لا يبارحه حتى تنتهي مدة اعتقاله • وقالوا أيضاً : البند والبنود بمعنى المادة والمواد ، او الشرط والشروط • وتقول العامة : فلان صاحب « البند والعلم » اي ذو وجاهة وسلطان أو شأن • كما تقول : بند السيف أي حميلته ، وبند الساعة اي علاقتها ، الى غير ذلك • وفي كل هذا ابقت الخاصة والعامة من العرب « البند » على لفظه الفارسي • فلو ان « الفند » العربية كانت « البند » الفارسية لاحتفظ لها بلفظها هنا ، كما احتفظ لها بلفظها في المعاني العربية التي ذكرناها لها

وقد يكون الدكتور الكواكبي ذهب الى فارسية الفند لقول الأستاذ المغربي « والفند: عدة شمعات ، ويقال: (دزينة شمع) مكان (فندشمع)» ولما كان البند هوالربطة والرباط فيكون الفند في رأي الدكتور من هنا استعير • ولعله على هذا بنى حكمهالقاطع •

فعلينا ان نعرف هل العامة وهل « الفرائد الدرية » الذي استند اليه الأستاذ المغربي في البحث عن هذه الكلمة العامية يستعملون « الفند » بمعنى « عدة شمعات »

نقل الأستاذ عن « الفرائد الدرية » ما أشرنا اليه من قبل ، وننقله الآن بحرفه : « فند الشمع وجمعه فنود cierge bougie وضبط فاء الفند بالكسر وعهدي بالطرابلسيين انهم ينطقون بها بالفتح ، وجمعها في الفرائد على فنود والا ينبغي ان تجمع على أفناد ، اذا صح أنها مكسورة الفاء • وقد وضعت أمامها العلامة التي تفيد ان الكلمة عربية عامية وان اكثر استعمالها بين عامة لبنان [1] • • »

نقول : مامعنى cierge ؟ قال لاروس في تفسيرها « هي لفظة لاتينية معناها الشمعة الكبيرة تستعمل في الكنائس • • » وأما bougie فهي مأخوذة من بوجي : مدينة بالجزائر

---

(١) أما ما جاء في الفرائد الدرية فهو هذا ciərge bougie وقد وضعت الى جانب هاتين اللفظتين الفرنسيتين العلامة التي قالوا فيها في مقدمة هذا المعجم انها اذا وضعت أمام الكلمة العربية دلت على ان هذه الكلمة لا تستعمل الا في اللغة العربية العامية في سورية خاصة • واذا هي وضعت أمام الكلمات الفرنسية تدل على ان هذه الكلمات تعبر عن المعنى العربي العامي نفسه •

بكثر فيها الشمع الذي تصنع منه الشموع ومعناها الاصطلاحي: الشمعة ذات الفتيلة المجدّلة ..»

وفي بللو المعجم اليسوعي الفرنسي العربي «الفند: الشمعة الصغيرة . ونحن اذا رجعنا الى عامة لبنان، الذين يشير اليهم الأستاذ ممن يستعملون هذه اللفظة (لأنها ليست عامة عند عامتهم) نجدهم يطلقون «الفند» على هذه الشمعات التي وصفها الأستاذ بأنها تباع في غلافها .. بل الفند عندهم هو الشمعة الواحدة الكبيرة ذات التضاريس والتلافيف يشعلونها في المآتم: من اعراس ومناحات ويوقدونها في الأديار والمقامات

فهذا كله — وفيه مصادر أستاذنا المغربي — تثبت ان الفند هو الشمعة لا عدة شمعات[1]، وينتفي به مايمكن ان يقال من ان الفند هو «ربطة الشمع» أو (دزينته) ليجوز القول بأنه منقول عن البند الفارسية .

وبقي ان يقال ان اللفظة سريانية وهو ما نقله لي الأستاذ عن أحد علماء اللغة السريانية وهذا قول لا يُقبل على اطلاقه، ما لم يقيده نص صريح على ان «الفند» هو الشمعة بوضعه اللغوي في الأصل السرياني .

أما اذا كانت الحجة على سريانية استعماله في لبنان، فهذا مردود بأن هذه اللفظة أكثر ما تستعمل في غير مواطن السريانية يستعملها قوم من العرب الاقحاح لا يمتون الى السريان ولا الى السريانية بصلة من دم ولا لسان

فالفند لفظ عربي بمعنى «الجبل العظيم، او قطعة منه طولاً – وزاد بعض — في وقة، وهو الغصن» (شرح التاج)

وفي محيط المحيط: «الفند .. الغصن ومنه فند الشمع على التشبيه .» فكأن العامة او بعض الخاصة شبهوا هذه الشمعة بالغصن لطولها ودقتها، وقد يكون لجامعة الازهار بين النور والنور . والنسبة اللغوية تضل بأدنى سبب فكيف اذا تعددت الأسباب . وهذا التشبيه موفق يقره البيان العربي والذوق والمجاز . وقد سبق لبعض المتقدمين ان استعملوه، فلا علينا ان نقتدي بهم وان تقر المجامع اللغوية هذه اللفظة لهذا المعنى .

عارف النكدي

---

(١) أما استعمال أهل طرابلس الذي أشار اليه الأستاذ فاما أن يكون خاصاً بهم وهذا ما استبعده، واما ان يكون ما ذكره الأستاذ سهواً لبعد عهده فيه .

ديوان الحكمي (ابي نواس)

استفسر مني بعض الاخوان عن نسخة من شرح ديوان الحكمي لحمزة الاصفهاني ومن المؤسف اني لم أقف على نسخة من هذا الكتاب في مكتبة عراقية خاصة أو عامة على كثرة الحافي بالسؤال عنه وعن أمثاله مما يستضاء به لاجتلاء شعر الحكمي . وقد كتبت الى أحد اعلام النجف ممن يعنى بهذه الشؤون استطلع طلعه في هذا الباب فجاءني جوابه اليوم يقول: انه لم يتذكر انه اطلع على هذا الكتاب في مكتبة ما . مع ان النجف تضم خزانات غنية في المخطوطات . وفي الطليعة منها الخزانة العلوية ذات الكتب القيمة .

ولعمري اني لشديد الرغبة في الوقوف على كتاب في شرح ديوان هذا الشاعر الفذ ، لأني مولع بتصفح شعره . قوي الشغف به . و قد اعترضني في سبيلي هذه عقاب تعسر قطعها . وجلها متأتية من ناحية التصحيف والتحريف .

ثم ان الحكمي بعيد الغوْر في أغراضه . دقيق الملاحظة في أهدافه . وكثيراً ما يكون للزمان والمكان والأحوال الاجتماعية القسط الأوفر في استجلاء تلك المرامي . من أمثلة ذلك قوله (ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر) فاني وجدت الكثير من حملة الأقلام يسألون عن النكتة في قوله (وقل لي هي الخمر) بعد قوله (اسقني خمراً) ويتناقلون جواباً قديماً بأنه يريد ان يملأ أذنه باسمها ليتم بذلك إشباع حواسه الخمس منها . وهذا جواب سطحي لأن الشاعر ليس في سبيل إشباع الحواس وانما هو في سبيل المجاهرة باللذائذ . وعدم الخوف من الناس في اقترافها يشير الى ذلك قوله (ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهر الخ) والذي ظهر لي بعد انعام الفكرة ان الشاعر انما يرمي الى التعريض بأولئك المرائين الذين يشربون الخمر متسترين باسم النبيذ . والنبيذ طليق عند فقهاء العراق ، والحدود بينه وبين الخمر ليست بحصينة . فإذا قيل لأحدهم أنت تشرب الخمر قال : لا . وانما أشرب النبيذ . فالحكمي يرى مصارحة ابناء جيله على المكشوف . ويقول لساقيه : قل لي : هي الخمر . ولا تتحجج باسم النبيذ وحال ابي نواس تفسر لنا هذا بأوضح مما يفسره لفظه .

واذا نحن فزعنا في هذا الشأن الى كتب الأدب لا نجد فيها ما ينقع الغلة .

ويشفي العلة لأن جلها لم نعر شعر المولدين والمحدثين التفاتاً · والتي التفت اليه لم تعن بالشرح والايضاح العناية المطلوبة · زد على ذلك طغيان تيار المسخ في النسخ · وتفاقم أمري التصحيف والتحريف ولا سيما حين خوى نجم التحقيق · وكسفت شمس التدقيق، في القرون المظلمة الأخيرة ·

هذا المبرد اقتطف من ازاهير المولدين الشيء الكثير ولكنه قلما عني بايضاح الغامض منه · اعتماداً على انه كان من الوضوح بحيث لا يحتاج الى ايضاح ولكن غبار الأيام تكاثف على الكثير من ذلك حتى استبهم أمره وأشكل ·

بلغني ان أحد أشياخ الأدب في مصر كتب على الكامل تعليقات تكشف منه الغامض · وتوضح المبهم · وتتم الناقص · وأسمى تعليقاته هذه (رغبة الآمل) ولما تمّ لي الوقوف عليه · وجدته على غرار أصله في عدم تعهد هذا النوع من الشعر بالشرح والايضاح، واذا تجشم الشرح فانه ربما يغرب فيأتي بالمضحك · يقول ابو نواس في خصيبيته المشهورة :

اليك رمت بالقوم هوج كأنما جماجمها تحت الرحال قبور

ويرويه المبرد في كامله هكذا :

اليك رمت بالقوم خوص كأنما جماجمها فوق الحجاج قبور

ويعدّ ذلك من جيد التشبيه · ثم يأتي المرصفي فلا يزيد على تفسير (الحجاج) بأنه : العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب · أما وجه التشبيه فبقي في صدر الشاعر :

يروي المبرد قول الحكمي من مقطوعة هي غاية في الابداع وبراعة التصوير :

تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدّريها في القسي الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

فيقول الشيخ المرصفي ما نصه : (مازرت) : يريد ماشدت عليه أزرار جيوب الندامى من الذهب والفضة · يغالون في مهرها (وللماء الخ) : هذا تعريض برؤوس الفقهاء والأغثاث ليس لها الا الماء تتبرد به « انتهى كلامه » · مع ان ابن هانئ لم يخطر له هذا المعنى ببال عندما رسم هذه الصورة البارعة · والذي يرمي اليه ان تلك

الصور المحلاة بها هاتيك الكؤوس لم تكن لمجرد الزينة بل هي بمثابة مقياس لتحديد كمية الخمر وكمية ما يمزج بها من الماء . فالخمر تكون الى أعناق تلك الصور (وهي مزرّ الجيوب ثم تمزج بالماء الى ان تغمر رؤوسها . (وهي مدار القلانس) . وقد كانوا يعنون بمقاييس الخمر وما يمزج بها عنايةً كبيرة .

بغداد طه الراوي

كتب المساجد في الشام

نشر الأستاذ محمد أسعد طلس كتاباً في مساجد الشام ، هو (ثمار المقاصد في ذكر المساجد) ، فله الفضل الكبير في تقديم هذه التحفة النفيسة للعالم العربي والاسلامي ، وعندي بعض الكتب المخطوطة في المساجد كتبها علماء شاميون أودّ اطلاع القراء الأفاضل عليها :

١ — كتاب تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد : للشيخ تقي الدين ابي بكر ابن زيد الجراعي[1] الحنبلي الامام العلامة الفقيه القاضي كان رفيق الشيخ علاء الدين المرداوي في الاشتغال على الشيخ تقي الدين قندس ، وباشر نيابة القضاء بدمشق ، وتوجه الى الديار المصرية ، فاستخلفه القاضي عز الدين الكناني في الحكم ، وباشر عنه بالمدرسة الصالحية . ومن مؤلفاته الكتاب المذكور ، و(غاية المطلب في معرفة المذهب) ، و (الألغاز الفقهية) ، و (شرح أصول ابن اللحام) ، و (تصحيح الخلاف المطلق) . وتفصيل ترجمته في غلاف الكتاب المذكور . وتوفي سنة ٨٨٣ هـ — ١٤٧٨ م ، والف كتابه في ٥ ذي القعدة سنة ٨٧٣ هـ — ١٤٦٧ م

٢ — تسهيل المقاصد لزوار المساجد : للشيخ شهاب الدين احمد بن العماد الأقفهسي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ — ١٤٠٥ م ، وفيه مطالب علمية وتاريخية لا يستهان بها وعندي له كتاب في الحمامات وآخر في آداب الأكل ...

والآثار المذكورة في موضوع المساجد وهي مكملة لما نشره الأديب الفاضل نرجو ان يوفق آخرون لطبعها ليعمّ نفعها . وفق الله العاملين .

بغداد عباس العزاوي

---

(١) في كشف الظنون في مادة (أصول ابن اللحام) ورد بلفظ (الخزاعي) .

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد التاسع عشر

مخطوطات ومطبوعات

آراء وأنباء

الجزء الحادي عشر والثاني عشر ٢٢٩ و ٢٣٠ المجلد التاسع عشر

مجلة المجمع العلمي العربي

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤٤ ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٣

التصحيف والتحريف

لضعف التدوين عند العرب في أول الإسلام وقع مع طول الزمن و كثرة الرواة ودخول العجمة على اللغة تصحيف وتحريف في بعض ألفاظ السنة والشعر والخطب وزاده كثرةً كون الأمة كانت تكتب أولاً بالخط الكوفي بدون إعجام ثم عمدت إلى هذا الخط المتعارف وهي تغفل فيه النقط أيضاً . وكان من جهلة النساخ بلاء على الكتب يتلافاه الوراقون الذين يتوخون قراءة الكتب على مؤلفيها أو على العلماء المدققين فتصدر سليمة في الجملة .

وقديماً ألف المؤلفون في تصحيح غلطات أهل كل فن ولا سيما الحديث واللغة وقد توفرت العناية بفنون الحديث وخدم خدمة لم يخدمها فن مثله . وللمتأخرين من الكتب المطبوعة في هذا الشأن « المشتبه في اسماء الرجال » للحافظ الذهبي و « كتاب الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط والضبط » لمحمد بن طاهر المقدسي و « تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب » لابن خطيب الدهشة و « لب اللباب في تحرير الأنساب للسيوطي » وغير ذلك من المطبوع في بلاد الغرب

ولفرط عناية القوم بالروايات الصحيحة ، وخوفهم من تسرب العبث اليها كانوا يضبطون كل كلمة لا بالشكل فقط بل بالتعيين بالحروف وبيان المعجم منها وغير المعجم . وقد عدّ كتاب وفيات الأعيان لابن خلّكان من أفضل كتب الأنساب والتراجم بما ضبطه من أسماء الأعلام . وآخر من عني من أهل هذا العصر بتصحيح الأغلاط العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله فإنه صحح غلطات «لسان العرب» لابن المكرم وغلطات

« القاموس المحيط » للفيروزابادي فأحسن إلى اللغة كما أحسن اليها العلامة الشنقيطي بتصحيحه بمعاونة الأستاذ الإمام محمد عبده كتاب المخصص لابن سيده كما أحسن هذا للأدب بتصحيحه كتاب « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني . ونشر الأستاذ محمود مصطفى نحو الف علم من أعلام الأنامي والمواضع في كتاب أسماه «إعجام الأعلام»

تصحيح أغلاط النساخ والرواة استغرق في كل عصر بعض أوقات المشتغلين ، ومن الأئمة الذين ردوا كل كلام إلى نصابه الصحيح في المتقدمين ابو احمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ ، وهو غير صاحب الصناعتين أبي هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ ، وكلاهما في العلم والأدب غاية ، وفي الإجادة في التأليف المثل الأعلى . ألف أبو أحمد العسكري كتابه التصحيف والتحريف وطبعت مطبعة الظاهر في القاهرة في سنة ١٣٢٦ — ٨ ١٩ الثلث الأول منه ولا يزال الأصل محفوظاً في دار الكتب المصرية . وقد عرضت على المجلس الأعلى لدار الكتب إعادة طبع الكتاب برمته فتفضل وأجاب على مقترحي . وقد شرح المؤلف فيه « الألفاظ والاسماء المشكلة التي تتشابه في صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف ، مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر ، وفي اسماء الشعراء وأيام العرب وأسماء فرسانها ووقائعها وأماكنها وما يعرض في علم الأنساب وغيرها من الإشكال فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يفطن لها إلا من افتن في العلوم ، ولقي العلماء والرواة والمتقدمين في صناعتهم ، المتقنين لما حفظوه ، وأخذ من أفواه الرجال ولم يعول على الكتب الصحفية » إلى أن قال : « فالاحتراس من التصحيف لا يدرك إلا بعلم غزير ، ورواية كثيرة ، وفهم كبير ، وبمعرفة مقدمات الكلام ، وما يصلح أن يأتي بعدها مما يشاكلها » . وقد ضمن كتابه هذا ما يحتاج اليه أهل الأدب وجعله أبواباً منها ما جاء في قبح التصحيف وذم المصحفين ولكن التصحيف ومن ابتلي به ونوادر من التصحيف ، وما روي من أوهام البصريين وأوهام الكوفيين وتصحيفات لقوم شتى وما صحف في الكتب المشهورة كالحماسة ، وما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء ، وما يشكل من أيام العرب واسماء الفرسان وما يصحف في الأنساب

والأماكن الخ . وكلها نافع للمشتغلين في تقويم منآد بعض ما سقط فيه القدماء ، دالة على سبيل النجاة لتوقي الهفوات ولقد وقع لي ولغيري ممن عنوا بنشر كتب السلف أمور تضحك من التصحيف والتحريف ، ما كان أولاها بالتدوين كما دون العسكري ما وقع له ولغيره من هذا القبيل في كتابه الممتع . من ذلك أني بقيت سنين أنا وأساتذتي لا نعرف ما هي « حمرايا » وكانت قرية في ظاهر دمشق ، دعا اليها الشاعر الواساني بعض أصحابه من أهل بلده فلما أكلوا وشربوا عبثوا به وبزرعه وشجره ومتاعه ومؤنته ، فنظم فيهم قصيدته البديعة المحفوظة برمتها في يتيمة الدهر للثعالبي . وسمعت بالعرض ذات يوم من أحد معارفي اسم « جمرايا » بالجيم فعرفت أنها هي القرية المقصودة ، ولا تسل عن شدة فرحي لما عرفت أن هذه النقطة الضالة من اسم جمرايا أضلتني وأصحابي أعواماً ، والله أعلم كم أضلت أناساً قبلنا . وجمرايا قرية إلى جانب قرية الهامة على نحو عشرة كيلو مترات من غربي دمشق وعليها ينطبق الوصف الذي وصفها به الواساني .

وكنت أقرأ أيام الطلب مقامات الحريري عند أحد أئمة الأدب فوصلنا في المقامة السادسة المراغية إلى قوله : « ونثرنا العجوة والبجوة من نوْطهم » فقال الأستاذ النجوة بالجيم لا بالخاء ، فقلت له إني راجعتها في القاموس فرأيت فيه والبخو الرُّطب الرديء الواحدة بخوة . فعجب الأستاذ فقلت له ليس هناك داع للعجب ، « رمية من غير رام » و « للفُكش في هذه الدنيا إصابات » . ورجعنا إلى شرح المطرّزي على المقامات في طبعة بولاق سنة ١٢٧٢ ه فإذا هي النجوة بالجيم ثم رجعنا الى شرح الشريشي على المقامات المطبوع في دار الطباعة الكبرى الأميرية سنة ١٣٠٠ ه فإذا فيه : « ن النجوة بالجيم الرديئة هكذا كان يفسرها شيخنا أبو بكر بن أزهر عن ابن جهور ، وما وجدت في كتب اللغة أن الفجوة اسم للتمرة الرديئة ، وقد بحث عنها بعض أصحابنا غاية البحث في كل كتاب يهتم فيه بذكر النخل والتمر فأخبرني أنه ما وجد لها ذكراً وأظنها لغة بصرية متعارفة بينهم في التمر الرديء لا أنها لغة عربية فاستعملها كما استعمل غيرها من لغة بلده » الى آخر ما قال :

وهذا التحريف أيضاً شغل الشراح هذا الشغل وما أكثر ما تضل النقط !

كنت أقرأ كلاماً للجاحظ وعندي عالم عربي نشأ في البادية فورد معي « وروغان الثعلب وجبن الصقر » فانتبه الأستاذ حالاً وقال : الصقر ليس بجبان بل هو معروف بالشجاعة . ولما رجعنا إلى حياة الحيوان عرفنا أن التحريف جاء من الصقر، وصحة العبارة « أجبن من الصِّفْرِد » كزبرج وهو طائر جبان ويقال له أبو المليح .

والناظر في المطبوعات التي تنشر اليوم من كتب الأقدمين يسجل من هذا أشياء كثيرة لا غضاضة على ناشريها إذا تصدى العارفون لإصلاحها فإن من عانى هذه الصناعة يدرك ما يلقاه الناشرون من العنت في تصحيح ما خلفته الأيام من الأصول المحرفة السقيمة فمن أصلح خمسين غلطة وغفل عن خمس غلطات ليس من العدل ان يحمل عليه ويهزأ بعمله بل بالعكس يجب الشكر له وعليه ان يشكر لمن يصرف وقته لإيقافه على ما لم يقف عليه خصوصاً ومن المسلم به ان الثقافات تختلف ونظر الناظرين يختلف فمن استوت أدواته في التاريخ قد يكون ناقصاً في اللغة ومن حفظ من اللغة جانباً قد يكون الى القصور في التاريخ والفلسفة والاجتماعيات وغيرها . ولذا كان الواجب في نشر مثل هذه الكتب ان يعهد بتصحيحها الى غير واحد من المحققين لتجيء سالمة ويرضى عنها العلماء المدققون .

مثال من ذلك ما وقع في الجزء السابع من « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي فإن المصححين بذلوا الجهد في تقويم ما لديهم من الأصول وما رجعوا اليه منها فلم يسلموا جملة من الغلط . ومنه في صفحة ٥ — ابن الملك المسعود أقسيس — وصوابه اتسيس أو أتسز أي المجرد من اللحم وهي كلمة تركية ومثله ص ٩٠ محمد المعروف بأقسيس . ص ٢٦ نشأ بقاسيون . وقاسيون جبل دمشق والصواب على ما أرى قاقون من بلاد فلسطين ص ٣٢ — المستشرق البارول رسلان . صوابه البارون دي سلان . ومثله ص ١٤١ كارمونت جانو — صوابه كارمون جانو ص ٣٩ يوسف بن قزأوغلي — صوابه قزأغلى ، أي ابن البنت أو السبط وهي تركيب تركي ٤٨٠ — قلت : وكلمة الشيخ مطاعة ، صوابه وكلمة الشحّ مطاعة . ص ١٥٠ وصافيثا ، بالثاء والصواب بالتاء وكذلك في كل محل .

ووقعت عدة أعلام كتبت بالسين وهي بالشين مثل آقوش ومنكورش ص ٢٠٣ صفية خاتون ، والصواب ضيفة خاتون لأنها ولدتها أمها في دار جماعة كانت في ضيافتهم فسموها ضيفة . ص ٢٨٩ — بشقراء من ضياع برزة ، والصواب في الحاشية من ضياع زرع وهي من أرض حوران . ص ٣٠١ — حصن برْزة — حصن برزيه

ووقع لناشري كتاب الأغاني على ما بذلوا من العناية البالغة في التصحيح بعض تصحيفات وتحريفات ، ومنها في الجزء السابع (ص ٢٦) إن يزيد بن عبد الملك « كان خرج الى قرين متبدياً به » وعلق الشارح أو الشراح على قُرين انها موضع باليمامة يسمى قرين نجدة قُتل عنده نجدة الحروْري . والصحيح ان يزيد بن عبد الملك وهو خليفة ومصاب بالسلّ ما كان له ان يتبدى في نجد أو اليمامة ، وبين عاصمة الأمويين دمشق وأول بلاد نجد نحو خمس عشرة مرحلة ، والصحيح أنه تبدّى في فَدّين ، وفدين من أقصى أرض حوران من عمل دمشق ، وكان معظم رجال بني أمية يسكنون في قصور لهم قريبة من دمشق . ثم إن نص الأغاني نفسه يفهم منه غير ما فهمه الشراح ، ذلك لأن أبا الفرج يقول : « إن يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى فدين متبدياً ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو ابن عثمان» ويقول ياقوت في المعجم:« وسعيد بن خالد بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي العثماني الفدّيني خرج في أيام المأمون وادعى الخلافة بعد أبي العُمَيْطر ... » وبذلك استقام اسم البلد على فدّين حتماً ، ويؤيد ذلك أيضاً ان المؤرخين قالوا إن الخليفة كان يتنزه في ناحية الاردن ومثل ذلك يقال فيما ورد في ص ٢٨ من هذا الجزء أيضاً أن الوليد بن يزيد خرج يريد « فرَتنى » ، وفسروها بأنها قصر بمرو الرُّوذ ، وما عرف أن الوليد ابن يزيد وهو خليفة ذهب الى مرو الرُّوذ ، وهي على نحو اربعين مرحلة وأكثر من عاصمته . وهذه الكلمة أيضاً محرفة عن فدّين ، وليس من المعقول أن يبعد الخليفة عن أم قراه هذا البعد الشاسع .

وورد في الجزء الثامن (ص ١٠٣) قول جميل :

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها وقد قرُبت بُصرى أمصر تريد

وقال الشارحون هكذا في الأمالي وفي الأُصول وقد قربت نِضوي أي ناقلتي الهزيلة ولعل الكلام يستقيم بنضوى اكثر من بُصرى إلا إذا ثبت ان حبيبة جميل كانت ترحل معه من الجزيرة الى الشام ومنها أراد أن يفارقها إلى مصر . وفي هذا الجزء أيضاً غلط الناشر بقوله إن إبراهيم بن العباس الصولي هو ابن العباس ابن الأحنف ، وإنما العباس بن الأحنف خاله وعلى ذلك يدل سياق الحديث أيضاً قال : حدثني الصولي قال حدثني القاسم بن اسماعيل قال : سمعت ابراهيم بن العباس يقول : ما رأيت كلاماً محدثاً أجزل في رقة ، ولا أصعب في سهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالَيْ نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول المقام ملول

وفي ص ٣٥٣ : أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ذكوان قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يصف العباس بن الأحنف فقال : كان والله ممن إذا تكلم لم يُحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريف اللسان لو شئت أن تقول إن كلامه كله شعر لقلت . وهذا القول لا يقوله ولد في والده . ثم إنه ما قال أحد أن في نسب العباس بن الأحنف لقب «الصولي» والصولي لقب إبراهيم بن العباس وابن الأحنف عربي معروف .

ووقع للعلامة احمد زكي باشا رحمه الله بعض تحريفات في نشره كتاب «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» لابن فضل الله العمري منها تشديده ميم سلمية وسين عسال وهما سَلَمْيَة وعِسال بالتخفيف والفتح فقط ، وأعجم السين من سرعين وسميساط ، وأعجم الدال من بلودان وسدوم ، فقال بلوذان وسذوم ، وحرف دير الفاروس باللاذقية بالقاروس في ثلاثة مواضع وهو بالفاء ، وقال حُمة جدن وهي حُمة جَدَر ويقال لجدر أم قيس المعروفة اليوم بمكيس إحدى المدن العشر المعروفة في التوراة وقال «جسر يعقوب» والصواب جسر بنات يعقوب وسمى «العَمْق» «العمقا» وقال «دنين» قرية شرقي حوران وهي ديبين قرية معروفة الى اليوم وزعم أن الترك سموا «نزيب» تمييزاً لها عن نصيبين التي في العراق (والأصح في الجزيرة) وأنهم قالوا «إربد» تمييزاً لها عن إربل بأرض الموصل والحقيقة أن

اسم إربد لم يتغير عن هذا الرسم منذ دخول العرب الى عهد الترك الى خروجهم من الديار الشامية . قال ياقوت في معجم البلدان : أرْبدُ بالفتح ثم السكون والباء الموحدة قرية بالأردن قرب طبرية عن يمين الطريق المغرب . وكانت أرْبد مركزاً من مراكز حمام الزاجل وهجين الثلج ومناور النار المعروفة على عهد المماليك تصل بين مصر والشام ، وقد ورد ذكرها مرات في « زبدة كشف الممالك » لخليل ابن شاهين الظاهري المطبوع في باريز ، والتعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري المطبوع في القاهرة . ولم ترد إربل باللام قط في عهد العثمانيين فقد جاء في التقويم السنوي (سالنامه) عن سنة ١٢٩٨ هـ المطبوع بدمشق باللغة التركية بالدال اربد وكذلك في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي المطبوع في الاستانة وهكذا ينطق بها أهل ذاك الأقليم والأقاليم المجاورة

وبعد فإني كثيراً ما كنت أسمع أن ابن خلدون أجاد في مقدمة تاريخه ولم يجد في تاريخه ، وما عرفت سرّ ذلك إلا لما اقترح عليّ أن أنظر في الجزء الثالث من تاريخه ليعاد طبعه ، وكان طبع في المطبعة الأميرية ، وقديماً كان اسم الكتاب المطبوع في هذه المطبعة مشهوراً بالدقة والعناية فماذا رأيت فيه ؟ رأيت لما توفرت على النظر فيه تصحيفات مخجلة في الأعلام وغيرها أفسدت المعنى وأضلت القارئ . ولا أغالي إذا قلت إني رأيت في كل صفحة عشر غلطات فظيعة ، دع ما سقط من الكلمات والجمل ، وأحياناً صفحات برمتها . وقد صححت مئة وخمسين صفحة ثم اعتذرت للطابع لأني لا أحب أن أصرف من حياتي حولاً كاملاً في تصحيح جزء من تاريخ ابن خلدون ، على أن تقويمه الآن ليس من المتعذر متى عرفنا المصادر التي أخذ عنها ابن خلدون ، وقد اعتمد في الأكثر على ابن جرير الطبري وابن الأثير الجزري المطبوعين في ليدْن بعناية علماء المشرقيات جزاهم الله عن أدبنا ولغتنا خير جزاء ودفع عن كتبنا ما عمت به البلوى من التصحيف والتحريف .

محمد كرد علي

القرآن

بحث عليّ تاريخيّ أثريّ

(٣)

٦ — القرآن وعلماء النصارى

أقبل فريق كبير من أئمة النصارى وعلمائهم ومفكريهم في بلاد المشرق منذ العصور الغابرة على دراسة القرآن . فدققوا النظر في سُوَره وآياته . وأمعنوا وتعمقوا في نواميسه وشرائعه ، ثم كتبوا عنه الشيء الكثير أو القليل في تصانيفهم وفتاويهم الشرعية . واتخذوه دستوراً في بعض القضايا والفرائض المدنية .

فاذا سرّحنا النظر في الملة النسطورية رأيناها قد ازهرت في عهد بني العباس وامتزجت بالخلفاء والامراء والمشترعين قبل سائر الملل النصرانية . ومن مشاهير النساطرة الذين درسوا القرآن وضوابطه وفرائضه في تلك الحقبة نذكر : آل بختيشوع الذين تولوا الطبّ في بلاط العباسيين ثلاثة قرون كاملة أعني منذ القرن الثامن حتى القرن الحادي عشر للميلاد[1] . ويوحنا بن ماسويه (+ ٨٥٧ م) رئيس أعظم مدرسة ازدحم الطلاب على أبوابها في دار الخلافة[2] . ويعقوب الكنديّ (+ ٨٦١ م) فيلسوف العرب وسليل ملوك آل كندة[3] . وحُنين بن اسحق (+ ٨٧٦ م) شيخ تراجمة الإسلام ورئيس الفلاسفة والأطباء في عهد المتوكل الخليفة العباسي[4] . وأبا عيسى يحيي بن جزلة (+ ١٠٨٠ م) الطبيب البغداديّ صاحب كتاب « المنهاج » وقد أسلم في آخر أيامه ووقف كتبه لمشهد الامام ابي حنيفة[5] .

(١) طبقات الأطباء : لابن ابي اصيبعة : جزء ١ صفحة ١٣٦ (٢) الآداب السريانية : تأليف روبنس دوڤال : صفحة ٢٧٢ و٣٨٦ (٣) زبدة الصحائف في اصول المعارف : تأليف نوفل نوفل : صفحة ٤٥ « المجمع » لم يكن يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب نصرانياً وانما ذاك عبد المسيح ابن اسحق الكندي من أهل القرن الرابع للهجرة ويعقوب عاش في اوائل القرن الثالث .

(٤) مجلة المنارة : سنة ١٩٣٥ صفحة ٨٥٢ (٥) تاريخ مختصر الدول : لابن العبري صفحة ٣٣٩ .

وموفق الملك بن التلميذ (١٠٨١ — ١١٦٤ م) الملقب بسلطان الحكماء[١] خلف مؤلفات كثيرة منها كتاب اشتمل على أحاديث نبوية[٢] ·

وتفرّغ بعض جثالقة[٣] النساطرة وأساقفتهم لإنشاء قوانين مدنية لملتهم استمدوها من أحكام القرآن وسُننه · ومن أقدمهم الجاثليق خنيشوع الأعرج (٦٨٦—٧٠١م) والجاثليق طيمثاوس الأول (٧٨٠ —٨٢٣ م) والجاثليق ايليا الأول (١٠٢٨ — ١٠٤٩ م) والجاثليق ايليا الثالث المعروف بأبي الحليم (١١٧٦ — ١١٩٠) صاحب الخطب العربية المشهورة · ثم عبديشوع مطران الموصل مؤلف كتاب « تقسيم المواريث » في القرن الحادي عشر للميلاد · وعبديشوع الصوباويّ (+ ١٣١٨ م) مطران نصيبين وهو مؤلف كتاب الشرع البيعيّ والمدنيّ المستعمل عند النساطرة لعهدنا هذا ·

وتصدّى غير واحد من قدماء مؤرخي النساطرة لذكر القرآن وتأثيره في القبائل العربية وفي الشعوب المجاورة لها · اشهرهم برحد بشابا العربيّ اسقف حلوان بالعراق في القرن السابع للميلاد · ثمّ معاصره بَرْ قنكايا المؤرخ[٤] ·

ولميخائيل الكبير بطريرك السريان (١١٦٧ — ١٢٠٠ م) عدّة أحكام مدنية استخلصها من القرآن وجرى بموجبها ابناء ملته · وجاء بعده المفريان[٥] ابو الفرج ابن العبريّ (+ ١٢٨٦ م) فخلف فصولاً ممتعة في الشرائع والفرائض اقتبسها من القرآن · وقد أثبت زبدتها في تاريخيه المدنيين ولا سيما في مؤلفه المشهور بكتاب « الهدى » · وهو دستورٌ تمشي عليه ابناء ملته في العصور الغابرة وما برحوا يسيرون بأحكامه حتى اليوم · وخصص المؤرّخ الرهاويّ السريانيّ فصولاً جمة في مؤلفه « تواريخ الأزمنة » بذكر القرآن ونواميسه واحكامه[٦] · وهذا المصنف الفريد قد نشره سنة ١٩٠٠ البطريرك العلاّمة افرام رحماني في مطبعة دير الشرفة ·

(١) اعلام العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي — وخريدة القصر للخزرجيّ (٢) طبقات الأطباء : لابن ابي اصيبعة : جزء ١ صفحة ٢٥٥ (٣) الجثالقة جمع جاثليق : أعلى مرتبة دينية عند النساطرة والأرمن (٤) نشر الفونس منكنا تاريخ برقنكايا عام ١٩٠٨ في الموصل (٥) المفريان رتبة دينية عند السريان وهي دون البطريرك وفوق المطروبوليت (٦) تواريخ الأزمنة : للرهاوي : صفحة ١٦٢ — ١٦٣

وقام عند الموارنة في القرن الحادي عشر داود المطران فنقل عام ١٠٥٩م عن السريانية الى العربية كتاب «الهدى» او «الهادي» وهو يتضمن نواميس شتى مستمدة من القرآن .

ونبغ في الملتين الملكية والقبطية طائفة معتبرة من الكتاب الأعلام تصدّوا لدرس القرآن . فمن الملة الملكية نذكر يعقوب بن صقلان ونفيس الدولة الدمشقي طبيب هولاكو . ولا سيما موفق الدين ابن المطران (٥٨٧ ﻫ) وقد أسلم في عهد صلاح الدين الأيوبي . فعلت منزلته عند هذا السلطان إلى ما يشبه منزلة الوزارة والادلال حتى على الملوك . اما الأقباط فقد اشتهر بينهم في القرن الثالث عشر للميلاد ثلاثة اخوة من آل العسال وهم : الرئيس المؤتمن وابو الفرج هبة الله والصفي ابو الفضائل ماجد وغيرهم .

وقد اطلعنا على كتاب ثمين وضعه احد اجلاء الكهنة الشرقيين المعاصرين في «لغة القرآن» وعلاقتها باللغات السامية . فسرد كلّ ما في ذلك المصحف من من اسماء وافعال وعبارات وتراكيب واصطلاحات وقابلها بتلك اللغات . ثمّ شرحها كلها شرحاً دقيقاً وحللها تحليلاً لغوياً محضاً . واعتمد في بحثه مشاهير كتبة الإسلام كالغزالي والجلالين والزمخشريّ والبيضاويّ وغيرهم . ولم يفته في هذا الصدد ما كتبه اهلُ المعرفة والنقد من علماء الاستشراق في ديار اوربا . ولسنا نعرف احداً قبل هذا البحاثة طرق موضوعاً مثل هذا الموضوع من علماء الشرق والغرب .

ونضمّ الى من ذكرنا اديباً نصرانياً يقال له نعوم البخّاش الحلبيّ عاش في القرن التاسع عشر وامتاز بخطه العربيّ الرائع . ومن بديع ما نمقته يراعته فاتحة القرآن فإنه كتبها على حبة ارزّ[1] .

واذا انتقلنا من الشرق الى الغرب رأينا رهطاً من نوابغ المستشرقين ينافسون المسلمين في درس القرآن وشرحهِ وتحليلهِ . ويعتنون بتدوين تواريخهِ واكتناز مخطوطاتهِ ويُبكرون الى ترجمتهِ وطبعهِ . من ذلك ان المستعرب باباغانيني طبع

(١) يومية نعوم البخاش : بقلم الأب فرديناند توتل : صفحة ٤

القرآن في مدينة البندقية منذ القرن السادس عشر . وعدّت طبعته هذه العربية باكورة طبعات القرآن برمتها .

ونشرت مطبعة ليدن بهولندا سنة ١٦١٧ قصة يوسف اعني السورة الثانية عشرة من سور القرآن . وهي اوّل طبعة عربيـة أبرزتها مطابع اوربا بالشكل الكامل[١] .

ولم يقتصر علماء الاستشراق على طبع نصوص القرآن فقط بل وضعوا تآليف ضافية وافية في تفسيره وتعداد مزاياه . وتوسع قوم منهم في البحث عن « تاريخ القرآن » كالأستاذ بركنشريسر أحد علماء المانيا[٢] . وممن طرق الموضوع ذاته المستشرق اماري الايطاليّ (١٨٠٦ — ١٨٨٩) . فانه صنف تاريخاً للقرآن شاركه فيه العلامة نولدكه وطبعه سنة ١٨٥٨ فأحرز جائزة المجمع العلمي بباريس[٣] . وعاصرهما كاتب سياميّ شهير يقال له برتلمي سنت هيلار (١٨٠٥ — ١٨٩٥) فصنف كتاباً عن القرآن وعن الدين المحمديّ طبعه سنة ١٨٦٥[٤] .

وطبع المستعرب لويس ماراجي سنة ١٦٩٨ في پادوا بإيطاليا تفاسير القرآن تأليف البيضـاويّ والزمخشريّ والسيوطيّ[٥] . وحذا حذوه المستشرق فليشر (١٨٠١ — ١٨٨٨) فطبع تفسير القرآن للبيضاويّ ١٨٤٦ في ليبسيك[٦] .

وخصص المستشرق بوتيه (١٨٠٠ – ١٨٧٣) بالقرآن حقبةً طويلةً من حياته فكتب فيه بحوثاً مستفيضة لم يُباره فيها كاتبٌ شرقاً وغرباً . وسرد عقائد سائر الأديان الموافقة او المخالفة له . وألمع الى تأثير القرآن في الاجتماع والحضارة والى الأشهر والجمعات التي يقدّسها والى غير ذلك[٧] .

وطبع الدكتور لويس سبرنغر (١٨١٣ — ١٨٩٣) المستشرق النمسويّ كتاب « الاتقان في علوم القرآن » تأليف جلال الدين السيوطيّ[٨] .

---

(١) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٣ (٢) المشرق : مجلد ٣٣ سنة ١٩٣٥ صفحة ١٢١
(٣) المستشرقون : بقلم نجيب العقيقي صفحة ١٢٦ (٤) الآداب العربية في القرن التاسع عشر : للأب لويس شيخو : جزء ٢ صفحة ١٧٠ (٥) المشرق : مجلد ٣ سنة ١٩٠٠ صفحة ٨٤ (٦) المستشرقون : صفحة ١٣٥ (٧) المستشرقون : صفحة ٩٣ — ٩٤ (٨) المستشرقون : صفحة ١٤٤

ووضع المستشرق رودلف دڤوراك (+ ١٩٢٠) المتوفى في براغ عاصمة بوهيميا تأليفاً جديراً بالاعتبار يجث فيه الفاظ القرآن المعرّبة [١] .

وتفرّغ المستشرق المدقق اوتوپرتزل لدرس «علم قراآت القرآن» وتجويده وفهارس مخطوطاته . وواصل تلك البحوث بجهود مستمرة حتى توفق الى العثور على ستة وخمسين مخطوطاً حفظت في احدى وثلاثين خزانة اكثرها في عواصم اوربا . فوصف كل مخطوط على حدة وذكر منه اوّله وأشار الى لائحة فصوله . ثم رتب فهارس تلك المخطوطات ترتيباً علمياً وصدّرها بدرس متين في «علم قراآت القرآن» ونشأته ومصادره . ونشر بحوثه الدقيقة في المانيا بين السنتين ١٩٣٣ و ١٩٣٤

ونشر العلامة نلينو (١٨٧٢ — ١٩٣٨) أشهر سور القرآن فرتبها ترتيباً تاريخياً محكماً . وعلق عليها الحواشي وأردفها بمعجم : يستعين به طلاّب اللغة العربية الاوربيون . وقد سرد في كتابه هذا خلاصة البحوث الحديثة عن فقه اللغة العربية وعن أصل القرآن دون ان تفوته مقابلته بسائر اللغات السامية [٢] .

ونقل العلامة مرغليوث (١٨٥٨ — ١٩٤٠) الى لغته الانكليزية قسماً من تفسير القرآن للبيضاوي . وقد برهن في حله بعض المعاني العويصة على تضلع من اللغة العربية وعلى براعة غريبة فيها .

وممن خاض في درس الأبحاث الشرقية وتعمق فيها الأب هنري لامانس اليسوعي (١٨٦٢ — ١٩٣٧) . كتب في العرب والاسلام والخلفاء والسيرة النبوية معتمداً على القرآن [٣] .

انما اجتزأنا بذكر اليسير من بحوث أعلام النصارى وعلماء الاستشراق عن القرآن . ولو تحرّينا احصاء كل ما دوّنوه عنه في موسوعاتهم او نشروه في مجلاتهم او اثبتوه في تصانيفهم قديماً وحديثاً لتألف من ذلك خزانة من أهم خزائن الدنيا .

(١) الآداب العربية في القرن العشرين : للأب لويس شيخو : صفحة ١٣٠ (٢) المشرق : مجلد ٣٨ سنة ١٩٤٠ صفحة ٢١٣ (٣) المشرق : مجلد ٣٥ سنة ١٩٣٧ صفحة ١٦٩ — ١٧٠

٧ — طرائف عن مصاحف القرآن

لو شئنا ان نسرد كلّ ما ورد من الطرائف والنوادر عن مصاحف القرآن لانقضى العمر دون البلوغ الى الغاية . غير اننا نسترعي القراء لِما أزمعنا ان نطرفهم به من بعض تلك النوادر فنقول :

ذكر ابن النديم في القرن الرابع للهجرة انه ارتحل الى الحديثة وهي مدينة بجوار الموصل . فرأى فيها عند رجلٍ يقال له محمد بن الحسين مصحفاً بخط خالد ابن ابي الهيــاج صاحب عليّ بن ابي طالب . ورأى هناك ايضاً خطوط الإمامين الحسن والحسين[1] .

وروى سبط ابن الجوزيّ انه كان في جامع اصبهان قبل احتراقه سنة ٥١٥ للهجرة خمسمائة مصحف مكتوبة بخطوطٍ بديعةٍ مدبجةٍ بصفائح الذهب والفضة : بينها مصحف خطه بيده أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الخزرجيّ[2] وهو الذي أمره الخليفة عثمان ان يجمع القرآن فشاركه في جمعه[3] . وكان أُبَيّ بن كعب حبراً من أحبار اليهود ثم أسلم .

وكتب المقريزيّ ان خزائن قصر الفاطميين بالقاهرة اشتملت على الفين واربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوطٍ منسوبةٍ جميلةٍ مطعمة بذهب وفضة وغير ذلك[4] .

ومن أثمن ما وقع عليه نظرنا في القدس الشريف عام ١٨٩٣ ؛ مصحف بديع موشّىً بالعسجد واللُجين كتبه عبد الله ابن امير المسلمين ابي سعيد عثمان سلطان الجزائر . وهذا المصحف الذي يزين خزائن المسجد الأقصى مكتوبٌ بحبر أحمر وازرق واخضر وقرمزيّ مُزج بالمسك والزعفران . يرتقي تاريخه الى سلخ ذي الحجة سنة ٥٤٧ للهجرة (٢٨ آذار ١١٥٣ م) . ولما سُرق هذا المصحف منذ بضعة اعوام قامت الحكومة الفلسطينية وقعدت للأمر . وبثت العيون على اللصوص في جميع الأمصار حتى عثرت سنة ١٩٣٦ على المسروق في حانوت احد تجار العاديات بالقاهرة .

---

(١) فجر الاسلام : لأحمد أمين : جزء ١ صفحة ١٩٧ ودائرة معارف القرن العشرين : مجلد ٢ صفحة ٧٠ — ٧١ (٢) مرآة الزمان : للجوزي (٣) الاعلام : لخير الدين الزركلي : صفحة ٢٨

(٤) خطط المقريزي جزء ٢ صفحة ٢٥٦

فاستولت عليه وأعادته الى مركزه في خزائن المسجد الأقصى . ونضرب صفحاً عن ذكر مصاحف ثمينة مصونة في هذا المسجد اطلعنا عليها بذاتنا يتقادم عهدها الى ايام مماليك مصر وسلاطين آل عثمان [1] .

وكان سنان باشا (١٠٠٤ هـ و ١٥٩٥ م) المهندس التركيّ الشهير من كبار المولعين بجمع نفائس المصاحف والمخطوطات . فقد خلف مائة وستين مصحفاً مرصعة بالدرر والجواهر . وكانت تلك المصاحف مع غيرها من الكتب الثمينة مصونة في خمس وثلاثين صندوقة مطعمة بالياقوت والمعدن [2] .

ومن طرائف ما يُروى عن عبد الرحمن الخولانيّ الحيرازي المتوفى سنة ١٠٠٣ للهجرة أنه كان يقدّس القرآن ويعظمه في أمور ما خطرت ببال انسان قبله . فانه صنف تفسيراً للقرآن جمع فيه صناعات المصاحف بأسرها وجعل ذلك القرآن إماماً يُقتدى به ويعوّل عليه . ثمّ استقصى ما في مصحف عثمان بن عفان وضمّ اليه ما لا أثر له في غيره . وبلغ به حرصه الشديد على إجلال القرآن أن اصطنع له بيده كاغداً وحبراً ممتازين ليكون طاهراً بالاجماع [3] .

ويرى المطالع نموذجات شتى من المصاحف النفيسة في دار الكتب المصرية وفي دار الكتب الأزهرية بالقاهرة . ويشاهد مثل ذلك ايضاً في دار الكتب الظاهرية بدمشق وفي دار الكتب اللبنانية في بيروت وفي غيرها من دور الكتب وخزائن المساجد . ويتجلى ذلك خصوصاً في مكة والمدينة واليمن وبغداد والنجف والموصل وحضرموت وطهران واصبهان وتبريز وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش ومكناس والاسكندرية واسطنبول وبروسة وادرنة وهلمّ جرّاً . وهذه المصاحف منمقة بصنوف الاقلام العربية بدءاً من القلم الكوفي الأصلي الى القلم البغداديّ فالقلم الافريقيّ فالأندلسيّ فالريحانيّ فاليمانيّ فالمزركش حتى القلم الديوانيّ والقلم القاعدي في عهدنا .

(١) خطط الشام لمحمد كردعلي : مجلد ٦ صفحة ٢٠٠ — ٢٠١ (٢) خطط الشام : مجلد ٦ صفحة ١٩٦ (٣) خلاصة الأثر : جزء ٢ صفحة ٣٦٠

وبلغ تفنن المسلمين في كتابة القرآن وزخرفته ان نسخوه على أصغر حجوم الورق وأوسطها واكبرها . فكتبه بعضهم بحجم البندقة او بيضة الدجاجة . وكتب غيرهم بعض سُوره على حبة ارزّ او حبة قمح . ونرى اليوم مصاحف لا يتجاوز حجمها سنتيمترين طولاً وسمكاً وعرضاً مطبوعةً وموضوعةً ضمن قماطر من عسجد او لجين او معدن آخر . زد عليه انّ الأقدمين وشحوا فاتحة القرآن ورؤوس سوره واجزاءه واحزابه بمينا دقيقة الصنع مختلفة الألوان .

وكان في مكتبة مدرسة الأمير جمال الدين الاستادار بالقاهرة عشرة مصاحف بديعة طولُ كلّ منها اربعة أو خمسة اشبار في مثلها عرضاً . وكان احدُها بخط ابن البواب (٤١٣ ه) والآخر بخطّ ياقوت المستعصمي (٦٩٨ ه) وباقيها بخطوط منسوبة [١] .

وفي خزانة كتبنا الخاصة مصاحف قرآنية نفيسة تفتن الأبصار بفواتحها المذهبة واشكال خطوطها المستبدعة وألوان زخارفها الرائعة : بينها مصحف نادر مكتوب بحبر اسود تتخلل سطوره ترجمة القرآن باللغة الفارسية مكتوبة باللون الأحمر . وفي خزانتنا مصحف ثان دُبجت عناوين سُوره وأجزاؤه كلها بحروف ذهبية والوان شتى واكتنفت صفحاته المستبدعة من اوله إلى آخره بإطار مطعم بالذهب . وفُصلت آياته جمعاء بنقاط ذهبية لماعة . ومما يزيد قيمة هذا المصحف الجميل الرائع انه رابع مصحف حبره ونمقه حافظ الخطاط الشهير . والى القارئ ما كتبه في آخر المصحف ضمن هالة بديعة يحيط بها غصنان مذهبان : « كتبه حافظ القران شهيد الدين الامام مير اقبال من تلاميذ سليمان الكاشفي اللهم اغفر لي ولهم آمين سنة ثمان وثمانين ومائتين والف — المصحف الرابع » . وفي مكتبتنا كذلك مصحف ثالث طوله زهاء ثلاثة اشبار لا يقلّ عمره عن اربعمائة سنة . وُشي جلده بنقوش هندسية عربية مذهبة دقيقة الصنعة . وتعلو فاتحة هذا المصحف الثمين رسوم مدبجة بألوان لازوردية وخضراء . وهناك مصاحف شتى نادرة نؤلف اليوم تحفاً مستظرفاً في خزائن ابنتنا جان دي طرازي بباريس .

(١) خطط المقريزي جزء ٤ صفحة ٢٥٢

وروى عبد الرحمن الجبرتيّ عن الشيخ ابراهيم بن محمد سعيد الادريسيّ المتوفى سنة ١١٨٧ للهجرة [1] قوله: « كان قلمه كلسانه سيالاً . وربما شرع في كتابة سورةٍ من القرآن وهو يتلو سورةً أخرى بقدْرها فلا يغلط في كتابته ولا في قراءته حتى يتمهما معاً » .

وكتب بعض المسلمين تفسير القرآن كله بألفاظ مهملة اعني خالية من النقاط [2] . واشهر من عُني بمثل هذا التفسير السيد محمود حمزة الحسيني (١٢٣٦ — ١٣٠٥ هـ) فانه انشأ للقرآن تفسيراً مطوّلاً في مجلدين عنوانه « درر الأسرار » والتزم ان تكون كلمات التفسير كلها بحروف مهملة من أولها الى آخرها . ثم ألف معجماً مهملاً سماه « الكمل الى الكلام المهمل » للاستعانة به على التفسير المشار اليه [3] .

واشتهر في عصرنا محمد علي بن بهاء الله زعيم الفرقة البهائية . فانه كتب بظفره كتابات ناتئة لا تقل جمالاً وروعةً عن كتابته بالقلم . وبرّز خصوصاً بما خطه بظفره على القرطاس من الآيات القرآنية والأمثال الحكمية . وتوفي شيخاً جليلاً سنة ١٣٥٥ للهجرة في « البهجة » بجوار عكا .

وفي مكتبتنا من الخطوط الناتئة قديمة وحديثة أنواع وأشكال نُقشت بأظفار ناسخيها وعلى بعضها تواريخ نساختها ترتقي الى نحو مائتي سنة لعصرنا هذا .

٨ — ترجمات القرآن وطبعاتها

لسنا نعرف كتاباً عربياً أثارهم العلماء والباحثين في اربعة اقطار المسكونة كما أثارها مصحف القرآن منذ صدر الاسلام حتى اليوم . تلك حقيقة صادعة لا تفتقر الى برهان يسندها او حجة تدعمها . وهذه الهمم شملت المسلمين وغيرهم على السواء فأكبوا على تلاوته وبالغوا في دراسته . ولم يذَروا آية من آياته أو لفظة من ألفاظه أو معنىً من معانيه الا شرحوها وتبحروا في تأويلها ودققوا في تحليلها .

وكان السباقون في نقل القرآن الى مختلف اللغات منذ العصور الغابرة احبار

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار جزء ١ صفحة ٣٧٩ (٢) رسالة السلام : مجلة الخوري أنطون عقل في بيروت : سنة ١٥ صفحة ٧٧ (٣) تراجم مشاهير الشرق : لجرجي زيدان جزء ٢ صفحة ١٧٨

النصارى ورهبانهم وقسانهم . وقد عثر بعضهم منذ القرن الثالث عشر للميلاد في جامعة مونپليه بفرنسا على ترجمة للقرآن باللغة اللاتينية . والغريب أن ناقل هذه الترجمة راهب من رهبان النصارى مولود في جزيرة صقلية يقال له دومينيك جرمان . وقد تولى المستشرق داڤيك نشر تلك الترجمة في المجلة الآسيوية بباريس [١] .

والأغرب من ذلك ان ابن الصليبي مطران ديار بكر (+ ١١٧١ م) في القرن الثاني عشر للميلاد سبق الراهب دومينيك المشار اليه فنقل الى اللسان السرياني آيات جمة من القرآن ضمها في مؤلف خاص انطوى على ثلاثين فصلاً في مائة واربع واربعين صفحة كبيرة [٢] . وقد نشر عام ١٩٢٥ احد تلك الفصول الفونس منكنا (+ ١٩٣٧) نقلاً عن مخطوطة المتحف البريطاني بلندن وأردفها بترجمة انكليزية . ويتقادم عهد تلك المخطوطة السريانية الى سنة ١٧٦١ يونانية الموافقة للسنة ١٤٥٠ للميلاد .

واطلعنا نحن على ترجمة سريانية للقرآن كاملة لا تقل قدماً عن الترجمتين المذكورتين . وهي مخطوطة نادرة أفلتت من نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرُّها وأهلها عام ١١٤٥ للميلاد يوم احتلها زنكي ملك الموصل (٥٤٢ — ٥٩١ هـ) . ويتبادر الى الظن ان مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسيل مطران الرها الذي كان من أبرع كتاب تلك الحقبة وأبلغهم .

وممن تطرّق من رجال الدين المسيحيّ في عهدنا الى ترجمة القرآن القسّ دَبل راعي الكنيسة في زنجبار فانه نقل القرآن الى اللغة السواحلية المستعملة في تلك الأرجاء ثم طبع تلك الترجمة عام ١٩٢٣ في لندن عاصمة الانكليز .

ونرجح ان كثيرين من أحبار النصارى وقسانهم سوى مَن ذكرنا نقلوا القرآن الى لغاتهم للوقوف على سنن الدين المحمديّ ومعارضتها بسنن الدين المسيحيّ . ونعتقد ان تلك الترجمات محفوظة كلها او بعضها في خزائن الأديار او في دور الكتب شرقاً وغرباً .

وتفرّد علماء الاستشراق خصوصاً بتعمقهم في درس القرآن وترجمته وشرحه وطبعه . فنقلوه الى لغاتهم نقلاً محكماً حتى أصبح في استطاعة الأدباء غير العرب

(١) المستشرقون: صفحة ٣١ (٢) كتاب الجدل: مخطوطة مكتبة البطريركية السريانية ببيروت .

ان يقتنوه ويتصفحوه ويتفهموه . وأقدم ما عرفناه من تلك الترجمات الأوربية المختلفة ترجمة ايطالية وضعها عام ١٥٤٧ المستشرق اندريا اريفابين[1] . وتلتها ترجمات وطبعات غيرها أحصينا منها مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة شرقية وغربية . وقد طبعت تلك الترجمات بتوالي الأزمان وتكرر طبع بعضها مراراً لرواج سوقها بين العلماء وأرباب البحث .

وأوفر الترجمات والطبعات عدداً هي الترجمات الانكليزية فالفرنسية فالألمانية فالايطالية . فترجمات القرآن الانكليزية مثلاً وهي احدى عشرة ترجمة بلغت طبعاتها اجمالاً ستين طبعة . منها اربع وثلاثون طبعةً لترجمة جورج سيل وحدها . تليها ترجمات القرآن الفرنسية وعددها ثماني ترجمات بلغت طبعاتها اجمالاً سبعاً واربعين طبعة . منها اثنتان وعشرون طبعة لترجمة كزيميرسكي وحدها . تليها ترجمات القرآن الألمانية وعددها ثلاث عشرة ترجمة بلغت طبعاتها اجمالاً ثلاثاً وعشرين طبعة . منها تسع طبعات لترجمة المستعرب اولمان فقط . تليها ترجمات القرآن الايطالية وعددها اثنتا عشرة ترجمة طبع منها اجمالاً احدى وعشرون طبعة لا غير .

وهناك خمس ترجمات للقرآن في كلٍ من اللغات : الفارسية والتركية والاسبانية والهولندية والارمنية والبنغالية .

تليها اربع ترجمات للقرآن في كلٍ من اللغات الصينية والبنجابية والغوجدانية .
ثم تليها ثلاث ترجمات للقرآن في كلٍ من اللغات : اللاتينية والروسية والاسوجية .

تليها ترجمتان في كل من اللغات : الأفغانية والبولونية والمجرية والدنيمركية والسريانية والقشتلانية والسندية .

أخيراً ترجمة واحدة للقرآن في كلٍ من اللغات : اليونانية والبلغارية والسربية والروتانية والالبانية والبرتوغالية والهندوكية واليابانية والجاويه والاردوية والسواحلية .

تلك خلاصة اثبتناها هنا بعدما تقصينا البحث عن ترجمات القرآن وطبعاته في الموسوعات والتآليف والفهارس والمجلات العلمية الموثوق بها .

---

(١) غرائب الغرب : لمحمد كرد علي : جزء ١ صفحة ٢٤٤ — ٢٤٥

٩ — متاحف القرآن

لم يكتف علماء الاستشراق بترجمات القرآن وطبعاته على ما فصلنا بل هبوا منذ القرن المنصرم الى إحياء العلوم القرآنية وتعزيزها من جميع مناحيها . فأخذوا يستنهضون هِمم أهل المعرفة والنقد ليدرسوها ويستجلوا غوامضها ويعمموا نشرها في الآفاق . وقد نشطتهم الدول الأوربية الى ذلك وساعدتهم مساعدة أدبية ومادية . فأسست الجوامع الفخمة في أشهر العواصم وكبريات الحواضر . وأدرت الأرزاق لأئمة الدين وخدّام العلم . ومهدت أمامهم السبل للبلوغ الى الهدف المنشود .

ولنا أصرح مثال على ذلك ما سعى اليه وحققه المجمع العلميّ في بافاريا . فانه أخذ على عاتقه النهوض بجمع المخطوطات والنوادر المنطوية على نص القرآن . وعلى تاريخــه وعلومه وشروحه وعلى كل ما يتعلق به . فحشد أرباب ذلك المجمع مصنفات وافرة احتوى بعضها على نسخ خطية أصلية وانطوى البعض الآخر على لوحات او صفائح فوتوغرافية نقلوها عن مصادرها . وأنشأوا من تلك المجموعات الثمينة متحفاً قرآنياً وحيداً في بابه كبير القيمة يُدهش العقول ويلفت الأبصار . واستأنفوا بعد هذا ينتقون من تلك الذخائر الخطية والشمسية أجودها وأفضلها وأفيدها وينشرونه على نفقة المجمع اعلاءً لشأن المعارف [1] .

الخاتمة

الى هنا خلاصة البحث عن « القرآن » ولا بدّ لي من الاقرار والتقرير بأنه ليس الاّ قطرةً من بحر . لكنه فيما اعتقد بحثٌ جديدٌ جديرٌ بالاعتبار فاستقيتهُ من مناهل صافية ونقلته عن مصادر وثيقة صادقة . ولم اقصد في عملي الاّ تنبيه مَن تحدّثه النفس ليطرق هذا الباب ويتبسط في درس أصوله وفروعه . و « ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاءُ والله ذو الفضل العظيم » [2] .

فيليب دي طرازي

(١) مجلة « الرسالة » في القاهرة : لاحمد حسن الزيات : سنة ٥ صفحة ٤٣٧

(٢) القرآن : سورة الحديد ٢٩

الحُرْفُوص

١ — حكاية تمهيدية للبحث

اقتنى مبعث الرهبان الكرمليين في بغداد ، في سنة ١٨٧٤ م ، بستاناً أنيقاً ، على صدر النهر المسمى بالمسعودي . وقد ُطمّ اليوم ودُفن وكان بمبلغ قدره اربعمائة وخمسون ذهباً عثمانياً ؛ وكان يومئذ هذا المبلغ عظيماً . وكان البستان يعرف بالكشفية .

وقد قيل لي : إنه كان ملكاً لشيخ من شيوخ الكشفية [1] ، المشهورة يومئذ في بغداد ، وكان قد وجد المبلغ جسيماً ، فانتهز هذه الفرصة ليبيعه ، ويشتري غيره أكبر منه ، لكن أبعد موقعاً من الأول .

وفي سنة ١٨٩٥ ، طلب اليّ رئيس المبعث أن اتولى ادارته ، فلبيتُ طلبه ، وبقيت في ادارته نحواً من ٢٥ سنة ، أو اكثر بقليل . وكان عندنا في سنة ١٩٠٣ زراع اسمه صالح ، وله امرأة اسمها شمسة ، وابنة اسمها زهراء . وكان عمرها يومئذ (١٦) سنة . وكانت قوية البنية ، مفتولة العضل ، تساعد والديها في الشغل ، وتقاسمهما اتعابهما .

ومما كان يدل على قوتها ، انها كانت تأخذ العجل على كتفيها . فتنقله من مرعاه الى الضيعة [2] ، ولا تشعر بالتعب وبقيت سنتين وهي أقوى شخص في بستاننا .

---

(١) « الكشفية » و تسمى « الشيخية » أيضاً هي النحلة المنسوبة الى (الشيخ أحمد الاحسائي) التي نشأت سنة ١٢٤٣ هـ . في المدينة المنورة أثناء ذهابه الى الحج ، وكان قد عاش نحواً من ٩٠ سنة وقد قضى أمداً طويلاً في النجف ، من مدن العراق ، وفي إيران . وفي أوائل المائة الثالثة عشرة أظهر نحلته ، وكان على مذهب الاثني عشرية الأصولية . وله مؤلفات فيه . ثم مال الى الباطنية (وهي قسم من المتصوفة) الغلاة منهم فصار يعتقد الجزء الالهي في الأئمة . وبهذا اختلف عن الاسماعيلية . ثم أغرى علماء العراق داود باشا للوقيعة به ، من جراء تحامله على الخلفاء الراشدين ، فهرب الى الحج ومات هناك . « عن المساعد . عن الاستاذ المحامي عباس العزاوي » (٢) الضيعة يسميها العراقيون « الجاعة » والمصريون « العزبة »

ثم رأيتها ذات يوم لاتستطيع حمل الحَوْليّ على كتفيها ، فقلت لوالدها : ما بابنتك زهراء ؟ قال : لا أعلم . قلت : اسألها . فسألها . فقالت : اشعر بتعب في جسمي . ولم تقل له الحقيقة ، حياءً منها . وبقيت تعاني آلاماً شديدة وتصرخ صراخاً يمنع أهل البستان من النوم .

وكانت تشعر بلذع اليم في موطن خفي من جسدها ، وبقيت تكتم مرضها والآلام تزداد فيها تبريحاً ، وهي لا تنام حتى الصباح ، وأهل البستان يتشكون من شدة صراخها وقلة نومهم . فسألها والدها مره ثانية : ما بك يا زهراء ؟

قالت : لا أقول ما بي إلا لوالدتي . — فجاءت أمها وأخذتها على حدة ، وقالت لها ، ما بك يا زهراء ؟

قالت : — وهي خجلة — في سرّي ألم محرق ولا أستطيع ان أحتمله .

فأخبرت شمسة زوجها بالأمر ثم جاء صالح وأطلعني على جلية الأمر .

فقلت له : خذها الى طبيب ليداويها .

فقال : نحن العرب لانطلع الرجال على بناتنا ولا على نسائنا ، وان كنّ في خطر الموت

فقلت له خذها : الى امرأة طبيبة .

فقال : ليس لنا هنا ولا في البلد طبيبة ماهرة .

فتركها تعاني أشدّ الآلام حتى قضت نحبها ، وكان عمرها يومئذ (١٨) سنة وستة اشهر ، فماتت شهيدة الحياء والعفة والخفر .

ثم مات أبوها حزناً عليها ، ولكونها كانت وحيدة البيت . — ثم بعد سنتين ماتت شمسة أيضاً ، فمحي هذا البيت واندثر ، لأن الصبية لم تؤخذ الى الطبيب

ولما غُسلت قبل دفنها ، لاحظت الغاسلة أن حرقوصاً ، كان قد علق بسرّها ، فامتص دمها حتى استنزفه فماتت .

هذا كل ما سمعت بهذا الخصوص ، أي بما يتعلق بأمر الحرقوص ، وقد سماه (صالح) بهذا الاسم . وأما الغاسلة فسمته بالطَّبُّوع . وهو يكون في مبارك البقر ومرابطها . وكم وكم من انثى ماتت لهذا السبب ، ولم تجسر على ان تقول كلمة للشكوى ، حياءً وخجلاً !

٢ — حكاية ثانية

كنت أبحث كثيراً عن مثل هذه الحكاية في كتب الأقدمين ، فلم أوفق للعثور عليها في كتاب والأدباء لا يتنازلون الى ذكر مثل هذه الأمور . وعند العرب — دون غيرهم — مثل مشهور : «كل شيء مهاه ما خلا النساء وذكرهن» فكيف يحتمل الرجل ذكر ما يتعلق بأخفى ما في الأنثى ؟

ثم عثرت هذه الأيام على نظير هذه الحكاية في مجلة المجمع العلمي العربي (في السنة ١٧ : ٣٤٢ ، ٣٤٣) في ما ينشر فيها باسم (جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي) ولكني رأيت في نشره في المجلة من الأغلاط ما اضطرني الى جلب كتاب (الفرج بعد الشدة) من مصر ، وهو للمؤلف نفسه ، وقد وردت فيه هذه الحكاية ، في الطبعة الثانية من هذا الكتاب المطبوع في سنة ١٩٣٨ ، فأعدت النظر لأتحقق مواطن الغلط والخطإ ولم يرد علي إلا في هذه الأيام ، وقابلت بين النصين ، فألفيت في هذه النسخة أيضاً أغلاطاً جمة ، فأصلحت النص الواحد بالآخر ، حتى نهضت العبارة تسير على قدميها سيراً قويماً . ودونك هذه الحكاية على ما وردت في كتاب (الفرج بعد الشدة) في ٢ : ١١١ وما يليها ، منقحة على ما تبين لنا ، ونذكر أوجه الخلف الواردة في المجلة أو في الكتاب نفسه لينجلي الأمر كل الانجلاء :

حدثني أبو الفضل ، محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب ، قال : حدثني القاضي[1] أبو بكر الجعابي الحافظ ، قال :

دخلت يوماً على القاضي ابي الحسين ابن القاضي أبي عمر رحمهما الله ، وهو مغموم ، حزين ، فقلت له : لا يغم الله القاضي ، فما الذي أراه ؟

فقال : مات يزيد المائي .

فقلت : يبقي الله قاضي القضاة أبداً . ومن يزيد المائي ، حتى اذا مات ، اغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله ؟

---

(١) ليست في المجلة

فقال : ويحك ! أمثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ، وما ترك في حذقه أحداً قط[١] ؟ وهل تفخر البلدان[٢] إلا بكثرة رؤساء الصنائع[٣] ، وحذّاق أهل العلوم فيها[٤] ؟ فإذا مضى رجل لا مثيل له في صناعته ، بدّل الناس فرحهم بالترح[٥] ، وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم وانحطاط البلدان ؟

قال : ثم اقبل[٦] يعدّد فضائله ، والأشياء الطريفة التي[٧] عالجها ، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره ، فذكر من ذلك أشياء كثيرة ، كان منها أن قال[٨] : لقد أخبرني منذ مدة طويلة ، رجل من جلة أهل هذه البلد ، أنه كان قد حدث بابنةٍ له علة[٩] فكتمت أمرها عنه ، ثم اطلع عليها ابوها ، فكتمها هو أيضاً[١٠] مدة ، ثم انتهى امر البنت الى حدّ الموت .

قال : فقلت له لا يصح ترك علاج هذا ، وكتمان اكثر من هذا[١١] .

قال : فكانت العلة ان فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً ، لا تنام منه الليل ، ولا تهدأ النهار ، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ ، ويجري منه في خلال ذلك دمٌ يسير كماء اللحم ، وليس هناك جرح يظهر ، ولا ورم كثير مزبد .[١٢]

قال : فلما خفت الآلام[١٣] ، احضرتُ يزيد ، فشاورته ، فقال أتأذن لي في الكلام ، وتبسط عذري فيه ؟ قلت نعم :

قال : لا يمكنني ان اصف شيئاً دون ان أشاهد الموضع بعيني ، وأفتشه بيدي ، وأسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة .

قال : فلعظم الضرورة[١٤] ، وبلوغها حدّ التلف ، أمكنته من ذلك . فأطال مساءلتها ، وحديثها بما ليس من جنس العلة . وبعد أن جسّ الموضع من ظاهره ،

(١) في المجلة : « ولا خلف له ولا أحد يقاربهُ في حذقه » (٢) « وهل فخر البلد »
(٣) كون الرؤساء «الصناع» (٤) «وحذاق أهل العلم فيه» (٥) «ولا بد للناس منها»
(٦) « ثم قال بعد ذلك . وأخذ يعدّد » (٧) « والأشياء الطريفة التي عالج بها »
(٨) «لم يتعلق [لم يعلق] أكثرها بحفظي . قال : وكان منها أن قال .» (٩) [علة طريفة]
(١٠) « ثم أطلعته عليها ، فكتمها هو مدة » (١١) « قال : فقلت لا يسعني كتمان هذا أكثر من هذا» (١٢) « ولا ورم كثير مزبد [كذا] » (١٣) في الكتاب والمجلة : [ألم خفت المأثم] (١٤) في الكتاب : [فلعظم الصورة]

وعرف بقعة الألم، حتى كدتُ أبطش[١] به ؛ ثم تصبرتُ ورجعت الى ما أعرفهُ من ستره، فصبرتُ على مضضٍ الى ان قال :

تأمر من يمسكها . ففعلتُ ؛ ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً ، فصاحت المرأة ، فأغمي عليها ، وانبعث[٢] الدم ، واخرج في يده حيواناً ، أقل من الخنفساء ، فرمى به فجلست الجارية في الحال ، وقالت : يا أبتِ استرني ، فقد عوفيت .

فأخذ يزيد الحيوان بيده[٣] ، وخرج من المحل ، فأجلسته[٤] وقلت لهُ : أخبرني ما هذا ؟

فقال : ان تلك المساءلة التي لم اشك في انك انكرتها ، انما كانت لأطلب دليلاً استدل[٥] به على سبب العلة ، الى ان قالت : انها في يوم من الأيام ، كانت جالسة في بيت[٦] دوابّ من بستان لكم ، ثم حدثت العلة بها ، من غير سبب[٧] تعرفه .

فلما كان في صفته الضربان ، تخيلت انه قد دبّ الى فرجها[٨] من القردان التي تكون على البقر ، وفي بيوته قراد ، قد تمكن من أول داخل الفرج ، وكلما امتصّ الدم من موضع ، ولد لها ضرباناً[٩] ، وأنه اذا شبع ، خفّ الضربان ، لانقطاع مصه ونقطت من الجرح[١٠] ، الذي يمتص منه الى خارج الفرج ، هذه النقط اليسيرة من الدم .

فقلتُ : ادخل يدي ، وأفتش ؛ فأدخلتها ، فوجدت القراد فأخرجته . وهو هذا الحيوان ، وقد تغيرت[١١] صورته من كثرة ما امتصّ من الدم مع طول الأيام .

قال : فتأملنا الحيوان ، فاذا هو قراد ، وبرأت المرأة[١٢] .

(١) [حتى كدت أن أثب به] (٢) [وانبث الدم] (٣) [واستترت وقالت : يا أباه ، ستروني ، فقد عوفيت قال : فأخذ الحيوان في يده] (٤) [فلحقته وأجلسته وقلت له]

(٥) [إنما كنت أطلب شيئاً أستدل به] (٦) [انها في يوم من الأيام جلست في بيت دولاب بقر] (كذا) (٧) [من غير معرفة من ذلك اليوم] (٨) [فخلت أنه قد دبّ الى فرجها] (٩) [فلما امتص الدم من موضعه ، ولدّ الضربان] (١٠) [نقط من الجرح الذي يمتص منه] (١١) [قد كبر وتغيرت صورته] (١٢) [قال وأراني الحيوان، واذا هو قراد، قال : وبرئت الصبية] .

قال مؤلف هذا الكتاب : ولم يذكر القاضي ابو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه[1] » انتهى ·

قلنا : ولم نجد الراوي ، ولا المروي عنه ذكر الاسم الخاص بهذا القراد ، أي انه لم يسمه (الحرقوص) ، بل باسم عام هو (القراد) كما رأيت ·

واما انه الحرقوص بعينه ، فظاهر من كلام زراعنا (صالح) ومن الوصف الدقيق الذي وصفه به صاحب (الفرج بعد الشدة) وصاحب (المحكم) بحيث لا يبقى ثمّ أدنى شك كما ترى مما يأتي نقله ·

٣ — الحرقوص في نظر صاحب المحكم وجماعة من اللغويين

قال في المحكم : « الحرقوص » هنٌ مثل الحصاة ، صغير أُريقط بحمرة وصفرة ، ولونه الغالب عليه السواد ، يجتمع ويتلج تحت الأناسيّ وفي ارفاغهم ، ويعضهم ، ويشقّ الأسقية ·

وفي التهذيب للأزهري — وهو من أعظم لغويي العرب وارسخهم قدماً في معرفة لُغى القبائل على اختلاف ديارهم — ما نصه : « دويبة صغيرة تثقب الأساقي وتقرضها · » — وقال سمعت الأعراب يزعمون انها تدخل في فروج الجواري · وهي من جنس الجعلان ، إلا انها اصغر منها ، سود منقطة ببياض · قالت أعرابية :

ما اقي البيض[2] من الحرقوص من مارد[3] لص من اللصوص
يدخل تحت الفلق[4] المرصوص بمهر لا غالـــ ولا رخيص

أراد بلا مهر · قال الأزهري : ولا حمة لها اذا عضت ، ولكن عضتها تؤلم لا سُمّ فيه كسمْ الزنابير ·

قال ابن بريّ : معنى الرجز : ان الحرقوص يدخل في فرج الجارية البكر · قال : ولهذا يسمى « عاشق الأبكار » فهذا معنى قوله : تحت الفلق المرصوص بلا مهر · » قالوا وجمع الحرقوص : الحراقيص ·

---

(١) فقال لي أبو الحسين القاضي : فهل ببغداد اليوم من له في الصناعة مثل هذا ، أو مايقاربه ؟— فكيف لا أغتم بموت من هذا بعض حذقه (٢) في نسخة : الناس (٣) في نسخة الجمهرة : فاتك
(٤) في الجمهرة : يبيت دون الحلَق ·

٤ - الحرقوص على ما وصفه العرب غير ما ذكر

لم يتفق لغويو العرب على ان للحرقوص معنى واحداً كما تقدم بسطه ؛ وذلك لأن الكلمة الواحدة قد يكون لها معنى في قبيلة غير المعنى المعروف في القبيلة الأُخرى ، وقد يكون لها معنىً في بلد عربي اللسان ، ولا يكون لها ذلك المعنى عينه في البلد الآخر . ولهذا نذمّ عمل من يحصر المعنى الواحد للكلمة الواحدة ، في حين ان لها معاني شتى يختلف الواحد عن الآخر . يشهد على ذلك ما للحرقوص من المعاني المتنوعة بحسب البلاد والقبائل . ونحن ننقل عن التاج ما جاء في هذا الصدد، لنبين للباحثين انه لا يحسن بهم أن يجعلوا معنى واحداً للفظ الواحد ، اذا كان ثمّ عدة معان ، وهم يفعلون ذلك ذهاباً وراء ابناء الغرْب ، لكن لساننا يختلف عن ألسنتهم ، ومزايا لغتنا غير مزايا لغتهم . ولذا يجب علينا ان نراعي حقوق السلف في مثل هذا الموضوع . قال السيد مرتضى في تركيب (ح ر ق ص) :

[١] « الحرقوص ، بالضم ، دويبة كالبرغوث ، ربما نبت له جناحان ، فطارت نقله الجوهري .

[٢] وقيل : هي فوق البرغوث .

[٣] وقال الليث : هي دويبة مجزعة ، حمتها كحمة الزنبور ، تشبه بها السياط .

[٤] أو دويبة صغيرة كالقراد ، تلصق بالناس . عن ابن دريد . قال الشاعر :

زكمة عمار بنو عمار   مثل الحراقيص على الحمار

[٥] او هي أصغر من الجعل . عن ابن السكيت .

[٦] ما نقلناه في صدر الديرة الثالثة . وكل ما ورد في سائر الكتب لا يخرج عن أحد هذه الأقوال ، أو عن طائفة منها .

فالحرقوص بالمعنى الأول يقابله بالفرنسية على رأينا Larve du cousin

وبالمعنى الثاني Ascaride eombrical

وبالمعنى الثالث Tenthrède ، وهو كثير الوجود في العراق ، وجزيرة العرب .

وبالمعنى الرابع هو الفسافس ، والطمج والكتان (زنة رمان) وبالفرنسية Punaise

وبلسان العلم[1] Cimex . وهذا يتعرض للحمام والخفاش والحمار ولغيرها من أنواع الهوام والحشرات .

وبالمعنى الخامس معروف في الأرجاء الشمالية من العراق، واسمه الفرنسي Pentatome

وأما المعنى السادس فهو الشائع عند اغلب العرب، وهو الذي وصفناه في هذا المقال . وبهذا المعنى ذكرنا الحكايتين .

وقد جاء الحرقوص بمعنى غير المعاني الستة التي ذكرناها هنا . فقد ورد مضافاً الى الحديد، إذ قال السلف من أهل الكيمياء والصيدلة : « حديد الحرقوص » وهو تصحيف لقول الفصحاء منهم : « حديد الخلقوس » وهذه الكلمة يونانية من Khalkos أي نحاس . والمراد بحديد الحرقوص . النحاس المحرق الذي يسميه العراقيون : « راسُخت » وهذه فارسية الأصل . قال ابن ميمون وغيره : « الروسختج هو النحاس المحرق الذي تسميه عامة المغرب : « حديد الحرقوص » انتهى

٥ — الحرقوص في تحقيق العلماء

اسم الحرقوص عند علماء الحشرات Ixodes ، والكلمة يونانية الأصل معناها : اللاصق ، والملتصق ، واللزج . وهو ضرب من العناكب ، من رتبة هوام الجرب ، ملوَّز الشكل ، وقد يكاد يكون مُداراً ، واذا كان قتيناً ، كان مبسوط الجسم ،

(١) أنكر بعض المتفصحين قول الأدباء : « لسان العلم » زاعمين أن ليس للعلم لسان ليتخذ في الكلام . قلنا : وهذا لا شك فيه ، لكن الذين يقولون لسان العلم ، يريدون لسان أهل العلم ، كما لا يخفى على كل شاد من العربية وأحكامها . وهذا ما يسمى باب حذف المضاف وإبقاء المضاف اليه ، ومنه في سورة يوسف : [واسأل القرية] . فهل للقرية لسان حتى تجيب على السؤال ؟

وقالوا : فلان يلبس السواد والبياض ، يعنون به الأسود والأبيض، وهو على تقدير ذي السواد وذي البياض — وفي الحديث يا خيل الله اركبي ، أي يا فرسان خيل الله اركبي . —

وقال اللغويون : [ومن أمثالهم : حلفت بالسمر والقمر . ولا آتيك السمر والقمر ، ولا أفعله السمر والقمر ، ولا أكلمه السمر والقمر . أي سواد الليل وبياضه بطلوع القمر ؛ او ما دام ظل القمر واشراقه . يعني أبداً . وكله على تقدير محذوف . أي مدة وجود السمر والقمر . كما في قولهم : لا أكلمه القارظين ، أي مدة غيبة القارظين . [انتهى]

ومثل هذا كثير في كلامهم ولا يكاد يُحصى عدّاً .

وينتفخ اذا امتلأ من دم الحيوان الذي يعيش عليه ، أو اذا امتلأ بيضاً ، وهو أسمر اللون الى دكنة . صلب الجلد ، مندغم الرأس بالصدر ، صغيره بالنسبة الى سائر جسمه . وله مجاسّ ذات أعمدة ، وممصّ قرنيّ القوام ، وله انف بارز ، قصير ، كأنه مقطوع قطعاً ، وله اكارع ذوات عقاقيف ، تمكنه من ان يتشبث بما يشاء من الأجسام ، ويكون في البلاد الحارة عالقاً بأنواع الأنبتة ، لا سيما بالرَّتم والرمث وأشباههما ويعلق بالحيوانات التي تحتك بها ، اي بالكلاب ، والخيل ، والبقر ، والقططة ، والغنم ، بل يتعرض للإنسان فيؤذيه أذية تشبه اللذع ، فيضطره الى الحك ، فيحمر المكان ، ويرم ، وينتفخ .

وهو ضروب ، منها : القَـمْقام ، والعَلّ ، والطِلْح ، والبُرام ، والقُرْشوم ، والنبر (بالكسر) والضُفّ (بالضم) ، والكُرّاش (كرمان) ، والعِلهِز (كزبرج) (منقول عن معجم لتره الطبي الفرنسي بتصرف قليل)

٦ — أسماؤه في لغتنا

يسمى [الحرقوص]: (الحرقوس) أيضاً ، بالسين . ذكره اللغويون . — ومن اسمائه (النهيك) كأمير ، فعيل بمعنى فاعل ، لأنه ينهك من يتعرض له أي يضنيه ويجهده .

ويسمى أيضاً (النُهَيْك) كزُبَير بالتصغير ، لتعظيم اذيته ، وهو تصغير تعظيم ، لأذية من يتشبث بلكمه .

وهو (النهَيْكَة) أيضاً ، بزيادة هاء في الآخر وهي للمبالغة . قال في مستدرك التاج في (ن ه ك) : و (النهيكة) : دابة سويداء مدارة ، تدخل مداخل الحراقيص »

وسموا ولد الحرقوص : (حَبرْقَصاً) ويقال له (حبرقس) بالسين أيضاً . وقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان (٦ : ١٥٥) من طبعة الساسي ، لكننا لم نجد فيها سوى أبيات شعرية ، وليس فيها فائدة علمية جديدة تزيد على ما ذكرناه .

وقد سماه كثيرون (عاشق الأبكار) لأنه يتلج في اسرارهن ، وأغلب

كبار اللغويين ذكروه في مادة حرقوص ، لا في موطن آخر [1] .

وهناك ضرب من الحرقوص اسمه (حَرَنْقصى) ، كحَبَرْكى [أي بفتح الأول والثاني وإسكان الثالث وفتح الرابع يليه الف مقصورة] قاله ابن دريد وابوزيد . والواحد حَرَنْقصاة ، بالهاء عن ابن عباد .

وثم أيضاً (الحُرْقصاء) كقُرْفصاء . نقلها ابن سيده . ولم يحلها . وقيل : هي الحَرَقصى الذي ذكره ابن دريد وابوزيد . ونحن نوافق على ذلك والكلمة تعريب Argas ، مبنى ومعنى ، أو يكاد .

٧ — رأي المستشرقين

من أقدم المستشرقين ايطالي اسمه (انطونيو جيجيو) المتوفى سنة ١٦٣٢ م . ويعقوب غوليوس ، وهو هولندي ، وتوفي سنة ١٦٦٧ . وقد اتفق كلاهما على ان الحرقوص (وضبطا الكلمة خطأ بفتح الأول) : ضرب من الهوام يشبه البرغوث ، وقد ينبت له جناحان فيطير . ولم يتمكنا من معرفة اسمه العلمي

ثم جاء الألماني جورج غليوم فريتغ المتوفى سنة ١٨٦١ ، فقال في معجمه العربي

---

(١) ومن أسمائه [النبر] بنون مكسورة يليها باء موحدة تحتية ساكنة ، يليها راء قالوا : هي دويبة أصغر من القراد ، تلسع فينتبر موضع لسعتها ويرم . وقيل هو الحرقوص . وقال الأزهري : ولا حمة لها اذا عضت ، ولكن عضتها تؤلم ألماً لا سم فيه كسم الزنابير] اه

وكذلك قال الدميري وهذا كلامه :

(النبر ، بالكسر : دويبة شبيهة بالقراد لكنها أصغر منه، اذا دبت على البعير تورم مدبها والجمع نبار وأنبار ..) وليست بذبابة ، كما توهم أحدهم ، والنبر بلسان العلم (أي بلسان أهل العلم أو بلسان العلماء) Ixodes camelorum وهو قراد صغير أكثر ما يتعرض للإبل ، وسماه آخرون : Cimex camelorum والمعنى واحد وان اختلف الالفاظ ، لكنه ليس بذباب كما ذهب اليه أحدهم ، فقال عليه : (ذباب كذا يتطفل على الغنم والابل والبقر والخيل فيتولد منه النغف (كذا) والنبر لا يلسع (كذا) والجميع يقولون إنه يلسع وانما يبيض تحت الجلد والمشهور أن النبر يبقي بيضه في بطنه ، ويخرج منه نغف ، اما في الجلد أو في مجاري الأنف ، أو في المعدة . ولما كان النغف لا يلسع قالوا عنه (كذا) أي قالوا عليه دويبة إذا دبت على البعير تورم جلده وانتفخ ، وربما يكون ذلك سبب هلاكه ، انتهى . قالوا : واسمه بالانكليزية Botfly والحال أن Botfly هو النعرة لا النبر . والوهم يسير ان شاء الله اذ الفرق هو بين النون والعين من جهة ، والنون والباء من جهة أخرى . فتأمل .

اللاتيني ما معناه : «الحرقوص ويجمع على حراقيص : ضرب من الهوام يشبه البرغوث ، وقد ينبت له بعض الأحيان جناحان ويتعرض للناس . »

« وقال آخرون : (هو حشرة مجزعة بأحمر واصفر . وذهب جماعة الى أنه أكبر من البرغوث ويلسع لسعًا مؤلمًا ، وله جناحان . — وثمّ فريق ذهب الى أنه البرغوث » انتهى كلام الألماني .

فأنت ترى ان فريتغ أطول نفسًا من غيره وامتع تعريفًا منهم ؛ لكنه لم يذكر لنا اسمها العلمي . وهؤلاء اللغويون الثلاثة صنفوا معاجمهم بالعربية واللاتينية . وقد عربنا كلامهم هنا نقلاً عن دواوينهم .

واما (قزميرسكي) فكان مستشرقًا بولونيًا ، ذهب الى فرنسة ، واتخذها وطنًا له بعد وطنه الأول ، ومات فيها في نحو سنة ١٨٧٠ ، ووضع معجماً ضخماً ، طبع مرة في باريس ثم في مصر ، وما هو بالحقيقة : إلا نقل معجم فريتغ الى الفرنسية مع بعض زياداتٍ طفيفة . وقد قال في الحرقوص ما معنـاه : « حشرة مجنحة » ولم يزد على هذا القدر الزهيد .

وفي الآخر ، جاء اللغوي الانكليزي (لين Lane) ووضع معجماً عربيًا انكليزيًا ، سماه (مدّ القاموس) وهو من أحسن المعاجم الى حرف الراء ، لكنه توفي بعد ذلك وأكمله غيره إكمالاً سيئًا ، لأن المسودة لم تكن كاملة بيده بعد وفاة مؤلفه . وقد نقل (لين) المعاجم العربية الى الانكليزية نقلاً متقنًا دقيقًا بل في غاية الدقة ، كل ما جاء من الكلام على الحرقوص في الصحاح ، والأساس والقاموس ، والتاج ، لكنه لم يعرف اسمه العلمي ، ولذا لم يذكره لنا . ولما كان الكلام المذكور منقولاً في ما دوّناه نحن هنا ، لا حاجة لنا إلى إعادته ولا نتعب القارئ بالوقوف عليه ثانية على غير طائل .

٨ — رأي علمائنا المعاصرين

ظنّ أحدهم ان الحرقوص هو (ام اربع واربعين) ، وذكر من اسمائها (أم سبع وسبعين) ، و (الحريش) ، و (العقربان) ، و (دخال الأذن) ، و (دخالة الأذن) ،

و (الدُّخال) كرُمان ، و(الدُّخَلل) : بضم الدال المهملة ، وفتح اللام الأولى ، و (أُلحرقص) كهدهد ، بلسان أهل السودان ، و (أبو مقص) . فهذا كله رأي قائل لا قوام له . بل نقول: كان السكوت أولى من هذا الخلط .

قال : ان اسمه بالانكليزية Earwig واسمه العلمي Centipede وفي موطن آخر من كتابه ، قال اسمه العلمي المشهور : Forficula Auricularis .

أما الدكتور محمد شرف بك فقد أصاب بعض الاصابة حين قال في مادة : Ixodes « اكسودس — حشرة الطلح من نوع حيوانات الجرب . جنس الطِلح من القراد . » فنعترض على هذه الألفاظ : انه كان في غنى من استعماله : اكسودس ، ولا حاجه به الى قوله « حشرة » وكان حسبه ان يقول : حرقوص والجنس هو حرقوصيات . وأما الطلح . وكذلك الطليح ، فليس من الغلط .

٩ – نظرة مجملة في الحرقوص

اتضح بما بسطناه الى هنا ، ان للحرقوص عدة معان ، وكل معنى خاص بقبيلة دون القبيلة الأخرى ، أو ببلدٍ عربيّ دون بلدٍ آخر ؛ وان لم يبين اللغويون هذ الأمر . ومثل هذا كثير النظائر في لغتنا . فان للعجوز مثلاً أكثر من ستين معنى . وقد نظم الشيخ يوسف بن عمران الحلبي قصيدة مدح بها قاضياً ، جمع فيها جميع معاني (العجوز) ، وختم كل بيت بكلمة (عجوز) ؛ إلا ان معانيها تختلف باختلاف مواقعها في كل بيت من تلك الأبيات . وربما جمع في البيت الواحد ذكر العجوز مرتين أو ثلاثاً ، بل ربما أربعاً ؛ ولها في كل مرة معنى يختلف عن معنى اللفظ الذي سبقه . وعدد الأبيات ستون . وقد ذكرها الشارح في ديوانه في مادة (ع ج ز) .

ولم تنفرد العربية بهذه المزية ، ففي اللغات الغربية أشباه ونظائر لا تحصى . وكفاك بحثاً ان تنظر في معجم انكليزي لتحقق بنفسك ما ننبهك عليه . وكذلك يقال في الألمانية والفرنسية والإيطالية .

ولهذا نقبح ونرذل رأي من يحصر لفظ (الحرقوص) في معنى واحد ، ويلح على ان لا يكون له إلا معنى واحد . فكيف لو قلت له معنيان ، أو ثلاثة ، و سبعة ، او أكثر ؟ !

١٠ — أصل كلمة (الحرقوص)

قد يكون أصل (الحرقوص) عربياً محضاً ، منحوتاً من (الحرق) . و (القرص) ، لأن قرص بعض أنواعه محرق كل الإحراق ، وشديد الإيلام . او ان الحرق هنا بمعنى (الخرق) ، بالخاء المعجمة لخرقه المكان الذي يمتص منه الدم ، على ان هناك من يقول : ان الكلمة يونانية الأصل ؛ لأن اليونانيين عنوا بتدوين اسماء الحشرات والطيور والحيوانات والنباتات منذ أقدم الأزمنة ، وتركوا لنا تصانيف في هذه المباحث ، لا تزال الأسس الثابتة والمكينة لها الى عهدنا هذا .

فالحرقوص قد يكون من اليونانيـة Euchroeus أو Euchrée أي الحسن اللون ، أيا كان ذلك اللون . وحسن الألوان تتبع الأشخاص : فقد قيل : لا جدل في الأذواق ولا في الألوان Degustibus et coloribus non disputandum

١١ — الخلاصة

جاءت الحرقوص بمعان مختلفة عديدة ، وكل معنى خاص بقوم دون قوم من العرب ، وبقبيلة دون قبيلة ، أو ببلد دون بلد من ديارهم ، فلا يحسن بالقارئ ان يحصرها جميعها بقوم واحد ، أو بمعنى واحدٍ ، فهي موزعة على طوائف من القبائل ، ويجب ان تحترم ، ويعطى كل ذي حق حقه . وهكذا لا يقع خبط ولا خلط ، فتسلم بذلك لغى القبائل ، وتسلم الألفاظ من تعاكس المعاني ، وبذلك أيضـاً يسلم اللسان من المفاسد والتشاكس ، لكن اشتهر (الحرقوص) بالحشرة التي تسمى بلسان العلم Ixode . وهذا خلاصة هذه المقالة الطويلة المملة .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

دير الفارُوس
بجانب اللاذقية

من الغريب ، أن هذا الدير لم يذكره الشابشتي في كتاب « الديارات » ، ولا البكري في « معجم ما استعجم » ، ولا ياقوت الحموي في « معجم البلدان » !

ودير الفاروس ، من أقدم الديارات في الشرق ، فإن تأسيسه يرقى إلى صدر النصرانية . وأقدم ما انتهى إلينا من أخباره يعود الى سنة ١٨١ للميلاد ، فقد ذكر الرحالة الانكليزي والپول (F. Walpole) في رحلته الشرقية [1] أنه وقف في مدينة اللاذقية على نسخة خطية من الكتاب المقدس ، مكتوبة بخط مليح ، ومحافظ عليها أحسن محافظة ، بالرغم من مر العصور عليها . ولقد كتب هذه النسخة ثيودُسيوس الأسقف اليوناني ، سنة ٤٩٢ يونانية (= ١٨١ م) فهي إذاً من مخطوطات المائة الثانية للميلاد . ثم قال : إنه في سنة ١٧٢٧ يونانية (= ١٤١٦ م) وَجد الأسقف نقفور (Nicephorus) أن صفحة العنوان من هذه المخطوطة أصبحت لعتقها غير مقروءة ، فأعاد كتابتها طبقاً لما هي عليه في الأصل ، ثم أثبت ختمه فيها دلالةً على صدق « التاريخ » الوارد في الصفحة التي أصابها البلى . وهذه النسخة الغابرة العهد ، كتبت لكنيسة « فاروس » وهي كنيسة كانت تُعرف باسم « القديس جرجس [2] » حينما نهبها الترك ، وبات من الصعب اليوم معرفة أخربتها في خارج المدينة .

ومما ذكره والپول أيضاً ، أنه وجد هناك نسخة عربية من الكتاب المقدس ، كتبت لكنيسة الفاروس سنة ٧٩٣ يونانية (= ٤٨٢ م) . كما أنه رأى هنالك نسخة خطية من

---

(١) The Ansayrii, and the Assassins, with Travels in the Further East, in 1850—51, including a Visit to Nineveh. (Vol. 3, London, 1851; pp. 83—86)

(٢) لا يمكن أن تكون هذه الكنيسة ، منذ بدء تأسيسها ، قد سميت باسم [القديس جرجس] لأن هذا مات نحو سنة ٣٠٤ م . في حين أن خبر المخطوطة أعلاه كان في سنة ١٨١ م . وهي الى ذلك ليست سنة تأسيس الكنيسة كما لا يخفى .

تفسير الكتاب المقدس ، فيها ورقة حوت نبذة تاريخية جزيلة الفائدة ، نقلها الى الانكليزية في كتابه المذكور . ومما ورد فيها أنه لم يبقَ للنصارى في مدينة اللاذقية ، وذلك سنة ٦٦٧ للهجرة (= ١٢٩٦ م) غير عشر كنائس ، وقد ذكرها بأسمائها ، مع عدد قسوس كلّ منها في ذلك التاريخ . ومن بين تلك الكنائس العشر ، كنيسة الفاروس (El Farous) قال انّ فيها ستة قسوس .

فهذا الخبر الأخير ، يرتقي الى المائة السابعة للهجرة .

وأقدم ما وقفنا عليه في المراجع العربية ، في صفة هذا الدير ، ما ذكره شمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الرَّبوة (المتوفى سنة ٧٢٧ هـ) . قال ما هذا نصه :

« وبها [أي باللاذقية] دير الفاروس ، من أعجب البناء في الدبور ، وله يومٌ في السنة [١] تجتمع النصارى اليه [٢] » اهـ .

وقد نقل المستشرق لسترنج (Guy le Strange) قول شيخ الربوة في هذا الدير الى الانكليزية ، في كتابه فلسطين في عهد الاسلام [٣] .

وممن ذكر هذا الدير ، البلدانيُّ المؤرخ أبو الفداء (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ) ، في عرض كلامه على اللاذقية فقال إنها « بلدة ذات صهاريج ، وهي على ساحل البحر ، وبها ميناء مفضلة على غيرها . وبها ديرٌ مسكونٌ يُعرف بالفاروس ، حسن البناء » [٤] .

وقد تصحف اسمُ هذا الدير في « مسالك الأبصار » لابن فضل الله العمري (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) الى دير القاروس [٥] ، قال بصدده :

« دير القاروس : على جانب اللاذقية ، من شمالها ، وهو في أرضٍ مستوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة . وفيه يقول ابو عليّ حسن بن علي الغزي :

---

(١) كانت كنيسة هذا الدير في عهد شيخ الربوة ، تُعرف بكنيسة القديس جرجس . ولهذا القديس عيدٌ يقع في ٢٣ نيسان من كلّ سنة . وعندنا أن اليوم الذي تجتمع النصارى اليه ، هو يوم عيده .

(٢) نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر (ص ٢٠٩ طبعة مهرن (Mehren) في بطرسبرج ، سنة ١٨٦٥ . (٣) Palestine under the Moslems (1890 ; p . 491) .

(٤) تقويم البلدان (ص ٢٥٧ طبعة رينو Reinaud ودي سلان De Slane في باريس ، سنة ١٨٤٠) . (٥) بالقاف . والصواب انه بالفاء على ما يجيء بنا .

لم أنس في القاروس يوماً أبيضا مثل الجبين يزينه فرعُ الدُّجى
في ظل هيكله المشيد وقد بدا للعين معقود السكينة أبلجا
واللاذقيـة دونه في شاطئ بلوره قد زين الفيروزجا
ولديَّ من رهبانه مُتنمس أضحى لفرط جماله متبرجا
أحوى أغنُّ اذا تردد صوتهُ في مسمع رد احتجاج ذوي الحجى
لا شيء ألطف من شمائله إذا حثَّ الشمولَ ولفظه قد لجلجا
فله ولليوم الذي قضيته معه بكائي لا لربع قد شجا[1] انتهى

ولكنَّ للناشر المغفور له احمد زكي باشا، تعليقاً على هذا الدير لا يستقيم والحقيقة. فقد قال في الحاشية بأسفل تلك الصفحة: «أُنظر فتوح البلدان للبلاذري. ص ٣٥٧». وهذه الحاشية توهم أنَّ دير الفاروس قد ذكره البلاذري (المتوفى سنة ٢٧٩ ه). ولكن عند الرجوع الى الصفحة المذكورة من كتاب البلاذري، وجدنا عجباً، واليك قوله بالحرف الواحد:

«وحدَّثني الأثرم عن أبي عبيدة قال: قاد ابو موسى الأشعري نهر الأُبلّة من موضع الدّجانة الى البصرة، وكان شرب الناس قبل ذلك من مكانٍ يقال له (دير قاووس)، فوّهته في دجلة فوق الأُبُلَّة بأربعة فراسخ[2]»

فما أعظم الفرق بين الموطنين، وشتان ما بين الأُبلة واللاذقية ونظنُّ ان الذي دفع زكيًا باشا إلى هذا الوهم، هو انه في مراجعته «فتوح البلدان»، اكتفى بتدوين اسماء الديارات الواردة في «فهرست الأمكنة» المثبت بآخر الكتاب، ليشير اليها في تعليقاته على «مسالك الأبصار» دون الرجوع الى المتن والتثبت من صحة انطباقه على ما يريد.

وقد نقل الأستاذ محمد كرد علي بك، من مسالك الأبصار ما ورد بصدد هذا الدير[3]، في كتابه الموسوم «خطط الشام» فورد هناك — تبعاً للأصل المنقول عنه — «دير القاروس» بالقاف.

(١) مسالك الأبصار (١ : ٣٣٦ بتحقيق أحمد زكي باشا). (٢) فتوح البلدان للبلاذري (ص ٣٥٧ طبعة دي غويه). (٣) خطط الشام (٦ : ٣٤ — ٣٥).

وممن وصف هذا الدير أيضاً الرحالة الذائع الصيت ابن بطوطة (المتوفى سنة ٧٧٧ هـ) قال في رحلته : « وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروص ، وهو أعظم دير بالشام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصارى من الآفاق . وكلّ من نزل به من المسلمين فالنصارى يضيفونه . وطعامهم الخبز والجبن والزيتون والخلّ والكَبَر[1] » .

إنّ ما ذكره ابن بطوطة في هذا الوصف ، نقله لسترنج الى الانكليزية في كتابه المشار اليه في أوائل بحثنا (ص ٤٩٢) وكذلك فعل الأستاذ حبيب زيات ، ولكنه سماه « دير القاروص » بالقاف ، وآخره صاد مهملة[2] .

ويقول العلاّمة الآثاري دوسّو (René Dussaud) في كتاب جليل له[3] ، إن بقايا هذا الدير (Deir el - Farous) يمكن ان يُبحث عنها في أخربة « تلّ فاروس » (Tell Farous) الواقع بين اللاذقية وقرية بِسْنادا ، وتبعد إحداهما عن الأخرى ميلين ونصف الميل . وقد أثبت دوسو موقع هذا التلّ في خريطته التاسعة الملحقة بكتابه المذكور .

وقد ذكر دوسو في الحاشية ٣ من الصفحة ذاتها : انّ كلمة فاروس (Farous) وردت بلفظ فاڤوس(Favous) في : . Revue Or. Lat ., IX p . 38, note 4

اما لفظة « فاروس » فكلمة دخيلة ، لم نعثر على تفسير لها في المعاجم العربية المختلفة التي بين يدينا ، فهي مما يُستدرك عليها . بل لقد أغفل ذكرها كل من دوزي (Dozy) في « تكملة المعاجم العربية » ، وفنيان (Fagnan) في معجمه « زيادات على المعاجم العربية » .

وقد وقفنا في كتاب « العنوان » ، وهو تاريخ عام ، لأغابيوس [محبوب] بن قسطنطين المنبجي ، (من أهل المائة العاشرة للميلاد) على ما يلي: « فاروس الاسكندرية: وهو البرج والمنظرة الذي في داخل البحر »[4] . فهل عُرف دير الفاروس بهذا

(١) تحفة النظار (١ : ١٨٢ — ١٨٣ طبع باريس) . (٢) الديارات النصرانية في الاسلام (ص ٥٩ — ٦٠) . (٣) Topographie Historique de la Syrie Antique et Mediévale (Paris , 1927 ; p. 415) . (٤) كتاب العنوان (ص ١٢ طبعة ڤازيلييف Vasiliev . في الباترولوجية الشرقية لغرافن ونو . باريس ١٩٠٨) .

الاسم لوجود برج او منظرة فيه ؟ ذلك بعد ان مرّ بنا انه كان بجانب اللاذقية ، وان اللاذقية كانت من أشهر الموانئ على البحر المتوسط ؟

أما اصل لفظة « فاروس » فمأخوذة من اسم جزيرة فاروس (Pharos)، وهي جزيرة صغيرة في ميناء الاسكندرية ، أقام فيها بطليوس فيلادلفس وهو الثاني من بطالسة مصر (٢٨٥ — ٢٤٧ ق ٠ م) مناراً شهيراً ٠

وفي معجم ويبستر الكبير ، ان لفظة فاروس مأخوذة من اللاتينية واليونانية ، بمعنى الفنار أو المنار[1] ٠

* * *

يؤخذ من ذلك كله ، انّ اسم هذا الدير ورد في المراجع التاريخية والبلدانية بأوضاع مختلفة ، وهي : دير الفاروس، ودير الفاروص، ودير القاروس، ودير القاروص، ودير الفاقوص ٠ وعندنا انّ التسمية الأولى هي الصحيحة التي يجب ان يؤخذ بها ٠

أما إلى أية فرقة نصرانية كان يُنسب هذا الدير ، ومَن مؤسسه ، وفي أي سنة كان ذلك ، وما مجمل أخباره ، ومتى تمّ خرابه ؟ فلم نقف على شيء منها فيما بين يدينا من مراجع ٠

(بغداد) كوركيس عواد



(١) Webster's New International Dictionary of the English Language (2nd ed . , London , 1934 ; p . 1837 , col . 3) .

حديقة الورود

في أخبار أبي الثناء شهاب الدين السيد محمود

اسم كتاب، ألف الجزء الأول منه الشيخ عبد الفتاح آل الشواف، جمع فيه أخبار شيخه، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، صاحب «روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» وأتم الجزء الثاني منه نجل المترجم السيد نعمان خير الدين الألوسي، صاحب كتاب: «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» و «غالية المواعظ» أما الجزء الأول فيشتمل على (٣٨٣) صفحة طول الصفحة (٢٠) سنتيماً وعرضها (١٥) سنتيماً وتشتمل الصفحة منه على تسعة عشر سطراً، بخط جلي جميل جداً. وقد استنسخ هذا الجزء السيد أحمد شاكر، نجل أبي الثناء السيد محمود في صفر سنة ١٢٩٦ هـ، أي بعد وفاة مؤلفه بنحو من أربع وثلاثين سنة.

وأما الجزء الثاني فيشتمل على (٢٨٥) صفحة على غرار صفحات الجزء الأول إلا أنه دونه في جودة الخط، وفوقه في جمال الأسلوب وحسن التبويب والترتيب.

وقد تم نسخ هذا الجزء في ذي القعدة سنة ١٢٩٦ هـ. وهي السنة التي تم فيها تأليف هذا الجزء. ومن هذا يُعلم ان هذه النسخة انما هي مبيضة لمسودّة الأصل.

والنسخة بجزئيها محفوظة في خزانة صديقنا السيد محمد درويش الألوسي حفيد أبي الثناء، مدرس مدرسة السيد سلطان علي في بغداد.

وأسرة الشواف التي ينتمي إليها مؤلف الجزء الأول من هذا الكتاب من الأسر الكريمة في بغداد.

اشتهر من بين رجالها طائفة من أعلام الأدب، من أشهرهم الشيخ عبد العزيز الشواف أحد أشياخ السيد محمود الألوسي. والشيخ طه الشواف — مفتي البصرة الأسبق — وكانت له قدم راسخة في العلوم الشرعية والآداب العربية.

وقد وقفت له على نظم أصيل يذكر بشعر الفحول من شعراء الصدر الأول.

والشيخ عبد الفتاح ، إنما يمت الى هذه الأسرة من ناحية الخئولة ، أما أبوه (واسمه سعيد بن يوسف) فقد قيل لي إن اصله من نجد . وإنما عرف الشيخ عبد الفتاح وأخوه الشيخ عبد السلام بالانتساب إلى اخوالهما لمكانة شهرتها في العلم .

والشيخ عبد الفتاح احد تلاميذ أبي الثناء ، الذين لازموه وانتفعوا به . وكتابه هذا يدل انه كان ممن تعاطى الأدب . وشعره دون نثره في الجودة .

ومن امثلة شعره قوله من قصيدة طويلة رفعها الى شيخه الشهاب بعد غياب طويل ، مطلعها :

إلام أراني عنك في الدهر مبعدا ويمسي خليٌّ منك في الدهر مسعدا
وحتى متى هذا التجنب والقلى وقد غار طرفي والتصبر أنجدا

ومنها :

ملاذي شهاب الدين ذو الحلم والوفا ورب الحجا والصفح عمن قد اعتدى
هو العلم الفرد الذي فاق مفخراً وطاب نجاراً في الأنام ومحتدا

ومنها :

غدا من كتاب الله اذ رام كشفه لأسراره (روح المعاني) مجردا
هو البحر في فيض النوال لمجتدٍ وغيث مريع للذي كان اجهدا
له حسن خط لو رآه ابن مقلة لود له انسانه يجعل الفدا

أما مثال نثره فسيمر بك قريباً . وكانت وفاته في شوال سنة ١٢٦٢ بالهيضة . ومن هذا يظهر انه توفي قبل وفاة شيخه بنحو من ثماني سنوات وأن ابا الثناء عهد باتمامه إلى ولده السيد نعمان خير الدين المذكور آنفاً .

وقد حشد الشيخ عبد الفتاح في الجزء الأول من هذا الكتاب — الكثير من أخبار ابي الثناء فبسط نسبه ، وذكر مقر أسرته في القديم والحديث ، ومشايخه ، وبعض اجازاته ، وتلاميذه ، وإجازات بعضهم . وبعض تآليفه ، والمراسلات التي ادرت بينه وبين فضلاء عصره في دار السلام وفي حواضر الاسلام . وفي ضمن ذلك : الأسئلة التي كانت ترد عليه والأجوبة التي تصدر عنه . والمناصب التي تدرج فيها

والأوسمة التي أحرزها . بل تبسط في أمور ليست بذات شأن ، مثل التقاريظ الكثيرة لكل تأليف من تآليفه والتهاني بولادة كل ولد من أولاده وكل منصب من مناصبه . وبكل رتبة حصل عليها ، وبشراء دار له وبإنشاء الشاذروان فيها . بل هناك تهانئ بشأن بعض الهدايا التي وصلت الى يده مثل التهانئ بكتاب الميزان للشعراني الذي أهداه إياه والي بغداد حينذاك . وبالسبورة التي اهداه اياها بعض افاضل الموصل .

على ان الكتاب ينطوي على اخبار مهمة يندر وجودها في غيره . وعلى مقطوعات شعرية ، ورسائل ادبية لم اقف عليها في ما عداه . وهي تمثل لنا ناحية من نواحي الأدب في العصر الثالث عشر الهجري .

فمن امثلة الأخبار وصفه الطاعون الجارف الذي منيت به بغداد في زمانه فأباد معظم اهلها .

وإلى القارئ نصّ ذلك الوصف :

« . . . حدثت حادثة الطاعون ، التي اجرت من العيون العيون ، واضرمت في القلوب نار الشجون ، حيث جرد الدهر إذ ذاك خيول النوائب . وسنّ مواضيه لقرع الكتائب . وانتهب الأعمار فيا له من ناهب . وانتشر جمع الثريا فعاد الرجال بنات نعش . وتتابعت أهوال لو داناها ابن الطود لانهشّ . حتى بلغ السيل الزبى . وتفرق الكرام ايدي سبا . وبلغ الشظاظ الوركين . وجاوز الحزام الطبيين .

مصائب لو حلت بأكناف يذبل تدكدك ، او بالبحر اصبح غائضا

وذلك في السنة السادسة والأربعين ، بعد المائتين وألف هـ وكان الطعن حينئذ خفيفاً خفياً جداً ثم كثر في شوال لخمس خلون منه . فلم يبق للخلائق حينئذ رشداً . ولكنهم بعدُ بين مكذب ومصدق ، وآمن ومرتعب ، ثم انتشر وتحققه الناس آخر الشهر ، ففر غالبهم الى كل قطر . وزادت في تلك السنة دجلة زيادة لم تقع سابقاً في غير الطوفان . وتهدمت بسببها البيوت والجدران . وكسرت السداد ، واحاط الماء ببغداد . ومن كثرة المياه في جوانب البلد ، واحتضانه اياها كالوالد العطوف للولد ، صار الرائي لا يرى غير الماء او السماء ، ولم يرج غير هجوم البلاء . ووقع

السور ، وتهدم من الجانبين نحو خمسة آلاف بل اكثر من الدور ، وبلغ حد من مات في كل يوم من ايام هذا الطاعون عشرة آلاف . او اكثر ظناً وتخميناً ، والا فقد ُفقد المحصون ، ودفن الناس الجنائز في المساجد والبيوت حتى ملئوها . فلما كثر الموت جداً تركوا دفنها وملوها . فبقي الأموات مطروحين في الاسواق والطرقات . ومن بقي من الناس اذ ذاك لقي من معاناة الشدائد والمصائب . ومقاساة المحن والنوائب . ما يشيب النواصي ، ويزيل الروامي . وبعد ان هان الأمر في الجملة ، أُلقيتْ الموتى في دجلة ُيجرّون من ارجلهم وُيخرجون اهون ما يكون من منازلهم وكثير منه تنفصل رجله عند ذلك الجر ، ثم تلقى اوصاله المنفرقة في لجة ذلك البحر وذهبت اموال العالم بين الهدم والسرق والغرق والحرق . والحاصل انه اعترى بغداد وساكنيها في ذلك الطاعون ، من مزيد الانكاد والشجون ، ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فانا لله وانا اليه راجعون . واستقام الأمر على تلك المحجة ، الى اول ذي الحجة . فهان جداً ، بعد ان اهان حراً وعبداً . فالحمد لله تعالى والفضل له على ما قضاه على خلقه وانزله ...»

وهذا الوصف يدلك على أسلوب المؤلف في إنشاء كتابه الذي لايخرج أكثره عن هذا النمط : من الأساجيع المرصوصة ، والعبارات المرصوفة ، التي لا تخلو من التكرار الممل والتنطع الذي لا طائل تحته .

والى القارئ رسالة من إنشاء الشيخ محمد أمين المعروف بابن عابدين ، صاحب «رد المحتار على الدر المختار» المتوفى سنة ١٢٥٧ هـ — بعث بها إلى الشهاب الألومي جواباً عن رسالة كان الألومي قد كتبها اليه يطلب منه نسخة من حاشيته على الدر المختار ، ننقلها برمتها ليطلع القارئ الكريم على أسلوب علماء ذلك الزمان في مراسلاتهم الخاصة . وهو أسلوب تغلب عليه الصناعة البديعية ولا سيما الاسجاع والتوريات والجناس والطباق وما اليها . واليك الرسالة :

« بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن اوصل تحفة المطالب وبدائع صنائعها لطالب الرغائب وانعم بهداية

العقول وعناية الوصول ، الى معراج الدراية بغاية البيان . ونيل المواهب من منن الرحمن . فظهر بفتح القدير على العاجز الفقير رد المحتار ، لتنوير الأبصار واستخراج الدرّ المختار ، من البحر الرائق ، وبتبيين الحقائق من كنز الدقائق . وكشف خزائن الأسرار مُحلى بدرر البحار . وغرر الأفكار بيمن ادلال من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى في المشهد الأعلى . والمعهد الأغلى صلى الله عليه صلاةً كان لها اهلاً وسلم سلاماً هو به أولي . وعلى آله معدن كل كرم وجود ، واصحابه الذين اعز بهم الوجود ما سلّت السحائب صوارم بروقها فوق رؤوس الأشجار وكست النسائم بزَرَد خفوقها متون الأنهار .

وبعدُ ، فأهدي سلاماً يهزأ بفتيت المسك الأذفر ، وتحايا يفوق عبيرها نكهة العنبر ، الى فارس ميدان البلاغة الذي لم يبلغ احد في حلبات السبق بلاغهُ ، مجمع البحرين وملتقى النيرين ، خلاصة اهل التنقيح والتوضيح ومغني اللبيب عن التصريح ، بالتلويح ، البحر العباب ، والحاوي لمنهج الصواب . روضة الآداب ، وبهجة الآراب ، سيدي الامام الأوحد ، والعلم المفرد ، محمود الأفعال ، ممدوح الأقوال ، لا زالت رماح اقلامه تأسر كل معنى انيق ، فتحرر كل لفظ رقيق ، وعساكر افهامه تجول في مهامه كل عويص ، وتيار كل غويص ، لتكسر جيوش المشكلات ، وتفتح حصون الخفيات ، ولا برحت اقلام الفتيا مورقة ببنانه مثمرة بكل حكم صحيح يجنى ببيانه هذا وقد ورد الكتاب ياقوتي المباني . جوهري الألفاظ والمعاني . فلله در انامل ذرت عنبر مداده . على صفحات قرطاسه ودرُ فطنة أطلعت من مشكاة بلاغتها نور نبراسه . ففي مختصره مطول المدح وفي تلخيصه ما يغني عن الحاشية والشرح حيث اشتمل على صفات منشيه الباهرة . لكنه رآها في غيرها ظاهرة . وقد أنبأ عن تشوّف جنابه السامي ، وتشوق فضله النامي . إلى استكتاب الحاشية التي هي قطرة من بحره . لتنال شرفًا برفعة قدره وأنى لها بكفء كريم مثله تزف اليه ، وبخاطب جليل تعرض لديه بين يديه فهي مقيمة في الخدر تنتظر صدور الأمر فتخرج من حجابها ، وتكشف عن نقابها وتفتخر على أترابها وتتباهى

على طلابها . وتحمد مولاها على ما أولاها ، والسلام الذي تأرجت نفحاته ، تعم ساحتكم ورحمة الله وبركاته . »

وهاك مثالاً من التهنئات التي كان يتلقاها أبو الثناء من شعراء عصره . وأدباء مصره في المناسبات المختلفة .

كتب اليه الشيخ أمين العمري مهنئاً اياه بانشاء مكتبة في داره :

تأمل هذه أم الكتاب بدت للعين مسفرة النقاب
أعد نظراً الى معنى حلاها ففيها منتهى العجب العجاب
ولا ترنو لغانية سواها فما حسن الغواني والكعاب
حوت في طيها روح المعاني لتنشر كل معنى مستطاب

وقد اثبت السيد نعمان — في الجزء الثاني — ما جدّ من الأحداث في السنين الثماني التي تلت وفاة الشواف ، وأعاد الكثير من الفصول التي أوردها في الجزء الأول مضيفاً اليها ما أهمله وباسطاً ما أجمله فأعاد ذكر النسب مبسوطاً وتوسع في ذكر المكاتبات التي دارت بين والده وبين علماء عصره — كما توسع في ذكر الاجازات التي أجازه بها بعض الأشياخ ، وذكر ثبتاً كاملاً بمؤلفاته ، وأضاف الى كل ذلك انتقاله الى جوار ربه والمراثي التي رثاه بها شعراء عصره وهي كثيرة واسلوبها تقليدي بحت .

وعلى الجملة فإن هذا الكتاب بجزأيه هو أشبه بمجموع منه بكتاب مرتب الأبواب منسق الفصول ، على انه مجموع مشتمل على كثير من المنثور والمنظوم الذي يندر وجوده في غيره ويصلح أن يكون صورة واضحة للحالة الأدبية في مدينة السلام في العصر الثالث عشر الهجري ، ولا يستغني مؤرخو الأدب العربي لهذا العصر عن الرجوع الى أمثاله .

وقد استخلص السيد نعمان خير الدين نجل الشهاب الألوسي — عليه الرحمة — الزُبدة منه وأودعها صدر الطبعة الأولى من روح المعاني .

(بغداد) طه الراوي

شمس الدين ابن الجزري وتاريخه

(حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه)

قال الشاعر :

لولا جرير والفرزدق لم يكن   ذكر جميل من بني مروان
وملوك غسان تفانوا غيرما   قد قاله حسان في غسان

وأقول : لولا التاريخ لطويت أعمالنا في هذه الحياة ، وزالت مآثرنا ، ولعدنا نلتمس الآثار الصامتة ، فلا نتبين الا علاقة ضئيلة ، نستنطق بها جماداً لايبوح بما في نفوسنا ، ولا يعرب عن مكنونات سرّنا . فالاشارة لا تميط اللثام عن عقائدنا ومجتمعنا وآدابنا ، ودرجة ارتباطنا بالحوادث . فلولاه لتقوّل كثيرون بما شاؤا . وجلُّ ماهنالك أننا نتطلب من التاريخ أن لا يميل مع الأهواء بل يدوّن الحوادث كما هي ، فلا يحل الألغاز أو الطلاسم المغلقة بل يعين ميول الحياة واضطرابها ، وما أصابها من تهيج ، فنلتمس بغيتنا منه . وكفاه مكانة انه يدوّن ما نعمل ، فيقوم بمهمة المصور ، فكان موضع اهتمام الأكابر والأصاغر وبه نستوحي جلية الماضي .

وان قومنا انجبوا مؤرخين أعاظم ، ساروا بهذا التاريخ خير سيرة في تصوير الحياة . ومن مشاهيرهم مترجمنا . كان عظيماً في تاريخه صارماً في لهجته ، عدلاً في بيانه ولا يهمه ان اغفلت الأيام ذكره مدّة ،

١ — حياته :

هو العدل شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ابراهيم الدمشقي ، اشتهر بين مؤرخي الشام المعروفين اشتهاراً فائقاً ، وعرف بالتاريخ . وقد سبق ان ترجمته في مجلة (العالم الاسلامي) البغدادية . وقد اثنى عليه العلماء ، واطروه إطراءاً زائداً ، واخص بالذكر منهم البرزالي ، فانه كتب ترجمته بقلمه ، وعين مكانته العلمية والتاريخية ، وجاءت في آخر تاريخ ابن الجزري . وهذا نصّ ترجمته :

« هو الشيخ العالم ، الصدر ، العدل ، الرضى الكبير . شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ العدل الصالح مجد الدين ابي اسحاق ابراهيم بن ابي بكر بن ابراهيم ابن عبد العزيز الجزري ثم الدمشقي . توفي ليلة الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ٧٣٩ هـ بجنينة التهم[1] ظاهر دمشق ، وصلي عليه صلاة يوم الاثنين ؟ بجامع جراح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، ومولده يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ٦٥٨ هـ بدمشق ، وكان من خيار النـاس ، كثير المروءة ، مواظباً على الذكر والدعاء والتلاوة ، والأعمال الصالحة ، وكان من كبار العدول ، قام يشهد على الحكام مدة تقارب ستين سنة ، وكان اذا انفرد بشهادة اذن له الحكام في الاعلام بها ، ويكتفون بأخباره لوثوقهم به ، وطلب منه ان يشهد في قيم الأملاك لخبرته وديانته فامتنع من ذلك ، وتورع عنه ، ولم يدخل في ولاية ولا وظيفة . وسمع الحديث من جماعة منهم فخر الدين ابن البخاري ، وتقي الدين بن الواسطي ، وعز الدين الفاروثي ، وغيرهم من شيوخ دمشق ، ودخل القاهرة والاسكندرية وسمع من المشايخ شرف الدين الدمياطي ، وشهاب الدين الأبرقوهي ، والشريف تاج الدين العراقي ، وغيرهم من شيوخ الديار المصرية . وروى عنهم وحدث وسمع من الطلبة ، وكتب في الأحاديث . وكان محباً لفن التاريخ . جمع هذا الكتاب (اشار اليه والترجمة كتبت في آخره) وتعب عليه ، وذكر فيه اشياء حسنة لا توجد في تاريخ غيره . وحج الى بيت الله الحرام . وكان كثير البر والتصدق ، وعليه رسوم لجماعة من الفقراء . وفيه مودة كثيرة ونصح وشفقة على خلق الله عز وجل في قضاء حاجة من يقصده . وكان يتولى خدمة اهله وبيته بنفسه ، ويقصد راحتهم ، ومصلحتهم ، وكبرت سنه وهو على هذا الحال . وكان باراً بأولاده وأهله ومات والده وترك عنده اخوة صغـاراً فربّاهم وأحسن اليهم ، وقام بأمرهم أتمّ قيام برفق وإحسان وتواضع وكلمة طيبة . ثم نشأ له أولاد ففعل بهم مثل ذلك . وكان له اعتقاد عظيم في الفقراء والصلحاء ، وله منهم نصيب وافر . وكان لا يفتر من ذكر الله عز وجل قاعداً وقائماً وماشياً . وكان عنده معرفة بقطعـة

(١) كذا بالأصل ولعل الصواب السهم (المجمع)

جيدة من الطب والأدوية والمنافع . يزور المرضى ويصف لهم ما ينفعهم ، ويشفق عليهم ويمدهم ويدعو لهم ، ويتضرع الى الله تعالى ، ويجهد في الدعاء لمن دعوا له بنصح وشفقة ، واذا مات ميت ممن يعرفه حضر جنازته ، وان لم يتفق له الحضور مشى الى قبره وصلى عليه ، وتلا على قبره ما يسر الله تعالى من القرآن العظيم ، ودعا له . وقد كتب أخبار الوفاة صلة لأجل ذلك . وله محاسن كثيرة وسير جميلة . رحمه الله وغفر له بمنه وكرمه . » اهـ

وهذه الترجمة كافية لمعرفة ابن الجزري وفيها من السعة ما ليس في غيرها . وفيها تصحيح لما جاء في (الدرر الكامنة فقد ذكر انه جمع تاريخاً مشهوراً ، ونقل عن الذهبي انه كان حسن المذاكرة ، سليم الباطن ، صدوقاً في نفسه . لكن في تاريخه عجائب وغرائب[1]) ... اهـ .

ولم يعين وجه الغرابة ولا ما دعاه الى التعجب ، والبرزالي أعرف به ، وهو مرجع مؤرخين كثيرين ، ورأيته ينقل عن أكابر علماء بغداد وأفاضلها ، وقال في الشذرات : « جمع تاريخاً كبيراً ، وذكر فيه اشياء حسنة لا توجد في غيره . » اهـ[2]

وجاءت ترجمته في تواريخ عديدة منها (التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ)[3] .

وقال ابن كثير :

« .. محمد بن ابراهيم الجوزي (صوابها الجزري) . جمع تاريخاً حافلاً كتب فيه اشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي : يكتبون عنه ، ويعتمدون على نقله . وكان شيخاً قد جاوز الثمانين وثقل سمعه ، وضعف خطه . وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد واخوه مجد الدين . »[4] اهـ

وذكرت ترجمته باختصار في ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٣٢ .

وفي العبر للذهبي : « — في سنة ٧٣٩ هـ مات شمس الدين — الجزري الدمشقي صاحب التاريخ الكبير في وسط السنة وله ٨١ سنة ، وله دين . وكان ساكناً وقوراً . » اهـ

(١) الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٠١ . (٢) الشذرات ج ٦ ص ١٢٢ . (٣) التنبيه والايقاظ في ذيول تذكرة الحفاظ ص ٩ . (٤) البداية والنهاية ج ١٤ ص ١٨٦ .

٢ — مؤلفاته :

جاء انه كتب في الحديث ··· وكان محبًا لفن التاريخ ·· ولا يعرف له غير تاريخه··وكثرة المؤلفات لا تدل على قدرة ، وكان يظهر علمه ، ومقدار تتبعه في تاريخه ··

٣ — تاريخه :

وهذا يسمى (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) على ما قاله الحافظ الشمس ابن طولون حيث نقل عنه في المجلد الأول من الفهرست الأوسط له · قال ابن حجر : جمع تاريخًا مشهوراً وله شعر وسط ، وخرج له البرزالي مشيخة ··· والقطب اليونيني كثير النقل عن تاريخه في ذيله على مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي · [هامش ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني الدمشقي ص ٢٢ ··] وهو الذي يستحق التدقيق · ونسبته دائرة المعارف الاسلامية للبرزالي غلطًا ·· وهو من مؤلفاته · ومنه نسخة مخطوطة في خزانة كوپريلي ، وكان منشأ التوهم من مرتب فهرس هذه الخزانة ، فوقع في ذلك بروكلمان المستشرق المعروف ، وقبله كان قد وقع صاحب تاريخ (التين اردو) ، فانه جعل تاريخ البرزالي احد مراجعه في (تاريخ المغول في روسية) ، ويقصد به تاريخ ابن الجزري · وطبع هذا الكتاب مترجمًا الى التركيـة من الأستاذ الجليل اسماعيل حقي الازميري سنة ١٩٤١ م وقد سبق ان وصفته في محيط المعارف الاسلامية التركية وصفًا مسهبًا ·

راجعت فهرس الخزانة فأحببت الاطلاع على هذه النسخة التي ذكرت باسم البرزالي المؤرخ لما له من المكانة المعتبرة ، فوجدتها تبتدئ من سنة ٧٢٦ هـ وتنتهي بسنة ٧٣٨ هـ ، وهي قديمة منقولة من نسخة المؤلف بخط عبد الله بن احمد بن يوسف البيري أصلاً ، الدمشقي مولداً الشافعي مذهبًا كتبها سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٣٨ م · ورقمها في خزانة الكوپريلي ١٠٣٧ ·

وأول هذه النسخة « قال البرزالي ·· » فأوهمت أنها له · وبعد مطالعتها لم يبق ريب في انهـا لابن الجزري ، وينقل احياناً كثيرة عن البرزالي ويصرح باسمه وهو القاسم بن محمـد البرزالي ، وكانت بينهما مودة وصحبة اكيدة ، وان البرزالي

— كما مرّ من إيراد ترجمته — له خبرة تامه بأحواله وما كان عليه من صلاح وتقوى ، ورغبة في التاريخ ، كما أن ابن الجزري ينقل عن البرزالي أحياناً ، ويقول : كلما أقول ذكر فهو من تعليق الشيخ الحافظ علم الدين البرزالي فسح الله في مدته .. لئلا يضيع تعبه .. » اهـ ، فلم يبق إشكال في انه للجزري .

وقال السخاوي : « للعدل .. ابن الجزري (تاريخ كبير) ، شهير بخطه في المحمودية ، فيه عجائب وغرائب » اهـ(1) . ولعل الأيام تكشف عن وجودها ..

٤ — أجزاء تاريخه :

وان التاريخ المذكور أعلاه مجلد واحد ولا شك أنه احد اجزائه ، والكتاب متعدد الأجزاء ، وكانت ولا تزال التدقيقات عنه ناقصة في الغرب والشرق الا ان سوق الغرب راج فيه العلم ، وصارت تجلب اليه كلّ بضاعة ، وعندنا وقفت الحركة العلمية . وان كنا أعرف بتاريخنا ، ولكننا اقتصرنا على مناقب الخلفاء والسلاطين ولم يعد احد يبالي بالنواحي العلمية والأدبية ، ولا بالثقافة العامة ، وتاريخ الأمة وما جاورها من أمم ..

قال المرحوم أحمد تيمور باشا في (كتاب اليزيدية) :

« وعندنا من تاريخ ابن الجزري جزء مصوّر بالشمسي فيه من سنة ٦٨٩ هـ الى سنة ٦٩٩ هـ » اهـ .

وأما المجلد الذي عثرت عليه فهو من سنة ٧٢٦ هـ — الى سنة ٧٣٨ هـ كما مرّ . ومن ثمّ نرى النقص بادياً .. وفي هذا رأيته يتوسع في بعض الحوادث ، ويعد صفحة كاشفة عن أيام المغول في العراق وعن علماء بغداد ، ومنهم أبو الخير الدهلي العالم المعروف ..

وجاء في لغة العرب المجلد السابع منها جزء ٢ ص ١٨١ أن الاستاذ حبيب الزيات طبع جزءاً منه نقله من نسخة باريس ، طبعه بمطبعة المحامي في زحلة (لبنان) في ٤٢ بقطع الثمن . وسماه : (حوادث الزمان وأنبائه ، ووفيات الأعيان من أبنائه » لشمس الدين محمد بن ابراهيم الجزري الدمشقي ...

ولا شك أن الأيام ستجلو عن باقي اجزائه ..

(1) الاعلان بالتوبيخ ص ١٢٨ .

٥ — المختار من تاريخ الجزري :

ثم اني عثرت أيضاً على نسخة مخطوطة من كتاب (المختار من تاريخ الجزري) . وهي من اختيار الذهبي ، وبخطه ، وعندي نسختهـا المصورة ، وفيها نصوص مهمة عظيمة الفائدة لا يستغنى عنها . وهذا المختار أصله في خزانة الكوبريلي برقم ١١٤٧ قال الذهبي : وهذه نبذة فوائد من تاريخ المولى شمس الدين . وتبتدئ من بقيـة سنة ٥٩٣ هـ ، وامتدت ، فوقفت عند سنة ٦٩٨ هـ ، جعله كالتتمة لما نقح من المذيل على الروضتين ..

٦ — وصف العنب في تاريخ ابن الجزري :

قال المؤلف

« اتفق ان الشيخ الفلاني من مشايخ حماة — أنسيت اسمه — سافر من حماة الى دمشق ، أقام بها مدة وعاد ، فسأله أصحابه عنها فقال :

— رأيت أهلها كأنهم فرغوا من الحساب ، وتسيبوا في الجنة ، يأكلون ويشربون ، ويسرحون فيها .

وكان ابن عنين قد نفاه السلطان صلاح الدين وعاد الى دمشق زمن العادل فكان قد وصل الى (خان بالق) ، ومنه الى الهند واليمن ، ووصل الى مصر ، ومنها الى دمشق سأله المعظم عن عجائب ما رآه في البلاد التي سافر اليها فقال :

كل ما في الدنيا مفرق هو في بلدك مجموع موجود ، ويفضل عليهم بالأحمرين والأبيضين قال وما هما ؟ قال :

العنب الداراني ، والعنب العاصمي ، والأبيضين القنبريس والثلج . ونظم في غربته هذين البيتين وهما :

وقائل ان في الأسفـار فائدة   يوسعن في الرزق ذا مال وذا خلق
وقدمضيت الى أقصى الذي كفروا(؟)   وجئت أرعن والشلاّق في عنقى

تتمة أخبار الأعناب

وجاء في هامش التاريخ تحت العنوان المذكور وأظنه من الأصل :

« وأول ما أدخل الى دمشق (العنب الداراني) . وهو أحمر اللون ، مدوّر ، حلو ، شبه السكر ، يبقى دور شهر وحده . ثم يتبعه (البرزي) . ابيض ، اصابعي ومدور . ويتبعهما بقية الأعناب خمسة ألوان أو ستة . وأمير العنب (العاصمي) ... وأبيض مدور يسمى (فصيفا) حلو كبار ، و (بيض الحمام) ... والزبيب نحو خمسة او ستة ألوان : الدربلي ، والجوازمي ، والأسود ، والصغار بلاحب ، وغير ذلك . » اه[1] .

وهناك تفصيلات في الاحصاء ، والبيع في مصر وبغداد لم أستوعب ذكرها بل وقفت عند هذا . والكتاب موجود .

ويطول بنا البحث في هذا الأثر الجليل ، وما احتوى من نفائس .. وكان غالب المؤرخين في عصره متصلين به فلا محل للاسترسال بأكثر من هذا .

وكل ما نقوله ان هذا العصر (الثامن الهجري) كان طافحاً بأعاظم المؤرخين مما خلد أجلّ الذكريات ، وأنفس الآثار . اكتفي بهذا الآن . والله وليّ الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي



(١) في نزهة الأنام ذكر العنب في ص ٢٢٣ طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٦١ ه

رسالة الطرق

- ٥ -

حرف الزاي

الزَّقَب الطريق · والزَّقَب الطرق الضيقة واحدتها زَقَبة وقيل الواحد والجمع سواء وطريق زَقَب ضيق قال ابو ذؤيب :

وَمتلَفٍ مثلِ فَرْقِ الرأس تخلُجه   مَطارِبُ زَقَبٌ أميالهــا فِيحُ [1]

زقب بدل من مطارب وهي الطرق الضيقة كما سيأتي ويروى زُقُب بالضم وسيأتي هذا البيت في مطربة وقال اللحيــاني طريقٌ زَقَب جعله صفة فزقب على هذا القول صفة لمطارب وان كان لفظه لفظ الواحد ·

الزقاق كغراب السكة يذكر ويؤنث وقيل هو الطريق الضيق دون السكة نافذاً كان أم غير نافذ والجمع ازقة كغراب واغربة وزُقّان كحُوار وحوران قال هدبة بن خشرم العذري :

فلم ترعيني مثل سرب رأيتــه   خرجن علينا من زقاق ابن واقف [2]

وفي الحديث الشريف «من مَنَح مِنْحة ابن او هدى زُقاقاً» · الزقاق الطريق يريد من دل الضال أو الأعمى على طريقه وقيل أراد من تصدق بزُقاق من النخل وهي السكة منها · والأول اشبه لأن هدى من الهداية لا من الهدية ·

الزَّقيلة كسفينة السكة الضيقة وكذلك يوصف به الطريق الضيق ويقال رجع على زَلَزِه أي الطريق الذي جاء منه ·

الزَّنَقَة محركة السكة الضيقة وقال الليث هو ميل في جدار أو سكة او ناحية او عرقوب ولا يكون فيه التواء كالمدخل والالتواء اسم لذلك بلا فعل وقــال ابن عباد الزنقة في الأودية المضيق ·

---

(١) المَتلف القفر سمي بذلك لأنه يتلف سالكه في الأكثر كما سموا الصحراء بيداء لأنها تبيد سالكها · وتخلجه : تجذبه هذه الطرق الى هذه وهذه الى هذه والزَّقَب الضيقة ومثل فرق الرأس في ضيقه والميل المسافة من العلم الى العلم وفيح واسعة ·   (٢) السرب هنا القطيع من النساء وزقاق ابن واقف بالمدينة وبقية الأبيات في معجم البلدان ·

الزَّهوق كصبور فج الجبل ٠

ويقال طريق أزْوَر أي معوج ٠

زاغ عن الطريق يزوغ زَوْغًا وزيغًا عدل والياء أفصح

زاغ عن الطريق يزيغ زَيغًا عدل وأزاغه عن الطريق أماله ٠

حرف السين المهملة

المسبأ كمقعد الطريق في الجبل

أُسابيّ الطريق شركه وفي لسان العرب شوكه والأول اصح جمع إسباءة والأَسابيّ الطرق من الدم وأسابي الدماء طرائقها الواحدة أُسبيَّة أو إسباءة قال سلامة بن جندل يذكر الخيل :

والعاديات أسابيُّ الدماء بهـا كأنَّ أعناقها أنصابُ ترجيب (١)

ويروى اسابيُّ الديات ٠ وقوله انصاب يحتمل ان يريد به جمع النصب الذي كانوا يعبدونه ويرجبون له العتائر ويحتمل ان يريد به ما نصب من العود والنخلة الرُّجبيَّة

ويقال استبق الصراط اي جاوزه وتركه حتى ضل

السبيل كأمير الطريق وما وضح منه وقيل الطريق الذي فيه سهولة يذكر ويؤنث كالطريق فتقول سبيل أعظم وسبيل عظمى كما تقول طريق اعظم وطريق عظمى والتأنيث فيهما اغلب وقد جاء في القرآن الكريم مؤنثًا في قوله تعالى : «قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة» ٠ عبر به عن الحجة

(١) عدت الفرس تعدو أحضرت فهي عادية ويقال للخيل المغيرة عادية وأسابيّ الدماء طرائقها وانصاب جمع نصب كعنق وهو حجر كان ينصب ويعبد من دون الله وقال ابن سيدة الانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهلّ عليها ويذبح لغير الله والترجيب التعظيم ومنه ذبح النسائك في رجب ٠ والترجيب ان تدعم الشجرة اذا كثر حملها ببناء تحتها أو أن تعمد بخشبة ذات شعبتين لئلا تتكسر أغصانها ورجب النخلة ونخلة رُجَبية بني تحتها رُجبة ويحتمل هذا البيت أن يكون شبه أعناق الخيل بالنخل المرجب وأن يكون شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك وقال أبو عبيد يفسر هذا البيت تفسيران أحدهما أن يكون شبه انتصاب أعناقها بجدار ترجيب النخل والآخر أن يكون أراد الدماء التي تراق في رجب وظاهر البيت يدل على أنه يريد تشبيه أعناقها بالأنصاب التى يذبح عليها في كثرة الدماء على نحو ما قاله زهير في وصف الصقر الذي تبع القطاة :

فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب العتر دمّى رأسه النسك

المنصب الحجر الذي يعتر عليه أي يذبح في رجب شبه الصقر بالمنصب المدمى لكثرة ما يصيد ٠

وجاء مذكراً في قوله تعالى: «وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا»
وبهذا يتبين لك ان قول عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني في كتابه (الألفاظ الكتابية) ص ٢١ الطريق يذكر ويؤنث والسبيل مؤنثة على كل حال · غير صحيح والجمع سُبُل · وجمع القلة للسبيل اذا ذكرت أسبلة كرغيف وارغفة واذا أنثت أسبُل · وفي حديث سمرة فإذا الأرض عند أسبُله أي طرقه والسابلة من الطرق المسلوكة يقال سبيل سابلة اي مسلوكة والسابلة: أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم جمع سابل وهو السالك على السبيل ويجمع أيضاً على سوابل · واسبلت الطريق كثرت سابلتها · وابن السبيل ابن الطريق المسافر الكثير السفر سمي ابناً لها لملازمته اياها وقيل هو الذي قطع عليه الطريق ويريد الرجوع الى بلده ولا يجد ما يتبلغ به وابن السبيل الغريب الذي اتى به الطريق قال الراعي:

على أكوارهن بنو سبيل قليل نومهم إلا غرارا [1]

وسبيل الله عام يقع على كل عمل خالص سلك به طريق التقرب الى الله تعالى باداء الفرائض والنوافل وانواع التطوع واذا اطلق فهو في الغالب واقع على الجهاد حتى صار لكثرة الاستعمال كأنه مقصور عليه
وكل ما أمر الله به من الخير فهو من سبل الله اي من الطرق الى الله وكل سبيل اريد به الله تعالى وهو بر فهو داخل في سبيل الله ·
المساتل: الطرق الضيقة لأن الناس يتساتلون فيها اي يتتابعون واحداً بعد واحد · واحدها مَسْتَل كمقعد
السجح بجيم بعدها حاء · وبضم السين وسكون الجيم وبضمها · سجح الطريق محجته اسهولتها · ويقال خل له عن سُجْح الطريق اي وسطه وسَننه وبنوا بيوتهم على سُجُح واحد وسُجُحة واحدة أي قدر واحد ويقال من طلب بالحق ومشى في سجحه أوصله الله الى نجحه
وفي تهذيب الألفاظ يقال تنح عن سَنن الطريق وسُنُن الطريق وسُنَنه وسُجْحه وسُجُحه ولَقَمه ولَمَقه وكَثَمه وثَكَمه وميدائه ودَرَره ومعناه عن متن الطريق ·

(١) أكوار جمع كور وهو الرحل بأداته والغرار ككتاب القليل من النوم ·

المُسْحَنْفِر الطريق المستقيم واسحنفر الطريق استقام

السُّدُّ الحاجز جمعه اسداد : ويقال ضربت عليه الأرض بالأسداد جمع سُد أي سُدَّت عليــه الطرق وعميت عليه مذاهبه والسُّدّ ذهاب البصر وهو منه قال الأسود بن يعفر النهشلي :

ومن الحوادث لا اباالك أنني ضربت عليَّ الأرض بالأسداد

وفلان مُسدَّد ملازم للطريق المستقيم وفي صفة متعلم القرآن يغفر لأبويه اذا كانا مسددين أي لازمي الطريقة المستقيمة

السرب بفتح السين وكسرها مع سكون الراء فيهما الطريق قال ذو الرمة يصف الحمار والأتن :

خَلى لها سرب اولاها وهيجها من خلفها لاحق الصُّقْلين هِمهيم (١)

قــال شمر اكثر الرواية بالفتح والسرب بفتحتين الطريق والمسلك في خفية وطريق سرب يتتابع الناس فيه قال أبو خراش :

طريقها سَرَب بالناس دُعبوب

وتسربوا فيه تتابعوا والسُّرْبة المذهب والطريقة وكل طريقة سربة

السراط ككتاب السبيل الواضح وإنما سمي بذلك لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط • أو كأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم لاحبه ويقال بالزاي والصاد • والصاد أعلى وان كانت السين هي الأصل لمكان المضارعة وفي البيضاوي والسراط من قلب السين صاداً ليطابق الطاء في الاطباق وفي المخصص فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم الزراط بالزاي المخلصة فخطأ انما سمع به المضارعة فتوهمها زاياً • وحكى قطرب الصِراد بالدال المهملة على المضارعة أيضاً

سَرَاة الطريق متنه ومعظمه والجمع سَرَوات ومنــه الحديث : « ليس للنساء سروات الطريق أي لا يتوسطنها ولكن يمشين في الجوانب »

وطريق واضح السفاسق وهي الآثار قال :

(١) خلى ترك • هيجها أثارها • الصقل الخاصرة ولاحق الصقلين ضامر ويقال حمار هِمهيم بكسر الهاءين وسكون الميم بينهما يهمهم في صوته أي يردد النهيق في صوته •

اذا الطريق وضحت سفاسقه ولم ينم حتى الصباح واسقه

واسقه الذي يريد أن يجمع سير ليله

السَيْفَل الطريق كذا ذكره في جواهر الألفاظ ولم أجده لغيره ولعله محرف عن سَغبل يقال شيء سغبل أي يسير

ويقال سافهت الناقة الطريق اذا خفت في سيرها قال :

أحدو مطيات وقوما نُعَّسا مسافهات مُعْمَلا مُوعَّسا(١)

وفي الأساس والناقة تسافه الطريق اذا أقبلت عليه بسير شديد

السِّكَّة الطريق المستوي قال الشماخ :

حَنَّت على سكة الساري فجاوبها حمامة من حمام ذات اطواق(٢)

أي على طريق الساري وبه سميت سِكك البريد قال الفرزدق :

فما رد السلام شيوخ قوم مررت بهم على سكك البريد

والسكة الزقاق وقيل هي أوسع من الزقاق سميت بذلك لاصطفاف الدور فيها على التشبيه بالسكة من النخل وهي السطر المصطف • وطريق سُكّ ضيق منسد والسِّكّاكة مشددة أبناء السبيل

الأُسلوب الطريق المستوي قيل ومنه أخذ في اساليب القول أي ضروب منه والحق ان الأُسلوب بمعنى الفن ومنه أخذ فلان في أساليب من القول اي افانين منه

والأُسلوب الطريق تأخذ فيه · والطريق والوجه والمذهب يقال أنتم في أُسلوب سوء وكل طريق ممتد فهو أُسلوب وجمعه أساليب ·

المُسلَحِبّ الطريق البين الممتد وطريق مسلحب ممتد والمسلحب المستقيم مثل المتلئب

المَسلوعة: الطريق لأنهامشقوقة والسَلْم الشق في الجلد والرأس والجبل وغيره قال مليح

---

(١) أحدوا : اسوق نعسا جمع ناعس وأرادبالمعمل الموعس الطريق الموطوء (٢) حنت • حنين الناقة صوتها إذا اشتاقت إلى ولدها وحنينها نزاعها الى ولدها من غير صوت• الساري السائر ليلاً والماضي والأصل في الجواب رد الكلام والمجاوبة المحاورة والمراد هنا ان الحمامة ناحت لما سمعت حنين الناقة فكأنها جاوبتها وأطواق جمع طوق وهو في الأصل ما استدار بالشيء وحمامة مطوقة في عنقها طوق •

وهن على مسلوعة زيم الحصي   تنير وتغشاها هما ليج طُلَّح (١)

ودليل مِسلَع يشق الفلاة

السَايف كأمير الطريق

السَايقة كسفينة تأثير الاقدام والحوافر في الطريق وتلك الآثار تسمى السلائق والسليق من الطريق جانبه وهما سليقان . والسَلَق الواسع من الطرقات والسليقة المحجة الظاهرة

المسلك : الطريق والجمع مسالك . سلك الطريق كقعد ذهب فيه ويتعدى بنفسه فيقال سلكت زيدا الطريق وبالباء فيقال سلكت به الطريق وبالهمزة فيقال أسلكت فلاناً الطريق وأسلكته عليه قال ساعدة بن العجلان

وهم منعوا الطريق وأسلكوهم   على شماء مهواهـا بعيد (٢)

ويقال اسلكته فيه قال عبد مناف بن ربع الهذلي :

حتى اذا اسلكوهم في قُتائدة   شلاً كما تطرُد الجمّالة الشُرُدا (٣)

ويقال طريق مسلوك .

السَمْت الطريق يقال الزم هذا السمت قال خطام المجاشعي :

ومَهْمَهين قَذَفين مَرْتين   قطعته بالسمت لا بالسَمْتين (٤)

(١) مسلوعة طريق زيم متفرق تنير تفيء وتتضح تغشاها تأتيها أو تعلوها والهماليج جمع هملاج كمفتاح البرذون . والحسن السير في سرعة وبخترة الذكر والأنثى سواء والطلح الاعياء والسقوط من السفر وقال أبو زيد اذا أضمره الكلال والاعياء قيل طلح كمنع وابل طُلَّح هزلها السير وجهدها .

(٢) شماء مرتفعة والمهوى ما بين الجبلين ونحو ذلك . واسم مكان من هوى إذا هبط أو سقط .

(٣) أي أسلكوهم في طريق في قتائدة وهي ثنية معروفة أو عقبة والشل الطرد والجمالة أصحاب الجمال والشرد بضمتين جمع شرود وهو النافر ويروى الشردا بفتحتين جمع شارد كخدم وخادم . وجواب إذا في البيت محذوف دل عليه قوله شلا كأنه قال شلوهم شلا .

(٤) المهمه المفازة البعيدة أو الفلاة بعينها لا ماء بها ولا أنيس . قذف بعيدة ومَرْت لا نبات فيها وقيل المرت الأرض التي لا كلأ بها وان مطرت هكذا رواهما في اللسان في سمت وقال معناه قطعته على طريق واحد لا على طريقين . وقال : قطعته ولم يقل قطعتهما لأنه عنى البلد وروى في مرت هكذا .

(ومهمهين قذفين مرتين   ظهراهما مثل ظهور الترسين   جبتهما بالنعت لا بالنعتين)

جبتهما قطعتهما والنعت الفرس الذي يكون غاية في العتق .

وسمت الطريق قصده ومحجته

والسمت السير على الطريق بالظن وقيل هو السير بالحدس والظن على غير طريق

قال الشاعر: ليس بها ربعٌ لسمت السامت

وفي نسخة بها زَيْبغ

° وَطريق مُسمَدِرٌ طويل مستقيم

سِماط الطريق جانبه يقال خذوا في سماطي الطريق أي جانبه

ويقال خل عن سُنج الطريق وسُجحه أي وسطه ومتنه

السنيعة كسفينة الطريقة في الجبل جمعها سنائع

السُّنُك المحاج اللينة كذا في اللسان وفي القاموس البينة قال الشارح وهكذا في العباب ٠

سَنن الطريق وسُنَنه وسِنَنه وسُنُنه نهجه ويقال خدعك سنن الطريق وسُنَّته وترك فلان لك سنن الطريق بتثليث السين أي جهته ومتنه والسُّنَّة الطريق المستوي وفي نظام الغريب السنة والسنن والمسننُ الطريق ٠

قال شمر السنة في الأصل سنة الطريق وهو طريق سنه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم وسن فلان طريقاً من الخير يسنه اذا ابتدأ امراً من البر لم يعرفه قومه فاستسنوا به وسلكوه وهو سنين ٠ وسنَّ الله للناس سُنة أي بين طريقاً ٠ وسنّ الطريق سَنّاً وسنناً فالسنّ المصدر والسنن الاسم بمعنى المسنون ويقال سَنن الطريق وسُننه محجته ٠

والمستسنّ بكسر السين الثانية وفتحها الطريق المسلوك والمسنسن بفتح السين الثانية وكسرها الطريق المسلوك ٠ وفي التهذيب طريق يسلك ٠

ويقال طريق مسور فيه والقياس مسير

ويقال خذوا في هذا السوط وهو طريق دقيق بين شرفين وفي هذه السياط والأسواط ويروى بالشين أيضاً وهو مجاز ٠

المُسَيَّح كمعظم من الطريق المبين شَرَكه وانما سيحه كثرة شركه شبه بالقباء المسيح وهو الذي فيه جدد واحدة بيضاء وأخرى ليست بشديدة السواد ٠

محمد سليم الجندي

مخطوطات ومطبوعات

(رسالة الملائكة . أوج التحري . تعريف القدماء)

أرأيت السيل بعد مضيّه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعاً مرعاً للمنتجعين . ونُزُلاً كريماً للمجدبين كذلك المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري فإنه ترك فينا بعد انقضائه آثاراً أدبية لابي العلاء وفي ابي العلاء وعن ابي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفد فرائدها ولا تنتهي عجائبها .

ومن أنفس تلك الآثار وأعلاها قيمة الثلاثة التي عنونّا بهـا الكلام : مصنف أصدره المجمع العلمي القائم بالمهرجان . وآخر أصدره المعهد الافرنسي بدمشق وثالث أصدرته وزارة المعارف المصرية .

(رسالة الملائكة) ظفر بها المجمع العلمي في بعض مكتبات دمشق القديمة واتفق موعد مهرجان ابي العلاء فرأى ان ينشرها على الجمهور بهذه المناسبة فعهد الى احد اعضائه الأستاذ سليم الجندي بتصحيحها والتعليق عليها ففعل وطبعها المجمع على نفقته في مطبعة الترقي بدمشق فبلغت مع فهارسها ٣٠٠ صفحة بالقطع المتوسط غير ان العجلة في تصحيحها وطبعها ومبادرة أيام المهرجان بإصدارها وتوزيعها أوقع فيها ما كان ينبغي ان لا يقع وهذا ما اعتذر عنه مصححها الفاضل بقوله في المقدمة القيمة التي صدرها بها : (وقد تألب عليّ في هذا العمل ضيق الوقت الذي حدد لانجازه وفقدان مرجع الجأ اليه للمقابلة والتصحيح وانفرادي بالعمل وكثرة اعمالي الخاصة فاضطررت الى الايجاز في بعض المواطن وإلى إهمال القول في بعض آخر وإلى إغفال تراجم بعض الرجال وربما تكرر القول في غير موضع ولم تسلم الرسالة من الهفوات التي تقتضيها العجلة اهـ) ثم وقع في طبعها أغلاط كثيرة تتبعها المصحح الفاضل ونظم بها جدولاً بلغ نحواً من ثلاثة عشر عموداً فكان في هذا الجدول سد لحاجة الحريص وتوفية لرغبة المطالع . ومن أراد التوسع في معرفة أخبار رسالة الملائكة ومختلف اطوارها فليرجع الى مقدمتها المذكورة بقلم المصحح

والى مقال آخر كان كتبه هو عنها ونشره في مجلة المجمع (ص ٤٨ من الجزء [١ و ٢] من المجلد ١٩ ٠ وفي ص ١٢٣ من الجزء [٣ و ٤ من المجلد المذكور] ٠ وأراني مسوقاً الى التعليق على هذه الرسالة بما يأتي :

ان عشاق الكتب المتتبعين لنوادرها كانوا ظفروا من هذه الرسالة بنسخ طبعوها ونشروها في الشرق والغرب باسم (رسالة الملائكة) مع ان ما طبعوه ونشروه انما هو مقدمة الرسالة لا الرسالة كلها ٠ وذلك ان اباالقاسم علي بن محمد كتب الى ابي العلاء يستفتيه في مسائل في اللغة العربية وغريب كلماتها ومعظمها من علم الصرف تبلغ نحو ١٦ مسألة أجابه عنها في هذه الرسالة بعد ان قدم لها مقدمة لا علاقة لها بتلك المسائل لكنه اخترع لها موضوعاً آخر وافرغه في قالب حوار بينه وبين طائفة من الملائكة ويدور موضوع الحوار حول كلمات لغوية غير الكلمات التي سأله عنها ابو القاسم : فكأن النساخ او الأدباء منهم اذا ظفروا بالرسالة كلها اجتزأوا عنها بمقدمتها لما فيها من هذا الحوار الملائكي المبتدع ٠ وهكذا وجد من مقدمة الرسالة عدة نسخ ٠ وكادت تفنى او تفقد هي نفسها لو لا ما وفق اليه المجمع العلمي وأظفره القدر بها كلها أي بمقدمتها مع اسئلة ابي القاسم وجواب ابي العلاء عليها ٠ غير ان الاسئلة نفسها قد فقد منها ثلاثة هي ١٤ و ١٥ و ١٦ وقد طبعت نسخة المجمع من دون هذه الأسئلة فعسى ان القدر الذي اسعفنا بالرسالة كلها لا يضن علينا بخاتمتها وقد فهم القارئ ان الرسالة سميت بالملائكة تسمية للكل باسم البعض وانها كلها حتى مقدمتها مغمورة بمباحث لفظية ودقائق في علم الصرف لغوية لا يتسع لها الا صدر المتعمق في علم اللغة وخاصة علم الصرف فمن سمع بهذه الرسالة يستهويه اسمها حتى اذا ظفر بها وتصفحها لم يسمع منها تسبيح ملائكة وانما سمع عزيفاً للجن سمع (اين الشظاظان) [يا أيها الخذوّذان] [عجوز شهربة] [ناقة جلنفعة] [آثار سفعنّة] [وقّافون بالثغرنة] الخ الخ ٠ أما شكل الحوار الذي وقع بين ابي العلاء والملائكة فهو ان ابا العلاء اراد ان يصور لسائله ابي القاسم نقصه وعجزه عن الجواب عن الأسئلة المذكورة فسما به خياله الى ان يقول ماملخصه : انني كبرت

عن العمل وحانت وفاتي فهل أتوقع ان ادفع عني عزرائيل بتفسير ما استغلق من ألفاظ اللغة فأبادهه باللفظ الذي يدل عليه وهو (الملك) أيكون اصله ملأك او مألك الخ الخ فيعجبه قولي ويلهو عني هنيهة ثم يهمّ بي فأعود الى البحث بلباقة فيصغي إليّ حتى اذا استشهدت بشعر اعمر بن أبي ربيعة قال ومن ابن ابي ربيعة هذا ؟ وما هذه الأباطيل ؟ ان كان لك عمل صالح فأنت السعيد والا فاخسأ وراءك قال فأريد ان اشغله عني ببحث كلمة (عزرائيل) وما هو أصلها فيقول هيهات ليس الأمر إليّ : إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . ثم يقبض الملك روحه . فيرى نفسه في القبر بين يدي منكر ونكير فيبغتهما بالسؤال عن اشتقاق اسميهما فيقولان هات حجتك (يعني على عقيدة الاسلام) ودع الزخرف فتقرّبت اليهما بقولي : كان ينبغي ان تعرفا وزن جبريل وميكائيل . فلم يصغيا إليّ وازدادا غلظة وكأنه عاد فاستدرجهما حتى اعطيا رأياً في تصريف اسم (موسى) فقال لهما (لله انتما لم اكن أحسب ان الملائكة تنطق بمثل هذا الكلام وتعرف احكام العربية) ثم خاف وقد أشارا اليه بالأرزبّة (وهي عصا من حديد) فقال لهما تثبّتا رحمكما الله كيف تصغران الأرزّبة قالا تصغيرها كذا وجمعها كذا . فإن قالا لي ما كذا أقول كذا . وقد تكرر النقاش بينه وبين منكر ونكير على هذه الصورة التي استغرقت نحو اربع صفحات مما يوهم ان هذين الملكين كانا على حصة موفورة من معرفة علم الصرف . ثم تخيّل ان القيامة قد قامت وانه على أبواب جهنم وانه تودّد الى مالك خازن النار فذكر له اختلاف العلماء في أصل معنى الزبانية واشتقاقها فعبّس مالك في وجهه . اما هو فلم يخجل ولم يرعو بل سأله رأيه في أصل كلمات (غسلين) و (جهنم) و (سقر) فضاق صدر [مالك] وقال له [ما أجهلك واقل تمييزك ما جلست انا ههنا للتصريف وانما جلست لعقاب الكفرة القاسطين] فانتقل الى مناقشة الملكين الآخرين وهما [السائق والشهيد] في مخاطبة الاثنين بضمير المفرد . ثم لما رأى نفسه واحداً استصحب معه جماعة من [خمّان الأدباء] أي سفلتهم وأراذلهم فوقفوا معه على باب الجنة وبدل ان ينادوا رضوان خازنها بقولهم

[يا رضوان] رخّموا فقال بعضهم [يا رضوَ] بفتح الواو وقال آخرون [يا رضوُ] بضمها . فاستنكر ذلك منهم فاعتذروا له بأنهم في دار الدنيا هكذا يتكلمون فسألهم ما حاجتهم قالوا توسّط لنا لدى أهل الجنة فنعلّمهم اشتقاق كلمات [كمثرى : سفرجل] [سندس] [طوبى] [الحور العين] [استبرق] و [عبقري] وقالوا له إن كان كبار أهل الجنة يعرفون هذا فان صغارهم وولدانهم يجهلونه فأدخلنا الجنة نعلمهم . فيبتسم رضوان ويقول [ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون] فانصرفوا رحمكم الله فقد اكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه وانما كانت هذه الأشياء أباطيل زخرفت في الدار الفانية فذهبت مع الباطل . فيقولون إذن نادِ لنا بعض علمائنا الذين في الجنة نخاطبه في امر . قال ومن تريدون ؟ فيقولون الخليل بن احمد فيشرف عليهم الخليل . ويقول لهم ما ذا تريدون قالوا تعليم ولدان الجنة علم العربية فيجيبهم بأن الله جعل من يسكن الجنة ناطقاً بلغة يعرب بن قحطان وانما افتقر الناس في الدنيا الى تعلم العربية لأن العربية الأولى أصابها تغيير أما الآن فقد رفع عن أهل الجنة كل الخطأ والوهم . فاذهبوا راشدين فيذهبون وهم محققون فيما طلبوه .

هذه خلاصة مقدمة رسالة الملائكة وقد استغرقت ٥٥ صفحة من الرسالة المطبوعة التي مجموع صفحاتها نحو ٣٠٠ صفحة كما قلنا وباقي الرسالة يتضمن الأجوبة على اسئلة ابي القاسم وكل مباحثها على النمط السابق في المقدمة . لغة وصرفٌ كثيرونحوٌ قليل

وقد يتخلل حزون هذه الأبحاث الصرفية أقوال لأبي العلاء يجد فيها القارئ سهولة بحث . ومنعة نفس . مثال ذلك قوله (في ص ٢٢٦ سطر ٧) : « وقد يقع في الكتب ألفاظ مستغلقة فمنها ما يكون تعذُّر فهمه من قِبَل عبارة واضع الكتاب لأنه يكون متسوراً [1] على ما بَعُد من الألفاظ وعلى ذلك جاءت عبارة سيبويه في بعض المواضع . ومنها ما يستبهم لأن صاحب الكتاب يكون قاصداً لإبهامه ويقال إن النحويين المتقدمين فعلوا مثل ذلك ليفتقروا اليهم في إيضاح المشكلات .

(١) أي مشتملاً على معرفة مابعد وغمض من ألفاظ اللغة ويحتمل أن يكون معنى (متسوراً) مشرفاً ومطلاً

ومن الفاظ الكتب ما يستعجم لتصحيفٍ يقع فيه : فإن الحرف ربما زاغ عن هيأته فأتعب الناظر وشغل قلب المفكر وربما كان الكلام قد سقط منه شيء فيكون الإخلال به أعظم ومعناه أبعد من الإبانة » اه .

وهنا موضع التساؤل او التعجب من ابي العلاء في وضعه طائفة من مصنفاته في شكل قصة وحوار خيالي بين اشخاص أو بين الطير والحيوان أحياناً . فمن تصفح اسماء الكتب التي صنفها علماء عاشوا في زمن ابي العلاء وقبله وبعده لم يجد فيها ما يجده في مصنفاته هو من هذا الوضع الخيالي أو التمثيلي او القصصي : فبين مصنفاته [أدب العصفورين] [خُطَب الخيل] [رسالة الضُبْعين] [رسالة على لسان ملك الموت] [سجع الحمائم] [الصاهل والشاحج] [كتاب القائف] قالوا : انه على مثال كليلة ودمنة . وهذه رسالة [الملائكة] كما وصفناها للقارئ ورسالة [الغفران] وهي اوسع في الخيال وامتع من رسالة الملائكة . وله كتاب باسم [تظلم السوَر] وهو يشعر بأن سور القرآن تتشاكى وتتظلم من بعض الشيء . هذه المصنفات مما وضعه ابو العلاء تدل بأن له ميلاً خاصاً أو ذوقاً خاصاً في فن القصة لم نعهده لغيره من علمائنا الذين عاشوا في زمنه ومثل بيئته . فممن ورث هذا الميل وكيف تسرب الى نفسه ؟ نعم ان شروط فن القصة في آثاره هذه لم تتوفر بتمامها لكنّ نواتها قد وجدت في طبع ابي العلاء وغريزته قطعاً . يخطر لي ان هذا الميل تسرب اليه من الفرس فان لأبي العلاء — كما يظهر من ترجمته — زواراً وخلطاء وتلاميذ منهم . اشهرهم الخطيب التبريزي ويظهر ان المعرة كانت الى عهد قريب منزلاً للحجاج والرُوّاد الايرانيين يقصدونها لموقعها من طريقهم ولأثر في جامعها من آثار سيدنا الحسين ومن أشهر من زار المعرة في زمن أبي العلاء من الفرس ناصر خسرو الرحالة الفارسي وقد وصفها ووصف ابا العلاء في رحلته التي سماها (سفرنامه) فلا جرم ان يكون — ابو العلاء وهو الذكيّ الألمعي والثقف اللقف — عرف من هؤلاء المعاشرين شيئاً ولو قليلاً من أدب الفرس وتخيلات أدبائهم وقصصهم في مصنفاتهم وما ننس لا ننس كليلة ودمنة وشاهنامة الفردوسي . ومن كان في ذكاء ابي العلاء

لا يعوزه لاجل التأثر والاقتداء والتحدي اكثر من هذا القليل حتى يفيض ذهنه بالكثير مما كان على نمطه ومضروباً على غراره . ويمكن ان تعد مقامات البديع الهمذاني من جملة الآثار التي تأثر بمضمونها ابو العلاء : فهي — وان كانت عربية في مولدها — فارسية في محتدها: إذ ان البديع فارسي العرق كان يقيم بهرات ومات فيها وكان معاصراً لأبي العلاء جمعهما ربيع الشباب وعاش المعري بعده اكثر من نصف قرن .

وأراني قد تطفلت في التعرض لهذا الموضوع اعني بيان السبب في جعل ابي العلاء يكتب بعض مصنفاته مفرغاً في قالب القصة المتخيّلة بينا غيره من أقرانه لم يرو عنهم شيء من هـذا القبيل . ولعل غيرنا كتب في هذا الموضوع ووفّاه حقه . ولو اطلعنا عليه . لاجتزأنا به . ولم نكتب ما كتبنا .

(أوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري) قلنا ان هذا المصنف أصدره المعهد الافرنسي بدمشق بمناسبة المهرجان أيضاً وقد عهد المعهد الى الاستاذ ابراهيم الكيلاني بالوقوف على تصحيحه والتعليق عليه وكان الأستاذ عثر على مخطوطته في دار الكتب الظاهرية وهي من النوادر التي لا وجود لها ولأمثالها إلا في تلك الدار . وقد طبع الكتاب في مطبعة الترقي بدمشق في ١٦٠ صفحة بالقطع المتوسط . ونشر في أوله مقدمتان هما غاية في الامتاع والفائدة والتعريف بالكتاب ومؤلفه : إحداهما بقلم الأستاذ سليم الجندي عضو المجمع العلمي والأخرى بقلم مصححه الأستاذ الكيلاني وألحق بالكتاب فهارس مختلفة تزيد في فائدته وتقريبها من يد المتناول . كما أخذت بالتصوير الفوتوغرافي صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة لتدل عليها وعلى نوع خطها وقطع صفحاتها . وقد قيل في آخرها ما نصه (تم الكتاب في آخر أول شهر من سنة ١٠٥٣ هـ) وفي الكتاب خرم لا ينقص من قيمته أما مؤلفه فهو يوسف البديعي الدمشقي وكانت وفاته سنة ١٠٧٣ هـ وليس له ترجمة الا في خلاصة الأثر للمحبي وهي مقتضبة جداً لا تفي بحاجة المتتبع الحريص وقال عنه المحبي : انه خرج من دمشق في صباه وحل بحلب وكانت له فيها شهرة واسعة وولي قضاء الموصل . وله مصنفات اشهرها (الصبح المنبئ في حيثية المتنبي) . ولم يأت البديعي بجديد من اخبار ابي العلاء

غير ما قاله المترجمون له والمصنفون فيه عدا نماذج من كتاب (الأيك والغصون) المفقود والمجهول الموضوع حتى عرَّفتنا به هذه النموذجات التي ذكرها البديعي وقد استغرقت عدة صفحات فعلم منها ان الكتاب كتاب حِكَم ووعظ سردت فقراته سرداً متماثلاً كقوله : (الخمصة للفحل وجاء · لا يستثيرن غضبك هجاء · افرح بالحسنة اذا صنعتها · واندم على صلاتك متى أضعتها · في كل نفس أعجوبة · والحقائق عن البشر محجوبة · إذا لاقيت جارك فحيّه · وان نزح به الزمن عن حيّه الخ الخ وفي الكتاب أيضاً نماذج من مصنف لأبي العلاء مفقود اسمه [ديوان الألغاز] ولم يشر اليه احد الا البديعي ومهما يكن للمؤلف البديعي من هنات يؤاخذ بها فان له حسنات ومزايا يحمد عليها وقد استوفى بيان ذلك كله في المقدمة المصحح الفاضل الذي تُرى آثار جهوده في كل جانب من جوانب ذلك الكتاب ولا سيما في التعليقات الممتعة التي علّقها عليه فله الشكر على مابذل من العناية في إبراز هذا الأثر النفيس وشكر آخر لا يقل عن الشكر الأول للسيد هنري لاوست مدير المعهد الافرنسي وعضو مجمعنا العلمي العامل على طبع الكتاب ونشره وبذل العناية في أمره ·
بقيت لي كلمة لا بدّ منها وكنت قلت مثلها في مؤلف دمشقي آخر معاصر للمؤلف البديعي وهو الشيخ محمد الدرا شارح سقط الزند وقد سمى شرحه [ضوء الفند] وكلمة [الفند] بمعنى الشمع دخيلة في اللغة ملوزة في نسبها وعجبت من مثله كيف يسمي شرحه وهو كتاب أدب جمع فصاحة العرب بلفظ غير عريق في العروبة ومن العجيب ان أحداً من علماء دمشق وأدبائها لم ينتقد الدرا في هذا التسمية ولو فعلوا لما قام البديعي في العصر نفسه يسمي كتابيه [أوج التحري عن حيثية ابي العلاء المعري] [والصبح المنبي في حيثية المتنبي] فما هذه (الحيثية) التي هام بها البديعي واستحلاها حتي كررها في المصنفين · ويظهر ان كلمة حيثية ليست خاصة بلهجتنا الشامية بل هي شائعة ومألوفة منذ ذلك العهد : نقول اليوم فلان صاحب حيثية ونريد بالحيثية المكانة والاعتبار في نفوس الناس وهي نسبة الى [حيث] وحيث ظرف

مكان تقول [اجلس حيث جلس زيد] اي في مكان جلس فيه وقد الحقوا بحيث ياء النسب وتاء المصدرية وهذا كما يقال في مكان مكانة . وربما كان هذا الاستعمال خاصاً بنا معشر الشاميين لكننا نسمع المصريين يقولون [حيثيات الحكم] ويريدون الأسباب التي جعلت الحاكم يحكم في القضية ويكررون في وثائق حكمهم كلمة [وحيث كذا وحيث كذا] ولا نعلم ان كان المصريون في لهجتهم يستعملون كلمة الحيثية بمعنى المكانة . وفي الجملة فان في تسمية البديعي لكتابيه باسمين فيهما كلمة [الحيثية] موضعاً للمؤاخذة .

(تعريف القدماء بأبي العلاء) وهذا الكتاب أصدرته وزارة المعارف المصرية بمناسبة مهرجان ابي العلاء ونشرت فيه آثاره نشراً علمياً منظماً وهي عازمة على إخراج سلسلة كتب تتعلق بالتعريف بأبي العلاء وهذا السفر الذي بين أيدينا في ٦٠٠ صفحة بالقطع الكبير والحقت به فهارس في زهاء مئة صفحة وقد طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة بعد ان جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف العمومية بإشراف الدكتور طه حسين بك فيعلم مما ذكرنا ان هذا الكتاب قد احتُفل به أيما احتفال وان الحكومة المصرية قد اولت مهرجاننا جميلها بإصداره كما خدمت أدب ابي العلاء خاصةً والأدب العربي عامةً خدمة باقية بقاء الدهر ولا يحيط علما وإعجاباً بكتاب [التعريف] الا من احاط به مطالعةً او تصفحاً لمضامينه على الأقل فهو [دائرة معارف]خاصة بكل ما يتعلق بأبي العلاء واذا كانت الوزارة المصرية عازمة على نشر سفر أو اسفار وراء هذا السفر الأول حق لنا ان نقول مثلما قال ذلك الفاضل الذي اطلع على الجزء الأول من الأجزاء المئة من كتاب[الأيك والغصون] للمعري — نقول : لا نعلم ما ذا يعوز الوزارة المشار اليها ان تجمعه من أخبار ابي العلاء بعد هذا السفر . وقد نشر في أوله مقدمة ماتعة في أسلوبها . ممتعة في مضامينها بقلم الدكتور طه حسين بك جاء في خاتمتها ما نصه [أما بعد فإنا لا نرى هذا السفر على خطره الا مقدمة يسيرة لعمل خطير سيتبع بعضه بعضاً ومصر سعيدة مغتبطة لأنها ستتقدم بهذا السفر الى الذين سيحيون ذكرى ابي العلاء في سورية وهي أشد

سعادة واغتباطاً لأنها ستمضي في هذا الجهد حتى تنشر كل ما يمكن نشره من آثار الشاعر الفيلسوف العظيم ونحن سعداء مغتبطون لأننا اتحنا لمصر بما بذلنا من جهد ان تؤدي للأدب العربي وللثقافة الاسلامية بعض ما عليها من دين]

أما ما تضمنه هذا السفر من الآثار المتعلقة بأبي العلاء فهي :

[١] ما كتب له من التراجم في المصنفات المختلفة مرتباً ترتيباً زمنياً

[٢] شذرات تعرّضت لذكره وشيء من خبره منقولة من سائر المصنفات في المواضيع المختلفة

[٣] « التبرّي من معرّة المعرّي » وهي ارجوزة للسيوطي سرد فيها اسماء الكلب السبعين وقد بنى نظمها على ما جاء من قول ابي العلاء [الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً]

[٤] ابو العلاء في الأدب المغربي

[٥] ابو العلاء في الأدب الفارسي

[٦] النحاة وابو العلاء

[٧] كتاب الانصاف والتحري لابن العديم . وقد نُشر برمته مصححاً ومعلقاً عليه

[٨] معرّة النعمان وما كتبه الجغرافيون وأصحاب الرحلات عنها .

و اذ قد تعمد جامعو الكتاب ان ينشروا النصوص بحذافيرها من دون حذف شيء منها فأخبار ابي العلاء فيها تجيء مكررة بالطبع ولو حذف منها ما تكرر فيها لما بقي في الكف من هذا السفر الا نحو نصفه . ومع هذا ففي الاعادة إفادة ولا نظن الذكي من قراء السفر الا ويخرج منه بعد قراءته مستظهراً له . متفقهاً فيه . وكفى بذلك رسوخاً في الأدب وملكته . وأثمن شيء في هذا السفر نصوص لم يسبق نشرها قبل الآن بل هي منسية لم تقع عليها عين : نص للقفطي . وثان في مرآة الزمان . وثالث في مسالك الأبصار . ورابع في عقد الجمان . وانا لنكرر الشكر لوزارة المعارف المصرية على اتحاف العالم العربي وثقافته الأدبية بهذا السفر والأسفار المنتظرة الأخرى .

المغربي

مبادئ في السياسة المصرية

تأليف الأستاذ محمد علي علوبة باشا طبع في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
(سنة ١٣٦١ — ١٩٤٢) ص ٣١٨

مؤلف هذا الكتاب من أكبر رجال القضاء والإدارة في مصر مشهور بعنايته بالعالم الاسلامي وهو من أول من نادى بجمع كلمة العرب وكتابه هذا من أنفع ما صدر في العهد الأخير في تعليم المصريين ما يلزمهم ودلالتهم على ما ينهض بهم ويكفي أنه زبدة علم رجل عانى أكثر المسائل التي خاض عبابها بنفسه فهو كتاب عملي مثل كتاب (على هامش السياسة) للدكتور حافظ عفيفي باشا ٠

جمل كتاب علوبة باشا كل ما يجعل من مصر دولة عظيمة ومن المصريين أمة ناهضة مرفهة لا يجور غنيها على فقيرها ولا قويها على ضعيفها ولا ينعم في أرضها فريق صغير ويشقى فيها الملايين ٠ والكتاب لا يدرك فائدته الا من يطالعه مطالعة امعان مرة بعد مرة ونحن نكتفي هنا بالإشارة الى بعض فصوله التي كتبها المؤلف برشاقة يندر أن يكتب مثلها ٠ فقد تكلم في أسباب ضعف ثروة مصر ووسائل انهاضها وفي مجالها الحيوي الشرعي والهجرة والجنسية المصرية وفي الصناعة والتجارة وفي أزمة المتعطلين وتطور الصناعة والشركات ٠ وبحث في ديون الأفراد وتحديد الملكية العقارية وفي السياحة واللغة القومية وشركات الاحتكار ٠ وقال في فوائد القروض (ص ٧٣) «ان خوفي على مستقبل الاسلام والمسلمين واعتقادي أن دين الله يسر كله وانتا أدري بأحوال زماننا، كل هذا يدفعني الى الجهر بأن واجب المسلمين أمام الضرورات الحاضرة القاسية وهذا التزاحم الشديد أن يدفعوا غائلة المرابين وان دينهم يأمرهم الآن بالتعامل افراداً وجماعات بالفوائد القانونية درءاً للمفاسد وسداً للذرائع قبل أن نندم حيث لا ينفع الندم» ٠

ومما أفاض فيه بذوق وخبرة الكلام على النظام النيابي والأحزاب السياسية والنظام الاداري والتعليم على اختلاف درجاته وتوحيد الثقافة ٠ ألمّ في هذا الباب بعامة الفروع ولا عجب فهو ابن بجدتها (تولى وزارة المعارف ووزارة الأوقاف زمناً)

وجهة فيما يقول . ولم نوافقه على رأيه عند الكلام عن الموسوعة (الانسيكلوبيذيا) أو دائرة المعارف او المعلمة فقال: اذا كانت الحاجة ملحة في وضع المعاجم العربية على النمط الحديث « ص ٢١٤ » (لا أرى الحاجة ماسة الى ما يقول به البعض من التفكير في موسوعة عربية تجمع بين دفتيها جميع المعلومات الانسانية مدنية وعلمية وفقهية ورياضية وكيمائية ... ذلك لأن الموسوعة بهذا الوضع تتطلب نفقات طائلة ووقتاً طويلاً والعلوم متجددة متقدمة) على ان مصر يجب عليها من الآن القيام بمثل هذا المشروع المفيد للأمة العربية جمعاء فاذا كان النقص يبدو فيه بما يتوالى من تقدم العلم السريع فان الطبعات الثانية تجيء أمتع بالطبيعة . أما النفقات اللازمة فلا تعد شيئاً بالقياس الى ثروة مصر واسرافها في إنفاق المال ثم ان جميع البلاد العربية تساهم في إنشاء هذه الموسوعة ونشرها بحسب طاقتها والأمر متوقف على الشروع والشروع ملزم وكتاب كهذا أفيد لمصر من كثير من المطبوعات التافهة والاخصائيون الذين سيضعون أساس هذا العمل الخطير غير قلائل في مصر وغير مصر .

وتكلم في حالة مصر الاجتماعية من مثل مستوى المعيشة والحفاء والتسول والتشرد والصحة وانتشار الأمية واضطراب التشريع والزواج والطلاق والأزياء والأوسمة والقاب الشرف والبدع ومظاهر الأفراح والأتراح والأغاني والموسيقى وفوضى الاحسان . وعرض للدفاع الوطني والخدمة العسكرية والرياضة البدنية واستقلال الحبشة وواحة جغبوب وفلسطين . ثم انتقل الى الوقف وتاريخه وشروط الواقفين وتنظيم الوقف الأهلي الجديد والوقف الخيري الجديد وتنظيم الأوقاف القديمة وهذا من أمتع الفصول وختم هذا الكتاب النفيس « في مصر والبلاد العربية » . وتشاءم من ضم الأقطار العربية الى مصر وجمجم في هذا الباب وقال ان درجة نمو البلاد العربية الثقافي مختلفة وانها معترفة لمصر بالزعامة السياسية والثقافية والروحية وغير ذلك (ص ٣١٥) الا ان المؤلف يريد ان تكون الروابط بين مصر وشقيقاتها

كذلك الروابط التي تجمع مثلاً بين انكلترا والأمم التي تتكلم اللغـة الانكليزية وان تستقل كل أمة (والأولى كل شعب) من الأمم العربية باستقلالها السياسي والجغرافي استقلالاً تاماً كاملاً .

هذا أقل ما يقال في وصف هذا السفر الممتع وللمؤلف منة على مصر بتأليفه هذا ضمنه عصارة علمه الواسع وتجاربه الوفيرة جزاه الله عن بلاده وكل بلد عربي أفضل جزاء .

محمد كرد علي



مطالعات عباس محمود العقاد

تظهر قدرة الأستاذ العقاد في « مطالعاته » اذا هجم على شاعر من الشعراء يرضى عن خلقه وعن فلسفته في الحياة وعن فنه ، فيتغلغل الى خفايا هذا الخلق وهذه الحياة وهذا الفن ويكشف الغطاء عن أسرارها ثم يصور هذه الأسرار في أوضح الصور وأقواها ، فلست ترى في رضاه عن هذا الشاعر الا اصالة في الرأي وسلامة في الذوق وانصافاً في الحكم وبراعة في التعليل ووضوحاً في التعبير على نحو ما فعل في فصوله الدقيقة في المتنبي فلقد صوّره في حقيقة صورته وأدرك جوهر خلقه وطبعه وأحسّ بأعمـاق شعوره فاستخرج من هذا كله صورة شاعرٍ بلحمه ودمه وروحه ، شاعر ناطق كأنك تسمع همس شعوره وترى مجال نفسه وتلمس أثر عظمته .

ولكن الويل ثم الويل اذا هجم على فكر من الأفكار في الأدب لم يرض عنه أو لم ينكشف له وجه صوابه على حقيقته ، فانه لا يلبث ان يمسخ وجه هذا الفكر وان يعرض عليك بعد هذا المسخ صورة وجهٍ تنقبض عنه العين فلا تجرؤ على النظر اليه على نحو ما فعل في فصله : الأدب كما يفهمه الجيل .

نبه في هذا الفصل على اجتناب خطأ شائع لا ينفع الواقعين فيه اطلاع ولا ادمان نظر ، وليس يتأتى درس صالح لأي باب من أبواب الأدب قبل الخلاص

من آفته وانتزاع كل أثر عالق بالذهن من آثاره ، ما هو هذا الخطأ : النظر الى الأدب كأنه وسيلة « للتلهي والتسلية » .

ليست المصيبة في التنبية على خطأ شائع وانما المصيبة في تفسير حقيقة هذا الفكر الشائع على الوجه الذي أراده الأستاذ العقاد ، فقد رأى ان اعتبار الأدب ملهاةً وتسلية انما هو العلة في كل ما يعرض للآداب من آفات الاسفاف الى الأغراض الوضيعة والغلو والعبث وتشويه المعاني والكلف المفرط بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف .

فأرى ان أنقل في هذا المقام جملة من قول الذين يجدون في الأدب مسرّة لعلّ نقل هذا القول يغني عن الرد على الأستاذ العقاد .

يرى الأستاذ « لانسون » ان الأدب انما هو رياضة وذوق ومسرّة ، والأدب لا يعلمه المرء علماً ولا يدرسه دراسةً وانما يمارسه ويحرثه ويحبه ، ان الرياضيين الذين يلهيهم الأدب والذين يذهبون الى المسارح أو يقرأون الكتب على سبيل التسلي والمسرّة انما هم أقرب الى الصواب من هؤلاء الأدباء الذين لا يقرأون الكتب قراءة ولكنهم يجردونها تجريداً ويظنون انهم يصيبون الإصابة كلها اذا جعلوها أبواباً ، لقد خلق الأدب لينشئ مسرة لنا ، ولكنها مسرة عقلية تروّض قوانا العقلية فتخرج القوى من هذه الرياضة أقوى سلطاناً وأمرن طبيعة وأغنى مادة ، وعلى هذه الصورة يكون الأدب ثقاف الباطن ، هذه حقيقة فعله . وأضاف الى قوله هذا ما يلي : اني لا أكاد أفهم كيف يدرسون الأدب لشيء آخر غير الثقافة ولسبب آخر غير وجود المسرة في دراسته .

فالاستاذ « لانسون » وقد كان مدير دار المعلمين العليا في فرانسة ، يرى ان الأدب انما هو مسرّة ، ولما قال قوله هذا لم يقع في خلده انه يأتي يوم يعتبرن فيه ان مسرة الأدب معناها الاسفاف الى الأغراض الوضيعة وعلى الرغم من هذا فقد تحفظ فصوّر عمل الأدب فقال : بالأدب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقي هذه الجماعات وتغير أوضاعها ، الأدب هو الذي يتعهد النفوس

التي أثقلتها تكاليف الحياة وأغرقتها مشاغل المادة ، فيحملها على الاعتناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنىً أو غاية ٠

فاذا كان الأدب هذا فعله في الجماعات فأظن انه بعيد عن الإسفاف الى الأغراض الوضيعة التي أشار اليها الاستاذ العقاد ٠

ومن الذين يرون ان الأدب انما هو مسرة « اناتول فرانس » فقد قال : يحق للعلم ان يطلب الينا ان يجتهد ذهننا ويتنبه فكرنا ، ولكن الفن ليس له هذا الحق ، شأن الفن أن يلذك ويسرك ، ليس له غير هذا الشأن ٠

قال « أناتول فرانس » هذا القول والذين قرأوا فصوله ورواياته يعرفونه حق المعرفة بعده عن تشويه المعاني وعن فرط الكلف بمحسنات الصناعة وغيرها من ضروب التزييف فان قاعدته في الفن مشهوره : البساطة ولا شيء غير البساطة ٠

فالذين وجدوا مسرّة في الأدب لم تخطر ببالهم الأُمور التي تصورها الاستاذ العقاد ولما قالوا قولهم لم يذهب فكرهم الا الى أمر واحد ، فقد أرادوا ان يكون الأدب بعيداً عن مصاعب العلم وتعقيدات الفلسفة أرادوه بعيداً عن هذا كله حتى يستطيع بفضل بساطة صيغه ان ينشر هذا العلم وهذه الفلسفة في الجماعات فتذوق الجماعات لذة العلم والفلسفة دون شيء من المشقة والجهد ، أو من التعقيد والإبهام ، هذه حقيقة فكرة المسرّة في الأدب ٠

شفيق جبري



مراجعات في الأدب والفنون

عباس محمود العقـاد

عنوان الكتاب يدل على موضوعاته ، لقد خاض الاستاذ العقاد في كتابه هذا في مباحث من الفن والأدب شتى ، واني أعتقد ان هذه المباحث كتبها من زمن غير قريب ، وإن كان المؤلف لم يذكر في آخر المقدمة تأريخ التأليف ، ولو كتبها اليوم لتلطف في بعض مواطنها ، لو كتبها اليوم لما كنت اعتقد انه

يقول في جماعة من شعراء عصره نسبت اليهم العظمة والخلود ان العالم الذي يعيشون فيه انما هو عالم الحمير : عالم العلف والمذود والقيد واللجام والأتان ! ..

لو كتب الأستاذ العقاد مراجعاته اليوم لما سئم من حياة الشاعر ابن هرمة ولما قال في هذا المسكين ان مسافة عمره من المولد الى الممات طويلة ، ومعنى هذا انه ليته بعد أن ولدته أمه خسفت به الأرض ولم يعش !

لا يرى الأستاذ لكلام ابن هرمة براعة وصناعة ، فهو حر في ذوقه ، ولكن تشبيه شعراء عصره بالحمير ، أو التبرم بحياة بعض الشعراء المتقدمين ، كل هذا لم يعد أمره أمر ذوق حر أو غير حر ، اني أجد في هذا الطراز من النقد شيئاً من اليأس يغمر قلب الأستاذ العقاد ، وشيئاً من السويداء يملأ نفسه ، فعالم الشعراء وان كان الاستاذ العقاد لا يرى انهم يستحقون العظمة والخلود أرفع من عالم الحمير وابن هرمة وان كان الاستاذ لا يرى لكلامه براعة وصناعة له حق في الحياة على كل حال .

ولقد لازم هذا اليأس وهذه السويداء قلب الاستاذ العقاد في غير هذه المواطن ، ففي رده على بعض آراء « أناتول فرانس » يرى ان هذه الآراء انما هي من أسخف السخف ، والى القارئ أسخف السخف الذي أشار اليه الاستاذ العقاد .

من رأي « أناتول فرانس » ان الفن الحسن لا يكون الا في السهولة ، ولقد بنى على هذه الأصول في كتاباته كلها ، ولكن الاستاذ العقاد وسع رأي « أناتول » في الفن ، ومدّه الى الحياة كلها ، وعلى هذه الصورة أخرج « أناتول » عن الأفق الفني الذي حصر فيه رأيه ، وصوّر فلسفته الفنية في صورة هزلية وقال :

« إن من اسخف السخف أن يقال أن مسرات الشعر والكتابة والفنون عامة لا تحتاج إلى التأمل والانتباه وانها مطالبة بأن تعرض نفسها على الناظرين ليلتفتوا اليها حين يشاؤن بلا جهد ولا استعداد » .

اني اتمنع من كتب « أناتول فرانس » من عشرين سنة ، ما ينبغي لملاذ الفن في نظره أن تكون متعبة للذهن ، ومعنى هذا ان الكاتب يجب عليه ان يعرض في معرض آراءه من القول يسهل فهمه ، وأي اعتراض على هذا الرأي ، فان

« أناتول فرانس » سواء أكان يخوض في أمور الحياة البسيطة أم كان يخوض في أمور الفلسفة او الاجتماع أو الاقتصاد او اشباه هذه المذاهب انه لا يعرض علينا أفكاره الا في معرض سهل ، لقد قرأ كثيراً ولخص ما قرأه وبسط ما لخصه في نمط من القول السهل ، وكما تكون السهولة في تصوير أمور الحياة البسيطة فكذلك تكون السهولة في تصوير الأمور الرفيعة مثل الكلام على الأخلاق او على الطبائع او على الاجتماع وغير ذلك ، فالكاتب البارع الذي درس هذه الأمور وفهمها حق الفهم لا يجد مشقة في صبها في قالب سهل ، حتى لا يتعب ذهن القارئ أو يجهد فكره ، أفلا تكون البلاغة الا في التعقيد والإبهام والغموض ، أفيكون أبلغ الكتاب أكثرهم استلزاماً لإعمال الفكرة في فهم كتاباتهم ، على ان الواقع قد دلنا على ان الذين خلدوا في أدبنا انما هم الكتاب أو الشعراء الذين سهل فنهم ، وكانت موضوعاتهم على الرغم من هذه السهولة أرفع الموضوعات في الاخلاق والطبائع والاجتماع ، منهم ابن المقفع ومنهم الجاحظ نفسه على شدة رسوخه في اللغة ، فالاستاذ العقاد اما انه أساء فهم كلام « أناتول فرانس » وهذا ما لا أعتقده ، واما انه اوَّله على وجهٍ يناسب مذهبه في الفن .

لقد أتى الأستاذ العقاد في خلال رده على « أناتول فرانس » على ذكر المتنبئ والبحتري فقال : ان المتنبئ مثلاً صعب على من يستسهل البحتري ، اني أحمد الله على ذكره المتنبئ في مثل هذا المقام ، فالمتنبئ أكثر الشعراء تعقيداً وابهاماً في بعض شعره ، وأبياته المشتملة على ظلمة التعقيد غير قليلة ، ولو لم يكن في شعره الا هذا التعقيد الذي يتعب الذهن ويجهده لكان في عصرنا هذا نسياً منسياً ، وانما خلد المتنبئ لسهولته ، وأريد بالسهولة في هذا المقام سهولة أبياته التي سارت في الحكمة والأمثال ، فلو لم ينطق المتنبئ بلسان كل واحدٍ منا لما خلد ، ولو كان نطق بلسان كل واحدٍ منا وكانت أبياته في الحكمة والأمثال تضطرنا الى جهد الذهن في فهمها لما كان له هذا النصيب من الخلود ، انه تغلغل الى صميم الحياة واستخرج منها حكمته وأمثاله ، أفكانت هذه الحكمة وهذه الأمثال من المعاني العامة التي يترفع عنها الخاصة ، كلا ، ثمَّ كلا ، انها من أرفع المعاني ، وانها على الرغم من

رفعة شأنها مصورة في أسهل الصور ، وهذا ما جعلها خالدة ، وهذا ما جعل صاحبها في الخالدين ، فالفن لا يكون حسناً إلا اذا كان سهلاً .

من يومين دفع الي كتاب الأستاذ العقاد : « تذكار جيتي » لأقول كلمة فيه في هذه المجلة ، واذكر اني وجدت فيه غير ما يجده بعض الناس ، اني وجدت فيه صفاء في الأسلوب ، فهل حطت سهولة فنه من قدره أو من قدر موضوعه ، ان هذه السهولة قد رفعت من قدر الكتاب ورفعت من موضوعه ، والغالب على ظني ان هذا الكتاب كتب بعد ان سلم الأستاذ العقاد من ظلمة اليأس والسويداء .

ش . ج



مجمع الأحياء

عباس محمود العقاد

كتب الأستاذ عباس محمود العقاد رسالته : مجمع الأحياء ، ليوضح نضال الأهواء والمبادئ وليبلغ كنه الحكمة التي تبدأ منها وتعود اليها أعمال الناس ومساعيهم في هذه الحياة ، فالخير والشر في رأي الأستاذ لا ينفصلان وأشرف ما يعرفه الناس من الحق غيرتهم على ما يعتقدون انه الحق ، وقد توسع في مقدمته في شرح أمثال هذه المعاني ، غير ان الأستاذ خرج بعد المقدمة الفلسفية الى فلسفة ممزوجة بالشعر حتى تخف أفكاره على الأذهان ويسهل دخولها على النفوس ، فتصور اجتماعاً للأحياء في غاب في قلب افريقية ، خطب في هذا الاجتماع : الحياة واليمامة والثعلب والقرد والأسد والمرأة والانسان والذئب والطبيعة ، وبين كل حي من هذه الأحياء وجهة نظره في الحياة ، فالواجب الأول والأخير على كل حي في نظر الأسد ان يكون قوياً والأخلاق في نظر القرد انما هي قوة فوق القوة ، ومصالحنا الخاصة في نظر الثعلب أظهر لحواسنا واقرب الى اهوائنا من المصالح العامة الى آخر ما نطق به كل حي من الأحياء في هذا الاجتماع .

لقد كان الأستاذ بارعًا كل البارع في عبارته الأخيرة في الرسالة فبعد ان فرغت الطبيعة من خطابها في مجتمع الأحياء ما كادت تلفظ الكلمة الأخيرة حتى وثب الأسد على الثور وقبض النمر على الأيل وعدا الثعلب وراء الأرنب ووجأ الذئب عنق الشاة والتهم الهر الفأر وجذب الانسان سلاحه يضرب ذات اليمين وذات الشمال ، والقدر يضحك والحياة تصرخ ، وكلهم ذاهبون على رؤوسهم يصيحون : اسمعوا صوت الطبيعة ، اسمعوا صوت الطبيعة ! .

أجل ! هذه الحياة في صورتها الكاملة فما استطاعت فلسفة او دين او عالم اخلاق ان يخرج بالبشر من أفقهم الحيواني الذي ألفوه من عصور الكهوف والغيران الى أفق اكمل ، ففي الساعة التي تتباين فيها مصالح الأفراد او مصالح الأمم تضيع كل فلسفة و كل دين و كل خلق ، ويظهر الأفراد وتظهر الأمم في حقائق مظاهرها ، في مظاهر عصور الكهوف والغيران ، فيقدمون على أمور اقل ما يقال فيها انها ليست من البشرية في شيء والحروب التي تعاقب البشر عليها اكبر دليل على هذا الأمر الواقع فمذ خلق البشر الى ان يظهر بشر آخرون في تركيب غير تركيبنا وفي غرائز غير غرائزنا يجذب الانسان سلاحه ويضرب ذات اليمين وذات الشمال ، هكذا الحياة وهكذا الطبيعة ، والذين يريدون الحياة خالصةً من كل شر ومن كل ألم ومن كل هم، يعيشون بعيدين عن الحياة وعن غرائزها فلا نستطيع ان نفهم الحياة حق الفهم الا اذا تصورناها جامعة بين الخير والشر مؤلفة بين الألم واللذة مناسقةً بين الحزن والفرح ، اما الفلسفات واما الأديان واما اقوال علماء الأخلاق فما استطاعت حتى هذه الدقيقة ان تقضي على الشر والألم والحزن واظن ان القضاء على هذه الأمور يطول بنا انتظاره .

ش . ج

العرب : تاريخ مقتضب للأميركيين (بالانكليزية)
The Arabs : a short history for Americans

مطبعة جامعة پرنستون ١٩٤٣ ، ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط

الدكتور فيليب حتي (أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأميركية سابقاً وأستاذ هذا الفن في جامعة پرنستون في أمريكا حالياً ومؤلف كتاب (العرب) ذلك السفر الخالد الذي يتفرد في العالم ببحث تاريخ العرب منذ وجدوا حتى وقتنا الحاضر بحثاً علمياً دقيقاً ويتميز بالتعمق والصحة والتجرد والتسلسل والشمول وصوت العرب الدوي في أمريكا في الدفاع عن العرب وحقوق العرب ومميزات العرب ومدنية العرب وحق العرب في فلسطين) علمٌ من أعلام التاريخ في الدنيا وفطحل من فطاحل العلم في امريكا وابن بار للعروبة وصديق مخلص للإسلام .

رأى الدكتور حاجة الامريكيين تشتد ، ولا سيما بعد اشتراكهم في الحرب الحاضرة وخوضهم معارك افريقيا الشمالية ، الى معرفة تاريخ العرب وحاضرهم وأمانيهم فعمد بالاشتراك مع السيد (بايرون دكستر) Mr . Byron Dexter الى اختصار كتابه (العرب) ووضعه في قالب جذاب وأسلوب سهل يمكن للمواطن الأميركي قراءته والاطلاع على تاريخ المسلمين بنواحيه المختلفة من سياسية الى حربية الى اجتماعية الى علمية الى فنية . الى غيرها من النواحي فتحدث عن العرب قبل الاسلام كما تحدث عن محمد ، رسول الله ، وعن القرآن والدين الاسلامي وعن انتشار الاسلام وعن الخلفاء وعن فتح الأندلس وعن الحياة الاجتماعية وعن امجاد بغداد وعن العلوم والآداب والفنون وعن قرطبة جوهرة العالم وعن أثر مدنية العرب في مدنية الغرب وعن الحروب الصليبية وعن آمال العرب في حاضرهم .

وتظهر في الكتاب بمجموعه قوة ايمان الدكتور حتي القومي وحبه للاسلام ودقة أبحاثه العلمية وقوة حجته وصراحته واخلاصه للمثل الانسانية العليا ويختم الدكتور حتي كتابه بقوله : « العربي الذي ساهم في الماضي بقسط وافر في اغناء العالم علمياً . يستطيع اذن مرة أخرى ان يحتل مكانه في موكب الأمم الديموقراطية المتطلعة الى المستقبل وليس هذا فحسب ولكنه يستطيع ، إذا أعطي الفرصة المناسبة ، ان يساهم من جديد والى حدود أبعد في رقي الانسانية » .

فاخر عاقل

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

كتاب يقع في ٤٤ص بقطع كبير مع كلمة الناشر السيد عزة العطار ومقدمة الأستاذ محمد زاهد الكوثري . وفي أول صفحة منه انه تأليف : محمد بن مالك ابن ابي الفضائل الحمادي اليماني من فقهاء السنة في اليمن في أواسط المائة الخامسة للهجرة .

ألف هذا الكتاب لفضح اسرار الباطنية واخبار القرامطة . يتكلم عن أصل مذهبهم وأخبار دعاتهم وانتشارهم في العالم الاسلامي وخاصة اتباع الصليحي القائم باليمن — المترجم في تاريخ ابن خلكان ١/٤٥٩ — ويقول انه كان يسمع عنهم أخباراً لا يصدقها واخيراً رأى ان يدخل مذهبهم ويتحقق جلية أمرهم . وفي (ص ٤٣) ما يفيد انه كان يجتمع بالصليحي فيقول : لقد سمعته مراراً واسفاراً ويذكر المؤلف عن الصليحي واتباعه ابطالهم الطهارة والصلاة والحج والزكاة واباحتهم الاشتراك في النساء . ومما يلفت النظر ان الداخل لمذهبهم يترقى خمس درجات بدفع عن كل درجة اثني عشر ديناراً (ولا يخفى ان هذا ليس في وسع كل انسان) وآخر هذه الدرجات معرفة الاشتراك في المرأة .

ويحرص المؤلف كل الحرص على أن يُصدق فيما ينقله عنهم فيقول (ص ١٦) هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالهم والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى عليَّ شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم و كفرهم وجهلهم .

ومن طريف ما تضمنه هذا الكتاب كتاب ارسله ابوطاهر الجنابي جواباً على كتاب للمقتدر بالله العباسي (ص ٣٤ و ٣٥) ومنه نعلم مبلغ نقمة القرامطة على المجتمع العباسي واخلاقه وتقاليده وان ثورة القرامطة كانت نتيجة تخمة المجتمع العباسي بالترف والاستقراطية والاقطاعية فهي ثورة من طبقة العمال والفلاحين ترمي الى هدم جميع الأوضاع الاجتماعية في ذلك العصر حتى الدين . وهي تشبه من جهات عديدة ثورة الشيوعيين في روسيا على قيصرهم . وليس لفظ قرمط اسم شخص كما ادعاه المؤرخون وانما هو وصف معناه الأحمر [1] وكانت القرامطة تدعى

(١) في القاموس القرموط كعصفور : الأحمر من ثمر الغضا كالرمان

المحمرة[1] وشعارهم الحمرة . ولا تزال حتى اليوم منطقة الأهواز في الخليج الفارسي تدعى المحمرة لنزول جيوشهم فيها فالقرامطة معناها المقاتلون الحمر كما يدعى الجيش الشيوعي اليوم بالجيش الأحمر . وكذلك لفظة الدروز معناها طبقة العمال ففي القاموس : وأولاد درزة : السفلة والخياطون والحاكة . وفي هذا برهان على ان ليس للفرق الباطنية عقائد دينية كما يتتبع ذلك الباحثون وجميع الجهود المبذولة من المستشرقين والشرقيين لم تأت بنتيجة واضحة عن عقائدهم الدينية . لأن اصل مذهبهم هو مقاومة فكرة الارستقراطية وحصر الثروة بأيدي الارستقراطيين وهدم الأديان التي يتخذها الارستقراطيون سلاحاً ومبرراً لمبدأ تكوين طبقة الأشراف كالقرشيين وطبقة السفلة كالخياطين والحاكة الذين لا يحق لهم التزوج من طبقة الأشراف ، ولذلك فليس من المعقول ان تأتي الباطنية بعقائد دينية جديدة واذا ظهر انما ما يصح ان يسمى عقيدة فانما هي شكوك وتأويلات اضطروا لها لأجل هدم العقائد القديمة لا لتكون عقيدة جديدة . ولو تتبعنا الفرق الباطنية لوجدناها خالية الذهن من العقائد الدينية اللهم الا انتسابها الى الاسلام والا عقائد سطحية قليلة لا ترتكز على أساس صحيح . وهذا نص بعض كتاب زعيم القرامطة الى الخليفة العباسي : فأما ما ذكرت من قتل الحجاج واخراب الأمصار واحراق المساجد .... خبرني أيها المحتج لهم والمناظر عنهم في أي آية من كتاب الله او اي خبر عن رسول الله اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الأموال من ظهور الأيتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

واما ما ذكرت من احراق مساجد الأبرار ، فأي مساجد احق بالخراب من مساجد اذا توسطتها سمعت فيها الكذب على الله ورسوله بأسانيد عن مشايخ فجرة بما اجمعوا عليه من الضلالة وابتدعوا من الجهالة . واما تخويفك لي بالله وامرك بمراقبته فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك — اترى اني اجهل بالله منك — وصرفك

(١) في البداية والنهاية لابن كثير ٦٢/١١ : ويقال لهم المحمرة نسبة الى صبغ الحمرة شعاراً امضاهاة لبني العباس ومخالفة لهم .

اموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ومنعها عن مستحقها ؟ يدعى على المنابر للصبيان ، ويخطب للخصيان . آلله اذن لكم ام على الله تفترون ، انك لتقلد بعض خدمك شيئاً من امرك فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى ، فأي الأمرين اقرب للتقوى ؟ او ما علمت انه من انقاد اليه نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعلا فيهم .

هذا خلاصة ما جاء في هذا كتاب ابي ظاهر الجنابي . وقد ورد في ص ٣٥ س ٩ (من تسميتك بالمغيث بالله) والصواب بالمقتدر بالله لأنه هو الذي كان في عصر ابي طاهر ويدل على ذلك ما جاء بعده : اي جيش صدمك فاقتدرت عليه . واننا لنشكر للأستاذ الكوثري جهده وحبذا لو لجأ التجار الناشرون للكتب الى امثاله من العلماء لينظروا فيها ويعلقوا عليها فتكون مطبوعاتهم موضع ثقة العلماء والباحثين .

محمد أحمد دهمان



تراجم مشايخ الشيخ أبي المواهب الحنبلي

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، تقع في ٦٠ صفحة بأبعاد ٢٢×١٦ سنتيمتراً ، خطها مقروء ، على اسم المترجم اشارة حمراء وعلى هامشها تعليقات قيمة ، عدد أسطرها يختلف بين ٢٥ و ٣٤ سطراً .

ترجمة ابي المواهب : هو ابو المواهب محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي ابن ابراهيم بن عمر بن محمد مفتي الحنابلة وشيخ القراء والمحدثين بدمشق ، ولد بدمشق سنة ١٠٤٤ هـ ونشأ بها في كنف والده فقرأ القرآن الكريم وحفظه وجوده وقرأ الشاطبية وشروحها والطيبة والدرة وأخذ العلم عن طائفة كبيرة من شيوخ دمشق ومصر والحجاز وغيرها . وجلس للتدريس والاقراء فانتفع به خلق وتوفي سنة ١١٢٦ هـ ودفن بتربة مرج الدحداح بدمشق .

شيوخ أبي المواهب : قال أبو المواهب : وقد التمس بعض المحبين الموفقين من هذا المذنب الحقير الفقير الكسير المسرف على نفسه الراجي رحمة ربه ولطفه في الدنيا والآخرة وما بينهما وحين يوضع في رمسه ان أذكر له تراجم مشايخي وما قرأته عليهم وما أخذته عنهم دراية ورواية بأي نوع من أنواع الاجازة فأجبته لذلك سائلاً من الله التوفيق والرحمة . ثم شرع ابو المواهب في ترجمة المشايخ الآتية :

والده عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي بن ابراهيم بن عمر ابن محمد الحنبلي الأزهري الدمشقي المحدث المقرئ الأثري الشهير بابن البدر ثم بابن فقيه فصة [1] ، محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن محمد الخباز المعروف بالبطنيني الدمشقي الفقيه الشافعي المحدث ، منصور بن علي السطوحي المحلي نزيل مصر ثم القدس ثم دمشق الشافعي ، محمد بن بركات بن مفرج الشهير بالكوافي الحمصي الدمشقي الشافعي العالم الصالح ، ابراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي البارع في علم الكلام والمعاني والبيان والمنطق وغيرها ، محمد بن أحمد بن علي الخلوتي الفقيه الحنبلي والعالم المحقق ، محمد بن بدر الدين البعلي الأصل الدمشقي الحنبلي الذي انتهت اليه رئاسة العلم بالصالحية ، محمد بن احمد بن محمد العمري المعروف بابن عبد الهادي الدمشقي العالم بالعقائد والتصوف ، محمد بن محمد بن احمد العيثاوي الدمشقي الشافعي العالم في جميع العلوم الشرعية والعربية والأصول والعقائد والمنطق ، محمد بن كمال الدين ابن محمد بن حسين بن محمد بن حمزة نقيب الأشراف في الشام ورئيس وقته علماً وجاهاً ، رمضان بن موسى بن احمد المعروف بابن عطيف الدمشقي الفقيه الحنفي الأديب الراوية للشعر وأيام العرب وأخبار الملوك ، رجب بن حسين بن علوان الحموي الأصل الدمشقي الميداني الشافعي الفرضي والبارع في العلوم الرياضية كالحساب والفلك والهيئة والموسيقى ، محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن سليمان المعروف بالاسطواني الدمشقي الفقيه الحنفي الواعظ الاخباري ، محمد بن تاج الدين بن احمد المحاسني الدمشقي الحنبلي الخطيب العالم الورع ، محمد البابلي القاهري الأزهري أحد الأعلام في الحديث والفقه وأحفظ اهل عصره للمتون والشروح وأعرفهم بجرحها وصحيحها وسقطها ورجالها ،

(١) بفاء مكسورة ومهملة قرية ببعلبك وان أحد أجداده كان يتوجه ويخطب فيها فاشتهر بها .

اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم النابلسي الأصل دمشقي المولد العلامة الامام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والأدب وصاحب المصنفات الكثيرة ، نجم الدين محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي الشافعي شيخ الاسلام ومؤلف الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ولطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر ونظم الأجرومية وشرح القطر لابن هشام وغيرها ، محمد بن سليمان الفاسي المغربي نزيل مكة المحدث القارئ ، عبد السلام بن ابراهيم بن ابراهيم المصري المالكي الحافظ شيخ المالكية في وقته بالقاهرة ، علي بن ابراهيم بن علي القبردي الدمشقي الصالحي الشافعي المحيط بالعلوم الشرعية العالم بالحكمة والمنطق والهيئة والحساب والجبر والمقابلة والارتماطيقي والخط والموسيقى والمساحة والتفسير واسماء الرجال والتاريخ وأيام العرب واشعارهم وغيرها ، سلطان بن احمد بن سلامة بن اسماعيل الأزهري المصري الشافعي الحافظ القارئ ، علي الشبراملسي الشافعي القاهري العالم المحقق ، محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد علان ابن عبد الملك بن علي المفسر المحدث المقرئ صاحب المؤلفات الكثيرة منها خيار السبيل الى معالم التنزيل ونظم عقيدة النسفي ونظم مختصر المنار وغيرها ، محمد نجم الدين الفرضي المحدث الفقيه ، محمود الكردي نزيل دمشق العالم المحقق ، رمضان بن عبد الحق العكاري بن عبد الحق الدمشقي الفقيه الحنفي الأصولي المحدث ، ايوب بن احمد الخلوتي الحنفي ، عيسى بن محمد بن احمد بن عامر جار الله المغربي نزيل المدينة المنورة ثم مكة امام الحرمين الشريفين ، يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى الجزائري المالكي المحدث المفسر الأصولي المتكلم ، غرس الدين بن محمد بن احمد بن محمد بن غرس الدين ابن محمد بن احمد بن غرس الدين الأنصاري الفقيه الشافعي المحدث الأديب مؤلف كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس من الأحاديث الموضوعة ، أحمد ابن محمد بن يونس القشاشي العالم الكبير ، خير الدين بن احمد بن نور الدين الأيوبي الفارقي الرملي المفسر المحدث الفقيه اللغوي ومحمد بن قاسم بن اسماعيل البقري المصري الأزهري .

عمر رضا كحاله

آراء وانباء

بيان رئيس المجمع في جلسة الافتتاح

المعقودة في ٣٠ تشرين الأول سنة ٩٤٤ . بعد العطلة الصيفية

سادتي الأفاضل :

في هذه الجلسة ينتهي المجمع من عطلته الصيفية ويستقبل سنته المجمعية (تشرين الأول ٩٤٤ – حزيران ٩٤٥) ويبدأ أعماله متكلاً على الله وعلى سعي أعضائه الكرام ومؤازرتهم ، راجياً ان يبلغ من اغراضه في هذه السنة اكثر مما ادرك في السنة الماضية ، فينجز ما كان شرع به من الأعمال ، ويتناول ماينوي معالجته .

ولئن كانت العطلة الصيفية مدة راحة واستجمام للمجمع ، فلقد امتازت هذه العطلة بكثرة العمل المتواصل مدة اشهر الصيف كلها . فهيئت بها اسباب المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، وعقد كما تعلمون في الخامس والعشرين من شهر ايلول ، وشهده من اعلام العلم والأدب نيف واربعون عالماً وأديباً ، واستمر اسبوعاً اشتركت بالاحتفاء به جميع البلاد السورية ، وأقيمت فيه ست حفلات خطابية افتتح أولاها فخامة رئيس الجمهورية بنفسه ، وكان من قبل رحب بمشروع عقده واعاره أوفر نصيب من عنايته وعطفه ، كما احتفت الحكومة به وساعدت على تحقيقه ، حتى كان أعظم حادث أدبي في تاريخ الآداب العربية .

هذه الجمهرة العظيمة من العلماء والأدباء احتفت بها دمشق والمحافظات السورية ، فأقيم في دمشق ثلاث حفلات خطابية شهدها مئات من علية القوم ومثقفيهم رجالاً ونساء ، وحفلة في المعرة على قبر أبي العلاء أظهر فيها معالي السيد حكمت الحراكي من ضروب الكرم والحفاوة ما يعجز شكره اللسان والقلم ، وحفلة في حلب ، وحفلة في اللاذقية ، فضلاً عن مظاهر الحفاوة والمبالغة في كرم الضيافة في المحافظات التي لم يعقد بها حفلات خطابية كحمص وحماة ، وبذلك زار الضيوف قسماً عظيماً من البلاد السورية وكانوا حيثما مروا ووقفوا وحلوا موضع الاكرام والتجلة . وظهرت

البلاد بحلة بديعة من البشر والبشاشة ، وأقامت الدليل على تقدير أهلها للعلم والادب ورجالها . ولقد تلي في المهرجان من حر القول نثراً وشعراً ما تقر به عين الأدب دع عنك ما بعث به من لم يتيسر لهم الحضور .

وانه لمن دواعي الفخر والغبطة ان ينجز المجمع طبع الف نسخة من رسالة الملائكة لأبي العلاء وتحف بها ضيوف المهرجان بعد ان حققها وخرجها وعلق عليها وشرح مواطن الغموض فيها رصيفكم العلامة الأستاذ سليم الجندي وهي النسخة الوحيدة في العالم ، وما طبع من قبل انما هو مقدمة الرسالة ليس غير ، وكأن الدهر جاد بها هدية للمعري في مهرجانه ، بعد ان ضن بها قروناً عديدة .

هذا ما قام به المجمع في العطلة الصيفية . أما ما ينوى عمله في سنته هذه فأجمله لكم على سبيل الاقتراح ، حتى اذا وافقتم عليه مضى المجمع في تنفيذه .

١ — احداث أربع لجان من أعضاء المجمع العاملين ، تيسيراً للأعمال العلمية ؛ واستفادة من ثمرة الاختصاص وهذه اللجان هي : اللجنة اللغوية ، اللجنة الأدبية ، اللجنة التاريخية ، اللجنة العلمية ، وبذلك تتولى كل لجنة تهيئة ما يعود اليها من الموضوعات ثم تعرضها على هيئة المجمع العامة للمناقشة والفصل .

٢ — جري المجمع في الماضي على جعل محاضراته العامة أسبوعية ، لقلة المحاضرات التي كانت تلقى خارج المجمع ، فكان يتساهل في بعض المحاضرات التي لا تتقيد بأغراضه . فأما وقد تعددت النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية وأصبحت المحاضرات فيها مألوفة ، فنرى ان تكون محاضرات المجمع بعد الآن متقيدة بأغراضه المنصوص عليها في نظامه ، وان يتحرى في تجويدها وجعلها من البحوث العلمية الدقيقة ، ولجعل ذلك ممكناً نرى ان تكون محاضرات المجمع العامة في كل اسبوعين مرة مدة موسم المحاضرات .

٣ — خلا عدد من كراسي اعضاء المجمع المراسلين بوفاتهم رحمهم الله . فنرى ان تملأ هذه الكراسي في هذه السنة . ويبذل الجهد في انتقاء الأكفياء ممن توفرت بهم الشروط المذكورة في انتخاب الأعضاء .

٤ — تعلمون ان الخطب والبحوث والقصائد التي تليت في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري من خيرة ما جادت به قرائح اعلام الأدب المعاصرين ، وهي بجملتها أوسع مجموعة عن ابي العلاء في كثير من نواحيه ، فضلاً عما فيها من الجمال والسحر . وجمعها في كتاب واحد وتمثيلها للطبع تخليداً لهذا المهرجان الذي عقده المجمع ، وذكرى بر الخلف بالسلف ، وصورة عن الأدب المعاصر تفيض بالاحسان والامتاع للأجيال الآتية ، لذلك نرى ان يتولى المجمع جمع مواد هذا الكتاب وطبعه في هذه السنة ، وتقدر صفحاته بأربعمائة وقد تبلغ خمسمائة .

٥ — ذكرت لكم في بيان جلسة الختام في شهر حزيران الماضي شيئاً عن دار الكتب الظاهرية والآن اذكر لكم ان جزأً من فهرس مخطوطاتها قد تهيأ للطبع وها كم نبذة يسيرة عنه ، يقدر فهرس دار الكتب بثمانية مجلدات وقد اعد الآن منها مجلد قسم التاريخ الذي يبلغ عدد كتبه ستمائة مخطوط وصفت على سبيل البسط والشمول في تعريف الكتاب ووصفه وخصائصه وتعريف مؤلفه وما الى ذلك من شؤون التفصيل وقد اعد الورق لطبع هذا الجزء ونرجو ان يكون الشروع قريباً . وتقدر صفحاته بأربعمائة صفحة من قطع مجلة المجمع .

هذا ما سنأخذ بطبعه في هذه السنة ان شاء الله عدا الكتب الثلاثة التي سبقت الاشارة اليها في بيان حزيران وهي تاريخ الحكماء وديوان ابن عنين والرسالة الجامعة . ونرجو ان تكون أعمالنا اكثر من أقوالنا بتوفيق الله تعالى .

قبر معاوية بن أبي سفيان

قرأت في هذه المجلة (م ١٩ ص ٤٣٤) مقالة في قبر معاوية بن أبي سفيان مؤسس أعظم دولة عربية وكنت أعتقد ان ضريحه في حارة النقاشات . والبحث في هذا الشأن كثير ينحصر في ثلاثة آراء : الرأي الأول ان الضريح في الحائط القبلي من جامع دمشق هو بحث ضعيف قليل الإسناد سواء بالنقل أو بالواقع لأن العرب ما اعتادت دفن موتاها في الحيطان حتى ولا الروم كانت تفعل ذلك وعند وفاة معاوية كان الجامع القبلي بيد النصارى من أهل دمشق والقسم الشرقي فقط بيد المسلمين ولذلك لا يعقل اتباع هذه الرواية . الرأي الثاني : يقول بالدفن قرب الجامع أو ما بين مساكن الأمويين التي كانت جنوباً وشرقاً جنوبياً وأشهر هذه المساكن الدار الخضراء أو ما بين حارة النقاشات وحمام القاري والشارع المستقيم أو مأذنة الشحم الآن . والمتواتر ان منازل أمراء المسلمين وحكامهم في ذلك الزمان كانت في تلك البقعة وبهذا القسم يوجد الآن ضريحان الواحد لمعاوية الصغير والثاني لمعاوية الكبير ، هذا حسب الروايات المتواترة على ألسن العامة . والبرهان على وجود ضريح معاوية الكبير في هذا القسم ضعيف ولم يعتمد عليه كثيراً . والرأي الثالث : القول ان ضريح معاوية هو في مقبرة الباب الصغير وهذا الوارد في أخبار كثيرة وهو ما اتجه نحو القول به الأمير جعفر الحسني وأنا ارغب في تصديقه من وجهة نظرية ولكنني عملي وذلك لأن عندنا الآن جميع الوسائل الآلية التي تمكننا من السير في هذا الموضوع الى آخره ولذلك اؤيد اقتراح الكاتب البحاثة وتشييد ضريح فخم يليق بمكانة هذا الملك العظيم ولكنني أزيد هذا وهو المقصود من مقالي الآن :

منذ نحو مائة عام كان مقام أهل البيت بسيطاً يشبه ما ذكر عن ضريح معاوية الى أن قام أحد آل المرتضى وأجرى حفريات على عمق اربعة امتار من سطح التربة الحاضر فظهر له ضريح السيدة سكينة رضي الله عنها وذلك التابوت الخشبي المنقوش نقشاً بديعاً فكان تحفة للناظرين وبركة للزائرين وهو أجمل ما وجد من العصر

الأول في تاريخ الاسلام · فبنى له مقاماً حديثاً وقبة واسعة يزوره المسلمون وغيرهم من سياح الافرنج ·

هذا يقول هنا ضريح معاوية وذلك يخالفه ويبقى الموضوع تحت الدرس ريثما يأتي الناس من اميركا واوربا ويحفرون منقبين باحثين عن آثار لا تعد شيئاً بالنسبة لوجود ضريح معاوية وما قد يوجد معه أو يقربه من التحف أو النقوش واذا وجد التابوت وحده سواء كان حجرياً أو خشبياً فقيمته التاريخية لا تقدر بثمن · واذا فرضنا ان بقعة يلاحظ ان فيها بعض القبور فتحفر فوقها حفرة سعتها ٣×٣ أمتار وعمقها بالغاً ما بلغ سبعة أمتار أو مجموع تكعيبها ٦٣ متراً مكعباً من التراب العادي وقد تكلف الآن حفراً وردماً وتدعيماً نحو الف ليرة سورية فاذا صحت عزيمة اولي الأمر على بحثها فانني مستعد لتقديم هذه القيمة والبدء بالعمل ·

ان مستوى تربة باب الصغير كان في زمن معاوية على مستوى أضرحة آل البيت أي على عمق اربعة أمتار عن المستوى الحالي تقريباً وكان شكلُ القبور شكلاً ما وجد مماثلاً له بالهندسة أو بالوضع وطبعاً يكون قبر معاوية افخم واعظم لأنه ملك ذلك الزمان والذي أخذ عن الروم أشياء كثيرة مما وجد حسناً ومفيداً لرفع مجد العرب واعلاء شأنهم بين الأمم ·

أما القول بأن العباسيين نبشوا قبور آل أمية واحرقوا عظامهم فأظن ان ذلك مردود عقلاً ولكن قد يحتمل درس قبورهم وشواهدهم أو قبابهم · لذلك يحتمل وجود قبر معاوية الكبير أو الصغير في الموضع المحكي عنه في تربة الباب الصغير ·

يوسف دبوس



بعض الكتب المخطوطة التي في حيازتنا

١ — القرآن الكريم بخط جيد جداً متميز

٢ — الصحيفة السجادية 〃 〃 〃 〃

٣ — كتاب لوامع أنوار القلوب في جوامع أسرار المحب والمحبوب في التصوف

تأليف القاضي ابي المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيدلة الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٤٩٤ مجهول التاريخ لذهاب أوله وآخره

٤ — معالم الدين في فقه آل يسين في الفقه الجعفري تأليف شمس الدين محمد ابن شجاع الأنصاري تاريخ كتابته ٨٣٢ لم يطبع ناقص من آخره

٥ — فرائدالقلائد مختصر شرح الشواهد تأليف محمود العيني قوبل بأصله سنة ٨٦٧

٦ — مختلف الشيعة في أحكام الشريعة في الفقه الجعفري تأليف الحسن بن يوسف الحلي المعروف بالعلامة كتب بعض اجزائه سنة ١٠٩٥

٧ — المغرب في اللغة للمطرزي كتب سنة ٩٦٨

٨ — مجموعة فيها (ا) عجائب احكام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ب) عنوان المعارف وذكر الخلائف تأليف الصاحب بن عباد كتب سنة (٤٢٠) (ج) رسالة الى احمد بن أبي دؤاد في فضل العلم كتبت سنة (٢٤٠) (د) الأدب الصغير لابن المقفع (ه) ذخائر الحكمة لابن دريد الأزدي (و) مختصر من كتاب جاويدان خرد في حكم الفرس والهند والروم والعرب تأليف مسكويه

٩ — رجال رواة الإمامية للحسن بن داود الحلي

١٠ — ديوان السيد المرتضى تاريخ كتابته (١١٣٩) ومعه قطعة من ديوان ابي فراس الحمداني

١١ — اليتيمة للثعالبي

١٢ — اجزاء من شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد الرابع والخامس والسادس تاريخ كتابة الرابع منها ٨٧٧

١٣ — أمل الآمل في علماء جبل عامل كتب عن نسخة مسودة المؤلف سنة ١١١٨

١٤ — ديوان المتنبي نسخة قديمة ذهب قليل من أولها وآخرها

١٥ — مجموعة فيها (ا) شرح الفصول النصيرية للعلامة الحلي تاريخ كتابته ١١٤٦ (ب) الرسالة الجوابية لابن راشد البحراني (ج) شرح واجب الاعتقاد للعلامة الحلي والشارح عبد الواحد بن الصفي النعماني والثلاثة في علم الكلام

١٦ — شرح بانت سعاد لابن هشام الأنصاري بخط قديم وورق قديم جيدين

محسن الأمين الحسيني

بين العامية والفصحى

في مجلة المجمع (م ١٨ ص ٣٥) بحث طريف عن العامية وعلاقتها بالفصحى ومثل هذه الأبحاث لا تخلو من فائدة ولهو كما قال الكاتب ، ولكن العامية تختلف باختلاف الأقاليم والأماكن ولعل الأفضل في مثل هذه الأبحاث ان يشير الكاتب الى مثل هذا الخلاف إذا استطاع ، وإلا ففي بحث الأستاذ مآخذ ربما كان سببها اختلاف العامية باختلاف الأماكن وربما كان غير ذلك .

ورد في صفحة ٤٠ تقول العامة فاجر أي بذيء اللسان وهو في الفصيح العاهر الفاسق . ولكن الفاجر في القاموس المتمول — ولعل اللغة العربية لم تسبق إلى ابتداع هذا المعنى الرائع — وهو الساحر والفاسق والكاذب والكذاب والعاصي والمخالف الخ فكأن العامة لم تبعد في استعمالها عن الفصيح كثيراً .

وفي صفحه ٤١ ان العوام يقولون هدت الأم لولدها من حدت والحداء معروف ، ولعلها من هدهدت الأم لولدها بمعنى حركته لينام .

ويرى ان هص مقلوبة عن صه ، والعوام عندنا يقولون هس بالسين وهي زجر للغنم

وجاء « يقولون عنفص بمعنى طغى وتجبر فهو محرف عن عصف ، ولكن أكثر العوام في سوريا ولبنان يستعملون بمعناها الفصيح ، والتعنفص في اللغة الصلف والخفة والخيلاء والزهو ، وأكثر ما تستعمل في العامة للفرس يرفس فلا يمكن من ظهره وليس في عمل الفرس طغيان وتجبر بل زهو وصلف .

وجاء « ومن القلب عند العوام قولهم في لأئط بمعنى ملتصق لاطي » ولكن لطي في القاموس لزق بالأرض فهي فصيحة صحيحة .

وجاء « ويقول العوام جفل عوض أجفل » وفي القاموس جفل الظبي جفولاً أسرع وذهب في الأرض كأجفل فكلاهما فصيح صحيح .

وورد في صفحة ١٥٥ « فلان روم والصواب رومي » أما العامة فتستعمل رومي بمعنى اليوناني فقط ولعل الصواب ارثوذكسي وكاثوليكي لأن الكاثوليك أيضاً روم . ولعل الأصل ان يقال رومي ارثوكسي ورومي كاثوليكي ، ولكن حذفت

بين العامية والفصحى

في مجلة المجمع (م ١٨ ص ٣٥) بحث طريف عن العامية وعلاقتها بالفصحى ومثل هذه الأبحاث لا تخلو من فائدة ولهو كما قال الكاتب ، ولكن العامية تختلف باختلاف الأقاليم والأماكن ولعل الأفضل في مثل هذه الأبحاث ان يشير الكاتب الى مثل هذا الخلاف إذا استطاع ، وإلا ففي بحث الأستاذ مآخذ ربما كان سببها اختلاف العامية باختلاف الأماكن وربما كان غير ذلك .

ورد في صفحة ٤٠ تقول العامة فاجر أي بذيء اللسان وهو في الفصيح العاهر الفاسق . ولكن الفاجر في القاموس المتمول — ولعل اللغة العربية لم تسبق إلى ابتداع هذا المعنى الرائع — وهو الساحر والفاسق والكاذب والكذاب والعاصي والمخالف الخ فكأن العامة لم تبعد في استعمالها عن الفصيح كثيراً .

وفي صفحه ٤١ ان العوام يقولون هدت الأم لولدها من حدت والحداء معروف ، ولعلها من هدهدت الأم لولدها بمعنى حركته لينام .

ويرى ان هص مقلوبة عن صه ، والعوام عندنا يقولون هس بالسين وهي زجر للغنم

وجاء « يقولون عنفص بمعنى طغى وتجبر فهو منحرف عن عصف ، ولكن أكثر العوام في سوريا ولبنان يستعملون بمعناها الفصيح ، والتعنفص في اللغة الصلف والخفة والخيلاء والزهو ، وأكثر ما تستعمل في العامة للفرس يرفس فلا يمكن من ظهره وليس في عمل الفرس طغيان وتجبر بل زهو وصلف .

وجاء « ومن القلب عند العوام قولهم في لائط بمعنى ملتصق لاطي » ولكن لطي في القاموس لزق بالأرض فهي فصيحة صحيحة .

وجاء « ويقول العوام جفل عوض أجفل » وفي القاموس جفل الظبي جفولاً أسرع وذهب في الأرض كأجفل فكلاهما فصيح صحيح .

وورد في صفحة ١٥٥ « فلان روم والصواب رومي » أما العامة فتستعمل رومي بمعنى اليوناني فقط ولعل الصواب ارثوذكسي وكاثوليكي لأن الكاثوليك أيضاً روم . ولعل الأصل ان يقال رومي ارثوكسي ورومي كاثوليكي ، ولكن حذفت

ولعل الأفضل أن تكتب الأعلام التركية بالمبسوطة والعربية بالمربوطة فعصمت اينونو، وعصمة البيروتي فما رأي المجمع .

وليست المسألة مسألة تاء بل نتعداها إلى أصول اللغة والأعلام العربية المرتجلة في لغتنا لا معنى لها في صلب اللغة تشتق منه ولكنها عربية لا تمنع من الصرف إذا خلت من العلل الأخرى، أما الأعلام المنقولة عن الأعاجم فهي أعجمية يمنع صرفها ولو كان للفظها معنى في صلب اللغة، وعلماء اللغة يمنعون يعقوب من الصرف لأنه منقول عن العبرية مع أن اليعقوب في اللغة الحجل وهم يمنعون كل يعقوب أعربيًا كان المسمى أم عبريًّا .

وكميل شوطان وأميل زولا ممنوعان من الصرف بالعجمة وليس فينا من يصرف كميل وأميل ولو سمي بهما أولاده مع ان للفظهما معنى في اللغة غير العلمية .

وإذا أردنا ان يكون شوقي وفوزي وفتحي اسماء عربية فالصحيح صرفها وهي ممنوعة، وما رأي المجمع في عصمت أو عصمة، ورفعة أو رفعت أبالعجمة يمنعها أم بتاء التأنيث ؟

هنا نحر

العربية والمستعربون

انني لست مستشرقًا ولا أستاذاً للغة العربية بل قد توصلت الى تعلمها اضطراراً عن طريق لم يكن لي بد منها . ذلك اني كنت مفتقراً الى معلومات لم استطع ان ابلغها من المستشرقين ولم يكن لي سبيل سوى دراسة اللغة العربية حتى أنال ما أريد بمجهود نفسي .

لا يكفي ان أقول انني لست مستشرقًا بل ينبغي ان أضيف انني حرب على المستشرقين إذ ان اكثريتهم تسيء بالدارج ظنًا وتعتقد ان الناطقين بالضاد لا يعرفون لغتهم الخاصة وبناء على ذلك يصرون على اعتبار اللغة العربية لغة ميتة ولا طائل من مجادلتنا إياهم لأنهم في واد ونحن في واد .

وانني متيقن انه يجب على المستشرقين ان يدرسوا الآداب العربية الحديثة كالآداب القديمة اذا هم أرادوا ان يفهموا إخوانهم العرب فهماً حقيقاً وان تحسن العلاقات بين الشرق وبين الغرب ·

يفتقر العالم الى تراجمة هم في هذه الحال المستشرقون واذا ابى هؤلاء التراجمة ان يقرأوا الكتب الحديثة التي تفسر وحدها الشرق الناهض فانهم بذلك يمتهنون رسالتهم ·

يجب على المستعرب الا يدرس القرآن الشريف وكتباً قديمةً أخرى فقط بل عليه ان يتعرف إلى آداب الوقت الحاضر التي تحمل العبء الحي في تطور اللغة وتبين طموح الشرقيين ومقاصدهم وآمالهم وأوجالهم وتوق قلوبهم الى العلى ·

(الولايات المتحدة) **سرطون**

الفهرس العام لمواد المجلد التاسع عشر

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتّاب مقالات المجلد التاسع عشر

منسوقًا على حروف الهجاء

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد التاسع عشر

الصفحة